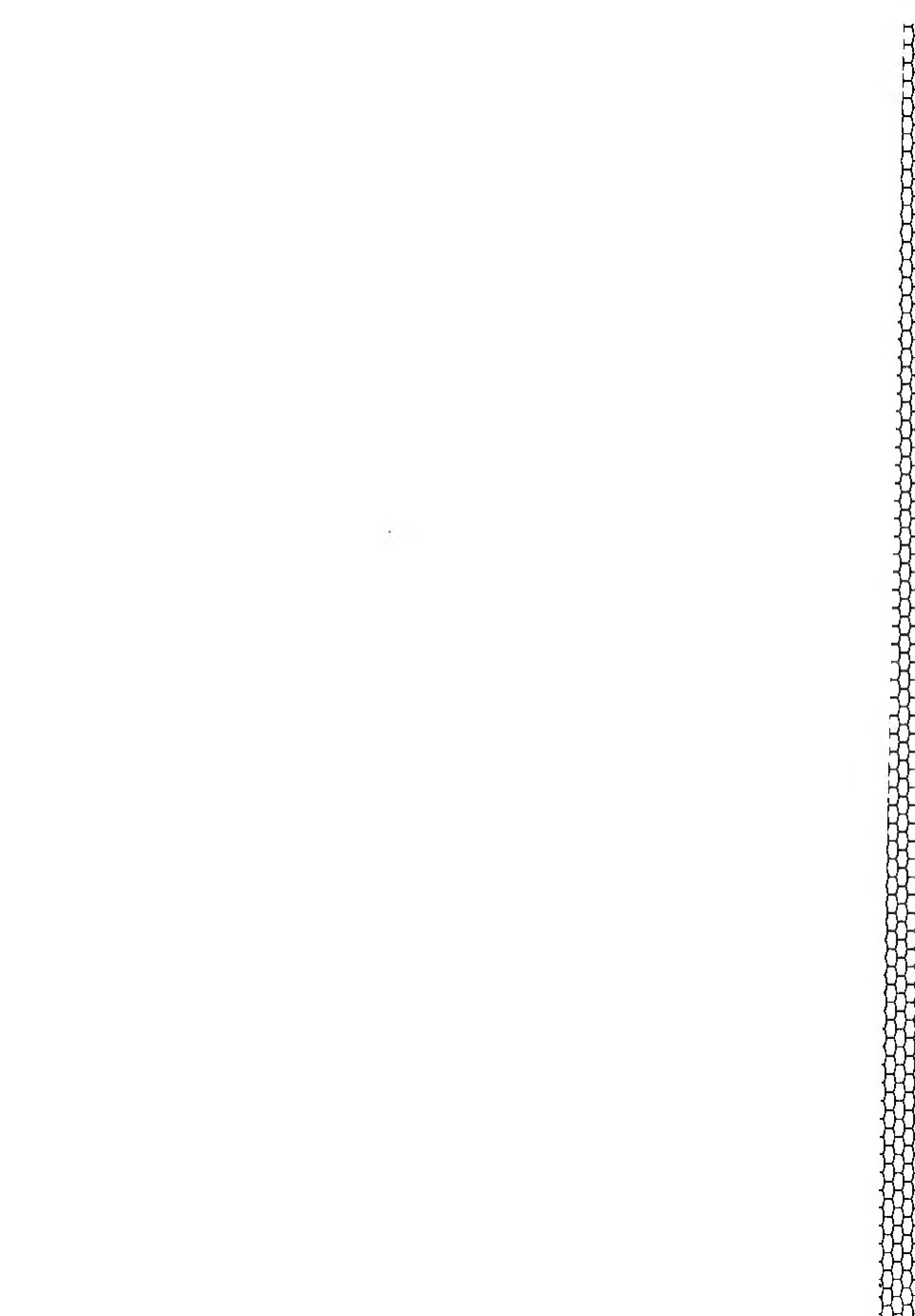

بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار
تأليف
العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي
طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق
العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي
المجلد السابع
١٣ - ١٤
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان



بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

١٣ - ١٤





الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الثالث عشر

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور

هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

صندوق بريد:٧١٢٠

Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أبواب قصص موسى وهارون عليهما السلام

١ - باب نقش خاتمهما وعلل تسميتهما وفضائلهما وسننهما وبعض أحوالهما

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ «٨٧».

آل عمران «٣»: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ «٣، ٤».

هود «١١»: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ «١٧» «وقال»: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ «١١٠».

إبراهيم «١٤»: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ «٥».

مريم «١٩»: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝٥١ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾.

الأنبياء «٢١»: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ «٤٨».

التنزيل [السجدة]: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝٢٣ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾.

الأحزاب «٣٣»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ «٦٩».

الصافات «٣٧»: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝١١٤ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝١١٥ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝١١٦ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۝١١٧ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١١٨ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۝١١٩ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١٢١ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٢﴾.

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ۝٥٣ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝٥٤﴾.

السجدة [فصلت] «٤١»: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ﴾ «٤٥».

الأحقاف «٤٦»: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ «١٢».

تفسير: قال الطبرسيّ قدّس سره: ﴿إِمَامًا﴾ أي يؤتمّ به في أمور الدين ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي نعمة

من الله على عباده، أو ذا رحمة أي سبب الرحمة لمن آمن به[1] ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ أي قومه اختلفوا في صحّته ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ أي لولا خبر الله السابق بأنّه يؤخّر الجزاء إلى يوم القيامة للمصلحة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي لعجّل الثواب والعقاب لأهله ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أي من وعد الله ووعيده ﴿بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي بوقائع الله في الأمم الخالية وإهلاك من هلك منهم، أو بنعم الله في سائر أيّامه كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أو الأعمّ منهما[2] ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي القرآن ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ قرأ أهل الكوفة بفتح اللّام أي أخلصه الله بالنبوّة، والباقون بكسرها أي أخلص العبادة لله، أو نفسه لأداء الرسالة ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ الطور: جبل بالشام، ناداه الله من جانبه اليمين وهو يمين موسى؛ وقيل: من الجانب الأيمن من الطور، يريد حيث أقبل من مدين ورأى النار في الشجرة، وهو قوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ أي مناجياً كليماً، قال ابن عبّاس: قرّبه الله وكلّمه، ومعنى هذا التقريب أنّه أسمعه كلامه؛ وقيل: قرّبه حتّى سمع صرير القلم الّذي كتبت به التوراة؛ وقيل: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾ أي رفعنا منزلته حتّى صار محلّه منّا في الكرامة محلّ من قرّبه مولاه في مجلس كرامته فهو تقريب كرامة واصطفاء لا تقريب مسافة وإدناء ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾ أي أنعمنا عليه بأخيه هارون وأشركناه في أمره[3].

﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ أي التوراة يفرق بين الحقّ والباطل؛ وقيل: البرهان الّذي يفرق به بين حقّ موسى وباطل فرعون؛ وقيل: هو فلق البحر ﴿وَضِيَآءً﴾ هو من صفة التوراة أيضاً، أي استضاؤوا بها حتّى اهتدوا في دينهم[4].

﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أي في شكّ من لقائك موسى ليلة الإسراء بك إلى السماء، عن ابن عبّاس؛ وقد ورد في الحديث أنّه قال: رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنّه من رجال شنوة، ورأيت عيسى بن مريم رجلاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس. فعلى هذا فقد وعد صلى الله عليه وآله أنّه سيلقى موسى عليه السلام قبل أن يموت؛ وقيل: فلا تكن في مرية من لقاء موسى إيّاك في الآخرة؛ وقيل: من لقاء موسى الكتاب؛ وقيل: من لقاء الأذى كما لقي موسى ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي موسى أو الكتاب ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي رؤساء في الخير يقتدى بهم، يهدون إلى أفعال الخير بإذن الله؛ وقيل: هم الأنبياء الّذين كانوا فيهم ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ أي لمّا صبروا جعلوا أئمّة ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ لا يشكّون فيها[5].

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ أي بالنبوّة والنجاة من فرعون وغيرهما من النّعم الدنيويّة

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٥٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٤١.
(٣) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤٢٨.
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ٩٢.
(٥) مجمع البيان، ج ٨ ص ١١١.

والأخروية ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ من تسخير قوم فرعون إيّاهم واستعمالهم في الأعمال الشاقّة؛ وقيل: من الغرق ﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ يعني التوراة الداعي إلى نفسه بما فيه من البيان ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا﴾ الثناء الجميل ﴿فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ بأن قلنا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[1] موسى اسم مركّب من اسمين بالقبطيّة فمو هو الماء، وسى: الشجر، وسمّي بذلك لأنّ التابوت الّذي كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر، وجدته جواري آسية وقد خرجن ليغتسلن، وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام.

وقال الثعلبيّ: هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم بأخبار الأوّلين وسير الماضين: ولد ليعقوب عليه السلام لاوي وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة؛ ثمّ إنّ لاوي بن يعقوب نكح نابتة بنت ماوي بن يشجر فولدت له عرشون ومرزى ومردى وقاهث بن لاوي، وولد للاوي قاهث بعد أن مضى من عمره ستّ وأربعون سنة، فنكح قاهث بن لاوي قاهي بنت مبنير بن بتويل بن إلياس فولدت له يصهر، وتزوّج يصهر شمبث بنت بتاويت بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم فولدت له عمران وقد مضى من عمره ستّون سنة، وكان عمر يصهر مائة وسبعاً وأربعين سنة، فنكح عمران بن يصهر نخيب بنت إشموئيل بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم فولدت له هارون وموسى؛ واختلف في اسم أُمّهما فقال محمّد بن إسحاق: نخيب؛ وقيل: أفاحية، وقيل: بوخائيد وهو المشهور، وكان عمر عمران مائة وسبعاً وثلاثين سنة، وولد له موسى وقد مضى من عمره سبعون سنة[2]، ونحوه ذكر ابن الأثير في الكامل[3].

١ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر المعراج عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ثمّ صعدنا إلى السماء الخامسة فإذا فيها رجل كهل عظيم العين، لم أر كهلاً أعظم منه، حوله ثلاثة من أُمّته، فأعجبتني كثرتهم، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا المحبّب لقومه هارون بن عمران، فسلّمت عليه وسلّم عليّ، واستغفرت له واستغفر لي، وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات ثمّ صعدنا إلى السماء السادسة وإذا فيها رجل آدم طويل كأنّه من شبوة، ولو أنّ عليه قميصين لنفذ شعره فيهما، وسمعته يقول: يزعم بنو إسرائيل أنّي أكرم ولد آدم على الله، وهذا رجل أكرم على الله منّي، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال أخوك موسى بن عمران، فسلّمت عليه وسلّم عليّ، واستغفرت له واستغفر لي، وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات[4].

بيان: شبوة أبو قبيلة، وموضع بالبادية، وحصن باليمن، أو وادٍ بين مارب وحضرموت كذا ذكره الفيروزآباديّ، ولعله صلى الله عليه وآله شبّهه بإحدى هذه الطوائف في الأدمة وطول القامة.

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٢٧.
(٢) عرائس المجالس، ص ١٤٧.
(٣) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ١٤٧.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٠٠.

٢ - **فس:** في خبر الحسن بن عليّ عليه السلام مع ملك الروم أنّه عرض على الحسن عليه السلام صور الأنبياء فعرض عليه صنماً، قال عليه السلام : هذه صفة موسى بن عمران، وكان عمره مائتين وأربعين سنة، وكان بينه وبين إبراهيم خمسمائة سنة[١].

٣ - **ل:** ابن إدريس، عن أبيه، عن الأشعريّ، عن أبي عبد الله الرازيّ، عن ابن أبي عثمان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله اختار من الأنبياء أربعة للسيف: إبراهيم، وداود، وموسى، وأنا؛ واختار من البيوتات أربعة فقال عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الخبر[٢].

٤ - **ن، ع، ل:** سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦)﴾ من هم؟ فقال عليه السلام : قابيل يفرّ من هابيل، والّذي يفرّ من أمّه موسى، والّذي يفرّ من أبيه إبراهيم، والّذي يفرّ من صاحبته لوط، والّذي يفرّ من ابنه نوح يفرّ من ابنه كنعمان. قال الصدوق رحمه الله : إنّما يفرّ موسى من أمّه خشية أن يكون قصّر فيما وجب عليه من حقّها[٣].

بيان: يمكن أن يتجوّز في الأم كما ارتكب ذلك في الأب، ويكون المراد بعض مربّياته في بيت فرعون.

٥ - **ل:** في خبر أبي ذرّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أوّل نبيّ من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى وستّمائة نبيّ[٤].

أقول: قد مرّ نقش خاتمه في نقوش خواتيم الأنبياء.

٦ - **ما:** المفيد، عن المظفّر بن محمّد الخراسانيّ، عن محمّد بن جعفر العلويّ، عن الحسن بن محمّد بن جمهور العمّيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام : أتدري يا موسى لمَ انتجبتك من خلقي واصطفيتك لكلامي؟ فقال: لا يا ربّ، فأوحى الله إليه: إنّي اطلعت إلى الأرض فلم أجد عليها أشدّ تواضعاً لي منك، فخرّ موسى ساجداً وعفّر خدّيه في التراب تذلّلاً منه لربّه عزّ وجلّ ، فأوحى الله إليه: ارفع رأسك يا موسى، وأمرّ يدك في موضع سجودك، وامسح بها وجهك وما نالته من بدنك، فإنّه أمان من كلّ سقم وداء وآفة وعاهة[٥].

٧ - **ع:** الطالقانيّ، عن الحسن بن عليّ بن زكريّا، عن محمّد بن جيلان قال: حدّثني أبي، عن أبيه وجدّه، عن غياث بن اسيد قال: حدّثني عمّن سمع مقاتل بن سليمان يقول: إنّ

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٣. (٢) الخصال، ص ٢٢٥ باب الأربعة ح ٥٨.

(٣) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٢ باب ٢٤ ح ١، وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ ح ٤٤، والخصال، ص ٣١٨ باب الخمسة ح ١٠٢ وفيه ما ذكره الصدوق في ذيل الحديث.

(٤) الخصال، ص ٥٢٤ باب العشرون، ح ١٣. (٥) أمالي الطوسي، ص ١٦٥ مجلس ٦ ح ٢٧٥.

الله تبارك وتعالى بارك على موسى بن عمران عليه السلام وهو في بطن أمّه بثلاث مائة وستّين بركة، فالتقطه فرعون من بين الماء والشجر وهو في التابوت، فمن ثمّ سمّي موسى، وبلغة القبط الماء (مو) والشجر (سى) فسمّوه موسى لذلك[١].

٨ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن عليّ بن يقطين، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام: أتدري لما اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ فقال موسى: لا يا ربّ، فقال: يا موسى إنّي قلّبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي منك نفساً، يا موسى إنّك إذا صلّيت وضعت خدّيك على التراب[٢].

ص: بإسناده إلى الصدوق عن أبيه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير «ص ١٦١».

٩ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد بن سنان، عن إسحاق ابن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ موسى عليه السلام احتبس عنه الوحي أربعين أو ثلاثين صباحاً، قال: فصعد على جبل بالشام يقال له أريحا، فقال: يا ربّ إن كنت حبست عنّي وحيك وكلامك لذنوب بني إسرائيل فغفرانك القديم، قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى بن عمران أتدري لما اصطفيتك لوحيي وكلامي دون خلقي؟ فقال: لا علم لي يا ربّ، فقال: يا موسى إنّي اطّلعت إلى خلقي اطّلاعة فلم أجد في خلقي أشدّ تواضعاً لي منك، فمن ثمّ خصّصتك بوحيي وكلامي من بين خلقي، قال: وكان موسى عليه السلام إذا صلّى لم ينفتل حتّى يلصق خدّه الأيمن بالأرض والأيسر[٣].

١٠ - فس: أبي، عن النضر، عن صفوان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ بني إسرائيل كانوا يقولون: ليس لموسى ما للرجال، وكان موسى إذا أراد الاغتسال ذهب إلى موضع لا يراه فيه أحد من النّاس، وكان يوماً يغتسل على شطّ نهر وقد وضع ثيابه على صخرة، فأمر الله الصخرة فتباعدت عنه حتّى نظر بنو إسرائيل إليه، فعلموا أنّه ليس كما قالوا فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَجِيهًا﴾[٤].

بيان: قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: اختلفوا فيما أوذي به موسى على أقوال:

أحدها: أنّ موسى وهارون صعدا الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته، فأمر الله الملائكة فحملته حتّى مرّوا به على بني إسرائيل وتكلّمت الملائكة بموته حتّى عرفوا أنّه قد مات وبرّأه الله من ذلك، عن عليّ عليه السلام وابن عبّاس، واختاره الجبّائيّ.

وثانيها: أنّ موسى عليه السلام كان حييّاً يغتسل وحده، فقالوا: ما يتستّر منّا إلا لعيب بجلده: إمّا برص وإمّا أُدرة، فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه على حجر فمرّ الحجر بثوبه فطلبه موسى

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٣ باب ٤٩ ح ١.

(٢) - (٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٤ باب ٥٠ ح ١ و٢. (٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٧٢.

فرآه بنو إسرائيل عرياناً كأحسن الرجال خلقاً، فبرّأه الله ممّا قالوا، رواه أبو هريرة مرفوعاً، وقال قوم: إنّ ذلك لا يجوز لأنّ فيها إشهار النبيّ وإبداء سوءته على رؤوس الأشهاد وذلك ينفر عنه.

وثالثها: أنّ قارون استأجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على رؤوس الملأ، فعصمه الله تعالى من ذلك، عن أبي العالية.

ورابعها: أنّهم آذوه من حيث إنّهم نسبوه إلى السحر والجنون والكذب بعدما رأوا الآيات، عن أبي مسلم. انتهى(١).

والسيّد قدّس سرّه رد الثاني بأنّه ليس يجوز أن يفعل الله تعالى بنبيّه ما ذكروه من هتك العورة لتنزيهه من عاهة أخرى، فإنّه تعالى قادر على أن ينزّهه ممّا قذفوه به على وجه لا يلحقه معه فضيحة أُخرى، وليس يرمي بذلك أنبياء الله من يعرف أقدارهم. ثمّ قال: والّذي روي في ذلك من الصحيح معروف، وهو أنّ بني إسرائيل لمّا مات هارون عليه السلام قرفوه بأنّه قتله لأنّهم كانوا إلى هارون أميل، فبرّأه الله تعالى من ذلك بأن أمر الملائكة بأن حملت هارون ميّتاً ومرّت به على محافل بني إسرائيل ناطقة بموته، ومبرّئة لموسى عليه السلام من قتله، وهذا الوجه يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام، وروي أيضاً أنّ موسى عليه السلام نادى أخاه هارون فخرج من قبره فسأله هل قتله؟ فقال: لا، ثمّ عاد. انتهى(٢).

أقول: بعد ورود الخبر الحسن كالصحيح لا يتّجه الجزم ببطلانه، إذ ليس فيه من الفضيحة بعد كونه لتبرّيه عمّا نسب إليه ما يلزم الحكم بنفيها، والله يعلم.

١١ - **ع:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن عليّ بن مهزيار، عن حمّاد ابن عيسى، عن أبان، عمّن أخبره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: لمَ سمّيت التلبية تلبية؟ قال: إجابة أجاب موسى عليه السلام ربّه(٣).

١٢ - **ع:** بهذا الإسناد عن حمّاد، عن الحسين بن مختار، عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: مرّ موسى بن عمران عليه السلام في سبعين نبيّاً على فجاج الروحاء عليهم العباء القطوانية يقول: لبّيك عبدك وابن عبدك لبّيك(٤).

١٣ - **ع:** أبي، عن الحميريّ، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه عليّ، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّ موسى النبيّ عليه السلام بصفائح الروحاء على جمل أحمر، خطامه من ليف عليه عباءتان قطوانيّتان، وهو يقول: لبّيك يا كريم لبّيك. الخبر(٥).

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٨٤. (٢) تنزيه الأنبياء، ص ١٢٥.

(٣) - (٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٢٣ باب ١٥٧ ح ٤ و٦ و٧.

بيان: الصفح من الجبل: مضطجعه، والجمع صفاح. والصفائح: حجارة عراض رقاق. والروحاء: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة.

والقطوانيّة: عباءة بيضاء قصيرة الخمل منسوبة إلى قطوان محرّكة: موضع بالكوفة.

١٤ - **ع:** أبي، عن محمّد العطّار، عن الحسين بن إسحاق التاجر، عن عليّ بن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن عثمان بن عيسى، وعليّ بن الحكم، عن المفضّل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أحرم موسى عليه السلام من رملة مصر، ومرّ بصفائح الروحاء محرماً يقود ناقته بخطام من ليف فلبّى تجيبه الجبال[١].

١٥ - **ص:** سئل الصادق عليه السلام: أيّهما مات هارون مات قبل أم موسى صلوات الله عليهما؟ قال: هارون مات قبل موسى. وسئل: أيّهما كان أكبر هارون أم موسى؟ قال: هارون، قال: وكان اسم ابني هارون شبّراً وشبيراً، وتفسيرهما بالعربيّة الحسن والحسين. وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم، فأمّا موسى فرجل طوال سبط يشبه رجال الزطّ ورجال أهل شبوة؛ وأمّا عيسى فرجل أحمر جعد ربعة. قال: ثمّ سكت، وقيل له: يا رسول الله فإبراهيم؟ قال: انظروا إلى صاحبكم يعني نفسه صلى الله عليه وآله[٢].

١٦ - **كا:** العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن البزنطيّ، عن أبان، عن زيد الشحّام، عمّن رواه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: حجّ موسى بن عمران ومعه سبعون نبيّاً من بني إسرائيل، خطم إبلهم من ليف يلبّون وتجيبهم الجبال، وعلى موسى عباءتان قطوانيّتان يقول: لبّيك عبدك ابن عبدك[٣].

١٧ - **كا:** العدّة، عن أحمد، عن الأهوازيّ، عن ابن أبي البلاد، عن أبي بلال المكّيّ قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام دخل الحجر من ناحية الباب فقام يصلّي على قدر ذراعين من البيت، فقلت له: ما رأيت أحداً من أهل بيتك يصلّي بحيال الميزاب؛ فقال: هذا مصلّى شبير وشبّر ابني هارون[٤].

١٨ - **صح:** عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى بن عمران سأل ربّه ورفع يديه فقال: يا ربّ أين ذهبت أوذيت، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى إنّ في عسكرك غمّازاً، فقال: يا ربّ دلّني عليه، فأوحى الله تعالى إليه: إنّي أبغض الغمّاز فكيف أغمز[٥]؟

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٢٣ باب ١٥٧ ح ٧ و٥.
(٢) قصص الأنبياء، ص ١٥٣.
(٣) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٦ باب ١٣٥ ح ٨.
(٤) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٦ باب ١٣٥ ح ٩.
(٥) صحيفة الرضا، ص ٨٩ ح ١٥٥.

قال الثعلبيّ: قال كعب الأحبار: كان هارون بن عمران نبيّ الله رجلاً فصيح اللّسان بيّن الكلام، وإذا تكلّم تكلّم بتؤدة وعلم، وكان أطول من موسى وكان على أرنبته شامة، وعلى طرف لسانه أيضاً شامة؛ وكان موسى بن عمران نبيّ الله رجلاً آدم جعداً طويلاً كأنّه من رجال أزد شنوءة، وكان بلسانه عقدة ثقل، وكانت فيه سرعة وعجلة، وكان أيضاً على طرف لسانه شامة سوداء[1].

بيان: قال الفيروزآباديّ: أزد شنوءة وقد تشدّد الواو: قبيلة سمّيت لشنآن بينهم.

١٩ - **فس:** ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: أيّام الله ثلاثة: يوم القائم، ويوم الموت، ويوم القيامة[2].

قوله: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ قال: كان في علم الله أنّهم يصبرون على ما يصيبهم فجعلهم أئمة[3].

٢٠ - **فس:** ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ أي ذا جاه، أخبرنا الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن أحمد بن النضر، عن محمّد بن مروان رفعه إليهم قالوا: يا أيّها الّذين آمنوا لا تؤذوا رسول الله في عليّ والأئمّة كما آذوا موسى فبرّأه الله ممّا قالوا[4].

٢ - باب أحوال موسى عليه السلام من حين ولادته إلى نبوته

الآيات، القصص «٢٨»: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝٦ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝٨ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٠ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۝١٢ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٣ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١٤ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ

---

(١) عرائس المجالس، ص ١٥٢.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٦٩.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٤٨.

(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٧٢.

ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ نور الله ضريحه: ﴿عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي بغى وتجبّر في أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي فرقاً يكرم أقواماً ويذلّ آخرين، أو جعل بني إسرائيل أقواماً في الخدمة والتسخير ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ يعني بني إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ يقتل الأبناء ويستبقي البنات ولا يقتلهنّ، وذلك أنّ بعض الكهنة قال له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك؛ وقيل: رأى فرعون في منامه أنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس حتّى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، فسأل علماء قومه فقالوا: يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ أي أنّ فرعون كان يريد إهلاك بني إسرائيل ونحن نريد أن نمنّ عليهم ﴿وَنَجْعَلَهُمْ

﴿أَئِمَّةً﴾ أي قادة ورؤساء في الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ لديار فرعون وقومه وأموالهم ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي أرض مصر ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من بني إسرائيل ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ من ذهاب الملك على يد رجل منهم، قال الضحّاك: عاش فرعون أربعمائة سنة وكان قصيراً دميماً، وهو أوّل من خضب بالسواد؛ وعاش موسى عليه السلام مائة وعشرين سنة[1].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ أي ألهمناها وقذفنا في قلبها، وليس بوحي نبوّة؛ وقيل: أتاها جبرئيل عليه السلام بذلك؛ وقال: كان الوحي رؤيا منام عبّر عنها من تثق به من علماء بني إسرائيل ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما لم تخافي عليه الطلب ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ القتل ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ أي في البحر وهو النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه الضيعة ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ عن فراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ سالماً عن قريب.

قال وهب: لمّا حملت بموسى أُمّه كتمت أمرها عن جميع النّاس، ولم يطّلع على حملها أحد من خلق الله، وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمنّ به على بني إسرائيل، فلمّا كانت السنة الّتي تولد فيها موسى بعث فرعون القوابل وتقدّم إليهنّ أن يفتّشن النساء تفتيشاً لم يفتّشنه قبل ذلك، وحملت أُمّ موسى فلم ينتأ بطنها، ولم يتغيّر لونها ولم يظهر لبنها، فكانت القوابل لا يعرضن لها، فلمّا كانت اللّيلة الّتي ولد فيها موسى ولدته أُمّه ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطّلع عليها أحدٌ إلّا أُخته مريم، وأوحى الله تعالى إليها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية، قال: وكتمته أُمّه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرّك، فلمّا خافت عليه عملت له تابوتاً مطبقاً ومهّدت له فيه ثمّ ألقته في البحر ليلاً كما أمرها الله تعالى.

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ أي أصابوه وأخذوه من غير طلب ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ أي ليكون لهم في عاقبة أمره كذلك، لا أنّهم أخذوه لذلك، وكانت القصّة في ذلك أنّ النيل جاء بالتابوت إلى موضع فيه فرعون وامرأته على شطّ النيل، فأمر فرعون به وفتحت آسية بنت مزاحم بابه، فلمّا نظرت إليه ألقى الله في قلبها محبّة موسى، وكانت آسية بنت مزاحم امرأة من بني إسرائيل استنكحها فرعون، وهي من خيار النساء، ومن بنات الأنبياء، وكانت أُمّاً للمؤمنين ترحمهم وتتصدّق عليهم يدخلون عليها، فلمّا نظر فرعون إلى موسى غاظه ذلك فقال: كيف أخطأ هذا الغلامَ الذبحُ؟! قالت آسية وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الوليد أكبر من ابن سنة، وإنّما أمرت أن تذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكن قرّة عين لي ولك، وإنّما قالت ذلك لأنّه لم يكن له ولد فأطمعته في الولد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّ هلاكهم على يديه ﴿فَارِغًا﴾ أي خالياً من ذكر كلّ شيء إلّا من ذكر موسى، أو من الحزن سكوناً إلى ما وعدها الله به، أو من الوحي الّذي أُوحي إليها بنسيانها ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي أنّها كادت تبدي بذكر موسى فتقول: يا ابناه من شدّة الوجد، أو همّت بأن تقول أنّها أُمّه لمّا رأته عند دعاء فرعون

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤١٣.

إيّاها للإرضاع لشدّة سرورها به ﴿وَقَالَتْ﴾ أي أمّ موسى ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾ أي أخت موسى واسمها كليمة ﴿قُصِّيهِ﴾ أي اتبعي أثره وتعرّفي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ تقديره: فذهبت أخت موسى فوجدت آل فرعون أخرجوا موسى ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي عن بعد؛ وقيل: عن جانب تنظر إليه وجعلت تدخل إليهم كأنّها لا تريده ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّها أخته أو جاءت متعرّفة عن خبره ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ أي منعناهنّ منه وبغّضناهنّ إليه فلا يؤتى بمرضع فيقبلها ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل مجيء أمّه ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ وهذا يدلّ على أنّ الله تعالى ألقى محبّته في قلب فرعون فلغاية شفقته عليه طلب له المراضع، وكان موسى عليه السلام لا يقبل ثدي واحدة منهنّ بعد أن أتاه مرضع بعد مرضع، فلمّا رأت أخته وجدهم به ورأفتهم عليه قالت لهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ أي يقبلون هذا الولد، ويبذلون النصح في أمره، ويحسنون تربيته ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ يشفقون عليه، قيل: إنّها لمّا قالت ذلك قال هامان: إنّ هذه المرأة تعرف أنّ هذا الولد من أيّ أهل بيت هو، فقالت هي: إنّما عنيت أنّهم ناصحون للملك فأمسكوا عنها[1].

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ فانطلقت أخت موسى إلى أمّها فجاءت بها إليهم، فلمّا وجد موسى ريح أمّه قبل ثديها وسكن بكاؤه؛ وقيل: إنّ فرعون قال لأمّه: كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك؟ قالت: لأنّي امرأة طيّبة الريح، طيّبة اللّبن، لا أكاد أوتى بصبيّ إلاّ ارتضع منّي، فسرّ فرعون بذلك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ وعد الله حقّ.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أي ثلاثاً وثلاثين سنة ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي بلغ أربعين سنة ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي فقهاً وعقلاً وعلماً بدينه ودين آبائه، فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبيّاً؛ وقيل: نبوّة وعلماً ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ يريد مصر؛ وقيل: مدينة ميق من أرض مصر، وقيل: على فرسخين من مصر ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ أراد به نصف النهار والناس قائلون؛ وقيل: بين العشائين؛ وقيل: كان يوم عيد لهم وقد اشتغلوا بلعبهم، واختلفوا في سبب دخوله فقيل: إنّه كان موسى حين كبر يركب في مواكب فرعون، فلمّا كان ذات يوم قيل له: إنّ فرعون قد ركب فركب في أثره، فلمّا كان وقت القائلة دخل المدينة ليقيل؛ وقيل: إنّ بني إسرائيل كانوا يجتمعون إلى موسى ويسمعون كلامه، ولمّا بلغ أشدّه خالف قوم فرعون فاشتهر ذلك منه، وأخافوه فكان لا يدخل مصراً إلاّ خائفاً ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ وقيل: إنّ فرعون أمر بإخراجه من البلد فلم يدخل إلاّ الآن ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾ أي يختصمان في الدين؛ وقيل: في أمر الدنيا ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي أحدهما إسرائيليّ والآخر قبطيّ يسخر الإسرائيليّ ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون؛ وقيل: كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ استنصره لينصره عليه.

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤١٦.

وروى أبو بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: ليهنتكم الاسم، قال. وما الاسم؟ قال: الشيعة، أما سمعت الله سبحانه يقول: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي دفع في صدره بجمع كفّه؛ وقيل: ضربه بعصاه ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي فقتله وفرغ من أمره.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ يعني في هذا القتل فإنّهم لو علموا بذلك لقتلوني ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ أي بنعمتك عليّ من المغفرة وصرف بلاء الأعداء عنّي ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي فلك عليّ أن لا أكون مظاهراً ومعيناً للمشركين ﴿فَأَصْبَحَ﴾ موسى في اليوم الثاني ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا﴾ من قتل القبطيّ ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ أي ينتظر الأخبار، يعني أنّه خاف من فرعون وقومه أن يكونوا عرفوا أنّه هو الّذي قتل القبطيّ، وكان يتجسّس وينتظر الأخبار في شأنه ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ معناه أنّ الإسرائيليّ الّذي كان قد خلصه بالأمس ووكز القبطيّ من أجله يستصرخ ويستعين به على رجل آخر من القبط خاصمه، قال ابن عبّاس: لمّا فشا قتل القبطيّ قيل لفرعون: إنّ بني إسرائيل قتلوا رجلاً منّا، قال: أتعرفون قاتله ومن يشهد عليه؟ قالوا: لا، فأمرهم بطلبه فبينا هم يطوفون إذ مرّ موسى عليه السلام من الغد ورأى ذلك الإسرائيليّ يطلب نصرته ويستغيث به ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ أي ظاهر الغواية، قاتلت بالأمس رجلاً وتقاتل اليوم آخر، ولم يرد الغواية في الدين، والمراد أنّ من خاصم آل فرعون مع كثرتهم فإنّه غويّ أي خائب فيما يطلبه، عادل عن الصواب فيما يقصده.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾ أي فلمّا أخذته الرقّة على الإسرائيليّ وأراد أن يدفع القبطيّ الّذي هو عدوّ لموسى والإسرائيليّ عنه ويبطش به، أي يأخذه بشدّة ظنّ الإسرائيليّ أنّ موسى قصده لمّا قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ فقال: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى﴾ وقيل: هو من قول القبطيّ لأنّه قد اشتهر أمر القتل بالأمس وأنّه قتله بعض بني إسرائيل ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ما تريد إلاّ أن تكون جبّاراً عالياً في الأرض بالقتل والظلم، ولمّا قال الإسرائيليّ ذلك علم القبطيّ أنّ القاتل موسى، فانطلق إلى فرعون فأخبره به، فأمر فرعون بقتل موسى وبعث في طلبه.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ أي من مدينة فرعون ﴿خَآئِفًا﴾ من أن يطلب فيقتل ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ الطلب قال ابن عبّاس: خرج متوجّهاً نحو مدين وليس له علم بالطريق إلاّ حسن ظنّه بربّه؛ وقيل: إنّه خرج بغير زاد ولا حذاء ولا ظهر وكان لا يأكل إلاّ من حشيش الصحراء حتّى بلغ ماء مدين ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ قال الزجّاج: أي لمّا سلك في الطريق الّذي يلقى مدين فيها، وهي على مسيرة ثمانية أيّام من مصر، نحو ما بين الكوفة إلى البصرة، ولم يكن له بالطريق علم ولذلك قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي يرشدني قصد السبيل إلى مدين، وقيل: إنّه لم يقصد موضعاً بعينه ولكنّه أخذ في طريق مدين. وقال عكرمة: عرضت لموسى أربع طرق فلم يدر أيّتها يسلك، ولذلك قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى﴾ فلمّا دعا ربّه استجاب له ودلّه على الطريق المستقيم إلى مدين؛ وقيل: جاء ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به إلى مدين؛

وقيل: إنّه خرج حافياً ولم يصل إلى مدين حتّى وقع خفت قدميه عن ابن جبير ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ وهو بئر كانت لهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي جماعة من الرعاة يسقون مواشيهم الماء من البئر ﴿تَذُودَانِ﴾ أي تحبسان وتمنعان غنمهما من الورود إلى الماء، أو عن أن تختلط بأغنام النّاس، أو تذودان النّاس عن مواشيهما ﴿قَالَ﴾ موسى لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي ما شأنكما؟ وما لكما لا تسقيان مع الناس؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى﴾ عند المزاحمة مع الناس ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر يصدر بفتح الياء وضمّ الدال، أي حتّى يرجع الرعاء من سقيهم، والباقون يصدر بضمّ الياء وكسر الدال، أي حتّى يصدروا مواشيهم عن وردهم فإذا انصرف الناس سقينا مواشينا من فضول الحوض ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يتولّى السقي بنفسه من الكبر، ولذلك احتجنا ونحن نساء أن نسقي الغنم، وإنّما قالتا ذلك تعريضاً للطلب من موسى أن يعينهما على السقي أو اعتذاراً في الخروج بغير محرم ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ أي فسقى موسى غنمهما الماء لأجلهما، وهو أنّه زحم القوم على الماء حتّى أخرجهم عنه ثمّ سقى لهما؛ وقيل: رفع لأجلهما حجراً عن بئر كان لا يقدر على رفع ذلك الحجر إلاّ عشرة رجال وسألهم أن يعطوه دلواً فناولوه دلواً وقالوا له: انزح إن أمكنك، وكان لا ينزحها إلاّ عشرة فنزحها وحده، وسقى أغنامهما ولم يسق إلاّ ذنوباً واحداً حتّى رويت الغنم ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أي ثمّ انصرف إلى ظلّ سمرة فجلس تحتها من شدّة الحرّ وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال ابن عبّاس: سأل نبيّ الله أكلة من خبز يقيم به صلبه؛ وقال ابن إسحاق: فرجعتا إلى أبيهما في ساعة كانا لا ترجعان فيها فأنكر شأنهما وسألهما فأخبرتاه الخبر، فقال لإحداهما: عليّ به، فرجعت الكبرى إلى موسى لتدعوه فذلك قوله: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي مستحيية معرضة عن عادة النساء الخفرات، وقال: غطّت وجهها بكمّ درعها ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾ أي ليكافئك على سقيك لغنمنا.

وأكثر المفسّرين على أنّ أباها شعيب عليه السلام، وقال وهب وابن جبير. هو يثروب أخي شعيب، وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعدما كفّ بصره ودفن بين المقام وزمزم؛ وقيل: يثروب هو اسم شعيب؛ قال أبو حازم: لمّا قالت: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ كره ذلك موسى عليه السلام وأراد أن لا يتبعها ولم يجد بدًّا أن يتبعها لأنّه كان في أرض مسبعة وخوف فخرج معها، وكانت الريح تضرب ثوبها فيصف لموسى عجزها، فجعل موسى يعرض عنها مرّة ويغضّ مرّة، فناداها: يا أمة الله كوني خلفي فأريني السمت بقولك، فلمّا دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيّأ فقال له شعيب: اجلس يا شابّ فتعشّ فقال له موسى: أعوذ بالله، قال شعيب: ولمَ ذاك؟ ألست بجائع؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وإنّا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، فقال له شعيب: لا

والله يا شابّ ولكنّها عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف ونطعم الطعام، قال: فجلس موسى يأكل.

﴿نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يعني فرعون وقومه فإنّهم لا سلطان لهم بأرضنا ولسنا من مملكته ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ أي إحدى ابنتيه واسمها صفورة وهي الّتي تزوّج بها، واسم الأُخرى ليّا؛ وقيل: اسم الكبرى صفراء، واسم الصغرى صفيراء ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ أي اتّخذه أجيراً ﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ أي من يقوى على العمل وأداء الأمانة ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ أي على أن تكون أجيراً لي ثمان سنين ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ أي ذلك تفضّل منك وليس بواجب عليك ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ في هذه الثماني حجج وأن أُكلّفك خدمة سوى رعي الغنم؛ وقيل: وما أشقّ عليك بأن آخذك بإتمام عشر سنين ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ في حسن الصحبة والوفاء بالعهد؛ وحكي يحيى بن سلام أنّه جعل لموسى كلّ سخلة توضع على خلاف شية أمّها، فأوحى الله تعالى إلى موسى في المنام: أن ألق عصاك في الماء، ففعل فولدن كلّهنّ على خلاف شبههنّ؛ وقيل: إنّه وعده أن يعطيه تلك السنة من نتاج غنمه كلّ أدرع وإنّما نتجت كلّها درعاء.

وروى الحسين بن سعيد، عن صفوان بن يحيى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل أيّتهما الّتي قالت: ﴿إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ﴾؟ قال: الّتي تزوّج بها؛ قيل: فأيّ الأجلين قضى؟ قال: أوفاهما وأبعدهما عشر سنين؛ قيل: فدخل بها قبل أن يمضي الشرط أو بعد انقضائه؟ قال: قبل أن ينقضي، قيل له: فالرجل يتزوّج المرأة ويشترط لأبيها إجارة شهرين أيجوز ذلك؟ قال: إنّ موسى عليه السلام علم أنّه سيتمّ له شرطه؛ قيل: كيف؟ قال: إنّه علم أنّه سيبقى حتّى يفي.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ﴾ أي ذلك الّذي شرطت عليّ فلك، وما شرطت لي من تزويج إحداهما فلي وتمّ الكلام، ثمّ قال: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ من الثماني والعشر ﴿قَضَيْتُ﴾ أي أتممت وفرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ﴾ أي فلا ظلم عليّ بأن أُكلّف أكثر منها ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي شهيد فيما بيني وبينك ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي أوفاهما؛ وروى الواحديّ بإسناده عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا سئلت أيّ الأجلين قضى موسى؟ فقل: خيرهما وأبرّهما، وإذا سئل أيّ المرأتين تزوّج؟ فقل: الصغرى منهما وهي الّتي جاءت فقالت: ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾.

وقال وهب: تزوّج الكبرى منهما؛ وفي الكلام حذف وهو: فلمّا قضى موسى الأجل وتسلّم زوجته ثمّ توجه نحو الشام وسار بأهله ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ وقيل: إنّه لمّا زوّجها منه أمر الشيخ أن يعطى موسى عصاً يدفع السباع عن غنمه بها فأُعطي العصا؛ وقيل: خرج آدم بالعصا من الجنّة فأخذها جبرئيل عليه السلام بعد موت آدم وكانت معه حتّى لقي به

موسى عليه السلام ليلاً فدفعها إليه؛ وقيل: لم تزل الأنبياء يتوارثونها حتّى وصلت إلى شعيب عليه السلام فأعطاها موسى وكانت عصيّ الأنبياء عنده.

وروى عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كانت عصا موسى قضيب آس من الجنّة أتاه به جبرئيل لمّا توجّه تلقاء مدين(1).

وقال السدّيّ: كانت تلك العصا استودعها شعيباً ملك في صورة رجل فأمر ابنته أن تأتيه بعصا فدخلت وأخذت العصا فأتته بها، فلمّا رآها الشيخ قال: ايتيه بغيرها، فألقتها وأرادت أن تأخذ غيرها فكان لا تقع في يدها إلاّ هي، فعلت ذلك مراراً فأعطاها موسى.

وقوله: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ قيل: إنّه مكث بعد انقضاء الأجل عند صهره عشراً أخرى تمام عشرين، ثمّ استأذنه في العود إلى مصر ليزور والدته وأخاه فأذن له فسار بأهله، عن مجاهد؛ وقيل: إنّه لمّا قضى العشر سار بأهله أي بامرأته وبأولاد الغنم الّتي كانت له وكانت قطيعاً فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام، وامرأته في شهرها فسار في البرّيّة غير عارف بالطريق فألجأه المسير إلى جانب الطور الأيمن في ليلة مظلمة شديدة البرد، وأخذ امرأته الطلق، وضلّ الطريق وتفرّقت ماشيته وأصابه المطر فبقي لا يدري أين يتوجّه، فبينا هو كذلك إذ آنس من جانب الطور ناراً.

وروى أبو بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا قضى موسى الأجل وسار بأهله نحو بيت المقدس أخطأ الطريق ليلاً فرأى ناراً ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أي أبصرت بخبر، أي من الطريق الّذي أريد قصده وهل أنا على صوبه أو منحرف عنه؛ وقيل: بخبر من النار هل هي لخير نأنس به أو لشرّ نحذره ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ أي قطعة من النار؛ وقيل: بأصل شجرة فيها نارٌ ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي تستدفئون بها ﴿مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ أي من الجانب الأيمن للوادي ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ وهي البقعة الّتي قال الله تعالى فيها لموسى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ وإنّما كانت مباركة لأنّها معدن الوحي والرسالة وكلام الله تعالى، أو لكثرة الأشجار والثمار والخير والنعم بها، والأوّل أصح ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ إنّما سمع موسى عليه السلام النداء والكلام من الشجرة لأنّ الله تعالى فعل الكلام فيها، وجعل الشجرة محلّ الكلام، لأنّ الكلام عرض يحتاج إلى محلّ، وعلم موسى بالمعجزة أنّ ذلك كلامه تعالى، وهذه أعلى منازل الأنبياء، أعني أن يسمعوا كلام الله من غير واسطة ومبلّغ وكان كلامه سبحانه: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي إنّ المكلّم لك هو الله مالك العالمين تعالى وتقدّس عن أن يحلّ في محل، أو يكون في مكان لأنّه ليس بعرض ولا جسم ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ إنّما أعاد سبحانه هذه القصّة وكرّرها في السور تقريراً للحجّة على أهل الكتاب واستمالة بهم إلى

---

(1) أقول: يمكن الجمع بأن يقال: هذه عصا أخرى، ويمكن أن يعطيه جبرئيل حين توجه تلقاء مدين مؤقتاً ثم رده إلى موضعه [النمازي].

الحقّ، ومن أحبّ شيئاً أحبّ ذكره، والقوم كانوا يدّعون محبّة موسى عليه السلام، وكلّ من ادّعى اتّباع سيده مال إلى ذكره بالفضل، على أنّ كلّ موضع من مواضع التكرار لا يخلو من زيادة فائدة ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ أي تتحرّك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ من سرعة حركتها أو شدّة اهتزازها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ موسى ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي لم يرجع، فنودي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ من ضررها ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ أي أدخلها ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي من غير برص ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ أي ضمّ يدك إلى صدرك من الخوف فلا خوف عليك، عن ابن عبّاس ومجاهد، والمعنى أنّ الله سبحانه أمره أن يضمّ يده إلى صدره فيذهب ما أصابه من الخوف عند معاينة الحيّة؛ وقيل: أمره سبحانه بالعزم على ما أراده منه وحثّه على الجدّ فيه لئلّا يمنعه الخوف الّذي يغشاه في بعض الأحوال فيما أمره بالمضيّ فيه، وليس يريد بقوله: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ﴾ الضمّ المزيل للفرجة بين الشيئين؛ وقيل: إنّه لمّا ألقى العصا وصارت حيّة بسط يده كالمتّقي وهما جناحاه فقيل له: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ أي ما بسطته من يدك لأنّك آمن من ضررها؛ ويجوز أن يكون معناه اسكن ولا تخف فإنّ من هاله أمر أزعجه حتّى كأنّه يطيّره، وآلة الطيران الجناح، فكأنّه عليه السلام قد بلغ نهاية الخوف فقيل له: ضمّ منشور جناحك من الخوف واسكن، وقيل: معناه: إذا هالك أمر يدك لما تبصر من شعاعها فاضممها إليك لتسكن ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ﴾ أي اليد والعصا حجّتان من ربّك على نبوّتك مرسلاً بهما إلى فرعون وملئه.

قوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ إنّما قال ذلك لعقدة كانت في لسانه ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ أي معيناً لي على تبليغ رسالتك ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ أي مصدّقاً لي على ما أؤدّيه من الرسالة وقيل: أي لكي يصدّقني فرعون ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ أي سنجعله رسولاً معك وننصرك به ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ أي حجّة وقوّة وبرهاناً ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي لا يصل فرعون وقومه إلى الإضرار بكما بسبب ما نعطيكما من الآيات وما يجري على أيديكما من المعجزات؛ وقيل: إنّ قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ موضعه التقديم، أي ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا فلا يصلون إليكما ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ على فرعون وقومه، القاهرون لهم[1].

أقول: سيأتي سائر الآيات وتفسيرها في الباب الآتي.

١ - **خص:** بإسناده إلى المفضّل بن عمر، عن الصادق عليه السلام قال: إنّ بقاع الأرض تفاخرت، ففخرت الكعبة على البقعة بكربلاء فأوحى الله إليها: اسكتي ولا تفخري عليها فإنّها البقعة المباركة الّتي نودي موسى منها من الشجرة[2].

٢ - **فس:** أبي، عن ابن محبوب، عن العلاء، عن محمّد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ موسى عليه السلام لمّا حملت أمّه به لم يظهر حملها إلّا عند وضعه، وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساءً من القبط تحفظهنّ، وذلك أنّه لمّا كان بلغه عن بني إسرائيل أنّهم يقولون.

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٢٠.

(٢) سيأتي تمام الخبر في ج ٥٣ ص ٥.

إنّه يولد فينا رجل يقال له موسى بن عمران يكون هلاك فرعون وأصحابه على يديه، فقال فرعون عند ذلك: لأقتلنّ ذكور أولادهم حتّى لا يكون ما يريدون وفرّق بين الرجال والنساء، وحبس الرجال في المحابس، فلمّا وضعت أمّ موسى بموسى عليه السلام نظرت وحزنت واغتمّت وبكت وقالت: يذبح الساعة، فعطف الله قلب الموكّلة بها عليه، فقالت لأم موسى: ما لك قد اصفرّ لونك؟ فقالت: أخاف أن يذبح ولدي، فقالت: لا تخافي، وكان موسى لا يراه أحد إلاّ أحبّه وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ فأحبّته القبطيّة الموكّلة به، وأنزل الله على أمّ موسى التابوت ونوديت: ضعيه في التابوت فاقذفيه في اليمّ وهو البحر، ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين؛ فوضعته في التابوت وأطبقت عليه وألقته في النيل، وكان لفرعون قصر على شطّ النيل متنزّه فنظر من قصره - ومعه آسية امرأته - إلى سواد في النيل ترفعه الأمواج وتضربه الرياح حتّى جاءت به على باب قصر فرعون، فأمر فرعون بأخذه فأخذ التابوت ورفع إليه فلمّا فتحه وجد فيه صبيّاً، فقال: هذا إسرائيليّ، فألقى الله في قلب فرعون لموسى محبّة شديدة وكذلك في قلب آسية، وأراد أن يقتله فقالت آسية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وهم لا يشعرون أنّه موسى ولم يكن لفرعون ولد، فقال: التمسوا له ظئراً تربّيه، فجاؤوا بعدّة نساء قد قتل أولادهنّ فلم يشرب لبن أحد من النساء، وهو قول الله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾.

وبلغ أمّه أنّ فرعون قد أخذه فحزنت وبكت كما قال الله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ يعني كادت أن تخبرهم بخبره، أو تموت ثمّ ضبطت نفسها، فكانت كما قال: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثمّ قالت لأخت موسى: قصّيه، أي اتّبعيه، فجاءت أخته إليه فبصرت به عن جنب، أي عن بعد وهم لا يشعرون، فلمّا لم يقبل موسى بأخذ ثدي أحد من النساء اغتمّ فرعون غمّاً شديداً فقالت أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ فقالوا: نعم، فجاءت بأمّه، فلمّا أخذته في حجرها وألقمته ثديها التقمه وشرب ففرح فرعون وأهله وأكرموا أمّه فقالوا لها: ربّيه لنا فإنّا نفعل بك ونفعل وذلك قول الله: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وكان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل كلّما يلدون، ويربّي موسى ويكرمه، ولا يعلم أنّ هلاكه على يده؛ فلمّا درج موسى كان يوماً عند فرعون فعطس موسى فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فأنكر فرعون ذلك عليه ولطمه وقال: ما هذا الّذي تقول؟ فوثب موسى على لحيته وكان طويل اللّحية فهلبها أي قلعها، فهمّ فرعون بقتله، فقالت امرأته: غلام حدث لا يدري ما يقول، وقد لطمته بلطمتك إيّاه، فقال فرعون: بل يدري، فقالت له: ضع بين يديك تمراً وجمراً، فإن ميّز بينهما فهو الّذي تقول، فوضع بين يديه تمراً وجمراً فقال له: كل، فمدّ يده إلى التمر فجاء جبرئيل فصرفها إلى الجمر في فيه فاحترق لسانه فصاح وبكى، فقالت آسية لفرعون: ألم أقل لك أنّه لا يعقل؟ فعفى عنه.

قال الراوي: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: فكم مكث موسى غائباً عن أمّه حتّى ردّه الله عليها؟ قال: ثلاثة أيّام، فقلت: وكان هارون أخا موسى لأبيه وأمّه؟ قال: نعم، أما تسمع الله يقول. ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ فقلت: فأيّهما كان أكبر سنّاً؟ قال: هارون، فقلت: وكان الوحي ينزل عليهما جميعاً؟ قال: كان الوحي ينزل على موسى، وموسى يوحيه إلى هارون، فقلت له: أخبرني عن الأحكام والقضاء والأمر والنهي، أكان ذلك إليهما؟ قال: كان موسى الّذي يناجي ربّه ويكتب العلم، ويقضي بين بني إسرائيل وهارون يخلفه إذا غاب عن قومه للمناجاة، قلت: فأيّهما مات قبل صاحبه؟ قال: مات هارون قبل موسى عليه السلام وماتا جميعاً في التيه، قلت: وكان لموسى ولد؟ قال: لا، كان الولد لهارون والذرّيّة له.

قال: فلم يزل موسى عند فرعون في أكرم كرامة حتّى بلغ مبلغ الرجال، وكان ينكر عليه ما يتكلّم به موسى من التوحيد حتّى همّ به فخرج موسى من عنده ودخل المدينة فإذا رجلان يقتتلان: أحدهما يقول بقول موسى، والآخر يقول بقول فرعون، فاستغاثه الّذي هو من شيعته، فجاء موسى فوكز صاحبه فقضى عليه وتوارى في المدينة، فلمّا كان من الغد جاء آخر فتشبّث بذلك الرجل الّذي يقول بقول موسى، فاستغاث بموسى، فلمّا نظر صاحبه إلى موسى قال له: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ فخلّى صاحبه وهرب، وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى قد كتم إيمانه ستّمائة سنة وهو الّذي قال الله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ وبلغ فرعون خبر قتل موسى الرجل فطلبه ليقتله فبعث المؤمن إلى موسى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ فخرج منها كما حكى الله ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ قال: يلتفت يمنةً ويسرةً ويقول: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ومرّ نحو مدين وكان بينه وبين مدين مسيرة ثلاثة أيّام، فلمّا بلغ باب مدين رأى بئراً يستقي النّاس منها لأغنامهم ودوابّهم، فقعد ناحيةً ولم يكن أكل منذ ثلاثة أيّام شيئاً، فنظر إلى جاريتين في ناحية ومعهما غنيمات لا تدنوان من البئر، فقال لهما: ما لكما لا تستقيان؟ فقالتا كما حكى الله: ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فرحمهما موسى ودنا من البئر فقال لمن على البئر: أستقي لي دلواً ولكم دلواً، وكان الدلو يمدّه عشرة رجال، فاستقى وحده دلواً لمن على البئر، ودلواً لبنتي شعيب وسقى أغنامهما ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وكان شديد الجوع.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ موسى كليم الله حيث سقى لهما ثمّ تولّى إلى الظلّ فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ والله ما سأل الله إلاّ خبزاً يأكله، لأنّه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد رأوا خضرة البقل من صفاق[1] بطنه من هزاله، فلمّا رجعتا ابنتا شعيب إلى شعيب قال لهما: أسرعتما الرجوع! فأخبرتاه بقصّة موسى ولم تعرفاه، فقال شعيب لواحدة

(١) الصفاق. الجلد الباطن الّذي فوقه الجلد الظاهر من البطن. [النمازي].

منهما: اذهبي إليه فادعيه لنجزيه أجر ما سقى لنا، فجاءت إليه كما حكى الله ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ فقالت له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فقام موسى عليه السلام معها فمشت أمامه فسفقتها الرياح فبان عجزها، فقال لها موسى: تأخري ودلّيني على الطريق بحصات تلقيها أمامي أتبعها، فأنا من قوم لا ينظرون في أدبار النساء، فلمّا دخل على شعيب قصّ عليه قصّته فقال له شعيب: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قالت إحدى بنات شعيب: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ فقال لها شعيب: أمّا قوّته فقد عرفته بسقي الدلو وحده، فبِمَ عرفت أمانته؟ فقالت: إنّه قال لي: تأخري عنّي ودلّيني على الطريق فأنا من قوم لا ينظرون في أدبار النساء عرفت أنّه ليس من القوم الّذين ينظرون في أعجاز النساء، فهذه أمانته، فقال له شعيب: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فقال له موسى: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ أي لا سبيل عليّ إن عملت عشر سنين أو ثماني سنين، فقال موسى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّ الأجلين قضى؟ قال: أتمّهما عشر حجج، قلت له: فدخل بها قبل أن يمضي الأجل أو بعد؟ قال: قبل، قلت: فالرجل يتزوّج المرأة ويشترط لأبيها إجارة شهرين يجوز ذلك؟ قال: إنّ موسى عليه السلام علم أنّه يتمّ له شرطه، فكيف لهذا أن يعلم أنّه يبقى حتّى يفي؟! قلت له: جعلت فداك أيّتهما زوّجه شعيب من بناته؟ قال: الّتي ذهبت إليه فدعته وقالت لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

فلمّا قضى موسى الأجل قال لشعيب: لا بدّ لي أن أرجع إلى وطني وأمّي وأهل بيتي، فمالي عندك؟ فقال شعيب: ما وضعت أغنامي في هذه السنة من غنم بلق فهو لك، فعمد موسى عندما أراد أن يرسل الفحل على الغنم إلى عصاه فقشر منه بعضه وترك بعضه وغرزه في وسط مربض الغنم وألقى عليه كساءً أبلق، ثمّ أرسل الفحل على الغنم فلم تضع الغنم في تلك السنة إلاّ بلقاً، فلمّا حال عليه الحول حمل موسى امرأته وزوّده شعيب من عنده وساق غنمه، فلمّا أراد الخروج قال لشعيب: أبغي عصاً تكون معي، وكانت عصيّ الأنبياء عنده قد ورثها مجموعة في بيت، فقال له شعيب: ادخل هذا البيت وخذ عصاً من بين تلك العصيّ، فدخل فوثبت عليه عصا نوح وإبراهيم عليهما السلام وصارت في كفّه فأخرجها ونظر إليها شعيب فقال. ردّها وخذ غيرها، فردّها ليأخذ غيرها فوثبت إليه تلك بعينها فردّها حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات، فلمّا رأى شعيب ذلك قال له: اذهب فقد خصّك الله بها، فساق غنمه فخرج يريد مصر، فلمّا صار في مفازة ومعه أهله أصابهم بردٌ شديدٌ وريحٌ وظلمةٌ وقد جنّهم اللّيل ونظر موسى إلى نار قد ظهرت كما قال الله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ فأقبل نحو النار يقتبس فإذا شجرة ونار تلتهب عليها، فلمّا ذهب نحو النار يقتبس

منها أهوت إليه ففزع منها وعدا ورجعت النار إلى الشجرة فالتفت إليها وقد رجعت إلى الشجرة فرجع الثانية ليقتبس فأهوت نحوه فعدا وتركها ثمّ التفت وقد رجعت إلى الشجرة، فرجع إليها الثالثة فأهوت إليه فعدا ولم يعقّب أي لم يرجع، فناداه الله: أن يا موسى إنّي أنا الله ربّ العالمين قال موسى عليه السلام: فما الدليل على ذلك؟ قال الله: ما في يمينك يا موسى؟ قال: هي عصاي قال: ألقها يا موسى، فألقاها فصارت حيّة ففزع منها موسى وعدا، فناداه الله: خذها ولا تخف إنّك من الآمنين، اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء، أي من غير علّة، وذلك أنّ موسى عليه السلام كان شديد السمرة فأخرج يده من جيبه فأضاءت له الدنيا، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ فقال موسى كما حكى الله: ﴿رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

بيان: قوله: ﴿فَـٰرِغًا﴾ قال البيضاوي: أي صفراً من العقل لما دهاها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون، كقوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[2] أي خلاء لا عقول فيها ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ إنّها كادت لتظهر بموسى أي بأمره وقصّته من فرط الزجرة أو الفرح بتبنّيه ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصبر والثبات ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من المصدّقين على الله أو من الواثقين بحفظه لا بتبنّي فرعون وعطفه انتهى. قوله عليه السلام: (فهلبها) قال الجزريّ: الهلب: الشعر؛ وقيل: هو ما غلظ من شعر الذنب وغيره، يقال: هلبت الفرس: إذا نتفت هلبه. قوله: (فوكز صاحبه) أي ضربه بجميع كفه (فقضى عليه) أي قتله.

وقال البيضاويّ: ﴿إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ﴾ لأيّ شيء أنزلت ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ قليل أو كثير، وحمله الأكثرون على الطعام ﴿فَقِيرٌ﴾ محتاجٌ سائلٌ، ولذلك عدّي باللّام، وقيل: معناه: إنّي لما أنزلت إليّ من خير الدين صرت فقيراً في الدنيا، لأنّه كان في سعة عند فرعون انتهى[3].

وسفقت الباب وأسفقته أي رددته. قوله: ﴿بِخَبَرٍ﴾ أي بخبر الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ أي عود غليظ سواء كان في رأسه نار أو لم يكن، ولذلك بيّنه بقوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي تستدفئون بها. قوله تعالى: ﴿رِدْءًا﴾ أي معيناً. قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ قال البيضاويّ: متعلّق بمحذوف أي اذهبا بآياتنا؛ أو بنجعل أي نسلّطكما بها؛ أو بمعنى لا يصلون أي تمتنعون منهم، أو قسم جوابه لا يصلون، أو بيان للغالبون[4].

٣ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبي جميلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإنّ موسى عليه السلام

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١١٢.
(٢) سورة ابراهيم، الآية: ٤٣.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٠٠.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٠٤.

ذهب يقتبس ناراً فانصرف إليهم وهو نبيّ مرسل[1].

٤ -ع: أبي، عن محمّد العطّار، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحسين بن جعفر الضبيّ، عن أبيه، عن بعض مشايخه قال: أوحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السلام : وعزّتي يا موسى لو أنّ النفس الّتي قتلت أقرّت لي طرفة عين أنّي لها خالقٌ ورازقٌ أذقتك طعم العذاب، وإنّما عفوت عنك أمرها لأنّها لم تقرّ بي طرفة عين أنّي لها خالقٌ ورازقٌ[2].

٥ -يه: عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ قال: قال لها شعيب: يا بنيّة هذا قويٌّ قد عرفته بدفع الصخرة، الأمين من أين عرفته؟ قالت: يا أبت إنّي مشيت قدّامه فقال: امشي من خلفي فإن ضللت فأرشديني إلى الطريق، فإنّا قوم لا ننظر في أدبار النساء[3].

٦ -ج، ن: في خبر ابن الجهم قال: سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ : ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ قال الرضا عليه السلام : إنّ موسى عليه السلام دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها، وذلك بين المغرب والعشاء، فوجد فيها رجلين يقتتلان: هذا من شيعته، وهذا من عدوّه. فاستغاثه الّذي من شيعته على الّذي من عدوّه فقضى موسى عليه السلام على العدوّ بحكم الله تعالى ذكره فوكزه فمات، قال: هذا من عمل الشيطان، يعني الاقتتال الّذي كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله، إنّه يعني الشيطان عدوٌّ مضلٌّ مبينٌ.

قال المأمون: فما معنى قول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾؟ قال: يقول: إنّي وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة ﴿فَٱغْفِرْ لِى﴾ أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قال موسى عليه السلام : ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ من القوّة حتّى قتلت رجلاً بوكزة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ بل أجاهد في سبيلك بهذه القوّة حتّى ترضى ﴿فَأَصْبَحَ﴾ موسى عليه السلام ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ على آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم؟ لأؤدّبنّك، وأراد أنّ يبطش به، فلمّا أن أراد أن يبطش بالّذي هو عدوّ لهما وهو من شيعته قال: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبّاراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين.

قال المأمون: جزاك الله خيراً يا أبا الحسن فما معنى قول موسى لفرعون: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٦٣٤ باب ٤٠ ح ٢. (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٥ باب ٣٨٥ ح ٥٤.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ج ٤ ص ٦٤٠ ح ٤٩٧٦.

مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؟ قال الرضا عليه السلام: إنّ فرعون قال لموسى عليه السلام لمّا أتاه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بي، قال موسى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الخبر[1].

بيان: قال الرازيّ: احتجّ بهذه الآية من طعن في عصمة الأنبياء بأنّ ذلك القبطيّ إمّا أن يقال إنّه كان مستحقّ القتل أو لم يكن كذلك، فإن كان الأوّل فلمَ قال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؟ ولمَ قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾؟ ولم قال في سورة أُخرى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؟ وإن كان الثاني كان قتله معصيةً وذنباً. والجواب: أنّه لمَ لا يجوز أن يقال إنّه كان لكفره مباح الدم، وأمّا قوله: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ففيه وجوهٌ:

أحدها: أنّ الله تعالى وإن أباح قتل الكفّار إلّا أنّه كان الأولى تأخير قتلهم إلى زمان آخر، فلمّا قتل فقد ترك ذلك المندوب فهو قوله: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾.

وثانيها: أنّ قوله: ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه، فقوله: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي عمل هذا المقتول من عمل الشيطان، والمراد منه بيان كونه مخالفاً لله تعالى مستحقّاً للقتل.

وثالثها: أن يكون قوله: ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى المقتول، يعني أنّه من جند الشيطان وحزبه، يقال: فلان من عمل السلطان أي من أحزابه.

وأمّا قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ فعلى نهج قول آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ والمراد أحد وجهين: إمّا على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وإن لم يكن هناك ذنبٌ قطّ، أو من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب.

وأما قوله: ﴿فَٱغْفِرْ لِي﴾ أي فاغفر لي ترك هذا المندوب، وفيه وجه آخر: وهو أن يكون المراد: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ حيث قتلت هذا الملعون، فإنّ فرعون لو عرف ذلك لقتلني به ﴿فَٱغْفِرْ لِي﴾ فاستره عليّ ولا توصل خبره إلى فرعون ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ أي ستره عن الوصول إلى فرعون، ويؤيّده أنّه قال عقيبه: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ ولو كانت إعانة المؤمن ههنا سبباً للمعصية لما قال ذلك.

وأما قوله: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ فلم يقل: إنّي صرت بذلك ضالاً، ولكن فرعون لمّا ادّعى أنّه كان كافراً في حال القتل نفى عن نفسه كونه كافراً في ذلك الوقت، واعترف بأنّه كان ضالاً، أي متحيّراً لا يدري ما يجب عليه أن يفعله، وما يدين به في ذلك، انتهى[2].

وقال السيّد المرتضى قدّس الله روحه: ممّا يجاب به عن هذا السؤال أنّ موسى عليه السلام لم

(١) الاحتجاج، ص ٤٢٨ وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٧٦ باب ١٥ ح ١.

(٢) تفسير فخر الرازي، ج ٢٤ المجلد ٨ ص ٥٨٥.

يتعمّد القتل ولا أراد، وإنّما اجتاز فاستغاثه رجل من شيعته على رجل من عدوّه بغى عليه وظلمه وقصد إلى قتله فأراد موسى أن يخلّصه من يده ويدفع عنه مكروهه، فأدّى ذلك إلى القتل من غير قصد إليه، وكلّ ألم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير أن يكون مقصوداً فهو حسن غير قبيح، ولا يستحقّ العوض به، ولا فرق بين أن تكون المدافعة من الإنسان عن نفسه وبين أن يكون عن غيره في هذا الباب[١].

ثمّ ذكر نحواً من الأجوبة الّتي ذكرها الرازيّ ثمّ قال: فإن قيل: فما معنى قول فرعون لموسى عليه السلام: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾؟ وقوله عليه السلام: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ وكيف نسب عليه السلام الضلال إلى نفسه ولم يكن عندكم في وقت من الأوقات ضالاً؟ الجواب: أمّا قوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ فإنّما أراد به: الكافرين لنعمتي وحقّ تربيتي، فإنّ فرعون كان المربّي لموسى إلى أن كبر وبلغ، ألا ترى إلى قوله تعالى حكاية عنه: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[٢].

فأمّا قول موسى عليه السلام: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ فإنّما أراد به من الذاهبين عن أنّ الوكزة تأتي على النفس؛ أو المدافعة تفضي إلى القتل، فقد يسمّى الذاهب عن الشيء أنّه ضالّ عنه، ويجوز أيضاً أن يريد إنّي ضللت عن فعل المندوب إليه من الكفّ عن القتل في تلك الحال والفوز بمنزلة الثواب[٣].

ثمّ قال: فإن قيل: كيف يجوز لموسى عليه السلام أن يقول لرجل من شيعته يستصرخه: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾؟ الجواب: إنّ قوم موسى كانوا غلاظاً جفاة، ألا ترى إلى قولهم بعد مشاهدة الآيات لمّا رأوا من يعبد الأصنام: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[٤] وإنّما خرج موسى عليه السلام خائفاً على نفسه من قوم فرعون بسبب قتل القبطيّ، فرأى ذلك الرجل يخاصم رجلاً من أصحاب فرعون واستنصر موسى عليه السلام فقال له عند ذلك: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ وأراد إنّك خائب في طلب ما لا تدركه، وتكلّف ما لا تطيقه، ثمّ قصد إلى نصرته كما نصره بالأمس على الآخر فظنّ أنّه يريده بالبطش لبعد فهمه فقال له: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ فعدل عن قتله وصار ذلك سبباً لشياع خبر القبطيّ بالأمس. انتهى[٥].

أقول: ما ذكره رحمه الله أحد الوجهين في تفسير الآية، والوجه الآخر أنّ قوله: ﴿يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي﴾ كلام القبطيّ لا كلام الإسرائيليّ كما مرّ في رواية عليّ بن إبراهيم، ولعلّ الأظهر في الخبر هو الأوّل، ويحتمل الثاني أيضاً كما لا يخفى بعد التأمّل.

---

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٦٧.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٨.
(٣) تنزيه الأنبياء، ص ٧٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.
(٥) تنزيه الأنبياء، ص ٧٠.

٧ - ك: ابن إدريس، عن أبيه، عن سهل، عن محمّد بن آدم النسائيّ، عن أبيه آدم بن أياس، عن المبارك بن فضالة، عن سعيد بن جبير، عن سيّد العابدين عليّ بن الحسين، عن أبيه سيّد الشهداء الحسين بن عليّ، عن أبيه سيّد الوصيين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله ﷺ: لمّا حضرت يوسف الوفاة جمع شيعته وأهل بيته فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ حدثهم بشدّة تنالهم يقتل فيها الرجال، وتشقّ بطون الحبالى، وتذبح الأطفال حتّى يظهر الله الحقّ في القائم من ولد لاوي بن يعقوب، وهو رجل أسمر طويل، ووصفه لهم بنعته، فتمسّكوا بذلك؛ ووقعت الغيبة والشدّة ببني إسرائيل وهم ينتظرون قيام القائم أربعمائة سنة، حتّى إذا بشّروا بولادته ورأوا علامات ظهوره اشتدّت البلوى عليهم وحمل عليهم بالخشب والحجارة، وطلب الفقيه الّذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه فاستتر، وتراسلوه وقالوا: كنّا مع الشدّة نستريح إلى حديثك، فخرج بهم إلى بعض الصحارى وجلس يحدّثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر، وكانت ليلة قمراء فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في ذلك الوقت حديث السنّ وقد خرج من دار فرعون يظهر النزهة، فعدل عن موكبه وأقبل إليهم وتحته بغلة وعليه طيلسان خزّ، فلمّا رآه الفقيه عرفه بالنعت فقام إليه وانكبّ على قدميه فقبّلهما ثمّ قال: الحمد لله الّذي لم يمتني حتّى أرانيك، فلمّا رأى الشيعة ذلك علموا أنّه صاحبهم فأكبّوا على الأرض شكراً لله عزّ وجلّ فلم يزدهم على أن قال: أرجو أن يعجّل الله فرجكم، ثمّ غاب بعد ذلك وخرج إلى مدينة مدين فأقام عند شعيب ما أقام، فكانت الغيبة الثانية أشدّ عليهم من الأولى، وكانت نيّفاً وخمسين سنة، واشتدّت البلوى عليهم واستتر الفقيه فبعثوا إليه أنّه لا صبر لنا على استتارك عنّا، فخرج إلى بعض الصحارى واستدعاهم وطيّب قلوبهم وأعلمهم أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليه أنّه مفرّج عنهم بعد أربعين سنة، فقالوا بأجمعهم: الحمد لله، فأوحى الله عزّ وجلّ: قل لهم: قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم الحمد لله، فقالوا: كلّ نعمة من الله، فأوحى الله إليه: قل لهم: قد جعلتها عشرين سنة، فقالوا: لا يأتي بالخير إلاّ الله، فأوحى الله إليه: قل لهم: قد جعلتها عشراً، فقالوا: لا يصرف الشرّ إلا الله، فأوحى الله إليه: قل لهم: لا تبرحوا فقد أذنت في فرجكم، فبينا هم كذلك إذ طلع موسى عليه السلام راكباً حماراً، فأراد الفقيه أن يعرّف الشيعة ما يستبصرون به فيه، وجاء موسى حتّى وقف عليهم فسلّم عليهم، فقال له الفقيه: ما اسمك؟ فقال: موسى، قال: ابن من؟ قال: ابن عمران، قال: ابن من؟ قال: ابن وهب بن لاوي بن يعقوب، قال. بماذا جئت؟ قال: بالرسالة من عند الله عزّ وجلّ. فقام إليه فقبّل يده، ثمّ جلس بينهم وطيّب نفوسهم وأمرهم أمره، ثمّ فرّقهم فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعون سنة[1].

---

(١) كمال الدين، ص ١٤٦.

بيان: قوله عليه السلام : (وكانت نيفاً وخمسين سنة) أي كان المقدّر أوّلاً هكذا ولذا أخبرهم بعد مضيّ نيّف وعشر سنين ببقاء أربعين سنة، ثمّ خفّف الله عنهم مرّات حتّى أظهر لهم موسى عليه السلام في الساعة بعد رجوعه عن مدين، وكان بقاؤه فيها عشر سنين ومدّة ذهابه وإيابه نيّفاً.

٨ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن البزنطيّ قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام قول شعيب عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ أيّ الأجلين قضى؟ قال: وفى منهما بأبعدهما عشر سنين، قلت: فدخل بها قبل أن ينقضي الشرط أو بعد انقضائه؟ قال: قبل أن ينقضي، قال: قلت له: فالرجل يتزوّج المرأة ويشترط لأبيها إجارة شهرين يجوز ذلك؟ فقال: إنّ موسى عليه السلام علم أنّه سيتمّ له شرطه، فكيف لهذا بأن يعلم أنه سيبقى حتّى يفي له[1]؟!

٩ - **ك:** أبي وابن الوليد معاً عن سعد والحميريّ ومحمّد العطّار وأحمد بن إدريس جميعاً عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهما حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلاً فقال: إنّ هؤلاء القبط سيظهرون عليكم، ويسومونكم سوء العذاب، وإنّما ينجّيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران، غلام طويل جعد آدم، فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمّي ابنه عمران، ويسمّي عمران ابنه موسى.

فذكر أبان بن عثمان، عن أبي الحصين، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ما خرج موسى حتّى خرج قبله خمسون كذّاباً من بني إسرائيل كلّهم يدّعي أنّه موسى بن عمران، فبلغ فرعون أنّهم يرجفون به ويطلبون هذا الغلام، وقال له كهنته وسحرته: إنّ هلاك دينك وقومك على يدي هذا الغلام الّذي يولد العام في بني إسرائيل، فوضع القوابل على النساء وقال: لا يولد العام غلام إلاّ ذبح، ووضع على أمّ موسى قابلة، فلمّا رأى ذلك بنو إسرائيل قالوا: إذا ذبح الغلمان واستحيي النساء هلكنا فلم نبق، فتعالوا لا نقرب النساء، فقال عمران أبو موسى: بل باشروهنّ فإنّ أمر الله واقع ولو كره المشركون، اللّهمّ من حرّمه فإنّي لا أحرّمه، ومن تركه فإنّي لا أتركه وباشر أمّ موسى فحملت به، فوضع على أمّ موسى قابلة تحرسها، فإذا قامت قامت وإذا قعدت قعدت، فلمّا حملته أمّه وقعت عليها المحبّة، وكذلك حجج الله على خلقه، فقالت لها القابلة: ما لك يا بنيّة تصفرين وتذوبين؟ قالت: لا تلوميني فإنّي إذا ولدت أُخذ ولدي فذبح، قالت: فلا تحزني فإنّي سوف أكتم عليك، فلم تصدّقها.

فلمّا أن ولدت التفتت إليها وهي مقبلة فقالت ما شاء الله، فقالت لها: ألم أقل: إنّي سوف أكتم عليك، ثمّ حملته فأدخلته المخدع وأصلحت أمره، ثمّ خرجت إلى الحرس فقالت:

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٨١١ باب ٢٦٣ ح ١.

انصرفوا - وكانوا على الباب - فإنّه خرج دم منقطع، فانصرفوا فأرضعته، فلمّا خافت عليه الصوت أوحى الله إليها: اعملي التابوت ثمّ اجعليه فيه، ثمّ أخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر، فوضعته في التابوت ثمّ دفعته في اليمّ، فجعل يرجع إليها وجعلت تدفعه في الغمر وإنّ الريح ضربته فانطلقت به، فلمّا رأته قد ذهب به الماء همّت أن تصيح فربط الله على قلبها، قال: وكانت المرأة الصالحة امرأة فرعون من بني إسرائيل قالت لفرعون: إنّها أيّام الربيع فأخرجني واضرب لي قبّة على شطّ النيل حتّى أتنزّه هذه الأيّام، فضرب لها قبّة على شطّ النيل إذ أقبل التابوت يريدها، فقالت: ما ترون ما أرى على الماء؟ قالوا: إي والله يا سيّدتنا إنّا لنرى شيئاً، فلمّا دنا منها قامت إلى الماء فتناولته بيدها، وكاد الماء يغمرها حتّى تصايحوا عليها فجذبته فأخرجته من الماء فأخذته فوضعته في حجرها فإذا غلام أجمل الناس وأسرّهم فوقعت عليه منها محبّة فوضعته في حجرها، وقالت: هذا ابني، فقالوا: إي والله أي سيّدتنا ما لك ولد ولا للملك فاتّخذي هذا ولداً.

فقامت إلى فرعون فقالت: إنّي أصبت غلاماً طيّباً حلواً نتّخذه ولداً فيكون قرّة عين لي ولك فلا تقتله، قال: ومن أين هذا الغلام؟ قالت: لا والله ما أدري إلاّ أنّ الماء جاء به، فلم تزل به حتّى رضي، فلمّا سمع الناس أنّ الملك قد تبنّى ابناً لم يبق أحد من رؤوس من كان مع فرعون إلاّ بعث إليه امرأته لتكون له ظئراً أو تحضنه، فأبى أن يأخذ من امرأة منهنّ ثدياً، قالت امرأة فرعون: اطلبوا لابني ظئراً ولا تحقروا أحداً، فجعل لا يقبل من امرأة منهنّ، فقالت أمّ موسى لأخته: قصّيه، انظري أترين له أثراً، فانطلقت حتّى أتت باب الملك، فقالت: قد بلغني أنّكم تطلبون ظئراً وههنا امرأة صالحة تأخذ ولدكم وتكفله لكم، فقالت: أدخلوها، فلمّا دخلت قالت لها امرأة فرعون: ممّن أنت؟ قالت: من بني إسرائيل، قالت: اذهبي يا بنيّة فليس لنا فيك حاجة، فقال لها النساء: عافاك الله انظري هل يقبل أو لا يقبل، فقالت امرأة فرعون: أرأيتم لو قبل هل يرضى فرعون أن يكون الغلام من بني إسرائيل والمرأة من بني إسرائيل؟ - يعني الظئر - لا يرضى، قلن: فانظري يقبل أو لا يقبل، قالت امرأة فرعون: فاذهبي فادعيها، فجاءت إلى أمّها فقالت: إنّ امرأة الملك تدعوك، فدخلت عليها فدفع إليها موسى فوضعته في حجرها ثمّ ألقمته ثديها، فإذا قحم اللّبن في حلقه، فلمّا رأت امرأة فرعون أنّ ابنها قد قبل قامت إلى فرعون فقالت: إنّي قد أصبت لابني ظئراً وقد قبل منها، فقال: وممّن هي؟ قالت: من بني إسرائيل، قال فرعون: هذا ممّا لا يكون أبداً، الغلام من بني إسرائيل والظئر من بني إسرائيل! فلم تزل تكلّمه فيه وتقول: ما تخاف من هذا الغلام، إنّما هو ابنك ينشأ في حجرك حتّى قلبته عن رأيه ورضي فنشأ موسى في آل فرعون وكتمت أمّه خبره وأخته والقابلة حتّى هلكت أمّه والقابلة الّتي قبلته، فنشأ لا يعلم به بنو إسرائيل، قال: وكانت بنو إسرائيل تطلبه وتسأل عنه فيعمى عليهم خبره.

قال: فبلغ فرعون أنّهم يطلبونه ويسألون عنه، فأرسل إليهم فزاد في العذاب عليهم وفرّق

بينهم ونهاهم عن الإخبار به والسؤال عنه، قال: فخرجت بنو إسرائيل ذات ليلة مقمرة إلى شيخ لهم عنده علمٌ فقالوا: قد كنّا نستريح إلى الأحاديث فحتّى متى وإلى متى نحن في هذا البلاء؟ قال: والله إنكم لا تزالون حتّى يجيء الله تعالى ذكره بغلام من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران، غلام طوالٌ جعدٌ، فبينا هم كذلك إذ أقبل موسى عليه السلام يسير على بغلة حتّى وقف عليهم، فرفع الشيخ رأسه فعرفه بالصفة، فقال له: ما اسمك يرحمك الله؟ فقال: موسى، قال: ابن من؟ قال: ابن عمران، فوثب إليه الشيخ فأخذ بيده فقبّلها، وثاروا إلى رجليه يقبّلونها فعرفهم وعرفوه واتّخذ شيعة ومكث بعد ذلك ما شاء الله، ثمّ خرج فدخل مدينة لفرعون فيها رجل من شيعته يقاتل رجلاً من آل فرعون من القبط، فاستغاثه الّذي من شيعته على الّذي من عدوّه القبطيّ، فوكزه موسى فقضى عليه، وكان موسى قد أعطي بسطةً في الجسم وشدّة في البطش، فذكره الناس وشاع أمره، وقالوا: إنّ موسى قتل رجلاً من آل فرعون. فأصبح في المدينة خائفاً يترقّب، فلمّا أصبحوا من الغد إذا الرجل الّذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر، قال له موسى: إنّك لغويٌّ مبينٌ، بالأمس رجل واليوم رجل؟ ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ فخرج من مصر بغير ظهر ولا دابّة ولا خادم، تخفضه أرض وترفعه أخرى حتّى أتى إلى أرض مدين، فانتهى إلى أصل شجرة فنزل، فإذا تحتها بئر وإذا عندها أمّة من النّاس يسقون، فإذا جاريتان ضعيفتان وإذا معهما غنيمةٌ لهما، فقال: ما خطبكما؟ قالتا: أبونا شيخ كبير، ونحن جاريتان ضعيفتان لا نقدر أن نزاحم الرجال، فإذا سقى الناس سقينا، فرحمهما موسى عليه السلام فأخذ دلوهما وقال لهما: قدّما غنمكما، فسقى لهما، ثمّ رجعتا بكرةً قبل النّاس، ثمّ أقبل موسى إلى الشجرة فجلس تحتها وقال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فروي أنّه قال ذلك وهو محتاج إلى شقّ تمرة، فلمّا رجعتا إلى أبيهما قال: ما أعجلكما في هذه الساعة! قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحيماً فسقى لنا، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لي، فجاءته تمشي على استحياء قالت إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فروي أنّ موسى عليه السلام قال لها: وجّهيني إلى الطريق وامشي خلفي، فإنّا بنو يعقوب لا ننظر في أعجاز النساء، فلمّا جاءه وقصّ عليه القصص قال: لا تخف نجوت من القوم الظالمين، قالت إحداهما: يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين، قال: إنّي أريد أن أنكحك إحدى ابنتيّ هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك، فروي أنّه قضى أتمّهما لأنّ الأنبياء لا يأخذون إلاّ بالأفضل والتمام.

فلمّا قضى موسى الأجل وسار بأهله نحو بيت المقدس أخطأ الطريق ليلاً فرأى ناراً فقال لأهله: امكثوا إنّي آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بقبس أو خبر من الطريق، فلمّا انتهى إلى النار

فإذا شجرة تضطرم من أسفلها إلى أعلاها، فلمّا دنا منها تأخّرت عنه فرجع وأوجس في نفسه خيفة ثمّ دنت منه الشجرة فنودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة: أن يا موسى إنّي أنا الله ربّ العالمين، وأن ألق عصاك فلمّا رآها تهتزّ كأنّها جانّ ولّى مدبراً ولم يعقّب، فإذا حيّة مثل الجذع لأنيابها صرير يخرج منها مثل لهب النار، فولّى مدبراً فقال له ربّه عزّوجلّ: ارجع، فرجع وهو يرتعد وركبتاه تصطكّان، فقال: إلهي هذا الكلام الّذي أسمع كلامك؟ قال: نعم فلا تخف، فوقع عليه الأمان فوضع رجله على ذنبها ثمّ تناول لحييها فإذا يده في شعبة العصا قد عادت عصا، وقيل له: اخلع نعليك إنّك بالواد المقدّس طوى، فروي أنّه امر بخلعهما بأنّهما كانتا من جلد حمار ميّت، وروي في قوله عزّوجلّ: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أي خوفيك: خوفك من ضياع أهلك وخوفك من فرعون، ثمّ أرسله الله عزّوجلّ إلى فرعون وملئه بآيتين: يده والعصا.

فروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال لبعض أصحابه: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فإنّ موسى بن عمران عليه السلام خرج ليقتبس لأهله ناراً فرجع إليهم وهو رسول نبيّ فأصلح الله تبارك وتعالى أمر عبده ونبيّه موسى في ليلة، وكذا يفعل الله تعالى بالقائم الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام يصلح الله أمره في ليلة كما أصلح الله أمر موسى عليه السلام، ويخرجه من الحيرة والغيبة إلى نور الفرج والظهور[1].

ص: عليّ بن عبد الصمد، عن أبيه، عن السيّد أبي البركات، عن الصدوق مثله مع اختصار «ص ١٥١».

بيان: الغمر: الماء الكثير ومعظم البحر. والتبنّي: اتّخاذ ولد الغير ابناً. (فإذا قحم اللّبن) لعلّه كناية عن كثرة سيلان اللّبن من قولهم: قحم في الأمر: رمى بنفسه فيه فجأةً من غير رويّة. وفي بعض النسخ: «يجمّ» أي يكثر، وفي بعضها: «فازدحم» قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي آخرها، واختصر طريقاً قريباً حتّى سبقهم إلى موسى ﴿يَسْعَىٰ﴾ أي يسرع في المشي فأخبره بذلك وأنذره، وكان الرجل خربيل مؤمن آل فرعون، وقيل: رجل اسمه شمعون، وقيل: شمعان، قال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ أي الأشراف من آل فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ أي يتشاورون فيك؛ وقيل: يأمر بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿تَهْتَزُّ﴾ أي تتحرّك. قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ قال السيّد المرتضى رحمه الله في كتاب الغرر والدرر: فإن سأل سائل فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وقوله: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ والثعبان هي الحيّة العظيمة الخلقة، والجانّ: الصغير من الحيّات؟ وبأيّ شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام؟ والجواب: أوّل ما نقوله أنّ الحالتين مختلفتان، فحالة كونها كالجانّ كانت في ابتداء النبوّة وقبل مسير موسى عليه السلام إلى فرعون،

---

(١) كمال الدين، ص ١٤٧.

وحالة كونها ثعباناً كانت عند لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة، والتلاوة تدلّ على ذلك، وقد ذكر المفسّرون وجهين: أحدهما أنّه تعالى إنّما شبّهها بالثعبان في إحدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها، وشبّهها في الآية الأخرى بالجانّ لسرعة حركتها ونشاطها وخفّتها، فاجتمع لها مع أنّها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجانّ وسرعة حركته، وهذا أبهر في باب الإعجاز وأبلغ في خرق العادة.

والثاني أنّه تعالى لم يرد بذكر الجانّ في الآية الأخرى الحيّة، وإنّما أراد أحد الجنّ، فكأنّه تعالى أخبر بأنّ العصا صارت ثعباناً في الخلقة وعظم الجسم، وكانت مع ذلك كأحد الجنّ في هول المنظر وإفزاعها لمن شاهدها، ويمكن أن يكون للآية تأويل آخر وهو أنّ العصا لمّا انقلبت حيّة صارت أوّلاً بصفة الجانّ وعلى صورته، ثمّ صارت بصفة الثعبان على تدريج ولم تصر كذلك ضربة واحدة[1].

وقال رحمه الله في كتاب تنزيه الأنبياء: فإن قيل: ما معنى قول شعيب عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ الآية؟ وكيف يجوز في الصداق هذا التخيير والتفويض؟ وأيّ فائدة للبنت فيما شرطه هو لنفسه وليس يعود عليها من ذلك نفع؟ قلنا: يجوز أن تكون الغنم كانت لشعيب عليه السلام وكانت الفائدة باستئجار من يرعيها عائدة عليه إلاّ أنّه أراد أن يعوّض بنته عن قيمة رعيها فيكون ذلك مهراً لها، فأمّا التخيير فلم يكن إلاّ فيما زاد على الثماني حجج ولم يكن فيما شرطه مقترحاً تخيير وإنّما كان فيما تجاوزه وتعدّاه.

ووجه آخر: وهو أنّه يجوز أن تكون الغنم كانت للبنت وكان الأب المتولّي لأمرها والقابض لصداقها، لأنّه لا خلاف أنّ قبض الأب مهر بنته البكر البالغ جائز، وليس لأحد من الأولياء ذلك غيره، وأجمعوا على أنّ بنت شعيب عليه السلام كانت بكراً.

ووجه آخر: وهو أنّه حذف ذكر الصداق وذكر ما شرطه لنفسه مضافاً إلى الصداق لأنّه جائز أن يشرط الوليّ لنفسه ما يخرج عن الصداق، وهذا يخالف الظاهر.

ووجه آخر: وهو أنّه يجوز أن يكون من شريعته عليه السلام العقد بالتراضي من غير صداق معيّن، ويكون قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي﴾ على غير وجه الصداق، وما تقدّم من الوجوه أقوى[2].

١٠ - ص: بإسناده عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ قال: سألت الرضا عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ أهي التي تزوّج بها؟ قال: نعم، ولمّا قالت: ﴿ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ قال أبوها: كيف علمت ذلك؟ قالت: لمّا أتيته برسالتك فأقبل معي قال: كوني خلفي ودلّيني على الطريق، فكنت خلفه أرشده كراهة أن يرى منّي شيئاً، ولمّا أراد موسى الانصراف قال

---

(١) أمالي المرتضى، ج ١ ص ١٨. (٢) تنزيه الأنبياء، ص ٦٦.

شعيب: ادخل البيت وخذ من تلك العصيّ عصاً تكون معك تدرأ بها السباع، وقد كان شعيب أخبر بأمر العصا الّتي أخذها موسى، فلمّا دخل موسى البيت وثبت إليه العصا فصارت في يده فخرج بها، فقال له شعيب: خذ غيرها، فعاد موسى إلى البيت ووثبت إليه العصا فصارت في يده فخرج بها، فقال له شعيب: ألم أقل لك خذ غيرها؟ قال له موسى: قد رددتها ثلاث مرّات كلّ ذلك تصير في يدي، فقال له شعيب: خذها، وكان شعيب يزور موسى كلّ سنة، فإذا أكل قام موسى على رأسه وكسر له الخبز[١].

١١ - **كا**: محمّد بن يحيى، عن سلمة بن الخطّاب، عن عبد الله بن محمّد، عن منيع بن الحجّاج، عن مجاشع، عن معلّى، عن محمّد بن الفيض، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت عصا موسى عليه السلام لآدم فصارت إلى شعيب، ثمّ صارت إلى موسى بن عمران، وإنّها لعندنا، وإنّ عهدي بها آنفاً وهي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرتها، وإنّها لتنطق إذا استنطقت، أُعدّت لقائمنا عليه السلام يصنع بها ما كان يصنع موسى عليه السلام وإنّها لتروّع وتلقف ما يأفكون وتصنع ما تؤمر به، إنّها حيث أقبلت تلقف ما يأفكون، تفتح لها شعبتان: إحداهما في الأرض، والأخرى في السقف، وبينهما أربعون ذراعاً تلقف ما يأفكون بلسانها[٢].

أقول: قال السيّد ابن طاوس قدّس الله روحه في كتاب سعد السعود: رأيت في تفسير منسوب إلى الباقر عليه السلام كانت عصا موسى هي عصا آدم عليه السلام بلغنا - والله أعلم - أنّه هبط بها من الجنّة، كانت من عوسج الجنّة، وكانت عصاً لها شعبتان، وبلغني أنّها في فراش شعيب فدخل موسى فأخذها، فقال له شعيب: لقد كنت عندي أميناً أخذت العصا بغير أمري، فقال له موسى: لا، إنّ العصا لولا أنّها كانت لي ما أخذتها، فأقرّ شعيب ورضي وعرف أنّه لم يأخذها إلّا وهو نبيّ[٣].

١٢ - **ص**: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ألقى الله تعالى من موسى على فرعون وامرأته المحبّة، قال: وكان فرعون طويل اللّحية فقبض موسى عليها فجهدوا أن يخلّصوها من يد موسى فلم يقدروا على ذلك حتّى خلّاها، فأراد فرعون قتله فقالت له امرأته: إنّ هنا أمراً تستبين به هذا الغلام، ادع بجمرة ودينار فضعهما بين يديه، ففعل فأهوى موسى إلى الجمرة ووضع يده عليها فأحرقتها، فلمّا وجد حرّ النار وضع يده على لسانه فأصابته لثغة، وقد قال في قوله تعالى: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ قضى أوفاهما وأفضلهما[٤].

بيان: الألثغ: الثقيل البطيء، والمراد هنا البطء في الكلام.

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٥٢.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ١٣٢ باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء، ح ١.

(٣) سعد السعود، ص ١٢٣.

(٤) قصص الأنبياء، ص ١٥٢.

١٣ - ص: سئل الصادق عليه السلام عن موسى عليه السلام لمّا وضع في البحر كم غاب عن أمّه حتّى ردّه الله تعالى إليها؟ قال: ثلاثة أيّام[١].

١٤ - **فض، ضه**: روى مجاهد، عن ابن عمرو، وأبي سعيد الخدريّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خبر طويل قال: إنّ موسى بن عمران عليه السلام كان فرعون في طلبه يبقر بطون النساء الحوامل ويذبح الأطفال ليقتل موسى عليه السلام، فلمّا ولدته أمّه أمرها أن تأخذه من تحتها وتقذفه في التابوت وتلقي التابوت في اليمّ، فقالت وهي ذعرة من كلامه: يا بنيّ إنّي أخاف عليك الغرق، فقال لها: لا تحزني إنّ الله يردّني إليك، فبقيت حيرانة حتّى كلّمها موسى وقال لها: يا أمّ اقذفيني في التابوت وألقي التابوت في اليمّ، قال: ففعلت ما أمرت به فبقي في اليمّ إلى أن قذفه الله في الساحل وردّه إلى أمّه برمته لا يطعم طعاماً ولا يشرب شراباً معصوماً مدّة. وروي أنّ المدّة كانت سبعين يوماً، وروي سبعة أشهر[٢].

١٥ - **ك**: محمّد بن عليّ بن حاتم، عن أحمد بن عيسى الوشّاء، عن أحمد بن طاهر، عن محمّد بن يحيى بن سهل، عن عليّ بن الحارث، عن سعد بن منصور، عن أحمد بن عليّ البديليّ عن أبيه، عن سدير الصيرفيّ، عن الصادق عليه السلام قال: إنّ فرعون لمّا وقف على أنّ زوال ملكه على يد موسى أمر بإحضار الكهنة فدلّوه على نسبه وأنّه من بني إسرائيل، فلم يزل يأمر أصحابه بشقّ بطون الحوامل من بني إسرائيل حتّى قتل في طلبه نيّفاً وعشرين ألف مولود، وتعذّر عليه الوصول إلى قتل موسى لحفظ الله تبارك وتعالى إيّاه[٣].

أقول: تمامه في أبواب الغيبة.

١٦ - **م**: قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال الإمام: قال الله تعالى: واذكروا يا بني إسرائيل ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾ أنجينا أسلافكم ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وهم الّذين كانوا يوالون إليه بقرابته وبدينه وبمذهبه ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ كانوا يعذّبونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ شدّة العقاب كانوا يحملونه عليكم، قال: وكان من عذابهم الشديد أنّه كان فرعون يكلّفهم عمل البناء والطين ويخاف أن يهربوا عن العمل فأمرهم بتقييدهم، وكانوا ينقلون ذلك الطين على السلاليم إلى السطوح، فربّما سقط الواحد منهم فمات أو زمن لا يحفلون بهم إلى أن أوحى الله إلى موسى: قل لهم: لا يبتدئون عملاً إلّا بالصلاة على محمّد وآله الطيّبين ليخفّ عليهم، فكانوا يفعلون ذلك فيخفّ عليهم، وأمر كلّ من سقط فزمن ممّن نسي الصلاة على محمّد وآله الطيّبين أن يقولها على نفسه إن أمكنه - أي الصلاة على محمّد وآله - أو يقال عليه إن لم يمكنه، فإنّه يقوم ولا تقلّبه يد ففعلوها فسلموا.

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٥٣.

(٢) روضة الواعظين، ص ٩٤.

(٣) كمال الدين، ص ٣٣٠.

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ وذلك لمّا قيل لفرعون: إنّه يولد في بني إسرائيل مولود يكون على يده هلاكك وزوال ملكك، فأمر بذبح أبنائهم، فكانت الواحدة منهنّ تصانع القوابل عن نفسها كيلا تنمّ عليها ويتمّ حملها ثمّ تلقي ولدها في صحراء أو غار جبل أو مكان غامض ويقول عليه عشر مرّات الصلاة على محمّد وآله، فيقيّض الله له ملكاً يربّيه، ويدرّ من إصبع له لبناً يمصّه، ومن إصبع طعاماً ليّناً يتغذّاه إلى أن نشأ بنو إسرائيل وكان من سلم منهم ونشأ أكثر ممّن قتل ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ يبقونهنّ ويتّخذونهن إماءً، فضجّوا إلى موسى عليه السلام وقالوا: يفترعون بناتنا وأخواتنا، فأمر الله تلك البنات كلّما رابهنّ من ذلك ريب صلّين على محمّد وآله الطيّبين، وكان الله يردّ عنهنّ أولئك الرجال: إمّا بشغل أو مرض أو زمانة أو لطف من ألطافه، فلم تفترش منهنّ امرأة، بل دفع الله عزّ وجلّ ذلك عنهنّ بصلاتهنّ على محمّد وآله الطيّبين، ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ في ذلك الإنجاء الّذي أنجاكم منهم ربكم ﴿بَلَآءٌ﴾ نعمة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ كبير، قال الله عزّ وجلّ: يا بني إسرائيل اذكروا إذا كان البلاء يصرف عن أسلافكم ويخفّ بالصلاة على محمّد وآله الطيّبين أفما تعلمون أنكم إذا شاهدتموه وآمنتم به كانت النعمة عليكم أعظم وأفضل وفضل الله لديكم أجزل[1]؟.

بيان: قوله: (لا يحفلون بهم) أي لا يبالون بهم. قوله عليه السلام: (ولا يقلّبه يد) الجملة حاليّة أي يقوم من غير أن تقلّبه يد ويداويه أحد. قوله: (تصانع) المصانعة: الرشوة، وقوله: (تنمّ) بالنون من النميمة. والافتراع: إزالة البكارة.

١٧ - **مل:** بإسناده عن ربعيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: شاطئ الواد الأيمن الّذي ذكره الله في كتابه هو الفرات، والبقعة المباركة هي كربلاء، والشجرة هي محمّد[2].

١٨ - **عدة:** روي أنّه لمّا بعث الله موسى وهارون إلى فرعون قال لهما: لا يروّعكما لباسه فإنّ ناصيته بيدي، ولا يعجبكما ما متّع به من زهرة الحياة الدنيا وزينة المسرفين، فلو شئت زيّنتكما بزينة يعرف فرعون حين يراها أنّ مقدرته تعجز عنها، ولكنّي أرغب بكما عن ذلك فأزوي الدنيا عنكما وكذلك أفعل بأوليائي إنّي لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي غنمه عن مراتع الهلكة، وإنّي لأجنّبهم سلوكها كما يجنّب الراعي الشفيق إبله من موارد الغرّة، وما ذاك لهوانهم عليّ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفّراً. إنّما يتزيّن لي أوليائي بالذلّ والخشوع والخوف الّذي ينبت في قلوبهم فيظهر على أجسادهم فهو شعارهم ودثارهم الّذي يستشعرون، ونجاتهم الّتي بها يفوزون، ودرجاتهم الّتي يأملون، ومجدهم الّذي به يفخرون، وسيماهم الّتي بها يعرفون، فإذا لقيتهم يا موسى فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وذلّل لهم قلبك ولسانك، واعلم أنّه من أخاف لي أوليائي فقد بارزني بالمحاربة، ثمّ أنا الثائر

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٤٢ ح ١٢٠.

(٢) كامل الزيارات، ص ١٠٩ باب ١٣ ح ١٠.

لهم يوم القيامة[١].

١٩ - **مع**: أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن أحمد بن هلال، عن محمّد بن سنان، عن محمّد بن عبد الله بن رباط، عن محمّد بن النعمان الأحول، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ قال: أشدّه ثمانية عشر سنة، واستوى: التحى[٢].

بيان: قال البيضاويّ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أي مبلغه الّذي لا يزيد عليه نشوؤه، وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة، فإنّ العقل يكمل حينئذٍ، وروي أنّه لم يبعث نبيّ إلاّ على رأس أربعين، واستوى قدّه أو عقله[٣].

أقول: المعتمد ما وردّ في الخبر.

٢٠ - **نهج**: قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد الحثّ على التأسّي بالرسول: وإن شئت ثنّيت بموسى كليم الله عليه السلام إذ يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ والله ما سأله إلاّ خبزاً يأكله، لأنّه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذّب لحمه[٤].

بيان: الصفاق: الجلد الباطن الّذي فوقه الجلد الظاهر من البطن. وشفيفه: رقّته وتشذّب اللّحم: تفرّقه.

٢١ - **نهج**: الّذي كلّم موسى تكليماً، وأراه من آياته عظيماً، بلا جوارح ولا أدوات ولا نطق ولا لهوات[٥].

أقول: قال الثعلبيّ في كتاب عرائس المجالس: لمّا مات الريّان بن الوليد فرعون مصر الأوّل صاحب يوسف عليه السلام وهو الّذي ولّى يوسف عليه السلام خزائن أرضه وأسلم على يديه، فلمّا مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثاني، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى وكان جبّاراً وقبض الله تعالى يوسف عليه السلام في ملكه وطال ملكه ثمّ هلك، وقام بالملك بعده أخوه أبو العبّاس الوليد بن مصعب بن الريّان بن أراشة بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، وكان أعتى من قابوس وأكبر وأفجر، وامتدّت أيّام ملكه. وأقام بنو إسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد نشروا وكثروا وهم تحت أيدي العمالقة وهم على بقايا من دينهم ممّا كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام متمسّكين به حتّى كان فرعون موسى الّذي بعثه الله إليه، وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن منهم

---

(١) عدة الداعي، ص ١١٣.
(٢) معاني الأخبار، ص ٢٢٦.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٩٧.
(٤) نهج البلاغة، ص ٣٢٠ خطبة ١٥٨.
(٥) نهج البلاغة، ص ٣٦٧ خطبة ١٨١.

فرعون أعتى على الله تعالى ولا أعظم قولاً ولا أقسى قلباً ولا أطول عمراً في ملكه ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل منه، وكان يعذّبهم ويستعبدهم فجعلهم خدماً وخولاً، وصنّفهم في أعماله: فصنف يبنون، وصنف يحرسون، وصنف يتولّون الأعمال القذرة، ومن لم يكن من أهل العمل فعليه الجزية، كما قال الله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ وقد استنكح فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم من خيار النساء المعدودات، ويقال: بل هي آسية بنت مزاحم بن الريّان بن الوليد فرعون يوسف الأوّل فأسلمت على يدي موسى عليه السلام.

قال مقاتل: ولم يسلم من أهل مصر إلاّ ثلاثة: آسية وخربيل ومريم بنت ناموساء الّتي دلّت موسى على قبر يوسف عليه السلام فعمر فرعون وهم تحت يديه عمراً طويلاً يقال: أربعمائة سنة يسومونهم سوء العذاب. فلمّا أراد الله تعالى أن يفرّج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ما ذكره السدّيّ عن رجاله أنّ فرعون رأى في منامه أنّ ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتّى اشتملت على بيوت مصر فأخربتها وأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، فدعا فرعون السحرة والكهنة والمعبّرين والمنجّمين وسألهم عن رؤياه، فقالوا: إنّه يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك ملكك، ويغلبك على سلطانك، ويخرجك وقومك من أرضك، ويبدّل دينك، وقد أظلّك زمانه الّذي يولد فيه، قال: فأمر فرعون بقتل كلّ غلام يولد في بني إسرائيل، وجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهنّ: لا يسقطن على أيديكنّ غلام من بني إسرائيل إلاّ قتلتنّه، ولا جارية إلاّ تركتنها، ووكّل بهنّ فكنّ يفعلن ذلك، قال مجاهد: لقد ذكر لي أنّه كان يأمر بالقصب فيشقّ حتّى يجعل أمثال الشفار، ثمّ يصفّ بعضها إلى بعض ثمّ يؤتى بالحبالى من بني إسرائيل فيوقعن فتحزّ أقدامهنّ حتّى أنّ المرأة منهنّ لتضع ولدها فيقع بين رجليها، فتظلّ تطأه تتّقي به حدّ القصب عن رجلها لما بلغ من جهدها، فكان يقتل الغلمان الّذين كانوا في وقته، ويقتل من يولد منهم، ويعذّب الحبالى حتّى يضعن ما في بطونهنّ، وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل، فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له: إنّ الموت قد وقع في بني إسرائيل وأنت تذبح صغارهم ويموت كبارهم، فيوشك أن يقع العمل علينا، فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فولد هارون في السنة الّتي لا يذبحون فيها فترك، وولد موسى في السنة الّتي يذبحون فيها؛ قالوا: فولدت هارون أمّه علانيةً آمنةً، فلمّا كان العام المقبل حملت بموسى فلمّا أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتدّ غمّها فأوحى الله تعالى إليها وحي إلهام: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فلمّا وضعته في خفية أرضعته، ثمّ اتّخذت له تابوتاً، وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه.

قال مقاتل: وكان الّذي صنع التابوت خربيل مؤمن آل فرعون؛ وقيل: إنّه كان من برديّ فاتّخذت أمّ موسى التابوت وجعلت فيه قطناً محلوجاً ووضعت فيه موسى وقيّرت رأسه

وخصاصه، ثمّ ألقته في النيل، فلمّا فعلت ذلك وتوارى عنها ابنها أتاها الشيطان لعنه الله ووسوس إليها فقالت في نفسها: ماذا صنعتُ بابني؟ لو ذبح عندي فواريته وكفّنته كان أحبّ إليّ من أن ألقيه بيدي إلى دوابّ البحر، فعصمها الله تعالى، وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرّة ويخفضه أخرى حتّى أدخله بين أشجار عند دار فرعون إلى فرضة وهي مستقى جواري آل فرعون، وكان يشرب منها نهر كبير في دار فرعون وبستانه، فخرجت جواري آسية يغتسلن ويسقين فوجدن التابوت فأخذنه وظننّ أنّ فيه مالاً فحملنه كهيئته حتّى أدخلنه على آسية فلمّا فتحته ورأت الغلام فألقى الله تعالى عليه محبّة منها فرحمته آسية وأحبّته حبّاً شديداً، فلمّا سمع الذبّاحون أمره أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبيّ، فقالت آسية للذبّاحين: انصرفوا فإنّ هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، فآتي فرعون فأستوهبه إيّاه فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم، فأتت به وقالت: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ فقال فرعون: قرّة عين لك، فأمّا أنا فلا حاجة لي فيه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والّذي يحلف به لو أقرّ فرعون أن يكون قرّة عين كما أقرّت به لهداه الله تعالى كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك.

قالوا: فأراد فرعون أن يذبحه وقال: إنّي أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل، وأن يكون هذا هو الّذي على يديه هلاكنا وزوال ملكنا، فلم تزل آسية تكلّمه حتّى وهبه لها، فلمّا أمنت آسية أرادت أن تسمّيه باسم اقتضاه حاله وهو موشى لأنّه وجد بين الماء والشجر و«مو» بلغة القبط الماء و«الشا» الشجر فعرّب فقيل موسى.

وروي عن ابن عبّاس أنّ بني إسرائيل لمّا كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي، ووافق خيارهم شرارهم، ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، فسلّط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب، وذبحوا أبناءهم؛ وقال وهب: بلغني أنّه ذبح في طلب موسى سبعين ألف وليد.

وعن ابن عبّاس أنّ أمّ موسى لمّا تقارب ولادتها وكانت قابلة من القوابل مصافية لها، فلمّا ضربها الطلق أرسلت إليها فأتتها وقبلتها، فلمّا أن وقع موسى بالأرض هالها نور بين عيني موسى، فارتعش كلّ مفصل منها ودخل حبّه قلبها، ثمّ قالت لها: يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني إلاّ ومن رأيي قتل مولودك وإخبار فرعون بذلك، ولكن وجدت لابنك هذا حبّاً ما وجدت مثله قط، فاحفظي فإنّه هو عدوّنا، فلمّا خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤوا إلى بابها ليدخلوا على أمّ موسى، فقالت أخته: هذه الحرس بالباب، فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع خوفاً عليه، فلفّته في خرقة ووضعته في التنّور - وهو مسجور - بإلهامه تعالى، فدخلوا فإذا التنّور مسجور.

وروي أنّ أمّ موسى لم يتغيّر لها لون ولم يظهر لها لبن، فقالوا: ما أدخل عليك القابلة؟

قالت: هي مصافيةٌ لي فدخلت عليّ زائرةً، فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى: فأين الصبيّ؟ قالت: لا أدري، فسمعت بكاء الصبيّ من التنّور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه برداً وسلاماً، فاحتملته.

وعن ابن عبّاس قال: انطلقت أمّ موسى إلى نجّار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتاً صغيراً، فقال لها: ما تصنعين به؟ قالت: ابن لي أخبؤه فيه، وكرهت أن تكذب فانطلق النجّار إلى الذبّاحين ليخبرهم بأمرها، فلمّا همّ بالكلام أمسك الله لسانه وجعل يشير بيده فلم يدر الأمناء، فلمّا أعياهم أمره قال كبيرهم: اضربوه، فضربوه وأخرجوه، فوقع في وادٍ يهوي فيه حيران، فجعل لله عليه إن ردّ لسانه وبصره أنّ لا يدلّ عليه ويكون معه يحفظه، فردّ الله عليه بصره ولسانه، فآمن به وصدّقه، فانطلقت أمّ موسى وألقته في البحر، وذلك بعدما أرضعته ثلاثة أشهر، وكان لفرعون يومئذٍ بنت ولم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم النّاس عليه، وكان بها برصٌ شديدٌ وقد قالت أطبّاء المصر والسحرة: إنّها لا تبرأ إلاّ من قبل البحر يوجد منه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرّق، فلمّا كان يوم الاثنين غدا فرعون إلى مجلس كان له على شفير النيل ومعه آسية، فأقبلت بنت فرعون في جواريها حتّى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهنّ إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج، فأخذوه فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها، للّذي أراد الله أن يكرمها، فعالجته ففتحت الباب، فإذا نوره بين عينيه، وقد جعل الله تعالى رزقه في إبهامه يمصّه لبناً، فألقى الله حبّه في قلبها وأحبّه فرعون، فلمّا أخرجوه عمدت بنت فرعون إلى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت، فقبّلته وضمّته إلى صدرها؛ فقال الغواة من قوم فرعون: أيّها الملك إنّا نظنّ أنّ ذلك المولود الّذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا، رمي به في البحر فرقاً منك، فهمّ فرعون بقتله فاستوهبته آسية فوهبه لها، ثمّ قال لها: سمّيه، فقالت: سمّيته موشى لأنّه وجد بين الماء والشجر.

قالوا: وقالت أمّ موسى لأخته - وكانت تسمّى مريم -: قصّيه، أي اتبعي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكراً؟ أحيّ ابني أم قد أكلته دوابّ البحر؟ ونسيت وعد الله تعالى ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّها أخته. فلمّا امتنع أن يأخذ من المراضع ثدياً قالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ فلمّا أتت بأمّه ثار إلى ثديها حتّى امتلأ جنباه، فقالت: امكثي عندي ترضعين ابني هذا، فقالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي، فإن طابت نفسك أن تعطيني فأذهب به إلى بيتي لا آلوه خيراً، فعلت وذكرت أمّ موسى وعد الله تعالى فرجعت به إلى بيتها من يومها؛ وقيل: كانت غيبة موسى عن أمّه ثلاثة أيّام فلمّا جاءت أمّه به إلى بيتها كادت تقول: هو ابني، فعصمها الله تعالى وذلك قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ فلمّا ترعرع قالت امرأة فرعون لأمّ موسى: أحبُّ أن تريني ابني،

فوعدتها يوماً تريها إيّاه، فقالت لحواضنها وقهارمتها: لا تبقينّ منكم أحد إلاّ استقبل ابني بهديّة وكرامة، فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من حين أُخرج من بيت أُمّه إلى أن أُدخل على امرأة فرعون، فأكرمته وفرحت به، فلمّا أُدخل على فرعون تناول لحيته ونتف منها، ويقال. إنّه لطم وجهه، وفي بعض الروايات أنّه كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قصيب صغير يلعب به إذ ضرب على رأس فرعون، فغضب غضباً شديداً وتطيّر منه وقال: هذا عدوّي، فأرسل إلى الذبّاحين، فقالت امرأته: إنّما هو صبيّ لا يعقل، وإنّي أجعل بيني وبينك أمراً تعرف فيه الحقّ، أضع له حليّاً من الذهب، وأضع له جمراً، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل، فلمّا حوّل جبرئيل يده إلى الجمر قبضها وطرحها في فيه فوضعها على لسانه فأحرقته، فذلك الّذي يقول: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ فكفّ عن قتله وحبّبه الله تعالى إليه وإلى الناس كلّهم.

وقال أهل السير: لمّا بلغ موسى عليه السلام أشدّه وكبر كان يركب مراكب فرعون، ويلبس ما يلبس فرعون وكان إنّما يدعى موسى بن فرعون، وامتنع به بنو إسرائيل من كثير من الظلم، فركب فرعون ذات يوم فركب موسى في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها منف، فدخلها نصف النهار وقد غلقت أسواقها وليس في طرقها أحدٌ، وذلك قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ فبينا هو يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان: أحدهما من بني إسرائيل، والآخر من آل فرعون، والّذي من شيعته يقال إنّه السامريّ، والّذي من عدوّه كان خبّازاً لفرعون واسمه قاثون، وكان اشترى حطباً للمطبخ فسخر السامريّ ليحمله، فامتنع، فلمّا مرّ بهما موسى استغاث به، فقال موسى للقبطيّ: دعه، فقال الخبّاز: إنّما آخذه لعمل أبيك، فأبى أن يخلّي سبيله، فغضب موسى فبطش وخلّص السامريّ من يده، فنازعه القبطيّ فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله، قالوا: ولمّا قتل لم يرهما إلاّ الله تعالى والإسرائيليّ، فأصبح في المدينة خائفاً يترقّب الأخبار، فأُتي فرعون فقيل له: إنّ بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لنا بحقّنا، فقال: ائتوني بقاتله ومن يشهد عليه، فطلبوا ذلك فبينا هم يطوفون إذ مرّ موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيليّ يقاتل فرعونيّاً، فاستغاثه على الفرعونيّ، فصادف موسى، وقد ندم على ما كان منه بالأمس، وكره الّذي رأى، فغضب موسى فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونيّ، فقال للإسرائيليّ ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ ففرق الإسرائيليّ من موسى أن يبطش به من أجل أنّه أغلظ له الكلام، فظنّ أنّه يريد قتله، فقال له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي﴾ الآية، وإنّما قال ذلك مخافة من موسى وظنّاً أن يكون إيّاه أراد، وإنّما أراد الفرعونيّ، فتتاركا، وذهب إلى فرعون وأخبره بما سمع من الإسرائيليّ، فأرسل فرعون الذبّاحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم: اطلبوه في بنيّات الطريق فإنّه غلام لا يهتدي إلى الطريق، فجاءه رجل من أقصى المدينة من شيعته يقال له خربيل وكان على بقيّة من دين إبراهيم الخليل عليه السلام وكان أوّل من صدّق بموسى وآمن به.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: سبّاق الأمم ثلاثة، لم يكفروا بالله طرفة عين:

خربيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجّار صاحب ياسين، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو أفضلهم.

قالوا: فجاء خربيل فاختصر طريقاً قريباً حتّى سبق الذبّاحين إليه وأخبره بما همّ به فرعون، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ الآية، فتحيّر موسى ولم يدر أين يذهب، فجاء ملك على فرس بيده عنزة فقال له: اتبعني، فاتّبعه فهداه إلى مدين.

وعن ابن عبّاس أنّه خرج من مصر إلى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال، ويقال: نحو من كوفة إلى البصرة، ولم يكن له طعام إلاّ ورق الشجر، فما وصل إليها حتّى وقع خفّ قدميه، وإنّ خضرة البقل تتراءى من بطنه. قالت العلماء: لمّا انتهى موسى إلى أرض مدين في ثمان ليال نزل في أصل شجرة، وإذا تحتها بئر، وهي الّتي قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي تحبسان أغنامهما، فقال لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ لأنّا امرأتان ضعيفتان، لا نقدر على مزاحمة الرعاء، فإذا سقوا مواشيهم سقينا أغنامنا من فضول حياضهم ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ تعنيان شعيباً.

وعن ابن عبّاس قال: اسم أب امرأة موسى الّذي استأجره يثرون صاحب مدين ابن أخي شعيب عليه السلام واسم إحدى الجاريتين ليّا ويقال حنونا، واسم الأخرى صفوراء وهي امرأة موسى، فلمّا قالتا ذلك رحمهما، وكان هناك بئر وعلى رأسها صخرة، وكان نفر من الرجال يجتمعون عليها حتّى يرفعوها عن رأسها، وقيل: إنّ تلك البئر غير البئر الّتي يستقي منها الرعاء، قالوا: فرفع موسى الصخرة عن رأسها وأخذ دلواً لهما فسقى لهما أغنامهما، فرجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل النّاس، وتولّى موسى إلى ظلّ الشجرة فقال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

فقال ابن عبّاس: لقد قال ذلك موسى عليه السلام ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خضرة أمعائه من شدّة الجوع لنظر، ما يسأل الله تعالى إلاّ أكلة.

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: لقد قالها وإنّه لمحتاج إلى شقّ تمرة. قالوا: فلمّا رجعتا إلى أبيهما قال لهما: ما أعجلكما! قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لإحداهما: فاذهبي فادعيه إليّ، وهي الّتي تزوّجها موسى، فجاءته إحداهما تمشي على استحياء فقالت له: إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فقام موسى عليه السلام وتقدّمته وهو يتبعها، فهبّت ريح فألزقت ثوب المرأة بردفها، فقال لها: امشي خلفي ودلّيني على الطريق، فإن أخطأت فارمي قدّامي بحصاة، فإنّا بني يعقوب لا ننظر في أعجاز النساء، فنعتت له الطريق إلى منزل أبيها ومشت خلفه حتّى دخلا على شعيب، فسأله عن حاله فأخبره فقال: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فقالت إحداهما وهي الّتي كانت الرسول إلى موسى:

﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ وإنّما قالت: القويّ لأنّه أزال الحجر الّذي كان يرفعه ثلاثون أو أربعون رجلاً، فقال لها أبوها: فما علمك بأمانته؟ فأخبرت أباها بما أمرها به موسى من استدبارها إيّاه.

قالوا: فلمّا قضى موسى عليه السلام أتمّ الأجلين وسار بأهله منفصلاً من أرض مدين يؤمُّ الشام ومعه أغنامه وامرأته وهي في شهرها لا تدري أليلاً تضع أم نهاراً فانطلق في بريّة الشام عادلاً عن المدائن والعمران مخافة الملوك الّذين كانوا بالشام، وكان أكبر همّه يومئذٍ أخاه هارون وإخراجه من مصر، فسار موسى عليه السلام في البريّة غير عارف بطرقها، فأجاءه المسير إلى جانب الطور الغربيّ الأيمن في عشيّة شاتية شديدة البرد، وأظلم عليه اللّيل، وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته الطلق، فعمد موسى إلى زنده وقدحه مرّات فلم تور، فتحيّر وقام وقعد وأخذ يتأمل ما قرب وبعد تحيّراً وضجراً، فبينا هو كذلك إذ آنس من جانب الطور ناراً، فحسبه ناراً فقال لأهله: امكثوا إنّي آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدىً يعني من يدلّني على الطريق وكان قد ضلّ الطريق، فلمّا أتاها رأى نوراً عظيماً ممتدًّا من عنان السماء إلى شجرة عظيمة هناك، واختلفوا فيها فقيل: العوسجة؛ وقيل: العنّاب، فتحيّر موسى وارتعدت مفاصله حيث رأى ناراً عظيمةً ليس لها دخان، تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء، لا تزداد النّار إلاّ عظماً، ولا الشجرة إلاّ خضرة ونضرةً، فلمّا دنا استأخرت عنه، فخاف عنها ورجع، ثمّ ذكر حاجته إلى النار فرجع إليها فدنت منه فنودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ فنظر فلم ير أحداً فنودي: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فلمّا سمع ذلك علم أنّه ربّه، فناداه ربّه أن ادن واقترب، فلمّا قرب منه وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكلّ لسانه وضعفت متنه، وصار حيّاً كميّت، فأرسل الله سبحانه إليه ملكاً يشدّ ظهره، ويقوّي قلبه، فلمّا ثاب إليه نودي: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ ثمّ قال الله سبحانه تسكيناً لقلبه وإذهاباً لدهشته: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾.

واختلف في اسم العصا قال ابن جبير: اسمها ما شاء الله، وقال مقاتل: اسمها نفعة؛ وقيل غياث؛ وقيل عليق. وأمّا صفتها والمآرب الّتي فيها لموسى عليه السلام فقال أهل العلم بأخبار الماضين: كان لعصا موسى شعبتان ومحجن في أصل الشعبتين، وسنان حديد في أسفلها، فكان موسى عليه السلام إذا دخل مفازةً ليلاً ولم يكن قمر تضيء شعبتاها كالشعبتين من نور، تضيئان له مدّ البصر، وكان إذا أعوز الماء أدلاها في البئر فجعلت تمتدّ إلى مقدار قعر البئر وتصير في رأسها شبه الدلو يستقي، وإذا احتاج إلى الطعام ضرب الأرض بعصاه فيخرج ما يأكل يومه، وكان إذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرزها في الأرض فتغصّنت أغصان تلك الشجرة الّتي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها، ويقال: كان عصاه من اللّوز، فكان إذا جاع ركزها في الأرض فأورقت وأثمرت وأطعمت فكان يأكل منها اللّوز، وكان إذا

قاتل عدوّه يظهر على شعبتيها تنّينان يتناضلان، وكان يضرب على الجبل الصعب الوعر المرتقى وعلى الشجر والعشب والشوك فينفرج، وإذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضربها عليه فانفلق وبدا له طريق مهيع يمشي فيه، وكان يشرب أحياناً من إحدى الشعبتين اللّبن ومن الآخر العسل، وكان إذا أعيا في طريقه يركبها فتحمله إلى أيّ موضع شاء من غير ركض ولا تحريك رجل، وكانت تدلّه على الطريق وتقاتل أعداءه، وإذا احتاج موسى إلى الطيب فاح منها الطيب حتّى يتطيّب ثوبه، وإذا كان في طريق فيه لصوص تخشى الناس جانبهم تكلّمه العصا وتقول له: خذ جانب كذا، وكان يهشّ بها على غنمه، ويدفع بها السبع والحيّات والحشرات، وإذا سافر وضعها على عاتقه وعلّق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وسقاءه.

قال مقاتل بن حيّان: قال شعيب لموسى حين زوّج ابنته وسلّم إليه أغنامه يرعاها: اذهب بهذه الأغنام، فإذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك، وإن كان الكلاء بها أكثر فإنّ هناك تنّيناً عظيماً أخشى عليك وعلى الأغنام منه؛ فذهب موسى بالأغنام فلمّا بلغ مفرق الطريقين أخذت الأغنام ذات اليمين فاجتهد موسى على أن يصرفها إلى ذات الشمال فلم تطعه، فنام موسى والأغنام ترعى، فإذا بالتنّين قد جاء فقامت عصا موسى فحاربته فقتلته، وأتت فاستلقت على جنب موسى وهي دامية، فلمّا استيقظ موسى عليه السلام رأى العصا دامية والتنّين مقتولاً، فعلم أنّ في تلك العصا لله تعالى قدرة، وعرف أنّ لها شأناً، فهذه مآرب موسى فيها إذا كانت عصا، فأمّا إذا ألقاها موسى فيرى أنّها تنقلب حيّة كأعظم ما يكون من التنانين سوداء مدلهمّة تدب على أربع قوائم، تصير شعبتاها فمها، وفيه اثنا عشر أنياباً وأضراساً، لها صريف وصرير، يخرج منها لهب النّار، فتصير محجنها عرفاً لها كأمثال النيازك تلتهب، وعيناها تلمعان كما يلمع البرق، تهبّ من فيها ريح السموم، لا تصيب شيئاً إلاّ أحرقته، تمرّ بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتّى أنّ الصخور في جوفها تتقعقع وتمرُّ بالشجرة فتفطرها بأنيابها ثمّ تحطمها وتبتلعها، وجعلت تتلمّظ وتترمرم كأنّها تطلب شيئاً تأكل وكان تكون في عظم الثعبان وخفّة الجانّ، ولين الحيّة، وذلك موافق لنصّ القرآن حيث قال في موضع: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ قالوا: فلمّا ألقاها صارت شعبتاها فمها، ومحجنها عرفاً لها في ظهرها وهي تهتزّ لها أنياب وهي كما شاء الله أن يكون، فرأى موسى أمراً فظيعاً فولّى مدبراً ولم يعقّب، فناداه ربّه تعالى: أن يا موسى أقبل ولا تخف إنّك من الآمنين. قالوا: وكان على موسى جبّة من صوف فلفّ كمّه على يده وهو لها هائب فنودي: أن احسر عن يدك، فحسر كمّه عن يده ثمّ أدخل يده بين لحييها، فلمّا قبض فإذا هو عصاه في يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها، ثمّ قال له: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ فأدخلها ثمّ أخرجها فإذا هي نور تلتهب يكلُّ عنه البصر، ثمّ ردّها فخرجت كما كانت على لون يديه.

ثم قال له: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ فقال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ قال الله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ الآية، وكان على موسى يومئذٍ مدرعة قد خلّها بخلال وجبّة من صوف، وثياب من صوف، وقلنسوة من صوف، والله سبحانه يكلّمه ويعهد إليه ويقول له: يا موسى انطلق برسالتي وأنت بعيني وسمعي، ومعك قوّتي ونصرتي، بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي، بطر من نعمتي وآمن مكري، وغرّته الدنيا حتّى جحد حقّي، وأنكر ربوبيّتي، وزعم أنّه لا يعرفني، وعزّتي وجلالي لولا الحجّة والعذر اللّذان جعلتهما بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبّار تغضب لغضبه السماوات والأرض والبحار والجبال والشجر والدوابُّ، فلو أذنت للسماء لحصبته، أو للأرض لابتلعته أو للجبال لدكدكته، أو للبحار لغرقته، ولكن هان عليّ وصغر عندي ووسعه حلمي، وأنا الغنيّ عنه وعن جميع خلقي، وأنا خالق الغنيّ والفقير، لا غنيّ إلاّ من أغنيته، ولا فقير إلاّ من أفقرته، فبلّغه رسالتي وادعه إلى عبادتي وتوحيدي والإخلاص لي، وحذّره نقمتي وبأسي، وذكّره أيّامي، وأعلمه أنّه لا يقوم لغضبي شيء وقل له فيما بين ذلك قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى، وكنّه في خطابك إيّاه ولا يروعنّك ما ألبسته من لباس الدنيا، فإنّ ناصيته بيدي، ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفّس إلاّ بعلمي، وأخبره بأنّي إلى العفو والمغفرة أسرع إلى الغضب والعقوبة، وقل له: أجب ربّك فإنّه واسع المغفرة قد أمهلك طول هذه المدّة وأنت في كلّها تدّعي الربوبيّة دونه، وتصدّ عن عبادته، وفي كلّ ذلك تمطر عليك السماء، وتنبت لك الأرض، ويلبسك العافية، ولو شاء لعاجلك بالنقمة، ولسلبك ما أعطاك، ولكنّه ذو حلم عظيم. ثمّ أمسك عن موسى سبعة أيّام، ثمّ قيل له بعد سبع ليال: أجب ربّك يا موسى فيما كلّمك. فقال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ الآية، فلمّا رجع موسى شيّعته الملائكة، فكان قلب موسى مشتغلاً بولده، وأراد أن يختنه فأمر الله عزّ وجلّ ملكاً فمدّ يده ولم يزل قدمه عن موضعها حتّى جاء به ملفّفاً في خرقته، وتناوله موسى، فأخذ حجرتين فحكّ أحدهما بالآخر حتّى حدّده كالسكّين فختن بهما ابنه، فتفل الملك عليه وبرئ من ساعته، ثمّ ردّه الملك إلى موضعه، ولم يزل أهل موسى في ذلك الموضع حتّى مرّ راعٍ من أهل مدين فعرفهم واحتملهم وردّهم إلى مدين، وكانوا عند شعيب حتّى بلغهم خبر موسى عليه السلام بعدما فلق البحر وجاوزه بنو إسرائيل، وغرق الله فرعون فبعثهم شعيب إلى موسى عليه السلام بمصر[1].

إيضاح: فتحزّ بالزاي المعجمة أي تقطع. والخصاص: كلّ خلل وخرق في باب وغيره. والفرضة بالضمّ من النهر: ثلمة يستقى منها، ومن البحر محطّ السفن. وسخره كمنعه: كلّفه ما لا يريد وقهره. والزند: الّذي يقدح به النار. ووري النار: اتّقادها. والمحجن كمنبر: كلّ

(١) عرائس المجالس، ص ١٥٢.

معطوف معوج. وطريق مهيع: بيّن. والمقلاع: الّذي يرمى به الحجر. وصريف ناب البعير: صوتها. وتلمّظت الحيّة: أخرجت لسانها. وترمرم: تحرّك للكلام ولم يتكلّم.

٣ - باب معنى قوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ وقول موسى عليه السلام: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ وانه لم سمي الجبل طور سيناء

١ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عزّوجلّ لموسى عليه السلام. ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ لأنّها كانت من جلد حمار ميت[1].

مع: مرسلاً مثله.

٢ - ع: محمّد بن عليّ بن نصر النجّاري، عن أبي عبد الله الكوفيّ بإسناد متصل إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال في قول الله عزّوجلّ لموسى عليه السلام: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ قال: يعني ارفع خوفيك، يعني خوفه من ضياع أهله وقد خلفها بمخض، وخوفه من فرعون[2].

قال الصدوق رحمه الله: وسمعت أبا جعفر محمّد بن عبد الله بن طيفور الدامغاني الواعظ يقول في قول موسى عليه السلام: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨﴾ قال: يقول: إنّي أستحيي أن أكلّم بلساني الّذي كلّمتك به غيرك فيمنعني حيائي منك عن محاورة غيرك، فصارت هذه الحال عقدة على لساني فاحللها بفضلك ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠﴾ معناه أنّه سأل الله عزّوجلّ أن يأذن له في أن يعبّر عنه هارون فلا يحتاج أن يكلّم فرعون بلسان كلّم الله عزّوجلّ به[3].

٣ - ع: محمّد بن عليّ بن بشّار القزوينيّ، عن المظفّر بن أحمد، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن عليّ بن سالم، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عبّاس قال: إنّما سمّي الجبل الّذي كان عليه موسى طور سيناء لأنّه جبل كان عليه شجر الزيتون، وكلّ جبل يكون عليه ما ينتفع به من النبات والأشجار سمّي طور سيناء وطور سينين، وما لم يكن عليه ما ينتفع به من النبات أو الأشجار من الجبال سمّي طور، ولا يقال له طور سيناء ولا طور سينين[4].

مع: مرسلاً مثله.

٤ - ج: سأل سعد بن عبد الله القائم عليه السلام عن قول الله تعالى لنبيّه موسى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ فإنّ فقهاء الفريقين يزعمون أنّها كانت من إهاب الميتة، فقال عليه السلام: من قال ذلك فقد افترى على موسى واستجهله في نبوّته، إنّه ما خلا الأمر فيها

(١) - (٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٨٥ باب ٥٥ ح ١-٣.

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ٨٦ باب ٥٧ ح ١.

من خصلتين: إمّا أن كانت صلاة موسى فيها جائزة أو غير جائزة، فإن كانت جائزة فيها فجاز لموسى أن يكون يلبسها في تلك البقعة وإن كانت مقدّسة مطهّرة، وإن كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب أنّ موسى لم يعرف الحلال والحرام، ولم يعلم ما جازت الصلاة فيه ممّا لم تجز وهذا كفر. قلت: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيهما، قال: إنّ موسى عليه السلام كان بالواد المقدّس، فقال: يا ربّ إنّي أخلصت لك المحبّة منّي، وغسلت قلبي عمّن سواك - وكان شديد الحبّ لأهله - فقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أي انزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة، وقلبك من الميل إلى من سواي مشغولاً؛ الخبر[1].

بيان: اعلم أنّ المفسّرين اختلفوا في سبب الأمر بخلع النعلين ومعناه على أقوال:

الأول أنّهما كانتا من جلد حمار ميّت. والثاني أنّه كان من جلد بقرة ذكيّة، ولكنّه أمر بخلعهما ليباشر بقدميه الأرض فتصيبه بركة الوادي المقدّس. والثالث أنّ الحفا من علامة التواضع، ولذلك كانت السلف تطوف حفاةً. والرابع أنّ موسى عليه السلام إنّما لبس النعل اتّقاءً من الأنجاس وخوفاً من الحشرات فآمنه الله ممّا يخاف وأعلمه بطهارة الموضع. والخامس أنّ المعنى: فرّغ قلبك من حبّ الأهل والمال. والسادس أنّ المراد: فرّغ قلبك عن ذكر الدارين.

٥ -ع: في خبر ابن سلام أنّه سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن الواد المقدّس لمَ سمّي المقدّس؟ قال: لأنّه قدّست فيه الأرواح، واصطفيت فيه الملائكة، وكلّم الله عزّ وجلّ موسى تكليماً[2].

٤ - باب بعثة موسى وهارون صلوات الله عليهما على فرعون، وأحوال فرعون وأصحابه وغرقهم، وما نزل عليهم من العذاب قبل ذلك وإيمان السحرة وأحوالهم

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

الأعراف «٧»: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٦٣.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٨٣ باب ٢٢١ ح ٣٣.

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

الأنفال «٨»: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ «٥٢» وقال تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ «٥٤».

يونس «١٠»: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا

تجعلنا فتنة للقوم الظالمين (٨٥) ونجنا برحمتك من القوم الكافرين (٨٦) وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين (٨٧) وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم (٨٨) قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون (٨٩) وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين (٩٠) آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (٩١) فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون (٩٢) ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (٩٣)﴾.

هود «١١»: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٩٦) إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد (٩٧) يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (٩٨) وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (٩٩)﴾.

الإسراء «١٧»: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا (١٠١) قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا (١٠٢) فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا (١٠٣) وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا (١٠٤)﴾.

طه «٢٠»: ﴿وهل أتاك حديث موسى (٩) إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى (١٠) فلما أتاها نودي يا موسى (١١) إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى (١٢) وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى (١٣) إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري (١٤) إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى (١٥) فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى (١٦) وما تلك بيمينك يا موسى (١٧) قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى (١٨) قال ألقها يا موسى (١٩) فألقاها فإذا هي حية تسعى (٢٠) قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى (٢١) واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى (٢٢) لنريك من آياتنا الكبرى (٢٣) اذهب إلى فرعون إنه طغى (٢٤) قال رب اشرح لي صدري (٢٥) ويسر لي أمري (٢٦) واحلل عقدة من لساني (٢٧) يفقهوا قولي (٢٨) واجعل لي وزيرا من أهلي (٢٩) هارون أخي (٣٠) اشدد به أزري (٣١) وأشركه في أمري (٣٢) كي نسبحك كثيرا (٣٣) ونذكرك كثيرا (٣٤) إنك كنت بنا بصيرا (٣٥) قال قد أوتيت سؤلك يا موسى (٣٦) ولقد مننا عليك مرة أخرى (٣٧) إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى (٣٨) أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني (٣٩) إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى (٤٠) واصطنعتك

لِنَفْسِي (٤١) اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨) قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣) إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦) وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ (٧٩)﴾.

المؤمنون «٢٣»: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٨) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩)﴾.

الشعراء «٢٦»: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ

ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

النمل «٢٧»: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾.

القصص «٢٨»: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾

وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ «٤٩».

ص «٣٨»: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ «١٢».

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

الزخرف: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

الدخان «٤٤»: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾.

الذاريات «٥١»: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

القمر «٥٤»: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾.

الصف «٦١»: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ «٥».

المزمل «٧٣»: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾.

النازعات «٧٩»: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

الفجر «٨٩»: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ «١٠».

تفسير: قال الطبرسيّ طيّب الله رمسه: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي من قومه وأهل دينه ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ أي يكلّفونكم ويذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ واختلفوا في هذا العذاب فقال قوم: ما ذكر بعده؛ وقيل: ما كان يكلّفونهم من الأعمال الشاقّة فمنها أنّهم جعلوهم أصنافاً: فصنف يخدمونهم، وصنف يحرسون لهم، ومن لا يصلح منهم للعمل ضربوا الجزية عليهم، وكانوا مع ذلك ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ أي يدعونهنّ أحياءً ليستعبدن، وينكحن على وجه الاسترقاق، وهذا أشدّ من الذبح ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ أي وفي سومكم العذاب وذبح الأبناء ﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أي ابتلاء عظيم من ربكم لما خلا بينكم وبينه؛ وقيل: أي وفي نجاتكم نعمةٌ عظيمةٌ من الله، وكان السبب في قتل الأبناء أنّ فرعون رأى في منامه أنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس حتّى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل فهاله ذلك ودعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه فقالوا له: إنّه يولد في بني إسرائيل غلامٌ يكون على يده هلاكك وذهاب ملكك وتبديل دينك، فأمر فرعون بقتل كلّ غلام يولد في بني إسرائيل وجمع القوابل من أهل مملكته فقال لهنّ: لا يسقط على أيديكنّ غلامٌ من بني إسرائيل إلاّ قتل، ولا جارية إلاّ تركت، ووكّل بهنّ فكنّ يفعلن ذلك، فأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل؛ فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له: إنّ الموت وقع على بني إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم، فيوشك أن يقع العمل علينا؛ فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فولد هارون في السنة الّتي لا يذبحون فيها فترك، وولد موسى في السنة الّتي يذبحون فيها.

واذكروا ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ أي فرقنا بين المائين حتّى مررتم فيه وكنتم فرقاً بينهما تمرّون في طريق يبس؛ وقيل: فرقنا البحر بدخولكم إيّاه فوقع بين كلّ فرقتين من البحر طائفة منكم يسلكون طريقاً يابساً فوقع الفرق بكم ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ لم يذكر فرعون لظهوره وذكره في مواضع ويجوز أن يريد بآل فرعون نفسه.

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي تشاهدون أنّهم يغرقون، وجملة القصّة ما ذكره ابن عبّاس أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى: أن أسر ببني إسرائيل من مصر، فسرى موسى ببني إسرائيل ليلاً فأتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث، وكان موسى في ستّمائة ألف وعشرين ألفاً، فلمّا عاينهم فرعون قال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿حَٰذِرُونَ﴾ فسرى موسى

بني إسرائيل حتّى هجموا على البحر فالتفتوا فإذا هم برهج دوابّ فرعون، فقالوا: يا موسى ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ هذا البحر أمامنا، وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه، فقال موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فقال له يوشع بن نون: بمَ أمرت؟ قال: أمرت أن أضرب بعصاي البحر، قال: اضرب، وكان الله أوحى إلى البحر: أن أطع موسى إذا ضربك، قال: فبات البحر له أفكل أي رعدة لا يدري في أيّ جوانبه يضربه، فضرب بعصاه البحر فانفلق وظهر اثنا عشر طريقاً، فكان لكلّ سبط منهم طريق يأخذون فيه، فقالوا: إنّا لا نسلك طريقاً ندياً، فأرسل الله ريح الصبا حتّى جفّفت الطريق كما قال: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ فجروا، فلمّا أخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض: ما لنا لا نرى أصحابنا؟ فقالوا لموسى: أين أصحابنا؟ فقال: في طريق مثل طريقكم، فقالوا: لا نرضى حتّى نراهم، فقال موسى عليه السلام: اللّهم أعنّي على أخلاقهم السيّئة، فأوحى الله إليه: أن قل بعصاك هكذا وهكذا يميناً وشمالاً، فأشار بعصاه يميناً وشمالاً فظهر كالكوّ ينظر منها بعضهم إلى بعض، فلمّا انتهى فرعون إلى ساحل البحر وكان على فرس حصان أدهم فهاب دخول الماء تمثّل له جبرئيل على فرس أنثى وديق وتقحّم البحر، فلمّا رآها الحصان تقحّم خلفها، ثمّ تقحم قوم فرعون وميكائيل يسوقهم، فلمّا خرج آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون البحر أطبق الله عليهم الماء فغرقوا جميعاً ونجا موسى ومن معه(١).

﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أي أشراف قومه وذوي الأمر منهم ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ أي ظلموا أنفسهم بجحدها؛ وقيل: فظلموا بها بوضعها غير مواضعها فجعلوا بدل الإيمان بها الكفر والجحود، قال وهب: وكان اسم فرعون الوليد بن مصعب وهو فرعون يوسف، وكان بين اليوم الّذي دخل يوسف مصر واليوم الّذي دخلها موسى رسولاً أربعمائة عام ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أي حقيقٌ على ترك القول على الله إلا الحقّ، وقال الفرّاء: ﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى الباء، أي حقيقٌ بأن لا أقول؛ وقيل: أي حريص على أن لا أقول ﴿بِبَيِّنَةٍ﴾ أي بحجّة ومعجزة ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي فأطلق بني إسرائيل عن عقال التسخير، وخلّهم يرجعوا إلى الأرض المقدّسة ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي حيّةٌ عظيمةٌ بيّنٌ ظاهر أنّه ثعبان بحيث لا يشتبه على الناس، ولم يكن ممّا يخيّل أنّه حيّة وليس بحيّة.

وقيل: إنّ العصا لمّا صارت حيّةً أخذت قبّة فرعون بين فكّيها وكان ما بينهما ثمانون ذراعاً، فتضرّع فرعون إلى موسى بعد أن وثب من سريره وهرب منها وأحدث، وهرب الناس، ودخل فرعون البيت وصاح: يا موسى خذها وأنا أؤمن بك، فأخذها موسى فعادت عصا، عن ابن عبّاس والسدّيّ؛ وقيل: كان طولها ثمانين ذراعاً ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ قيل: إنّ فرعون

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٢٠٥.

قال له: هل معك آية أخرى؟ قال: نعم، فأدخل يده في جيبه - وقيل: تحت إبطه - ثمّ نزعها أي أخرجها منه وأظهرها ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ أي لونها أبيض نوريّ، ولها شعاع يغلب نور الشمس، وكان موسى آدم فيما يروى، ثمّ أعاد اليد إلى كمّه فعادت إلى لونها الأوّل، عن ابن عبّاس والسدّيّ؛ واختلف في عصاه فقيل: أعطاه ملك حين توجّه إلى مدين؛ وقيل: إنّ عصا آدم كانت من آس الجنّة حين أهبط فكانت تدور بين أولاده حتّى انتهت النوبة إلى شعيب، وكانت ميراثاً مع أربعين عصا كانت لآبائه، فلمّا استأجر شعيب موسى أمره بدخول بيت فيه العصيّ، وقال له: خذ عصا من تلك العصيّ، فوقع تلك العصا بيد موسى، فاستردّه شعيب وقال: خذ غيرها، حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات، في كلّ مرّة تقع يده عليها دون غيرها، فتركها في يده في المرّة الرابعة، فلمّا خرج من عنده متوجّهاً إلى مصر ورأى ناراً وأتى الشجرة فناداه الله تعالى: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ وأمره بإلقائها فألقاها فصارت حيّة فولّى هارباً، فناداه الله سبحانه ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ فأدخل يده بين لحييها فعادت عصا، فلمّا أتى فرعون ألقاها بين يديه على ما تقدّم بيانه؛ وقيل: كان الأنبياء يأخذون العصا تجنّباً من الخيلاء[1].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لمن دونهم من الحاضرين ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ بالسحر ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ أي يريد أن يستميل بقلوب بني إسرائيل إلى نفسه ويتقوّى بهم فيغلبكم بهم ويخرجوكم من بلدتكم ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ قيل: إنّ هذا قول الأشراف بعضهم لبعض على سبيل المشورة؛ ويحتمل أن يكون قالوا ذلك لفرعون، وإنّما قالوا: ﴿تَأْمُرُونَ﴾ بلفظ الجمع على خطاب الملوك، ويحتمل أيضاً أن يكون قول فرعون لقومه فتقديره: قال فرعون لهم: فماذا تأمرون؟ ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي لفرعون ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي أخّره وأخاه هارون، ولا تعجل بالحكم فيهما بشيء فتكون عجلتك حجّة عليك، وقيل: أخّره أي احبسه، والأوّل أصحّ ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ﴾ التي حولك ﴿حَٰشِرِينَ﴾ أي جامعين للسحرة يحشرون من يعلمونه منهم: عن مجاهد والسدّيّ، وقيل: هم أصحاب الشرط أرسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلاً، عن ابن عبّاس[2]. ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ وكانوا خمسة عشر ألفاً، وقيل: ثمانين ألفاً، وقيل: سبعين ألفاً، وقيل: بضعاً وثلاثين ألفاً، وقيل: كانوا اثنين وسبعين، اثنان من القبط وهما رئيسا القوم، وسبعون من بني إسرائيل؛ وقيل: كانوا سبعين ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي وإنّكم مع حصول الأجر لكم لمن المقرّبين، إلى المنازل الجليلة.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ أي قالت السحرة لموسى: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾ ما معك من العصا أوّلاً ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ لما معنا من العصيّ والحبال أوّلاً ﴿قَالَ أَلْقُواْ﴾ هذا أمر تهديد وتقريع ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي احتالوا في تحريك العصيّ والحبال بما جعلوا فيها من الزئبق حتّى تحرّكت بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وأنواع التمويه والتلبيس، وخيل إلى

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٢١.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٢٦.

النّاس أنّها تتحرّك على ما تتحرّك الحيّة ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي استدعوا رهبتهم حتّى رهبهم النّاس[1]. ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي فألقاها فصارت ثعباناً فإذا هي تبتلع ما يكذبون فيه أنّها حيّات ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ أي ظهر لأنّهم لمّا رأوا تلك الآيات الباهرة علموا أنّه أمر سماويّ لا يقدر عليه غير الله تعالى، فمنها قلب العصا حيّة، ومنها أكلها حبالهم وعصيّهم مع كثرتها، ومنها فناء حبالهم وعصيّهم في بطنه إمّا بالتفرّق وإمّا بالفناء عند من جوّزه؛ ومنها عودها عصا كما كانت من غير زيادة ولا نقصان، وكلّ من هذه الأمور يعلم كلّ عاقل أنّه لا يدخل تحت مقدور البشر، فاعترفوا بالتوحيد والنبوّة وصار إسلامهم حجّة على فرعون وقومه ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ﴾ أي قهر فرعون وقومه عند ذلك المجمع، وبهت فرعون وخلّى سبيل موسى ومن تبعه ﴿وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ أي انصرفوا أذلّاء مقهورين ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ألهمهم الله ذلك.

وقيل: إنّ موسى وهارون سجدا لله شكراً له على ظهور الحقّ فاقتدوا بهما فسجدوا معهما، وإنّما قال: ﴿وَأُلْقِيَ﴾ على ما لم يسمّ فاعله للإشارة إلى أنّه القاهم ما رأوا من عظيم الآيات حيث لم يتمالكوا أنفسهم عند ذلك أن وقعوا ساجدين ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ خصّوهما لأنّهما دعوا إلى الإيمان ولتفضيلهما، أو لئلّا يتوهّم متوهّم أنّهم سجدوا لفرعون لأنّه كان يدّعي أنّه ربّ العالمين[2]. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ﴾ أراد به التلبيس على الناس وإيهامهم أنّ إيمان السحرة لم يكن عن علم، ولكن لتواطؤ منهم ليذهبوا بأموالكم وملككم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ أي من كلّ شقّ طرفاً، قال الحسن: هو أن يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى؛ وقال غيره: وكذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى، قيل: أوّل من قطع الرجل وصلب فرعون صلبهم في جذوع النخل على شاطئ نهر مصر ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ راجعون إلى ربّنا بالتوحيد والإخلاص، والانقلاب إلى الله هو الانقلاب إلى جزائه، وغرضهم التسلّي في الصبر على الشدّة لما فيه من المثوبة مع مقابلة وعيده بوعيد أشدّ منه وهو عقاب الله ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا﴾ أي وما تطعن علينا وما تكره منّا إلا إيماننا بالله وتصديقنا بآياته الّتي جاءتنا ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي اصبب علينا الصبر عند القطع والصلب حتّى لا نرجع كفّاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أي وفّقنا للثبات على الإسلام إلى وقت الوفاة، قالوا: فصلبهم فرعون من يومه فكانوا أوّل النهار كفّاراً سحرة، وآخر النهار شهداء بررة؛ وقيل أيضاً: إنّه لم يصل إليهم وعصمهم الله منه.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لما أسلم السحرة ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ﴾ أي أتتركهم أحياءً ليظهروا خلافك ويدعوا الناس إلى مخالفتك ليغلبوا عليك فيفسد به ملكك، وروي عن ابن عبّاس أنّه لمّا آمن السحرة أسلم من بني إسرائيل ستّة مائة ألف نفس واتّبعوه ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ قال ابن عبّاس: كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل، فلمّا كان من أمر موسى ما كان

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٢٧. (٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٣٠.

أمر بإعادة القتل عليهم، فشكا ذلك بنو إسرائيل إلى موسى فعند ذلك قال: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ في دفع بلاء فرعون عنكم ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ على دينكم ﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ﴾ أي ينقلها إلى من يشاء نقل المواريث ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي تمسكوا بالتقوى فإنّ حسن العاقبة في الدارين للمتّقين ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي بنو إسرائيل لموسى: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ أي عذّبنا فرعون بقتل الأبناء واستخدام النساء قبل أن تأتينا بالرسالة ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ أيضاً، ويتوعّدنا ويأخذ أموالنا ويكلّفنا الأعمال الشاقّة فلم ننتفع بمجيئك، وهذا يدلّ على أنّه جرى فيهم القتل والتعذيب مرّتين. قال الحسن: كان فرعون يأخذ الجزية قبل مجيء موسى وبعده من بني إسرائيل، وهذا كان استبطاءً منهم لما وعدهم موسى من النجاة، فجدّد لهم عليه السلام الوعد ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ وعسى من الله موجب ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي يملّككم ما كانوا يملكونه في الأرض من بعدهم ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ شكراً لما منحكم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ اللّام للقسم أي عاقبنا قوم فرعون بالجدوب والقحط ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ يعني الخصب والنعمة والسعة في الرزق والسلامة والعافية ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَـٰذِهِۦ﴾ أي إنّا نستحقّ ذلك على العادة الجارية لنا، ولم يعلموا أنّه من عند الله تعالى فيشكروه ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي جوعٌ وبلاءٌ وقحط المطر وضيق الرزق وهلاك الثمر والمواشي ﴿يَطَّيَّرُوا۟﴾ أي يتطيّروا ويتشأموا بموسى ومن معه، وقالوا: ما رأينا شرًّا حتّى رأيناكم ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ معناه: ألا إنّ الشؤم الّذي يلحقهم هو الّذي وعدوا به من العقاب عند الله يفعل بهم في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا، أو أنّ الله هو الّذي يأتي بطائر البركة وطائر الشؤم من الخير والشرّ والنفع والضرّ، فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الشرّ من قبله؛ وقيل: أي ما تشأموا به محفوظ عليهم حتّى يجازيهم الله به يوم القيامة ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي قوم فرعون لموسى: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾ أي أيّ شيء تأتينا به من المعجزات ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ أي لتموّه علينا بها حتّى تنقلنا عن دين فرعون.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ قال ابن عبّاس وابن جبير وقتادة ومحمّد بن إسحاق ورواه عليّ بن إبراهيم بإسناده عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام دخل حديث بعضهم في بعض قالوا: لمّا آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً وأبى هو وقومه إلاّ الإقامة على الكفر قال هامان لفرعون: إنّ الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كلّ من آمن به من بني إسرائيل، فتابع الله عليهم بالآيات، وأخذهم بالسنين ونقص الثمرات، ثمّ بعث عليهم الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتّى خرجوا إلى البرّيّة وضربوا الخيام، وامتلأت بيوت القبط ماءً، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة وأقام الماء على وجه أرضيهم لا يقدرون على أن يحرثوا، فقالوا لموسى: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أن يكشف عنّا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربّه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا؛ وقال هامان لفرعون:

لئن خلّيت بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك، وأنبت الله لهم في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمر ما أعشبت به بلادهم وأخصبت، فقالوا: ما كان هذا الماء إلاّ نعمة علينا وخصباً، فأنزل الله عليهم في السنة الثانية - عن عليّ بن إبراهيم وفي الشهر الثاني عن غيره من المفسّرين - الجراد، فجردت زروعهم وأشجارهم حتّى كانت تجرد شعورهم ولحاهم، وتأكل الأبواب والثياب والأمتعة، وكانت لا تدخل بيوت بني إسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء، فعجّوا وضجّوا وجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً، وقال: ﴿يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أن يكفّ عنّا الجراد حتّى أخلّي عن بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيّام من السبت إلى السبت.

وقيل: إنّ موسى عليه السلام برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت حتّى كأن لم يكن قطّ، ولم يدع هامان فرعون أن يخلّي عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة - في رواية عليّ بن إبراهيم وفي الشهر الثالث عن غيره من المفسّرين - القمّل وهو الجراد الصغار الّذي لا أجنحة له وهو شرّ ما يكون وأخبثه، فأتى على زروعهم كلّهم واجتثّها من أصلها، فذهبت زروعهم ولحس الأرض كلّها.

وقيل: أمر موسى عليه السلام أن يمشي إلى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس فأتاه فضربه بعصاه فانثال عليهم قمّلاً، فكان يدخل بين ثوب أحدهم فيعضّه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملاً.

قال ابن جبير: القمّل: السوس الّذي يخرج من الحبوب، فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحى فلا يردّ منها ثلاثة أقفزة، فلم يصابوا ببلاء كان أشدّ عليهم من القمّل، وأخذت أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم، ولزمت جلودهم كأنّها الجدريّ عليهم، ومنعتهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا، فقال فرعون لموسى: ادع لنا ربّك لئن كشف عنّا القمل لأكفّنّ عن بني إسرائيل، فدعا موسى عليه السلام حتّى ذهب القمّل بعدما أقام عندهم سبعة أيّام من السبت إلى السبت، فنكثوا، فأنزل الله عليهم في السنة الرابعة - وقيل في الشهر الرابع - الضفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلأت منها بيوتهم وأبنيتهم، فلا يكشف أحدهم ثوباً ولا إناءً ولا طعاماً ولا شراباً إلاّ وجد فيه الضفادع، وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم ما فيها، وكان الرجل يجلس إلى ذقنه من الضفادع ويهمّ أن يتكلّم فيثب الضفدع في فيه، ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، فلقوا منها أذىً شديداً، فلمّا رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى وقالوا: هذه المرّة نتوب ولا نعود، فادع الله أن يذهب عنّا الضفادع فإنّا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثمّ دعا ربّه فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام عليهم سبعاً من السبت إلى السبت، ثمّ نقضوا العهد وعادوا لكفرهم؛ فلمّا كانت السنة الخامسة أرسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دماً، فكان القبطيّ يراه دماً، والإسرائيليّ يراه ماءً؛ فإذا شربه الإسرائيليّ كان ماءً وإذا شربه القبطيّ يراه دماً، وكان

القبطيّ يقول للإسرائيليّ: خذ الماء في فيك وصبّه في فيّ، فكان إذا صبّه في فم القبطيّ تحول دماً، وإنّ فرعون اعتراه العطش حتّى أنّه ليضطرّ إلى مضغ الأشجار الرطبة، فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه دماً، فمكثوا في ذلك سبعة أيّام لا يأكلون إلاّ الدم ولا يشربون إلاّ الدم.

قال زيد بن أسلم: الدم الّذي سلّط عليهم كان الرعاف، فأتوا موسى فقالوا: ادع لنا ربّك يكشف عنّا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فلمّا دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني إسرائيل ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ أي العذاب وهو ما نزل بهم من الطوفان وغيره؛ وقيل: هو الطاعون أصابهم فمات من القبط سبعون ألف إنسان، وهو العذاب السادس، عن ابن جبير؛ ومثله ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه أصابهم ثلج أحمر فماتوا فيه وجزعوا.

﴿قَالُوا﴾ أي فرعون وقومه: ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي بما تقدّم إليك أن تدعوه به، فإنّه يجيبك كما أجابك في آياتك، أو بما عهد إليك أنّا لو آمنّا لرفع عنّا العذاب، أو بما عهد عندك من النبوّة، فالباء للقسم ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ﴾ يعني الأجل الّذي غرقهم الله فيه ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ أي ينقضون العهد ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي فجازيناهم على سوء صنيعهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ أي البحر ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ أي عن نزول العذاب بهم، أو المعنى أنّا عاقبناهم بتكذيبهم وتعرّضهم لأسباب الغفلة وعملهم عمل الغافل عنها.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يعني بني إسرائيل، فإنّ القبط كانوا يستضعفونهم، فأورثهم الله بأن مكّنهم وحكم لهم بالتصرّف بعد إهلاك فرعون وقومه، فكأنّهم ورثوا منهم ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ الّتي كانوا فيها، يعني جهات الشرق والغرب منها، يريد به ملك فرعون من أدناه إلى أقصاه؛ وقيل: هي أرض الشام ومصر؛ وقيل: هي أرض الشام شرقها وغربها؛ وقيل: أرض مصر. قال الزجّاج: كان من بني إسرائيل داود وسليمان ملكوا الأرض ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بإخراج الزروع والثمار وسائر صنوف النبات والأشجار والعيون والأنهار وضروب المنافع ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي صحّ كلام ربّك بإنجاز الوعد بإهلاك عدوّهم واستخلافهم في الأرض؛ وقيل: وعد الجنّة بما صبروا على أذى فرعون وقومه ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ أي أهلكنا ما كانوا يبنون من الأبنية والقصور والديار ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ من الأشجار والأعناب والثمار، أو يسقّفون من القصور والبيوت[1].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ أي ما أتى به من المعجزات والبراهين ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ أي إنّه لسحرٌ، فاستأنف إنكاراً وقال: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ أي لا

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٣٢.

يظفرون بحجّة ﴿لِتَلْفِتَنَا﴾ أي لتصرفنا ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ أي الملك والعظمة والسلطان ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي في أرض مصر، أو الأعمّ ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ إنّما فعل ذلك للجهل بأنّ ما أتى به موسى عليه السلام من عند الله وليس بسحر، وبعد ذلك علم فعاند؛ وقيل: علم أنّه ليس بسحر ولكنّه ظنّ أنّ السحر يقاربه مقاربة تشبيه ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي يظهره ويثبته وينصر أهله ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي بمواعيده؛ وقيل: بكلامه الّذي يتبيّن به معاني الآيات الّتي آتاها نبيّه؛ وقيل: بما سبق من حكمه في اللّوح المحفوظ بأنّ ذلك سيكون ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ أي أولاد من قوم فرعون، أو من قوم موسى وهم بنو إسرائيل الّذين كانوا بمصر، واختلف من قال بالأوّل فقيل: إنّهم قوم كانت أُمّهاتهم من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط فاتّبعوا أُمّهاتهم وأخوالهم، عن ابن عبّاس؛ وقيل: إنّهم ناس يسير من قوم فرعون منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وجاريته وامرأة هي ماشطة امرأة فرعون؛ وقيل: إنّهم بعض أولاد القبط لم يستجب آباؤهم موسى عليه السلام. واختلف من قال بالثاني فقيل: هم جماعة من بني إسرائيل أخذهم فرعون بتعلّم السحر وجعلهم من أصحابه فآمنوا بموسى؛ وقيل: أراد مؤمني بني إسرائيل وكانوا ستّمائة ألف، وكان يعقوب دخل مصر منهم باثنين وسبعين إنساناً فتوالدوا حتّى بلغوا ستّمائة ألف، وإنّما سمّاهم ذرّيّة على وجه التصغير لضعفهم، عن ابن عبّاس في رواية أخرى. وقال مجاهد: أراد بهم أولاد الّذين أُرسل إليهم موسى عليه السلام من بني إسرائيل لطول الزمان هلك الآباء وبقي الأبناء ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ يعني آمنوا وهم خائفون من معرّة فرعون ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ أي رؤساءهم ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ أي يصرفهم عن الدين بأن يمتحنهم بمحنة لا يمكنهم الصبر عليها فينصرفون عن الدين ﴿لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي مستكبر طاغ ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي المجاوزين الحدّ في العصيان ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ أي لا تمكّن الظالمين من ظلمنا بما يحملنا على إظهار الانصراف عن ديننا، أو لا تظهرهم علينا فيفتتن بنا الكفّار ويقولوا: لو كانوا على الحقّ لما ظهرنا عليهم.

وروى زرارة ومحمّد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنّ معناه: لا تسلّطهم علينا فتفتنهم بنا. ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا﴾ أي اتّخذا لمن آمن بكما بمصر ﴿بُيُوتًا﴾ يسكنونها ويأوون إليها ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ﴾ سيأتي تفسيره ﴿زِينَةً﴾ من الحليّ والثياب؛ وقيل: الزينة: الجمال وصحّة البدن وطول القامة وحسن الصورة، وأموالاً يتعظّمون بها في الحياة الدنيا ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟﴾ اللّام للعاقبة؛ وقيل: معناه: لئلاّ يضلّوا فحذفت لا ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ﴾ المراد بالطمس على الأموال تغييرها عن جهتها إلى جهة لا ينتفع بها. قال عامّة أهل التفسير: صارت جميع أموالهم حجارة حتّى السكّر والفانيذ ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي ثبّتهم على المقام ببلدهم بعد إهلاك أموالهم فيكون ذلك أشدّ عليهم؛ وقيل: أي أمتهم وأهلكهم بعد سلب أموالهم؛ وقيل: إنّه عبارة عن الخذلان والطبع ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ يحتمل النصب والجزم فأمّا النصب فعلى جواب صيغة الأمر بالفاء، أو بالعطف على ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ وما بينهما اعتراض وأمّا الجزم فعلى

وجه الدعاء عليهم؛ وقيل: إنّ معناه: فلا يؤمنون إيمان اختيار أصلاً ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ قال ابن جريح: مكث فرعون بعد هذا الدعاء أربعين سنة، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أي فاثبتا على ما أمرتما به من دعاء الناس إلى الإيمان ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ أي ليبغوا عليهم ويظلموهم ﴿قَالَ ءَامَنتُ﴾ كان ذلك إيمان إلجاء لا يستحقّ به الثواب فلم ينفعه ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ أي قيل له: الآن آمنت حين لم ينفع الإيمان وقد عصيت بترك الإيمان في حال ينفعك؟ فهلّا آمنت قبل ذلك؟! ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ في الأرض، والقائل جبرئيل أو هو الله تعالى ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ قال أكثر المفسّرين: معناه: لمّا أغرق الله تعالى فرعون وقومه أنكر بعض بني إسرائيل غرق فرعون وقالوا: هو أعظم شأناً من أن يغرق، فأخرجه الله حتّى رأوه، فذلك قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ أي نلقيك على نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع بجسدك من غير روح، وذلك أنّه طفا عرياناً؛ وقيل: معناه: نخلّصك من البحر وأنت ميّت، والبدن: الدرع، قال ابن عبّاس: كانت عليه درع من ذهب يعرف بها، فالمعنى: نرفعك فوق الماء بدرعك المشهورة ليعرفوك بها ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ أي نكالاً ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ أي مكّنّاهم مكاناً محموداً وهو بيت المقدس والشام، وقال الحسن: يريد به مصر، وذلك أنّ موسى عبر بني إسرائيل البحر ثانياً، ورجع إلى مصر وتبوّأ مساكن آل فرعون ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي اليهود ما اختلفوا في تصديق محمّد صلى الله عليه وآله حتّى جاءهم العلم وهو القرآن، أو العلم بحقّيّته، أو ما اختلف بنو إسرائيل إلاّ بعدما جاءهم الحقّ على يد موسى وهارون، فإنّهم كانوا مطبقين على الكفر قبل مجيء موسى، فلمّا جاءهم آمن به بعضهم، وثبت على الكفر بعضهم فصاروا مختلفين[1].

﴿بِرَشِيدٍ﴾ أي مرشد ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ﴾ أي يمشي بين يدي قومه يوم القيامة على قدميه حتّى يهجم بهم إلى النار ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ أي بئس الماء الّذي يردونه عطاشاً لإحياء نفوسهم النّار، وإنّما أطلق سبحانه على النار اسم الورد المورود ليطابق ما يرد عليه أهل الجنّة من الأنهار والعيون ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ أي بئس العطاء المعطى النار واللّعنة[2].

﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾ اختلف فيها فقيل: هي يد موسى، وعصاه، ولسانه، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدم؛ وقيل: الطوفان، والجراد، والقمّل والضفادع، والدم، والبحر، والعصا، والطمسة، والحجر؛ وقيل بدل الطمسة اليد؛ وقيل بدل البحر والطمسة والحجر: اليد والسنين ونقص الثمرات، وقال الحسن مثل ذلك إلاّ أنّه جعل الأخذ بالسنين ونقص الثمرات آية واحدة، وجعل التاسعة تلقّف العصا ما يأفكون؛ وقيل: إنّها تسع آيات في الأحكام ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أمر للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يسأل بني إسرائيل لتكون الحجّة عليهم أبلغ؛ وقيل: إنّ المعنى: فاسأل أيّها السامع.

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢١٣.

(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٢٧.

﴿مَسْحُورًا﴾ أي معطى علم السحر أو ساحراً، فوضع المفعول موضع الفاعل؛ وقيل: أي إنّك سحرت فأنت تحمل نفسك على ما تقوله للسحر الّذي بك ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي هذه الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ الّذي خلقهن ﴿بَصَآئِرَ﴾ وروي أنّ عليّاً عليه السلام قال في ﴿عَلِمْتَ﴾: والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الّذي علم، فقال: لقد علمت ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ أي لاعلمك ﴿يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ أي هالكاً، وقيل: ملعوناً، وقيل: مخبولاً لا عقل لك، وقيل: بعيدا عن الخير ﴿فَأَرَادَ﴾ أي فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ أي يزعج موسى ومن معه من الأرض أي من أرض مصر وفلسطين والأردنّ بالنفي عنها وقيل: بأن يقتلهم ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد هلاك فرعون ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرض مصر والشام ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي يوم القيامة، أي وعد الكرّة الآخرة، وقيل: أراد نزول عيسى ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي من القبور إلى الموقف للحساب والجزاء مختلطين، التفّ بعضكم ببعض لا تتعارفون، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته، وقيل: ﴿لَفِيفًا﴾ أي جميعاً.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ هذا ابتداء وإخبار من الله على وجه التحقيق إذ لم يبلغه، فيقول: هل سمعت بخبر فلان؟ وقيل: إنّه استفهام تقرير بمعنى الخبر أي وقد أتاك ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ قال ابن عبّاس، كان موسى رجلاً غيوراً لا يصحب الرفقة لئلا ترى امرأته.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ وفارق مدين خرج ومعه غنم له، وكان أهله على أتان وعلى ظهرها جوالق له فيها أثاث البيت فأضل الطريق في ليلة مظلمة سوداء، وتفرقت ماشيته، ولم تنقدح زنده، وامرأته في الطلق، ورأى ناراً من بعيد كانت عند الله نوراً وعند موسى ناراً ﴿فَقَالَ﴾ عند ذلك ﴿لِأَهْلِهِ﴾ وهي بنت شعيب كان تزوجها بمدين: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾ أي الزموا مكانكم ﴿بِقَبَسٍ﴾ أي بشعلة أقتبسها من معظم النّار تصطلون بها ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ أي هادياً يدلني على الطريق، أو علامة أستدل بها عليه، لأنّ النّار لا تخلو من أهل لها وناس عندها ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ قال ابن عبّاس: لمّا توجه نحو النّار فإذا النّار في شجرة عناب، فوقف متعجباً من حسن ضوء تلك النّار وشدّة خضرة تلك الشجرة، فسمع النداء والشجرة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ قال وهب: نودي من الشجرة: يا موسى، فأجاب سريعاً لا يدري من دعاه فقال: إنّي أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فقال: أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك، فعلم أنّ ذلك لا ينبغي إلا لربه عزّ وجلّ وأيقن به، وإنّما علم آية موسى عليه السلام أنّ هذا النداء من قبل الله سبحانه لمعجز أظهره الله تعالى، كما قال في موضع آخر: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ إلى آخره.

وقيل: إنّه لمّا رأى شجرةً خضراء من أسفلها إلى أعلاها يتوقّد فيها نار بيضاء، وسمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً لم تكن الخضرة تطفئ النّار ولا النّار تحرق الخضرة تحيّر وعلم أنّه معجز خارق للعادة وأنّه لأمر عظيم، فألقيت عليه السكينة، ثمّ نودي: ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ

﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ قد مرّ تفسيره ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ أي المبارك أو المطهر ﴿طُوٗى﴾ هو اسم الوادي، وقيل: سمّي به لأنه قدّس مرتين، فكأنّه طوي بالبركة مرتين.

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ أي اصطفيتك بالرسالة ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ إليك من كلامي وأصغ إليه ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ أي لأن تذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم، أو لأن أذكرك بالمدح والثناء، وقيل: معناه: وصلّ لي ولا تصلّ لغيري، وقيل: أي أقم الصلاة متى ذكرت أنّ عليك صلاة، كنت في وقتها أو لم تكن، عن أكثر المفسّرين، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ يعني إنّ القيامة قائمة لا محالة ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ أي اريد أن اخفيها عن عبادي لئلا تأتيهم إلاّ بغتة، وروي عن ابن عبّاس «أكاد اخفيها من نفسي» وهي كذلك في قراءة أُبي، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام، والتقدير: إذا كدت اخفيها من نفسي فكيف أظهرها لك؟ وهذا شائع بين العرب، وقال أبو عبيدة: معنى أُخفيها: أُظهرها، ودخلت ﴿أَكَادُ﴾ تأكيداً، أي أوشك أن اقيمها ﴿بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ أي بما تعمل من خير وشر ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا﴾ أي لا يصرفنّك عن الصلاة من لا يؤمن بالساعة، أو لا يمنعنّك عن الإيمان بالساعة من لا يؤمن بها، وقيل: عن العبادة ودعاء النّاس إليها، وقيل: عن هذه الخصال ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ الهوى: ميل النفس إلى الشيء ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾ أي فتهلك[1].

﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ﴾ سأله عمّا في يده من العصا ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا﴾ أي أعتمد عليها إذا مشيت ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ أي وأخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمي ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ أي حاجات أُخر، قال ابن عبّاس: كان يحمل عليها زاده، ويركزها فيخرج منها الماء، ويضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل، وكان يطرد بها السباع، وإذا ظهر عدوّ حاربت، وإذا أراد الاستقاء من بئر طالت وصارت شعبتاها كالدلو، وكان يظهر عليها كالشمعة فيضيء له اللّيل، وكانت تحرسه وتؤنسه، وإذا طالت شجرة حناها بمحجنها ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ﴾ أي تمشي بسرعة، وقيل: صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس، وجعلت تتورم حتّى صارت ثعباناً وهي أكبر الحيات، عن ابن عبّاس، وقيل: إنه ألقاها فحانت منه نظرة فإذا هي بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون، يمرّ بالصخرة مثل الخلفة[2] من الإبل فيلقمها، ويطعن أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها، وعيناه تتوقّدان ناراً، وقد عاد المحجن عنقاً فيه شعر مثل النيازك، فلمّا عاين ذلك ولى مدبراً ولم يعقب ثمّ ذكر ربّه فوقف استحياء منه ثمّ نودي: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ ارجع إلى حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف ﴿قَالَ خُذۡهَا﴾ بيمينك ﴿وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ أي إلى الحالة الأولى عصا، وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خلها بخلال، فلمّا أمره سبحانه بأخذها أدلى طرف المدرعة على يده فقال. ما لك يا موسى؟ أرأيت لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً؟ قال: لا ولكنّي ضعيف

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٩٩.
(٢) الخلفة: بكسر اللام، الحامل من النوق (منه رحمه الله).

ومن ضعف خلقت، وكشف عن يده ثمّ وضعها في فم الحيّة وإذا يده في الموضع الّذي كان يضعها إذا توكأ عليها بين الشعبتين، عن وهب، قال: وكانت العصا من عوسج، وكان طولها عشرة أذرع على مقدار قامة موسى ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أي إلى ما تحت عضدك أو إلى جنبك، وقيل: أدخلها في جيبك كني عن الجيب بالجناح ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ لها نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشدّ ضوءاً[(١)].

﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ قال البيضاويّ: أي معجزة ثانية، وهي حال من ضمير ﴿تَخْرُجْ﴾ كبيضاء، أو من ضميرها، أو مفعول بإضمار خذ أو دونك ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ متعلّق بهذا المضمر، أو بما دلّ عليه آية أو القصّة، أي دللنا بها أو فعلنا ذلك لنريك، والكبرى صفة آياتنا، أو مفعول نريك، و﴿مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ حال منها[(٢)].

﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ قال الطبرسيّ: أي أوسع لي صدري حتّى لا أضجر ولا أخاف ولا أغتم ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ أي سهل عليّ أداء ما كلفتني من الرسالة ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ أي أطلق عن لساني العقدة الّتي فيه حتّى يفهموا كلامي، وكان في لسانه رتّة[(٣)] لا يفصح معها بالحروف تشبه التمتمة، وقيل: إنّ سببها جمرة طرحها في فيه لمّا أخذ بلحية فرعون فأراد قتله، فامتحن بإحضار الدرّة والجمرة فأراد موسى أخذ الدرّة فضرب جبرئيل يده إلى الجمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه، وقيل: إنّه انحلّ أكثر ما كان بلسانه إلا بقيّة منه بدلالة قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ وقيل: استجاب الله دعاءه فأحلّ العقدة عن لسانه، وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي لا يأتي ببيان وحجّة، وإنّما قالوا ذلك تمويهاً ليصرفوا الوجوه عنه ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا﴾ يؤازرني على المضي إلى فرعون ويعاضدني عليه ﴿مِّنْ أَهْلِى﴾ ليكون أفصح ﴿هَـٰرُونَ أَخِى﴾ فكان أخاه لابيه وأمّه وكان بمصر ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ أي قوّ به ظهري ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ في النبوة ليكون أحرص عن مؤازرتي ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ أي ننزّهك عمّا لا يليق بك ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ أي نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ أي بأحوالنا وأمورنا عالماً ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ قال الصادق عليه السلام: حدّثني أبي، عن جدّي، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإنّ موسى بن عمران خرج يقتبس لاهله ناراً فكلّمه الله تعالى فرجع نبيّاً، وخرجت ملكة سبأ كافرة فأسلمت مع سليمان، وخرج سحرة فرعون يطلبون العزّة لفرعون فرجعوا مؤمنين[(٤)].

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ قال البيضاويّ: بالالهام، أو في المنام، أو على لسان نبيّ في وقتها، أو ملك لا على وجه النبوة، كما أوحى إلى مريم عليها السلام: ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ ما لا يعلم إلاّ بالوحي، أو

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٧. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٧٤.
(٣) الرتة بالضم: العجمة في الكلام بحيث لا يبين، ورترت: تعتع في التاء «منه رحمه الله»
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٨.

ممّا ينبغي أن يوحى ولا يخلّ به لفرط الاهتمام به ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ بأن اقذفيه، أو أي اقذفيه، لأنّ الوحي بمعنى القول، والقذف يقال للالقاء وللوضع ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ لما كان إلقاء البحر إيّاه إلى الساحل أمراً واجب الحصول لتعلق الارادات به جعل البحر كأنّه ذو تميز مطيع أمره بذلك، وأخرج الجواب مخرج الامر، والأولى أن يجعل الضمائر كلّها لموسى[1].

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ قال الطبرسيّ: أي لتربّى ولتغذّى بمرأى منّي أي يجري أمرك على ما اريد بك من الرفاهية في غذائك، وقيل: لتربّى ويطلب لك الرضاع على علم منّي ومعرفة لتصل إلى امّك، وقيل: لتربّى بحياطتي وحفظي، كما يقال في الدعاء بالحفظ: عين الله عليك ﴿إِذْ تَمْشِىٓ﴾ ظرف لألقيت أو لتصنع، وذلك أنّ أمّ موسى اتّخذت تابوتاً وجعلت فيه قطناً ووضعته فيه وألقته في النيل، فكان يشرع من النيل نهر كبير في باغ فرعون، فبينا هو جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذا التابوت يجيء على رأس الماء، فأمر بإخراجه فلمّا فتح رأسه إذا صبيّ من أحسن النّاس وجهاً، فأحبّه فرعون بحيث لم يتمالك، وجعل موسى يبكي ويطلب اللّبن، فأمر فرعون حتّى أتته النساء اللّواتي كن حول داره، فلم يأخذ موسى من لبن واحدة منهن، وكانت اخت موسى واقفة هناك إذ أمرتها أمها أن تتبع التابوت، فقالت: إنّي آتي بامرأة ترضعه، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ فقالوا: نعم، فجاءت بالأمّ، فقبل ثديها فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برؤيتك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ من خوف قتلك أو غرقك، وذلك أنّها حملته إلى بيتها آمنة مطمئنةً، قد جعل لها فرعون أجرةً على الرضاع ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ أي القبطيّ الكافر الّذي استغاثه عليه الاسرائيلي ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ أي من غمّ القتل وكربه، لأنّه خاف أن يقتصّوا منه بالقبطيّ ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ أي اختبرناك اختباراً حتّى خلصت للاصطفاء بالرسالة، أو خلصناك من محنة بعد محنة ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ أي حين كنت راعياً لشعيب ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي في الوقت الّذي قدّر لارسالك نبيّاً ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ أي لوحيي ورسالتي، أي اخترتك واتّخذتك صنيعتي، وأخلصتك لتنصرف على إرادتي ومحبّتي ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ أي بحججي ودلالاتي، وقيل: بالآيات التسع ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ أي ولا تضعفا ولا تفترا في رسالتي ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أي ارفقا به في الدعاء والقول ولا تغلظا له، أو كنياه، وكنيته أبوالوليد، وقيل: أبوالعباس، وقيل أبومرّة. وقيل: القول اللّين هو ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ وقيل: هو أنّ موسى أتاه فقال له: تسلم وتؤمن بربّ العالمين على أنّ لك شبابك ولا تهرم، وتكون ملكاً لا ينزع الملك منك حتّى تموت، ولا تنزع منك لذّة الطعام والشراب والجماع حتّى تموت، فإذا متّ دخلت الجنّة، فأعجبه ذلك، وكان لا يقطع أمراً دون هامان، وكان غائباً، فلمّا قدم هامان أخبره بالذي دعاه إليه وأنه يريد أن يقبل منه، فقال هامان: قد كنت أرى أنّ لك عقلاً ورأياً،

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٧٦.

بينا أنت ربّ تريد أن تكون مربوباً؟! وبينا أنت تُعبَد تريد أن تَعبُد؟! فقلبه عن رأيه ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ أي ادعواه على الرجاءِ والطمع لا على اليأس من فلاحه ﴿أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أن يتقدّم فينا بعذاب ويعجّل علينا ويبادر إلى قتلنا قبل أن يتأمّل حجّتنا ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ أي يتجاوز الحدّ في الاساءة بنا ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ بالنصرة والحفظ ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يسأله منكما فأُلهمكما جوابه ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يقصدكما به فأدفعه عنكما.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أطلقهم وأعتقهم من الاستعباد ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بالاستعمال في الأعمال الشاقّة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ لم يرد به التحيّة، بل معناه: من اتبع الهدى سلم من عذاب الله ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ أي من أيّ جنس من الاجناس هو؟ فبيّن موسى عليه السلام أنّه تعالى ليس له جنس، وإنّما يعرف بأفعاله ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أي صورته الّتي قدّرها له، ثمّ هداه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك، أو مثل خلقه. أي زوّجه من جنسه ثمّ هداه لنكاحه، أو أعطى خلقه كلّ شيء من النّعم في الدنيا ممّا يأكلون ويشربون وينتفعون به، ثمّ هداهم إلى طرق معايشهم وإلى امور دينهم ليتوصلوا بها إلى نعم الآخرة ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ أي فما حال الأُمم الماضية، فإنّها لم تقر بالله وما تدعو إليه بل عبدت الاوثان؟ وقيل: لمّا دعاه موسى إلى البعث قال: فما بالهم لم يبعثوا؟ قال موسى عليه السلام: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازيهم بها ﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللّوح، أو ما يكتبه الملائكة ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ أي لا يذهب عليه شيء ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ما كان من أمرهم بل يجازيهم بأعمالهم ﴿مَهْدًا﴾ أي فرشاً ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا﴾ أي أدخل لاجلكم في الأرض طرقاً تسلكونها ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي أصنافاً ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ أي فرعون ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ أي الآيات التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بجميعها ﴿وَأَبَىٰ﴾ أن يؤمن ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ أي تستوي مسافته على الفريقين[1].

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ وكان يوم عيد يتزينون فيه ويزينون فيه الاسواق ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ أي ضحى ذلك اليوم ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أي انصرف على ذلك الوعد ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ وذلك جمعه السحرة ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ أي حضر الموعد ﴿قَالَ لَهُم﴾ أي للسّحرة موسى فوعظهم فقال: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ هي كلمة وعيد وتهديد، أي ألزمكم الله الويل والعذاب ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن تنسبوا معجزتي إلى السحر، وسحركم إلى أنّه حقّ، وفرعون إلى أنّه معبودٌ ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ أي يستأصلكم ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي تشاور القوم وتفاوضوا في حديث موسى وفرعون وجعل كلّ منهم ينازع الكلام صاحبه، وقيل: تشاورت السحرة فيما هيّؤوه من الحبال والعصيّ وفيمن يبتدئ بالالقاء ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾ أي أخفوا كلامهم سرّاً من فرعون، فقالوا: إن غلبنا موسى اتبعناه، وقيل: إنّ موسى لمّا قال لهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر، وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون،

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢١.

وقيل: تناجوا مع فرعون وأسرّوا عن موسى وهارون.

قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ قاله فرعون وجنوده للسحرة ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ هي تأنيث الامثل، وهو الافضل، والمعنى: يريدان أن يصرفا وجوه النّاس إليهما، عن عليّ عليه السلام. وقيل: إنّ طريقتهم المثلى بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عدداً وأموالاً، وقيل: يذهبا بطريقتكم الّتي أنتم عليها في السيرة والدين ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ أي لا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ أي مصطفين مجتمعين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ أي قد سعد اليوم من غلب وعلا، قال بعضهم: إنّ هذا من قول فرعون للسحرة، وقال آخرون: بل هو من قول بعض السحرة لبعض ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى موسى أو إلى فرعون ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ أي تسير وتعدو مثل سير الحيّات، وإنّما قال: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ لانّها لم تكن تسعى حقيقة وإنّما تحركت لأنّهم جعلوا داخلها الزئبق، فلمّا حميت الشمس طلب الزئبق الصعود فحرّكت الشمس ذلك فظنّ أنّها تسعى[1].

﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ﴾ أي وجد في نفسه ما يجده الخائف، يقال: أوجس القلب فزعاً أي أضمر، والسبب في ذلك أنّه خاف أن يلتبس على النّاس أمرهم فيتوهمّوا أنّهم فعلوا مثل ما فعله، ويظنّوا المساواة فيشكّوا، وقيل: إنّه خوف الطباع إذا رأى الإنسان أمراً فظيعاً فإنّه يحذره ويخافه في أوّل وهلة، وقيل: إنّه خاف أن يتفرّق النّاس قبل إلقائه العصا وقبل أن يعلموا بطلان السحر فيبقوا في شبهة، وقيل: إنّه خاف لأنّه لم يدر أنّ العصا إذا انقلبت حيّة هل يظهر المزيّة؟ لأنّه لم يعلم أنّها تتلقّفها، وكان ذلك موضع خوف، لأنّها لو انقلبت حيّة ولم تتلقّف ما يأفكون ربّما ادّعوا المساواة، لاسيّما والاهواء معهم والدولة لهم، فلمّا تلقّفت زالت الشبهة ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ عليهم بالظفر والغلبة ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ قالوا: لمّا ألقى عصاه صارت حيّة وطافت حول الصفوف حتّى رآها النّاس كلّهم، ثمّ قصدت الحبال والعصي فابتلعتها كلّها على كثرتها، ثمّ أخذها موسى فعادت عصا كما كانت ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ أي حيث كان وأين أقبل ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ اي أستادكم، وقد يعجز التلميذ عمّا يفعله الأستاد، أو رئيسكم ما عجزتم عن معارضته ولكنكم تركتم معارضته احتشاماً واحتراماً، وإنّما قال ذلك لايهام العوام.

﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي عليها ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا﴾ أنا على إيمانكم أم ربّ موسى على ترككم الإيمان به ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ أي لن نختارك على ما جاءنا من البيّنات، أي المعجزات والادلة ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ أي وعلى الّذي فطرنا، أو الواو للقسم ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ أي فاصنع ما أنت صانعه، أو فاحكم ما أنت حاكمٌ فإنا لا نرجع عن الإيمان ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٤.

إنّما تصنع بسلطانك وتحكم في هذه الحياة الدنيا دون الآخرة فلا سلطان لك فيها، وقيل: معناه: إنّما تفنى وتذهب الحياة الدنيا ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾ من الشرك والمعاصي ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ إنّما قالوا ذلك لأنّ الملوك كانوا يجبرونهم على تعليم السحر كيلا يخرج من أيديهم، وقيل: إنّ السحرة قالوا لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم إياه، فإذا هو نائم وعصاه تحرسه، فقالوا: ليس هذا بسحر إنّ الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلا أن يعملوا، فذلك إكراههم ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ لنا منك وثوابه أبقى لنا من ثوابك، أو خير ثواباً للمؤمنين، وأبقى عقاباً للعاصين منك، وههنا انتهى الإخبار عن السحرة. ثمّ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ وقيل: إنّه من قول السحرة[1].

﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ﴾ قال البيضاويّ: فاجعل لهم، من قولهم: ضرب له في ماله سهماً، أو فاتّخذ، من ضرب اللّبن: إذا عمله ﴿يَبَسًا﴾ أي يابساً مصدر وصف به ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ أي آمناً من أن يدرككم العدوّ ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ أي فأتبعهم نفسه ومعه جنوده، فحذف المفعول الثاني، وقيل: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ بمعنى فاتّبعهم، ويؤيّده القراءة [به]، والباء للتعدية، وقيل: الباء مزيدة ﴿فَغَشِيَهُم﴾ الضمير لجنوده أو له ولهم وفيه مبالغة ووجازة أي غشيهم ما سمعت قصّته، ولا يعرف كنهه إلاّ الله ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ أي أضلّهم في الدين وما هداهم وهو تهكّم به في قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ أو أضلهم في البحر وما نجا[2].

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالآيات التسع ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وحجّة واضحة، ويجوز أن يراد به العصا، وإفرادها لأنّها أولى المعجزات ﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي متكبّرين ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ يعني بني إسرائيل ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ خادمون منقادون كالعباد[3].

﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ استئناف أتبعه إرساله للانذار تعجيباً له من إفراطهم في الظلم واجترائهم عليه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ رتب استدعاء ضمّ أخيه إليه واشتراكه له في الأمر على الامور الثلاثة: خوف التكذيب، وضيق القلب انفعالاً عنه، وازدياد الحبسة في اللّسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق، فإنّها إذا اجتمعت مسّت الحاجة إلى معين يقوّي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتّى لا تختلّ دعوته، وليس ذلك تعلّلاً منه وتوقفاً في تلقي الأمر بل طلب لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ أي تبعة ذنب، والمراد قتل القبطيّ، وإنّما سمّي ذنباً على زعمهم ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به قبل أداء الرسالة، وهو أيضاً ليس تعللاً وإنّما هو استدفاع للبليّة المتوقّعة. وقوله: ﴿كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ إجابة له إلى الطلبتين بوعده للدفع اللاّزم ردعه عن الخوف، وضمّ أخيه إليه في الارسال ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ يعني موسى وهارون وفرعون ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ سامعون لما يجري بينكما

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٩.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٨٧.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٦٩.

وبينه فأظهركما عليه ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أفرد الرسول لأنّه مصدر وصف به، أو لاتّحادهما للاخوّة، أو لوحدة المرسل والمرسل به، أو لأنّه أراد أنّ كلّ واحد منّا ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي خلّهم يذهبوا معنا إلى الشام ﴿قَالَ﴾ أي فرعون لموسى بعدما أتياه فقالا له ذلك: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ أي في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ طفلاً سمّي به لقربه من الولادة ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ قيل: لبث فيهم ثلاثين سنة، ثمّ خرج إلى مدين عشر سنين، ثمّ عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين، ثمّ بقي بعد الغرق خمسين[1].

وقال الطبرسيّ: أي أقمت سنين كثيرة عندنا، وهي ثماني عشرة سنة، عن ابن عبّاس، وقيل: ثلاثين سنة، وقيل: أربعين سنة ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ يعني قتل القبطيّ ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لنعمتنا وحق تربيتنا، وقيل: معناه: وأنت من الكافرين بإلهك إذ كنت معنا على ديننا الّذي تعيبه وتقول: إنّه كفر ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي من الجاهلين لم أعلم أنّها تبلغ القتل، وقيل: من الناسين، وقيل: من الضالّين عن طريق الصواب لاني ما تعمدته وإنّما وقع منّي خطأ، وقيل: من الضالّين عن النبوة، أي لم يوح إليّ تحريم قتله ﴿حُكْمًا﴾ أي نبوة، وقيل: هو العلم بما تدعو إليه الحكمة من التوراة والعلم بالحلال والحرام والأحكام ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يقال: عبّده وأعبده: إذا اتخذه عبداً، وفيه أقوال:

أحدها: أنّ فيه اعترافاً بأن تربيته له كانت نعمة منه على موسى وإنكاراً للنعمة في ترك استعباده ويكون ألف التوبيخ مضمراً فيه، فكأنّه قال: أتقول: وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بني إسرائيل ولم تعبدني؟!

وثانيها: أنّه إنكار للمنة أصلاً، ومعناه: أتمن بأن ربّيتني مع استعبادك قومي؟ هذه ليست بنعمة، يريد أنّ اتخاذك بني إسرائيل الّذين هم قومي عبيداً أحبط نعمتك الّتي تمن بها عليّ.

وثالثها: أنّ معناه إنّك لو كنت لا تستعبد بني إسرائيل ولا تقتل أبناءهم لكانت أمي مستغنية عن قذفي في اليمّ، فكأنّك تمتنّ عليّ بما كان بلاؤك سبباً له.

ورابعها: أنّ فيه بيان أنّه ليس لفرعون عليه نعمة، لأنّ الّذي تولى تربيته أمّه وغيرها من بني إسرائيل بأمر فرعون لمّا استعبدهم، فمعناه أنّك تمن عليّ بأن استعبدت بني إسرائيل حتّى ربّوني وحفظوني[2].

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ قال البيضاويّ: أي أخرّ أمرهما، وقيل: احبسهما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ شرطاً يحشرون السحرة من ساعات يوم معيّن وهو وقت الضحى من يوم الزينة ﴿لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ لما وقّت به من ساعات يوم معيّن ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٤٢. (٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٢٥.

نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ (٤٠)﴾ لعلنا نتبعهم في دينهم، والترجيّ لاعتبار الغلبة المقتضية للاتّباع، ومقصودهم أن لا يتّبعوا موسى لا أن يتّبعوا السحرة ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ أقسموا بعزته على أنّ الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى ما يكون أن يؤتى به من السحر ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيّلون حبالهم وعصيّهم أنّها حيّات تسعى، أو إفكهم تسمية للمأفوك به مبالغة ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده، وهو علّة الأمر بالاسراء أي أسر بهم حتّى إذا اتبعكم مصبحين كان لكم تقدّم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسراهم ﴿فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ العساكر ليتبعوهم ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ على إرادة القول، وإنّما استقلّهم وكانوا ستمائة وسبعين ألفاً بالإضافة إلى جنوده، إذ روي أنّه خرج فكانت مقدمته سبعمائة ألف، والشرذمة: الطائفة القليلة، وقليلون باعتبار أنّهم أسباط، كلّ سبط منهم قليل ﴿لَغَآئِظُونَ﴾ لفاعلون ما يغيظنا ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ وإنا لجمع من عادتنا الحذر، وقيل: الحاذر: المؤدي للسلاح ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ يعني المنازل الحسنة والمجالس السنية ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الاخراج أخرجنا، فهو مصدر، أو مثل ذلك المقام الّذي كان لهم، على أنّه صفة مقام، أو الأمر كذلك فيكون خبر المحذوف ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي تقاربا بحيث يرى كلّ منهما الآخر ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ لملحقون ﴿قَالَ كَلَّآ﴾ لن يدركوكم فإنّ الله وعدكم الخلاص منهم ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بالحفظ والنصرة ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق النجاة منهم ﴿بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ القلزم أو النيل ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ أي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقاً بينها مسالك ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ كالجبل المنيف الثابت في مقره ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ وقرّبنا ﴿ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ فرعون وقومه حتّى دخلوا على أثرهم مداخلهم[1].

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ قال الطبرسيّ: أي اذكر قصة موسى ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ﴾ وهي بنت شعيب: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾ أي أبصرت ناراً ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ أي بشعلة نار، والشهاب: نور كالعمود من النّار، وكلّ نور يمتد مثل العمود يسمّى شهاباً، وإنّما قال لامرأته: ﴿ءَاتِيكُم﴾ على لفظ خطاب الجمع لأنّه أقامها مقام الجماعة في الأنس بها في الامكنة الموحشة ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي لكي تستدفئوا بها، وذلك لأنّهم كانوا قد أصابهم البرد وكانوا شاتين ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ أي جاء موسى إلى النّار يعني الّتي ظنها ناراً وهي نور ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قال وهب: لمّا رأى موسى النّار وقف قريباً منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة، لا تزداد النّار إلا اشتعالاً، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة وحسناً، فلم تكن النّار بحرارتها تحرق الشجرة، ولا الشجرة برطوبتها تطفئ النّار، فعجب منها وأهوى إليها بضغث في يده ليقتبس منها، فمالت إليه فخافها، فتأخّر عنها، [ثم] لم تزل تطمعه ويطمع فيها إلى أنّ نودي، والمراد به نداء الوحي ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي بورك فيمن في النّار وهم الملائكة،

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٤٦.

وفيمن حولها يعني موسى عليه السلام، وذلك أنّ النور الّذي رأى موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح، ومن حولها هو موسى، لأنّه كان بالقرب منها ولم يكن فيها، فكأنّه قال: بارك الله على من في النّار وعليك يا موسى، ومخرجه الدعاء والمراد الخبر، وقيل: من في النّار سلطانه وقدرته وبرهانه فالبركة ترجع إلى اسم الله تعالى، وتأويله: تبارك من نور هذا النور ومن حولها، يعني موسى والملائكة، وقيل: أي بورك من في طلب النّار وهو موسى عليه السلام ومن حولها الملائكة ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي تنزيهاً له عمّا لا يليق بصفاته من أن يكون جسماً يحتاج إلى جهة، أو عرضاً يحتاج إلى محلّ، أو يكون ممّن يتكلّم بآلة ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ أي إنّ الّذي يكلّمك هو الله ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي القادر الّذي لا يغالب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أفعاله، المحكم لتدابيره.

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ الجانّ الحيّة الّتي ليست بعظيمة، وإنّما شبّهها بالجانّ في خفّة حركتها واهتزازها مع أنّها ثعبانٌ عظيمٌ، وقيل: الحالتان مختلفتان فصارت جانّاً في أوّل ما بعثه، وثعباناً حين لقي بها فرعون ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ الاستثناء منقطع ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ أي مع تسع آيات أخر أنت مرسل بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ وقيل: أي من تسع آيات ﴿فَٰسِقِينَ﴾ أي خارجين عن طاعة الله إلى أقبح وجوه الكفر ﴿مُبْصِرَةً﴾ أي واضحةً بينةً ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أي عرفوها وعلموها يقيناً بقلوبهم ﴿ظُلْمًا﴾ على بني إسرائيل، أو على أنفسهم ﴿وَعُلُوًّا﴾ أي طلباً للعلوّ والرفعة، وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى[1].

﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ أي مختلق لم يبن على أصل صحيح ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إنّما قالوا ذلك مع اشتهار قصة نوح وهود وصالح وغيرهم ممّن دعوا إلى توحيد الله إمّا للفترة والزمان الطويل أو لأنّ آباءهم ما صدقوا بشيء من ذلك ﴿رَبِّىٓ أَعْلَمُ﴾ أي ربّي يعلم أنّي جئت بهذه الآيات الدالة على الهدى من عنده فهو شاهد لي على ذلك إن كذّبتموني ويعلم أنّ العاقبة الحميدة لنا ولاهل الحقّ ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ﴾ أي فأجج النّار على الطين واتخذ الآجر، وقيل: إنّه أوّل من اتّخذ الآجر وبنى به ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ أي قصراً وبناءاً عالياً ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أي أصعد إليه وأشرف عليه، وأقف على حاله، وهذا تلبيس منه وإيهام على العوامّ أنّ الّذي يدعو إليه موسى يجري مجراه في الحاجة إلى المكان والجهة ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في ادعائه إلهاً غيري وأنّه رسول ﴿إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ أي أنكروا البعث ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ أي النيل أو بحر من وراء مصر يقال له إساف ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي حكمنا بأنّهم كذلك ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ﴾ أي أردفناهم لعنة بعد لعنة، وهي البعد عن الرحمة والخيرات، أو ألزمناهم اللّعنة بأن أمرنا المؤمنين بلعنهم ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ أي من المهلكين، أو من المشوّهين في الخلقة بسواد الوجوه وزرقة الأعين[2].

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٦٤.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٣٩.

﴿قَالُواْ سِحْرَانِ﴾ قال البيضاويّ: يعنون موسى وهارون، أو موسى ومحمّد ﷺ بتقدير مضاف، أو جعلهما سحرين مبالغة ﴿تَظَٰهَرَا﴾ تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين[1]. ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ قال الطبرسيّ: فيه أقوال:

أحدها: أنّه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها. والثاني: أنّه كان يعذب النّاس بالأوتاد. والثالث: أنّ معناه ذو البنيان، والبنيان: أوتاد. الرابع: أنّ المعنى ذو الجنود والجموع الكثيرة، بمعنى أنّهم يشدون ملكه ويقوون أمره كما يقوّي الوتد الشيء، والعرب تقول: هو في عزّ ثابت الأوتاد، والاصل فيه أنّ بيوتهم إنّما تثبت بالأوتاد. الخامس: أنّه إنّما سمّي ذا الأوتاد لكثرة جيوشه السائرة في الارض، وكثرة أوتاد خيامهم، فعبر بكثرة الأوتاد عن كثرة الاجناد[2].

﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ أي قصراً مشيداً بالآجر، وقيل: مجلساً عالياً ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي لعلي أبلغ الطرق من سماء إلى سماء، وقيل: أبلغ أبواب طرق السماوات، وقيل: منازل السماوات، وقيل: أتسبّب وأتوصل به إلى مرادي وإلى علم ما غاب عنّي، ثمّ بيّن مراده فقال: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ فأنظر إليه فأراه، أراد به التلبيس على الضعفة مع علمه باستحالة ذلك، وقيل: أراد فأصل إلى إله موسى، فغلبه الجهل واعتقد أنّ الله سبحانه في السّماء، وأنّه يقدر على بلوغ السماء ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي ومثل ما زين لهؤلاء الكفّار سوء أعمالهم ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ أي قبيح عمله، زينه له أصحابه أو الشيطان ﴿إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ أي هلاك وخسار[3].

﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً واستخفافاً ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ المراد بذلك ما ترادف عليهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، وكان كلّ آية من تلك الآيات أكبر من الّتي قبلها وهي العذاب المذكور في قوله: ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ فكانت عذاباً لهم ومعجزات لموسى ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ يعنون بذلك: يا أيّها العالم، وكان الساحر عندهم عظيماً يعظمّونه ولم يكن صفة ذمّ، وقيل: إنّما قالوا استهزاء به، وقيل: معناه: يا أيّها الّذي غلبنا بسحره، يقال: ساحرته فسحرته أي غلبته بالسحر ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي راجعون إلى ما تدعونا إليه متى كشف عنّا العذاب ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ أي من تحت أمري، وقيل: إنّها كانت تجري تحت قصره وهو مشرف عليها ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ هذا الملك العظيم وقوّتي وضعف موسى ﴿مَهِينٌ﴾ أي ضعيف حقير يعني به موسى، قال سيبويه والخليل: عطف أنا بأم على قوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأن معنى أم أنا خير أم تبصرون، لأنّهم إذا قالوا: أنت خير منه فقد

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٠٧.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٤٧.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٤٢.

صاروا بصراء عنده ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي ولا يكاد يفصح بكلامه وحججه للعقدة الّتي في لسانه.

وقال الحسن: كانت العقدة زالت عن لسانه حين أرسله الله كما قال: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً﴾ وقال تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ وإنّما عيره بما كان في لسانه قبل، وقيل: كان في لسانه لثغة فرفعه الله تعالى وبقي فيه ثقل ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ كانوا إذا سودوا رجلاً سوروه بسوار من ذهب، وطوقوه بطوق من ذهب ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ أي متتابعين يعينونه على أمره الّذي بعث له، ويشهدون له بصدقه، وقيل: متعاضدين متناصرين ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ أي استخف عقولهم فأطاعوه فيما دعاهم إليه لأنّه احتجّ عليهم بما ليس بدليل، وهو قوله: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ وأمثاله ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أي أغضبونا، وغضب الله على العصاة إرادة عقابهم، وقيل: أي آسفوا رسلنا انتقمنا لاوليائنا منهم ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ أي متقدمين إلى النّار ﴿وَمَثَلًا﴾ أي عبرة وموعظة ﴿لِّلْءَاخِرِينَ﴾ أي لمن جاء بعدهم يتعظون بهم[1].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ أي اختبرنا وشددنا عليهم التكليف ﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ أي كريم الأفعال والاخلاق، أو عند الله، أو شريف في قومه ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ أي أطلقوا بني إسرائيل ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟﴾ أي لا تتجبّروا ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ أي من أنّ ترموني بالحجارة، وقيل: أراد به الشتم كقولهم: ساحر كذاب ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾ أي إن لم تصدقوني فاتركوني لا معي ولا عليّ، وقيل: معناه: فاعتزلوا أذاي ﴿فَأَسْرِ﴾ أي فقال الله مجيباً له: أسر ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي سيتبعكم فرعون بجنوده ﴿رَهْوًا﴾ أي ساكناً على ما هو به إذا قطعته وعبرته ليغرق فرعون، وقيل: ﴿رَهْوًا﴾ أي منفتحاً منكشفاً حتّى يطمع فرعون في دخوله، وقيل أي كما هو طريقاً يابساً ﴿مُّغْرَقُونَ﴾ سيغرقهم الله ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ أي تنعم وسعة في العيش ﴿كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ أي بها ناعمين متمتعين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ قال الطبرسيّ: أي كذلك أفعل بمن عصاني ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ أي بني إسرائيل ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي لم يبك عليهم أهل السماء والأرض، أو المراد به المبالغة في وصف القوم بصغر القدر، فإنّ العرب إذا أخبرت عن عظيم المصاب بالهالك قالت: بكاه السماء والأرض، أو كناية عن أنّه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء.

وقد روي عن ابن عبّاس أنّه سئل عن هذه الآية فقيل: وهل يبكيان على أحد؟ قال: نعم مصلاّه في الارض، ومصعد عمله في السماء. وروى زرارة بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بكت السماء على يحيى بن زكريّا وعلى الحسين بن عليّ عليهما السلام أربعين صباحاً ولم تبك إلا عليهما. قلت: فما بكاؤها؟ قال: كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء[2]. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ أي عوجلوا بالعقوبة ولم يمهلوا من العذاب.

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٨٥. (٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٠٥.

﴿ٱلۡمُهِينِ﴾ قال البيضاويّ: من استعباد فرعون وقتله أبناءهم ﴿مِن فِرۡعَوۡنَ﴾ بدل من العذاب على حذف المضاف، أو جعله عذاباً لافراطه في التعذيب، أو حال من المهين، بمعنى واقعاً من جهته ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا﴾ متكبراً ﴿مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ في العتو والشرارة ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ﴾ أي بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ عالمين بأنّهم أحقّاء بذلك، أو مع علم منّا بأنّهم يزيغون في بعض الأحوال ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لكثرة الأنبياء فيهم، أو على عالمي زمانهم ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ﴾ نعمة جلية واختبار ظاهر(١).

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ أي فأعرض عن الإيمان به كقوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أو فتولّى بما كان يتقوّى به من جنوده ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ آت بما يلام عليه من الكفر والعناد، وهو حال عن الضمير في أخذناه(٢).

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ قال الطبرسيّ: أي فلمّا مالوا عن الحقّ والاستقامة خلاهم وسوء اختيارهم، ومنعهم الالطاف الّتي بها يهدي قلوب المؤمنين، وقيل: أزاغ الله قلوبهم عمّا يحبّون إلى ما يكرهون(٣). ﴿وَبِيلٗا﴾ أي ثقيلاً(٤).

﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ قال البيضاويّ: أي هل لك ميل إلى أن تتطهر من الكفر والطغيان؟ ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وارشدك إلى معرفته ﴿فَتَخۡشَىٰ﴾ بأداء الواجبات وترك المحرّمات ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ﴾ عن الطاعة ﴿يَسۡعَىٰ﴾ ساعياً في إبطال أمره، أو أدبر بعدما رأى الثعبان مرعوباً مسرعاً في مشيه ﴿فَحَشَرَ﴾ فجمع السحرة أو جنوده ﴿فَنَادَىٰ﴾ في المجمع بنفسه أو بمناد(٥).

١ - فس: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ إن فرعون لمّا بلغه أنّ بني إسرائيل يقولون: يولد فينا رجل يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده كان يقتل أولادهم الذكور ويدع الإناث(٦).

٢ - فس: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإن قوم موسى استعبدهم آل فرعون، وقالوا: لو كان لهؤلاء على الله كرامة كما يقولون ما سلطنا عليهم، قوله: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا﴾ يعني بيت المقدس. قوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ﴾ أي ملكاً ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ﴾ أي يفتنوا النّاس بالاموال والعطايا ليعبدوه ولا يعبدوك ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ أي أهلكها. قوله: ﴿سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي طريق فرعون وأصحابه. قوله: ﴿مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ قال: ردهم إلى مصر وغرق فرعون(٧).

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٢١.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٦٥.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٦١.
(٤) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٦٧.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٧٧.
(٦) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٧.
(٧) تفسير القمي، ج ١ ص ٣١٥.

٣ - فس: ﴿فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً﴾ يعني الهلاك والغرق ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ أي رفدهم الله بالعذاب[1].

٤ - فس: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ قال: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والعصا ويده والبحر. ويحكي قول موسى ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ أي هالكاً تدعو بالثبور.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أراد أن يخرجهم من الأرض وقد علم فرعون وقومه أنّ ما أنزل تلك الآيات إلا الله وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ يعني جميعاً[2].

٥ - وفي رواية عليّ بن إبراهيم: ﴿فَأَرَادَ﴾ يعني فرعون ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي يخرجهم من مصر ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي من كلّ ناحية[3].

٦ - فس: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ يعني قد أتاك. قوله: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قال: كانتا من جلد حمار ميّت ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ قال: إذا نسيتها ثمّ ذكرتها فصلّها. وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ يقول: آتيكم بقبس من النّار ﴿تَصْطَلُونَ﴾ من البرد، وقوله: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ كان قد أخطأ الطريق يقول: أو أجد عند النّار طريقاً. وقوله: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ يقول: أخبط بها الشّجر لغنمي ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ فمن الفرق لم يستطع الكلام فجمع كلامه فقال: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ يقول: حوائج أخرى.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ قال: من نفسي، هكذا نزلت، قلت: كيف يخفيها من نفسه؟ قال: جعلها من غير وقت. قوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي اختبرناك اختباراً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ أي عند شعيب. قوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي اخترتك ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ أي لا تضعفا ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ائتياه. واعلم أنّ الله قال لموسى عليه السلام حين أرسله إلى فرعون: ائتياه فقولا له قولاً ليناً لعلّه يتذكر أو يخشى، وقد علم أنّه لا يتذكر ولا يخشى، ولكن قال الله ليكون أحرص لموسى على الذهاب وآكد في الحجّة على فرعون[4].

٧ - فس: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ يقول: عصبة قليلة ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ يقول: مؤدون في الأداة وهو الشاكي في السلاح، وأمّا قوله: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ يقول: مساكن حسنة. وأمّا قوله: ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ فعند طلوع الشمس. وقوله: ﴿مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ يقول: سيكفين[5].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٣٨.
(٢) - (٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٤١٩.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٣.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٩٨.

بيان: قال الجزريّ: يقال: آدني عليه أي قوني، ورجل مؤد: تامّ السلاح كامل أداة الحرب. ومنه حديث الأسود بن زيد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ قال: مقوون مؤدون أي كاملون أداة الحرب.

٨ - **فس:** ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي رأيت، وذلك لمّا خرج من مدين من عند شعيب. قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ معناه: ولا من ظلم فوضع حرف مكان حرف[1].

بيان: على ما ذكره تكون ﴿إِلَّا﴾ عاطفة. قال البغويّ في تفسيره: قال بعض النحويين: ﴿إِلَّا﴾ ههنا بمعنى ﴿وَلَا﴾ يعني لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثمّ بدل حسناً بعد سوء، يقول: لا يخاف لديّ المرسلون ولا المذنبون التائبون، كقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ يعني ولا الّذين ظلموا منهم.

٩ - **فس:** ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ قال: موسى وهارون[2].

١٠ - **فس:** ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ أي يا أيّها العالم. قوله: ﴿مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ يعني موسى ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ قال: لم يبين الكلام ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ أي هلا ألقي عليه. قوله: ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ يعني مقارنين ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أي عصونا، لأنّه لا يأسف عزّوجلّ كأسف الناس[3].

١١ - **فس:** ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ أي اختبرناهم ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ أي ما فرض الله من الصلاة والزكاة والصوم والحج والسنن والاحكام، وأوحى الله إليه ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي يتبعكم فرعون وجنوده ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي جانباً وخذ على الطريق. قوله: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ أي حسن ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا﴾ قال: النعمة في الابدان. قوله: ﴿فَاكِهِينَ﴾ أي مفاكهين للنساء ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يعني بني إسرائيل. قوله: ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ لفظه عامّ ومعناه خاصّ، وإنّما اختارهم وفضّلهم على عالمي زمانهم[4].

بيان: قوله: (أي ما فرض الله) الظاهر أنّه جعل ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ منادى، وبيّن مفعول ﴿أَدُّوا﴾ المقدر بالصلاة وغيرها، وهو أحد الاحتمالين اللّذين ذكرهما جماعة من المفسّرين واحتمال كون المراد بالعباد العبادة بحذف التاء كإقام الصلاة بعيد. والرهو بهذا المعنى لم يعهد في اللّغة وإن أتى بمعان قريبة منه، كالمكان المرتفع والمنخفض والسكون، ويمكن إرجاعه إلى ما مرّ في التفسير بتكلّف. والمفاكهة: الممازحة.

١٢ - **فس:** ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أي المطهّر، وأمّا طوى فاسم الوادي. وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾: يعني فرعون. والنكال العقوبة. والآخرة هو قوله: ﴿أَنَا

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٠٢.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١١٨.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٥٩.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٦٥.

﴿رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ والاولى قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ فأهلكه الله بهذين القولين[١].

١٣ - فس: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ عمل الأوتاد الّتي أراد أن يصعد بها إلى السماء[٢].

١٤ - ص: الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن الحجّال، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ فرعون بنى سبع مدائن فتحصن فيها من موسى، فلمّا أمره الله أن يأتي فرعون جاءه ودخل المدينة، فلمّا رأته الاسود بصبصت بأذنابها، ولم يأت مدينة إلا انفتح له حتّى انتهى إلى الّتي هو فيها، فقعد على الباب وعليه مدرعة من صوف ومعه عصاه، فلمّا خرج الآذن قال له موسى عليه السلام: إنّي رسول ربّ العالمين إليك، فلم يلتفت، فضرب بعصاه الباب فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلا انفتح فدخل عليه وقال: أنا رسول ربّ العالمين، فقال: ائتني بآية، فألقى عصاه، وكان لها شعبتان فوقعت إحدى الشعبتين في الارض، والشعبة الأُخرى في أعلى القبّة، فنظر فرعون إلى جوفها وهي تلتهب ناراً وأهوت إليه، فأحدث فرعون وصاح: يا موسى خذها، ولم يبق أحد من جلساء فرعون إلا هرب، فلمّا أخذ موسى العصا ورجعت إلى فرعون نفسه هم بتصديقه فقام إليه هامان وقال: بينا أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد؟! واجتمع الملأ وقالوا: هذا ساحرٌ عليمٌ، فجمع السحرة لميقات يوم معلوم، فلمّا ألقوا حبالهم وعصيّهم ألقى موسى عصاه فالتقمتها كلّها، وكان في السحرة اثنان وسبعون شيخاً خروا سجداً، ثمّ قالوا لفرعون: ما هذا سحرٌ لو كان سحراً لبقيت حبالنا وعصيّنا، ثمّ خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل يريد أن يقطع بهم البحر فأنجى الله موسى ومن معه، وغرق فرعون ومن معه، فلمّا صار موسى في البحر اتبعه فرعون وجنوده فتهيب فرعون أن يدخل البحر، فمثّل جبرئيل على ماديانة، وكان فرعون على فحل، فلمّا رأى قوم فرعون الماديانة اتبعوها فدخلوا البحر وغرقوا، وأمر الله البحر فلفظ فرعون ميتاً حتّى لا يظنّ أنّه غائب وهو حيّ، ثمّ إنّ الله تعالى أمر موسى أن يرجع ببني إسرائيل إلى الشام، فلمّا قطع البحر بهم مرّ على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ثم ورث بنو إسرائيل ديارهم وأموالهم، فكان الرجل يدور على دور كثيرة، ويدور على النساء[٣].

١٥ - فس: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ قال: كان فرعون يعبد الأصنام ثمّ ادعى بعد ذلك الربوبية، فقال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ قوله: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ قال: قال الّذين آمنوا لموسى: قد أُوذينا قبل مجيئك يا موسى بقتل أولادنا، ومن بعد ما جئتنا

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٩٧.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤١٧.
(٣) قصص الأنبياء، ص ١٥٥.

لمّا حبسهم فرعون لايمانهم بموسى، فقال موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ومعنى (ينظر) أي يرى كيف تعملون، فوضع النظر مكان الرؤية. وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يعني السنين الجدبة لمّا أنزل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

وأما قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ﴾ قال: الحسنة ههنا الصحة والسلامة والامن والسعة ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ قال: السيئة ههنا الجوع والخوف والمرض ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ أي يتشاموا بموسى ومن معه. وأمّا قوله: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ فإنه لمّا سجد السحرة وآمن به النّاس قال هامان لفرعون: إنّ النّاس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كلّ من آمن به من بني إسرائيل، فجاء إليه موسى فقال له: خلّ عن بني إسرائيل، فلم يفعل، فأنزل الله عليهم في تلك السنة الطوفان فخرّب دورهم ومساكنهم حتّى خرجوا إلى البريّة وضربوا فيها الخيام، فقال فرعون لموسى: ادع ربّك حتّى يكف عنّا الطوفان حتّى اخلي عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربّه فكف عنهم الطوفان، وهمّ فرعون أن يخلّي عن بني إسرائيل فقال له هامان: إن خلّيت عن بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك، فقبل منه ولم يخلّ عن بني إسرائيل فأنزل الله عليهم في السنة الثانية الجراد، فجردت كلّ شيء كان لهم من النبت والشجر حتّى كانت تجرد شعرهم ولحيتهم، فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال: يا موسى ادع ربّك أن يكف الجراد عنّا حتّى اخلي عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربكه فكف عنهم الجراد، فلم يدعه هامان أن يخلي عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة القمّل، فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة.

فقال فرعون لموسى: إن رفعت عنّا القمّل كففت عن بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه حتّى ذهب القمّل، وقال: أوّل ما خلق الله القمّل في ذلك الزمان، فلم يخلّ عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، ويقال: إنّها كانت تخرج من أدبارهم وآذانهم وآنافهم، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فجاؤوا إلى موسى فقالوا: ادع الله أن يذهب عنّا الضفادع فإنّا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه فرفع الله عنهم ذلك، فلمّا أبوا أن يخلوا عن بني إسرائيل حول الله ماء النيل دماً، فكان القبطيّ يراه دماً، والاسرائيليّ يراه ماء، فإذا شربه الاسرائيلي كان ماءً، وإذا شربه القبطي كان دماً، فكان القبطيّ يقول للاسرائيلي: خذ الماء في فمك وصبه في فمي، فكان إذا صبه في فم القبطي تحول دماً، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فقالوا لموسى: لئن رفع الله عنّا الدم لنرسلن معك بني إسرائيل، فلمّا رفع الله عنهم الدم غدروا ولم يخلوا عن بني إسرائيل فأرسل الله عليهم الرجز وهو الثلج ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه قبله، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك لئن كشفت عنّا الرجز لنؤمنن لك

ولنرسلن معك بني إسرائيل، فدعا ربّه فكشف عنهم الثلج فخلى عن بني إسرائيل، فلمّا خلى عنهم اجتمعوا إلى موسى عليه السلام وخرج موسى من مصر واجتمع عليه من كان هرب من فرعون، وبلغ فرعون ذلك فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلّي عن بني إسرائيل فقد اجتمعوا إليه، فجزع فرعون وبعث في المدائن حاشرين، وخرج في طلب موسى.

قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يعني بني إسرائيل لمّا أهلك الله فرعون ورثوا الأرض وما كان لفرعون. قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ يعني الرحمة بموسى تمّت لهم. قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يعني المصانع والعريش والقصور[1].

بيان: قوله تعالى: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ قيل: كان فرعون يستعبد النّاس ويعبد الأصنام بنفسه وكان النّاس يعبدونها تقرّباً إليه، وقيل: كان يعبد ما يستحسن من البقر، وروي أنّه كان يأمرهم أيضاً بعبادة البقر، ولذلك أخرج السامريّ لهم عجلاً، وقيل: كانت لهم أصنام يعبدها قومه تقرّباً إليه، وقرئ (وإلاهتك) على فعالة، روي عن عليّ عليه السلام وابن عبّاس وابن مسعود وأنس وعلقمة وغيرهم، فالإلهة بمعنى الربوبية أو العبادة.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ اختلف فيه فقيل: هو الماء الخارج عن العادة، وقيل: هو الموت الذريع، وقيل: هو الطاعون بلغة اليمن، أرسل الله ذلك على أبكار آل فرعون في ليلة فلم يبق منهنّ إنسان ولا دابّة، وقيل: هو الجدريّ وهم أوّل من عذبوا به فبقي في الارض، وقيل: هو أمر من أمر الله طاف بهم.

واختلف في القمّل أيضاً فقيل: هو صغار الجراد الّتي لا أجنحة لها، وقيل: صغار الذرّ، وقيل: شيء يشبه الحلم لا يأكل أكل الجراد خبيث الرائحة، وقيل: دوابّ سود صغار كالقردان، وقيل: هو السوس الّذي يخرج من الحنطة، وقيل: قمّل الناس.

وأمّا الرجز فقيل: هو العذاب، وهو ما نزل بهم من الطوفان وغيره، وقيل: هو الطاعون مات به من القبط سبعون ألف إنسان.

وقال الطبرسيّ رحمه الله: روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه أصابهم ثلج أحمر، ولم يروه قبل ذلك، فماتوا فيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه قبله.

١٦ - ص: في تسع آيات موسى: لمّا اجتمع رأي فرعون أن يكيد موسى فأوّل ما كاده به عمل الصرح، فأمر هامان ببنائه حتّى اجتمع فيه خمسون ألف بناء سوى من يطبخ الآجر، وينجر الخشب والابواب ويضرب المسامير حتّى رفع بنياناً لم يكن مثله منذ خلق الله الدنيا، وكان أساسه على جبل فزلزله الله تعالى فانهدم على عمّاله وأهله وكلّ من كان عمل فيه من القهارمة والعمّال، فقال فرعون لموسى عليه السلام: إنّك تزعم أن ربّك عدل لا يجور، أفعدله

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٣٩.

الّذي أمر؟ فاعتزل الآن إلى عسكرك فإنّ النّاس لحقوا بالجبال والرمال، فإذا اجتمعوا تسمعهم رسالة ربّك، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أخر ودعه، فإنّه يريد أن يجند لك الجنود فيقاتلك، واضرب بينك وبينه أجلاً، وابرز إلى معسكرك يأمنوا بأمانك ثمّ ابنوا بنياناً واجعلوا بيوتكم قبلة، فضرب موسى بينه وبين فرعون أربعين ليلة، فأوحى إلى موسى أنّه يجمع لك الجموع فلا يهولنك شأنه، فإنّي أكفيك كيده، فخرج موسى عليه السلام من عند فرعون والعصا معه على حالها حيّة تتبعه وتنعق وتدور حوله والنّاس ينظرون إليه متعجّبين وقد ملئوا رعباً حتّى دخل موسى عسكره وأخذ برأسها فإذا هي عصا، وجمع قومه وبنوا مسجداً، فلمّا مضى الاجل الّذي كان بين موسى وفرعون أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن اضرب بعصاك النيل، وكانوا يشربون منه، فضربه فتحول دماً عبيطاً، فإذا ورده بنو إسرائيل استقوا ماءً صافياً، وإذا ورده آل فرعون اختضبت أيديهم وأسقيتهم بالدم، فجهدهم العطش حتّى أنّ المرأة من قوم فرعون تستقي من نساء بني إسرائيل، فإذا سكبت الماء لفرعونية تحول دماً، فلبثوا في ذلك أربعين ليلة واشرفوا على الموت، واستغاث فرعون وآله بمضغ الرطبة فصير ماؤها مالحاً، فبعث فرعون إلى موسى: ادع لنا ربّك يعيد لنا هذا الماء صافياً، فضرب موسى بالعصا النيل فصار ماءً خالصاً، هذا قصّة الدّم.

وأمّا قصّة الضفادع: فإنّه تعالى أوحى إلى موسى أن يقوم على شفير النيل حتّى يخرج كلّ ضفدع خلقه الله تعالى من ذلك الماء فأقبلت تدبّ سراعاً تؤمّ أبواب المدينة فدخلت فيها حتّى ملأت كلّ شيء، فلم يبق دارٌ ولا بيتٌ ولا إناءٌ إلا امتلأت ضفادع، ولا طعامٌ ولا شرابٌ إلا فيه ضفادع حتّى غمهم ذلك وكادوا يموتون، فطلب فرعون إلى موسى أن يدعو ربّه ليكشف البلاء واعتذر إليه من الخلف، فأوحى الله تعالى إلى موسى أن أسعفه، فأناف موسى بالعصا فلحق جميع الضفادع بالنيل.

وأمّا قصّة الجراد والقمّل: فإنّه تعالى أوحى إلى موسى أن ينطلق إلى ناحية من الأرض ويشير بالعصا نحو المشرق وأُخرى نحو المغرب، فانبثق الجراد من الأفقين جميعاً، فجاء مثل الغمام الاسود، وذلك في زمان الحصاد، فملأ كلّ شيء وعمّ الزرع فأكله وأكل خشب البيوت وأبوابها، ومسامير الحديد والأقفال والسلاسل، ونكت موسى الأرض بالعصا فامتلأت قملاً فصار وجه الأرض أسود وأحمر حتّى ملئت ثيابهم ولحفهم وآنيتهم فتجيء متواصلة وتجيء من رأس الرجل ولحيته، وتأكل كلّ شيء، فلمّا رأوا الّذي نزل من البلاء اجتمعوا إلى فرعون وقالوا: ليس من بلاء إلاّ ويمكن الصبر عليه إلاّ الجوع، فإنّه بلاء فاضح لا صبر لاحد عليه، ما أنت صانع؟ فأرسل فرعون إلى موسى عليه السلام يخبره أنّه لم يجتمع له أمره الّذي أراد، فأوحى الله تعالى إلى موسى أن لا يدع له حجّة وأن ينظره، فأشار بعصاه فانقشع الجراد والقمّل من وجه الأرض.

وأمّا الطمس: فإنّ موسى لمّا رأى آل فرعون لا يزيدون إلاّ كفراً دعا موسى عليهم فقال:

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ فطمس الله أموالهم حجارةً فلم يبق لهم شيئاً ممّا خلق الله تعالى يملكونه لا حنطة ولا شعيراً ولا ثوباً ولا سلاحاً ولا شيئاً من الأشياء إلّا صار حجارة.

وأمّا الطاعون: فإنّه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إنّي مرسل على أبكار آل فرعون في هذه اللّيلة الطاعون، فلا يبقى بآل فرعون من إنسان ولا دابّة إلّا قتله، فبشّر موسى قومه بذلك، فانطلقت العيون إلى فرعون بالخبر، فلمّا بلغه الخبر قال لقومه: قولوا لبني إسرائيل إذا أمسيتم فقدموا أبكاركم، وقدّموا أنتم أبكاركم، واقرنوا كلّ بكرين في سلسلة، فإنّ الموت يطرقهم ليلاً، فإذا وجدهم مختلطين لم يدر بأيهم يبطش، ففعلوا فلمّا جنّهم اللّيل أرسل الله تعالى الطاعون فلم يبق منهم إنساناً ولا دابّة إلّا قتله فأصبح أبكار آل فرعون جيفاً، وأبكار بني إسرائيل أحياء سالمين، فمات منهم ثمانون ألفاً سوى الدواب، وكان لفرعون من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها ومن الحليّ والحلل ما لا يعلمه إلّا الله تعالى. فأوحى الله جلت عظمته إلى موسى عليه السلام إنّي مورث بني إسرائيل ما في أيدي آل فرعون، فقل ليستعيروا منهم الحليّ والزينة، فإنّهم لا يمتنعون من خوف البلاء، وأعطى فرعون جميع زينة أهله وولده وما كان في خزائنه، فأوحى الله تعالى إلى موسى بالمسير بجميع ذلك حتّى كان من الغرق بفرعون وقومه ما كان(١).

ايضاح: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: اختلف في ذلك فقيل: لمّا دخل موسى مصر بعدما أهلك الله فرعون امروا باتخاذ مساجد يذكر فيها اسم الله وأن يجعلوا مساجدهم نحو القبلة - أي الكعبة - وكانت قبلتهم إلى الكعبة، وقيل: إنّ فرعون أمر بتخريب مساجد بني إسرائيل ومنعهم من الصلاة فامروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم يصلون فيها خوفاً من فرعون، وقيل: معناه: اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً انتهى(٢).

أقول: ما في القصص يحتمل كلاً من الوجهين الأخيرين، وأن يكون المعنى كون بيوتهم محاذيةً للكعبة. وأناف على الشيء: أشرف، والمراد الإشارة بالعصا. وانفشع: تفرّق.

١٧ - **فس:** محمّد بن جعفر، عن جعفر بن محمّد بن مالك، عن عبّاد بن يعقوب، عن محمّد بن يعقوب، عن جعفر الاحول، عن منصور، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: لمّا خافت بنو إسرائيل جبابرتها أوحى الله إلى موسى وهارون عليهما السلام: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال: امروا أن يصلّوا في بيوتهم(٣).

١٨ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٦٧.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢١٩.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣١٥.

ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فإن بني إسرائيل قالوا: يا موسى ادع الله أن يجعل لنا ممّا نحن فيه فرجاً، فدعا فأوحى الله إليه: أن أسر بهم، قال. يا ربّ البحر أمامهم! قال: امض فإنّي آمره أن يطيعك وينفرج لك، فخرج موسى ببني إسرائيل وأتبعهم فرعون حتّى إذا كاد أن يلحقهم ونظروا إليه قد أظلهم، قال موسى للبحر: انفرج لي، قال: ما كنت لافعل، وقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: غررتنا وأهلكتنا، فليتك تركتنا يستعبدنا آل فرعون، ولم نخرج الآن نقتل قتلة، قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ واشتد على موسى ما كان يصنع به عامّة قومه وقالوا: يا موسى إنّا لمدركون، زعمت أنّ البحر ينفرج لنا حتّى نمضي ونذهب وقد رهقنا فرعون وقومه، هم هؤلاء نراهم قد دنوا منّا، فدعا موسى ربّه فأوحى الله إليه: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ فضربه فانفلق البحر، فمضى موسى وأصحابه حتّى قطعوا البحر وأدركهم آل فرعون، فلمّا نزلوا إلى البحر قالوا لفرعون: ما تعجب ممّا ترى؟ قال أنا فعلت، فمروا وامضوا فيه، فلمّا توسط فرعون ومن معه أمر الله البحر فأطبق عليهم فغرقهم أجمعين، فلمّا أدرك فرعون الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ يقول الله عزّوجلّ: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ يقول: كنت من العاصين ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ قال: إنّ قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم ير منهم أحد، هووا في البحر إلى النّار، وأمّا فرعون فنبذه الله وحده فألقاه بالساحل لينظروا إليه وليعرفوه ليكون لمن خلفه آية، ولئلا يشكّ أحد في هلاكه، وإنّهم كانوا اتّخذوه ربّاً، فأراهم الله إيّاه جيفة ملقاة بالساحل ليكون لمن خلفه عبرةً وعظة، يقول الله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾.

وقال عليّ بن إبراهيم: وقال الصادق عليه السلام: ما أتى جبرئيل رسول الله إلاّ كئيباً حزيناً، ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون، فلمّا أمر الله بنزول هذه الآية: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ نزل عليه وهو ضاحك مستبشر، فقال له رسول الله: ما أتيتني يا جبرئيل إلاّ وتبينت الحزن في وجهك حتّى الساعة، قال: نعم يا محمّد لمّا غرق الله فرعون قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فأخذت حمأة فوضعتها في فيه، ثمّ قلت له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وعملت ذلك من غير أمر الله خفت أن يلحقه الرحمة من الله ويعذبني على ما فعلت، فلمّا كان الآن وأمرني الله أن اؤدي إليك ما قلته أنا لفرعون أمنت وعلمت أنّ ذلك كان لله رضىً.

قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ فإنّ موسى عليه السلام أخبر بني إسرائيل أنّ الله قد غرق فرعون فلم يصدّقوه، فأمر الله البحر فلفظ به على ساحل البحر حتّى رأوه ميتاً(١).

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣١٦.

١٩ - **طب:** عبد الله بن بسطام، عن إبراهيم بن النضر من ولد ميثم التمّار، عن الأئمة عليهم السلام أنّهم وصفوا هذا الدواء لأوليائهم وهو الدواء الّذي يسمّى الشافية - وساق الحديث إلى أن قال -: نزل به جبرئيل عليه السلام على موسى بن عمران عليه السلام حين أراد فرعون أن يسم بني إسرائيل فجعل لهم عيداً في يوم الاحد، وقد تهيأ فرعون واتّخذ لهم طعاماً كثيراً ونصب موائد كثيرة وجعل السّم في الاطعمة، وخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل وهم ستمائة ألف فوقف لهم موسى عليه السلام عند المضيف، فردّ النساء والولدان، وأوصى بني إسرائيل فقال: لا تأكلوا من طعامهم ولا تشربوا من شرابهم حتّى أعود إليكم، ثمّ أقبل على النّاس يسقيهم من هذا الدواء مقدار ما تحمله رأس الابرة، وعلم أنّهم يخالفون أمره ويقعون في طعام فرعون، ثمّ زحف وزحفوا معه، فلمّا نظروا إلى نصب الموائد أسرعوا إلى الطعام ووضعوا أيديهم فيه، ومن قبل نادى فرعون موسى وهارون ويوشع بن نون ومن كلّ خيار بني إسرائيل ووجههم إلى مائده لهم خاصة، وقال: إنّي عزمت على نفسي أن لا يلي خدمتكم وبركم غيري أو كبراء أهل مملكتي، فأكلوا حتّى تملوا من الطعام، وجعل فرعون يعيد السم مرّة بعد اخرى، فلمّا فرغوا من الطعام خرج موسى عليه السلام وأصحابه وقال لفرعون: إنّا تركنا النساء والصبيان خلفنا وإنا ننتظرهم، فقال فرعون: إذاً يعاد لهم الطعام ونكرمهم كما أكرمنا من معك، فتوافوا وأطعمهم كما أطعم أصحابهم، وخرج موسى عليه السلام إلى العسكر فأقبل فرعون على أصحابه وقال لهم: زعمتم أنّ موسى وهارون سحرا بنا وأريانا بالسحر أنّهم يأكلون من طعامنا ولم يأكلوا من طعامنا شيئاً وقد خرجنا وذهب السحر، فاجمعوا من قدرتم عليه على الطعام الباقي يومهم هذا ومن الغد لكيلا يتفانوا، ففعلوا، وقد كان أمر فرعون أن يتّخذ لاصحابه خاصّة طعام لا سمّ فيه، فجمعهم عليه، فمنهم من أكل ومنهم من ترك، فكلّ من طعم من طعامه تفسّخ، فهلك من أصحاب فرعون سبعون ألف ذكر ومائة وستّون ألف انثى سوى الدوابّ والكلاب وغير ذلك، فتعجّب هو وأصحابه[1].

أقول: سيأتي تمام الخبر مع وصف الدواء في كتاب السماء والعالم.

٢٠ - **فس:** ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾ أي ينشؤ في الذهب ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ قال: إنّ موسى أعطاه الله من القوّة أن رأى فرعون صورته على فرس من ذهب رطب عليه ثياب من ذهب رطب، فقال فرعون: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾ أي ينشؤ بالذهب ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ قال: لا يبين الكلام ولا يتبيّن من النّاس، ولو كان نبيّاً لكان خلاف الناس[2].

بيان: المشهور بين المفسّرين أنّ المعنى: أو اجعلوا من ينشّؤ في الحلية أي في زينة النساء لله عزّوجلّ، يعني البنات، وهو في الخصام يعني المخاصمة غير مبين للحجّة، أي لا يمكنها أن

(١) طب الأئمة لابن بسطام، ص ١٢٤. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٥٦.

تبين الحجّة عند الخصومة لضعفها وسفهها، وقيل: معناه: أو يعبدون من ينشؤ في الحلية ولا يمكنه أن ينطق بحجّته ويعجز عن الجواب وهم الاصنام، فإنّهم كانوا يحلونها بالحلي، وإنّما قال: ﴿وَهُوَ﴾ حملاً على لفظ (مَنْ) وأمّا ما ذكره عليّ بن إبراهيم فلا يخفى بعده عن سياق الآية، لانّها محفوفة بالآيات المشتملة على ذكر من جعل لله البنات، ولو كان خبراً فلعل في قرآنهم عليهم السلام كانت بين الآيات المسوقة لذكر قصص موسى عليه السلام، أو يكون القول مقدراً، وتكون ههنا معترضة لمشابهة قوله لقول هؤلاء في معارضة الحقّ ومعاندة أهل الدين.

٢١ - **فس:** أبي، عن ابن فضّال، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا بعث الله موسى إلى فرعون أتى بابه فاستأذن عليه ولم يؤذن له، فضرب بعصاه الباب فاصطكّت الأبواب مفتحة، ثمّ دخل على فرعون فاخبره أنّه رسول من ربّ العالمين، وسأله أن يرسل معه بني إسرائيل، فقال له فرعون كما حكى الله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ أي قتلت الرجل ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يعني كفرت نعمتي، فقال موسى كما حكى الله: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فقال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وإنّما سأله عن كيفية الله، فقال موسى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ فقال فرعون متعجباً لاصحابه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ أسأله عن الكيفيّة فيجيبني عن الخلق! فقال موسى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ثم قال لموسى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ قال موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ قال فرعون: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ فلم يبق أحد من جلساء فرعون إلّا هرب ودخل فرعون من الرعب ما لم يملك نفسه، فقال فرعون: يا موسى انشدك الله والرضاع إلّا ما كففتها عنّي، فكفّها، ثمّ نزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين، فلمّا أخذ موسى العصا رجعت إلى فرعون نفسه وهمّ بتصديقه فقام إليه هامان فقال له: بينما أنت إله تعبد إذ صرت تابعاً لعبد؟!

ثمّ قال فرعون للملأ الّذي حوله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ إلى قوله: ﴿لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ وكان فرعون وهامان قد تعلّما السحر وإنّما غلبا النّاس بالسحر، وادّعى فرعون الربوبيّة بالسحر، فلمّا أصبح بعث في المدائن حاشرين، مدائن مصر كلّها، وجمعوا ألف ساحر، واختاروا من الالف مائة ومن المائة ثمانين، فقال السحرة لفرعون: قد علمت أنّه ليس في الدنيا أسحر منّا، فان غلبنا موسى فما يكون لنا عندك؟ قال: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عندي، أشارككم في ملكي، قالوا: فإن غلبنا موسى وأبطل سحرنا علمنا أنّ ما جاء به ليس من قبل السحر ولا من قبل الحيلة، آمنّا به وصدّقناه، فقال فرعون: إن غلبكم موسى صدّقته أنا أيضاً معكم، ولكن أجمعوا كيدكم أي حيلتكم، قال: وكان موعدهم يوم عيد لهم.

فلمّا ارتفع النهار من ذلك اليوم، وجمع فرعون الخلق والسحرة، وكانت له قبة طولها في السماء ثمانون ذراعاً، وقد كانت لبست الحديد الفولاذ، وكانت إذا وقعت الشمس عليها لم يقدر أحد أن ينظر إليها من لمع الحديد ووهج الشمس، وجاء فرعون وهامان وقعدا عليها ينظران، وأقبل موسى ينظر إلى السّماء، فقالت السحرة لفرعون: إنّا نرى رجلاً ينظر إلى السماء ولم يبلغ سحرنا السّماء، وضمنت السحرة من في الأرض، فقالوا لموسى: إمّا أن تلقي وإمّا أن نكون نحن الملقين، قال لهم موسى: ﴿أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ فأقبلت تضطرب مثل الحيات وهاجت، فقالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ فنودي: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ فألقى موسى العصا فذابت في الأرض مثل الرصاص ثمّ طلع رأسها وفتحت فاها ووضعت شدقها العليا على رأس قبّة فرعون، ثمّ دارت والتقمت عصيّ السحرة وحبالها وغلب كلّهم وانهزم النّاس حين رأوها وعظمها وهولها ممّا لم تر العين ولا وصف الواصفون مثله قبل، فقتل في الهزيمة من وطء النّاس بعضهم بعضاً عشرة آلاف رجل وامرأة وصبيّ ودارت على قبّة فرعون، قال: فأحدث فرعون وهامان في ثيابهما وشاب رأسهما وغشي عليهما من الفزع. ومرّ موسى في الهزيمة مع النّاس فناداه الله خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأُولى، فرجع موسى ولفّ على يده عباءة كانت عليه ثمّ أدخل يده في فمها فإذا هي عصا كما كانت، وكان كما قال الله: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ لما رأوا ذلك ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ فغضب فرعون عند ذلك غضباً شديداً وقال: ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾ يعني موسى ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ فقالوا له كما حكى الله عزّوجلّ: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾.

فحبس فرعون من آمن بموسى في السجن حتّى أنزل الله عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم فأطلق عنهم، فأوحى الله إلى موسى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ فخرج موسى ببني إسرائيل ليقطع بهم البحر، وجمع فرعون أصحابه وبعث في المدائن حاشرين، وحشر النّاس وقدّم مقدّمته في ستّمائة ألف، وركب هو في ألف ألف، وخرج كما حكى الله عزّوجلّ: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ فلمّا قرب موسى من البحر وقرب فرعون من موسى قال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ فقال موسى: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ أي سينجين، فدنا موسى عليه السلام من البحر فقال له: انفرق، فقال له البحر: استكبرت يا موسى أن أنفرق لك ولم أعص الله طرفة عين وقد كان فيكم المعاصي؟! فقال له موسى: فاحذر أن تعصي، وقد علمت أنّ آدم اخرج من الجنّة بمعصية وإنّما لعن إبليس بمعصية، فقال البحر: عظيم ربّي مطاع أمره، ولا ينبغي لشيء أن يعصيه.

فقام يوشع بن نون فقال لموسى: يا رسول الله ما أمرك ربّك؟ فقال: بعبور البحر، فأقحم يوشع فرسه الماء وأوحى الله إلى موسى: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ أي كالجبل العظيم، فضرب له في البحر اثنا عشر طريقاً، فأخذ كلّ سبط في طريق، فكان الماء قد ارتفع وبقيت الأرض يابسة طلعت فيها الشمس فيبست كما حكى الله عزّوجلّ: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ ودخل موسى وأصحابه البحر، وكان أصحابه اثني عشر سبطاً، فضرب الله لهم في البحر اثني عشر طريقاً، فأخذ كلّ سبط في طريق، وكان الماء قد ارتفع على رؤوسهم مثل الجبال، فجزعت الفرقة الّتي كانت مع موسى في طريقه فقالوا: يا موسى أين إخواننا؟ فقال لهم: معكم في البحر، فلم يصدقوه، فأمر الله البحر فصارت طاقات حتّى كان ينظر بعضهم إلى بعض ويتحدّثون، وأقبل فرعون وجنوده فلمّا انتهى إلى البحر قال لاصحابه: ألا تعلمون أنّي ربّكم الأعلى قد فرج لي البحر؟ فلم يجسر أحد أن يدخل البحر وامتنعت الخيل منه لهول الماء، فتقحم فرعون حتّى جاء إلى ساحل البحر، فقال له منجمه: لا تدخل البحر، وعارضه فلم يقبل منه، وأقبل على فرس حصان فامتنع الفرس أن يدخل الماء، فعطف عليه جبرئيل وهو على ماديانة فتقدّمه ودخل، فنظر الفرس إلى الرمكة فطلبها ودخل البحر واقتحم أصحابه خلفه، فلمّا دخلوا كلّهم حتّى كان آخر من دخل من أصحابه وآخر من خرج من أصحاب موسى أمر الله الرياح فضربت البحر بعضه ببعض، فأقبل الماء يقع عليهم مثل الجبال، فقال فرعون عند ذلك: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فأخذ جبرئيل كفّاً من حمأة فدسها في فيه ثمّ قال: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

بيان: قال الرازيّ في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ اعلم أنّ السؤال بما لطلب الحقيقة وتعريف حقيقة الشيء إمّا أن يكون بنفس تلك الحقيقة، أو بشيء منها، أو بأمر خارج عنها أو بما يتركب من الداخل والخارج، والأوّل محال لأنّه يلزم أن يكون المعرَّف معلوماً قبل أن يكون معلوماً، والثاني مستلزم لتركّبه تعالى وهو محال فثبت أنّه لا يمكن تعريفه تعالى إلّابلوازمه وآثاره، وأظهر آثار واجب الوجود هو هذا العالم المحسوس، وهو السماوات والارض وما بينهما، فلذا قال موسى عليه السلام: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

وأمّا قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ فمعناه: إن كنتم موقنين باستناد هذه المحسوسات إلى موجود واجب الوجود فاعرفوا أنّه لا يمكن تعريفه إلّابما ذكرته، لأنكم لمّا سلّمتم انتهاء هذه المحسوسات إلى واجب لذاته وثبت أنّه فردٌ مطلقٌ وثبت أنّ الفرد المطلق لا يمكن تعريفه إلّابآثاره وثبت أنّ تلك الآثار لا بدّ وأن تكون أظهر آثاره وما ذاك إلّا السماوات والارض وما بينهما فإن أيقنتم لزمكم أن تقطعوا بأنّه لا جواب عن ذلك السؤال إلّاهذا! فقال فرعون على

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٩٤.

سبيل التعجب من جواب موسى: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ أنا أطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية والمؤثرية؟ فأجاب موسى عليه السلام بأن قال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وكأنه عليه السلام عدل عن التعريف السابق لأنه لا يمتنع أن يعتقد أحد أنّ السماوات والأرضين واجبة لذواتها، ولا يمكن أن يعتقد العاقل في نفسه وآبائه وأجداده كونهم واجبة لذواتهم، لأنّ المشاهدة دلت على أنّهم وجدوا بعد العدم، وما كان كذلك استحال أن يكون واجباً لذاته. فقال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ يعني المقصود من سؤال ما طلب خصوصيّة الحقيقة، والتعريف بهذه الآثار الخارجة لا تفيد البتّة تلك الخصوصية، فهذا الّذي يدّعي الرسالة مجنون، فقال موسى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فعدل إلى طريق ثالث أوضح لأنّه أراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار، وبالمغرب غروب الشمس وزوال النهار، والأمر ظاهر في أنّ هذا التدبير المستمرّ لا يتمُّ إلّابتدبير مدبّر، فإن كنت من العقلاء عرفت أنّه لا جواب عن سؤالك إلّاما ذكرته. انتهى ملخص كلامه[1].

أقول: لعلّ الأظهر أنّه لم يكن سؤاله عن طلب الماهيّة والحقيقة، بل على وجه الاستبعاد من وجود إله غيره، فاستدلّ عليه السلام على وجوده تعالى بالسماوات والأرض وما بينهما، ثمّ أظهر الاستبعاد عن كون السماوات والأرض محتاجة إلى الصانع، بل هي واجبة متحركة بذواتها كما هو مذهب الدهريّة، أو أنّه كان يخيّل أنّه ربّ السماوات والأرض، فاستدلّ عليه السلام ثانياً بخلق أنفسهم، فنسبه إلى الجنون سفهاً ومكابرة ومعاندة كما كان دأب جميع كفرة الأمم حيث كانوا ينسبون أنبياءهم بعد إتمام الحجج عليهم إلى الجنون[2].

ثمّ استدل عليه السلام بحركات الأفلاك واختلاف اللّيل والنهار، فلمّا رأى فرعون أنّه يظهر الربّ لقومه بآثاره عدل عن الاحتجاج إلى التهديد والوعيد، فقال موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبيّن صدق دعواي؟ يعني المعجزة، قوله: ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي لا ضرر علينا في ذلك. قوله: ﴿أَن كُنَّا﴾ أي بأن كنا قوله: ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ أي داخلين في وقت شروق الشمس. والحصان بالكسر الفرس الذكر الأصيل، ويسمى كلّ ذكر من الخيل حصاناً والرمكة محرّكة الفرس والبرذونة تتّخذ للنتاج.

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٤ المجلد ٨ ص ٤٩٨.

(٢) يمكن أن يقال في توجيه اختلاف الأجوبة أنه أجاب أولاً بما يدل على وجوده وعظم قدرته، ثم أجاب بما يدل على علمه وحكمته، إذ خالق الإنسان الحكيم لا بد وأن يكون أعلم منه وأحكم، إذ بديهة العقل تحكم بأن العلة أشرف وأحكم من المعلول، ثم أجاب بما يدل على لطفه ورحمته حيث هيأ لعباده مما يحتاجون إليه من معايشهم بخلق الشمس والقمر والكواكب وتدبير حركاتها على نظام محصوص به تحصل الفصول الأربعة التي بها تنمو الحبوب والثمار وعليها تصح الأبدان، فلما نبههم على أنه لا يمكن معرفة ذاته تعالى هداهم إلى معرفة صفاته بوجه يتيسر لهم غاية العرفان إذا تدبروا أمرهم حق التدبر (منه رحمه الله).

٢٢ - **فس:** وقال فرعون: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قال: فبنى هامان له في الهواء صرحاً حتّى بلغ مكاناً في الهواء لم يقدر الإنسان أن يقوم عليه من الرياح القائمة في الهواء، فقال لفرعون: لا نقدر أن نزيد على هذا، وبعث الله رياحاً فرمت به، فاتّخذ فرعون عند ذلك التابوت وعمد إلى أربعة أنسر فأخذ فراخها وربّاها حتّى إذا بلغت وكبرت عمدوا إلى جوانب التابوت الأربعة فغرزوا في كلّ جانب منه خشبة، وجعلوا على رأس كلّ خشبة لحماً، وجوّعوا الأنسر وشدّوا أرجلها بأصل الخشبة، فنظرت الأنسر إلى اللحم فأهوت إليه، وسفّت بأجنحتها وارتفعت بهما في الهواء، وأقبلت يطير يومها، فقال فرعون لهامان: انظر إلى السماء هل بلغناها؟ فنظر هامان فقال: أرى السماء كما كنت أراها في الأرض في البعد، فقال: انظر إلى الأرض فقال: لا أرى الأرض ولكن أرى البحار والماء، قال: فلم يزل النسر ترتفع حتّى غابت الشمس وغابت عنهما البحار والماء، فقال فرعون: يا هامان انظر إلى السّماء، فنظر فقال: أراها كما كنت أراها في الارض، فلمّا جنّهما اللّيل نظر هامان إلى السماء فقال فرعون: هل بلغناها؟ فقال: أرى الكواكب كما كنت أراها في الأرض ولست أرى من الأرض إلاّ الظلمة، قال: ثمّ جالت الرياح القائم في الهواء فأقبلت التابوت فلم يزل يهوي بهما حتّى وقع على الأرض، فكان فرعون أشدّ ما كان عتوّاً في ذلك الوقت[1].

بيان: ﴿فَأَوْقِدْ لِي﴾ أي النّار ﴿عَلَى الطِّينِ﴾ أي اللّبن ليصير آجرّاً، وقيل: أوّل من اتّخذ الآجرّ فرعون ﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ أي قصراً عالياً، وتوهّم الملعون أنّه لو كان الله لكان جسماً في السّماء، وقيل: أراد أن يبني له رصداً يترصد منها أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدلّ على بعثة رسول وتبدّل دولة؟ قوله: (حتى غابت الشمس) لعلّ المراد أثر الشمس لعدم الانعكاس، أو جرم الشمس لغيبوبتها تحت الأرض.

٢٣ - **ل، ع، ن:** سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن ستّة لم يركضوا في رحم فقال: آدم وحواء وكبش إبراهيم وعصا موسى وناقة صالح والخفّاش الّذي عمله عيسى بن مريم فطار بإذن الله عزّ وجلّ[2].

٢٤ - **ع، ن:** وسأله عن أوّل شجرة غرست في الأرض، فقال: العوسجة ومنها عصا موسى[3].

٢٥ - **ع، ن، ل:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن أبي الحسن أنّه

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١١٧.

(٢) - (٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ ح ٤٤ وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢١ باب ٢٤ ح ١.

قال: احتبس القمر عن بني إسرائيل، فأوحى الله جل جلاله إلى موسى عليه السلام: أن أخرج عظام يوسف من مصر، ووعده طلوع القمر إذا أخرج عظامه، فسأل موسى عمّن يعلم موضعه، فقيل له: ههنا عجوز تعلم محلّه، فبعث إليها فأتي بعجوز مقعدة عمياء، فقال لها: أتعرفين موضع قبر يوسف؟ قالت: نعم، قال: فأخبريني به؟ قالت لا حتّى تعطيني أربع خصال: تطلق لي رجلي، وتعيد إليّ شبابي، وتعيد إليّ بصري، وتجعلني معك في الجنّة، قال: فكبر ذلك على موسى، فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا موسى أعطها ما سألت فإنّك إنّما تعطي عليّ، ففعل فدلّته عليه فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر، فلمّا أخرجه طلع القمر فحمله إلى الشام، فلذلك يحمل أهل الكتاب موتاهم إلى الشام[1].

٢٦ - **كا**: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد عن محمّد بن هشام، عمّن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ قوماً ممّن آمن بموسى عليه السلام قالوا: لو أتينا عسكر فرعون فكنّا فيه ونلنا من دنياه، فإذا كان الّذي نرجوه من ظهور موسى عليه السلام صرنا إليه، ففعلوا، فلمّا توجّه موسى ومن معه هاربين من فرعون ركبوا دوابّهم وأسرعوا في السير ليلحقوا موسى وعسكره فيكونوا معهم، فبعث الله ملكاً فضرب وجوه دوابهم فردّهم إلى عسكر فرعون، فكانوا فيمن غرق مع فرعون[2].

ين: النضر مثله. «ص ١٣٣ باب ١١ ح ٤٧».

٢٧ - **كا**: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن بكر بن محمّد، عن الجعفريّ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان رجلٌ من أصحاب موسى أبوه من أصحاب فرعون، فلمّا لحقت خيل فرعون موسى تخلّف عنهم ليعظ أباه فيلحقه بموسى فمضى أبوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً، فأتى موسى الخبر فقال: هو في رحمة الله، ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع[3].

٢٨ - **ل**: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن محبوب، عن حنّان بن سدير قال: حدّثني رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر: أوّلهم ابن آدم الّذي قتل أخاه، ونمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه، واثنان في بني إسرائيل هوّدا قومهم ونصّراهم، وفرعون الّذي قال: أنا ربّكم الأعلى، واثنان في هذه الأمّة[4].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٣٤٥ باب ٢٣٢ ح ١، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٣٥، باب ٢٦ ح ١٨، والخصال، ص ٢٠٥ باب الأربعة ح ٢١.

(٢) الكافي، ج ٥ ص ٦٤٧ باب ٦٢ ح ١٣.

(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٢٣ باب مجالسة أهل المعاصي ح ٢.

(٤) الخصال، ص ٣٤٦ باب السبعة ح ١٥.

٢٩ - **ل:** أبي، عن سعد، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه علي، عن عيسى بن محمّد، عن بعض أصحابنا، عن عبد الله بن محمّد، عن أبي جميلة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أملى الله عزّ وجلّ لفرعون ما بين الكلمتين أربعين سنة ثمّ أخذه الله نكال الآخرة والأولى، وكان بين أن قال الله عزّ وجلّ لموسى وهارون: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ وبين أنّ عرفه الله الإجابة أربعين سنة. ثمّ قال: قال جبرئيل: نازلت ربّي في فرعون منازلة شديدة فقلت يا ربّ تدعه وقد قال: أنا ربكم الأعلى؟ فقال: إنّما يقول هذا عبد مثلك[1].

بيان: لعلّ المراد بالكلمتين قوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ وأمره بإغراق فرعون، أو قول فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ وقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قال الطبرسيّ قدّس سره: نكال مصدر مؤكّد لأنّ معنى أخذه الله: نكل الله به نكال الآخرة والأولى بأن أغرقه في الدنيا ويعذبه في الآخرة، وقيل: معناه: فعاقبه الله بكلمته الآخرة وكلمته الأولى، فالآخرة قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ والأولى قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ فنكل به نكال هاتين الكلمتين، وجاء في التفسير أنّه كان بين الكلمتين أربعون سنة.

وعن وهب عن ابن عبّاس قال: قال موسى عليه السلام: أمهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول: أنا ربكم الأعلى، ويجحد رسلك، ويكذب بآياتك؟! فأوحى الله تعالى إليه: إنّه كان حسن الخلق، سهل الحجاب، فأحببت أن اكافيه. وروى أبو بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال جبرئيل: قلت: يا ربّ تدع فرعون وقد قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فقال: إنّما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت انتهى[2].

وقال الجزريّ: فيه: نازلت ربّي في كذا أي راجعته وسألته مرّة بعد مرّة وهو مفاعلة من النزول عن الأمر أو من النزال في الحرب وهو تقابل القرنين.

٣٠ - **ب:** ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن الرضا عليه السلام قال: ما غضب الله على بني إسرائيل إلاّ أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلاّ أخرجهم منها إلى غيرها، ولقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج عظام يوسف منها، فاستدلّ موسى على من يعرف القبر، فدلّ على امرأة عمياء زمنة، فسألها موسى أن تدلّه عليه، فأبت إلاّ على خصلتين: فيدعو الله فيذهب بزمانتها، ويصيرها معه في الجنّة في الدرجة الّتي هو فيها. فأعظم ذلك موسى عليه السلام، فأوحى الله إليه: وما يعظم عليك من هذا، أعطها ما سألت، ففعل فوعدته طلوع القمر، فحبس الله القمر حتّى جاء موسى لموعده فأخرجه من النيل في سفط مرمر فحمله موسى. الخبر[3].

---

(١) الخصال، ص ٥٣٩ باب الأربعين، ح ١١.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٥٦.
(٣) قرب الإسناد، ص ٣٧٥ ضمن ح ١٣٣٠.

٣١ - **شي:** عن ابن أسباط، عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: إنّ أهل مصر يزعمون أنّ بلادهم مقدّسة، قال: وكيف ذاك؟ قلت: جعلت فداك إنّهم يزعمون أنّه يحشر من ظهرهم سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب، فقال: لا، لعمري ما ذاك كذاك، وما غضب الله على بني إسرائيل. إلى آخر ما مرّ(١).

٣٢ - **ب:** السنديّ بن محمّد، عن صفوان الجمّال، عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله. إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى أن يحمل عظام يوسف عليه السلام، فسأل عن قبره فجاءه شيخ فقال: إن كان أحد يعلم ففلانة، فأرسل إليها فجاءت فقال: أتعلمين موضع قبر يوسف؟ فقالت: نعم، قال: فدلّيني عليه ولك الجنّة، قالت: لا والله لا أدلّك عليه إلاّ أن تحكّمني قال: ولك الجنّة، قالت لا والله لا أدلّك عليه حتّى تحكّمني، قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ما يعظم عليك أن تحكمها؟ قال: فلك حكمك، قالت: أحكم عليك أن أكون معك في درجتك الّتي تكون فيها(٢).

٣٣ - **دعوات الراوندي:** عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى لمّا أمر أن يقطع البحر فانتهى إليه ضربت وجوه الدواب ورجعت، فقال موسى: يا ربّ ما لي؟ قال: يا موسى إنّك عند قبر يوسف فاحمل عظامه، وقد استوى القبر بالأرض فسأل موسى قومه: هل يدري أحد منكم أين هو؟ قالوا: عجوز لعلّها تعلم، فقال لها: هل تعلمين؟ قالت: نعم، قال: فدلّينا عليه، قالت: لا والله حتّى تعطيني ما أسألك، قال: ذلك لك، قالت: فإنّي أسألك أن أكون معك في الدرجة الّتي تكون في الجنّة قال: سلي الجنّة، قالت: لا والله إلاّ أن أكون معك، فجعل موسى يرادّ فأوحى الله أن أعطها ذلك فإنّها لا تنقصك، فأعطاها ودلته على القبر(٣).

أقول: تمامه في كتاب الدعاء.

٣٤ - **ع، ن:** ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن إبراهيم بن محمّد الهمدانيّ قال: قلت للرضا عليه السلام: لأيّ علّة أغرق الله فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟ قال: لأنّه آمن عند رؤية البأس والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ وهكذا فرعون لمّا أدركه الغرق قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فقيل له: ﴿آلْآنَ وَقَدْ

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٣٤ ح ٧٣ من سورة المائدة.

(٢) قرب الإسناد، ص ٥٩ ح ١٨٨. (٣) دعوات الراوندي، ص ٤١.

عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ وقد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد قد لبسه على بدنه، فلمّا غرق ألقاه الله تعالى على نجوة من الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامة، فيرونه مع تثقّله بالحديد على مرتفع من الأرض، وسبيل الثقيل أن يرسب ولا يرتفع فكان ذلك آية وعلامة، ولعلّة أُخرى أغرقه الله عزّوجلّ وهي أنّه استغاث بموسى لمّا أدركه الغرق ولم يستغث بالله، فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا موسى لم تغث فرعون لانّك لم تخلقه ولو استغاث بي لأغثته[1].

تحقيق: قال الرازيّ: فإن قيل: ما السبب في عدم قبول توبته؟ والجواب أنّ العلماء ذكروا وجوهاً:

الأوّل: أنّه إنّما آمن عند نزول العذاب والإيمان في هذا الوقت غير مقبول لأنّه تصير الحال حينئذ وقت الإلجاء، وفي هذه الحال لا تكون التوبة مقبولة.

الثاني: أنّه لم يكن مخلصاً في هذه الكلمة بل إنّما تكلّم بها توسّلاً إلى دفع تلك البلية الحاضرة.

الثالث: أنّ ذلك الإقرار كان مبنيّاً على محض التقليد، ألا ترى أنّه قال: لا إله إلاّ الّذي آمنت به بنو إسرائيل.

الرابع: أنّ أكثر اليهود كانت قلوبهم مائلة إلى التشبيه والتجسيم، ولذا اشتغلوا بعبادة العجل لظنّهم أنّه تعالى حلّ في جسده، فكأنّه آمن بالإله الموصوف بالجسمية وكلّ من اعتقد ذلك كان كافراً.

الخامس: أنّه أقرّ بالتوحيد فقط، ولم يقرّ بنبوّة موسى عليه السلام فلذا لم يقبل منه انتهى. والأوّل هو الأظهر كما دلّ عليه الخبر، إذ التوبة لا يجب على الله قبوله عقلاً إلاّ بما أوجب على نفسه من قبول توبة عباده تفضّلاً، وقد أخبر في الآيات الكثيرة بعدم قبول التوبة عند رؤية البأس، فلا إشكال في عدم قبول توبته عند معاينة العذاب.

٣٥ - **ع:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أسباط، عن إسماعيل ابن منصور، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول فرعون: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ من كان يمنعه؟ قال: منعته رشدته، ولا يقتل الأنبياء وأولاد الأنبياء إلاّ أولاد الزنا[2].

٣٦ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن الوشّاء، عن أبي جميلة، عن محمّد بن مروان، عن العبد الصالح عليه السلام قال: كان من قول موسى عليه السلام حين دخل على فرعون: «اللهم إنّي أدرء بك في نحره، وأستجير بك من شره،

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٦ باب ٥٣ ح ٢، وعيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٣ باب ٣٢ ح ٧.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٥ باب ٥٢ ح ١.

وأستعين بك؛ فحوّل الله ما كان في قلب فرعون من الأمن خوفاً[١].

٣٧ - ع؛ عليّ بن عبد الله بن الأسواريّ، عن مكي بن أحمد اليربوعيّ، عن نوح بن الحسن، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن إبراهيم، عن أيّوب بن سويد الرمليّ، عن عمرو ابن الحارث، عن زيد بن أبي حبيب، عن عبد الله بن عمر قال: غار النيل على عهد فرعون فأتاه أهل مملكته فقالوا: أيّها الملك أجر لنا النيل، قال: إنّي لم أرض عنكم، ثمّ ذهبوا فأتوه فقالوا: أيّها الملك تموت البهائم وهلكت ولئن لم تجر لنا النيل لنتخذنّ إلهاً غيرك، قال: اخرجوا إلى الصعيد، فخرجوا فتنحّى عنهم حيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه فألصق خدّه بالأرض وأشار بالسبّابة وقال: اللّهمّ إنّي خرجت إليك خروج العبد الذليل إلى سيّده، وإنّي أعلم أنّك تعلم أنّه لا يقدر على إجرائه أحد غيرك فأجره، قال: فجرى النيل جرياً لم يجر مثله، فأتاهم فقال لهم: إنّي قد أجريت لكم النيل، فخرّوا له سجّداً، وعرض له جبرئيل فقال: أيّها الملك أعنّي على عبد لي، قال: فما قصّته؟ قال عبد لي ملّكته على عبيدي وخوّلته مفاتيحي فعاداني وأحبّ من عاداني، وعادى من أحببت قال: لبئس العبد عبدك، لو كان لي عليه سبيل لأغرقته في بحر القلزم، قال: أيّها الملك اكتب لي بذلك كتاباً، فدعا بكتاب ودواة فكتب: ما جزاء العبد الّذي يخالف سيده فأحبّ من عادى وعادى من أحبّ إلاّ أن يغرق في بحر القلزم، قال يا أيّها الملك اختمه لي، قال: فختمه ثمّ دفعه إليه، فلمّا كان يوم البحر أتاه جبرئيل بالكتاب فقال له: خذ هذا ما استحققت به على نفسك، أو هذا ما حكمت به على نفسك[٢].

٣٨ - ل، ع، ن؛ سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن يوم الأربعاء والتطيّر منه، فقال عليه السلام: آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق - وساق الحديث إلى أن قال -: ويوم الأربعاء طلب فرعون موسى ليقتله، ويوم الأربعاء أمر فرعون بذبح الغلمان، ويوم الأربعاء أظلّ قوم فرعون أوّل العذاب[٣].

٣٩ - أقول؛ قال في مجمع البيان: روي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل: قال: لما رجع موسى إلى امرأته قالت: من أين جئت؟ قال من عند ربّ تلك النّار، قال: فغدا إلى فرعون، فوالله لكأنّي أنظر إليه طويل الباع ذو شعر آدم عليه جبّة من صوف، عصاه في كفه، مربوط حقوه بشريط، نعله من جلد حمار شراكها من ليف، فقيل لفرعون: إنّ على الباب فتىً يزعم أنّه رسول ربّ العالمين، فقال فرعون لصاحب الأسد: خلّ سلاسلها، وكان إذا غضب على أحد خلاها فقطعته، فخلاها وقرع موسى الباب الأوّل وكانت تسعة أبواب فلمّا قرع الباب الأوّل انفتح له الأبواب التسعة، فلمّا دخل جعلن يبصبصن تحت رجليه كأنّهن جراء،

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٥٤. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٥ باب ٥٣ ح ١.

(٣) الخصال، ص ٣٨٨ باب ٧ ح ١، وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢١ باب ٣٨٥ ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٣ باب ٢٤ ح ١.

فقال فرعون لجلسائه: رأيتم مثل هذا قط؟! فلمّا أقبل إليه قال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ فقال فرعون لرجل من أصحابه: قم فخذ بيده، وقال للآخر: اضرب عنقه، فضرب جبرئيل بالسيف حتّى قتل ستّة من أصحابه، فقال: خلوا عنه، قال: فأخرج يده فإذا هي بيضاء قد حال شعاعها بينه وبين وجهه، وألقى العصا فإذا هي حيّة فالتقمت الإيوان بلحييها، فدعاه: أن يا موسى أقلني إلى غد، ثمّ كان من أمره ما كان.

٤٠ - ع: محمّد بن جعفر بن نعيم بن شاذان النيسابوريّ، عن عمّه محمّد بن شاذان، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير قال: قلت لموسى بن جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لموسى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ فقال: أمّا قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أي كنّياه وقولا له: يا أبا مصعب - وكان اسم فرعون أبا مصعب الوليد بن مصعب - وأمّا قوله: ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ فإنّما قال ليكون أحرص لموسى على الذهاب، وقد علم الله عزّ وجلّ أنّ فرعون لا يتذكّر ولا يخشى إلّا عند رؤية البأس، ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فلم يقبل الله إيمانه، وقال: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[١].

٤١ - **ختص**: عن عبد الله بن جندب، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كان على مقدمة فرعون ستّمائة ألف ومائتي ألف، وعلى ساقته ألف ألف، قال: ولمّا صار موسى في البحر اتبعه فرعون وجنوده، قال: فتهيّب فرس فرعون أن يدخل البحر، فتمثّل له جبرئيل على ماديانة، فلمّا رأى فرس فرعون الماديانة أتبعها فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا[٢].

٤٢ - **نوادر الراوندي**: بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: دعا موسى وأمّن هارون وأمّنت الملائكة، فقال الله سبحانه: استقيما فقد أجيبت دعوتكما، ومن غزا في سبيلي استجبت له إلى يوم القيامة[٣].

٤٣ - **مع**: القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمارة، عن أبيه، عن سفيان ابن سعيد قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام - وكان والله صادقاً كما سمّي - يقول: يا سفيان عليك بالتقيّة فإنّها سنّة إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنّ الله عزّ وجلّ قال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ يقول الله عزّ وجلّ: كنّياه وقولا له: يا أبا مصعب، وإنّ رسول الله كان إذا أراد سفراً ورى بغيره وقال عليه السلام: أمرني ربّي بمداراة النّاس كما أمرني بأداء الفرائض؟، ولقد أدبه الله عزّ وجلّ بالتقية فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٨٦ باب ٥٦ ح ١. (٢) الاختصاص، ص ٢٦٦.
(٣) نوادر الراوندي، ص ١٣٧ ح ١٨١.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ يا سفيان من استعمل التقيّة في دين الله فقد تسنّم الذروة العليا من العزّ، إنّ عزّ المؤمن في حفظ لسانه، ومن لم يملك لسانه ندم. قال سفيان: فقلت له: يا ابن رسول الله هل يجوز أن يطمع الله عزّ وجلّ عباده في كون ما لا يكون؟ قال: لا، فقلت: فكيف قال الله عزّ وجلّ لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ وقد علم أنّ فرعون لا يتذكّر ولا يخشى؟ فقال: إنّ فرعون قد تذكر وخشي ولكن عند رؤية البأس حيث لم ينفعه الإيمان، ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فلم يقبل الله عزّ وجلّ إيمانه، وقال: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ يقول: نلقيك على نجوة من الأرض لتكون لمن بعدك علامة وعبرة(١).

٤٤ - ع: المكتّب: عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان الأحمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ لأي شيء سمّي ذا الأوتاد؟ قال: لأنّه كان إذا عذّب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه، ومدّ يديه ورجليه فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض، وربّما بسطه على خشب منبسط فوتّد رجليه ويديه بأربعة أوتاد، ثمّ تركه على حاله حتّى يموت، فسمّاه الله عزّ وجلّ فرعون ذا الأوتاد لذلك(٢).

٤٥ - ل: أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن يزيد بن إسحاق شعر، عن هارون الغنويّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن التسع الآيات الّتي أوتي موسى عليه السلام فقال: الجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والبحر والحجر والعصا ويده(٣).

٤٦ - ل: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن محمّد بن النعمان، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ قال: الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم والحجر والبحر والعصا ويده(٤).

٤٧ - مع: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن عبد الله بن سنان، عن خلف بن حمّاد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ قال: من غير برص. الخبر(٥).

٤٨ - مل: محمّد بن الحسن، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن عليّ بن الحكم، عن عرفة، عن ربعيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: شاطئ الوادي الأيمن الّذي ذكره الله في كتابه هو الفرات، والبقعة المباركة هي كربلا، والشجرة محمّد صلى الله عليه وآله(٦).

---

(١) معاني الأخبار، ص ٣٨٥. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٨٩ باب ٦٠ ح ١.

(٣) - (٤) الخصال، ص ٤٢٣ باب التسعة ح ٢٤ و٢٥.

(٥) معاني الأخبار، ص ١٧٢. (٦) كامل الزيارات، ص ١٠٩ باب ١٣ ح ١٠.

بيان: لعلّ المراد أنّ الله تعالى أظهر نور محمّد ﷺ وهو الشجرة المباركة له هناك ثمّ كلّمه.

٤٩ - **شي:** عن عاصم المصريّ رفعه قال: إنّ فرعون بنى سبع مدائن يتحصّن فيها من موسى عليه السلام وجعل فيما بينها آجاماً وغياضاً، وجعل فيها الاسد ليتحصّن بها من موسى، قال: فلمّا بعث الله موسى إلى فرعون فدخل المدينة ورآه الأُسد تبصبصت وولّت مدبرة قال: ثمّ لم يأت مدينة إلاّ انفتح له بابها حتّى انتهى إلى قصر فرعون الّذي هو فيه، قال: فقعد على بابه، وعليه مدرعة من صوف، ومعه عصاه، فلمّا خرج الآذن قال له موسى: استأذن لي على فرعون، فلم يلتفت إليه، قال: فقال له موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: فلم يلتفت إليه، قال: فمكث بذلك ما شاء الله يسأله أن يستأذن له، قال: فلمّا أكثر عليه قال له: أما وجد ربّ العالمين من يرسله غيرك؟! قال: فغضب موسى فضرب الباب بعصاه فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلاّ انفتح حتّى نظر إليه فرعون وهو في مجلسه، فقال: أدخلوه، قال: فدخل عليه وهو في قبّة له من بقعة كبيرة الارتفاع ثمانون ذراعاً، قال: فقال: إنّي رسول ربّ العالمين إليك، قال: فقال: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ قال: فألقى عصاه وكان لها شعبتان، قال: فإذا هي حيّة قد وقع إحدى الشعبتين في الأرض، والشعبة الأُخرى في أعلى القبّة، قال: فنظر فرعون إلى جوفها وهو يلتهب نيراناً، قال: وأهوت إليه فأحدث وصاح: يا موسى خذها[١].

٥٠ - **شي:** عن يونس بن ظبيان قال: قال: إنّ موسى وهارون حين دخلا على فرعون لم يكن في جلسائه يومئذ ولد سفاح، كانوا ولد نكاح كلّهم، ولو كان فيهم ولد سفاح لأمر بقتلهما، فقالوا: أرجه وأخاه، وأمروه بالتأنّي والنظر، ثمّ وضع يده على صدره قال: وكذلك نحن لا ينزع إلينا إلاّ كلّ خبيث الولادة[٢].

بيان: لعلّ قوله: (لا ينزع إلينا) من نزع القوس كناية عن القصد بالشر.

٥١ - **شي:** عن محمّد بن عليّ قال: كانت عصا موسى لآدم فصارت إلى شعيب، ثمّ صارت إلى موسى بن عمران، وإنّها لتروّع وتلقف ما يأفكون، وتصنع ما تؤمر، تفتح لها شعبتان: إحداهما في الأرض، والأخرى في السقف، وبينهما أربعون ذراعاً، تلقف ما يأفكون بلسانها[٣].

٥٢ - **شي:** عن محمّد بن قيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: ما الطوفان؟ قال. هو طوفان الماء والطاعون[٤].

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٨-٢٩ ح ٦١ و٦٢ و٦٤ من سورة الأعراف.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٨-٢٩ ح ٦٧ من سورة الأعراف.

٥٣ - **شي**: عن سليمان، عن الرضا عليه السلام في قوله: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ قال: الرجز هو الثلج، ثمّ قال: خراسان بلاد رجز[1].

٥٤ - **م**: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال الإمام عليه السلام: قال الله تعالى: واذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقاً ينقطع بعضه من بعض فأنجيناكم هناك وأغرقنا فرعون وقومه وأنتم تنظرون إليهم وهم يغرقون، وذلك أنّ موسى لمّا انتهى إلى البحر أوحى الله عزّ وجلّ إليه قل لبني إسرائيل: جدّدوا توحيدي، وأمرّوا بقلوبكم ذكر محمّد سيّد عبيدي وإمائي، وأعيدوا على أنفسكم الولاية لعليّ أخي محمّد وآله الطيّبين، وقولوا: اللّهمّ بجاههم جوّزنا على متن هذا الماء، فإنّ الماء يتحول لكم أرضاً، فقال لهم موسى ذلك فقالوا: تورد علينا ما نكره، وهل فررنا من فرعون إلّا من خوف الموت؟ وأنت تقتحم بنا هذا الماء الغمر بهذه الكلمات، وما يرينا ما يحدث من هذه علينا؟ فقال لموسى كالب بن يوحنّا وهو على دابّة له وكان ذلك الخليج أربعة فراسخ: يا نبيّ الله أمرك الله بهذا أن نقوله وندخل الماء؟ فقال: نعم، فقال: وأنت تأمرني به؟ قال: نعم، قال: فوقف وجدّد على نفسه من توحيد الله ونبوّة محمّد وولاية عليّ والطيّبين من آلهما كما أمر به ثمّ قال: اللّهمّ بجاههم جوّزني على متن هذا الماء، ثمّ أقحم فرسه فركس على متن الماء وإذا الماء تحته كأرض ليّنة حتّى بلغ آخر الخليج، ثمّ عاد راكضاً، ثمّ قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل أطيعوا موسى فما هذا الدعاء إلّا مفتاح أبواب الجنان، ومغاليق أبواب النيران، ومستنزل الأرزاق، وجالب على عبيد الله وإمائه رضى المهيمن الخلاق، فأبوا وقالوا: نحن لا نسير إلّا على الأرض فأوحى الله إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر وقل: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيّبين لمّا فلقته، ففعل فانفلق وظهرت الأرض إلى آخر الخليج، فقال موسى: ادخلوها، قالوا: الأرض وحلة نخاف أن نرسب فيها، فقال الله: يا موسى قل: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيّبين جففها، فقالها فأرسل الله عليها ريح الصبا فجفّت، وقال موسى: ادخلوها، قالوا: يا نبيّ الله نحن اثنا عشر قبيلة بنو اثني عشر آباء، وإن دخلنا رام كلّ فريق منّا تقدّم صاحبه، فلا نأمن وقوع الشرّ بيننا، فلو كان لكلّ فريق منّا طريق على حدة لأمنّا ما نخافه، فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعددهم اثني عشر ضربة في اثني عشر موضعاً إلى جانب ذلك الموضع، ويقول: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيّبين بيّن الأرض لنا وأمط الماء عنّا، فصار فيه تمام اثني عشر طريقاً، وجفّ قرار الأرض بريح الصبا، فقال: ادخلوها، قالوا: كلّ فريق منّا يدخل سكّة من هذه السكك لا يدري ما يحدث على الآخرين، فقال الله عزّ وجلّ: فاضرب كلّ طود من الماء بين هذه السكك، فضرب وقال: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيّبين لمّا جعلت هذا الماء طبقات واسعة يرى بعضهم بعضاً منها، فحدثت طبقات واسعة يرى بعضهم بعضاً منها، ثمّ

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٨-٢٩ ح ٦٨ من سورة الأعراف.

دخلوها، فلمّا بلغوا آخرها جاء فرعون وقومه فدخل بعضهم فلمّا دخل آخرهم وهمّوا بالخروج أوّلهم أمر الله تعالى البحر فانطبق عليهم فغرقوا وأصحاب موسى ينظرون إليهم فذلك قوله عزّوجلّ: ﴿وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إليهم، قال الله عزّوجلّ لبني إسرائيل في عهد محمّد ﷺ: فإذا كان الله تعالى فعل هذا كلّه بأسلافكم لكرامة محمّد ﷺ ودعاء موسى دعاء تقرب بهم إلى الله أفلا تعقلون أنّ عليكم الإيمان بمحمّد وآله إذ قد شاهدتموه الآن[١]؟.

٥٥ - **شي**: عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين قوله: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ وبين أنّ أخذ فرعون أربعون سنة[٢].

٥٦ - **شي**: عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا يرفعه قال: لمّا صار موسى في البحر أتبعه فرعون وجنوده، قال: فتهيّب فرس فرعون أن يدخل البحر، فتمثّل له جبرئيل على رمكة، فلمّا رأى فرس فرعون الرمكة أتبعها فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا[٣].

٥٧ - **شي**: عن الفضل بن أبي قرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوحى الله إلى إبراهيم أنّه سيولد لك، فقال لسارة فقالت: ءألد وأنا عجوز؟ فأوحى الله إليه: أنّها ستلد ويعذّب أولادها أربع مائة سنة بردها الكلام عليّ، قال: فلمّا طال على بني إسرائيل العذاب ضجّوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً، فأوحى الله إلى موسى وهارون عليهما السلام أن يخلصهم من فرعون، فحطّ عنهم سبعين ومائة سنة، قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنّا، فأمّا إذ لم تكونوا فإنّ الأمر ينتهي إلى منتهاه[٤].

٥٨ - **شي**: عن سلام، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ قال: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والعصا ويده[٥].

٥٩ - **شي**: عن العبّاس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ذكر قول الله: ﴿يَٰفِرْعَوْنُ﴾ يا عاصي[٦].

٦٠ - **نهج**: فأوجس موسى خيفة على نفسه أشفق من غلبة الجهّال ودول الضلال[٧].

٦١ - **نهج**: قال أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة القاصعة: إنّ الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم، ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون عليهما مدارع الصوف، وبأيديهما العصيّ، فشرطا له إن

---

(١) تفسير الإمام العسكري، ص ٢٤٥ ح ١٢١.
(٢) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٦ ح ٤٠ و٤١ من سورة يونس.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦٣ ح ٤٩ من سورة يونس.
(٥) - (٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٤١ ح ١٧٠ و١٧١ من سورة الاسراء.
(٧) نهج البلاغة، ص ٥٩ خطبة ٤ وفيه: لم يوجس موسى خيفة على نفسه بل أشفق من

أسلم بقاء ملكه ودوام عزه، فقال: ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العزّ وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذلّ؟ فهلا أُلقي عليهما أساورة من ذهب إعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه، ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وأن يحشر معهم طير السماء ووحوش الأرض لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحل الأنباء، ولما وجب للقابلين أُجور المبتلين، ولا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين(١).

بيان: الأساورة جمع للأسورة الّتي هي جمع السوار. والذهبان بالكسر والضمّ جمع الذهب. والعقيان بالكسر هو الذهب الخالص. وقيل: ما ينبت منه نباتاً. والبلاء: الامتحان. واضمحل الأنباء أي سقط الوعد والوعيد.

قال الثعلبيُّ: قال العلماء بأخبار الماضين: لمّا كلّم الله موسى وبعثه إلى مصر خرج ولا علم له بالطريق، وكان الله تعالى يهديه ويدلّه وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا شيء غير عصاه ومدرعة صوف وقلنسوة من صوف ونعلين، يظلّ صائماً، ويبيت قائماً، ويستعين بالصيد وبقول الأرض حتّى ورد مصر، ولمّا قرب مصر أوحى الله سبحانه إلى أخيه هارون يبشّره بقدوم موسى ويخبره أنّه قد جعله لموسى وزيراً ورسولاً معه إلى فرعون، وأمره أن يمرّ يوم السبت لغرّة ذي الحجّة متنكراً إلى شاطئ النيل ليلتقي في تلك الساعة بموسى، قال: فخرج هارون وأقبل موسى عليه السلام فالتقيا على شطّ النيل قبل طلوع الشمس، فاتّفق أنّه كان يوم ورود الأسد الماء، وكان لفرعون أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حولها، وكانت ترد الماء غبّاً، وكان فرعون إذ ذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سوراً، في كلّ سور رساتيق وأنهار ومزارع وأرض واسعة، في ربض كلّ سور سبعون ألف مقاتل، ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بنفسه وعمل فيها وسقاها بالنيل، ثمّ أسكنها الأسد فنسلت وتوالدت حتّى كثرت، ثمّ اتّخذها جنداً من جنوده تحرسه، وجعل خلال تلك الغيضة طرقاً تفضي من يسلكها إلى أبواب من أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الأبواب طريق غيرها، فمن أخطأ وقع في الغيضة فأكلته الأسد وكانت الأسود إذا وردت النيل ظلّت عليها يومها كلّها ثمّ تصدر مع اللّيل، قال: فالتقى موسى وهارون يوم ورودها، فلمّا أبصرتهما الأسد مدّت أعناقها ورؤوسها إليهما وشخصت أبصارها نحوهما، وقذف الله تعالى في قلوبها الرعب، فانطلقت نحو الغيضة منهزمة هاربة على وجوهها تطأ بعضها بعضاً حتّى اندسّت في الغيضة، وكان لها ساسة يسوسونها وذادة يذودونها ويشلونها بالناس فلمّا أصابها ما أصابها خاف ساستها فرعون ولم يشعروا من أين أُتوا، فانطلق موسى وهارون عليهما السلام في تلك المسبعة حتّى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الّذي هو أقرب أبوابها إلى منزل فرعون، وكان منه يدخل ومنه

(١) نهج البلاغة، ص ٤٠٠ خطبة ١٩٠. وفيها: واضمحلّت الأنباء.

يخرج، وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذي الحجّة بيوم، فأقاما عليه سبعة أيّام فكلّمهما واحد من الحرّاس وزبرهما وقال لهما: هل تدريان لمن هذا الباب؟ فقال موسى عليه السلام: إنّ هذا الباب والأرض كلّها وما فيها لربّ العالمين، وأهلها عبيدٌ له، فسمع ذلك الرجل قولاً لم يسمع مثله قطّ ولم يظنّ أنّ أحداً من النّاس يفصح بمثله، فلمّا سمع ما سمع أسرع إلى كبرائه الّذين فوقه فقال لهم: سمعت اليوم قولاً وعاينت عجباً من رجلين هو أعظم عندي وأفظع وأشنع ممّا أصابنا في الأسد، وما كانا ليقدما على ما أقدما عليه إلاّ بسحر عظيم، وأخبرهم القصة فلا يزال ذلك يتداول بينهم حتّى انتهى إلى فرعون.

وقال السدّيّ بإسناده: سار موسى عليه السلام بأهله نحو مصر حتّى أتاها ليلاً فتضيّف أمّه وهي لا تعرفه، وإنّما أتاهم في ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل ونزل في جانب الدار، فجاء هارون فلمّا أبصر ضيفه سأل عنه أمّه، فأخبرته أنّه ضيفٌ فدعاه فأكل معه فلمّا أن قعد تحدّثا فسأله هارون فقال: من أنت؟ فقال: أنا موسى، فقام كلّ واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه، فلمّا أن تعارفا قال له موسى: يا هارون انطلق معي إلى فرعون، فإنّ الله عزّ وجلّ قد أرسلنا إليه، فقال هارون: سمعاً وطاعة، فقامت أمّهما فصاحت وقالت: أنشدكما الله أن تذهبا إلى فرعون فيقتلكما، فأتيا ومضيا لأمر الله سبحانه فانطلقا إليه ليلاً فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلاً فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البوّاب، وقال فرعون: من هذا الّذي يضرب بأبي هذه الساعة؟! فأشرف عليهما البوّاب فكلّمهما، فقال له موسى: أنا رسول ربّ العالمين، فأتى فرعون فأخبره وقال: إنّ ههنا إنساناً مجنوناً يزعم أنّه رسول ربّ العالمين.

وقال محمّد بن إسحاق بن يسار: خرج موسى لمّا بعثه الله سبحانه حين قدم مصر على فرعون هو وأخوه هارون حتّى وقفا على باب فرعون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان: إنا رسول ربّ العالمين، فاذنوا بنا هذا الرجل، فمكثا سنتين يغدوان إلى بابه ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتّى دخل عليه بطّال له يلعب عنده ويضحكه فقال له: أيّها الملك إنّ على بابك رجلاً يقول قولاً عجيباً يزعم أنّ له إلهاً غيرك، فقال: ببابي؟ أدخلوه، فدخل موسى ومعه هارون عليهما السلام على فرعون.

قالوا: فلمّا أذن فرعون لموسى وهارون دخلا عليه فلمّا وقفا عنده دعا موسى بدعاء وهو: «لا إله إلاّ الله الحليم الكريم لا إله إلاّ الله العليّ العظيم سبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ الأرضين السبع وما فيهنّ وما بينهنّ وربّ العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين، اللّهمّ إنّي أدرؤك في نحره وأعوذ بك من شرّه وأستعينك عليه فاكفنيه بما شئت» قال: فتحوّل ما بقلب موسى من الخوف أمناً، وكذلك من دعا بهذا الدعاء وهو خائف آمن الله خوفه، ونفّس كربته، وهوّن عليه سكرات الموت.

ثم قال فرعون لموسى: من أنت؟ قال: أنا رسول ربّ العالمين، فتأمّله فرعون فعرفه فقال له: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ معناه: على ديننا هذا الّذي تعيبه، فقال موسى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ المخطئين، ولم أرد بذلك القتل ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ أي نبوة ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ثم أقبل موسى ينكر عليه ما ذكر فقال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي اتّخذتهم عبيداً تنزع أبناءهم من أيديهم تسترقّ من شئت، أي إنّما صيّرني إليك ذلك، قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ قال فرعون لمن حوله: ألا تستمعون؟ إنكاراً لما قال، قال موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فقال فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ يعني ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أنّ لكم إلهاً غيري، قال موسى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فقال فرعون لموسى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ تعرف به صدقي وكذبك، وحقّي وباطلك، قال فرعون: ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ فاتحة فاها قد ملأت ما بين سماطي فرعون، واضعة لحييها الأسفل في الأرض والأعلى في سور القصر حتّى رأى بعض من كان خارجاً من مدينة مصر رأسها، ثمّ توجّهت نحو فرعون لتأخذه فارفض عنها النّاس وذعر عنها فرعون، ووثب عن سريره وأحدث حتّى قام به بطنه في يومه ذلك أربعين مرة! وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يصدع ولا يصيبه آفة ممّا يصيب النّاس، وكان يقوم في أربعين يوماً مرّة، وكان أكثر ما يأكل الموز لكيلا يكون له ثفل فيحتاج إلى القيام، وكان هذه الأشياء ممّا زيّن له أن قال ما قال، لأنّه ليس له من النّاس شبيه، قالوا: فلمّا قصدته الحيّة صاح: يا موسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع إلاّ أخذتها وكففتها عنّي، وإنّي أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت، ثمّ نزع يده من جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج، لها شعاع كشعاع الشمس، فقال له فرعون: هذه يدك، فلمّا قالها فرعون أدخلها موسى جيبه ثمّ أخرجها الثانية لها نور ساطع في السماء تكلّ منها الأبصار، وقد أضاءت ما حولها، يدخل نورها في البيوت، ويرى من الكوى من وراء الحجب، فلم يستطع فرعون النظر إليها، ثمّ ردها موسى إلى جيبه ثمّ أخرجها فإذا هي على لونها الأوّل، قالوا: فهمّ فرعون بتصديقه فقام إليه هامان وجلس بين يديه فقال له: بينا أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد؟! فقال فرعون لموسى: أمهلني اليوم إلى غد، وأوحى الله تعالى إلى موسى: أنّ قل لفرعون: إنّك إن آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددتك شاباً طرياً، فاستنظره فرعون، فلمّا كان من الغد دخل عليه هامان فأخبره فرعون بما وعده موسى من ربّه، فقال له هامان: والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوماً واحداً، ونفخ في منخره، ثمّ قال له هامان: أنا أردّك شاباً، فأتاه بالوسمة فخضبه بها! فلمّا دخل عليه موسى فرآه على تلك الحالة هاله ذلك، فأوحى الله تعالى: لا يهولنّك ما رأيت فإنّه لم يلبث إلاّ قليلاً حتّى يعود إلى الحالة الأولى.

وفي بعض الروايات أنّ موسى وهارون لمّا انصرفا من عند فرعون أصابهما المطر في الطريق، فأتيا على عجوز من أقرباء أمّهما، ووجّه فرعون الطلّب في أثرهما، فلمّا دخل عليهما اللّيل ناما في دارها وجاءت الطلب إلى الباب والعجوز منتبهة، فلمّا أحسّت بهم خافت عليهما فخرجت العصا من صير الباب والعجوز تنظر فقاتلتهم حتّى قتلت منهم سبعة أنفس، ثمّ عادت ودخلت الدار، فلمّا انتبه موسى وهارون أخبرتهما بقصّة الطلب ونكاية العصا فيهم فآمنت بهما وصدّقتهما(١).

توضيح: الغيضة: موضع تنبت فيه الأشجار الكثيرة. وربض المدينة بالتحريك: ما حولها. والاندساس: الاختفاء. وأشليت الكلب على الصيد: أغريته. الطفيشل كسميدع: نوع من المرق. والارفضاض: التفرّق. والطلب بالتحريك: جمع طالب. والصير بالكسر: شقّ الباب.

ثم قال الثعلبيّ: قالت العلماء بأخبار الأنبياء: إنّ موسى وهارون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتيا به من سلطان الله سبحانه على السحر وقال للملأ من حوله: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ءأقتلهما؟ فقال العبد الصالح خربيل مؤمن آل فرعون: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا﴾ قال فرعون: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ وقال الملأ من قوم فرعون: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ وكانت لفرعون مدائن فيها السحرة عدّة للأمر إذا حزبه.

وقال ابن عبّاس: قال فرعون لمّا رأى من سلطان الله في اليد والعصا: إنّا لا نغالب موسى إلاّ بمن هو مثله، فأخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الغرماء يعلّمونهم السحر كما يعلّم الصبيان (الكتابة خ ل) في الكتّاب، فعلّموهم سحراً كثيراً، وواعد فرعون موسى موعداً فبعث فرعون إلى السحرة فجاء بهم ومعهم معلّمهم، فقالوا له: ماذا صنعت؟ فقال: قد علّمتهم سحراً لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلاّ أن يكون أمر من السماء فإنّه لا طاقة لهم به، ثمّ بعث فرعون الشرطيّ في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحراً إلاّ أتى به.

واختلفوا في عدد السحرة الّذين جمعهم فرعون، فقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين ساحراً، اثنان منهم من القبط وهما رأسا القوم، وسبعون من بني إسرائيل، وقال الكلبيّ: كانوا سبعين ساحراً غير رئيسهم، وكان الّذي يعلّمهم ذلك رجلين مجوسيّين من أهل نينوى، وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً، وقال السدّيّ: كانوا بضعاً وثلاثين ألفاً، وقال عكرمة: سبعين ألفاً، وقال محمّد بن المنكدر: ثمانين ألفاً فاختار منهم سبعة آلاف ليس منهم

(١) عرائس المجالس، ص ١٦٣.

إلاّ ساحر ماهر، ثمّ اختار منهم سبعمائة، ثمّ اختار من أولئك السبعمائة سبعين من كبرائهم وعلمائهم، قال مقاتل: وكان رئيس السحرة أخوين بأقصى مدائن مصر، فلمّا جاءهما رسول فرعون قالا لأمّهما: دلينا على قبر أبينا. فدلّتهما عليه، فأتياه فصاحا باسمه فأجابهما، فقالا: إنّ الملك وجّه إلينا أن نقدم عليه لأنّه أتاه رجلان ليس معهما رجال ولا سلاح ولهما عزّ ومنعة وقد ضاق الملك ذرعاً من عزّهما، ومعهما عصا إذا ألقياها لا يقوم لهما شيء، تبلع الحديد والخشب والحجر، فأجابهما أبوهما: انظرا إذا هما ناما فإن قدرتما أن تسلا العصا فسلاّها، فإنّ الساحر لا يعمل سحره وهو نائم، وإن عملت العصا وهما نائمان فذلك أمر ربّ العالمين، ولا طاقة لكما بهما ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا، فأتياهما في خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا.

قالوا: ثمّ واعدوه يوم الزينة وكان يوم سوق لهم، عن سعيد بن جبير، وقال ابن عبّاس: كان يوم عاشوراء، ووافق ذلك يوم السبت في أوّل يوم من السنة وهو يوم النيروز، وكان يوم عيد لهم يجتمع إليه النّاس من الآفاق، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: وكان اجتماعهم للميقات بالإسكندريّة، ويقال: بلغ ذنب الحيّة من وراء البحيرة يومئذ، قالوا: ثمّ قال السحرة لفرعون: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ قال فرعون: وإنّكم إذاً لمن المقرّبين عندي في المنزلة، فلمّا اجتمع النّاس جاء موسى وهو متكئ على عصاه ومعه أخوه هارون حتّى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه، فقال موسى عليه السلام للسحرة حين جاءهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ فتناجى السحرة بينهم وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر، فذلك قوله تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ فقالت السحرة: لنأتينّك اليوم بسحر لم تر مثله، وقالوا: بعزّة فرعون إنّا لنحن الغالبون، وكانوا قد جاؤوا بالعصيّ والحبال تحملها ستّون بعيراً، فلمّا أبوا إلاّ الإصرار على السحر قالوا لموسى: إمّا أن تلقي وإمّا أن تكون أوّل من ألقى؟ قال: بل ألقوا أنتم، فألقوا حبالهم وعصيّهم فإذا هي حيّات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً تسعى، فذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧)﴾ وقال: والله إن كانت لعصيّاً في أيديهم ولقد عادت حيّات وما يعدّون عصاي هذه، أو كما حدّث نفسه فأوحى الله تعالى إليه: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩)﴾ ففرّج عن موسى وألقى عصاه من يده فإذا هي ثعبانٌ مبينٌ، كأعظم ما يكون أسود مدلهمٌّ على أربع قوائم قصار غلاظ شداد، وهو أعظم وأطول من البختيّ، وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة رأسه وعنقه وكاهله، لا يضرب ذنبه على شيء إلاّ حطمه وقصمه، ويكسر بقوائمه الصخور الصمّ الصلاب، ويطحن كلّ شيء، ويضرم حيطان البيوت بنفسه ناراً، وله عينان تلتهبان ناراً،

ومنخران تنفخان سموماً، وعلى مفرقه شعرٌ كأمثال الرماح، وصارت الشعبتان له فماً سعته اثنا عشر ذراعاً، وفيه أنياب وأضراس، وله فحيح وكشيش وصرير وصريف، فاستعرضت ما ألقى السحرة من حبالهم وعصيّهم وهي حيّات في عين فرعون وأعين النّاس، تسعى تلقفها وتبتلعها واحداً واحداً حتّى ما يرى بالوادي قليلٌ ولا كثيرٌ ممّا ألقوا، وانهزم النّاس فزعين هاربين منقلبين، فتزاحموا وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضاً حتّى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام ومواطئ الأقدام خمسة وعشرون ألفاً، وانهزم فرعون فيمن انهزم منخوباً مرعوباً عازباً عقله، وقد استطلق بطنه في يومه ذلك عن أربعمائة جلسة! ثمّ بعد ذلك إلى أربعين مرّة في اليوم واللّيلة على الدوام إلى أن هلك! فلمّا انهزم النّاس وعاين السحرة ما عاينوا وقالوا: لو كان سحراً لما غلبنا، ولما خفي علينا أمره ولئن كان سحراً فأين حبالنا وعصيّنا؟ فألقوا سجّداً وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ وكان فيهم اثنان وسبعون شيخاً قد انحنت ظهورهم من الكبر، وكانوا علماء السحرة، وكان رئيس جماعتهم أربعة نفر: سابور وعادور وحطحط ومصفا، وهم الّذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى، ثمّ آمنت السحرة كلّهم، فلمّا رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلّداً: آمنتم له قبل أن آذن لكم إنّه لكبيركم الّذي علّمكم السحر فلأقطّعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلّبنّكم في جذوع النخل ولتعلمنّ أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم على جذوع النخل، وهو أوّل من فعل ذلك، فأصبحوا سحرة كفرة وأمسوا شهداء بررة، ورجع فرعون مغلوباً معلولاً، ثمّ أبى إلاّ إقامة على الكفر والتمادي فيه، فتابع الله تعالى عليه بالآيات وأخذه وقومه بالسنين إلى أن أهلكهم، وخرج موسى عليه السلام راجعاً إلى قومه والعصا على حالها حيّة تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الألوف بصاحبه، والنّاس ينظرون إليها ينخزلون ويتضاغطون حتّى دخل موسى عسكر بني إسرائيل وأخذ برأسها فإذا هي عصاه كما كانت أوّل مرّة، وشتّت الله على فرعون أمره، ولم يجد على موسى سبيلاً، فاعتزل موسى في مدينته ولحق بقومه وعسكروا مجتمعين إلى أن صاروا ظاهرين ظافرين[1].

بيان: المدلهمّ: المظلم. وفحيح الأفعى: صوتها من فيها. والكشيش: صوتها من جلدها. والمنخوب: الجبان الّذي لا فؤاد له.

ثمّ قال الثعلبيّ: فلمّا خاف فرعون على قومه أن يؤمنوا بموسى عزم على بناء صرح يقوى به سلطانه، فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ الآية، فجمع العمّال والفعلة حتّى اجتمع له خمسون ألف بنّاء سوى الأتباع والأجراء ممّن يطبخ الآجرّ والجصّ وينجر الخشب

(١) عرائس المجالس، ص ١٦٥.

والأبواب ويضرب المسامير، فلم يزل يبني ذلك الصرح إلى أن فرغ منه في سبع سنين وارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السماوات والأرض، فبعث الله عزّوجلّ جبرئيل وضرب بجناحه الصرح فقطعه ثلاث قطع: وقعت قطعة منها في البحر، وأخرى في الهند، وأخرى في المغرب.

وقال الضحّاك: بعثه الله وقت الغروب فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألف ألف رجل، وقالوا: ولم يبق أحد عمل فيه شيئاً إلاّ أصابه موت أو حريق أو عاهة، ثمّ إنّ فرعون بعد ذلك عزم على قتال موسى فأراه الله الآيات فلمّا لم يؤمن أوحى الله تعالى إلى موسى: أن اجمع بني إسرائيل كلّ أربعة أهل أبيات في بيت، ثمّ اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الأبواب، فإنّي مرسل على أعدائكم عذاباً وإنّي سآمر الملائكة فلا يدخل بيتاً على بابه دم، وسآمرها فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فتسلمون أنتم ويهلكون هم، ثمّ اخبزوا خبزاً فطيراً فإنّه أسرع لكم، ثمّ اسر بعبادي حتّى تنتهي بهم إلى البحر فيأتيك أمري، ففعلت ذلك بنو إسرائيل، فقالت القبط لبني إسرائيل، لم تعالجون هذا الدم على أبوابكم؟ فقالوا: إنّ الله سبحانه مرسل عذاباً فنسلم وتهلكون، فقالت القبط: فما يعرفكم ربّكم إلاّ بهذه العلامات؟ فقالوا: هكذا أمرنا نبيّنا، فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلّهم في ليلة واحدة وكانوا سبعين ألفاً، واشتغلوا بدفنهم وبما نالهم من الحزن على المصيبة، وسرى موسى بقومه متوجهين إلى البحر وهم ستّمائة ألف وعشرون ألفاً لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره، ولا ابن عشرين سنة لصغره، وهم المقاتلة سوى الذرّيّة، وكان موسى عليه السلام على الساقة، وهارون على المقدّمة، فلمّا فرغت القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بني إسرائيل قال فرعون: هذا عمل موسى قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا، ثمّ خرجوا ولم يرضوا أن ساروا بأنفسهم حتّى ذهبوا بأموالنا معهم، فنادى في قومه كما قال الله سبحانه: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦)﴾ ثمّ تبعهم فرعون بجنوده وعلى مقدّمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، كلّ رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة.

وقال ابن جريج: أرسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسوّر مع كلّ ملك ألف، ثمّ خرج فرعون خلفهم في الدهم وكانوا مائة ألف رجل كلّ واحد منهم راكباً حصاناً أدهم، فكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم، وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت، كما قال الله سبحانه ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ فلمّا تراءى الجمعان ورأت بنو إسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا: يا موسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر؟ هذا البحر أمامنا، إن دخلناه غرقنا، وفرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا، ولقد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، فقال موسى: استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين، وقال: عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون.

قالوا: فلمّا انتهى موسى عليه السلام إلى البحر هاجت الريح ترمي بموج كالجبال، فقال له يوشع بن نون: يا مكلّم الله أين أمرت وقد غشينا فرعون والبحر أمامنا؟ فقال موسى: ههنا، فخاض يوشع الماء وجاز البحر ما يواري حافر دابّته الماء، وقال خربيل يا مكلّم الله أين أمرت؟ قال: ههنا، فكبح فرسه بلجامه حتّى طار الزبد من شدقيه ثمّ أقحمه البحر فرسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا، فأوحى الله سبحانه إلى موسى ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضرب فلم يطعه فأوحى الله إليه: أن كنّه، فضرب موسى بعصاه ثانياً وقال: انفلق أبا خالد! فانفلق، فكان كلّ فرق كالطود العظيم، فإذا خربيل واقف على فرسه لم يبتلّ سرجه ولا لبده، وظهر في البحر اثنا عشر طريقاً لاثني عشر سبطاً، لكلّ سبط طريق، وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتّى صار يبساً.

وعن عبد الله بن سلام أنّ موسى لمّا انتهى إلى البحر قال: «يا من كان قبل كلّ شيء والمكوّن لكلّ شيء والكائن بعد كلّ شيء اجعل لنا مخرجاً».

وعن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّه قال عند ذلك: «اللّهمّ لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم» قالوا: فخاضت بنو إسرائيل البحر كلّ سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم لا يرى بعضهم بعضاً فخافوا وقال كلّ سبط: قد قتل إخواننا، فأوحى الله سبحانه إلى جبال الماء: أن تشبّكي فصار الماء شبكات ينظر بعضهم إلى بعض، ويسمع بعضهم كلام بعض حتّى عبروا البحر سالمين، ولمّا خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدّمة عسكر فرعون إليه، وأراد موسى أن يعود البحر إلى حاله الأولى فأوحى الله سبحانه: أن اترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون، فلمّا وصل فرعون قال لقومه: انظروا إلى البحر قد انفلق لهيبتي حتّى أدرك أعدائي وعبيدي، ولم تكن في خيل فرعون أنثى فجاء جبرئيل على فرس أنثى وعليه عمامة سوداء وتقدّمهم وخاض البحر وظنّ أصحاب فرعون أنّه منهم، فلمّا سمعت الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم ويقول لهم: الحقوا بأصحابكم، فلمّا أراد فرعون أن يسلك طريق البحر نهاه وزيره هامان وقال: إنّي قد أتيت هذا الموضع مراراً وما لي عهد بهذه الطرق، وإنّي لا آمن أن يكون هذا مكراً من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا، فلم يطعه فرعون وذهب حاملاً على حصانه أن يدخل البحر، فامتنع ونفر حتّى جاء جبرئيل على رمكة بيضاء فخاض البحر فتبعها حصان فرعون، فلمّا توافوا في البحر وهمّ أوّلهم بالخروج أمر الله البحر فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين بمرأى من بني إسرائيل، قالوا: فلمّا سمعت بنو إسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى: ما هذه الوجبة؟ فقال لهم: إنّ الله سبحانه قد أهلك فرعون وكلّ من كان معه، فقالوا: إنّ فرعون لا يموت لأنّه خُلِق خَلق من لا يموت، ألم تر أنّه كان يلبث كذا وكذا يوماً لا يحتاج إلى شيء ممّا يحتاج إليه الإنسان؟ فأمر الله سبحانه البحر فألقاه على نجوة من الأرض وعليه درعه حتّى نظر إليه بنو إسرائيل.

ويقال: لو لم يخرجه الله تعالى ببدنه لشكّ فيه بعض النّاس، فبعث موسى جندين عظيمين من بني إسرائيل كلّ جند اثنا عشر ألفاً إلى مدائن فرعون، وهي يومئذ خالية من أهلها لم يبق منهم إلاّ النساء والصبيان والزمنى والمرضى والهرمى، وأمّر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فدخلوا بلاد فرعون فغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم، وحملوا من ذلك ما استقلت به الحمولة عنها، وما لم يطيقوا حملها باعوه من قوم آخرين، فذلك قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ ثم إنّ يوشع استخلف على قوم فرعون رجلاً منهم وعاد إلى موسى بمن معه سالمين غانمين[(١)].

تذنيب: قال السيّد المرتضى قدّس سره: فإن قيل: كيف جاز لموسى أن يأمر السحرة بإلقاء الحبال والعصيّ وذلك كفرٌ وسحرٌ وتلبيسٌ وتمويهٌ، والأمر بمثله لا يحسن؟ قلنا: لا بدّ من أن يكون في أمره عليه السلام بذلك شرط، فكأنّه قال: ألقوا ما أنتم ملقون إن كنتم محقّين، وكان فيما تفعلونه حجّة، وحذف الشرط لدلالة الكلام عليه واقتضاء الحال له، ويمكن أن يكون على سبيل التحدّي بأن يكون دعاهم إلى الإلقاء على وجه يساويه فيه، ولا يخيّلون فيما ألقوه السعي والتصرّف من غير أن يكون له حقيقة لأنّ ذلك غير مساو لما ظهر على يده من انقلاب الجماد حيّة على الحقيقة دون التخييل، وإذا كان ذلك ليس في مقدورهم فإنّما تحدّاهم به ليظهر حجّته[(٢)].

أقول: يمكن أن يقال: الأمر بالسحر إذا كان مشتملاً على بيان بطلانه وظهور المعجزة وعدم مبالاته بما صنعوا مع أنّ القوم لا ينتهون عنه بعدم أمره بل بنهيه أيضاً ليس بقبيح، فيمكن أن يكون مخصّصاً لعمومات النهي عن الأمر بالسحر إن كانت ولو كان لمحض دليل العقل، فلا يحكم في خصوص تلك الصورة بشيء من القبح، أو يقال: إنّه لم يكن المراد به الأمر حقيقة بل كان الغرض عدم خوفه ومبالاته بما سحروا به، فيمكن إرجاعه إلى أمر التسوية، وقيل: إنّه لم يأمر بالسحر بل بالإلقاء وهو أعمّ منه.

ثم قال السيّد: فإن قيل: فمن أيّ شيء خاف موسى عليه السلام؟ أوليس خوفه يقتضي شكّه في صحّة ما أتى به؟ قلنا: إنّما رأى من قوّة التلبيس والتخييل ما أشفق عنده من وقوع الشبهة على من لم ينعم النظر فآمنه الله تعالى من ذلك، وبيّن له أنّ حجّته ستتّضح للقوم بقوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[(٣)].

أقول: قد مرّ خبر في علّة ذلك الخوف في إلقاء إبراهيم عليه السلام في النّار، وقيل كان لا يلقي

---

(١) عرائس المجالس، ص ١٥٧.
(٢) تنزيه الأنبياء، ص ٧٠.
(٣) تنزيه الأنبياء، ص ٧٠-٧٣.

العصا إلاّ بوحي، ولمّا أبطأ الوحي خاف تفرّق بعض النّاس قبل أن يؤمر بالإلقاء، وقيل. كان خوفه ابتداءً على مقتضى الجبلّة البشريّة.

ثم قال السيد رحمه الله: فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ﴾ الآية؟ قلنا: أمّا قوله: ﴿لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾ ففيه وجوه:

أوّلها: أنّه أراد: لئلا يضلّوا فحذف، وهذا له نظائر كثيرة في القرآن وكلام العرب فمن ذلك قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وإنّما أراد: لئلا تضلّ، وقوله: ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١٧٢﴾﴾ وقوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ وقال الشاعر:

نزلتم منزل الأضياف منّا فعجلنا القرى أن تشتمونا

وثانيها: أن اللام ههنا هي لام العاقبة وليست بلام الغرض كقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾.

وثالثها: أن يكون مخرج الكلام مخرج النفي والانكار على من زعم أنّ الله تعالى فعل ذلك ليضلهم.

ورابعها: أنّ يكون أراد الاستفهام فحذف حرفه المختص به[1].

٥ - باب أحوال مؤمن آل فرعون وامرأة فرعون

الآيات: المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٧٣.

هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

التحريم «٦٦»: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ﴾ «١١».

تفسير: قوله تعالى: ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: على وجه التقيّة قال أبو عبد الله عليه السلام: التقيّة من ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقيّة له، والتقيّة ترس الله في الأرض لأنّ مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لقتل، قال ابن عبّاس: لم يكن مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الّذي أنذر موسى فقال: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾. قال السدّيّ ومقاتل: كان ابن عمّ فرعون وكان آمن بموسى وهو الّذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وقيل: إنّه كان وليّ عهده من بعده وكان اسمه حبيباً، وقيل: اسمه خربيل[1].

وقال البيضاويّ: الرجل إسرائيليّ، أو غريب موحّد كان ينافقهم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ أتقصدون قتله ﴿أَن يَقُولَ﴾ لأن يقول أو وقت أن يقول، من غير رويّة وتأمل في أمره ﴿رَبِّيَ اللَّهُ﴾ وحده ﴿فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ أي فلا أقلّ من أن يصيبكم بعضه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ احتجاج ثالث ذو وجهين:

أحدهما: أنّه لو كان مسرفاً كذاباً لمّا هداه الله إلى البينات ولما عضده بتلك المعجزات.

وثانيهما: أنّ من خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله، ولعلّه أراد به المعنى الأوّل، وخيل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم، وعرّض به لفرعون بأنّه مسرفٌ كذّاب لا يهديه الله سبيل الصواب ﴿ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين عالين في الأرض أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ اللَّهِ﴾ أي فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرّضوا لبأس الله فإنّه إن جاءنا لم يمنعنا عنه أحد ﴿مَآ أُرِيكُمْ﴾ ما أُشير إليكم ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ وأستصوبه من قتله ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾ في تكذيبه والتعرّض له ﴿مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ مثل أيّام الأمم الماضية، يعني وقائعهم ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ مثل جزاء ما كانوا

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٣٧.

عليه دائبين من الكفر وإيذاء الرسل ﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة، أو يتصايحون بالويل والثبور، أو يتنادى أصحاب الجنّة وأصحاب النّار ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ﴾ عن الموقف ﴿مُدۡبِرِينَ﴾ منصرفين عنه إلى النّار، وقيل: فارّين عنها ﴿مِنۡ عَاصِمٍۗ﴾ يعصمكم من عذابه ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ﴾ أي يوسف بن يعقوب، على أنّ فرعونه فرعون موسى، أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد، أو سبطه يوسف بن إبراهيم بن يوسف ﴿مِن قَبۡلُ﴾ من قبل موسى ﴿مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾ في العصيان ﴿مُّرۡتَابٌ﴾ شاكٌّ فيما تشهد له البيّنات ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ يعني مؤمن آل فرعون. وقيل: موسى ﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ أي سبيلاً يصل سالكه إلى المقصود ﴿مَتَٰعٞ﴾ أي تمتّع يسير لسرعة زوالها ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ أي بغير تقدير وموازنة بالعمل، بل أضعافاً مضاعفة ﴿مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ﴾ أي بربوبيّته علم، والمراد نفي المعلوم ﴿لَا جَرَمَ﴾ لا رد لمّا دعوه إليه، وجرم فعل بمعنى حقّ، وفاعله ﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ﴾ أي حقّ عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها أصلاً، وقيل: جرم بمعنى كسب، وفاعله مستكنٌّ فيه، أي كسب ذلك الدعاء إليه أن لا دعوة له، بمعنى ما حصل من ذلك إلاّ ظهور بطلان دعوته، وقيل: من الجرم بمعنى القطع والمعنى: لا قطع لبطلان دعوة ألوهيّة الأصنام أي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقّاً ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالموت ﴿وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ في الضلالة والطغيان ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ ليعصمني من كلّ سوء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ فيحرسهم ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ شدائد مكرهم، وقيل: الضمير لموسى ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ أي بفرعون وقومه، واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنّه أولى بذلك، وقيل: بطلبة المؤمن من قومه، فإنّه فرّ إلى جبل فأتبعه طائفة فوجدوه يصلّي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعباً فقتلهم ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ الغرق أو القتل أو النار(١).

وقال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أي صرف الله عنه سوء مكرهم فجاء مع موسى عليه السلام حتّى عبر البحر معه ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ أي يعرض آل فرعون على النّار في قبورهم صباحاً ومساءً فيعذّبون، وقال أبو عبد الله عليه السلام: ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة لأنّ نار القيامة لا يكون غدوّاً وعشيّاً، ثمّ قال: إن كانوا إنّما يعذّبون في النّار غدوّاً وعشيّاً ففيما بين ذلك هم من السعداء، ولكن هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة، ألم تسمع قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ وهذا أمر لآل فرعون بالدخول، أو أمر للملائكة بإدخالهم في أشدّ العذاب وهو عذاب جهنّم(٢).

١ - م، ج: بالإسناد إلى أبي محمّد العسكريّ، عن آبائه، عن الصادق عليه السلام قال: كان حزبيل مؤمن آل فرعون يدعو قوم فرعون إلى توحيد الله، ونبوّة موسى، وتفضيل محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع رسل الله وخلقه، وتفضيل عليّ بن أبي طالب عليه السلام والخيار من الأئمّة

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٥٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٤٥.

على سائر أوصياء النبيّين، وإلى البراءة من ربوبيّة فرعون، فوشى به الواشون إلى فرعون وقالوا: إنّ حزبيل يدعو إلى مخالفتك ويعين أعداءك على مضادّتك، فقال لهم فرعون: ابن عمّي وخليفتي على ملكي ووليّ عهدي، إن فعل ما قلتم فقد استحقّ أشدّ العذاب على كفره نعمتي، فإن كنتم عليه كاذبين فقد استحققتم أشدّ العذاب لإيثاركم الدخول في مكانه، فجاء بحزبيل وجاء بهم فكاشفوه وقالوا: أنت تجحد ربوبيّة فرعون الملك وتكفر نعماءه؟ فقال حزبيل: أيّها الملك هل جرّبت عليّ كذباً قطّ؟ قال: لا، قال: فسلهم من ربّهم؟ فقالوا: فرعون، قال: ومن خالقكم؟ قالوا: فرعون هذا، قال: ومن رازقكم الكافل لمعايشكم والدافع عنكم مكارهكم؟ قالوا: فرعون هذا، قال حزبيل: أيّها الملك فأشهدك وكلّ من حضرك أنّ ربّهم هو ربّي، وخالقهم هو خالقي، ورازقهم هو رازقي، ومصلح معايشهم هو مصلح معايشي، لا ربّ لي ولا خالق ولا رازق غير ربّهم وخالقهم ورازقهم، وأشهدك ومن حضرك أنّ كلّ ربّ وخالق ورازق سوى ربّهم وخالقهم ورازقهم فأنا بريء منه ومن ربوبيّته وكافر بإلهيّته، يقول حزبيل هذا وهو يعني أنّ ربّهم هو الله ربّي، ولم يقل: إنّ الّذي قالوا إنّه ربّهم هو ربّي، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره وتوهموا أنّه يقول: فرعون ربّي وخالقي ورازقي، فقال لهم فرعون: يا رجال السوء ويا طلاب الفساد في ملكي ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمّي وهو عضدي أنتم المستحقون لعذابي لارادتكم فساد أمري، وإهلاك ابن عمّي والفت في عضدي، ثمّ أمر بالاوتاد فجعل في ساق كلّ واحد منهم وتداً وفي صدره وتداً. وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقوا بها لحومهم من أبدانهم، فذلك ما قال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ يعني حزبيل ﴿سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ لما وشوا به إلى فرعون ليهلكوه ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ وهم الّذين وشوا بحزبيل إليه لمّا أوتد فيهم الأوتاد ومشّط عن أبدانهم لحومها بالامشاط. الخبر[1].

بيان: وشى به إلى السلطان أي سعى ونمّه. وقال الجوهريّ: فتّ الشيء: أي كسّره يقال: فتّ عضدي وهدّ ركني.

٢ - **ل:** عبد الله بن محمّد بن عبد الوهّاب، عن أحمد بن الفضل، عن منصور بن عبد الله الإصبهانيّ، عن عليّ بن عبد الله، عن محمّد بن هارون بن حميد، عن محمّد بن المغيرة الشهرزوريّ، عن يحيى بن الحسين المدائنيّ، عن أبي لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين: مؤمن آل ياسين، وعليّ بن أبي طالب، وآسية امرأة فرعون[2].

٣ - **ل:** محمّد بن عليّ بن إسماعيل، عن أبي القاسم بن منيع، عن شيبان بن فروخ، عن

---

(١) تفسير الإمام العسكري، ص ٣٥٧ ح ٢٤٧، والاحتجاج ص ٣٧٠.

(٢) الخصال، ص ١٧٤ باب الثلاثة ح ٢٣٠.

داود بن أبي الفرات، عن علباء بن أحمد، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: خطّ رسول الله ﷺ أربع خطط في الأرض، وقال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء الجنّة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون(١).

٤ - **ل:** سليمان بن أحمد اللّخميّ، عن عليّ بن عبد العزيز، عن حجّاج بن منهال عن داود بن أبي الفرات الكنديّ، عن علباء، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: خطّ رسول الله ﷺ أربع خطوط، ثمّ قال: خير نساء الجنّة مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون(٢).

٥ - **فس:** ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ قال: كتم إيمانه ستّمائة سنة، قال: وكان مجذوماً مكنعاً، وهو الّذي قد وقعت أصابعه، وكان يشير إلى قومه بيديه المكنوعتين ويقول: «يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد».

قوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ يعني مؤمن آل فرعون، فقال أبو عبد الله عليه السلام: والله لقد قطعوه إرباً إرباً ولكن وقاه الله أن يفتنوه في دينه(٣).

٦ - **ص:** حزبيل هو مؤمن آل فرعون، أرسل فرعون رجلين في طلبه فانطلقا في طلبه فوجداه قائماً يصلّي بين الجبال والوحوش خلفه، فأرادا أن يعجّلاه عن صلاته، فأمر الله دابّة من تلك الوحوش كأنّها بعير أن تحول بينهما وبين المؤمن فطردتهما عنه حتّى قضى صلاته، فلمّا رآهما أوجس في نفسه خيفة وقال: «يا ربّ أجرني من فرعون فإنّك إلهي، عليك توكّلت وبك آمنت، وإليك أنبت، أسألك يا إلهي إن كان هذان الرجلان يريدان بي سوءاً فسلّط عليهما فرعون وعجل ذلك، وإن هما أراداني بخير فاهدهما» فانطلقا حتّى دخلا على فرعون ليخبراه بالذي عايناه، فقال أحدهما: ما الّذي نفعك أن يقتل، فكتم عليه، فقال الآخر: وعزّة فرعون لا أكتم عليه، وأخبر فرعون على رؤوس النّاس بما رأى وكتم الآخر، فلمّا دخل حزبيل قال فرعون للرجلين: من ربّكما؟ قالا: أنت، فقال لحزبيل: ومن ربّك؟ قال ربّي ربّهما، فظنّ فرعون أنّه يعنيه فوقاه الله سيّئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب، وسرّ فرعون وأمر بالأول فصلب فنجى الله المؤمن وآمن الآخر بموسى عليه السلام حتّى قتل مع السحرة(٤).

سن: أبي، عن عليّ بن النعمان، عن أيّوب بن الحرّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ قال: أما لقد سطوا عليه وقتلوه، ولكن أتدرون ما وقاه؟ وقاه أن يفتنوه في دينه(٥).

---

(١) - (٢) الخصال، ص ٢٠٥ باب الأربعة ح ٢٢ و٢٣.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢٩.
(٤) قصص الأنبياء، ص ١٦٦.
(٥) المحاسن للبرقي، ص ٢١٩.

بيان: سطا عليه أي قهر وبطش به. قال الثعلبيّ: قالت الرواة: كان حربيل من أصحاب فرعون نجّاراً، وهو الّذي نجر التابوت لأم موسى حين قذفته في البحر، وقيل: إنه كان خازناً لفرعون مائة سنة وكان مؤمناً مخلصاً يكتم إيمانه إلى أن ظهر موسى عليه السلام على السحرة فأظهر حزبيل إيمانه، فأُخذ يومئذ وقتل مع السحرة صلباً، وأمّا امرأة حزبيل فإنّها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة.

وروي عن ابن عبّاس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لمّا أسري بي مرّت بي رائحة طيّبة، فقلت لجبرئيل: ما هذه الرائحة؟ قال: هذه ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشطها فوقعت المشطة من يدها فقالت: بسم الله، فقالت بنت فرعون: أبي؟ فقالت: لا بل ربّي وربّك وربّ أبيك، فقالت: لأخبرنّ بذلك أبي، فقالت: نعم، فأخبرته فدعا بها وبولدها وقال: من ربّك؟ فقالت: إنّ ربّي وربّك الله، فأمر بتنّور من نحاس فأُحمي فدعا بها وبولدها، فقالت: إنّ لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قالت: تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها. قال: ذاك لك لما لك علينا من حقّ، فأمر بأولادها فألقوا واحداً واحداً في التنور حتّى كان آخر ولدها وكان صبياً مرضعاً، فقال: اصبري يا أماه إنّك على الحقّ، فألقيت في التنور مع ولدها.

وأمّا امرأة فرعون آسية فكانت من بني إسرائيل وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرّاً، وكانت على ذلك إلى أن قتل فرعون امرأة حزبيل، فعاينت حينئذٍ الملائكة يعرجون بروحها لما أراد الله تعالى بها من الخير فزادت يقيناً وإخلاصاً وتصديقاً، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها فرعون يخبرها بما صنع بها، فقالت: الويل لك يا فرعون، ما أجراك على الله جلّ وعلا؟ فقال لها: لعلّك قد اعتراك الجنون الّذي اعترى صاحبتك، فقالت: ما اعتراني جنون لكن آمنت بالله تعالى ربّي وربّك وربّ العالمين، فدعا فرعون أمّها فقال لها: إن ابنتك أخذها الجنون، فأقسم لتذوقنّ الموت أو لتكفرنّ بإله موسى، فخلت بها أمّها فسألتها موافقة فيما أراد، فأبت وقالت: أمّا أن أكفر بالله فلا والله لا أفعل ذلك أبداً، فأمر بها فرعون حتّى مدّت بين أربعة أوتاد ثمّ لا زالت تعذّب حتّى ماتت، كما قال الله سبحانه: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾.

وعن ابن عبّاس: قال: أخذ فرعون امرأته آسية حين تبيّن له إسلامها يعذّبها لتدخل في دينه، فمرّ بها موسى وهو يعذّبها فشكت إليه بإصبعها، فدعا الله موسى أن يخفّف عنها، فلم تجد للعذاب مسّاً، وإنّها ماتت من عذاب فرعون لها، فقالت وهي في العذاب: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ وأوحى الله إليها: أن ارفعي رأسك، ففعلت فأُريت البيت في الجنّة بني لها من درّ فضحكت، فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الّذي بها، تضحك وهي في العذاب انتهى[1].

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ هي

(١) عرائس المجالس، ص ١٦٦.

آسية بنت مزاحم، قيل: إنّها لمّا عاينت المعجز من عصا موسى وغلبت السحرة أسلمت فلمّا ظهر لفرعون إيمانها نهاها فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس، ثمّ أمر أن يلقى عليها صخرة عظيمة، فلمّا قربت أجلها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فرفعها الله تعالى إلى الجنّة فهي فيها تأكل وتشرب، عن الحسن وابن كيسان، وقيل. إنّها أبصرت بيتها في الجنّة من درّة وانتزع الله روحها، فالقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح، فلم تجد ألماً من عذاب فرعون، وقيل: إنّها كانت تعذب بالشمس وإذا انصرفوا عنها أظلّتها الملائكة وجعلت ترى بيتها في الجنّة، عن سلمان(١).

٦ - باب خروجه عليه السلام من الماء مع بني اسرائيل وأحوال التيه

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

المائدة «٥»: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

الأعراف «٧»: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٦٤. أقول: في المجمع عن الحسن عليه السلام: أن آسية امرأة فرعون كلما أراد فرعون أن يمسّها تمثلت له شيطانة يقاربها، وكذلك عمر مع أم كلثوم. [النمازي].

يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

تفسير: قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي جعلنا لكم الغمام ظلّة وسترة تقيكم حرّ الشمس في التيه ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾ هو الّذي يعرفه النّاس يسقط على الشجر، وقيل: إنّه شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار طعمه كالزبد والعسل، وقيل: إنّه الخبز المرقّق، وقيل: إنّه جميع النّعم الّتي أتتهم ممّا منّ الله به عليهم بلا تعب ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ قيل: هو السماني، وقيل: طائر أبيض يشبه السماني ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي قلنا لهم: كلوا من الشهيّ اللّذيذ، وقيل: المباح الحلال، وقيل: المباح الّذي يستلذّ أكله ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي فكفروا هذه النعمة وما نقصونا بكفرانهم أنعمنا ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ينقصون، وقيل: أي ما ضرّونا ولكن كانوا أنفسهم يضرّون. وكان سبب إنزال المنّ والسلوى عليهم أنّه لمّا ابتلاهم الله بالتيه إذ قالوا لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ حين أمرهم بالمسير إلى بيت المقدس وحرب العمالقة بقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ فوقعوا في التيه فصاروا كلّما ساروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ أو ستّة، وكلما أصبحوا ساروا غادين فأمسوا فإذا هم في مكانهم الّذي ارتحلوا منه، كذلك حتّى تمّت المدّة وبقوا فيها أربعين سنة، وفي التيه توفّي موسى وهارون، ثمّ خرج يوشع بن نون، وقيل: كان الله يردّ الجانب الّذي انتهوا إليه من الأرض إلى الجانب الّذي ساروا منه، فكانوا يضلّون على الطريق، لأنهم كانوا خلقاً عظيماً، فلا يجوز أن يضلّوا كلّهم عن الطريق في هذه المدّة المديدة، وفي هذا المقدار من الأرض، ولمّا حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوه، فألطف الله بهم بالغمام لمّا شكوا حرّ الشمس، وأنزل عليهم المنّ من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليومهم.

وقال الصادق عليه السلام: كان ينزل المن على بني إسرائيل من بعد الفجر إلى طلوع الشمس،

فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه، فلذلك يكره النوم في هذا الوقت إلى طلوع الشمس.

وقال ابن جريح: وكان الرجل منهم إن أخذ من المنّ والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد إلاّ يوم الجمعة، فإنّهم إذا أخذوا طعام يومين لم يفسد، وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت لأنّه كان لا يأتيهم يوم السبت، وكانوا يخبزونه مثل القرصة ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن، وكان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حرّ الشمس، وكان ينزل عليهم في اللّيل من السماء عمود من نور يضيء لهم مكان السراج، وإذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد[1].

﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ أي أنى شئتم ﴿رَغَدًا﴾ أي موسّعاً عليكم مستمتعين بما شئتم من طعام القرية، وقيل: إنّ هذه إباحة منه لغنائمها وتملّك أموالها ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ روي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: نحن باب حطّتكم ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ على ما يستحقّونه من الثواب تفضّلاً ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي في التيه لمّا شكوا إليه الظمأ فأوحى الله تعالى إليه ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ﴾ وهو عصاه المعروف ﴿الْحَجَرَ﴾ أي أيّ حجر كان، أو حجر مخصوص، وسيأتي ذكر الأقوال فيه ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ أي كلّ سبط موضع شربهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي قلنا لهم: كلوا واشربوا ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ أي لا تسعوا في الأرض فساداً[2].

وقال البيضاويّ: ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلّة تدبّره في عجائب صنعه، فإنّه لمّا أمكن أن يكون من الأحجار ما يحلق الشعر وينفر الخلّ ويجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجراً يسخّره لجذب الماء من تحت الأرض، أو لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماءً بقوّة التبريد ﴿عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يريد به ما رزقوا في التيه من المنّ والسلوى وبوحدته أنّها لا تختلف ولا تتبدّل ﴿الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أي أدون قدراً[3].

﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ﴾ إذ لم يبعث في أمّة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ أي وجعل منكم أو فيكم، وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الأنبياء بعد فرعون، وقيل: لمّا كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم وجعلهم مالكين لأنفسهم وأمورهم سمّاهم ملوكاً ﴿وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر وتظليل الغمام والمنّ والسلوى ونحوها، وقيل: أي عالمي زمانهم.

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ أرض بيت المقدس لكونها قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين وقيل: الطور وما حوله، وقيل: دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقيل: الشام[4].

﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال الطبرسيّ: أي كتب لكم في اللوح أنّها لكم، وقيل. أي وهب

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٢٢٤.
(٢) مجمع البيان، ج ١ ص ٢٢٩.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١٠٦.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٤٢٠.

الله لكم، وقيل: أمركم الله بدخولها. فإن قيل: كيف كتب الله لهم مع قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ فجوابه أنّها كانت هبة من الله لهم ثمّ حرّمها عليهم، وقيل: الّذين كتب لهم هم الّذين كانوا مع يوشع بعد موت موسى بشهرين ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ أي لا ترجعوا عن الأرض الّتي أمرتم بدخولها، أو عن طاعة الله.

قال المفسّرون: لمّا عبر موسى وبنو إسرائيل البحر وهلك فرعون أمرهم الله بدخول الأرض المقدّسة، فلمّا نزلوا عند نهر الأردنّ خافوا من الدخول، فبعث موسى عليه السلام من كلّ سبط رجلاً وهم الّذين ذكرهم الله سبحانه في قوله: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ فعاينوا من عظم شأنهم وقوّتهم شيئاً عجيباً، فرجعوا إلى بني إسرائيل فأخبروا موسى عليه السلام بذلك فأمرهم أن يكتموا ذلك، فوفّى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط بنيامين، وقيل: إنّه كان من سبط يوسف، وكالب بن يوفنا من سبط يهودا، وعصى العشرة وأخبروا بذلك، وقيل: كتم خمسة منهم وأظهر الباقون، وفشا الخبر في النّاس فقالوا: إن دخلنا عليهم تكون نساؤنا وأهالينا غنيمة لهم، وهمّوا بالانصراف إلى مصر وهمّوا بيوشع وكالب، وأرادوا أن يرجموهما بالحجارة، فاغتاظ لذلك موسى عليه السلام وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ فأوحى الله إليه: إنّهم يتيهون في الأرض أربعين سنة، وإنّما يخرج منهم من لم يعص الله في ذلك، فبقوا في التيه أربعين سنة في ستّة عشر فرسخاً، وقيل: تسعة فراسخ، وقيل: ستّة فراسخ، وهم ستّمائة ألف مقاتل، لا تنخرق ثيابهم وتنبت معهم، وينزل عليهم المنّ والسلوى، ومات النقباء غير يوشع بن نون وكالب، ومات أكثرهم ونشأ ذراريهم فخرجوا إلى حرب أريحا وفتحوها، واختلفوا فيمن فتحها فقيل: فتحها موسى ويوشع على مقدّمته، وقيل: فتحها يوشع وكان قد توفّي موسى وبعثه الله نبيّاً، وروي أنّهم كانوا في المحاربة إذ غابت الشمس فدعا يوشع فردّ الله عليهم الشمس حتّى فتحوا أريحا، وقيل: كان وفاة موسى وهارون في التيه، وتوفي هارون قبل موسى بسنة وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة في ملك إفريدون ومنوجهر، وكان عمر يوشع مائة وستّة وعشرين سنة، وبقي بعد وفاته مدبّراً لأمر بني إسرائيل سبعاً وعشرين سنة ﴿قَالُوا۟﴾ يعني بني إسرائيل: ﴿إِنَّ فِيهَا﴾ أي في الأرض المقدسة ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ شديدي البأس والبطش والخلق. قال ابن عبّاس: بلغ من جبريّة هؤلاء القوم أنّه لمّا بعث موسى النقباء رآهم رجل من الجبّارين يقال له عوج فأخذهم في كمّه مع فاكهة كان حملها من بستانه وأتى بهم الملك فنثرهم بين يديه، وقال للملك تعجّباً منهم: هؤلاء يريدون قتالنا، فقال الملك: ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا، قال مجاهد: وكانت فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب! ويدخل في قشر نصف رمّانة خمسة رجال! وإنّ موسى كان طوله عشرة أذرع، وله عصا طولها عشرة أذرع ونزا من الأرض مثل ذلك فبلغ كعب عوج بن عنق فقتله! وقيل: كان طول سريره ثمانمائة ذراع.

﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ يعني لقتالهم ﴿فَإِن يَخْرُجُوا۟﴾ يعني الجبّارين ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ هما يوشع

وكالب، وقيل: رجلان كانا من مدينة الجبّارين وكانا على دين موسى فلمّا بلغهما خبر موسى جاءاه فاتبعاه ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله تعالى ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإسلام، وقيل: يخافون الجبّارين، أي لم يمنعهم الخوف من الجبّارين أن قالوا الحقّ، أنعم الله عليهما بالتوفيق للطاعة ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾ يا بني إسرائيل ﴿عَلَيْهِمُ﴾ على الجبّارين ﴿ٱلْبَابَ﴾ باب مدينتهم، وإنّما علماً أنّهم يظفرون بهم لما أخبر به موسى عليه السلام من وعد الله تعالى بالنصر، وقيل: لما رأوه من إلقاء الرعب في قلوب الجبّارين ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ﴾ أي هذه المدينة ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ إلى أن تظفر بهم وترجع إلينا فحينئذ ندخل ﴿إِلَّا نَفْسِى﴾ أي لا أملك إلّا تصريف نفسي في طاعتك ﴿وَأَخِى﴾ أي وأخي كذلك لا يملك إلّا نفسه، أو لا أملك أيضاً إلّا أخي لأنّه يجيبني إذا دعوت ﴿فَٱفْرُقْ﴾ أي فافصل «بيننا وبينهم بحكمك فإنّها» أي الأرض المقدّسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ تحريم منع، وقيل: تحريم تعبد ﴿يَتِيهُونَ﴾ أي يتحيّرون في المسافة الّتي بينهم وبينها لا يهتدون إلى الخروج منها. وقال أكثر المفسّرين: إنّ موسى وهارون كانا معهم في التيه، وقيل: لم يكونا فيه لأنّ التيه عذاب وعذّبوا عن كلّ يوم عبدوا فيه العجل سنة، والأنبياء لا يعذّبون، قال الزجّاج إن كانا في التيه فجائز أن يكون الله سهّل عليهما ذلك، كما سهّل على إبراهيم النّار فجعلها عليه برداً وسلاماً.

ومتى قيل: كيف يجوز على عقلاء كثيرين أن يسيروا في فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج منها؟ فالجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بأن تحوّل الأرض الّتي هم عليها إذا ناموا وردّوا إلى المكان الّذي ابتدؤوا منه.

والآخر أن يكون بالاسباب المانعة عن الخروج عنها، إمّا بأن تمحى العلامات الّتي يستدلّ بها، أو بأن يلقى شبه بعضها على بعض، ويكون ذلك معجزاً خارقاً للعادة.

وقال قتادة: لم يدخل بلد الجبّارين أحد من القوم إلّا يوشع وكالب بعد موت موسى بشهرين، وإنّما دخلها أولادهم معهما ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أي لا تحزن على هلاكهم لفسقهم[١].

﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ أي يقبلون عليها، ملازمين لها، مقيمين عندها يعبدونها، قال قتادة: كان أُولئك القوم من لخم وكانوا نزولاً بالرقة. وقال ابن جريح: كانت تماثيل بقر وذلك أوّل شأن العجل ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ربكم وعظمته، أو نعمة ربّكم فيما صنع بكم ﴿مُتَبَّرٌ﴾ أي مدمّر مهلك ﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾ من عبادة الأصنام ﴿أَبْغِيكُمْ﴾ أي ألتمس لكم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي على عالمي زمانكم، وقيل: أي خصّكم بفضائل لم يعطها أحداً غيركم، وهو أن أرسل إليكم رجلين منكم لتكونوا أقرب إلى القبول، وخلّصكم من أذى فرعون وقومه على أعجب وجه وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم[٢].

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٣٠٧ - ٣١٤. (٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٣٧.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي جماعة يدعون إلى الحق ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ أي وبالحقّ يحكمون ويعدلون في حكمهم، واختلف فيهم على أقوال:

أحدها: أنّهم قوم من وراء الصين لم يغيّروا ولم يبدّلوا، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.

قالوا: وليس لأحد منهم مال دون صاحبه، يمطرون باللّيل، ويضحون بالنهار ويزرعون لا يصل إليهم منّا أحد ولا منهم إلينا، وهم على الحقّ.

قال ابن جريج: بلغني أنّ بني إسرائيل لمّا قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطاً تبرّأ سبط منهم ممّا صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرّق بينهم وبينهم، ففتح الله لهم نفقاً في الأرض فساروا فيه سنة ونصف سنة حتّى خرجوا من وراء الصين! فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا.

وقيل: إنّ جبرئيل انطلق بالنبيّ صلى الله عليه وآله ليلة المعراج إليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكّة فآمنوا به وصدّقوه، وأمرهم أن يقيموا مكانهم ويتركوا السبت، وأمرهم بالصلاة والزكاة ولم تكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا.

وروى أصحابنا أنّهم يخرجون مع قائم آل محمد عليه السلام، وروي أنّ ذا القرنين رآهم فقال: لو أُمرت بالمقام لسرّني أن أقيم بين أظهركم.

وثانيها: أنّهم قوم من بني إسرائيل تمسّكوا بالحقّ وبشريعة موسى عليه السلام في وقت ضلالة القوم وقتلهم أنبياءهم، وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى عليه السلام فالتقدير: كانوا يهدون.

وثالثها: أنّهم الّذين آمنوا بالنبيّ صلى الله عليه وآله مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما وفي حديث أبي حمزة الثماليّ والحكم بن ظهير أنّ موسى لمّا أخذ الألواح قال: ربّ إنّي أجد في الألواح أُمّة هي خير أُمّة أُخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أُمّتي، قال: تلك أُمّة أحمد، قال: ربّ إنّي أجد في الألواح أُمّة هم الآخرون في الخلق، السابقون في دخول الجنّة فاجعلهم أُمّتي، قال: تلك أُمّة أحمد، قال: ربّ إنّي أجد في الألواح أُمّة كتبهم في صدورهم يقرؤونها فاجعلهم أُمّتي، قال: تلك أُمّة أحمد، قال: ربّ إنّي أجد في الألواح أُمّة إذا همّ أحدهم بحسنة ثمّ لم يعملها كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له عشر أمثالها، وإن همّ بسيّئة ولم يعملها لم يكتب عليه، وإنّ عملها كتبت عليه سيّئة واحدة، فاجعلهم أُمّتي، قال: تلك أُمّة أحمد. قال: ربّ إنّي أجد في الألواح أُمّة يؤمنون بالكتاب الأوّل والكتاب الآخر، ويقاتلون الأعور الكذّاب فاجعلهم أُمّتي، قال: تلك أُمّة أحمد. قال: ربّ إنّي أجد في الألواح أُمّة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم أُمّتي، قال: تلك أُمّة أحمد. قال موسى: ربّ اجعلني من أُمّة أحمد. قال أبو حمزة: فأُعطي موسى آيتين لم يعطوها - يعني أُمّة أحمد - قال الله: يا موسى ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾

وقال: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ قال: فرضي موسى كلّ الرضاء.

وفي حديث غير أبي حمزة: قال النبيّ ﷺ لمّا قرأ ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾: هذه لكم، وقد أعطى الله قوم موسى مثلها.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ أي وفرّقنا بني إسرائيل اثنتي عشرة فرقة ﴿أَسْبَاطًا﴾ يعني أولاد يعقوب عليه السلام فإنّهم كانوا اثني عشر، وكان لكلّ واحد منهم أولاد ونسل فصار كلّ فرقة منهم سبطاً وأمّة، وإنّما جعلهم سبحانه أُمماً ليتميّزوا في مشربهم ومطعمهم، ويرجع كلّ أُمّة منهم إلى رئيسهم، فيخفّ الأمر على موسى ولا يقع بينهم اختلاف وتباغض ﴿فَانۢبَجَسَتْ﴾ الانبجاس: خروج الماء الجاري بقلّة، والانفجار: خروجه بكثرة، وكان يبتدئ الماء من الحجر بقلّة، ثمّ يتسع حتّى يصير إلى الكثرة[1].

١ - فس: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ يعني في بني إسرائيل، لم يجمع الله لهم النبوّة والملك في بيت واحد، ثمّ جمع الله ذلك لنبيّه[2]. قوله: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ أي ميّزناهم[3].

٢ - فس: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ الآية، فإنّ بني إسرائيل لمّا عبر بهم موسى البحر نزلوا في مفازة فقالوا: يا موسى أهلكتنا وقتلتنا وأخرجتنا من العمران إلى مفازة لا ظلّ ولا شجر ولا ماء، وكانت تجيء بالنهار غمامة تظلّهم من الشمس وينزل عليهم باللّيل المنّ فيقع على النبات والشجر والحجر فيأكلونه، وبالعشيّ يجيء طائر مشويّ فيقع على موائدهم، وإذا أكلوا وشبعوا طار ومرّ، وكان مع موسى حجر يضعه في وسط العسكر ثمّ يضربه بعصاه فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً كما حكى الله، فيذهب الماء إلى كلّ سبط في رحله، وكانوا اثني عشر سبطاً، فلمّا طال عليهم الأمد قالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ والفوم هي الحنطة، فقال لهم موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ فقالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ فنصف الآية في سورة البقرة وتمامها وجوابها لموسى في سورة المائدة. قوله: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ أي حط عنّا ذنوبنا، فبدّلوا ذلك وقالوا: حنطة، وقال الله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ آل محمّد صلوات الله عليهم حقهم ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[4].

بيان: قال البيضاويّ: الفوم: الحنطة، ويقال للخبز، وقيل: الثوم. وقال الفيروزآبادي: الفوم بالضمّ: الثوم والحنطة والحمص والخبز وسائر الحبوب الّتي تخبز.

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٧٦.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٧٢.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٤٥.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٨.

٣ - **فس:** قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ فإن ذلك نزل لمّا قالوا: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ فقال لهم موسى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ فقالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ فنصف الآية ههنا ونصفها في سورة البقرة، فلمّا قالوا لموسى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾ فقال لهم موسى: لا بدّ أن تدخلوها، فقالوا له. ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ فأخذ موسى بيد هارون وقال كما حكى الله: ﴿إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ يعني هارون فافرق بيننا وبين قومنا القوم الفاسقين، فقال الله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ﴾ يعني مصر أن يدخلوها أربعين سنة ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فلما أراد موسى أن يفارقهم فزعوا وقالوا: إن خرج موسى من بيننا نزل علينا العذاب، ففزعوا إليه وسألوه أن يقيم معهم ويسأل الله أن يتوب عليهم، فأوحى الله إليه: قد تبت عليهم على أن يدخلوا مصر، وحرّمتها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض عقوبة لقولهم: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ فدخلوا كلّهم في التوبة والتيه إلاّ قارون، فكانوا يقومون في أوّل اللّيل ويأخذون في قراءة التوراة، فإذا أصبحوا على باب مصر دارت بهم الأرض فردّتهم إلى مكانهم، وكان بينهم وبين مصر أربع فراسخ، فبقوا على ذلك أربعين سنة، فمات هارون وموسى في التيه ودخلها أبناؤهم وأبناء أبنائهم[١].

بيان: تفسير الأرض المقدّسة بمصر خلاف ما أجمع عليه المفسّرون والمؤرخون كما سيأتي، وأمّا قوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ فقيل: أراد مصر فرعون الّذي خرجوا منه، وقيل: بيت المقدس، وقيل: أراد مصراً من الأمصار، يعني إنّ ما تسألونه إنّما يكون في الأمصار كما سيجيء في الأخبار، وقوله: «إلا قارون» أي أنّه لم يدخل في التوبة، وسيأتي شرحه وتمام القصّة في باب قصص قارون.

٤ - **فس:** ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ فإنه لمّا غرق الله فرعون وأصحابه وعبر موسى وأصحابه البحر نظر أصحاب موسى إلى قوم يعكفون على أصنام لهم، فقالوا لموسى: ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ فقال موسى: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾ إلى قوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ وهو محكم[٢].

أقول: روى الثعلبيّ، عن محمّد بن قيس قال: جاء يهوديّ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم إلاّ خمساً وعشرين سنة حتّى قتل بعضكم بعضاً، قال: بلى ولكن ما جفّ أقدامكم من البحر حتّى قلتم: ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾[٣]!.

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٧٢.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٤١.

(٣) عرائس المجالس، ص ١٧٧.

٥ - **ختص**: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبان، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا انتهى بهم إلى الأرض المقدسة قال لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ قالوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فلما أبوا أن يدخلوها حرّمها الله عليهم فتاهوا في أربعة فراسخ أربعين سنة ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام: وكانوا إذا أمسوا نادى مناديهم: أمسيتم الرحيل، فيرتحلون بالحداء والرجز حتّى إذا أسحروا أمر الله الأرض فدارت بهم فيصبحون في منزلهم الّذي ارتحلوا منه، فيقولون: قد أخطأتم الطريق، فمكثوا بهذا أربعين سنة، ونزل عليهم المنّ والسلوى حتّى هلكوا جميعاً إلاّ رجلين: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، وأبناءهم، وكانوا يتيهون في نحو من أربعة فراسخ فإذا أرادوا أن يرتحلوا ثبت ثيابهم عليهم وخفافهم، قال: وكان معهم حجر إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت اثنتا عشرة عيناً لكلّ سبط عين، فإذا ارتحلوا رجع الماء فدخل في الحجر ووضع الحجر على الدابّة(١).

٦ - **ص**: الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا انتهى بهم موسى عليه السلام إلى الأرض المقدّسة قال لهم: ادخلوا، فأبوا أن يدخلوها، فتاهوا في أربعة فراسخ أربعين سنة وكانوا إذا أمسوا نادى مناديهم أمسيتم الرحيل، حتّى إذا انتهوا إلى مقدار ما أرادوا أمر الله الأرض فدارت بهم إلى منازلهم الأولى فيصبحون في منزلهم الّذي ارتحلوا منه، فمكثوا بذلك أربعين سنة، ينزل عليهم المنّ والسلوى فهلكوا فيها أجمعين إلاّ رجلين: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا اللّذين أنعم الله عليهما، ومات موسى وهارون عليهما السلام فدخلها يوشع بن نون وكالب وأبناؤهم، وكان معهم حجر كان موسى يضربه بعصاه فينفجر منه الماء لكلّ سبط عين(٢).

٧ - **ص**: بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى وهب بن منبّه، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاز بهم البحر: خبّرنا يا موسى بأيّ قوّة وأيّ عدّة وعلى أي حمولة نبلغ الأرض المقدّسة ومعك الذرّيّة والنساء والهرمى والزمنى؟ فقال موسى عليه السلام: ما أعلم قوماً ورّثه الله من عرض الدنيا ما ورّثكم، ولا أعلم أحداً آتاه منها مثل الّذي آتاكم، فمعكم من ذلك ما لا يحصيه إلاّ الله تعالى، وقال موسى: سيجعل الله لكم مخرجاً فاذكروه وردوا إليه أموركم، فإنّه أرحم بكم من أنفسكم، قالوا: فادعه يطعمنا ويسقنا ويكسنا ويحملنا من الرجلة ويظلّنا من الحرّ، فأوحى الله تعالى إلى موسى: قد أمرت السماء أن يمطر عليهم المنّ والسلوى، وأمرت الريح أن يشوي لهم السلوى، وأمرت الحجارة أن

---

(١) الاختصاص، ص ٢٦٥.
(٢) قصص الأنبياء، ص ١٧١.

تنفجر، وأمرت الغمام أن تظلّهم، وسخرت ثيابهم أن تنبت بقدر ما ينبتون، فلمّا قال لهم موسى ذلك سكتوا فسار بهم موسى، فانطلقوا يؤمّون الأرض المقدّسة وهي فلسطين، وإنّما قدّسها لأنّ يعقوب عليه السلام ولد بها، وكانت مسكن أبيه إسحاق ويوسف عليه السلام، ونقلوا كلّهم بعد الموت إلى أرض فلسطين(١).

٨ - **ص،** بالإسناد إلى الصدوق، عن الطالقانيّ، عن ابن عقدة، عن جعفر بن عبد الله، عن كثير بن عيّاش، عن أبي الجارود، عن الباقر عليه السلام قال في قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ إنّ ذلك حين فصل موسى من أرض التيه فدخلوا العمران، وكان بنو إسرائيل أخطؤوا خطيئة فأحبّ الله أنّ ينقذهم منها إن تابوا، فقال لهم: إذا انتهيتم إلى باب القرية فاسجدوا وقولوا: حطّة تنحطّ عنكم خطاياكم، فأمّا المحسنون ففعلوا ما أمروا به، وأمّا الّذين ظلموا فزعموا حنطة حمراء فبدّلوا فأنزل الله تعالى رجزاً(٢).

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾: أجمع المفسّرون على أنّ المراد بالقرية ههنا بيت المقدس، ويؤيّده قوله في موضع آخر: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ وقال ابن زيد: إنّها أريحا قرية قرب بيت المقدس، وكان فيها بقايا من قوم عاد، فيهم عوج بن عنق، والباب قيل هو باب حطّة من بيت المقدس وهو الباب الثامن، عن مجاهد، وقيل: باب القبّة الّتي يصلّي إليها موسى وبنو إسرائيل، وقال قوم: هو باب القرية الّتي أمروا بدخولها، وقال الجبّائيّ: والآية على باب القبّة أدل لأنّهم لم يدخلوا القرية في حياة موسى، وآخر الآية يدلّ على أنّهم كانوا يدخلون على غير ما أمروا به في أيّام موسى.

وقوله: ﴿سُجَّدًا﴾ قيل: معناه: ركّعاً، وهو شدّة الانحناء، عن ابن عبّاس، وقال غيره: إن معناه: ادخلوا خاضعين متواضعين، وقيل: معناه: ادخلوا الباب فإذا دخلتموه فاسجدوا لله سبحانه شكراً، عن وهب ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ قال أكثر أهل العلم: معناه: حطّ عنّا ذنوبنا وهو أمر بالاستغفار، وقال ابن عبّاس: أُمروا أن يقولوا هذا الأمر حقّ، وقال عكرمة: أمروا أن يقولوا: لا إله إلاّ الله لأنّها تحطّ الذنوب، واختلف في تبديلهم فقيل: إنّهم قالوا بالسريانيّة: حطا سمقاثا، معناه: حنطة حمراء فيها شعيرة، وكان قصدهم في ذلك الاستهزاء ومخالفة الأمر، وقيل: إنّهم قالوا: حنطة تجاهلاً واستهزاءً، وكانوا أُمروا أن يدخلوا الباب سجّداً وطؤطئ لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه زاحفين على أستاههم. قوله: ﴿رِجْزًا﴾ أي عذاباً، وقال ابن زيد: هلكوا بالطاعون فمات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً من كبرائهم(٣).

---

(١) - (٢) قصص الأنبياء، ص ١٧٣-١٧٤. (٣) مجمع البيان، ج ١ ص ٢٢٨.

٩ - **شي:** عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام أنّ رأس المهديّ يهدى إلى موسى بن عيسى على طبق، قلت: فقدمات هذا وهذا، قال: فقد قال الله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فلم يدخلوها ودخلها الأبناء - أو قال أبناء الأبناء - فكان ذلك دخولهم، فقلت: أوترى أنّ الّذي قال في المهديّ وفي ابن عيسى يكون مثل هذا؟ فقال: نعم يكون في أولادهم، فقلت: ما ينكر أن يكون ما كان في ابن الحسن يكون في ولده؟ قال: ليس ذاك مثل ذا[1].

١٠ - **شي:** عن حريز، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة، حتّى لا تخطؤون طريقهم، ولا يخطئكم سنّة بني إسرائيل[2]. ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: قال موسى لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فردّوا عليه وكانوا ستّمائة ألف، فقالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أحدهما يوشع بن نون، والآخر كالب بن يافنا، قال: وهما ابنا عمّه فقالا: ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ قال: فعصى أربعون ألفاً، وسلم هارون وابناه ويوشع بن نون وكالب بن يافنا، فسماهم الله فاسقين فقال: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ فتاهوا أربعين سنة لأنّهم عصوا فكان حذو النعل بالنعل، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قبض لم يكن على أمر الله إلّا عليّ والحسن والحسين وسلمان والمقداد وأبو ذر، فمكثوا أربعين حتّى قام عليّ فقاتل من خالفه[3].

بيان: القذّة: ريش السهم. وقوله: (وسلم هارون) أي التسليم الكامل. ولعلّه عليه السلام حسب الأربعين من زمان إظهار النبيّ صلى الله عليه وآله خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وإنكار المنافقين ذلك بقلوبهم حتّى أظهروه بعد وفاته صلى الله عليه وآله.

١١ - **شي:** عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام عن قوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: كتبها لهم ثمّ محاها[4].

١٢ - **شي:** عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لي: إنّ بني إسرائيل قال لهم ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ فلم يدخلوها حتّى حرمها عليهم وعلى أبنائهم، وإنّما دخلها أبناء الأبناء[5].

١٣ - **شي:** عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له، أصلحك الله ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أكان كتبها لهم؟ قال: إي والله لقد كتبها لهم ثمّ

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٣٢ ح ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) ورواه العامة في صحاحهم كما في كتاب التاج ج ١ ص ٤٣.

(٣) - (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٣٣ ح ٦٨-٧٠ من سورة المائدة.

بدا له لا يدخلوها. قال: ثمّ ابتدأ هو فقال: إنّ الصلاة كانت ركعتين عند الله فجعلها للمسافر وزاد للمقيم ركعتين فجعلها أربعاً[1].

١٤ - **شي:** عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن قول الله. ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ قال: كتبها لهم ثمّ محاها ثمّ كتبها لأبنائهم فدخلوها، والله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب[2].

١٥ - **شي:** عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر أهل مصر وذكر قوم موسى وقولهم: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ فحرّمها الله عليهم أربعين سنة وتيّههم، فكان إذا كان العشاء أخذوا في الرحيل ونادوا: الرحيل الرحيل، الوحى الوحى، فلم يزالوا كذلك حتّى تغيب الشفق حتّى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض قال الله للأرض: ديري بهم، فلم يزالوا كذلك حتّى إذا أسحروا وقارب الصبح قالوا: إنّ هذا الماء قد أتيتموه فانزلوا، فإذا أصبحوا إذا أبنيتهم ومنازلهم الّتي كانوا فيها بالأمس فيقول بعضهم لبعض: يا قوم لقد ضللتم وأخطأتم الطريق، فلم يزالوا كذلك حتّى أذن الله لهم فدخلوها وقد كان كتبها لهم[3].

١٦ - **شي:** عن داود الرقّي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: نعم الأرض الشام وبئس القوم أهلها، وبئس البلاد مصر، أما إنّها سجن من سخط الله عليه، ولم يكن دخول بني إسرائيل مصر إلّا من سخط ومعصية منهم لله، لأنّ الله قال: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ يعني الشام فأبوا أن يدخلوها فتاهوا في الأرض أربعين سنة في مصر وفيافيها، ثمّ دخلوها بعد أربعين سنة، قال: وما كان خروجهم من مصر ودخولهم الشام إلّا من بعد توبتهم ورضى الله عنهم، وقال: إنّي لأكره أن آكل من شيء طبخ في فخارها، وما أُحبّ أن أغسل رأسي من طينها مخافة أن يورثني ترابها الذلّ ويذهب بغيرتي[4].

١٧ - **شي:** عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ قال: كان في علمه أنّهم سيعصون ويتيهون أربعين سنة ثمّ يدخلونها بعد تحريمه إيّاها عليهم[5].

١٨ - **يب:** قال الصادق عليه السلام: نومة الغداة مشومة تطرد الرزق، وتصفّر اللون وتغيّره وتقبّحه، وهو نوم كلّ مشوم، إنّ الله تعالى يقسّم الأرزاق ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وإيّاكم وتلك النومة، وكان المنّ والسلوى ينزل على بني إسرائيل من طلوع الفجر

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٣٣ ح ٧١-٧٢ من سورة المائدة.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٣٣ ح ٧٤ من سورة المائدة.

(٤) - (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٣٥ ح ٧٥-٧٦ من سورة المائدة.

إلى طلوع الشمس، فمن نام تلك الساعة لم ينزل نصيبه، وكان إذا انتبه فلا يرى نصيبه احتاج إلى السؤال والطلب(١).

١٩ - م: قوله عزّوجلّ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قال الامام عليه السلام: قال الله عزّوجلّ: واذكروا يا بني إسرائيل إذ ظلّلنا عليكم الغمام لمّا كنتم في التيه تقيكم حرّ الشمس وبرد القمر ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ المنّ: الترنجبين كان يسقط على شجرهم فيتناولونه، والسلوى: السماني أطيب طير لحماً يسترسل لهم فيصطادونه، قال الله عزّوجلّ لهم: كلوا من طيّبات ما رزقناكم واشكروا نعمتي وعظّموا من عظّمته، ووقّروا من وقّرته ممّن أخذت عليكم العهود والمواثيق لهم محمّد وآله الطيّبين. قال الله عزّوجلّ: وما ظلمونا لمّا بدلوا وقالوا غير ما به أمروا ولم يفوا بما عليه عوهدوا لأنّ كفر الكافر لا يقدح في سلطاننا وممالكنا، كما أنّ إيمان المؤمن لا يزيد في سلطاننا، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يضرّون بها لكفرهم وتبديلهم، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عباد الله عليكم باعتقاد ولايتنا أهل البيت ولا تفرّقوا بيننا، وانظروا كيف وسّع الله عليكم حيث أوضح لكم الحجّة ليسهل عليكم معرفة الحقّ، ثمّ وسّع لكم في التقيّة لتسلموا من شرور الخلق، ثمّ إن بدّلتم وغيّرتم عرض عليكم التوبة وقبلها منكم، فكونوا لنعماء الله من الشاكرين.

ثم قال الله عزّوجلّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال الإمام عليه السلام: قال الله عزّوجلّ: واذكروا يا بني إسرائيل إذ قلنا لأسلافكم: ادخلوا هذه القرية وهي أريحا من بلاد الشام، وذلك حين خرجوا من التيه، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ من القرية ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعاً بلا تعب ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ القرية ﴿سُجَّدًا﴾ مثل الله تعالى على الباب مثال محمّد وعليّ وأمرهم أن يسجدوا تعظيماً لذلك المثال، وأن يجدّدوا على أنفسهم بيعتهما وذكر موالاتهما، وليذكروا العهد والميثاق المأخوذين عليهم لهما، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي قولوا: إنّ سجودنا لله تعظيماً لمثال محمّد وعليّ، واعتقادنا لولايتهما حطّة لذنوبنا ومحو لسيّئاتنا، قال الله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي بهذا الفعل ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ السالفة، ونزيل عنكم آثامكم الماضية ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ من كان فيكم لم يقارف الذنوب الّتي قارفها من خالف الولاية، وثبت على ما أعطى الله من نفسه من عهد الولاية فإنّا نزيدهم بهذا الفعل زيادة درجات ومثوبات، وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قوله عزّوجلّ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ أي لم يسجدوا كما أُمروا، ولا قالوا ما أُمروا، ولكن دخلوها مستقبليها بأستاههم وقالوا: هنطا سمقانا، أي حنطة

---

(١) تهذيب الأحكام، ج ٢ ص ٣٢٠ باب ٨ ح ٣٠٨.

حمراء ينقونها أحبّ إلينا من هذا الفعل وهذا القول، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ غيّروا وبدّلوا ما قيل لهم ولم ينقادوا لولاية محمّد وعليّ وآلهما الطيّبين ﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يخرجون عن أمر الله وطاعته قال: والرجز الّذي أصابهم أنّه مات منهم بالطاعون في بعض يوم مائة وعشرون ألفاً، وهم من علم الله تعالى منهم أنّهم لا يؤمنون ولا يتوبون، ولم ينزل هذا الرجز على من علم أنّه يتوب أو يخرج من صلبه ذرّيّة طيّبة يوحّد الله ويؤمن بمحمّد ويعرف الولاية لعليّ وصيّه وأخيه، ثمّ قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ قال: واذكروا يا بني إسرائيل إذ استسقى موسى لقومه طلب لهم السقي لمّا لحقهم العطش في التيه، وضجّوا بالبكاء إلى موسى وقالوا: هلكنا بالعطش، فقال موسى: «إلهي بحق محمّد سيّد الأنبياء، وبحقّ عليّ سيّد الأوصياء، وبحقّ فاطمة سيّدة النساء، وبحقّ الحسن سيّد الأولياء، وبحق الحسين سيّد الشهداء، وبحقّ عترتهم وخلفائهم سادة الأزكياء لمّا سقيت عبادك هؤلاء» فأوحى الله تعالى: يا موسى ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه بها ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كلّ قبيلة من بني أب من أولاد يعقوب ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ فلا يزاحم الآخرين في مشربهم، قال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾ الذي آتاكموه ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ولا تسعوا فيها وأنتم مفسدون عاصون. ثمّ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ اذكروا إذ قال أسلافكم: لن نصبر على طعام واحد: المنّ والسلوى، ولابدّ لنا من خلط معه ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ قال موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ يريد: أتستدعون الأدنى ليكون لكم بدلاً من الافضل، ثمّ قال: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ من الأمصار من هذا التيه ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ في المصر.

ثم قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ أي الجزية أُخزوا بها عند ربّهم وعند مؤمني عباده ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ هي الفقر والذلّة ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ احتملوا الغضب واللّعنة من الله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا﴾ ذلك الّذي لحقهم من الذلة والمسكنة واحتملوا من غضب الله بأنّهم كانوا ﴿يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ قبل أن ضرب عليهم هذه الذلّة والمسكنة ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وكانوا يقتلونهم بغير حقّ بلا جرم كان منهم إليهم ولا إلى غيرهم ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾ ذلك الخذلان الّذي استولى عليهم حتّى فعلوا الآثام الّتي من أجلها ضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله بما عصوا ﴿وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون أمر الله إلى أمر إبليس[1].

٢٠ - كا: محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن أبي سعيد الخراسانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٥٧ ح ١٢٦.

القائم عليه السلام إذا قام بمكّة وأراد أن يتوجه إلى الكوفة نادى مناديه : ألا لا يحمل أحد منكم طعاماً ولا شراباً ، ويحمل حجر موسى بن عمران - وهو وقر بعير - فلا ينزل منزلاً إلاّ انبعث عين منه ، فمن كان جائعاً شبع ، ومن كان ظامئاً روي ، فهو زادهم حتّى ينزل النجف من ظهر الكوفة(١) .

٢١ - م: أقبل رسول الله على اليهود وقال: احذروا أن ينالكم بخلاف أمر الله وخلاف كتاب الله ما أصاب أوائلكم الّذين قال الله فيهم: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ وأُمروا بأن يقولوه، فقال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ طاعوناً نزل بهم فمات منهم مائة وعشرون ألفاً ، ثمّ أخذهم بعد ذلك فمات منهم مائة وعشرون ألفاً أيضاً ، وكان خلافهم أنّهم لمّا أن بلغوا الباب رأوا باباً مرتفعاً فقالوا : ما بالنا نحتاج إلى أن نركع عند الدخول ههنا؟ ظننّا أنّه باب منحطّ لا بدّ من الركوع فيه ، وهذا باب مرتفع إلى متى يسخر بنا هؤلاء؟ - يعنون موسى ويوشع بن نون - ويسجدوننا في الأباطيل؟ وجعلوا أستاههم نحو الباب وقالوا بدل قولهم حطّة الّذي أمروا به «حطا سمقانا» يعنون حنطة حمراء ، فذلك تبديلهم(٢) .

تتميم: قال الثعلبي: إنّ الله عزّوجلّ وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدّسة وهي الشام، وكان يسكنها الكنعانيّون الجبّارون. وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، وعد الله موسى أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني إسرائيل، فلمّا استقرّت ببني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالسير إلى أريحا أرض الشام وهي الأرض المقدّسة، وقال: يا موسى إنّي قد كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإنّي ناصركم عليهم، وخذ من قومك اثني عشر نقيباً من كلّ سبط نقيباً ليكون كفيلاً على قومه بالوفاء منهم على ما أُمروا به، فاختار موسى النقباء من كلّ سبط نقيباً وأمّره عليهم، فسار موسى عليه السلام ببني إسرائيل قاصدين أريحا فبعث هؤلاء النقباء إليها يتجسّسون له الأخبار ويعلمون علمها وحال أهلها، فلقيهم رجل من الجبّارين يقال له عوج بن عناق، قال ابن عمر: كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلاثمائة وثلاث وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع بذراع الملك، وكان عوج يحتجر بالسحاب ويشرب، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثمّ يأكله! .

ويروى أنّه أتى نوحاً عليه السلام أيّام الطوفان فقال له: احملني معك في سفينتك، فقال له: اذهب يا عدو الله فإنّي لم أؤمر بك، وطبّق الماء ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتي عوج! وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتّى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام ، وكان

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٣١ باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء، ح ٣.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ، ص ٥٤٥ ح ٣٢٥.

لموسى عليه السلام عسكر فرسخ في فرسخ، فجاء عوج حتّى نظر إليهم، ثمّ أتى الجبل وقوّر منه صخرة على قدر العسكر ثمّ حملها ليطبقها عليهم، فبعث الله تعالى إليه الهدهد ومعه المسنّ - يعني منقاره - حتّى قوّر الصخرة فانثقبت فوقعت في عنق عوج فطوّقته فصرعته، فأقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع ونزا في السماء عشرة أذرع فما أصاب إلاّ كعبه وهو مصروع بالأرض فقتله.

قالوا: فأقبلت جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتّى جزوا رأسه، فلمّا قتل وقع على نيل مصر فجسرهم سنة، قالوا: وكانت أمّه عنق ويقال عناق إحدى بنات آدم عليه السلام من صلبه، فلمّا لقيهم عوج وعلى رأسه حزمة حطب أخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم إلى امرأته، وقال: انظري إلى هؤلاء القوم الّذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، فطرحهم بين يديها، وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا بل خلّ عنهم حتّى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك، فجعلوا يتعرّفون أحوالهم، وكان لا يحمل عنقود عنبهم إلاّ خمسة أنفس بالخشب! ويدخل في شطر الرمّانة إذا نزع حبّها خمسة أنفس أو أربعة! فلمّا خرجوا قال بعضهم لبعض: يا قوم إنّكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم شكّوا وارتدّوا عن نبيّ الله، ولكن اكتموا شأنهم وأخبروا موسى وهارون فيريان فيه رأيهما، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك، ثمّ انصرفوا إلى موسى عليه السلام بعد أربعين يوماً وجاؤوا بحبّة من عنبهم وقر رجل، وأخبروا بما رأوا، ثمّ إنّهم نكثوا العهد وجعل كلّ واحد منهم ينهى سبطه وقريبه عن قتالهم ويخبرهم بما رأوا من حالهم إلاّ رجلان منهم وفيا بما قالا: يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام على أخته مريم، فلمّا سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا: يا ليتنا متنا في أرض مصر، وليتنا نموت في هذه البرّيّة ولا يدخلنا الله القرية فتكون نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمة لهم، وجعل الرجل يقول لأصحابه: تعالوا نجعل علينا رأساً وننصرف إلى مصر، فذلك قوله تعالى إخباراً عنهم: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قال قتادة: كانت لهم أجسام طويلة وخلقة عجيبة ليست لغيرهم ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ فقال لهم موسى: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فإن الله عزّ وجلّ سيفتحها عليكم، وإنّ الّذي أنجاكم وفلق البحر هو الّذي يظهركم عليهم فلم يقبلوا وردّوا عليه أمره وهمّوا بالانصراف إلى مصر، فخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللّذان أخبر الله عزّ وجلّ عنهما في قوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالتوفيق والعصمة ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ يعني قرية الجبّارين ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ لأن الله عزّ وجلّ منجز وعده، وإنا رأيناهم وخبّرناهم فكانت أجسامهم قويّة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فأراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصرهما، وقالوا: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَا إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ فغضب موسى ودعا عليهم فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا

نَفْسِي وَأَخِيّ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي فاقض وافصل بيننا وبين القوم العاصين، وكانت عجلة عجّلها موسى عليه السلام فظهر الغمام على باب قبّة الزمر، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إلى متى يعصيني هذا الشعب؟ وإلى متى لا يصدّقون بالآيات؟ لأهلكنّهم جميعاً ولأجعلنّ لك شعباً أقوى وأكثر منهم.

فقال موسى: إلهي لو أنّك قتلت هذا الشعب كلّهم كرجل واحد لقالت الأمم الّذين سمعوا: إنّما قتل هذا الشعب من أجل أنّه لم يستطع أن يدخلهم الأرض المقدّسة فقتلهم في البرّيّة، وإنك طويل صبرك، كثيرة نعمك، وأنت تغفر الذنوب، وتحفظ الآباء على الأبناء والأبناء على الآباء فاغفر لهم ولا توبقهم، فقال الله عزّ وجلّ : قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعدما سمّيتهم فاسقين ودعوت عليهم، بي حلفت لأحرّمنّ عليهم دخول الأرض المقدّسة غير عبديّ يوشع وكالب، ولأتيهنّهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كلّ يوم من الأيام الّتي تجسّسوا فيها سنة، وكانت أربعين يوماً، ولنلقينّ جيفهم في هذه القفار، وأمّا بنوهم الّذين لم يعلموا الخير والشر فإنّهم يدخلون الأرض المقدّسة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ في ستّة فراسخ، وكانوا ستّمائة ألف مقاتل، فكانوا يسيرون كلّ يوم جادّين حتّى إذا أمسوا وباتوا فإذا هم في الموضع الّذي ارتحلوا منه، ومات النقباء العشرة الّذين أفشوا الخبر بغتة، وكلّ من دخل التيه ممّن جاوز عشرين سنة مات في التيه غير يوشع وكالب، ولم يدخل أريحا أحد ممّن قالوا: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾ فلمّا هلكوا وانقضت الأربعون السنة ونشأت النواشي من ذراريهم ساروا إلى حرب الجبّارين، وفتح الله لهم.

في ذكر النّعم التي أنعم الله تعالى على بني إسرائيل في التيه

قال الله سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي على أجدادكم وأسلافكم، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى فلق البحر لهم، وأنجاهم من فرعون، وأهلك عدوّهم، وأورثهم ديارهم وأموالهم، وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كلّ شيء يحتاجون إليه، وأعطاهم ما أعطاهم في التيه، وذلك أنّهم قالوا لموسى في التيه: أهلكتنا وأخرجتنا من العمران والبنيان إلى مفازة لا ظلّ فيها ولا كنّ فأنزل الله تعالى عليهم غماماً أبيض رقيقاً وليس بغمام المطر أرقّ وأطيب وأبرد منه فأظلّهم، وكان يسير معهم إذا ساروا، ويدوم عليهم من فوقهم إذا نزلوا، فذلك قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ يعني في التيه تقيكم من حرّ الشمس، ومنها أنّه جعل لهم عموداً من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر، فقالوا: هذا الظلّ والنور قد حصل فأين الطعام؟ فأنزل الله تعالى عليهم المنّ، واختلفوا فيه فقال مجاهد: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار وطعمه كالشهد، وقال الضحّاك: هو الترنجبين، وقال وهب: هو الخبز الرقاق، وقال السدّيّ: هو عسل كان يقع على الشّجر من اللّيل فيأكلون منه، وقال عكرمة: هو شيء أنزله الله عليهم مثل الربّ الغليظ، وقال الزجّاج:

جملة المنّ ما يمنّ الله به ممّا لا تعب فيه ولا نصب، كقول النبيّ ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاءٌ للعين» قالوا: وكان ينزل عليهم هذا المنّ كلّ ليلة يقع على أشجارهم مثل الثلج، لكلّ إنسان منهم صاع كلّ ليلة، فقالوا: يا موسى قتلنا هذا المنّ حلاوته فادع لنا ربّك يطعمنا اللّحم، فدعا موسى عليه السلام فأنزل الله عليهم السلوى.

واختلفوا فيه: فقال ابن عبّاس وأكثر الناس: هو طائر يشبه السماني، وقال أبو العالية ومقاتل: هي طير حمر بعث الله سبحانه سحابة فمطرت السماني عليهم في عرض ميل وقدر طول رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك، وقيل: كانت طيراً مثل فراخ الحمام طيباً وسمناً قد تمعّط ريشها وزغبها فكانت الريح تأتي بها إليهم فيصبحون وهو في معسكرهم، وقيل: إنّها طير كانت تأتيهم فتسترسل لهم فيأخذونها بأيديهم، وقال عكرمة: هي طير تكون بالهند أكبر من العصفور، وقيل: هو العسل بلغة كنانة، فكان الله تعالى يرسل عليهم المنّ والسلوى فيأخذ كلّ واحد منهما ما يكفيه يوماً وليلة، فإذا كان يوم الجمعة أخذ ما يكفيه يومين، لأنّه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا﴾ أي وقلنا لهم: كلوا ﴿مِن طَيِّبَاتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدّخروا لغد، فخبوا لغد وتدوّد وفسد ما ادّخروا وقطع الله عنهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي ما يضرّونا بالمعصية ومخالفة الأمر ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يضرون باستيجابهم قطع مادّة الرزق الّذي كان ينزل عليهم بلا مؤونة ولا مشقّة في الدنيا، ولا حساب ولا تبعة في العقبى.

ومنها أنّهم عطشوا في التيه فقالوا: يا موسى من أين لنا الشراب؟ فاستسقى لهم موسى عليه السلام فأوحى الله سبحانه إليه: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ واختلف العلماء فيه فقال وهب: كان موسى عليه السلام يقرع لهم أقرب حجر من عرض الحجارة فتنفجر عيوناً، لكلّ سبط عين، وكانوا اثني عشر سبطاً، ثمّ تسيل كلّ عين في جدول إلى سبط، فقالوا: إن فقد موسى عصاه متنا عطشاً، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى: لا تقرعنّ الحجارة بالعصا ولكن كلّمها تطعك لعلّهم يعتبرون، وكان يفعل ذلك، فقالوا: كيف بنا لو افضينا إلى الوحل وإلى الأرض الّتي ليست فيها حجارة؟ فأمر موسى فحمل معه حجراً فحيث ما نزلوا ألقاه.

وقال الآخرون: كان حجراً مخصوصاً بعينه والدليل عليه قوله: ﴿الْحَجَرَ﴾ فأدخل الألف واللاّم للتعريف والتخصيص مثل قولك: رأيت الرجل.

ثمّ اختلفوا في ذلك الحجر ما هو؟ فقال ابن عبّاس: كان حجراً خفيفاً مربّعاً مثل رأس الرجل، أُمر أن يحمله فكان يضع في مخلاته، فإذا احتاجوا إلى الماء ألقاه وضربه بعصاه فسقاهم، وقال أبو روق: كان الحجر من الكدّان وهو حجارة رخوة كالمدر وكان فيه اثنا عشر حفرة، ينبع من كلّ حفرة عين ماء عذب فيأخذونه، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء، وكان يسقي كلّ يوم ستّمائة ألف.

ومنها أنّهم قالوا لموسى في التيه: من أين لنا اللّباس؟ فجدّد الله لهم ثيابهم الّتي كانت عليهم حتّى لا تزيد على كرور الأيّام ومرور الأعوام إلّا جدّة وطراوة ولا تخلق ولا تبلى، وتنمو على صبيانهم كما ينمون. انتهى(١).

اقول: لا يخفى عليك ممّا أوردنا في تلك الأبواب أنّ موسى وهارون عليهما السلام لم يخرجا من التيه، وأنّ حجر موسى عليه السلام كان حجراً مخصوصاً وهو عند قائمنا عليه السلام وسيأتي الأخبار في ذلك في كتاب الغيبة.

وروى الثعلبيّ عن وهب بن منبّه قال: أوحى الله تعالى إلى موسى أن يتّخذ مسجداً لجماعتهم، وبيت المقدس للتوراة ولتابوت السكينة، وقباباً للقربان، وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات ظاهرها وباطنها من الجلود الملبّسة عليها، وتكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان، وحبالها الّتي تمدّ بها من أصواف تلك الذبائح، وعهد أن لا تغزل تلك الحبال حائض، وأن لا يدبغ تلك الجلود جنب، وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كلّ عمود منها أربعون ذراعاً، ويجعل منه اثني عشر قسماً مشرحاً، فإذا انقضى وصار اثني عشر جزءاً حمل كلّ جزء بما فيه من العمد سبط من أسباط بني إسرائيل، وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستّمائة ذراع في ستّمائة ذراع، وأن ينصب فيه سبع قباب ستّة منها مشبّكة بقضبان الذهب والفضّة، كلّ واحدة منهنّ منصوبة على عمود من فضّة طوله أربعون ذراعاً وعليها أربعة دسوت ثياب الباطن منها سندس أخضر والثاني أرجوان أحمر، والثالث ديباج، والرابع من جلود القربان وقاية لها من المطر والغبار، وحبالها الّتي تمد بها من صوف القربان، وأن يجعل سعتها أربعين ذراعاً، وأن ينصب في جوفها موائد من فضّة مربّعة يوضع عليها القربان، سعة كلّ مائدة منهن ذراع في أربعة أذرع، كلّ مائدة على أربع قوائم من فضّة، طول كلّ قائمة ثلاثة أذرع، لا ينال الرجال منها إلاّ قائماً، وأمره أن ينصب بيت القدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعاً وأن يضعه على سبيكة من ذهب طوله سبعون ذراعاً مرصع بألوان الجواهر، وأن يجعل أسفله مشبكاً بقضبان الذهب والفضّة، وأن يجعل حبالها الّتي تمدّ بها من صوف القربان مصبوغاً بألوان من أحمر وأصفر وأخضر، وأن يلبسه سبعة من الجلال: الباطن منها سندس أخضر، والثاني أرجوان أحمر، والثالث أبيض وأصفر من الحرير، وسائرها من الديباج والوشي، والظاهر غاشية له من جلود القربان وقاية من الأذى والندى، وأمره أن يجعل سعته سبعين ذراعاً، وأن يفرش القباب بالقزّ الأحمر، فأمره أن ينصب فيه تابوتاً من ذهب لتابوت الميثاق مرصعاً بألوان الجواهر والياقوت الأحمر والأكهب والزمرّد الأخضر، وقوائمه من ذهب، وأن يجعل سعته تسعة أذرع في أربعة أذرع، وسمكه قامة موسى، وأن يجعل له أربعة أبواب: باب يدخل منه الملائكة، وباب يدخل منه

(١) عرائس المجالس، ص ٢١٥.

موسى بن عمران عليه السلام ، وباب يدخل منه هارون عليه السلام وباب يدخل منه أولاد هارون، وهم سدنة ذلك البيت وخزّان التابوت، وأمر الله سبحانه نبيّه موسى عليه السلام أن يأخذ من كلّ محتلم فصاعداً من بني إسرائيل مثقالاً من ذهب فينفقه على هذا البيت وما فيه، وأن يجعل باقي المال الّذي يحتاج من ذلك من الحليّ والأموال الّتي ورثها موسى وأصحابه من فرعون وقومه، ففعل موسى ذلك فبلغ عدد رجال بني إسرائيل ستّمائة ألف وسبع مائة وثمانين رجلاً فأخذ منهم ذلك المال، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام إنّي منزل عليك من السماء ناراً لا دخان لها ولا تحرق شيئاً ولا تنطفئ أبداً لتأكل القرابين المتقبّلة، ولتسرج منها القناديل الّتي في بيت المقدس، وهي من ذهب معلّقة بسلاسل من ذهب منظومة باليواقيت واللآلي وأنواع الجواهر، وأمره أن يضع في وسط البيت صخرة عظيمة من رخام وينقر فيها نقرة لتكون كانون تلك النّار الّتي تنزل فيها من السّماء، فدعا موسى أخاه هارون فقال: إنّ الله قد اصطفاني بنار ينزلها من السماء لتأكل القرابين المقبولة، وليسرج منها في بيت المقدس، وأوصاني بها، وإنّي قد اصطفيتك لها، وأوصيك بها، فدعا هارون ابنيه وقال لهما: إنّ الله تعالى قد اصطفى موسى بأمر وأوصاه به، وإنّه اصطفاني له وأوصاني به وإنّي قد اصطفيتكما له وأوصيكما به، وكان أولاد هارون هم الّذين يلون سدانة بيت القدس، وأمر القربان والنيران[1].

بيان: كما أنّ سدانة بيت القدس والنّار الّتي نزلت من السماء ومعابد بني إسرائيل كانت لأولاد هارون عليه السلام فكذلك سدانة الكعبة وبيوت العلم والحكمة وأنوار العلم والمعرفة الّتي نزلت من السماء ولم يكن فيها دخان الشكّ والشبهة ومثّل الله بها في آية النور لأولاد أمير المؤمنين عليه السلام الّذي هو من النبيّ صلى الله عليه وآله كهارون من موسى، سنّة الله الّتي قد خلت من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

٧ - باب نزول التوراة، وسؤال الرؤية، وعبادة العجل وما يتعلق بها

الآيات، البقرة «٢»: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ

(١) عرائس المجالس، ص ٢٠٨.

ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

النساء «٤»: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾.

المائدة «٥»: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ «١٢» وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

الأعراف «٧»: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ

ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ «١٧١».

طه «٢٠»: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

القصص «٢٨»: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ «٤٣».

الطور «٥٢»: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾﴾.

النجم «٥٣»: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾.

الأعلى «٨٧»: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسي: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾ أن نؤتيه الألواح على رأس أربعين ليلة، أو عند انقضاء أربعين ليلة. قال المفسّرون: لمّا عاد بنو إسرائل إلى مصر بعد إنجائهم من البحر وهلاك فرعون وقومه وعدهم الله إنزال التوراة والشرائع، فخلّف موسى أصحابه واستخلف عليهم هارون فمكث على الطور أربعين ليلة، وأنزل عليه التوراة في الألواح ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ

﴿ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد غيبة موسى، أو من بعد وعد الله إيّاكم بالتوراة، أو من بعد غرق فرعون وما رأيتم من الآيات ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي مضرون بأنفسكم ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ هي التوراة أيضاً أو انفراق البحر أو الفرق بين الحلال والحرام ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ أي خالقكم ومنشئكم ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي ليقتل بعضكم بعضاً بقتل البريء المجرم، وقيل: أي استسلموا للقتل، واختلفوا في المأمور بالقتل فروي أنّ موسى عليه السلام أمرهم أن يقوموا صفّين فاغتسلوا ولبسوا أكفانهم، وجاء هارون باثني عشر ألفاً ممّن لم يعبد العجل ومعهم الشفار المرهفة وكانوا يقتلونهم، فلمّا قتلوا سبعين ألفاً تاب الله على الباقين، وجعل قتل الماضين شهادة لهم، وقيل إنّ السبعين الّذين كانوا مع موسى في الطور هم الّذين قتلوا ممّن عبد العجل سبعين ألفاً، وقيل: إنّهم قاموا صفّين فجعل يطعن بعضهم بعضاً حتّى قتلوا سبعين ألفاً، وقيل: غشيتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضاً ثمّ انجلت الظلمة فأجلوا عن سبعين ألف قتيل.

وروي أنّ موسى وهارون وقفا يدعوان الله ويتضرعان إليه، وهم يقتل بعضهم بعضاً حتّى نزل الوحي برفع القتل وقبلت توبة من بقي، وذكر ابن جريج أنّ السبب في أمرهم بقتل أنفسهم أنّ الله علم أنّ ناساً منهم ممّن لم يعبدوا العجل لم ينكروا عليهم ذلك مخافة القتل، مع علمهم بأن العجل باطل، فلذلك ابتلاهم الله بأن يقتل بعضهم بعضاً ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ إشارة إلى التوبة مع القتل لأنفسهم.

﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي لن نصدّقك في أنّك نبيّ ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي علانية فيخبرنا بذلك، أو لا نصدّقك فيما تخبر به من صفات الله تعالى، وقيل: إنّه لمّا جاءهم بالألواح قالوا ذلك، وقيل: إنّ ﴿جَهْرَةً﴾ صفة لخطابهم لموسى، إنّهم جهروا به وأعلنوه ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أي الموت ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى أسباب الموت، وقيل: إلى النّار، واستدلّ البلخيّ بها على عدم جواز الرؤية على الله تعالى، ويؤكده قوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وتدلّ هذه الآية على أنّ قول موسى عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ كان سؤالاً لقومه، لأنّه لا خلاف بين أهل التوراة أنّ موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية إلّا دفعة واحدة وهي الّتي سألها لقومه. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ أي أحييناكم لاستكمال آجالكم، وقيل: إنّهم سألوا بعد الإفاقة أن يبعثوا أنبياء، فبعثهم الله أنبياء، فالمعنى: بعثناكم أنبياء(١).

وأجمع المفسّرون إلّا شرذمة يسيرة أنّ الله تعالى لم يكن أمات موسى عليه السلام كما أمات قومه، ولكن غشي عليه بدلالة قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ واستدلّ بها على جواز الرجعة.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ باتباع موسى والعمل بالتوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ قال أبو زيد: هذا حين رجع موسى من الطور فأتى بالألواح فقال لقومه: جئتكم بالألواح، وفيها التوراة

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٢١٢.

والحلال والحرام فاعملوا بها، قالوا: ومن يقبل قولك؟ فأرسل الله الملائكة حتّى نتقوا الجبل فوق رؤوسهم، فقال موسى عليه السلام: إن قبلتم ما أتيتكم به وإلا أرسل الجبل عليكم، فأخذوا التوراة وسجدوا لله تعالى ملاحظين إلى الجبل، فمن ثمّ يسجد اليهود على أحد شقّي وجوههم. قيل: وهذا هو معنى أخذ الميثاق لأنّ في هذه الحال قيل لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ يعني التوراة بجدّ ويقين، وروى العيّاشيّ أنّه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ أبقوة بالأبدان أو بقوّة بالقلب؟ فقال: بهما جميعاً. ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ الضمير لما آتينا، أي احفظوا ما في التوراة من الحلال والحرام ولا تنسوه، وقيل: اذكروا ما في تركه من العقوبة وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام وقيل: أي اعملوا بما فيه ولا تتركوه ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ أي نقضتم العهد الّذي أخذناه عليكم ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالتوبة ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بالتجاوز[1].

﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ أي اقبلوا ما سمعتم واعملوا به، أو استمعوا لتسمعوا ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي قالوا استهزاء: سمعنا قولك، وعصينا أمرك، أو حالهم كحال من قال ذلك[2].

﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ قال البيضاويّ: أي تداخلهم حبّه، ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به، كما يتداخل الصبغ الثوب، والشراب أعماق البدن ﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾ بيان لمكان الإشراب، كقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي بسبب كفرهم، وذلك لأنّهم كانوا مجسّمة أو حلوليّة ولم يروا جسماً أعجب منه، فتمكن في قلوبهم ما سوّل لهم السامري ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ بالتوراة، والمخصوص بالذمّ محذوف نحو هذا الأمر أو ما يعمّه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تقرير للقدح في دعواهم الإيمان بالتوراة، وتقدير: إن كنتم مؤمنين بها ما أمركم بهذه القبائح ورخّص لكم فيها إيمانكم بها، أو إن كنتم مؤمنين بها فبئس ما أمركم إيمانكم بها، فإنّ المؤمن ينبغي أن لا يتعاطى إلاّ ما يقتضيه إيمانه، لكنّ الإيمان بها لا يأمر به فإذن لستم بمؤمنين[3].

﴿مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال الطبرسيّ: أي عهدهم المؤكد باليمين بإخلاص العبادة له والإيمان برسله وما يأتون به من الشرائع ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ أي أمرنا موسى بأن يبعث من الأسباط الاثني عشر اثني عشر رجلاً كالطلائع يتجسّسون ويأتون بني إسرائيل بأخبار أرض الشام وأهلها الجبّارين، فاختار من كلّ سبط رجلاً يكون لهم نقيباً، أي أميناً كفيلاً، فرجعوا ينهون قومهم عن قتالهم لما رأوا من شدّة بأسهم وعظم خلقهم إلاّ رجلين: كالب بن يوفنا ويوشع بن نون، وقيل: معناه: أخذنا من كلّ سبط منهم ضميناً بما عقدنا عليهم

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٢٤٥.
(٢) مجمع البيان، ج ١ ص ٣٠٧.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١٢٣.

الميثاق في أمر دينهم، أو رئيساً أو شهيداً على قومه، وقيل: إنهم بعثوا أنبياء ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ الخطاب للنقباء أو لبني إسرائيل، أي إنّي معكم بالنصر والحفظ، إن قاتلتموهم ووفيتم بعهدي وميثاقي ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أي نصرتموهم، وقيل: عظّمتموهم وأطعتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ﴾ أي أنفقتم في سبيل الله نفقة حسنة ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد بعث النقباء وأخذ الميثاق ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي أخطأ قصد الطريق الواضح وزال عن منهاج الحق[1].

﴿فِيهَا هُدًى﴾ أي بيانٌ للحقّ ودلالة على الأحكام ﴿وَنُورٌ﴾ أي ضياء لكلّ ما تشابه عليهم، وقيل: أي بيان أنّ أمر النبيّ ﷺ حق.

﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ أي يحكم بالتوراة النبيّون الّذين أذعنوا لحكم الله وأقرّوا به ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي تابوا من الكفر، أو لليهود، واللام فيه متعلّق بيحكم أي يحكمون بالتوراة لهم وفيما بينهم ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ أي يحكم بها الربّانيّون الّذين علت درجاتهم في العلم، وقيل: الّذين يعملون بما يعلمون ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ العلماء الكبار ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾ أي بما استودعوا من كتاب الله، أو بما امروا بحفظ ذلك والقيام به وترك تضييعه ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ أي رقباء لا يتركون أن يغيّر، أو يبيّنون ما يخفى منه[2].

﴿ٱخْلُفْنِي﴾ أي كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ فيما بينهم، وأجر على طريقتك في الصلاح، أو أصلح فاسدهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي لا تسلك طريقة العاصين، ولا تكن عوناً للظالمين[3].

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ اختلف في وجه هذا السؤال على أقوال نذكر منها وجهين:

أحدهما: ما قاله الجمهور وهو الأقوى: إنّه لم يسأل لنفسه وإنّما سألها لقومه، حين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ ولذا قال عليه السلام: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾.

وثانيهما: أنّه لم يسأل الرؤية بالبصر، ولكن سأله أن يعلمه نفسه ضرورة بإظهار بعض أعلام الآخرة الّتي تضطرّه إلى المعرفة، ويستغني عن الاستدلال ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أبداً ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ علق رؤيته باستقرار الجبل الّذي علمنا أنّه لم يستقرّ من قبيل التعليق على المحال ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ أي سقط مغشيّاً عليه، وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: أخذته الغشية عشيّة الخميس يوم عرفة وأفاق عشيّة الجمعة، وفيه نزلت عليه التوراة، وقيل: معناه: خرّ ميّتاً ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ من صعقته ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي تنزيهاً لك عن أن يجوز عليك ما لا يليق بك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من التقدم في المسألة قبل الإذن فيها.

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٢٩٥.

(٢) مجمع البيان، ج ٣ ص ٣٤١.

(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٤٩.

وقيل: إنّما قاله على وجه الانقطاع إلى الله سبحانه كما يذكر التسبيح والتهليل ونحو ذلك من الألفاظ عند ظهور الأمور الجليلة ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنّه لا يراك أحدٌ من خلقك، عن ابن عبّاس. وروي مثله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: معناه: أنا أوّل من آمن وصدّقت بأنك لا تُرى. وقيل: أنا أوّل المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية.

﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ من غير كلام ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ من غير رسالة، قيل: إنّه سبحانه كلّم موسى على الطور، وكلّم نبيّنا عند سدرة المنتهى.

﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ أي أعطيتك من التوراة وتمسّك بما أمرتك ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي من المعترفين بنعمتي القائمين بشكرها ﴿فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ يعني بالألواح التوراة، وقيل: كانت من خشب نزلت من السّماء، وقيل: كانت من زمرّد طولها عشرة أذرع، وقيل: كانت من زبرجدة خضراء وياقوته حمراء، وقيل: إنّهما كانا لوحين.

﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ قال الزجّاج: أعلم الله سبحانه أنّه أعطاه من كلّ شيء يحتاج إليه من أمر الدين مع ما أراه من الآيات ﴿مَّوْعِظَةً﴾ هذا تفسير لقوله: ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ وبيان لبعض ما دخل تحته ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين من الأوامر والنواهي والحلال والحرام وغير ذلك ﴿يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ أي بما فيها من أحسن المحاسن وهي الفرائض والنوافل، فإنّها أحسن من المباحات، وقيل: بالناسخ دون المنسوخ، وقيل: المراد بالأحسن الحسن وكلها حسن[1].

﴿جَسَدًا﴾ أي مجسداً لا روح فيه، وقيل: لحماً ودماً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي صوت، وفي كيفيّة خوار العجل مع أنّه مصوغ من ذهب خلاف، فقيل: أخذ السامريّ قبضة من تراب أثر فرس جبرئيل عليه السلام يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحوّل لحماً ودماً وكان ذلك معتاداً غير خارق للعادة، وجاز أن يفعل الله ذلك بمجرى العادة، وقيل: إنه احتال بإدخال الريح كما تعمل هذه الآلات الّتي تصوت بالحيل ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ بما يجدي عليهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي لا يهديهم إلى خير ليأتوه، ولا إلى شرّ ليجتنبوه ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ أي إلهاً[2].

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ قال البيضاويّ: أي اشتدّ ندمهم، فإنّ النادم المتحسّر يعضّ يده غمّاً فتصير يده مسقوطاً فيها ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ طرحها من شدّة الغضب وفرط الزجر حميّة للدين[3].

وقال الطبرسيّ: روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: يرحم الله أخي موسى، ليس المخبر كالمعاين، لقد أخبره الله بفتنة قومه وقد عرفت أنّ ما أخبره ربّه حقّ، وإنّه على ذلك لمتمسّك

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٥٢.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٦٠.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١١٣.

بما في يديه، فرجع إلى قومه ورآهم فغضب وألقى الألواح. ﴿ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ أي اتّخذوني ضعيفاً ﴿وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾ أي هموا بقتلي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ أي لا تسرّهم بأن تفعل ما يوهم ظاهره خلاف التعظيم ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي مع عبدة العجل ومن جملتهم في إظهار الغضب والموجدة ﴿وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي صغر النفس والمهانة، أو الجزية، أو الاستسلام للقتل[1]. ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ اختلف في سبب اختياره إيّاهم ووقته، فقيل. إنّه اختارهم حين خرج إلى الميقات ليكلّمه الله سبحانه بحضرتهم ويعطيه التوراة فيكونوا شهداء له عند بني إسرائيل لمّا لم يثقوا بخبره أنّ الله سبحانه يكلمه، فلمّا حضروا الميقات وسمعوا كلامه سألوا الرؤية فاصابتهم الصاعقة ثمّ أحياهم الله، وقيل: إنه اختارهم بعد الميقات الأوّل للميقات الثاني بعد عبادة العجل ليعتذروا من ذلك فلمّا سمعوا كلام الله قالوا: أرنا الله جهرة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ وهي الرعدة والحركة الشديدة حتّى كادت أن تبين مفاصلهم، وخاف موسى عليهم الموت فبكى ودعا وخاف أن يتّهمه بنو إسرائيل على السبعين إذا عاد إليهم ولم يصدّقوه بأنّهم ماتوا، وقال ابن عبّاس: إنّ السبعين الّذين قالوا: لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الّذين أخذتهم الرجفة، وإنّما أمر الله تعالى موسى أن يختار من قومه سبعين رجلاً فاختارهم وبرز بهم ليدعو ربّهم، فكان فيما دعوا أن قالوا: اللّهمّ أعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا ولا تعطيه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة.

وروي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: إنّما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل أخيه هارون، وذلك أنّ موسى وهارون وشبر وشبير ابني هارون انطلقوا إلى سفح جبل، فنام هارون على سرير فتوفّاه الله، فلمّا مات دفنه موسى، فلمّا رجع إلى بني إسرائيل قالوا له: أين هارون؟ قال: توفاه الله، فقالوا: لا بل أنت قتلته، حسدتنا على خلقه ولينه، قال: فاختاروا من شئتم، فاختاروا منهم سبعين رجلاً وذهب بهم، فلمّا انتهوا إلى القبر قال موسى: يا هارون أقتلت أم متّ؟ فقال هارون: ما قتلني أحد ولكن توفّاني الله، فقالوا: لن تعصى بعد اليوم، فأخذتهم الرجفة فصعقوا وماتوا ثمّ أحياهم الله وجعلهم أنبياء.

وقال وهب: لم تكن تلك الرجفة موتاً ولكن القوم لمّا رأوا تلك الهيبة أخذتهم الرعدة وقلقلوا ورجفوا حتّى كادت تبين منه مفاصلهم وتنقض ظهورهم، فلمّا رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت، واشتدّ عليه فقدهم، وكانوا وزراءه على الخير، سامعين له مطيعين، فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربّه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة، فسكنوا واطمأنّوا وسمعوا كلام ربهم ﴿قَالَ﴾ أي موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ أي لو شئت أهلكت هؤلاء السبعين من قبل هذا الموقف وأهلكتني معهم، فالآن ماذا أقول لبني

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٦٤.

إسرائيل إذا رجعت إليهم؟ ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ معناه النفي وإن كان بصورة الإنكار، والمعنى أنّك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منّا، فبهذا نسألك رفع المحنة بالإهلاك عنّا، وما فعله السفهاء هو عبادة العجل، ظنّ موسى أنّهم أُهلكوا لأجل عبادة بني إسرائيل العجل، وقيل: هو سؤال الرؤية ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي إنّ الرجفة إلاّ اختبارك وابتلاؤك ومحنتك، أي تشديدك التعبّد والتكليف علينا بالصبر على ما أنزلته بنا، وقيل: المراد: إن هي إلاّ عذابك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ أي تهلك بهذه الرجفة من تشاء ﴿وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ أي تنجي، وقيل: تضلّ بترك الصبر على فتنتك وترك الرضى بها من تشاء عن نيل ثوابك ودخول جنّتك، وتهدي بالرضى بها والصبر عليها من تشاء ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أي ناصرنا والأولى بنا تحوطنا وتحفظنا ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي نعمة، وقيل: الثناء الجميل، وقيل: التوفيق للأعمال الصالحة ﴿وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي حسنة أيضاً، وهي الرفعة والمغفرة والرحمة والجنّة ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ أي فسأوجب رحمتي، وهذه بشارة ببعثة نبينا ﷺ[1].

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ أي قلعناه من أصله فرفعناه فوق بني إسرائيل، وكان عسكر موسى فرسخاً في فرسخ فرفع الله الجبل فوق جميعهم ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ أي غمامة أو سقيفة ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ أي علموا أو الظنّ بمعناه ﴿خُذُواْ﴾ أي وقلنا لهم: خذوا[2].

﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ هو أنّ الله وعد موسى بعد أن أغرق فرعون ليأتي جانب الطور الايمن فيؤتيه التوراة ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ﴾ أي ولا تتعدّوا فيه فتأكلوه على الوجه المحرّم عليكم ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي هلك، أو هوى إلى النّار ﴿لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي لزم الإيمان حتّى يموت، وقيل: لم يشكّ في إيمانه، وقال الباقر عليه السلام: ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت.

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ قال ابن إسحاق: كانت المواعدة أن يوافي الميعاد هو وقومه، وقيل: مع جماعة من وجوه قومه وهو متّصل بقوله: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ فتعجّل موسى من بينهم شوقاً إلى ربّه، وخلّفهم ليلحقوا به فقيل له: ما أعجلك عن قومك يا موسى؟ أي بأيّ سبب خلّفت قومك وسبقتهم؟ ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ أي من ورائي يدركونني عن قريب، أو هم على ديني ومنهاجي، أو هم ينتظرون من بعدي ما الّذي آتيهم به ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ أي سبقتهم إليك حرصاً على تعجيل رضاك ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ أي امتحنّاهم[3] ﴿بِمَلْكِنَا﴾ أي ونحن نملك من أمرنا شيئاً، والمعنى إنّا لم نطق ردّ عبدة العجل عن عظيم ما ارتكبوه للرهبة لكثرتهم وقلتنا ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي وعداً لعذابك يوم القيامة لن تخلف ذلك الوعد ولن يتأخر عنك[4] ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي ظللت على عبادته مقيماً ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ أي بالنار، وقرأ أبو

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٦٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٨٩.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٥.
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٨.

جعفر عليه السلام بسكون الحاء وتخفيف الراء وهو قراءة عليّ عليه السلام وابن عبّاس، أي لنبردنّه بالمبرد، فعلى الأوّل يدلّ على كونه حيواناً لحماً ودماً، وعلى الثاني على أنّه كان ذهباً وفضّة ولم يصر حيواناً[١].

وقال البيضاويّ: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ أي بالنار ويؤيّده قراءة لنحرقنّه، أو بالمبرد على أنّه مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد، ويعضده قراءة لنحرقنّه ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ لنذرينّه رماداً أو مبروداً ﴿فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ فلا يصادف منه شيء، والمقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار غباوة المفتتنين به لمن له أدنى نظر[٢]..

وقال الطبرسيّ: قال الصادق عليه السلام: إنّ موسى عليه السلام همّ بقتل السامريّ فأوحى الله إليه: لا تقتله يا موسى فإنّه سخي. ثمّ أقبل موسى على قومه فقال: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ﴾ الآية[٣].

أقول: وفي بعض التفاسير: روي أنّ موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم ثمّ حرقه بالنار ثمّ ذرّاه في اليم.

﴿ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ مثل قوم نوح وعاد وثمود ﴿بَصَآئِرَ﴾ أي حججاً وبراهين للنّاس وعبراً يبصرون بها أمر دينهم[٤].

﴿وَٱلطُّورِ﴾ أقسم سبحانه بالجبل الّذي كلّم عليه موسى بالأرض المقدّسة ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ أي مكتوب ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ الرق: جلد يكتب فيه، والمنشور: المبسوط، قيل: هو التوراة كتبها الله لموسى، وقيل: هو القرآن، وقيل: صحائف الأعمال، وقيل: هو الكتاب الّذي كتبه الله لملائكته في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون[٥].

١ - **فس:** قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ فإن موسى عليه السلام لمّا رجع إلى بني إسرائيل ومعه التوراة لم يقبلوا منه، فرفع الله جبل طور سيناء عليهم وقال لهم موسى: لئن لم تقبلوا ليقعنّ الجبل عليكم وليقتلنكم فنكسوا رؤوسهم وقالوا: نقبله[٦].

قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي أحبّوا العجل حتّى عبدوه[٧].

٢ - **ن، ع:** سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن الثور ما باله غاض طرفه لا يرفع رأسه إلى السماء؟ قال: حياء من الله عزّ وجلّ لمّا عبد قوم موسى العجل نكس رأسه[٨].

٣ - **ع:** محمّد بن عمر بن عليّ البصريّ، عن إبراهيم بن حمّاد النهاونديّ، عن أحمد بن

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٥٤.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٩٣.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ٥٤.
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٤٢.
(٥) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٧١.
(٦) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٩.
(٧) تفسير القمي، ج ١ ص ٦٤.
(٨) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢١٩ باب ٢٤ ح ١، وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ ح ٤٤.

محمد (بن خ) المستثنى، عن موسى بن الحسن، عن إبراهيم بن شريح، عن ابن وهب، عن يحيى بن أيّوب، عن جميل بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: أكرموا البقر فإنّه سيّد البهائم، ما رفعت طرفها إلى السماء حياءً من الله عزّوجلّ منذ عبد العجل[1].

٤ - **فس:** ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ قال: اختبرناهم من بعدك ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ قال: بالعجل الّذي عبدوه، وكان سبب ذلك أنّ موسى عليه السلام لمّا وعده الله أن ينزل عليه التوراة والألواح إلى ثلاثين يوماً أخبر بني إسرائيل بذلك، وذهب إلى الميقات وخلّف هارون على قومه، فلمّا جاءت الثلاثون يوماً ولم يرجع موسى إليهم عصوا وأرادوا أن يقتلوا هارون قالوا: إنّ موسى كذبنا وهرب منّا، فجاءهم إبليس في صورة رجل فقال لهم: إن موسى قد هرب منكم ولا يرجع إليكم أبداً، فاجمعوا إليّ حليكم حتّى أتخذ لكم إلهاً تعبدونه، وكان السامريّ على مقدمة موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه، فنظر إلى جبرئيل وكان على حيوان في صورة رمكة، وكانت كلّما وضعت حافرها على موضع من الأرض يتحرّك ذلك الموضع، فنظر إليه السامريّ وكان من خيار أصحاب موسى فأخذ التراب من حافر رمكة جبرئيل، وكان يتحرّك فصره في صرّة، وكان عنده يفتخر به على بني إسرائيل، فلمّا جاءهم إبليس واتّخذوا العجل قال للسامريّ: هات التراب الّذي معك، فجاء به السامريّ فألقاه إبليس في جوف العجل، فلمّا وقع التراب في جوفه تحرّك وخار ونبت عليه الوبر والشعر، فسجد له بنو إسرائيل، فكان عدد الّذين سجدوا سبعين ألفاً من بني إسرائيل، فقال لهم هارون كما حكى الله: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ فهمّوا بهارون حتّى هرب من بينهم وبقوا في ذلك حتّى تم ميقات موسى أربعين ليلة، فلمّا كان يوم عشرة من ذي الحجّة أنزل الله عليه الألواح فيها التوراة وما يحتاجون إليه من أحكام السير والقصص.

ثم أوحى الله إلى موسى ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ وعبدوا العجل وله خوار، فقال موسى عليه السلام: يا رب! العجل من السامريّ فالخوار ممّن؟ قال: مني يا موسى، أنا لمّا رأيتهم قد ولوا عنّي إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة، فرجع موسى كما حكى الله إلى قومه غضبان أسفاً قال: ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ ثم رمى بالألواح وأخذ بلحية أخيه هارون ورأسه يجرّه إليه فقال له: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾ فقال هارون كما حكى الله: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ فقال له بنو إسرائيل: ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ قال: ما خالفناك ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٠٧ باب ٢٤٥ ح ٢.

﴿أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ يعني من حليهم ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ قال: التراب الّذي جاء به السامريّ طرحناه في جوفه، ثمّ أخرج السامري العجل وله خوار فقال له موسى: ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ قال السامريّ ﴿بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ يعني من تحت حافر رمكة جبرئيل في البحر ﴿فَنَبَذۡتُهَا﴾ أي أمسكتها ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾ أي زيّنت، فأخرج موسى العجل فأحرقه بالنار وألقاه في البحر، ثمّ قال موسى للسامريّ: ﴿فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ يعني ما دمت حيّاً وعقبك هذه العلامة فيكم قائمة أن تقول: لا مساس حتّى تعرفوا أنكم سامرية فلا يغتروا بكم النّاس، فهم إلى الساعة بمصر والشام معروفين بلا مساس، ثمّ همّ موسى بقتل السامري فأوحى الله إليه: لا تقتله يا موسى فإنّه سخيّ، فقال له موسى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ۝٩٧ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ۝٩٨﴾[1].

بيان: قال البيضاويّ: ﴿أَسِفٗاۚ﴾ أي حزيناً بما فعلوا ﴿وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ بأن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾ أي الزمان، يعني زمان مفارقته لهم ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ وعدكم إيّاي بالثبات على الإيمان بالله، والقيام على ما أمرتكم به، وقيل: هو من أخلفت وعده: إذا وجدت الخلف فيه، أي أفوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الأربعين ﴿بِمَلۡكِنَا﴾ أي بأن ملكنا أمرنا، إذ لو خلّينا وأمرنا ولم يسوّل لنا السامريّ لما أخلفناه ﴿أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ أحمالاً من حلي القبط الّتي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس، وقيل: استعاروا لعيد كان لهم ثمّ لم يردّوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به، وقيل: ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوه ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ أي في النّار ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ أي ما كان معه منها، روي أنّهم لمّا حسبوا أنّ العدّة قد كملت قال لهم السامريّ: إنّما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حليّ القوم، وهو حرام عليكم فالرأي أن نحفر له حفيرة ونسجر فيها ناراً ونقذف كلّ ما معنا فيها ففعلوا. انتهى[2].

أقول: يمكن أن يكون قوله[3]: (التراب الذي) تفسيراً لقوله: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ وإن لم يذكر، وهكذا فسّر في عيون التفاسير.

ثم قال البيضاويّ: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾ من تلك الحليّ المذابة ﴿لَّهُۥ خُوَارٞ﴾ صوت العجل ﴿فَقَالُواْ﴾ يعني السامريّ ومن افتتن به: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ أي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور، أو فنسي السامريّ، أي ترك ما كان عليه من إظهار الإيمان ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾ أي بالعجل ﴿عَلَيۡهِ﴾ أي على العجل وعبادته ﴿عَٰكِفِينَ﴾ مقيمين ﴿أَلَّا

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٥.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٩٠.
(٣) قوله أي يعني كلام القمي.

تَتَّبِعَنِ﴾ أي أن تتبعني في الغضب لله والمقابلة مع من كفر به، أو أن تأتي عقبي وتلحقني و(لا) مزيدة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بالصلابة في الدين والمحاماة عليه ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ خص الأم استعطافاً وترقيقاً، وقيل: لأنّه كان أخاه من الأم، والجمهور على أنّهما من أب وأمّ ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ أي بشعر رأسي، قبض عليهما يجرّه إليه من شدّة غضبه لله ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ حين قلت: اخلفني في قومي وأصلح ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾ أي ما طلبك له؟ وما الّذي حملك عليه؟ قال: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ أي علمت ما لم يعلموه، وفطنت بما لم يفطنوا به، وهو أنّ الرسول الّذي جاءك به روحاني محض لا يمس أثره شيئاً إلاّ أحياه، أو رأيت ما لم يروه وهو أنّ جبرئيل جاءك على فرس الحياة، قيل: إنّما عرفه لأنّ أمّه ألقته حين ولدته خوفاً من فرعون، وكان جبرئيل يغذيه حتّى استقل! ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ من تربة موطئه فنبذتها في الحليّ المذابة ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ زينته وحسنته لي[1].

قوله: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ قال الطبرسيّ ﷺ: اختلف في معناه فقيل: إنّه أمر النّاس بامر الله أن لا يخالطوه ولا يجالسوه ولا يؤاكلوه تضييقاً عليه، والمعنى: لك أن تقول: لا أمسّ ولا أمسّ ما دمت حيّاً، وقال ابن عبّاس: لك ولولدك، والماس فعال من المماسّة ومعنى لا مساس: لا يمسّ بعضنا بعضاً، فصار السامريّ يهيم في البرّيّة مع الوحش والسباع لا يمسّ أحداً ولا يمسّه أحد، عاقبه الله تعالى بذلك، وكان إذا لقي أحداً يقول: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي لا تمسّني ولا تقربني، وصار ذلك عقوبة له ولولده حتّى أنّ بقاياهم اليوم يقولون ذلك وإن مسّ واحد من غيرهم واحداً منهم حم كلاهما في الوقت، وقيل: إنّ السامريّ خاف وهرب فجعل يهيم في البرّيّة لا يجد أحداً من النّاس يمسّه حتّى صار لبعده عن النّاس كالقائل لا مساس، عن الجبّائيّ[2].

٥ - **فس:** أبي، عن الحسين بن سعيد، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله رسولاً إلاّ وفي وقته شيطانان يؤذيانه ويفتنانه ويضلان النّاس بعده، فأمّا الخمسة أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلّى الله عليهم، وأمّا صاحبا نوح ففيطيفوس وخرام، وأمّا صاحبا إبراهيم فمكيل ورذام، وأمّا صاحبا موسى فالسامريّ ومرعقيبا، وأمّا صاحبا عيسى فمولس ومريسا، وأمّا صاحبا محمد فحبتر وزريق[3].

بيان: الحبتر: الثعلب، وعبّر عن الأول به لكونه يشبهه في المكر والخديعة، والتعبير عن الثاني بزريق إمّا لكونه أزرق أو لكونه شبيهاً بطائر يسمّى زريق في بعض خصاله السيّئة، أو لكون الزرقة ممّا يبغضه العرب ويتشأم به كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾.

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٩١.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٥٤.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٢١.

٦ - ج: عن أبي بصير قال: سأل طاوس اليمانيّ الباقر عليه السلام عن طير طار مرّة لم يطر قبلها ولا بعدها ذكره الله عزّ وجلّ في القرآن ما هو؟ فقال: طور سيناء أطاره الله عزّ وجلّ على بني إسرائيل حين أظلّهم بجناح منه، فيه ألوان العذاب حتّى قبلوا التوراة وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ الخبر[1].

٧ - فس: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ فإن الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى: إنّي أنزل عليك التوراة الّتي فيها الأحكام إلى أربعين يوماً، وهو ذو القعدة وعشرة من ذي الحجّة، فقال موسى عليه السلام لأصحابه: إنّ الله تبارك وتعالى قد وعدني أن ينزل عليّ التوراة والألواح إلى ثلاثين يوماً، وأمره الله أن لا يقول: إلى أربعين يوماً، فتضيق صدورهم، فذهب موسى إلى الميقات، واستخلف هارون على بني إسرائيل، فلمّا جاوز ثلاثين يوماً ولم يرجع موسى غضبوا فأرادوا أن يقتلوا هارون وقالوا: إنّ موسى كذبنا وهرب منّا، واتخذوا العجل وعبدوه، فلمّا كان يوم عشرة من ذي الحجّة أنزل الله على موسى الألواح وما يحتاجون إليه من الأحكام والأخبار والسنن والقصص، فلمّا أنزل الله عليه التوراة وكلمه قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ فأوحى الله إليه: ﴿لَن تَرَانِي﴾ أي لا تقدر على ذلك ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ قال: فرفع الله الحجاب ونظر إلى الجبل فساخ الجبل في البحر فهو يهوي حتّى الساعة، ونزلت الملائكة وفتحت أبواب السّماء، فأوحى الله إلى الملائكة: أدركوا موسى لا يهرب، فنزلت الملائكة وأحاطت بموسى وقالوا: اثبت يا ابن عمران فقد سألت عظيماً، فلمّا نزل موسى إلى الجبل قد ساخ والملائكة قد نزلت وقع على وجهه فمات من خشية الله وهول ما رأى فرد الله عليه روحه فرفع رأسه وأفاق وقال: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أوّل من صدّق أنّك لا تُرى، فقال الله له: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ فناداه جبرئيل: يا موسى أنا أخوك جبرئيل.

وقوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ أي كلّ شيء موعظة أنّه مخلوق. وقوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي قوّة القلب ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي بأحسن ما فيها من الأحكام. وقوله: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي يجيئكم قوم فسّاق تكون الدولة لهم. قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يعني أصرف القرآن عن الّذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ قال: إذا رأوا الإيمان والصدق والوفاء والعمل الصالح لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا الشرك والزنا والمعاصي يأخذوا بها ويعملوا بها. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

(١) الاحتجاج، ص ٣٢٩.

وَلِقَآءِ﴾ الآية، فإنّه محكم. قوله: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ أي ترك. وقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ يعني لا يتكلّم العجل وليس له منطق. وأمّا قوله: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني لمّا جاءهم موسى وأحرق العجل ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فإنه محكم، وقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ فإن موسى عليه السلام لمّا قال لبني إسرائيل: إنّ الله يكلّمني ويناجيني لم يصدّقوه، فقال لهم: اختاروا منكم من يجيء معي حتّى يسمع كلامه، فاختاروا سبعين رجلاً من خيارهم وذهبوا مع موسى إلى الميقات، فدنا موسى وناجى ربّه وكلمه الله تبارك وتعالى، فقال موسى لأصحابه: اسمعوا واشهدوا عند بني إسرائيل بذلك، فقالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ فاسأله أن يظهر لنا، فأنزل الله عليهم صاعقة فاحترقوا وهو قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ فهذه الآية في سورة البقرة وهي مع هذه الآية في سورة الأعراف، قوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ فنصف الآية في سورة البقرة ونصف الآية ههنا، فلمّا نظر موسى إلى أصحابه قد هلكوا حزن عليهم فقال: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ وذلك أنّ موسى ظنّ أنّ هؤلاء هلكوا بذنوب بني إسرائيل فقال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ فقال الله تبارك وتعالى: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

بيان: قوله: (أي كلّ شيء موعظة) لعلّ المعنى أنّه كتب فيها من آثار حكمة الله في خلق كلّ شيء وآثار صنعه بحيث يظهر لمن تأمل فيها أنّ له صانعاً، ويحتمل أن يكون ﴿مَّوْعِظَةً﴾ حالاً، أي كتب حكماً من كلّ شيء والحال أنّ ذلك الشئ موعظة من حيث دلالته على الصانع، والمشهور بين المفسّرين أنّ قوله: ﴿مَّوْعِظَةً﴾ بدل من الجارّ والمجرور، أي وكتبنا كلّ شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام.

قوله تعالى: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قيل: المراد: سأريكم جهنّم على سبيل التهديد، وقيل: ديار فرعون وقومه بمصر، وقيل: معناه: سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية ممّن خالفوا أمر الله لتعتبروا بها. قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ﴾ قيل: أي

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٤١.

سأصرف الآيات المنصوبة في الآفاق والأنفس عنهم بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها، وقيل: سأصرفهم عن إبطالها. قوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أقول: في هذا الموضع من القرآن بعد قوله: خوار: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ وفي طه: ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ۝٨٨ أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ الآية، ولعلّه اشتبه على المصنّف، أو فسّر في هذا المقام ما في سورة طه. قوله: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي اشتدّ ندامتهم كناية، فإنّ النادم المتحسّر يعضّ يده غمّاً فتصير يده مسقوطاً فيها. قوله: (فهذه الآية) لعلّ المراد إنّ الآيتين متعلّقتان بواقعة واحدة وإلاّ فارتباط إحداهما بالأخرى بحسب اللّفظ مشكلٌ إلاّ أن يقال: وقع التغيير في اللّفظ أيضاً فقوله: (قوله: واختار) تفسير لقوله: (هذه الآية). قوله: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي تبنا إليك من هاد يهود: إذا رجع.

٨ - **ل:** أبي، عن السعد آباديّ، عن البرقيّ، عن عليّ بن معبد، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ الّذين أمروا قوم موسى بعبادة العجل كانوا خمسة أنفس وكانوا أهل بيت يأكلون على خوان واحد وهم: أذينوه، وأخوه ميذويه، وابن أخيه وابنته وامرأته وهم الّذين ذبحوا البقرة الّتي أمر الله عزّ وجلّ بذبحها. الخبر(١).

ن: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن عليّ بن معبد مثله.

٩ - **ل:** محمّد بن أحمد السرّاج، عن عليّ بن الحسن البزّاز، عن حميد بن زنجويه، عن عبد الله بن يوسف، عن خالد بن يزيد، عن طلحة بن عمرو، عن عطا، عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من الجبال الّتي تطايرت يوم موسى عليه السلام سبعة أجبل فلحقت بالحجاز واليمن، منها بالمدينة أُحد وورقان، وبمكّة ثور وثبير وحراء، وباليمن صبر وحضور(٢).

١٠ - **ج:** في أسئلة الزنديق، عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله أمات قوماً خرجوا مع موسى عليه السلام حين توجه إلى الله فقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ فأماتهم الله ثمّ أحياهم(٣).

١١ - **ج، يد، ن:** في خبر ابن الجهم أنّه سأل المأمون الرضا عليه السلام عن معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ الآية، كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أنّ الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال؟ فقال الرضا عليه السلام: إنّ كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى عز عن أن يُرى بالأبصار، ولكنّه لمّا كلّمه الله عزّ وجلّ وقرّبه نجيّاً رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ الله عزّ وجلّ كلّمه وقرّبه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمائة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف، ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه، فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح

---

(١) الخصال، ص ٢٩٢ باب الخمسة ح ٥٥. (٢) الخصال، ص ٣٤٤ باب السبعة ح ١٠.

(٣) الاحتجاج، ص ٣٤٤.

الجبل وصعد موسى إلى الطور، وسأل الله عزّ وجلّ أنْ يكلمه ويسمعهم كلامه، فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأنّ الله عزّ وجلّ أحدثه في الشجرة وجعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن لك بأن هذا الّذي سمعناه كلام الله حتّى نرى الله جهرة، فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عزّ وجلّ عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى عليه السلام: يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله عزّ وجلّ إياك؟ فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حقّ معرفته، فقال موسى عليه السلام: يا قوم إنّ الله لا يُرى بالأبصار ولا كيفيّة له، وإنّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله، فقال موسى عليه السلام: يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله عزّ وجلّ: يا موسى اسألني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ وهو يهوي ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ بآية من آياته ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ منهم بأنك لا تُرى[1].

أقول: قد مضى الكلام في ذلك مفصّلاً في كتاب التوحيد.

١٢ - **يب:** بإسناده عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: كان في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام أن أخرجوني إلى الظهر، فإذا تصوّبت أقدامكم واستقبلتكم ريح فادفنوني وهو أوّل طور سيناء[2].

١٣ - **ارشاد القلوب:** روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: الغريّ قطعة من الجبل الّذي كلّم الله عليه موسى تكليماً[3].

١٤ - **ع:** الدقّاق والسنانيّ والمكتّب جميعاً، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن عليّ بن سالم، عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أخبرني عن هارون لم قال لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ﴾ ولم يقل: يا ابن أبي؟ فقال: إن العداوات بين الإخوة أكثرها تكون إذا كانوا بني علاّت، ومتى كانوا بني أمّ قلت العداوة بينهم إلاّ أن ينزغ الشيطان بينهم فيطيعوه، فقال هارون لأخيه موسى: يا أخي الّذي ولدته امي ولم تلدني غير أمّه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، ولم يقل: يا ابن أبي لأنّ بني الأب إذا كانت

(١) الاحتجاج، ص ٤٢٩ والتوحيد، ص ١٢١، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٧٨ باب ١٥ ح ١.
(٢) تهذيب الأحكام، ج ٦ ص ١٠٣٨ باب ١٠ ح ١٣.
(٣) ارشاد القلوب، ص ٤٣٩.

أمهاتهم شتّى لم تستبعد العداوة بينهم إلاّ من عصمه الله منهم، وإنّما تستبعد العداوة بين بني أمّ واحدة. قال: قلت له: فلمَ أخذ برأسه يجرّه إليه وبلحيته ولم يكن له في اتّخاذهم العجل وعبادتهم له ذنب؟ فقال: إنّما فعل ذلك به لأنّه لم يفارقهم لمّا فعلوا ذلك ولم يلحق بموسى، وكان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب، ألا ترى أنّه قال له موسى: يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألا تتّبعن أفعصيت أمري؟ قال هارون: لو فعلت ذلك لتفرّقوا، وإنّي خشيت أن تقول لي: فرّقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي.

قال الصدوق رحمه الله: أخذ موسى برأس أخيه ولحيته أخذه برأس نفسه ولحية نفسه على العادة المتعاطاة للنّاس إذا اغتمّ أحدهم أو أصابته مصيبة عظيمة وضع يده على رأسه، وإذا دهته داهية عظيمة قبض على لحيته، فكأنّه أراد بما فعل أن يعلم هارون أنّه وجب عليه الاغتمام والجزع بما أتاه قومه، ووجب أن يكون في مصيبته بما تعاطوه، لأنّ الأمّة من النبيّ والحجّة بمنزلة الأغنام من راعيها، ومن أحقّ بالاغتمام بتفريق الأغنام وهلاكها من راعيها وقد وكل بحفظها واستعبد بإصلاحها، وقد وعد الثواب على ما يأتيه من إرشادها وحسن رعيها، وأوعد العقاب على ضدّ ذلك من تضييعها؟ وهكذا فعل الحسين بن عليّ عليه السلام لمّا ذكّر القوم المحاربين له بحرماته فلم يرعوها قبض على لحيته وتكلّم بما تكلّم به، وفي العادة أيضاً أن يخاطب الأقرب ويعاتب على ما يأتيه البعيد ليكون ذلك أزجر للبعيد عن إتيان ما يوجب العقاب، وقد قال الله عزّ وجلّ لخير خلقه وأقربهم منه صلى الله عليه وآله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1] وقد علم عزّ وجلّ أنّ نبيه صلى الله عليه وآله لا يشرك به أبداً، وإنّما خاطبه بذلك وأراد به أمّته، وهكذا موسى عاتب أخاه هارون وأراد بذلك أمّته اقتداءً بالله تعالى ذكره، واستعمالاً لعادات الصالحين قبله وفي وقته[2].

بيان: قال الجوهريّ: بنو العلات: هم أولاد الرجل من نسوة شتّى. وقال السيّد رضي الله عنه: إن قيل: ما الوجه في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ الآية؟ أو ليس ظاهر الآية يدلّ على أنّ هارون أحدث ما أوجب إيقاع ذلك الفعل به؟ وبعد فما الاعتذار لموسى عليه السلام من ذلك وهو فعل السّخفاء والمتسرّعين، وليس من عادة الحكماء والمتماسكين؟ قلنا: ليس فيما حكاه الله تعالى من فعل موسى بأخيه ما يقتضي صدور معصية ولا قبيح من واحد منهما، وذلك أنّ موسى عليه السلام أقبل وهو غضبان على قومه لما أحدثوا بعده مستعظماً لفعلهم، مفكّراً فيما كان منهم، فأخذ برأس أخيه وجرّه إليه كما يفعل الإنسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدّة الفكر، أما ترى أنّ المفكر الغضبان قد يعض على شفته ويقبض على لحيته، فأجرى موسى أخاه هارون مجرى نفسه لأنّه كان أخاه وشريكه ومن يمسّه من الخير والشرّ ما يمسّه، فصنع به ما يصنعه الرجل بنفسه في أحوال الفكر والغضب، وهذه الأمور تختلف أحكامها

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٨٧ باب ٥٨ ح ١.

بالعادات فيكون ما هو إكرام في بعضها استخفافاً في غيرها وبالعكس. وأمّا قوله: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ فلا يمتنع أن يكون هارون عليه‌السلام خاف من أن يتوهّم بنو إسرائيل بسوء ظنّهم أنّه منكر عليه، معاتب له، ثمَّ ابتدأ يشرح قصّته فقال في موضع: ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ الآية، وفي موضع آخر: ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾ ويمكن أن يكون قوله: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ ليس على سبيل الأنفة، بل معنى كلامه: لا تغضب ولا يشتدّ جزعك وأسفك. وقال قوم: إنّ موسى عليه‌السلام لمّا رأى من أخيه مثل ما كان عليه من الجزع والقلق أخذ برأسه متوجّعاً له مسكتاً كما يفعل أحدنا بمن يناله المصيبة، وعلى هذا يكون قوله: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ كلاماً مستأنفاً، وأمّا قوله: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ فيحتمل أن يريد: لا تفعل ذلك وغرضك التسكين منّي، ويظن القوم أنّك منكر عليّ. وقال قوم: أخذ برأس أخيه ليدنيه إليه ويعلّمه ما أوحى الله إليه، فخاف هارون أن يسبق إلى قلوبهم لسوء ظنّهم ما لا أصل له من عداوته، فقال إشفاقاً على موسى عليه‌السلام: لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي لتسرّ ما تريده بين أيدي هؤلاء فيظنّوا بك ما لا يجوز عليك. انتهى.

أقول: لعلّ الأظهر ما ذكره الصدوق رحمه‌الله أخيراً من كون ذلك بينهما على جهة المصلحة لتخفيف آلامه، وليعلموا شدّة إنكار موسى عليهم، على أنّه لو كان ذلك ممّا لا ينبغي من واحد منهما فهو ترك أولى، لمّا مرّ من الأدلّة القاطعة على عصمتهم عليهم‌السلام، وعليه يحمل ما في الخبر.

١٥ - **فس:** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ فإنّ موسى عليه‌السلام لمّا خرج إلى الميقات ورجع إلى قومه وقد عبدوا العجل قال لهم: يا قوم إنّكم ظلمتم أنفسكم باتّخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم، فقالوا: فكيف نقتل أنفسنا؟ فقال لهم موسى: اغدوا كلّ واحد منكم إلى بيت المقدس ومعه سكّين أو حديدة أو سيف فإذا صعدت أنا منبر بني إسرائيل فكونوا أنتم متلثّمين لا يعرف أحد صاحبه فاقتلوا بعضكم بعضاً، فاجتمعوا سبعين ألف رجل ممّن كانوا عبدوا العجل إلى بيت المقدس، فلمّا صلّى بهم موسى عليه‌السلام وصعد المنبر أقبل بعضهم يقتل بعضاً حتّى نزل جبرئيل فقال: قل لهم يا موسى: ارفعوا القتل فقد تاب الله عليكم، فقتل منهم عشرة آلاف، وأنزل الله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ الآية، فهم السبعون الّذين اختارهم موسى ليسمعوا كلام الله، فلمّا سمعوا الكلام قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتّى نرى الله جهرة، فبعث الله عليهم صاعقة فاحترقوا ثمّ أحياهم الله بعد ذلك، وبعثهم أنبياء[1].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه‌الله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي لن نصدّقك في قولك إنّك نبيّ مبعوث ﴿حَتَّىٰ

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٧.

نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي علانية فيخبرنا بأنك نبيّ مبعوث، وقيل: معناه: إنا لا نصدّقك فيما تخبر به من صفات الله تعالى وما يجوز عليه حتّى نرى الله جهرة وعياناً فيخبرنا بذلك، وقيل: إنّه لمّا جاءهم بالألواح وفيها التوراة قالوا: لن نؤمن بأنّ هذا من عند الله حتّى نراه عياناً، وقال بعضهم: إنّ قوله: ﴿جَهْرَةً﴾ صفة لخطابهم لموسى إنّهم جهروا به وأعلنوه[١].

١٦ - **يد:** ابن المتوكّل، عن السعد آباديّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن أحمد بن النصر، عن محمّد بن مروان، عن محمّد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس في قوله عزّوجلّ: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: يقول: سبحانك تبت إليك من أن أسألك الرؤية وأنا أوّل المؤمنين بأنك لا تُرى[٢].

١٧ - **يد:** أبي، عن سعد، عن الإصفهانيّ، عن المنقريّ، عن حفص قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال: ساخ الجبل في البحر يهوي حتّى الساعة[٣].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أي ظهر أمر ربّه لأهل الجبل فحذف، والمعنى أنّه سبحانه أظهر من الآيات ما استدلّ به من كان عند الجبل على أنّ رؤيته غير جائزة، وقيل: معناه: ظهر ربّه بآياته الّتي أحدثها في الجبل لأهل الجبل كما يقال: الحمد لله الّذي تجلى لنا بقدرته، فلمّا أظهر الآية العجيبة في الجبل صار كأنّه ظهر لأهله، وقيل: إنّ «تجلى» بمعنى «جلّى» كقولهم: حدّث وتحدّث، وتقديره: جلّى ربّه أمره للجبل، أي أبرز في ملكوته للجبل ما تدكدك به، ويؤيّده ما جاء في الخبر: إن الله تعالى أبرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل، وقال ابن عبّاس: معناه: ظهر نور ربّه للجبل، وقال الحسن: لمّا ظهر وحي ربّه للجبل جعله دكّاً، أي مستوياً بالأرض، وقيل: تراباً، عن ابن عبّاس، وقيل: ساخ في الأرض حتّى فني، عن الحسن، وقيل: تقطّع أربع قطع: قطعة ذهبت نحو المشرق، وقطعة ذهبت نحو المغرب، وقطعة سقطت في البحر، وقطعة صارت رملاً، وقيل: صار الجبل ستة أجبل وقعت ثلاثة بالمدينة، وثلاثة بمكّة، فالّتي بالمدينة احد وورقان ورضوى، والّتي بمكّة ثور وثبير وحراء، روي ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله[٤].

١٨ - **ير:** أحمد بن محمّد السياريّ، عن عبيد بن أبي عبد الله الفارسيّ وغيره رفعوه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الكرّوبيّين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل جعلهم الله خلف العرش، لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثمّ قال: إنّ موسى عليه السلام لمّا أن سأل ربّه ما سأل أمر واحداً من الكرّوبيّين فتجلى للجبل فجعله دكّاً[٥].

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٢٢١.

(٢) - (٣) التوحيد للصدوق، ص ١١٨ - ١٢٠.

(٤) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٥٢.

(٥) بصائر الدرجات، ج ٢ باب ٦ نوادر الباب ح ٢.

١٩ - ير: عليّ بن خالد، عن ابن يزيد، عن عبّاس الورّاق، عن عثمان بن عيسى عن ابن مسكان، عن ليث المرادي، عن سدير قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فمرّ بنا رجل من أهل اليمن فسأله أبو جعفر عليه السلام عن اليمن فأقبل يحدث فقال له أبو جعفر عليه السلام: هل تعرف دار كذا وكذا؟ قال: نعم ورأيتها، قال: فقال له أبو جعفر عليه السلام: هل تعرف صخرة عندها في موضع كذا وكذا؟ قال: نعم ورأيتها، فقال الرجل: ما رأيت رجلاً أعرف بالبلاد منك، فلمّا قام الرجل قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الفضل تلك الصخرة الّتي غضب موسى فألقى الألواح، فما ذهب من التوراة التقمته الصخرة، فلمّا بعث الله رسوله أدته إليه وهي عندنا[1].

أقول: ستأتي الأخبار الكثيرة في كتاب الإمامة في أنّ عندهم التوراة والألواح والإنجيل وسائر كتب الأنبياء.

٢٠ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن محمّد بن إسماعيل، عن عليّ ابن النعمان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا أبا محمّد إنّ الله لم يعط الأنبياء شيئاً إلاّ وقد أعطاه محمداً، وعندنا الصحف الّتي قال الله عزّ وجلّ: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ قلت: جعلت فداك هي الألواح؟ قال: نعم[2].

٢١ - ير: أبو محمد، عن عمران بن موسى البغداديّ، عن ابن أسباط، عن محمّد بن الفضيل، عن الثماليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ في الجفر: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أنزل ألواح موسى عليه السلام أنزلها عليه وفيها تبيان كلّ شيء وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فلمّا انقضت أيّام موسى أوحى الله إليه أن استودع الألواح - وهي زبرجدة من الجنّة - الجبل فأتى موسى الجبل فانشق له الجبل فجعل فيه الألواح ملفوفة، فلمّا جعلها فيه انطبق الجبل عليها، فلم تزل في الجبل حتّى بعث الله نبيّه محمداً صلى الله عليه وآله، فأقبل ركب من اليمن يريدون النبيّ صلى الله عليه وآله فلمّا انتهوا إلى الجبل انفرج الجبل وخرجت الألواح ملفوفة كما وضعها موسى عليه السلام، فأخذها القوم فدفعوها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله[3].

أقول: تمامه في باب أنّ كتب الأنبياء وآثارهم عند الأئمة عليهم السلام، وسيأتي فيه أيضاً عن حبّة العرنيّ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ يوشع بن نون كان وصيّ موسى عليه السلام وكانت ألواح موسى من زمرّد أخضر، فلمّا غضب موسى عليه السلام ألقى الألواح من يده فمنها ما تكسّر ومنها ما بقي ومنها ما ارتفع، فلمّا ذهب عن موسى الغضب قال يوشع: أعندك تبيان ما في الألواح؟ قال: نعم فلم يزل يتوارثها رهط من بعد رهط حتّى وصلت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ودفعها إليّ.

---

(١) بصائر الدرجات، ج ٣ باب ١٠ ح ٧.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ١٢٩ باب ان الأئمة ورثوا علم النبي ح ٥.

(٣) بصائر الدرجات، ص ١٤٢ ج ٣ باب ١١ ح ٤.

٢٢ - ج، يد، ن: عن الحسن بن محمّد النوفليّ، في احتجاج الرضا عليه السلام على أرباب الملل قال عليه السلام: إنّ موسى بن عمران وأصحابه السبعين الّذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل فقالوا له: إنّك قد رأيت الله سبحانه فأرناه كما رأيته، فقال لهم: إنّي لم أره فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم وبقي موسى وحيداً فقال: يا ربّ اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وأرجع وحدي فكيف يصدقني قومي بما اخبرهم به؟ فلو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا، فأحياهم الله عزّ وجلّ من بعد موتهم[1].

٢٣ - شي: عن أبي إسحاق، عمّن ذكره ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ مغفرة، حطّ عنّا أي اغفر لنا[2].

٢٤ - شي: عن إسحاق بن عمّار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ أقوة في الأبدان أم قوّة في القلوب؟ قال: فيهما جميعاً[3].

٢٥ - شي: عن عبيد الله الحلبيّ قال: قال: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ واذكروا ما في تركه من العقوبة[4].

٢٦ - شي: عن محمّد بن أبي حمزة، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ قال: اسجدوا وضع اليدين على الركبتين في الصلاة وأنت راكع[5].

٢٧ - شي: عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ قال: كان في العلم والتقدير ثلاثين ليلة، ثمّ بدا لله فزاد عشراً، فتمّ ميقات ربّه للأوّل والآخر أربعين ليلة[6].

بيان: لعلّ المراد بالعلم علم الملائكة، أو سمّي ما كتب في لوح المحو والإثبات علماً وقد مرّ تحقيق ذلك في باب البداء.

٢٨ - شي: عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ قال: لمّا ناجى موسى عليه السلام ربّه أوحى الله إليه: أن يا موسى قد فتنت قومك، قال: وبماذا يا ربّ؟ قال: بالسامريّ، قال: وما فعل السامريّ؟ قال: صاغ لهم من حليهم عجلاً، قال: يا ربّ إنّ حليهم لتحتمل أن يصاغ منه غزال أو تمثال أو عجل، فكيف فتنتهم؟ قال: إنّه صاغ لهم عجلاً فخار، قال: يا ربّ ومن أخاره؟ قال: أنا، فقال عندها موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ قال: فلمّا انتهى موسى إلى قومه

(١) الاحتجاج، ص ٢١٩ والتوحيد ص ٤٢٤، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٤٤ باب ١٢ ح ١.
(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٦٣ ح ٤٨ من سورة البقرة.
(٣) - (٦) تفسير العياشي، ج ١ ص ٦٣-٦٤ ح ٥٢ و٥٣ و٥٤ و٤٦ من سورة البقرة.

ورآهم يعبدون العجل ألقى الألواح من يده فتكسّرت، فقال أبو جعفر عليه السلام: كان ينبغي أن يكون ذلك عند إخبار الله إيّاه. قال: فعمد موسى فبرد العجل من أنفه إلى طرف ذنبه، ثمّ أحرقه بالنار فذرّه في اليمّ، قال: فكان أحدهم ليقع في الماء وما به إليه من حاجة فيتعرّض بذلك للرماد فيشربه وهو قول الله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[١].

شي: عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام مثله إلى قوله: وتهدي من تشاء[٢].

بيان: البرد: القطع بالمبرد وهو السوهان.

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ تداخلهم حبّه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن «بكفرهم» أي بسبب كفرهم وذلك لأنّهم كانوا مجسمة أو حلوليّة ولم يروا جسماً أعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سوّل لهم السامريّ[٣].

٢٩ - **شي:** عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ قال: بعشر ذي الحجّة ناقصة حتّى انتهى إلى شعبان فقال: ناقص لا يتم[٤].

٣٠ - **شي:** عن فضيل بن يسار قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك وقّت لنا وقتاً فيهم؟ فقال: إنّ الله خالف علمه علم الموقّتين، أما سمعت الله يقول: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ إلى ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أما إنّ موسى لم يكن يعلم بتلك العشر ولا بنو إسرائيل فلمّا حدّثهم قالوا: كذب موسى، وأخلفنا موسى، فإن حدّثتم به فقولوا: صدق الله ورسوله تؤجروا مرّتين[٥].

٣١ - **شي:** عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ موسى عليه السلام لمّا خرج وافداً إلى ربّه واعدهم ثلاثين يوماً، فلمّا زاد الله على الثلاثين عشراً قال قومه: أخلفنا موسى، فصنعوا ما صنعوا[٦].

٣٢ - **شي:** عن محمّد بن عليّ بن الحنفيّة أنّه قال مثل ذلك[٧].

٣٣ - **شي:** عن أبي بصير، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: لمّا سأل موسى عليه السلام ربّه تبارك وتعالى قال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ قال: فلمّا صعد موسى عليه السلام على الجبل فتحت أبواب

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٧٠ ح ٧٣ من سورة البقرة.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٤ ح ٨٥ من سورة الأعراف.

(٣) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١٢٣.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٩ ح ٦٩ من سورة الأعراف.

(٥) - (٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٩-٣٠ ح ٧٠-٧١ من سورة الأعراف.

السّماء، وأقبلت الملائكة أفواجاً في أيديهم العمد في رأسها النور يمرّون به فوجاً بعد فوج يقولون: يا ابن عمران أتيت فقد سألت عظيماً، قال: فلم يزل موسى واقفاً حتّى تجلى ربّنا جل جلاله فجعل الجبل دكّاً وخرّ موسى صعقاً، فلمّا أن ردّ الله عليه روحه أفاق قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١) قال ابن أبي عمير: وحدّثني عدّة من أصحابنا أنّ النّار أحاطت به حتّى لا يهرب لهول ما رأى(٢).

٣٤ - شي: عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ موسى بن عمران عليه السلام لمّا سأل ربّه النظر إليه وعده الله أن يقعد في موضع، ثمّ أمر الملائكة أن تمرّ عليه موكباً موكباً بالبرق والرعد والريح والصواعق، فكلّما مرّ به موكب من المواكب ارتعدت فرائصه فيرجع رأسه فيقولون له: قد سألت عظيماً(٣).

٣٥ - شي: عن حفص بن غياث قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ قال: ساخ الجبل في البحر فهو يهوي حتّى الساعة(٤).

٣٦ - وفي رواية أخرى: أنّ النّار أحاطت بموسى لئلا يهرب لهول ما رأى، وقال: لما خرّ موسى صعقاً مات، فلمّا أن ردّ الله روحه أفاق، فقال: سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين(٥).

٣٧ - شي: عن محمّد بن أبي حمزة، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ فقال موسى: يا ربّ ومن أخار الصنم؟ فقال الله: أنا يا موسى أخرته، فقال موسى: إن هي إلاّ فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدي من تشاء(٦).

٣٨ - شي: عن ابن مسكان، عن الوصّاف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ فيما ناجى موسى أن قال: يا ربّ هذا السامريّ صنع العجل فالخوار من صنعه؟ قال: فأوحى الله إليه، يا موسى إنّ تلك فتنتي فلا تفصحني عنها(٧).

بيان: لا تفصحني عنها لعلّه بالصاد المهملة، أي لا تسألني أن أظهر سببها، والإفصاح وإن كان لازماً يمكن أن يكون التفصيح متعدياً، وفي بعض النسخ بالمعجمة أي لا تبيّن ذلك للناس فإنّهم لا يفهمون.

٣٩ - شي: عن محمّد بن أبي حمزة، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠ ح ٧٢-٧٣ من سورة الأعراف.
(٣) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣١ ح ٧٤-٧٦ من سورة الأعراف.
(٦) - (٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٢ ح ٧٩-٨٠ من سورة الأعراف.

تبارك وتعالى لمّا أخبر موسى أنّ قومه اتّخذوا عجلاً له خوار فلم يقع منه موقع العيان، فلمّا رآهم اشتدّ فالقى الألواح من يده، فقال أبو عبد الله عليه السلام : وللرؤية فضل على الخبر[١].

٤٠ - **كا:** عليّ بن إبراهيم رفعه قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى: أن لا تقتل السامريّ فإنّه سخيّ[٢].

٤١ - **مهج:** من كتاب عبد الله بن حمّاد الأنصاريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر عنده حزيران فقال: هو الشهر الّذي دعا فيه موسى على بني إسرائيل فمات في يوم وليلة من بني إسرائيل ثلاثمائة ألف من الناس[٣].

٤٢ - **م:** قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ قال: كان موسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل: إذا فرج الله عنكم وأهلك أعداءكم آتيكم بكتاب من عند ربكم يشتمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وعبره وأمثاله فلمّا فرّج الله عنهم أمره الله عزّ وجلّ أن يأتي للميعاد ويصوم ثلاثين يوماً عند أصل الجبل فظن موسى أنّه بعد ذلك يعطيه الكتاب فصام ثلاثين يوماً، فلمّا كان آخر اليوم استاك قبل الفطر، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى أما علمت أنّ خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك؟ صم عشراً أخر ولا تستك عند الافطار، ففعل ذلك موسى عليه السلام وكان وعده الله أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة، فأعطاه إيّاه، فجاء السامريّ فشبّه على مستضعفي بني إسرائيل، فقال: وعدكم موسى أن يرجع إليكم بعد أربعين ليلة، وهذه عشرون ليلة وعشرون يوماً تمّت أربعون، أخطأ موسى ربّه وقد أتاكم ربكم، أراد أن يريكم أنّه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه، وأنّه لم يبعث موسى عليه السلام لحاجة منه إليه، فأظهر لهم العجل الّذي كان عمله، فقالوا: كيف يكون العجل إلهنا؟ قال: إنّما هذا العجل يكلّمكم منه ربكم كما كلّم موسى من الشجرة، فلمّا سمعوا منه كلاماً قالوا له: إنّه في العجل كما في الشجرة، فضلوا بذلك وأضلوا، فلمّا رجع موسى إلى قومه قال: يا أيّها العجل أكان فيك ربّنا كما يزعم هؤلاء؟ فنطق العجل وقال: عزّ ربّنا من أن يكون العجل حاوياً له، أو شيء من الشجرة والأمكنة عليه مشتملاً، لا والله يا موسى، ولكنّ السامريّ نصب عجلاً مؤخّره إلى حائط وحفر في الجانب الآخر في الأرض وأجلس فيه بعض مردته فهو الّذي وضع فاه على دبره وتكلّم ما تكلّم لمّا قال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ يا موسى بن عمران ما خذل هؤلاء بعبادتي واتّخاذي إلهاً إلاّ لتهاونهم بالصلاة على محمّد وآله الطيّبين، وجحودهم بموالاتهم وبنبوّة النبيّ ووصيّة الوصي حتّى أدّاهم إلى أن اتّخذوني إلهاً، قال الله عزّ وجلّ : فإذا كان الله تعالى إنّما خذل عبدة العجل لتهاونهم بالصلاة على محمّد ووصيّه عليّ فما تخافون من الخذلان الأكبر في

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٢ ح ٨١ من سورة الأعراف.
(٢) الكافي، ج ٤ ص ٣١٩ باب ٣٤ ح ١٣. (٣) مهج الدعوات، ص ٤٢٢.

معاندتكم لمحمّد وعليّ وقد شاهدتموهما وتبيّنتم آياتهما ودلائلهما[١].

بيان: اعلم أنّ الأخبار قد اختلفت من الخاصّة والعامّة في أنّ موسى عليه السلام هل وعدهم ثلاثين فجاء بعد الأربعين، أو وعدهم أربعين، والأظهر من أكثر الأخبار السالفة أنّها كانت من الأخبار البدائيّة وكان الثلاثون مشروطاً بشرط فتمّ بعد ذلك أربعون، ويظهر من هذا الخبر أنّ السامريّ سوّل لهم شبهة فاسدة ولم يكن الميقات إلّا أربعين، ويمكن كون إحداهما محمولة على التقيّة لكونها أشهر بين المخالفين في زمان صدور الخبر، أو يكون موسى وعدهم الثلاثين مع تجويز الأربعين فجعل لميقاته نهايتين، وبه يمكن الجمع بين الآيتين أيضاً.

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾: ولم يقل أربعين ليلة كما قال في سورة البقرة لفائدة زائدة ذكر فيها وجوه:

أحدها: أنّ العدّة كانت ذا القعدة وعشراً من ذي الحجّة ولو قال: أربعين ليلة لم يعلم أنّه كان الابتداء أوّل الشهر ولا أنّ الأيّام كانت متوالية ولا أنّ الشهر شهر بعينه قاله أكثر المفسّرين.

وثانيها: أنّه واعد موسى ثلاثين ليلة ليصوم فيها ويتقرّب بالعبادة، ثمّ أتمّها بعشر إلى وقت المناجاة. وقيل: هي العشر الّتي أنزلت التوراة فيها فلذلك أفردت بالذكر.

وثالثها: أنّ موسى عليه السلام قال لقومه: إنّي أتأخّر عنكم بثلاثين يوماً ليتسهّل عليهم ثمّ زاد عليهم عشراً وليس في ذلك خلف لأنّه إذا تأخّر عنهم أربعين ليلة فقد تأخّر ثلاثين قبلها، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انتهى[٢].

وقال الثعلبيّ: كان قد وعد قومه ثلاثين ليلة فأتمّها الله بعشر حتّى صارت أربعين، وعدّ بنو إسرائيل الثلاثين فلمّا لم يرجع إليهم موسى افتتنوا، وقال قوم: إنّهم عدّوا الليلة يوماً واليوم يوماً فلمّا مضت عشرون يوماً افتتنوا[٣].

٤٣ - **م:** ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي عفونا عن أوائلكم عبادتهم العجل لعلّكم يا أيّها الكائنون في عصر محمّد من بني إسرائيل تشكرون تلك النعمة على أسلافكم وعليكم بعدهم. ثمّ قال عليه السلام: وإنّما عفا الله عزّ وجلّ عنهم لأنّهم دعوا الله بمحمّد وآله الطيّبين، وجدّدوا على أنفسهم الولاية لمحمّد وعليّ وآلهما الطاهرين، فعند ذلك رحمهم الله وعفا عنهم. ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ قال: واذكروا إذ آتينا موسى الكتاب وهو التوراة الّذي اخذ على بني إسرائيل الإيمان به والانقياد لما يوجبه، والفرقان آتيناه أيضاً فرق ما بين الحقّ والباطل وفرق ما بين المحقّين والمبطلين، وذلك أنّه لمّا أكرمهم الله بالكتاب والإيمان به والانقياد له أوحى الله بعد ذلك إلى

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٤٧ ح ١٢٢.

(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٤٩.

(٣) عرائس المجالس، ص ١٨٤.

موسى: يا موسى هذا الكتاب قد أقروا به وقد بقي الفرقان، فرق ما بين المؤمنين والكافرين والمحقّين والمبطلين، فجدّد عليهم العهد به، فإنّي آليت على نفسي قسماً حقّاً لا أتقبّل من أحد إيماناً ولا عملاً إلاّ مع الإيمان به، قال موسى عليه السلام: ما هو يا رب؟ قال الله عزّ وجلّ: يا موسى تأخذ على بني إسرائيل أنّ محمّداً خير البشر وسيّد المرسلين، وأن أخاه ووصيّه عليّاً خير الوصيين، وأن أولياءه الّذين يقيمهم سادة الخلق، وأن شيعته المنقادين له المسلّمين له أوامره ونواهيه ولخلفائه نجوم الفردوس الأعلى وملوك جنّات عدن، قال: فأخذ موسى عليه السلام عليهم ذلك، فمنهم من اعتقده حقّاً، ومنهم من أعطاه بلسانه دون قلبه، وكان المعتقد منهم حقّاً يلوح على جبينه نورٌ مبينٌ، ومن أعطى بلسانه دون قلبه ليس له ذلك النور، فذلك الفرقان الّذي أعطاه الله عزّ وجلّ موسى عليه السلام وهو فرق ما بين المحقّين والمبطلين. ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي لعلّكم تعلمون أنّ الّذي به يشرف العبد عند الله عزّ وجلّ هو اعتقاد الولاية كما شرف به أسلافكم.

ثم قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ قال الإمام: قال الله عزّ وجلّ: واذكروا يا بني اسرائيل ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ عبدة العجل: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ أضررتم بها ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ الذي براكم وصوركم ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ يقتل بعضكم بعضاً يقتل من لم يعبد العجل من عبده ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ذلك القتل خير لكم ﴿عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ من أن تعيشوا في الدنيا وهو لا يغفر لكم فيتمّ في الحياة الدنيا خيراتكم، ويكون إلى النّار مصيركم، وإذا قتلتم وأنت تائبون جعل الله عزّ وجلّ القتل كفّارتكم وجعل الجنّة منزلكم ومقيلكم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم قبل استيفاء القتل لجماعتكم، وقبل إتيانه على مكافاتكم، وأمهلكم للتوبة واستبقاكم للطاعة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قال: وذلك أنّ موسى عليه السلام لمّا أبطل الله عزّ وجلّ على يديه أمر العجل فأنطقه بالخبر عن تمويه السامريّ وأمر موسى عليه السلام أن يقتل من لم يعبده من عبده تبرّأ أكثرهم وقالوا: لم نعبده، فقال الله عزّ وجلّ لموسى: ابرد هذا العجل بالحديد برداً، ثمّ ذرّه في البحر، فمن شرب منه ماء اسودّ شفتاه وأنفه وبان ذنبه، ففعل فبان العابدون، فأمر الله الاثني عشر ألفاً أن يخرجوا على الباقين شاهرين السيوف يقتلونهم، ونادى مناد: ألا لعن الله أحداً اتّقاهم بيد أو رجل، ولعن الله من تأمّل المقتول لعلّه ينسبه حميماً قريباً فيتعدّاه إلى الأجنبي، فاستسلم المقتولون، فقال القاتلون: نحن أعظم مصيبة منهم، نقتل بأيدينا آباءنا وأمّهاتنا وأبناءنا وإخواننا وقراباتنا ونحن لم نعبد، فقد ساوى بيننا وبينهم في المصيبة، فأوحى الله تعالى إلى موسى: إنّي إنّما امتحنتهم بذلك لأنّهم ما اعتزلوهم لمّا عبدوا العجل ولم يهجروهم ولم يعادوهم على ذلك، قل لهم: من دعا الله بمحمّد وآله الطيّبين أن يسهّل عليهم قتل المستحقّين

للقتل بذنوبهم نفعل، فقالوها فسهّل عليهم ولم يجدوا لقتلهم لهم ألماً، فلمّا استمرّ القتل فيهم وهم ستمائة ألف إلاّ اثني عشر ألفاً الّذين لم يعبدوا العجل وفق الله بعضهم، فقال لبعضهم والقتل لم يفض بعد إليهم فقال: أوليس الله قد جعل التوسّل بمحمّد وآله الطيّبين أمراً لا يخيب معه طلبة، ولا يردّ به مسألة؟ وهكذا توسّلت بهم الأنبياء والرسل، فما لنا لا نتوسّل بهم قال: فاجتمعوا وضجّوا: يا ربّنا بجاه محمّد الأكرم، وبجاه عليّ الأفضل الأعظم، وبجاه فاطمة ذي الفضل والعصمة، وبجاه الحسن والحسين سبطي سيّد المرسلين وسيّدي شباب أهل الجنان أجمعين، وبجاه الذرّيّة الطيّبة الطاهرة من آل طه ويس لمّا غفرت لنا ذنوبنا، وغفرت لنا هفوتنا، وأزلت هذا القتل عنّا، فذلك حين نودي موسى عليه السلام من السماء: أن كفّ القتل فقد سألني بعضهم مسألة، وأقسم عليّ قسماً لو أقسم به هؤلاء العابدون للعجل وسألني بعضهم العصمة حتّى لا يعبدوه لوفّقتهم وعصمتهم، ولو أقسم عليّ بها إبليس لهديته، ولو أقسم عليّ بها نمرود أو فرعون لنجيتهم، فرفع عنهم القتل فجعلوا يقولون: يا حسرتنا أين كنا عن هذا الدعاء بمحمّد وآله الطيّبين حتّى كان الله يقينا شرّ الفتنة ويعصمنا بأفضل العصمة؟

ثمّ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال أسلافكم ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أخذت أسلافكم ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إليهم ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ بعثنا أسلافكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ أي من بعد موت أسلافكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي لعلّ أسلافكم يشكرون الحياة الّتي فيها يتوبون ويقلعون وإلى ربّهم ينيبون، لم يدم عليهم ذلك الموت فيكون إلى النّار مصيرهم وهم فيها خالدون، قال: وذلك أنّ موسى عليه السلام لمّا أراد أن يأخذ عليهم عهد الفرقان فرّق ما بين المحقّين والمبطلين لمحمّد صلى الله عليه وآله بنبوّته ولعليّ عليه السلام بإمامته، وللأئمّة الطاهرين بإمامتهم، قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أن هذا أمر ربّك ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً يخبرنا بذلك ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ معاينة ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ وهم ينظرون إلى الصاعقة تنزل عليهم.

وقال الله عزّ وجلّ: يا موسى إنّي أنا المكرم أوليائي المصدّقين بأصفيائي ولا أبالي، وأنا المعذّب لأعدائي الدافعين حقوق أصفيائي ولا أبالي، فقال موسى للباقين الّذين لم يصعقوا: ماذا تقولون؟ أتقبلون وتعترفون وإلا فأنتم بهؤلاء لاحقون؟ قالوا: يا موسى لا ندري ما حلّ بهم لماذا أصابهم، كانت الصاعقة ما أصابتهم لأجلك إلاّ أنّها نكبة من نكبات الدهر تصيب البرّ والفاجر، فإن كانت إنّما أصابتهم لردّهم عليك في أمر محمّد وعليّ وآلهما فاسأل الله ربّك بمحمّد وآله هؤلاء الّذين تدعونا إليهم أن يحيي هؤلاء المصعوقين لنسألهم لماذا أصابهم ما أصابهم، فدعى الله عزّ وجلّ بهم موسى فأحياهم الله عزّ وجلّ، فقال لهم موسى عليه السلام: سلوهم لماذا أصابهم، فسألوهم فقالوا: يا بني إسرائيل أصابنا ما أصابنا لإبائنا اعتقاد نبوّة محمّد مع اعتقاد إمامة عليّ عليه السلام، لقد رأينا بعد موتنا هذا ممالك ربّنا من سماواته وحجبه وكرسيّه وعرشه وجنانه ونيرانه فما رأينا أنفذ أمراً في جميع تلك الممالك

وأعظم سلطاناً من محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، وإنا لمّا متنا بهذه الصاعقة ذهب بنا إلى النيران فناداهم محمّد وعليّ عليهما الصلاة والسلام كفوا عن هؤلاء عذابكم، فهؤلاء يحيون بمسألة سائل [يسأل] ربّنا عزّوجلّ بنا وبآلنا الطيّبين وذلك حين لم يقذفونا في الهاوية، فأخرونا إلى أن بعثنا بدعائك يا موسى بن عمران بمحمّد وآله الطيّبين، فقال الله عزّوجلّ لأهل عصر محمّد صلى الله عليه وآله: فإذا كان بالدعاء بمحمّد وآله الطيّبين نشر ظلمة أسلافكم المصعوقين بظلمهم أفلا يجب عليكم أن لا تتعرّضوا لمثل ما هلكوا به إلى أن أحياهم الله عزّوجلّ[1]؟

٤٤ - كا: عليّ، عن أبيه ومحمّد بن القاسم، عن محمّد بن سليمان، عن داود بن حفص ابن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: انزلت التوراة لستّ مضين من شهر رمضان[2].

٤٥ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الاهوازيّ، عن الجوهريّ، عن البطائنيّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

٤٦ - ع: بإسناده عن يزيد بن سلام أنّه سأل النبيّ صلى الله عليه وآله لم سمّي الفرقان فرقاناً؟ قال: لأنه متفرق الآيات والسور، انزلت في غير الألواح وغير الصحف، والتوراة والإنجيل والزبور أُنزلت كلّها جملةً في الألواح والورق. الحديث[3].

٤٧ - م: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ﴾ الآية قال الإمام عليه السلام: أي فاذكروا إذ أخذنا ميثاقكم وعهودكم أن تعملوا بما في التوراة وبما في الفرقان الّذي أعطيته موسى مع الكتاب المخصوص بذكر محمّد وعليّ والطيّبين من آلهما بأنّهم سادة الخلق، والقوّامون بالحقّ، وإذ أخذنا ميثاقكم أن تقرّوا به وأن تؤدّوه إلى أخلافكم، وتأمروهم أن يؤدّوه إلى أخلافهم إلى آخر مقدّراتي في الدنيا، ليؤمننّ بمحمّد نبيّ الله، وليسلمنّ له ما يأمرهم في عليّ وليّ الله عن الله، وما يخبرهم به من أحوال خلفائه بعده القوّامين بحقّ الله فأبيتم قبول ذلك واستكبرتموه

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ الجبل، أمرنا جبرئيل أن يقطع من جبل فلسطين قطعة على قدر معسكر أسلافكم فرسخاً في فرسخ، فقطعها وجاء بها فرفعها فوق رؤوسهم، فقال موسى عليه السلام: إمّا أن تأخذوا بما أُمرتم به فيه، وإمّا أن أُلقي عليكم هذا الجبل، فأُلجئوا إلى قبوله كارهين إلاّمن عصمه الله من العناد، فإنّه قبله طائعاً مختاراً، ثمّ لمّا قبلوه سجدوا وعفروا وكثير منهم عفر خديه لا لإرادة الخضوع لله ولكن نظر إلى الجبل هل يقع أم لا، وآخرون سجدوا مختارين طائعين[4].

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٥٢ ح ١٢٥.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٤٧ باب النوادر ح ٦.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٨١ باب ٢٢٢ ح ٣٣.

(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٦٥.

٤٨ - م: قوله عزّوجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قال الإمام عليه السلام: قال الله عزّوجلّ: اذكروا إذ فعلنا ذلك بأسلافكم لمّا أبوا قبول ما جاءهم به موسى عليه السلام من دين الله وأحكامه، ومن الأمر بتفضيل محمّد وعليّ وخلفائهما على سائر الخلق ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم﴾ قلنا لهم: خذوا ما آتيناكم من هذه الفرائض بقوة قد جعلناها لكم، ومكّنّاكم بها، وأزحنا عللكم في تركيبها فيكم ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما يقال لكم وتؤمرون به ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك، أي أنّهم عصوا بعده، وأضمروا في الحال أيضاً العصيان ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أمروا بشرب العجل الّذي كان قد ذرّيت سحالته في الماء الّذي أمروا بشربه ليبيّن لهم من عبده ممّن لم يعبده ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ لأجل كفرهم أمروا بذلك ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ بموسى كفركم بمحمّد وعليّ وأولياء الله من أهلهما ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بتوراة موسى، ولكن معاذ الله لا يأمركم إيمانكم بالتوراة الكفر بمحمّد وعلي عليهما السلام.

قال الإمام عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تعالى ذكر بني إسرائيل في عصر محمّد صلى الله عليه وآله أحوال آبائهم الّذين كانوا في أيّام موسى عليه السلام كيف أخذ عنهم العهد والميثاق لمحمّد وعليّ وآلهما الطيّبين المنتجبين للخلافة على الخلائق ولأصحابهما وشيعتهما وسائر أمّة محمّد عليه الصلاة والسلام.

فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ اذكروا إذ أخذنا ميثاق آبائكم ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل لمّا أبوا قبول ما أُريد منهم والاعتراف به ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم﴾ أعطيناكم ﴿بِقُوَّةٍ﴾ يعني بالقوّة الّتي أعطيناكم تصلح لذلك ﴿وَاسْمَعُوا﴾ أي أطيعوا فيه ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ بآذاننا وعصينا بقلوبنا، فأمّا في الظاهر فأعطوا كلّهم الطاعة داخرين صاغرين، ثمّ قال: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ عرضوا لشرب العجل الّذي عبدوه حتّى وصل ما شربوا من ذلك إلى قلوبهم، وقال: إنّ بني إسرائيل لمّا رجع إليهم موسى وقد عبدوا العجل تلقوه بالرجوع عن ذلك، فقال لهم موسى: من الّذي عبده منكم حتّى أُنفذ فيه حكم الله؟ خافوا حكم الله الّذي ينفذه فيهم فجحدوا أن يكونوا عبدوه، وجعل كلّ واحد منهم يقول: أنا لم أعبده وعبده غيري، ورشى بعضهم ببعض، فلذلك ما حكى الله عن موسى من قوله للسامريّ: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ فأمره الله فبرده بالمبارد وأخذ سحالته فذراها في البحر العذب، ثمّ قال لهم: اشربوا منه، فشربوا فكلّ من كان عبده اسودّ شفتاه وأنفه ممّن كان أبيض اللّون، ومن كان منهم أسود اللون ابيض شفتاه وأنفه فعند ذلك أنفذ فيهم حكم الله.

ثم قال الله تعالى للموجودين من بني إسرائيل في عصر محمّد صلى الله عليه وآله على لسانه: ﴿قُلْ﴾ يا

محمّد لهؤلاء المكذّبين بك بعد سماعهم ما أُخذ على أوائلهم لك ولأخيك عليّ ولآلكما ولشيعتكما ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ أن تكفروا بمحمّد وتستخفّوا بحق عليّ وآله وشيعته ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ كما تزعمون بموسى والتوراة.

قال عليه السلام : وذلك أنّ موسى عليه السلام كان وعد بني إسرائيل أنّه يأتيهم بكتاب من عند الله يشتمل على أوامره ونواهيه وحدوده وفرائضه بعد أن ينجيهم الله من فرعون وقومه، فلمّا نجّاهم وصاروا بقرب الشام جاءهم بالكتاب من عند الله كما وعدهم، وكان فيه: إنّي لا أتقبّل عملاً ممّن لا يعظم محمّداً وعليّاً وآلهما الطيّبين ولم يكرم أصحابهما ومحبّيهما حقّ تكريمهم، يا عبيد الله ألا فاشهدوا أنّ محمّداً خير خليقتي وأفضل بريّتي، وأن عليّاً أخوه ووصيّه ووارث علمه وخليفته في أُمّته وخير من يخلفه بعده، وأن آل محمّد أفضل آل النبيّين وأصحاب محمّد أفضل صحابة المرسلين، وأمة محمّد خير الأمم أجمعين.

فقال بنو إسرائيل: لا نقبل هذا يا موسى، هذا عظيم يثقل علينا، بل نقبل من هذه الشرائع ما يخفّ علينا، وإذا قبلناها قلنا: إنّ نبيّنا أفضل نبيّ، وآله أفضل آل، وصحابته أفضل صحابة، ونحن أُمّته أفضل من أُمّة محمّد، ولسنا نعترف بالفضل لقوم لا نراهم ولا نعرفهم، فأمر الله جبرئيل فقطع بجناح من أجنحته من جبل من جبال فلسطين على قدر معسكر موسى عليه السلام وكان طوله في عرضه فرسخاً في فرسخ، ثمّ جاء به فوقفه على رؤوسهم، وقال: إمّا أن تقبلوا ما أتاكم به موسى وإمّا وضعت عليكم الجبل فطحطحتكم تحته، فلحقهم من الجزع والهلع ما يلحق أمثالهم ممّن قوبل بهذه المقابلة، فقالوا: يا موسى كيف نصنع؟ قال موسى: اسجدوا لله على جباهكم ثمّ عفّروا خدودكم اليمنى ثمّ اليسرى في التراب، وقولوا: يا ربّنا سمعنا وأطعنا وقبلنا واعترفنا وسلّمنا ورضينا، قال: ففعلوا هذا الّذي قال لهم موسى قولاً وفعلاً غير أنّ كثيراً منهم خالف قلبه ظاهر أفعاله وقال بقلبه: سمعنا وعصينا مخالفاً لما قال بلسانه، وعفّروا خدودهم اليمنى وليس قصدهم التذلّل لله تعالى والندم على ما كان منهم من الخلاف، ولكنّهم فعلوا ذلك ينظرون هل يقع عليهم الجبل أم لا، ثمّ عفّروا خدودهم اليسرى ينظرون كذلك، ولم يفعلوا ذلك كما أُمروا.

فقال جبرئيل لموسى عليه السلام : أما إنّ أكثرهم لله تعالى عاصون، ولكن الله تعالى أمرني أن أُزيل عنهم هذا الجبل عند ظاهر اعترافهم في الدنيا فإنّ الله إنّما يطالبهم في الدنيا بظواهرهم لحقن دمائهم، وإبقاء الذمّة لهم، وإنّما أمرهم إلى الله في الآخرة يعذّبهم على عقودهم وضمائرهم، فنظر القوم إلى الجبل وقد صار قطعتين: قطعة منه صارت لؤلؤة بيضاء فجعلت تصعد وترقى حتّى خرقت السماوات وهم ينظرون إليها إلى أن صارت إلى حيث لا يلحقها أبصارهم، وقطعة صارت ناراً ووقعت على الأرض بحضرتهم فخرقتها ودخلتها وغابت عن عيونهم، فقالوا: ما هذان المفترقان من الجبل؟ فرق صعد لؤلؤاً وفرق انحط ناراً؟ قال لهم

موسى: أمّا القطعة الّتي صعدت في الهواء فإنّها وصلت إلى السماء فخرقتها إلى أن لحقت بالجنة فأضعفت أضعافاً كثيرة لا يعلم عددها إلاّ الله، وأمر الله أن يبنى منها للمؤمنين بما في هذا الكتاب قصور ودور ومنازل ومساكن مشتملة على أنواع النعمة الّتي وعدها المتّقين من عباده، من الأشجار والبساتين والثمار والحور الحسان والمخلّدين من الولدان كاللآلي المنثورة، وسائر نعيم الجنّة وخيراتها، وأمّا القطعة الّتي انحطّت إلى الأرض فخرقتها ثمّ الّتي تليها إلى أن لحقت بجهنّم فأضعفت أضعافاً كثيرة، وأمر الله تعالى أن يبنى منها للكافرين بما في هذا الكتاب قصور ودور ومساكن ومنازل مشتملة على أنواع العذاب الّتي وعدها الكافرين من عباده، من بحار نيرانها وحياض غسلينها وغسّاقها وأودية قيحها ودمائها وصديدها وزبانيتها بمرزباتها وأشجار زقّومها وضريعها وحيّاتها وعقاربها وأفاعيها وقيودها وأغلالها وسلاسلها وأنكالها وسائر أنواع البلايا والعذاب المعدّ فيها. ثم قال محمّد رسول الله ﷺ لبني إسرائيل: أفلا تخافون عقاب ربّكم في جحدكم لهذه الفضائل الّتي اختص بها محمّداً وعليّاً وآلهما الطيّبين[1]؟.

بيان: السحالة: ما سقط من الذهب والفضّة ونحوهما كالبرادة. وطحطحت الشيء: كسرته وفرّقته.

٤٩ - **ير:** اليقطينيّ، عن محمّد بن عمر، عن عبد الله بن الوليد السمّان قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا عبد الله ما تقول الشيعة في عليّ وموسى وعيسى عليهم السلام؟ قال: قلت: جعلت فداك ومن أيّ الحالات تسألني؟ قال: أسألك عن العلم، فأمّا الفضل فهم سواء، قلت: جعلت فداك فما عسى أقول فيهم؟ قال: هو والله أعلم منهما، ثمّ قال: يا عبد الله أليس يقولون لعليّ ما للرسول من العلم؟ قال: قلت: بلى، قال: فخاصمهم فيه إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ فأعلمنا أنّه لم يبين له الأمر كلّه، وقال تبارك وتعالى لمحمّد ﷺ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[2].

أقول: ستأتي الأخبار الكثيرة في ذلك في كتاب الإمامة.

٥٠ - **كش:** خلف بن حامد، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي عمير، عن يحيى الحلبي، عن أيّوب بن الحرّ، عن بشير، عن أبي عبد الله عليه السلام، وحدّثني ابن مسعود، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن العبّاس بن عامر، عن أبان بن عثمان، عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبدالله عليه السلام قالا: قلنا لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ عبد الله بن عجلان مرض مرضه الّذي مات

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٤٢٤ ح ٢٩٠.
(٢) بصائر الدرجات، ص ٢٢٢ ج ٥ باب ٥ ح ٣.

فيه، وكان يقول: إنّي لا أموت من مرضي هذا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيهات أيهات أنّى ذهب ابن عجلان؟ لا عرّفه الله قبيحاً من عمله إنّ موسى بن عمران اختار من قومه سبعين رجلاً، فلمّا أخذتهم الرجفة كان موسى أوّل من قام منها، فقال: يا ربّ أصحابي، فقال: يا موسى إنّي أبدلك منهم خيراً، قال: ربّ إنّي وجدت ريحهم وعرفت أسماءهم، قال ذلك ثلاثاً، فبعثهم الله أنبياء[1].

شي: محمّد بن سالم بيّاع القصب، عن الحارث بن المغيرة مثله. وفيه: لا عرّفه الله شيئاً من ذنوبه، وفيه: إنّي أبدلك بهم من هو خير لك منهم[2].

شي: عن أبان بن عثمان، عن الحارث مثله إلاّ أنّه ذكر: فلمّا أخذتهم الصاعقة، ولم يذكر الرجفة[3].

بيان: قوله: (لاعرّفه الله) دعاء له بالمغفرة إذ بالعذاب ويذكر القبائح له على وجه اللوم يعرفها، ولعلّ ابن عجلان إنّما حكم بعدم موته في ذلك المرض لما سمع منه عليه السلام من كونه من أنصار القائم عجّل الله فرجه ونحو ذلك، فأشار عليه السلام إلى أنّه لم يعرف معنى كلامنا، بل إنّما يحصل ذلك له في الرجعة، كما أنّ السبعين ماتوا ثمّ رجعوا بدعاء موسى عليه السلام.

ولعلّ ما صدر عنهم أيضاً كان سؤالاً من قبل القوم لا اقتراحاً منهم لئلا ينافي صيرورتهم أنبياء، أو يكون المراد كونهم تالين للأنبياء في الفضل، أو يكون النبيّ هنا بمعناه اللغوي أي رجعوا مخبرين بما رأوا، أو يقال: إنّه يكفي عصمتهم بعد الرجعة وفيه إشكال، ويأبى عن أكثر الوجوه ما سيأتي في باب أحوال سلمان رضي الله عنه أنّه قال في خطبة له: فقد ارتدّ قوم موسى عن الأسباط ويوشع وشمعون وابني هارون شبّر وشبّير والسبعين الّذين اتّهموا موسى على قتل هارون، فأخذتهم الرجفة من بغيهم، ثمّ بعثهم الله أنبياء مرسلين وغير مرسلين.

٥١ - **فس:** ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ قال الصادق عليه السلام: لمّا أنزل الله التوراة على بني إسرائيل لم يقبلوه، فرفع الله عليهم جبل طور سيناء فقال لهم موسى: إن لم تقبلوا وقع عليكم الجبل، فقبلوه وطأطأوا رؤوسهم[4].

تكملة: قال الثعلبيّ: قال قتادة: كان السامريّ عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة، ولكن عدوّ الله نافق، وقال سعيد بن جبير: كان من أهل كرمان وقال غيرهما: كان رجلاً صائغاً من أهل باجرمى واسمه ميخا.

وقال ابن عبّاس: اسمه موسى بن ظفر، وكان منافقاً قد أظهر الإسلام، وكان من قوم

(١) رجال الكشي، ص ١٥٨.

(٢) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٤ ح ٨٣-٨٤ من سورة الأعراف.

(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٤٧.

يعبدون البقر. وقال هارون لبني إسرائيل: إنّ حليّ القبط غنيمة فلا تحلّ لكم فاجمعوها واحفروا لها حفيرة وادفنوها حتّى يرجع موسى عليه‌السلام فيرى فيها رأيه، ففعلوا وجاء السامريّ بالقبضة الّتي أخذها من تحت حافر جبرئيل فقال لهارون: يا نبيّ الله أقذفها فيها؟ فظنّ هارون أنّه من الحلي، فقال: اقذف، فقذفها فصار عجلاً جسداً له خوار.

وقال ابن عبّاس: أوقد هارون ناراً وأمرهم بأن يقذفوها فيها فقذف السامريّ تلك القبضة فيها وقال: كن عجلاً جسداً له خوار فكان، ويقال: إنّ الّذي قال لبني إسرائيل: إن الغنيمة لا تحلّ لكم هو السامريّ فصدقوه فدفعوها إليه، فصاغ منها عجلاً في ثلاثة أيّام، فقذف فيه القبضة فحيّ وخار خورة.

وقال السدّيّ: كان يخور ويمشي، فلمّا أخرج السامريّ العجل وكان من ذهب مرصّع بالجوهر كأحسن ما يكون فقال: ﴿هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ أي أخطأ الطريق وتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عنكم. وفي بعض الروايات: إنّه لمّا قذف القبضة فيها أشعر العجل وعدا وخار وصار له لحم ودم.

ويروى أنّ إبليس ولج وسطه فخار ومشى، ويقال: إنّ السامريّ جعل مؤخر العجل إلى حائط وحفر في الجانب الآخر في الأرض وأجلس فيه إنساناً فوضع فمه على دبره وخار وتكلّم بما تكلّم به فشبه على جهّالهم حتّى أضلّهم، وقال: إنّ موسى قد أخطأ ربّه فأتاكم ربكم ليريكم أنّه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه وأنّه لم يبعث موسى لحاجة منه إليه وأنّه قد أظهر لكم العجل ليكلّمكم من وسطه كما كلّم موسى من الشجرة، فافتتنوا به إلاّ اثني عشر ألفاً، وكان مع هارون ستّمائة ألف، فلمّا رجع موسى وقرب منهم سمع اللّغط حول العجل وكانوا يزفنون ويرقصون حوله، ولم يخبر موسى أصحابه السبعين بما أخبره ربّه من حديث العجل، فقالوا: هذا قتال في المحلّة؟ فقال موسى عليه‌السلام: ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله، فلمّا رآهم وما يصنعون ألقى الألواح من يده فتكسّرت، فصعد عامّة الكلام الّذي كان فيها ولم يبق منها إلاّ سدسها، ثمّ أُعيدت له في لوحين، عن ابن عبّاس.

وعن تميم الداريّ: قال: قلت يا رسول الله: مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قريبة من ساحل البحر، فقال رسول الله: تلك أنطاكية أما إنّ في غار من غيرانها رضاض من ألواح موسى، وما من سحابة شرقيّة ولا غربيّة تمرّ بها إلاّ ألقت عليها من بركاتها، ولن تذهب الأيام والليالي حتّى يسكنها رجل من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً قالوا: فأخذ موسى شعر رأس هارون عليه‌السلام بيمينه ولحيته بشماله، وكان قد اعتزلهم في الاثني عشر ألفاً الّذين لم يعبدوا العجل، وقال يا هارون: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ الآية.

فلما علم بنو إسرائيل خطأهم ندموا واستغفروا فأمرهم موسى أن يقتل البريء المجرم فتبرّأ أكثرهم، فأمر الله موسى أن يبرد العجل بالمبرد ويحرقه ثمّ يذريه في النيل فمن شرب ماءه

ممّن عبد العجل اصفرّ وجهه واسودّت شفتاه، وقيل: نبت على شاربه الذهب، فكان ذلك علماً لجرمه، فأخذ موسى عليه السلام العجل فذبحه، ثمّ برده بالمبارد، ثمّ حرقه وجمع رماده وأمر السامريّ حتّى بال عليه استخفافاً به ثمّ ذرّاه في الماء، ثمّ أمرهم بالشرب من ذلك الماء فاسودّت شفاه الّذين عبدوه واصفرت وجوههم فأقرّوا وقالوا: لو أمرنا الله سبحانه أن نقتل أنفسنا ليقبل توبتنا لقتلناها، فقيل لهم: ﴿فَاقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ فجلسوا في الأفنية محتبين وأصلت القوم عليهم خناجر، فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضيّ لأمر الله سبحانه، فأرسل الله عليهم ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً، وقيل لهم: من حلّ حبوته أو مدّ طرفه إلى قاتله أو اتّقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردود توبته، فكانوا يقتلونهم إلى المساء فلمّا كثر فيهم القتل وبلغ عدّة القتلى سبعين ألفاً دعا موسى وهارون وبكيا وجزعا وتضرّعا وقالا: يا ربّ هلكت بنو إسرائيل، البقيّة البقيّة، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفّوا عن القتل، فلمّا انكشفت السحابة عن القتلى اشتدّ ذلك على موسى عليه السلام فأوحى الله تعالى إليه: أما يرضيك أن يدخل القاتل والمقتول الجنّة؟ فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقي مكفراً عنه ذنبه.

ثم إنّ موسى عليه السلام همّ بقتل السامريّ فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه: لا تقتله فإنه سخيّ، فلعنه موسى وقال: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك في القيامة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ وأمر موسى عليه السلام بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه، فصار السامريّ وحشيّاً لا يألف ولا يؤلف، ولا يدنو من النّاس ولا يمسّ أحداً منهم، فمن مسّه قرض ذلك الموضع بالمقراض، فكان كذلك حتّى هلك.

قالوا: ثمّ إنّ الله سبحانه أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من خيار بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة قومهم العجل، فاختار موسى سبعين رجلاً فأمر عليه السلام أن يصوموا ويتطهّروا ويطهّروا ثيابهم ويتطيّبوا. ثمّ خرج موسى عليه السلام بهم إلى طور سيناء فلمّا دنا موسى عليه السلام الجبل وقع عليه عمود الغمام حتّى تغشّى الجبل كلّه ودنا موسى عليه السلام ودخل فيه، وقال للقوم: ادنوا، وكان عليه السلام إذا كلّم ربّه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب ودخل القوم في الغمام فخرّوا سجّداً، فسمعوا الله سبحانه وهو يكلّم موسى ويأمره وينهاه، وأسمعهم الله تعالى: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا ذو بكّة، أخرجتكم من أرض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري. فلمّا فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّٰعِقَةُ﴾ وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعاً. وقال وهب: بل أرسل الله إليهم جنداً من السماء فلمّا سمعوا حسّهم ماتوا يوماً وليلة، فقال موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ يا ربّ كيف أرجع إلى بني إسرائيل وقد أهلكت خيارهم؟ فلم يزل موسى

يناشد ربّه عزّ وجلّ حتّى أحياهم الله جميعاً رجلاً بعد رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

قالوا: فلمّا رجع موسى عليه السلام إلى قومه وقد أتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها للآصار والأثقال والأغلال الّتي كانت فيها، فأمر الله تعالى جبرئيل فقلع جبلاً على قدر عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ ورفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل وعن ابن عبّاس أمر الله جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتّى قام على رؤوسهم مثل الظلة، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الآية وقوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾.

قال عطا عن ابن عبّاس: رفع الله تعالى فوق رؤوسهم الطور، وبعث ناراً من قبل وجوههم، وأتاهم البحر الملح من خلفهم، وقيل لهم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾ فإن قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به وإلا رضختكم بهذا الجبل، وغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النّار، فلمّا رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شقّ وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود، فصارت سنّة في اليهود لا يسجدون إلاّ على أنصاف وجوههم، فلمّا زال الجبل قالوا: سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك.

وروى قتادة عن الحسن قال: مكث موسى عليه السلام بعدما تغشاه نور ربّ العالمين وانصرف إلى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد إلاّ مات حتّى اتّخذ لنفسه برنساً وعليه برقع لا يبدي وجهه لأحد مخافة أن يموت[1].

٨ - باب قصة قارون

الآيات: القصص «٢٨»: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

تفسير: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ أي لا تأشر ولا تمرح ولا تتكبر بسبب كنوزك ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ

---

(١) عرائس المجالس، ص ١٨٧.

﴿مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي لا تترك أن تحصّل بها آخرتك أو أن تأخذ منها ما يكفيك[١].

١ - فس: قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ والعصبة ما بين العشرة إلى خمسة عشر قال: كان يحمل مفاتيح خزائنه العصبة أولي القوّة، فقال قارون كما حكى الله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ يعني ماله، وكان يعمل الكيمياء، فقال الله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي لا يسأل من كان قبلهم عن ذنوب هؤلاء ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ قال: في الثياب المصبّغات يجرها بالأرض ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فقال لهم الخاص من أصحاب موسى عليه السلام: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ﴾ قال: هي لغة سريانيّة ﴿ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وكان سبب هلاك قارون أنّه لمّا أخرج موسى بني إسرائيل من مصر وأنزلهم البادية أنزل الله عليهم المنّ والسلوى وانفجر لهم من الحجر اثنا عشرة عيناً بطروا وقالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ فقالوا كما حكى الله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾ ثم قالوا لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ففرض الله عليهم دخولها وحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، فكانوا يقومون من أوّل اللّيل ويأخذون في قراءة التوراة والدعاء والبكاء، وكان قارون منهم، وكان يقرأ التوراة ولم يكن فيهم أحسن صوتاً منه، وكان يسمّى المنون لحسن قراءته، وقد كان يعمل الكيمياء، فلمّا طال الأمر على بني إسرائيل في التيه والتوبة وكان قارون قد امتنع أن يدخل معهم في التوبة وكان موسى يحبّه فدخل إليه موسى فقال له: يا قارون قومك في التوبة وأنت قاعد ههنا ادخل معهم وإلا نزل بك العذاب، فاستهان به واستهزأ بقوله، فخرج موسى من عنده مغتمّاً فجلس في فناء قصره وعليه جبّة شعر، ونعلان من جلد حمار شراكهما من خيوط شعر، بيده العصا، فأمر قارون أن يصبّ عليه رماد قد خلط بالماء، فصبّ عليه، فغضب موسى غضباً شديداً، وكان في كتفه شعرات كان إذا غضب خرجت من ثيابه وقطر منها الدم، فقال موسى: يا ربّ إن لم تغضب لي فلست لك بنبي! فأوحى الله إليه قد أمرت السماوات والأرض أن تطيعك فمرهما بما شئت، وقد كان قارون أمر أن يغلق باب القصر، فأقبل موسى فأومأ إلى الأبواب فانفرجت ودخل عليه،

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٥٩.

فلمّا نظر إليه قارون علم أنّه قد أُتي بالعذاب، فقال: يا موسى أسألك بالرحم الّتي بيني وبينك، فقال له موسى: يا ابن لاوي لا تردني من كلامك، يا أرض خذيه، فدخل القصر بما فيه في الارض، ودخل قارون في الأرض إلى الركبة فبكى وحلفه بالرحم، فقال له موسى: يا ابن لاوي لا تردني من كلامك، يا أرض خذيه، فابتلعته بقصره وخزائنه، وهذا ما قال موسى لقارون يوم أهلكه الله، فعيره الله بما قاله لقارون، فعلم موسى أنّ الله قد عيره بذلك، فقال: يا ربّ إنّ قارون دعاني بغيرك، ولو دعاني بك لأجبته، فقال الله: يا ابن لاوي لا تردني من كلامك، فقال موسى: يا ربّ لو علمت أنّ ذلك لك رضىً لأجبته، فقال الله تعالى: يا موسى وعزّتي وجلالي وجودي ومجدي وعلوّ مكاني لو أنّ قارون كما دعاك دعاني لأجبته، ولكنّه لمّا دعاك وكلته إليك، يا ابن عمران لا تجزع من الموت فإنّي كتبت الموت على كلّ نفس، وقد مهّدت لك مهاداً لو قد وردت عليه لقرّت عيناك، فخرج موسى إلى جبل طور سيناء مع وصيّه، فصعد موسى الجبل فنظر إلى رجل قد أقبل ومعه مكتل ومسحاة، فقال له موسى: ما تريد؟ قال: إنّ رجلاً من أولياء الله قد توفّي فأنا أحفر له قبراً، فقال له موسى: أفلا أُعينك عليه؟ قال: بلى، قال: فحفرا القبر فلمّا فرغا أراد الرجل أن ينزل إلى القبر، فقال له موسى: ما تريد؟ قال: أدخل القبر فأنظر كيف مضجعه؟ فقال موسى: أنا أكفيك، فدخله موسى فاضطجع فيه فقبض ملك الموت روحه وانضمّ عليه الجبل[1].

بيان: قوله تعالى: ﴿كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾ قيل: كان ابن عمّه يصهر بن قاهث، وموسى ابن عمران بن قاهث، وقيل: كان ابن خالته، قال الطبرسيّ: وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام، وقيل: كان عمّ موسى. وقال الطبرسيّ رحمه الله: ناء بحمله ينوء نوءاً: إذا نهض به مع ثقله عليه. والمفاتح هنا: الخزائن في قول أكثر المفسّرين، وقيل: هي المفاتيح الّتي تفتح بها الأبواب، وروى الأعمش عن خيثمة قال: كانت من جلد كلّ مفتاح مثل الأصبع. واختلف في معنى العصبة فقيل: ما بين عشرة إلى خمسة عشر وقيل: ما بين عشرة إلى أربعين، وقيل: أربعون رجلاً، وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إنّهم الجماعة يتعصّب بعضهم لبعض[2]. قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ قال البيضاويّ: أي فضّلت به على النّاس واستوجبت به التفوّق عليهم بالجاه والمال، و﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ في موضع الحال، وهو علم التوراة وكان أعلمهم، وقيل هو علم الكيمياء، وقيل: علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب، وقيل: علمه بكنوز يوسف.

﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ سؤال استعلام فإنّه تعالى مطّلع عليها، أو معاتبة فإنّهم يعذّبون بها بغتة. قوله: ﴿وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ قال البغويّ: قال الفرّاء: ويكأنّ كلمة تقرير، وعن الحسن أنّه كلمة ابتداء، وقيل هو تنبيه بمنزلة ألا، وقال قطرب: ويك بمعنى ويلك وأن

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٠.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٥٩.

منصوب بإضمار اعلم، وقال البيضاويّ عند البصريّين مركّب من «وي» للتعجب و(كان) للتشبيه، والمعنى: ما أشبه الأمر إنّ الله يبسط[(١)].

قوله: (لا تردني من كلامك) أي لا تقصدني بسبب كلامك، أي لا تكلّمني، وفي بعض النسخ بالزاي المعجمة، وفي بعضها (لا يردني كلامك).

٢ - **فس**: أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر يونس قال: فدخل الحوت في بحر القلزم، ثمّ خرج إلى بحر مصر، ثمّ دخل إلى بحر طبرستان، ثمّ خرج في دجلة الغوراء. قال: ثمّ مرّت به تحت الأرض حتّى لحقت بقارون، وكان قارون هلك في أيّام موسى ووكل الله به ملكاً يدخله في الأرض كلّ يوم قامة رجل، وكان يونس في بطن الحوت يسبح الله ويستغفره، فسمع قارون صوته فقال للملك الموكّل به: أنظرني فإنّي أسمع كلام آدميّ، فأوحى الله إلى الملك الموكّل به: أنظره، فأنظره، ثمّ قال قارون: من أنت؟ قال يونس: أنا المذنب الخاطئ يونس بن متى، قال: فما فعل شديد الغضب لله موسى ابن عمران؟ قال: هيهات هلك، قال: فما فعل الرؤوف الرحيم على قومه هارون بن عمران؟ قال هلك، قال: فما فعلت كلثم بنت عمران الّتي كانت سميت لي؟ قال: هيهات ما بقي من آل عمران أحد؟ فقال قارون: وا أسفاه على آل عمران، فشكر الله له ذلك، فأمر الله الملك الموكل به أن يرفع عنه العذاب أيّام الدنيا فرفع عنه الخبر[(٢)].

٣ - **ص**: أمر موسى عليه السلام قارون أن يعلّق في ردائه خيوطاً خضراً فلم يطعه واستكبر، وقال: إنّما يفعل ذلك الأرباب بعبيدهم كيما يتميزوا، وخرج على موسى في زينته على بغلة شهباء، ومعه أربعة آلاف مقاتل، وثلاث مائة وصيفة عليهنّ الحليّ، وقال لموسى: أنا خير منك، فلمّا رأى ذلك موسى عليه السلام قال لقارون: ابرز بنا فادع عليّ وأدعو عليك، وكان ابن عمّ لموسى عليه السلام فأمر الأرض فأخذت قارون إلى ركبتيه، فقال: أنشدك الله والرحم يا موسى، فابتلعته الأرض وخسف به وبداره[(٣)].

٤ - **ص**: عن محمّد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: كان قارون ابن عمّ موسى عليه السلام وكانت في زمان موسى امرأة بغيّ لها جمال وهيئة، فقال لها قارون: أُعطيك مائة ألف درهم وتجيئين غداً إلى موسى وهو جالس عند بني إسرائيل يتلو عليهم التوراة فتقولين: يا معشر بني إسرائيل إنّ موسى دعاني إلى نفسه فأخذت منه مائة ألف درهم فلمّا أصبحت جاءت المرأة البغيّ فقامت على رؤوسهم وكان قارون حضر في زينته، فقالت المرأة: يا موسى إنّ قارون أعطاني مائة ألف درهم على أن أقول بين بني إسرائيل على رؤوس الأشهاد: إنّك دعوتني إلى نفسك ومعاذ الله أن تكون دعوتني لقد أكرمك الله عن ذلك، فقال موسى للأرض: خذيه، فأخذته وابتلعته، وإنّه ليتجلجل ما بلغ ولله الحمد[(٤)]

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣١٥.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣١٩.
(٣) - (٤) قصص الأنبياء، ص ١٦٩-١٧٠.

بيان: التجلجل: السوخ في الأرض. قال الثعلبيّ: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون وأفضلهم وأجملهم، ولم يكن فيهم أقرأ للتوراة منه، ولكنّه نافق كما نافق السامريّ فبغى على قومه، واختلف في معنى هذا البغي فقال ابن عبّاس: كان فرعون قد ملّك قارون على بني إسرائيل حين كان بمصر، وعن المسيّب بن شريك أنّه كان عاملاً على بني إسرائيل وكان يظلمهم، وقيل: زاد عليهم في الثياب شبراً، وقيل: بغى عليهم بالكبر، وقيل بكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم.

واختلف في مبلغ عدّة العصبة في هذا الموضع فقال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر، وقال قتادة: ما بين العشرة إلى أربعين، وقال عكرمة: منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون، وقال الضحّاك ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: هم ستّون، وروي عن خثيمة قال: وجدت في الإنجيل أنّ مفاتيح خزائن قارون وقر ستّين بغلاً غرّاء محجّلة ما يزيد منها مفتاح على إصبع لكلّ مفتاح منها كنز، ويقال: كان أينما يذهب تحمل معه، وكانت من حديد، فلمّا ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع، فكانت تحمل معه على أربعين بغلاً، وكان أوّل طغيانه أنّه تكبّر واستطال على النّاس بكثرة الأموال، فكان يخرج في زينته ويختال كما قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾ قال مجاهد: خرج على براذين بيض عليها سروج الأرجوان، وعليهم المعصفرات. وقال عبد الرحمن: خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات وقال مقاتل: على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليها الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابّهم الأرجوان، ومعه ثلاثة آلاف جارية بيض عليهنّ الحليّ والثياب الحمر على البغال الشهب، فتمنّى أهل الجهالة مثل الّذي أوتيه، كما حكى الله، فوعظهم أهل العلم بالله أن اتّقوا الله فإنّ ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً.

قال: ثمّ إنّ الله أوحى إلى نبيّه موسى أن يأمر قومه أن يعلّقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كلّ طرف خيطاً أخضر، لونه لون السماء. فدعا موسى بني إسرائيل وقال لهم: إن الله تعالى يأمركم أن تعلّقوا في أرديتكم خيوطاً خضراء كلون السماء لكي تذكروا ربّكم إذا رأيتموها وإنّه تعالى ينزل من السماء كلامه عليكم. فاستكبر قارون وقال: إنّما تفعل هذه الأرباب بعبيدهم لكي يتميّزوا من غيرهم، ولمّا قطع موسى عليه السلام ببني إسرائيل البحر جعل الحبورة وهي رئاسة المذبح وبيت القربان لهارون، فكان بنو إسرائيل يأتون بهديّتهم ويدفعونه إلى هارون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك، وأتى موسى وقال: يا موسى لك الرسالة، ولهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما لا صبر لي على هذا، فقال موسى: والله ما أنا جعلتها في هارون بل الله تعالى جعلها له. فقال قارون: والله لا أصدقك في ذلك حتّى تريني بيانه، قال: فجمع موسى عليه السلام رؤساء

بني إسرائيل وقال: هاتوا عصيكم، فجاؤوا بها فحزمها[١] وألقاها في قبّته الّتي كان يعبد الله تعالى فيها، وجعلوا يحرسون عصيّهم حتّى أصبحوا، فأصبحت عصا هارون عليه السلام قد اهتزّ لها ورق أخضر، وكانت من ورق شجر اللّوز، فقال موسى: يا قارون ترى هذا؟ فقال قارون: والله ما هذا بأعجب ممّا تصنع من السحر، فذهب قارون مغاضباً، واعتزل موسى بأتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة الّتي بينهما، وهو يؤذيه في كلّ وقت، ولا يزيد كلّ يوم إلاّ كبراً ومخالفة ومعاداة لموسى عليه السلام حتّى بنى داراً وجعل بابها من الذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدّثونه ويضاحكونه.

قال ابن عبّاس: ثمّ إنّ الله سبحانه وتعالى أنزل الزكاة على موسى عليه السلام فلمّا أوجب الله سبحانه الزكاة عليهم أبى قارون فصالحه عن كلّ ألف دينار على دينار، وعن كلّ ألف درهم على درهم، وعن كلّ ألف شاة على شاة، وعن كلّ ألف شيء شيئاً، ثمّ رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بني إسرائيل وقال لهم: يا بني إسرائيل إنّ موسى قد أمركم بكلّ شيء فاطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له: أنت كبيرنا وسيّدنا فمرنا بما شئت، فقال: آمركم أن تجيئوا بفلانة البغيّ فنجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فاسترحنا منه، فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم، وقيل ألف دينار، وقيل طستاً من ذهب، وقيل: حكمها وقال لها: إنّي أمولك واخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، فلمّا أن كان الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثمّ أتى موسى، فقال له: إنّ بني إسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبيّن لهم أعلام دينهم وأحكام شريعتهم، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض، فقام فيهم خطيباً ووعظهم فيما قال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة، ومن زنا وله امرأة رجمناه حتّى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال قارون: فإنّ بني إسرائيل يزعمون أنّك فجرت بفلانة، قال: أنا؟! قال: نعم، قال: ادعوها، فإن قالت فهو كما قالت، فلمّا أن جاءت قال لها موسى: يا فلانة إنّما أنا فعلت لك ما يقول هؤلاء؟ وعظّم عليها، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى إلاّ صدقت، فلمّا ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها: لئن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله، فقالت: لا، كذبوا، ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فلمّا تكلّمت بهذا الكلام سقط في يده قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنّه وقع في مهلكة،

(١) فحزمها بالحاء المهملة والزاي المعجمة: شد بعضها ببعض، أو بالخاء المعجمة أيضاً أي جعل في كل منها علامة (منه رحمه الله).

وخرّ موسى ساجداً يبكي ويقول: يا ربّ إنّ عدوّك قد آذاني وأراد فضيحتي وشيني، اللّهمّ فإن كنت رسولك فاغضب لي وسلّطني عليه، فأوحى الله سبحانه أن ارفع رأسك ومر الأرض بما شئت تطعك، فقال موسى: يا بني إسرائيل إنّ الله تعالى قد بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليثبت مكانه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا قارون ولم يبق معه إلاّ رجلان، ثمّ قال موسى عليه السلام: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى كعابهم، ثمّ قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم، ثمّ قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى حقوهم، ثمّ قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم، وقارون وأصحابه في كلّ ذلك يتضرّعون إلى موسى عليه السلام ويناشده قارون الله والرحم، حتّى روي في بعض الأخبار أنّه ناشده سبعين مرّة، وموسى في جميع ذلك لا يلتفت إليه لشدّة غضبه، ثمّ قال: يا أرض خذيهم، فانطبقت عليهم الأرض، فأوحى الله سبحانه إلى موسى: يا موسى ما أفظّك! استغاثوا بك سبعين مرّة فلم ترحمهم ولم تغثهم، أما وعزّتي وجلالي لو إيّاي دعوني مرّة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً.

قال قتادة: ذكر لنا أنّه يخسف به كلّ يوم قامة، وأنّه يتجلجل فيها ولا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة، فلمّا خسف الله تعالى بقارون وصاحبيه أصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم أنّ موسى إنّما دعا على قارون ليستبدّ بداره وكنوزه وأمواله، فدعا الله تعالى موسى عليه السلام حتّى خسف بداره وأمواله الأرض، وأوحى الله تعالى إلى موسى: إني لا أعبّد الأرض لأحد بعدك أبداً، فذلك قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[١].

٥ - **عدة:** روى محمّد بن خالد في كتابه، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لمّا صار يونس إلى البحر الّذي فيه قارون قال قارون للملك الموكّل به: ما هذا الدويّ والهول الّذي أسمعه؟ قال له الملك: هذا يونس الّذي حبسه الله في بطن الحوت، فجالت به البحار السبعة حتّى صارت به إلى هذا البحر، فهذا الدويّ والهول لمكانه، قال: أفتأذن لي في كلامه؟ فقال: قد أذنت لك، فقال له قارون: يا يونس ألا تبت إلى ربّك؟ فقال له يونس: ألا تبت أنت إلى ربّك؟ فقال له قارون: إنّ توبتي جعلت إلى موسى وقد تبت إلى موسى ولم يقبل منّي، وأنت لو تبت إلى الله لوجدته عند أوّل قدم ترجع بها إليه[٢].

٩ - باب قصة ذبح البقرة

الآيات: البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا

(١) عرائس المجالس، ص ١٨٨.
(٢) عدة الداعي، ص ١٤٥.

بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

تفسير: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾ أي اختصمتم في شأنها إذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضاً، أو تدافعتم بأن طرح قتلها كلّ عن نفسه إلى صاحبه. وأصله «تدارأتم» فأدغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ الضمير للنفس، والتذكير على تأويل الشخص أو القتيل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ أي أيّ بعض كان، وقيل: ضرب بفخذ البقرة وقام حيّاً وقال: قتلني فلان ثمّ عاد ميّتاً، وقيل: ضرب بذنبها، وقيل: بلسانها، وقيل: بعظم من عظامها، وقيل: بالبضعة الّتي بين الكتفين.

١ - فس: أبي، عن ابن أبي عمير، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأة منهم فأنعمت له، وخطبها ابن عمّ لذلك الرجل وكان فاسقاً رديئاً فلم ينعموا له، فحسد ابن عمّه الّذي أنعموا له فقعد له فقتله غيلة، ثمّ حمله إلى موسى عليه السلام، فقال: يا نبيّ الله هذا ابن عمي فقد قتل، فقال موسى عليه السلام: من قتله؟ قال: لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً، فعظم ذلك على موسى فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترى يا نبيّ الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة وكان له ابن بار، وكان عند ابنه سلعة فجاء قوم يطلبون سلعته وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه وكان نائماً، وكره ابنه أن ينبّهه وينغّص عليه نومه فانصرف القوم فلم يشتروا سلعته، فلمّا انتبه أبوه قال له: يا بني ماذا صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبعها، لأنّ المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أُنبّهك وأُنغّص عليك نومك، قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عمّا فاتك من ربح سلعتك، وشكر الله لابنه ما فعل بأبيه وأمر موسى بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها، فلمّا اجتمعوا إلى موسى وبكوا وضجوا قال لهم موسى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ فتعجبوا وقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ نأتيك بقتيل فتقول: اذبحوا بقرة فقال لهم موسى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فعلموا أنّهم قد أخطؤوا فقالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ والفارض الّتي قد ضربها الفحل ولم تحمل، والبكر الّتي لم يضربها الفحل، فقالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ أي شديدة الصفرة تسر الناظرين إليها ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي لم تذلل ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ أي لا تسقي الزرع ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ أي لا نقطة فيها إلاّ الصفرة ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ هي بقرة فلان فذهبوا ليشتروها فقال: لا أبيعها إلاّ بملء جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى عليه السلام فأخبروه فقال لهم موسى: لا بدّ لكم من ذبحها بعينها،

فاشتروها بملء جلدها ذهباً فذبحوها، ثمّ قالوا: يا نبيّ الله ما تأمرنا؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه قل لهم: اضربوه ببعضها وقولوا: من قتلك؟ فأخذوا الذنب فضربوه به وقالوا: من قتلك يا فلان؟ فقال: فلان ابن فلان ابن عمّي الّذي جاء به، وهو قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

بيان: أنعم له أي قال له: نعم. والغيلة بالكسر: الاغتيال، يقال: قتله غيلة، وهو أن يخدعه ويذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله. ونغص كفرح: لم يتمّ مراده، والبعير لم يتمّ شربه، وأنغص الله عليه العيش ونغّصه عليه فتنغّصت: تكدرت. قال البيضاويّ: قصّته أنّه كان في بني إسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعاً في ميراثه وطرحوه على باب المدينة، ثمّ جاؤوا يطالبون بدمه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ لا مسنّة ولا فتيّة، يقال: فرضت البقرة فروضاً من الفرض وهو القطع كأنّها فرضت سنّها، وتركيب البكر للأوّليّة ومنه البكرة والباكورة. انتهى[2].

أقول: المعنى الّذي ذكره عليّ بن إبراهيم للفارض لم أعثر عليه، ويمكن أن يكون كناية عن غاية كبرها حيث لا تحمل، والعوان: الوسط بين الصغيرة والكبيرة. قوله: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ أي شديدة صفرة لونها، وقيل: خالص الصفرة، وقيل: حسن الصفرة.

وروى الكلينيّ، عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض أصحابه بلغ به جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من لبس نعلاً صفراء لم يزل ينظر في سرور ما دامت عليه، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[3].

قوله: ﴿بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ قال البيضاويّ: أي لم تذلل للكراب وسقي الحروث، و(لا) ذلك صفة لبقرة، بمعنى غير ذلول، و(لا) الثانية مزيدة لتأكيد الأولى، والفعلان صفتا ذلول، كأنّه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ سلمها الله من العيوب، أو أهلها من العمل، أو اخلص لونها، من سلم له كذا: إذا خلص له ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا لون فيها يخالف لون جلدها، وهي في الأصل مصدر وشاه وشياً وشية إذا خلط بلونه لوناً آخر ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لتطويلهم وكثرة مراجعتهم[4].

وقال الطبرسيّ رحمه الله: أي قرب أن لا يفعلوا ذلك مخافة اشتهار فضيحة القاتل، وقيل: كادوا أن لا يفعلوا ذلك لغلاء ثمنها، فقد حكي عن ابن عبّاس أنّهم اشتروها بملء جلدها ذهباً من مال المقتول، وعن السدّيّ: بوزنها عشر مرّات ذهباً، وقال عكرمة: وما كان ثمنها إلّا ثلاثة دنانير. انتهى[5].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٩.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١١٠.
(٣) الكافي، ج ٦ ص ١١٤٩ باب ٣٥٩ ح ٦.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١١٢
(٥) مجمع البيان، ج ١ ص ٢٦٠.

وقال البيضاويّ: ولعلّه تعالى إنّما لم يحيه ابتداءً وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرّب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكّل والشفقة على الأولاد، وأنّ من حقّ الطالب أن يقدّم قربة، ومن حقّ المتقرّب أن يتحرّى الأحسن ويغالي بثمنه، وأنّ المؤثّر في الحقيقة هو الله تعالى والأسباب أمارات لا أثر لها، وأنّ من أراد أن يعرف أعدى عدوّه الساعي في إماتته الموت الحقيقيّ فطريقه أن يذبح بقرة نفسه الّتي هي القوّة الشهويّة حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر، وكانت معجبة رائقة المنظر، غير مذلّلة في طلب الدنيا، مسلّمة عن دنسها، لا سمة بها من مقابحها بحيث يصل أثره إلى نفسه فيحيى حياة طيّبة، ويعرب عمّا به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع[1].

٢ - **ن:** أبي، عن الكميدانيّ ومحمّد العطّار، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إنّ رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له ثمّ أخذه فطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل، ثمّ جاء يطلب بدمه، فقالوا لموسى عليه السلام: إنّ سبط آل فلان قتلوا فلاناً فأخبرنا من قتله، قال: ائتوني ببقرة، قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ولو أنّهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ يعني لا كبيرة ولا صغيرة ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ولو أنّهم عمدوا إلى بقرة لأجزأتهم ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾ ولو أنّهم عمدوا إلى بقرة لأجزأتهم ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل، فقال: لا أبيعها إلّا بملء مسكها ذهباً، فجاؤوا إلى موسى عليه السلام فقالوا له ذلك، فقال: اشتروها، فاشتروها وجاؤوا بها، فأمر بذبحها ثمّ أمر أن يضرب الميّت بذنبها، فلمّا فعلوا ذلك حيي المقتول، وقال: يا رسول الله إنّ ابن عمّي قتلني دون من يدّعي عليه قتلي، فعلموا بذلك قاتله، فقال لرسول الله موسى عليه السلام بعض أصحابه: إنّ هذه البقرة لها نبأ فقال: وما هو؟ قال: إنّ فتى من بني إسرائيل كان باراً بأبيه وإنّه اشترى بيعاً فجاء إلى أبيه فرأى أن الأقاليد تحت رأسه، فكره أن يوقظه فترك ذلك البيع فاستيقظ أبوه فأخبره، فقال: أحسنت خذ هذه البقرة فهي لك عوضاً لما فاتك، قال: فقال له رسول الله موسى عليه السلام: انظروا إلى البرّ ما بلغ بأهله[2].

شي: عن البزنطيّ مثله.

بيان: لا يخفى دلالة هذا الخبر والأخبار الآتية على كون التكليف في الأوّل غير التكليف

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١١٣.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ١٦ باب ٣٠ ح ٣١.

بعد السؤال، وقد اختلف علماء الفريقين في ذلك، قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: اختلف العلماء في هذه الآيات: فمنهم من ذهب إلى أنّ التكليف فيها متغاير، ولو أنّهم ذبحوا أوّلاً أي بقرة اتّفقت لهم كانوا قد امتثلوا الأمر، فلمّا لم يفعلوا كانت المصلحة أن شدّد عليهم التكليف، ولمّا راجعوا المرّة الثانية تغيرت مصلحتهم إلى تكليف ثالث.

ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر: فمنهم من قال في التكليف الأخير أنّه يجب أن يكون مستوفياً لكلّ صفة تقدّمت، فعلى هذا القول يكون التكليف الثاني والثالث ضمّ تكليف إلى تكليف زيادة في التشديد عليهم لما فيه من المصلحة، ومنهم من قال: يجب أن يكون بالصفة الاخيرة فقط دون ما تقدّم، وعلى هذا القول يكون التكليف الثاني نسخاً للأوّل، والثالث للثاني، وقد يجوز نسخ الشيء قبل الفعل لأنّ المصلحة يجوز أن تتغيّر بعد فوات وقتها، وإنّما لا يجوز نسخ الشيء قبل وقت الفعل لأنّ ذلك يؤدّي إلى البداء.

وذهب آخرون إلى أنّ التكليف واحد وأن الاوصاف المتأخرة إنّما هي للبقرة المتقدّمة، وإنّما تأخّر البيان وهو مذهب المرتضى قدّس الله روحه، واستدلّ بهذه الآية على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، قال: إنّه تعالى لمّا كلفهم ذبح بقرة قالوا لموسى عليه السلام: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ فلا يخلو قولهم: ﴿مَا هِيَ﴾ من أن يكون كناية عن البقرة المتقدمة ذكرها، أو عن الّتي أُمروا بها ثانياً، والظاهر من قولهم: ﴿مَا هِيَ﴾ يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها، لأنّه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أُخرى ليستفهموا عنها، وإذا صح ذلك فليس يخلو قوله: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ من أن يكون الهاء فيه كناية عن البقرة الأولى أو غيرها، وليس يجوز أن يكون كناية عن بقرة ثانية إذ الظاهر تعلّقها بما تضمّنه سؤالهم، ولانه لو لم يكن الأمر على ذلك لم يكن جواباً لهم، وقول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا؟: إنّه بالصفة الفلانيّة، صريح في أنّ الهاء كناية عمّا وقع السؤال عنه، هذا مع قولهم: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ فإنهم لم يقولوا ذلك إلّا وقد اعتقدوا أنّ خطابهم مجملٌ غير مبيّن، ولو كان على ما ذهب إليه القوم فلم لم يقل لهم: وأيّ تشابه عليكم وإنّما أُمرتم بذبح أي بقرة كانت؟ وأمّا قوله: ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ فالظاهر أنّ ذمّهم مصروف إلى تقصيرهم، أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التامّ لا على ترك المبادرة في الأوّل إلى ذبح بقرة. انتهى[(١)].

أقول: غاية ما أفاده رحمه الله هو أنّ الظاهر من الآيات ذلك، وبعد تسليمه فقد يعدل عن الظاهر لورود النصوص المعتبرة، وأمّا النسخ قبل الفعل فقد مرّ الكلام فيه في باب الذبيح عليه السلام، وتفصيل القول في ذلك موكول إلى مظانّه من الكتب الأصولية.

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٢٦٠.

٣ - **ص:** بإسناده إلى الصّدوق عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ عن أبان ابن عثمان، عن أبي حمزة، عن عكرمة، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: كان في مدينة اثنا عشر سبطاً أمّة أبرار، وكان فيهم شيخ له ابنة وله ابن أخ خطبها إليه فأبى أن يزوّجها فزوّجها من غيره. فقعد له في الطريق إلى المسجد فقتله وطرحه على طريق أفضل سبط لهم، ثمّ غدا يخاصمهم فيه، فانتهوا إلى موسى صلوات الله عليه فأخبروه فأمرهم أن يذبحوا بقرة، قالوا: أتتّخذنا هزواً؟ نسألك من قتل هذا تقول: اذبحوا بقرة! قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ولو انطلقوا إلى بقرة لأجزءت، ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم، قالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ فرجعوا إلى موسى وقالوا: لم نجد هذا النعت إلاّ عند غلام من بني إسرائيل وقد أبى أن يبيعها إلاّ بملء مسكها دنانير، قال: فاشتروها، فابتاعوها فذبحت، قال: فأخذ جذوة من لحمها فضربه فجلس، فقال موسى: من قتلك؟ فقال: قتلني ابن أخي الّذي يخاصم في قتلي، قال: فقتل. فقالوا: يا رسول الله إنّ لهذه البقرة لنبأ، فقال صلوات الله عليه: وما هو؟ قالوا: إنّها كانت لشيخ من بني إسرائيل وله ابن بارّ به، فاشترى الابن بيعاً فجاء لينقدهم الثمن فوجد أباه نائماً، فكره أن يوقظه والمفتاح تحت رأسه، فأخذ القوم متاعهم فانطلقوا، فلمّا استيقظ قال له: يا أبت إنّي اشتريت بيعاً كان لي فيه من الفضل كذا وكذا. وإنّي جئت لأنقدهم الثمن فوجدتك نائماً، وإذا المفتاح تحت رأسك، فكرهت أن أوقظك، وإنّ القوم أخذوا متاعهم ورجعوا، فقال الشيخ: أحسنت يا بني، فهذه البقرة لك بما صنعت، وكانت بقيّة كانت لهم، فقال رسول الله عليه السلام: انظروا ماذا صنع به البرّ[١].

٤ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحجّال، عن مقاتل بن مقاتل، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة وكان يجزيهم ما ذبحوا وما تيسّر من البقر، فعنتوا وشدّدوا فشدّد عليهم[٢].

٥ - **ص:** بهذا الإسناد عن ابن عيسى، عن عليّ بن سيف، عن محمّد بن عبيدة، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ بني إسرائيل شدّدوا فشدّد الله عليهم، قال لهم موسى عليه السلام: اذبحوا بقرة، قالوا: ما لونها؟ فلم يزالوا شدّدوا حتّى ذبحوا بقرةً بملء جلدها ذهباً[٣].

٦ - **شي:** عن ابن محبوب، عن عليّ بن يقطين، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إن الله أمر بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة، وإنّما كانوا يحتاجون إلى ذنبها فشدّد الله عليهم[٤].

٧ - **م:** قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ إلى قوله.

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٥٩. (٢) - (٣) قصص الأنبياء، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٦٥ ح ٥٨ من سورة البقرة.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال الإمام عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ ليهود المدينة: واذكروا إذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة تضربون ببعضها هذا المقتول بين أظهركم ليقوم حيّاً سويّاً بإذن الله تعالى ويخبركم بقاتله، وذلك حين أُلقي القتيل بين أظهرهم، فألزم موسى عليه السلام أهل القبيلة بأمر الله أن يحلف خمسون من أماثلهم بالله القويّ الشديد إله بني إسرائيل، مفضّل محمّد وآله الطيّبين على البرايا أجمعين ما قتلناه ولا علمنا له قاتلاً، فإن حلفوا بذلك غرموا دية المقتول، وإن نكلوا نصّوا على القاتل أو أقرّ القاتل فيقاد منه، فإن لم يفعلوا حبسوا في مجلس ضنك إلى أن يحلفوا أو يقرّوا أو يشهدوا على القاتل، فقالوا: يا نبيّ الله أما وقت أيماننا أموالنا ولا أموالنا أيماننا؟ قال: لا، هكذا حكم الله.

وكان السبب أنّ امرأة حسناء ذات جمال وخلق كامل وفضل بارع ونسب شريف وستر ثخين كثر خطّابها، وكان لها بنو أعمام ثلاثة فرضيت بأفضلهم علماً وأثخنهم ستراً، وأرادت التزويج به، فاشتدّ حسد ابني عمّه الآخرين له وغبطاه عليها لإيثارها إيّاه، فعمدا إلى ابن عمّها المرضي فأخذاه إلى دعوتهما ثمّ قتلاه وحملاه إلى محلّة تشتمل على أكثر قبيلة في بني إسرائيل فألقياه بين أظهرهم ليلاً، فلمّا أصبحوا وجدوا القتيل هناك فعرف حاله، فجاء ابنا عمّه القاتلان له فمزّقا على أنفسهما، وحثيا التراب على رؤوسهما، واستعديا عليهم، فأحضرهم موسى عليه السلام وسألهم فأنكروا أن يكونوا قتلوه أو علموا قاتله، قال: فحكم الله عزّ وجلّ على من فعل هذه الحادثة ما عرفتموه فقالوا: يا موسى أيّ نفع في أيماننا لنا إذا لم تدرأ عنّا الغرامة الثقيلة؟ أم أيّ نفع في غرامتنا لنا إذا لم تدرأ عنّا الأيمان؟ فقال موسى عليه السلام: كلّ النفع في طاعة الله تعالى والائتمار لأمره والانتهاء عمّا نهى عنه، فقالوا: يا نبيّ الله غرم ثقيل ولا جناية لنا، وأيمان غليظة ولا حقّ في رقابنا، لو أنّ الله عزّ وجلّ عرّفنا قاتله بعينه وكفانا مؤونته فادع لنا ربّك أن يبيّن لنا هذا القاتل لينزل به ما يستحقّه من العقاب وينكشف أمره لذوي الألباب.

فقال موسى عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ قد بيّن ما أحكم به في هذا، فليس لي أن أقترح عليه غير ما حكم ولا أعترض عليه فيما أمر، ألا ترون أنّه لمّا حرم العمل في السبت وحرّم لحم الجمل لم يكن لنا أن نقترح عليه أن يغيّر ما حكم به علينا من ذلك، بل علينا أن نسلّم له حكمه، ونلتزم ما أُلزمناه، وهمّ بأن يحكم عليهم بالذي كان يحكم به على غيرهم في مثل حادثتهم، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى أجبهم إلى ما اقترحوا، وسلني أن أُبيّن لهم القاتل ليقتل ويسلم غيره من التهمة والغرامة، فإنّي إنّما أُريد بإجابتهم إلى ما اقترحوا توسعة الرزق على رجل من خيار أُمّتك، دينه الصلاة على محمّد وآله الطيّبين، والتفضيل لمحمّد وعليّ بعده على سائر البرايا، أُغنيه في هذه الدنيا في هذه القضيّة ليكون بعض ثوابه عن تعظيمه لمحمّد وآله.

فقال موسى: يا ربّ بيّن لنا قاتله، فأوحى الله تعالى إليه: قل لبني إسرائيل إنّ الله يبيّن لكم

ذلك بأن يأمركم أن تذبحوا بقرة فتضربوا ببعضها المقتول فيحيى فتسلمون لربّ العالمين ذلك، وإلا فكفّوا عن المسألة والتزموا ظاهر حكمي، فذلك ما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ أي سيأمركم أن تذبحوا بقرة إن أردتم الوقوف على القاتل وتضربوا المقتول ببعضها ليحيى ويخبر بالقاتل، فقالوا: يا موسى أتتخذنا هزواً وسخرية؟ تزعم أنّ الله يأمر أن نذبح بقرةً ونأخذ قطعةً من ميّت ونضرب بها ميّتاً فيحيى أحد الميّتين بملاقاة بعض الميّت الآخر له؟ كيف يكون هذا؟ قال موسى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أنسب إلى الله عزّ وجلّ ما لم يقل لي، وأن أكون من الجاهلين، أعارض أمر الله بقياسي على ما شاهدت دافعاً لقول الله تعالى وأمره.

ثم قال موسى عليه السلام: أوليس ماء الرجل نطفة ميّت وماء المرأة ميّت يلتقيان فيحدث الله من التقاء الميّتين بشراً حيّاً سويّاً؟ أوليس بذوركم الّتي تزرعونها في أرضكم تتفسّخ في أرضيكم وتعفن وهي ميتة، ثمّ يخرج الله منها هذه السنابل الحسنة البهجة وهذه الأشجار الباسقة المؤنقة؟ فلمّا بهرهم موسى عليه السلام قالوا يا موسى: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ أي ما صفتها لنقف عليها، فسأل موسى ربّه عزّ وجلّ فقال: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ كبيرة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌۢ﴾ وسط ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين الفارض والبكر ﴿فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ إذا أمرتم به قالوا يا موسى ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ أي لون هذه البقرة الّتي تريد أن تأمرنا بذبحها، قال موسى عن الله تعالى بعد السؤال والجواب ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ﴾ حسنة لون الصفرة ليس بناقص تضرب إلى بياض، ولا بمشبع تضرب إلى السواد ﴿لَّوْنُهَا﴾ هكذا فاقع ﴿تَسُرُّ﴾ البقرة ﴿ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ إليها لبهجتها وحسنها وبريقها ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ صفتها قال عن الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ لم تذلل لإثارة الأرض ولم ترض بها ولا تسقي الأرض ولا هي ممّن تجرّ الدوالي ولا تدير النواعير، قد أعفيت من ذلك أجمع ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب كلّها لا عيب فيها ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا لون فيها من غيرها.

فلمّا سمعوا هذه الصفات قالوا: يا موسى أفقد أمرنا ربّنا بذبح بقرة هذه صفتها؟ قال: بلى، ولم يقل موسى في الابتداء بذلك، لأنّه لو قال: إنّ الله يأمركم لكانوا إذا قالوا: ادع لنا ربّك يبيّن لنا ما هي وما لونها وما هي كان لا يحتاج أن يسأله ذلك عزّ وجلّ، ولكن كان يجيبهم هو بأن يقول: أمركم ببقرة فأيّ شيء وقع عليه اسم البقر فقد خرجتم من أمره إذا ذبحتموها، قال: فلمّا استقرّ الأمر عليهم طلبوا هذه البقرة فلم يجدوها إلاّ عند شاب من بني إسرائيل أراه الله في منامه محمّداً وعليّاً وطيّبي ذرّيتهما، فقالا له: أما إنّك كنت لنا محبّاً مفضّلاً، ونحن نريد أن نسوق إليك بعض جزائك في الدنيا، فإذا راموا شراء بقرتك فلا تبعها إلاّ بأمر امك، فإنّ الله عزّ وجلّ يلقّنها ما يغنيك به وعقبك، ففرح الغلام، وجاءه القوم يطلبون بقرته فقالوا: بكم تبيع بقرتك؟ قال: بدينارين والخيار لأمّي، قالوا: قد رضينا بدينار، فسألها فقالت: بل

بأربعة، فأخبرهم فقالوا: نعطيك دينارين، فأخبر أُمّه فقالت: بمائة، فما زالوا يطلبون على النصف ممّا تقول أمّه ويرجع إلى أُمّه فتضعف الثمن حتّى بلغ ثمنها ملء مسك ثور أكبر ما يكون، ملؤه دنانير، فأوجب لهم البيع، ثمّ ذبحوها فأخذوا قطعة وهي عجب الذنب الّذي منه خلق ابن آدم وعليه يركب إذا أُعيد خلقاً جديداً فضربوه بها وقالوا: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين لمّا أحييت هذا الميّت وأنطقته ليخبر عن قاتله، فقام سالماً سويّاً وقال: يا نبيّ الله قتلني هذان ابنا عمّي، حسداني على ابنة عمّي فقتلاني وألقياني في محلّة هؤلاء ليأخذوا ديتي، فأخذ موسى الرجلين فقتلهما، وكان قبل أن يقوم الميّت ضرب بقطعة من البقرة فلم يحي، فقالوا: يا نبيّ الله أين ما وعدتنا عن الله؟ قال موسى: قد صدقت وذلك إلى الله عزّوجلّ، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى إنّي لا أُخلف وعدي ولكن ليقدموا للفتى من ثمن بقرته فيملؤوا مسكها دنانير ثمّ أُحيي هذا، فجمعوا أموالهم ووسّع الله جلد الثور حتّى وزن ما ملئ به جلده فبلغ خمسة آلاف ألف دينار، فقال بعض بني إسرائيل لموسى عليه السلام وذلك بحضرة المقتول المنشور المضروب ببعض البقرة: لا ندري أيهما أعجب: إحياء الله هذا وإنطاقه بما نطق أو إغناؤه لهذا الفتى بهذا المال العظيم؟ فأوحى الله إليه: يا موسى قل لبني إسرائيل من أحبّ منكم أن أُطيّب في الدنيا عيشه وأُعظّم في جناني محلّه وأجعل بمحمّد وآله الطيّبين فيها منادمته ليفعل كما فعل هذا الفتى، إنّه كان قد سمع من موسى بن عمران ذكر محمّد وعليّ وآلهما الطيّبين وكان عليهم مصلّياً ولهم على جميع الخلائق من الجنّ والإنس والملائكة مفضّلاً، فلذلك صرفت إليه المال العظيم ليتنعّم بالطيّبات، ويتكرّم بالهبات والصلات، ويتحبّب بمعروفه إلى ذوي المودات، ويكبت بنفقاته ذوي العداوات.

قال الفتى: يا نبيّ الله كيف أحفظ هذه الأموال؟ أم كيف أحذر من عداوة من يعاديني فيها، وحسد من يحسدني لأجلها؟ قال: قل عليها من الصلاة على محمّد وآله الطيّبين ما كنت تقوله قبل أن تنالها، فإنّ الّذي رزقكها بذلك القول مع صحّة الاعتقاد يحفظها عليك أيضاً بهذا القول مع صحّة الاعتقاد، فقالها الفتى فما رامها حاسد له ليفسدها أو لصّ ليسرقها أو غاصب ليغصبها إلاّ دفعه الله عزّوجلّ عنها بلطيفة من لطائفه حتّى يمتنع من ظلمه اختياراً أو منعه منه بآفة أو داهية حتّى يكفّه عنه كف اضطرار.

قال عليه السلام: فلمّا قال موسى للفتى ذلك وصار الله عزّوجلّ له بمقالته حافظاً قال هذا المنشور: «اللهم إنّي أسألك بما سألك به هذا الفتى من الصلاة على محمّد وآله الطيّبين والتوسّل بهم أن تبقيني في الدنيا متمتّعاً بابنة عمّي وتخزي عنّي أعدائي وحسّادي وترزقني فيها خيراً كثيراً طيّباً» فأوحى الله إليه: يا موسى إنّ لهذا الفتى المنشور بعد القتل ستّين سنة، وقد وهبت له لمسألته وتوسّله بمحمّد وآله الطيّبين سبعين سنة تمام مائة وثلاثين سنة، صحيحة حواسّه، ثابت فيها جنانه، قويّة فيها شهواته، يتمتع بحلال هذه الدنيا، ويعيش ولا يفارقها

ولا تفارقه، فإذا حان حينه حان حينها وماتا جميعاً معا فصارا إلى جناني، فكانا زوجين فيها ناعمين، ولو سألني يا موسى هذا الشقي القاتل بمثل ما توسل به هذا الفتى على صحة اعتقاده أن أعصمه من الحسد وأُقنعه بما رزقته وذلك هو الملك العظيم لفعلت، ولو سألني بذلك مع التوبة أن لا أفضحه لما فضحته، ولصرفت هؤلاء عن اقتراح إبانة القاتل، ولأغنيت هذا الفتى من غير هذا الوجه بقدر هذا المال، ولو سألني بعدما افتضح وتاب إليّ وتوسّل بمثل وسيلة هذا الفتى أن أنسي النّاس فعله بعدما ألطف لأوليائه فيعفون عن القصاص لفعلت، وكان لا يعيّره بفعله أحد، ولا يذكره فيهم ذاكر، ولكن ذلك فضل أُوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم، وأعدل بالمنع على من أشاء وأنا العزيز الحكيم، فلمّا ذبحوها قال الله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ وأرادوا أن لا يفعلوا ذلك من عظم ثمن البقرة، ولكن اللّجاج حملهم على ذلك واتّهامهم لموسى عليه السلام حداهم، قال فضجّوا إلى موسى عليه السلام وقالوا: افتقرت القبيلة ودفعت إلى التكفّف، وانسلخنا بلجاجنا عن قليلنا وكثيرنا، فادع الله لنا بسعة الرزق، فقال لهم موسى عليه السلام: ويحكم ما أعمى قلوبكم! أما سمعتم دعاء الفتى صاحب البقرة وما أورثه الله تعالى من الغنى؟ أوما سمعتم دعاء الفتى المقتول المنشور وما أثمر له من العمر الطويل والسعادة والتنعّم بحواسه وسائر بدنه وعقله؟ لمَ لا تدعون الله تعالى بمثل دعائهما وتتوسّلون إلى الله بمثل وسيلتهما ليسدّ فاقتكم، ويجبر كسركم، ويسدّ خلّتكم؟ فقالوا: «اللهم إليك التجأنا، وعلى فضلك اعتمدنا، فأزل فقرنا وسدّ خلتنا بجاه محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والطيّبين من آلهم» فأوحى الله إليه: يا موسى قل لهم ليذهب رؤساؤهم إلى خربة بني فلان ويكشفوا في موضع كذا - لموضع عينه - وجه أرضها قليلاً ويستخرجوا ما هناك، فإنّه عشرة آلاف ألف دينار، ليردّوا على كلّ من دفع في ثمن هذه البقرة ما دفع لتعود أحوالهم، ثمّ ليتقاسموا بعد ذلك ما يفضل وهو خمسة آلاف ألف دينار على قدر ما دفع كلّ واحد منهم في هذه المحنة، ليتضاعف أموالهم جزاء على توسّلهم بمحمّد وآله الطيّبين، واعتقادهم لتفضيلهم، فذلك ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ اختلفتم فيها (وتدارأتم خ ل) ألقى بعضكم الذنب في قتل المقتول على بعض، ودرأه عن نفسه وذويه ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ما كان من خبر القاتل وما كنتم تكتمون من إرادة تكذيب موسى باقتراحكم عليه ما قدّرتم أنّ ربّه لا يجيبه إليه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ ببعض البقرة ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾ في الدنيا والآخرة كما أحيا الميّت بملاقاة ميّت آخر له، أمّا في الدنيا فيتلاقى ماء الرجل ماء المرأة فيحيي الله الّذي كان في الأصلاب والأرحام حيّاً، وأمّا في الآخرة فإنّ الله تعالى ينزل بين نفختي الصور بعدما ينفخ النفخة الأولى من دوين السماء الدنيا من البحر المسجور الّذي قال الله فيه: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ وهي من منيّ كمنيّ الرجل، فيمطر ذلك على الأرض فيلقى الماء المنيّ مع الأموات البالية فينبتون من الأرض ويحيون، ثمّ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ سائر آياته سوى هذه الدلالات على توحيده

ونبوة موسى عليه السلام نبيّه وفضل محمّد على الخلائق سيّد عبيده وإمائه، وتبيينه فضله وفضل آله الطيّبين على سائر خلق الله أجمعين ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تعتبرون وتتفكّرون أنّ الّذي فعل هذه العجائب لا يأمر الخلق إلاّ بالحكمة، ولا يختار محمّداً وآله إلاّ لأنّهم أفضل ذوي الألباب(١).

بيان: (أما وقَتْ أيماننا أموالنا) استبعاد منهم للحكم عليهم بالدية بعد حلفهم، أي أليس أيماننا وقاية لأموالنا وبالعكس حتّى جمعت بينهما؟ والباسقة: الطويلة. وراض الدابة: ذلّلها. والنواعير جمع الناعورة وهي الدولاب والدلو يستقى بها، ونادمه منادمة ونداماً: جالسه على الشراب. قوله عليه السلام: (ولم يقل موسى) حاصله أنّه عليه السلام حمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ على حقيقة الاستقبال، ولذا فسّره بقوله: سيأمركم، فوعدهم أوّلاً بالأمر، ثمّ بعد سؤالهم وتعيين البقرة أمرهم ولو قال موسى أوّلا بصيغة الماضي (أمركم أن تذبحوا) لتعلّق الأمر بالحقيقة، وكان يكفي أيّ بقرة كانت، وهذا وجه ثالث غير ما ذهب إليه الفريقان في تأويل الآية، لكن بقول السيّد وأصحابه أنسب، وجمعه مع الاخبار السابقة لا يخلو من إشكال، ويمكن أن تحمل الأخبار السابقة على أنّه تعالى لمّا علم أنّه إن أمرهم ببقرة مطلقة لم يكتفوا بذلك فلذا لم يأمرهم بها أوّلاً، أو على أنّه بعد الوعد بالأمر لو لم يسألوا عن خصوص البقرة لامرهم ببقرة مطلقة، فلمّا بادروا بالسؤال شدّد عليهم، وهما بعيدان وارتكاب مثلهما فيها لهذا الخبر مع كونها أقوى وأكثر مشكل والله يعلم حقيقة الأمر.

وقال الثعلبيّ: قال المفسّرون: وجد قتيل في بني إسرائيل اسمه عاميل ولم يدروا قاتله، واختلفوا في قاتله وسبب قتله، فقال عطا والسدّيّ: كان في بني إسرائيل رجلٌ كثير المال وله ابن عمّ مسكين لا وارث له غيره، فلمّا طال عليه حياته قتله ليرثه، وقال بعضهم: كان تحت عاميل بنت عمّ له، كانت مثلاً في بني إسرائيل بالحسن والجمال، فقتله ابن عمّه لينكحها، فلمّا قتله حمله من قريته إلى قرية أُخرى فألقاه هناك، وقال عكرمة: كان لبني إسرائيل مسجد له اثنا عشر باباً، لكلّ سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط قتل وجرّ إلى باب سبط آخر، فاختصم فيه السبطان، وقال ابن سيرين: قتله القاتل ثمّ احتمله فوضعه على باب رجل منهم ثمّ أصبح يطلب بدمه، وقيل: ألقاه بين قريتين فاختصم فيه أهلهما فاشتبه أمر القتيل على موسى وكان ذلك قبل نزول القسامة، فأمرهم الله بذبح البقرة فشدّدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وإنّما كان تشديدهم تقديراً من الله به وحكمة.

وكان السبب فيه على ما ذكره السدّيّ وغيره أنّ رجلاً من بني إسرائيل كان باراً بأبيه، وبلغ من برّه أنّ رجلاً أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفاً، وكان فيها فضلٌ وربحٌ، فقال للبائع: إنّ

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٧٣ ح ١٤٠.

أبي نائم، ومفتاح الصندوق تحت رأسه، فأمهلني حتّى يستيقظ فاعطيك الثمن، قال: فأيقظ أباك وأعطني المال، قال: ما كنت لافعل، ولكن أزيدك عشرة آلاف فأنظرني حتّى ينتبه أبي، فقال الرجل: فأنا أحطّ عنك عشرة آلاف إن أيقظت أباك وعجلت النقد، فقال: وأنا أزيدك عشرين ألفاً إن انتظرت انتباهة أبي، ففعل ولم يوقظ أباه، فلمّا استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعا له وجزاه خيراً، وقال: هذه البقرة لك بما صنعت، فقال رسول الله: انظروا ماذا صنع به البرّ.

وقال ابن عبّاس ووهب وغيرهما من أهل الكتب: كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل، وكان له عجل، فأتى بالعجل إلى غيضة وقال: اللّهمّ إنّي استودعتك هذه العجلة لابني حتّى يكبر، ومات الرجل فشبت العجلة في الغيضة وصارت عواناً، وكانت تهرب من كلّ من رامها، فلمّا كبر الصبي كان باراً بوالدته، وكان يقسّم اللّيلة ثلاثة أثلاث: يصلّي ثلثاً، وينام ثلثاً، ويجلس عند رأس أمّه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره، ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثمّ يتصدّق بثلثه، ويأكل ثلثه، ويعطي والدته ثلثاً، فقالت له أمّه يوماً: إنّ أباك ورّثك عجلة وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها، فانطلق إليها وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردّها عليك، وإنّ من علامتها أنّك إذا نظرت إليها يخيّل إليك أنّ شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمّى المذهبة لحسنها وصفوتها وصفاء لونها، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، فأقبلت تسعى حتّى قامت بين يديه، فقبض على عنقها وقادها، فتكلّمت البقرة بإذن الله وقالت: أيّها الفتى البارّ بوالدته اركبني فإنّ ذلك أهون عليك، فقال الفتى: إنّ امي لم تأمرني بذلك ولكن قالت: خذ بعنقها، قالت البقرة: بإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليّ أبداً فانطلق فإنّك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرّك بوالدتك، فصار الفتى بها فاستقبله عدوّ الله إبليس في صورة راع فقال: أيّها الفتى إنّي رجل من رعاة البقر، اشتقت إلى أهلي فأخذت ثوراً من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي حتّى إذا بلغت شطر الطريق ذهبت لاقضي حاجتي فعدا وسط الجبل وما قدرت عليه، وإنّي أخشى على نفسي الهلكة، فإن رأيت أن تحملني على بقرتك وتنجيني من الموت وأعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى، وقال: اذهب فتوكل على الله، ولو علم الله تعالى منك اليقين لبلّغك بلا زاد ولا راحلة، فقال إبليس: إن شئت فبعنيها بحكمك، وإن شئت فاحملني عليها واعطيك عشرة مثلها، فقال الفتى: إنّ أمّي لم تأمرني بهذا، فبين الفتى كذلك إذ طار طائر من بين يدي البقرة ونفرت البقرة هاربة في الفلاة، وغاب الراعي، فدعاها الفتى باسم إله إبراهيم فرجعت البقرة إليه، فقالت: أيّها الفتى البارّ بوالدته ألم تر إلى الطائر الّذي طار، فإنّه إبليس عدو الله اختلسني، أما إنّه لو ركبني لما قدرت عليّ أبداً، فلمّا دعوت إله إبراهيم جاء ملك فانتزعني من يد إبليس وردّني إليك لبرّك بأمّك وطاعتك لها، فجاء بها الفتى إلى أمّه فقالت له: إنّك فقير لا مال لك، ويشقّ عليك الاحتطاب بالنهار والقيام باللّيل، فانطلق فبع هذه

البقرة وخذ ثمنها، قال لأمه: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي، وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير، فانطلق بها الفتى إلى السوق فعقبه الله سبحانه ملكاً ليري خلقه قدرته، وليختبر الفتى كيف بره بوالدته، وكان الله به خبيراً، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضى أمي، فقال له الملك: ستة دنانير ولا تستأمر امك، فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلاّ برضى امي، فردها إلى أمّه وأخبرها بالثمن، فقالت: ارجع فبعها بستة دنانير على رضى منّي، فانطلق الفتى بالبقرة إلى السوق فأتى الملك فقال: استأمرت والدتك؟ فقال الفتى: نعم إنّها أمرتني أن لا أنقصها من ستة دنانير على أن أستأمرها، قال الملك: فإنّي اعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها، فأبى الفتى ورجع إلى أمّه وأخبرها بذلك، فقالت: إنّ ذاك الرجل الّذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليجربك، فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل ذلك فقال له الملك: أذهب إلى أمك وقل لها: أمسكي هذه البقرة فإنّ موسى يشتريها منكم لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبيعوها إلاّ بملء مسكها دنانير، فأمسكا البقرة وقدر الله تعالى على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافاة على برّه بوالدته، فضلاً منه ورحمة، فطلبوها فوجدوها عند الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهباً، وقال السديّ اشتروها بوزنها عشر مرّات ذهباً.

واختلفوا في البعض المضروب به: فقال ابن عبّاس: ضربوه بالعظم الّذي يلي الغضروف وهو المقتل، وقال الضحّاك: بلسانها، وقال الحسين بن الفضل هذا أولى الاقاويل، لأنّ المراد كان من إحياء القتيل كلامه واللّسان آلته، وقال سعيد بن جبير: بعجب ذنبها، وقال يمان بن رئاب وهو أولى التأويلات بالصواب: العصعص أساس البدن الّذي ركب عليه الخلق، وإنّه أوّل ما يخلق وآخر ما يبلى، وقال مجاهد: بذنبها، وقال عكرمة والكلبيّ: بفخذها الايمن، وقال السدّيّ: بالبضعة الّتي بين كتفيها، وقيل: بأذنها. ففعلوا ذلك فقام القتيل حيّاً بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دماً، وقال: قتلني فلان، ثمّ سقط ومات مكانه[1].

أقول: وقال السيّد ابن طاوس رحمه الله في كتاب سعد السعود: وجدت في تفسير منسوب إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام وأمّا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ فذلك أنّ رجلين من بني إسرائيل وهما أخوان وكان لهما ابن عمّ أخ أبيهما وكان غنيّاً مكثراً، وكانت لهما ابنة عمّ حسناء شابّة كانت مثلاً في بني إسرائيل بحسنها وجمالها خافا أن ينكحها ابن عمها ذلك الغنيّ فعمدا فقتلاه فاحتملاه فألقياه إلى جنب قرية ليبرؤوا منه، وأصبح القتيل بين ظهرانيهم، فلمّا غمّ عليهم شأنه ومن قتله قال أصحاب القرية الّذين وجد عندهم: يا موسى ادع الله لنا أن يطلع على قاتل هذا الرجل، ففعل موسى ثمّ ذكر ما ذكره الله جل جلاله في كتابه، وقال ما

(١) عرائس المجالس، ص ٢٠٥-٢٠٧.

معناه: إنّهم شدّدوا فشدّد الله عليهم، ولو ذبحوا في الأوّل أي بقرة كانت كافية، فوجدوا البقرة لامرأة فلم تبعها لهم إلاّ بملء جلدها ذهباً، وضربوا المقتول ببعضها، فعاش فأخبرهم بقاتله فأُخذا فقتلا فأهلكا في الدنيا، وهكذا يقتلهما ربّنا في الآخرة[1].

١٠ - باب قصة موسى عليه السلام حين لقي الخضر وسائر قصص الخضر عليه السلام وأحواله

الآيات، الكهف: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَنٰهُ﴾ «إلى قوله تعالى»: ﴿صَبْرًا﴾ «٦٠ - ٨٢».

١ - **فس:** لمّا أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً بخبر أصحاب الكهف قالوا: أخبرنا عن العالم الّذي أمر الله موسى أن يتبعه وما قصّته، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَنٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ قال: وكان سبب ذلك أنّه لمّا كلّم الله موسى تكليماً وأنزل الله عليه الألواح وفيها كما قال الله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ ورجع موسى إلى بني إسرائيل فصعد المنبر فأخبرهم أنّ الله قد أنزل عليه التوراة وكلّمه، قال في نفسه: ما خلق الله خلقاً أعلم منّي، فأوحى الله إلى جبرئيل: أدرك موسى فقد هلك، وأعلمه أنّ عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجلٌ أعلم منك فصر إليه وتعلّم من علمه، فنزل جبرئيل على موسى عليه السلام وأخبره فذلّ موسى في نفسه وعلم أنّه أخطأ ودخله الرعب، وقال لوصيّه يوشع: إنّ الله قد أمرني أن أتبع رجلاً عند ملتقى البحرين وأتعلّم منه، فتزوّد يوشع حوتاً مملوحاً وخرجا، فلمّا خرجا وبلغا ذلك المكان وجدا رجلاً مستلقياً على قفاه فلم يعرفاه، فأخرج وصيّ موسى الحوت وغسله بالماء ووضعه على الصخرة ومضيا ونسيا الحوت، وكان ذلك الماء ماء الحيوان فحيي الحوت ودخل في الماء، فمضى موسى عليه السلام ويوشع معه حتّى عييا، فقال لوصيّه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ أي عناءً، فذكر وصيّه السمكة فقال لموسى: إنّي نسيت الحوت على الصخرة، فقال موسى: ذلك الرجل الّذي رأيناه عند الصخرة هو الّذي نريده، فرجعا على آثارهما قصصاً إلى عند الرجل وهو في الصلاة، فقعد موسى حتّى فرغ من الصلاة فسلّم عليهما.

فحدّثني محمّد بن عليّ بن بلال، عن يونس، قال: اختلف يونس وهشام بن إبراهيم في العالم الّذي أتاه موسى عليه السلام أيّهما كان أعلم؟ وهل يجوز أن يكون على موسى حجّة في وقته وهو حجّة الله على خلقه؟ فقال قاسم الصيقل: فكتبوا إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام يسألونه عن ذلك، فكتب في الجواب: أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر إمّا جالساً وإمّا متكئاً، فسلّم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس بها سلام، فقال: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران، قال: أنت موسى بن عمران الّذي كلّمه الله تكليماً؟ قال: نعم،

---

(١) سعد السعود، ص ١٢١.

قال: فما حاجتك؟ قال: جئت لتعلّمني ممّا علّمت رشداً، قال: إنّي وكلتُ بأمر لا تطيقه، ووكلتَ بأمر لا أطيقه، ثمّ حدّثه العالم بما يصيب آل محمد من البلاء حتّى اشتدّ بكاؤهما، ثمّ حدّثه عن فضل آل محمّد حتّى جعل موسى يقول: يا ليتني كنت من آل محمّد، وحتّى ذكر فلاناً وفلاناً ومبعث رسول الله ﷺ إلى قومه، وما يلقى منهم ومن تكذيبهم إيّاه، وذكر له تأويل هذه الآية: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حين أخذ الميثاق عليهم فقال موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فقال الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ فقال موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ قال الخضر: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ يقول: لا تسألني عن شيء أفعله ولا تنكره عليّ حتّى أُخبرك أنا بخبره، قال: نعم، فمرّوا ثلاثتهم حتّى انتهوا إلى ساحل البحر، وقد شحنت سفينة وهي تريد أن تعبر، فقال أرباب السفينة: نحمل هؤلاء الثلاثة نفر فإنّهم قوم صالحون، فحملوهم فلمّا جنحت السفينة في البحر قام الخضر إلى جوانب السفينة فكسرها وحشاها بالخرق والطين، فغضب موسى عليه السلام غضباً شديداً، وقال للخضر: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ فقال له الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قال موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾.

فخرجوا من السفينة فنظر الخضر إلى غلام يلعب بين الصبيان حسن الوجه كأنّه قطعة قمر، وفي أُذنيه درّتان، فتأمّله الخضر ثمّ أخذه وقتله، فوثب موسى إلى الخضر وجلد به الأرض فقال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ فقال الخضر له: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قال موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ فانطلقا حتّى إذا أتيا بالعشيّ قرية تسمّى الناصرة وإليها تنسب النصارى ولم يضيّفوا أحداً قطّ ولم يطعموا غريباً، فاستطعموهم فلم يطعموهم ولم يضيّفوهم، فنظر الخضر عليه السلام إلى حائط قد زال لينهدم، فوضع الخضر يده عليه، وقال: قم بإذن الله فقام، فقال موسى عليه السلام: لم ينبغ أن تقيم الجدار حتّى يطعمونا ويؤوونا وهو قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ فقال له الخضر عليه السلام: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ أمّا السفينة الّتي فعلت بها ما فعلت فإنّها كانت لقوم مساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراء السفينة ملك يأخذ كلّ سفينة صالحة غصباً، كذا نزلت، وإذا كانت السفينة معيوبة لم يأخذ منها شيئاً.

«وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين وطبع كافراً»، كذا نزلت، فنظرت إلى جبينه وعليه مكتوب: طبع كافراً ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ فأبدل الله والديه بنتاً ولدت سبعين نبيّاً.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ الّذي أقمته ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا

صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[١].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾: أكثر المفسّرين على أنّه موسى بن عمران، وفتاه يوشع بن نون، وسمّاه فتاه لأنّه صحبه ولازمه سفراً وحضراً للتعلّم منه؛ وقيل: لأنّه كان يخدمه. وقال محمّد بن إسحاق: يقول أهل الكتاب: إنّ موسى الّذي طلب الخضر هو موسى بن ميشا بن يوسف، وكان نبيّاً في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران؛ إلاّ أنّ الّذي عليه الجمهور أنّه موسى بن عمران ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ معناه: لا أزال أمضي وأمشي فلا أسلك طريقاً آخر حتّى أبلغ ملتقى البحرين: بحر فارس وبحر الروم؛ وقال محمّد بن كعب: هو طنجة، وروي عنه، إفريقيّة[٢].

أقول: قال البيضاويّ: وقيل: البحران موسى وخضر عليهما السلام: فإنّ موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن، وقال في قوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾: أو أسير زماناً طويلاً، والمعنى: حتّى يقع إمّا بلوغ المجمع أو مضيّ الحقب أو حتّى أبلغ إلى أن أمضي زماناً أتيقّن معه فوات المجمع، والحقب: الدهر؛ وقيل: ثمانون سنة، وقيل: سبعون.

وروي أنّ موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله المصر خطبةً بليغة فأعجب بها فقيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحى الله إليه بلى عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين، وكان الخضر في أيّام إفريدون، وكان على مقدّمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى أيّام موسى، وقيل: إنّ موسى سأل ربّه: أيّ عبادك أحبّ إليك؟ فقال: الّذي يذكرني ولا ينساني، قال: فأيّ عبادك أقضى؟ قال: الّذي يقضي بالحقّ ولا يتّبع الهوى، قال: فأيّ عبادك أعلم؟ قال: الّذي يبتغي علم الناس إلى علمه، عسى أن يصيب كلمة تدلّه على هدى أو تردّه عن ردى، قال: إن كان في عبادك أعلم منّي فادللني عليه، قال: أعلم منك الخضر، قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة قال: كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتلك، فحيث فقدته فهو هناك، فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهبا يمشيان ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ أي مجمع البحرين و﴿بَيْنِهِمَا﴾ ظرف أضيف إليه على الاتّساع، أو بمعنى الوصل ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسي موسى أن يطلبه ويتعرّف حاله، ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر.

وروي أنّ موسى رقد فاضطرب الحوت المشويّ ووثب في البحر معجزة لموسى أو الخضر؛ وقيل: توضّأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء؛ وقيل: نسيا تفقّد أمره وما يكون منه أمارة على الظفر بالمطلوب ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ فاتّخذ الحوت طريقه في البحر مسلكاً من قوله: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ وقيل: أمسك الله جرية

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١١.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٦٢.

الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمع البحرين ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ ما نتغدّى به ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ قيل: لم ينصب حتّى جاوز الموعد فلمّا جاوزه وسار اللّيلة والغد إلى الظهر أُلقي عليه الجوع والنصب؛ وقيل: لم يعي موسى في سفر غيره، ويؤيّده التقييد باسم الإشارة ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾ ما دهاني ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ يعني الصخرة الّتي رقد عندها موسى؛ وقيل: هي الصخرة الّتي دون نهر الزيت ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ فقدته أو نسيت ذكره بما رأيت منه ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ أي وما أنساني ذكره إلاّ الشيطان، ولعلّه نسي ذلك لانجذاب شراشره إلى جناب القدس، وإنّما نسبه إلى الشيطان هضماً لنفسه، أو لأنّ عدم احتمال القوّة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يعدّ من نقصان ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ سبيلاً عجباً وهو كونه كالسرب؛ أو اتّخاذاً عجباً، والمفعول الثاني هو الظرف؛ وقيل: هو مصدر فعله المضمر، أي قال يوشع في آخر كلامه أو موسى في جوابه: عجباً، تعجباً في تلك الحال وقيل: الفعل لموسى، أي اتّخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً ﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾ أي أمر الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ نطلب لأنّه أمارة المطلوب ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ فرجعا في الطريق الّذي جاءا فيه ﴿قَصَصًا﴾ أي يتبعان آثارهما اتّباعاً، أو مقتصّين حتّى أتيا الصخرة ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ الجمهور على أنّه الخضر واسمه بليا بن ملكان؛ وقيل: اليسع وقيل: إلياس ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ هي الوحي والنبوّة ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ مما يختصّ بنا ولا يعلم إلاّ بتوفيقنا وهو علم الغيوب ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ علماً ذا رشد، ولا ينافي نبوّته وكونه صاحب شريعة أن يتعلّم من غيره ما لم يكن شرطاً في أبواب الدين فإنّ الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممّن أرسل إليه فيما بعث به من أُصول الدين وفروعه لا مطلقاً ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ أي كيف تصبر وأنت نبيّ على ما أتولّى من أمور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ أخذ الخضر فأساً فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أتيت أمراً عظيماً من أمر الأمر: إذا عظم ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ بالّذي نسيته أو بشيء نسيته، يعني وصيّته بأن لا يعترض عليه، أو بنسياني إيّاها، وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها؛ وقيل: أراد بالنسيان الترك. أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيّتك أوّل مرّة؛ وقيل: إنّه من معاريض الكلام، والمراد شيء آخر نسيه ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ ولا تغشني عسراً من أمري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسيّ فإنّ ذلك يعسّر عليّ متابعتك ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ أي بعدما خرجا من السفينة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ قيل: فتل عنقه؛ وقيل: ضرب برأسه الحائط؛ وقيل: أضجعه فذبحه، والفاء للدلالة على أنّه لمّا لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك قال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي طاهرة من الذنوب ﴿شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ أي منكراً ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾ أي قد وجدت عذراً من قبلي لمّا خالفتك ثلاث

مرّات. وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك، لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب.

قوله: ﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قرية أنطاكية؛ وقيل: أبلّة بصرة؛ وقيل: باجروان إرمينة وأضافه وضيّفه: أنزله ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ يداني أن يسقط، فاستعيرت الإرادة للمشارفة ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ بعمارته، أو بعمود عمده به؛ وقيل: مسحه بيده فقام؛ وقيل: نقضه وبناه، قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ تحريضاً على أخذ الجعل لينتعشا به، أو تعريض بأنّه فضول لما في (لو) من النفي، كأنّه لمّا رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ لمحاويج وهو دليل على أنّ المسكين يطلق على من يملك شيئاً إذا لم يكفه؛ وقيل: سمّوا مساكين لعجزهم عن دفع الملك أو لزمانتهم فإنّها كانت لعشرة إخوة: خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أجعلها ذات عيب ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ قدّامهم أو خلفهم وكان رجوعهم عليه، وقرئ: «كل سفينة صالحة غصباً».

﴿أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ أن يغشاهما ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرًّا، أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر، أو يعديهما بعلّته فيرتدّا بإضلاله أو بممالأته على طغيانه وكفره حبّاً ﴿أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ أن يرزقهما بدله ولداً ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ رحمة وعطفاً على والديه؛ قيل: ولدت لهما جارية فتزوّجها نبيّ فولدت نبيّاً هدى الله به أمّة من الأمم ﴿لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ قيل: اسمهما أصرم وصريم ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ من ذهب أو فضّة، روي ذلك مرفوعاً؛ وقيل: من كتب العلم؛ وقيل: كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه: عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن؟! وعجب لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب؟! وعجب لمن يؤمن بالموت كيف يفرح؟! وعجب لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل؟! وعجب لمن يعرف الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئنّ إليها؟! لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله. انتهى[1].

قوله عليه السلام [2]: (إما جالساً وإمّا متكئاً) أي قد رقد؛ أو إشارة إلى اختلاف الرواية بين المخالفين، وكون الترديد من الراوي بعيد، قوله: (حين أخذ الميثاق) تأويل لقوله: (أوّل مرّة).

قوله: (وطبع كافراً) قال الطبرسيّ رحمه الله: روي عن أُبيّ وابن عبّاس أنّهما كانا يقرءان: وأمّا الغلام فكان كافراً وأبواه مؤمنين، روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ -فس: أبي، عن محمّد بن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: كان ذلك الكنز لوحاً من ذهب فيه مكتوب: بسم الله لا إله إلاّ الله محمّد رسول

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣١.
(٢) يعني به الرضا عليه السلام في الرواية المتقدمة عن القمي

الله عليه السلام عجبت لمن يعلم أنّ الموت حقّ كيف يفرح؟! عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يفرق؟! عجبت لمن يذكر النار كيف يضحك؟! عجبت لمن يرى الدنيا وتصرّف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئنّ إليها[1]؟!

٣ - وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ﴾ وهو يوشع بن نون، وقوله: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ يقول: لا أزال ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ والحقب: ثمانون سنة. وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ هو المنكر، وكان موسى ينكر الظلم، فأعظم ما رأى[2].

٤ - ع: القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمارة، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: إنّ الخضر كان نبيّاً مرسلاً بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه، فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه، وكانت آيته أنّه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلّا أزهرت خضراء، وإنّما سمّي خضراً لذلك، وكان اسمه تاليا بن ملكان بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وإنّ موسى لمّا كلّمه الله تكليماً وأنزل عليه التوراة وكتب له في الألواح من كلّ شيء موعظة وتفصيلاً لكلّ شيء وجعل آيته في يده وعصاه وفي الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم وفلق البحر وغرق الله عزّ وجلّ فرعون وجنوده عملت البشريّة فيه حتّى قال في نفسه: ما أرى أنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً أعلم منّي، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل: يا جبرئيل أدرك عبدي موسى قبل أن يهلك وقل له: إنّ عند ملتقى البحرين رجلاً عابداً فاتّبعه وتعلّم منه، فهبط جبرئيل على موسى بما أمره به ربّه عزّ وجلّ، فعلم موسى عليه السلام أنّ ذلك لما حدّثت به نفسه، فمضى هو وفتاه يوشع بن نون حتّى انتهيا إلى ملتقى البحرين فوجدا هناك الخضر عليه السلام يتعبّد الله عزّ وجلّ كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ قال له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ لأنّي وكلت بعلم لا تطيقه، ووكلت أنت بعلم لا أطيقه، قال موسى: بل أستطيع معك صبراً، فقال له الخضر: إنّ القياس لا مجال له في علم الله وأمره ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ قال موسى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ فلمّا استثنى المشيّة قبله، قال: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ فقال موسى عليه السلام: لك ذلك عليّ ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ الخضر عليه السلام فقال له موسى عليه السلام: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ﴾ لك ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ قال موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ أي بما تركت من أمرك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ الخضر عليه السلام،

---

(١) - (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٤.

فغضب موسى وأخذ بتلبيبه وقال له: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ قال له الخضر: إنّ العقول لا تحكم على أمر الله تعالى ذكره، بل أمر الله يحكم عليها فسلّم لما ترى منّي واصبر عليه، فقد كنت علمت أنّك لن تستطيع معي صبراً، قال موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ وهي الناصرة وإليها تنسب النصارى ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ فوضع الخضر عليه السلام يده عليه ﴿فَأَقَامَهُ﴾ فقال له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قال له الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ فقال: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصْبًا﴾ فأردت بما فعلت أن تبقى لهم ولا يغصبهم الملك عليها، فنسب الإبانة في هذا الفعل إلى نفسه لعلّة ذكر التعييب، لأنّه أراد أن يعيبها عند الملك إذا شاهدها، فلا يغصب المساكين عليها، وأراد الله عزّ وجلّ صلاحهم بما أمره به من ذلك.

ثمّ قال: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وطلع كافراً، وعلم الله تعالى ذكره أنّه إن بقي كفر أبواه وافتتنا به وضلاّ بإضلاله إيّاهما، فأمرني الله تعالى ذكره بقتله وأراد بذلك نقلهم إلى محلّ كرامته في العاقبة، فاشترك بالإبانة بقوله: ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ وإنّما اشترك في الإبانة لأنّه خشي والله لا يخشى لأنّه لا يفوته شيء ولا يمتنع عليه أحد أراده[1]، وإنّما خشي الخضر من أن يحال بينه وبين ما أمر فيه فلا يدرك ثواب الإمضاء فيه، ووقع في نفسه أنّ الله تعالى ذكره جعله سبباً لرحمة أبوي الغلام، فعمل فيه وسط الأمر من البشريّة مثل ما كان عمل في موسى عليه السلام لأنّه صار في

(١) أقول: على بعض ما ذكرنا من الوجوه، يمكن أن يكون حاصل الكلام، أن اشتراكه مع الرب تعالى في الإبانة وإظهار الفعل، لم يكن إلا لأنه صار في الوقت مخبراً ومعلماً لموسى عليه السلام، مع كونه أفضل، ولهذا الوجه أيضاً عمل فيه البشرية، فصار سبباً للإشتراك في الإبانة، فقوله: (لأنه خشي) تعليل لإسناد الاشتراك في الإبانة، في قوله: ﴿فَخَشِينَا﴾ إلى البشرية كما أومأ إليه وتفطن بعض الأذكياء من أصحابنا، عند عرضه علي بوجه آخر: وهو أن يكون الإبانة في المواضع، هي الإرادة فقط، أو أريد بها الإرادة، لأنه نسب الإرادة في أول الكلام إلى نفسه، وفي آخره إلى الرب، وشركها في وسط الكلام بين نفسه وبين الرب تعالى، بقوله: ﴿فَأَرَدْنَا﴾.

وقوله: وإنما اشترك في الإبانة، بيان لأنه لم خصصنا الاشتراك بالإبانة، أي الإرادة، لأن في الخشية لا يتعقل إرادة الاشتراك، لأن الخوف لا يناسب جنابه سبحانه بوجه من الوجوه، فلا يمكن أن ينسب إلى الخضر عليه السلام أن ينسبه إليه تعالى، فلا بد أن يكون أراد بقوله: ﴿فَخَشِينَا﴾ نفسه فقط. وقوله. «ووقع في نفسه» بيان، لأن الاشتراك في الارادة كان من عمل البشرية، ولم يكن على ما ينبغي، وهذا أيضاً وجه حسن، وإن كان ما ذكرنا أتم وأكمل، والله يعلم. «منه قدس سره الشريف».

الوقت مخبراً وكليم الله موسى عليه السلام مخبراً، ولم يكن ذلك باستحقاق للخضر عليه السلام للرتبة على موسى عليه السلام وهو أفضل من الخضر، بل كان لاستحقاق موسى للتبيين.

ثم قال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ ولم يكن ذلك الكنز بذهب ولا فضّة، ولكن كان لوحاً من ذهب فيه مكتوب: عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟! عجب لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟! عجب لمن أيقن أنّ البعث حقّ كيف يظلم؟! عجب لمن يرى الدنيا وتصرّف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئنّ إليها؟! ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ كان بينهما وبين هذا الأب الصالح سبعون أباً، فحفظهما الله بصلاحه، ثمّ قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ فتبرّأ من الإبانة في آخر القصص ونسب الإرادة كلّها إلى الله تعالى ذكره في ذلك، لأنّه لم يكن بقي شيء ممّا فعله فيخبر به بعد ويصير موسى عليه السلام به مخبراً ومصغياً إلى كلامه تابعاً له فتجرّد من الإبانة والإرادة تجرّد العبد المخلص، ثمّ صار متنصلاً ممّا أتاه من نسبة الإبانة في أوّل القصّة ومن ادّعاء الاشتراك في ثاني القصّة فقال: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

ثمّ قال جعفر بن محمد عليه السلام: إنّ أمر الله تعالى ذكره لا يحمل على المقاييس، ومن حمل أمر الله على المقاييس هلك وأهلك، إنّ أوّل معصية ظهرت الإبانة من إبليس اللّعين حين أمر الله تعالى ذكره ملائكته بالسجود لآدم، فسجدوا وأبى إبليس اللّعين أن يسجد، فقال عزّ وجلّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ فكان أوّل كفره قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ ثمّ قياسه بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ فطرده الله عزّ وجلّ عن جواره ولعنه وسمّاه رجيماً، وأقسم بعزّته لا يقيس أحد في دينه إلاّ قرنه مع عدوّه إبليس في أسفل درك من النار.

قال الصدوق رحمه الله: إنّ موسى عليه السلام مع كمال عقله وفضله ومحلّه من الله تعالى ذكره لم يستدرك باستنباطه واستدلاله معنى أفعال الخضر عليه السلام حتّى اشتبه عليه وجه الأمر فيه، وسخط جميع ما كان يشاهده حتّى أخبر بتأويله فرضي، ولو لم يخبر بتأويله لما أدركه ولو بقي في الفكر عمره، فإذا لم يجز لأنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم القياس والاستنباط والاستخراج كان من دونهم من الأمم أولى بأن لا يجوز لهم ذلك[1].

بيان: التلبيب: ما في موضع اللّبب من الثياب. واللّبب: هو موضع القلادة من الصدر. والمراد بالإبانة في المواضع إمّا طلب الامتياز وإظهار الفضل أو إظهار أصل الفعل، وربّما يقرأ الأنانيّة في المواضع.

قوله: (لعلّة ذكر التعييب) أي إنّما لم ينسب الفعل إليه تعالى رعايةً للأدب، لأنّ نسبة التعييب إليه تعالى غير مناسب، وأمّا ما يناسب أن ينسب إليه تعالى فهو إرادة صلاحهم بهذا

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٧ باب ٥٤ ح ١.

التعييب. قوله: (وإنّما اشترك في الإبانة) الغرض بيان أنّه لم قال: «فخشينا وأردنا» مع أنّه كان الأنسب نسبة الخشية إلى نفسه والإرادة إليه تعالى، أو كان المناسب نسبة المصالح جميعاً إليه تعالى؟ ويمكن تقريره بوجهين:

الأوّل: أنّه لمّا أمره تعالى بقتل الغلام وأخبره بأنّه سيقع منه كفر ولم يأمن البداء فيما أُخبر به فلذا عبّر عنه بالخشية، ولمّا كان ذلك بإخباره تعالى فقد راعى الجهتين، ونسب إلى نفسه لكون الخشية من جهته، ونسب إلى الربّ تعالى أيضاً ليعلم أنه إنّما علم ذلك بإخباره تعالى، فخشية الحيلولة كناية عن احتمال البداء؛ أو يقال: إنّه لمّا لم يأمن النسخ في الأمر بالقتل وعلى تقديره كان يتحقّق طغيانه بوالديه ويحرم الخضر عن امتثال هذا الأمر فكأنّه قال: إنّما بادرت إلى ذلك أو فعلت ذلك مبادراً لأنّي خشيت أن ينسخ هذا الأمر فيرهقهما طغياناً ولم أفز بثواب هذه الطاعة، أو خشيت أن يحول مانع بيني وبينه وإن لم ينسخ فلم يتأت منّي فعله وأكون محروماً من ثوابه، وأمّا نسبته إلى الربّ فالوجه فيه ما ذكرنا أوّلاً.

وأمّا قوله: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ فلمّا لم يكن فيه هذه النكتة نسبه إلى البشريّة، أي إنّما عبّر عن الإرادة كذلك لأنّه عمل فيه البشريّة في وسط الكلام، إذ التعبير عن الخشية لم يكن من البشريّة، وفي آخر الكلام نسب الإبدال إلى الربّ، وإنّما كان عمل البشريّة في التعبير عن الإرادة في وسط الكلام.

الثاني: أن يكون الاشتراك في الخشية والإرادة كلتيهما منسوباً إلى البشريّة، فيكون قوله: (لأنّه خشي) تعليلاً لأحد جزئي الاشتراك، أعني نسبة الخشية إلى نفسه. وقوله: (فعمل فيه) تعليل لنسبة الخشية إلى الربّ ونسبة الإرادة إلى نفسه معاً، فالمراد بوسط الأمر حينئذٍ مجموع هذا الكلام، إذ في أوّل الكلام نسب التعييب إلى نفسه رعاية للأدب، وفي آخر الكلام خصّ الإرادة به تعالى، وفي هذا الكلام اشترك معه تعالى في الأمرين، مع أنّه كان الأنسب تخصيص الأوّل بنفسه والثاني به تعالى، وعلى الوجهين يكون وسط الأمر منصوباً على الظرفيّة بتقدير (في) ويحتمل أن يكون فاعلاً لقوله: (عمل) أي عمل فيه أمر وسط من البشريّة لأنّه لم ينسب الإرادة إلى نفسه بل جعلها مشتركة بين الربّ تعالى وبينه، ولكنّه بعيد[1].

قوله عليه السلام: (للتبيين) أي لأن يتبيّن له أنّه لا يعلم كلّ شيء، وأنّه جاهل لا يعلم شيئاً إلّابتعليم الله تعالى، وأنّه يمكن أن يكون في البشر من هو أعلم منه، أو المعنى أنّه كان الغرض تعليم موسى لا كون الخضر حجّة عليه وأفضل منه وكون موسى عليه السلام رعيّة له بل كان واسطة كالملك.

---

(١) وقال البيضاوي، في آخر كلامه: ويجوز أن يكون قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ حكاية قول الله عز وجل بعد أن نسب الخشية إلى موسى عليه السلام (منه رحمه الله).

قوله عليه السلام : (بذهب ولا فضّة) أي لم يكن المقصود كونه ذهباً وفضّة، بل كان الغرض إيصال العلم المنقوش فيه إليهما، فلا ينافي كون اللّوح من ذهب. قوله: (وتصرّف أهلها) أي تغيّرهم. قوله: (متّصلاً) لعلّه ضمّن معنى الإعراض أو الانفصال، أي صار متّصلاً به تعالى، معرضاً أو منفصلاً ممّا أتاه أوّلاً، والظاهر أنّه كان «متنصّلاً» من قولهم: تنصّل إليه، أي انتفى من ذنبه واعتذر، فصحّف.

ثمّ اعلم أنّه يظهر من هذا الكلام أنّه كان منه عليه السلام غفلة في أوّل الأمر أيضاً، مع أنّه قد سبق في أوّل الكلام عذر ذلك، وأنّه إنّما نسب إلى نفسه لمكان التعييب، ويمكن توجيهه بأنّ الغفلة ليست من جهة نسبة التعييب إلى نفسه، بل لعدم التصريح بأنّ هذا من أمره تعالى، لأنّه كان يظهر من كلامه عليه السلام أنّه كان مستبدًا بذلك، فلذا اعتذر ورجع عنه.

٥ - ع: سمعت أبا جعفر محمّد بن عبد الله بن طيفور الدامغانيّ الواعظ بفرغانة يقول في خرق الخضر عليه السلام السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدران: تلك إشارات من الله تعالى لموسى عليه السلام وتعريضات إلى ما يريده من تذكيره لمنن سابقة لله عزّ وجلّ نبّهه عليها وعلى مقدارها من الفضل، ذكّره بخرق السفينة أنّه حفظه في الماء حين ألقته أُمّه في التابوت وألقت التابوت في اليمّ وهو طفل ضعيف لا قوّة له، فأراد بذلك أنّ الّذي حفظك في التابوت الملقى في اليمّ هو الّذي يحفظهم في السفينة، وأمّا قتل الغلام فإنّه كان قد قتل رجلاً في الله عزّ وجلّ ، وكانت تلك زلّة عظيمة عند من لم يعلم أنّ موسى عليه السلام نبيّ، فذكّره بذلك منّة عليه حين دفع عنه كيد من أراد قتله به؛ وأمّا إقامة الجدار من غير أجر فإنّ الله عزّ وجلّ ذكره بذلك فضله فيما أتاه في ابنتي شعيب حين سقى لهما وهو جائع ولم يبتغ على ذلك أجراً مع حاجته إلى الطعام، فنبّهه الله عزّ وجلّ على ذلك ليكون شاكراً مسروراً؛ وأمّا قول الخضر لموسى عليه السلام : ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فإنّ ذلك كان جهة موسى عليه السلام حيث قال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ فموسى عليه السلام هو الّذي حكم بالمفارقة لمّا قال له: ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ وإنّ موسى عليه السلام اختار سبعين رجلاً من قومه لميقات ربّه فلم يصبروا بعد سماع كلام الله عزّ وجلّ حتّى تجاوزوا الحدّ بقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فماتوا، ولو اختارهم الله عزّ وجلّ لعصمهم، ولما اختار من يعلم منه تجاوز الحدّ، فإذا لم يصلح موسى عليه السلام للاختيار مع فضله ومحلّه فكيف تصلح الأمّة لاختيار الإمام بآرائها؟ وكيف يصلحون لاستنباط الأحكام واستخراجها بعقولهم الناقصة وآرائهم المتفاوتة وهممهم المتباينة وإراداتهم المختلفة؟! تعالى الله عن الرضى باختيارهم علوّاً كبيراً، وأفعال أمير المؤمنين عليه السلام مثلها مثل أفاعيل الخضر وهي حكمة وصواب وإن جهل الناس وجه الحكمة والصواب فيها[١].

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٨١ باب ٥٤ ح ٢.

٦ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن الحسين ابن علوان، عن الأعمش، عن عباية الأسديّ قال: كان عبد الله بن العبّاس جالساً على شفير زمزم يحدّث الناس، فلمّا فرغ من حديثه أتاه رجل فسلّم عليه، ثمّ قال: يا عبد الله إنّي رجل من أهل الشام، فقال: أعوان كلّ ظالم إلّا من عصم الله منكم، سل عمّا بدا لك، فقال: يا عبد الله بن عبّاس إنّي جئتك أسألك عمّن قتله عليّ بن أبي طالب من أهل لا إله إلّا الله لم يكفروا بصلاة ولا بحجّ ولا بصوم شهر رمضان ولا بزكاة، فقال له عبد الله: ثكلتك أمك، سل عمّا يعنيك ودع ما لا يعنيك، فقال: ما جئتك أضرب إليك من حمص للحجّ ولا للعمرة، ولكنّي أتيتك لتشرح لي أمر عليّ بن أبي طالب وفعاله، فقال له: ويلك إنّ علم العالم صعب لا يحتمله ولا تقرُّ به القلوب الصدئة، أخبرك أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان مثله في هذه الأمّة كمثل موسى والعالم عليهما السلام، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى قال في كتابه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ فكان موسى يرى أنّ جميع الأشياء قد أثبتت له، كما ترون أنتم أنّ علماءكم قد أثبتوا جميع الأشياء. فلمّا انتهى موسى إلى ساحل البحر فلقي العالم فاستنطق بموسى ليضلّ علمه ولم يحسده كما حسدتم أنتم عليّ بن أبي طالب وأنكرتم فضله، فقال له موسى عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فعلم العالم أنّ موسى لا يطيق بصحبته ولا يصبر على علمه فقال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ فقال له موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ فعلم العالم أنّ موسى لا يصبر على علمه فقال: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ قال: فركبا في السفينة فخرقها العالم، وكان خرقها لله عزّ وجلّ رضىً وسخطاً لموسى، ولقي الغلام فقتله فكان قتله لله عزّ وجلّ رضىً وسخطاً لموسى، وأقام الجدار فكانت إقامته لله عزّ وجلّ رضىً وسخطاً لموسى، كذلك كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يقتل إلّا من كان قتله لله عزّ وجلّ رضىً ولأهل الجهالة من النّاس سخطاً[1].

بيان: أضرب إليك أي أسافر إليك. وحمص كورة بالشام. وقال الجزريّ: فيه: إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، هو أن يركبها بمباشرة المعاصي والآثام فيذهب بجلائه كما يعلو الصدأ وجه المرآة والسيف ونحوهما. قوله: (فاستنطق بموسى) أي أنطقه الله بسبب موسى، ليضلّ علم موسى أي يجعل علمه مفقوداً مضمحلاً ويقرّ بالجهل، فلم يحسده موسى عليه السلام.

٧ - لي: ابن البرقيّ، عن أبيه، عن جدّه، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن إبراهيم ابن

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٨٢ باب ٥٤ ح ٣.

محمّد الأشعريّ، عن أبان بن عبد الملك، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: إنّ موسى بن عمران عليه السلام حين أراد أن يفارق الخضر عليه السلام قال له: أوصني، فكان ممّا أوصاه أن قال له: إيّاك واللّجاجة، أو أن تمشي في غير حاجة، أو أن تضحك من غير عجب، واذكر خطيئتك، وإيّاك وخطايا الناس[١].

٨ - ل: أبي، عن سعد، عن الإصفهانيّ، عن المنقريّ، عن سفيان بن عيينة، عن الزهريّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: لا تعيّرنّ أحداً بذنب، وإنّ أحبّ الأمور إلى الله عزّ وجلّ ثلاثة: القصد في الجدة، والعفو في المقدرة: والرفق بعباد الله، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلاّ رفق الله عزّ وجلّ به يوم القيامة، ورأس الحكم مخافة الله تبارك وتعالى[٢].

٩ - ب: ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن الرضا عليه السلام قال: كان في الكنز الّذي قال الله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ لوح من ذهب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، محمّد رسول الله، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟! وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟! وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يركن إليها؟! وينبغي لمن غفل عن الله ألاّ يتّهم الله تبارك وتعالى في قضائه ولا يستبطئه في رزقه[٣].

شي: عن ابن أسباط، عن الرضا عليه السلام مثله «ج ٢ ص ٣٦٤ ح ٦٧ من سورة الكهف».

كا: الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن ابن أسباط مثله «ج ٢ باب فضل اليقين ح ٩».

١٠ - ل: أبي، عن سعد، عن محمّد بن عبد الحميد، عن العلاء، عن محمّد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: والله ما كان من ذهب ولا فضّة، وما كان إلاّ لوحاً فيه كلمات أربع: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا، ومحمّد رسولي، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح قلبه؟! وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف تضحك سنّه؟! وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يستبطئ الله في رزقه؟! وعجبت لمن يرى النشأة الأولى كيف ينكر النشأة الآخرة[٤]؟!

١١ - ن: بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام أنّه قال: وجد لوح تحت حائط مدينة من المدائن فيه مكتوب: أنا الله لا إله إلاّ أنا، ومحمّد نبيّي، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟! وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟! وعجبت لمن اختبر الدنيا كيف يطمئنّ إليها؟! وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يذنب[٥]؟!

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٦٥ مجلس ٥٢ ح ١١. (٢) الخصال، ص ١١١ باب الثلاثة ح ٨٣.
(٣) قرب الإسناد، ص ٣٧٥ ح ١٣٣٠. (٤) الخصال، ص ٢٣٦ باب الأربعة ح ٧٩.
(٥) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٤٨ باب ٣١ ح ١٥٨.

١٢ - مع: ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن الحسن بن عليّ رفعه إلى عمرو بن جميع رفعه إلى عليّ عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: كان ذلك الكنز لوحاً من ذهب فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عجبت لمن يعلم أنّ الموت حقّ كيف يفرح؟! عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن؟! عجبت لمن يذكر النّار كيف يضحك؟! عجبت لمن يرى الدنيا وتصرّف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئنّ إليها[1]؟!

١٣ - كا: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن شريف بن سابق، أو رجل عن شريف، عن الفضل بن أبي قرّة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أقام العالم الجدار أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه السلام: إنّي مجازي الأبناء بسعي الآباء[2]، إن خيراً فخير وإن شرًّا فشرّ، لا تزنوا فتزني نساؤكم، ومن وطئ فراش امرئ مسلم وُطئ فراشه، كما تدين تدان[3].

١٤ - فس: أبي، عن يوسف بن أبي حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء وجد ريحاً مثل ريح المسك الأذفر، فسأل جبرئيل عنها فأخبره أنّها تخرج من بيت عذّب فيه قوم في الله حتّى ماتوا، ثمّ قال له: إنّ الخضر كان من أبناء الملوك فآمن بالله وتخلّى في بيت في دار أبيه يعبد الله، ولم يكن لأبيه ولد غيره، فاشاروا على أبيه أن يزوّجه فلعلّ الله أن يرزقه ولداً فيكون الملك فيه وفي عقبه، فخطب له امرأة بكراً وأدخلها عليه فلم يلتفت الخضر إليها، فلمّا كان اليوم الثاني قال لها: تكتمين عليّ أمري؟ فقالت: نعم، قال لها: إن سألك أبي هل كان منّي إليك ما يكون من الرجال إلى النساء فقولي: نعم، فقالت: أفعل، فسألها الملك عن ذلك فقالت: نعم، وأشار عليه الناس أن يأمر النساء أن يفتّشنها، فأمر فكانت على حالتها، فقالوا: أيها الملك زوّجت الغرّ من الغرّة، زوّجه امرأة ثيّباً، فزوّجه، فلمّا أدخلت عليه سألها الخضر أن تكتم عليه أمره، فقالت: نعم، فلمّا أن سألها الملك قالت: أيّها الملك إنّ ابنك امرأة فهل تلد المرأة من المرأة؟! فغضب عليه فأمر بردم الباب عليه فردم، فلمّا كان اليوم الثالث حرّكته رقّة الآباء فأمر بفتح الباب ففتح فلم يجدوه فيه، وأعطاه الله من القوّة أن يتصوّر كيف شاء، ثمّ كان على مقدّمة ذي القرنين، وشرب من الماء الّذي من شرب منه بقي إلى الصيحة، قال: فخرج من مدينة أبيه رجلان في تجارة في البحر حتّى وقعا إلى جزيرة من جزائر البحر، فوجدا فيها الخضر قائماً يصلّي، فلمّا انفتل دعاهما فسألهما عن خبرهما فأخبراه، فقال لهما: هل تكتمان عليّ أمري إن أنا رددتكما في يومكما هذا إلى منازلكما؟ فقالا: نعم، فنوى أحدهما أن يكتم أمره، ونوى

---

(١) معاني الأخبار، ص ٢٠٠.

(٢) لعل ذلك لرضى الأبناء بأفعال الآباء [النماري].

(٣) الكافي، ج ٥ ص ٨٨٤ باب ٣٨٠ ح ١.

الآخر إن ردّه إلى منزله أخبر أباه بخبره، فدعا الخضر سحابة فقال لها: احملي هذين إلى منازلهما، فحملتهما السحابة حتّى وضعتهما في بلدهما من يومهما، فكتم أحدهما أمره. وذهب الآخر إلى الملك فأخبره بخبره فقال له الملك: من يشهد لك بذلك؟ قال: فلان التاجر، فدلّ على صاحبه، فبعث الملك إليه فلمّا أحضروه أنكره وأنكر معرفة صاحبه، فقال له الأوّل: أيّها الملك ابعث معي خيلاً إلى هذه الجزيرة واحبس هذا حتّى آتيك بابنك، فبعث معه خيلاً فلم يجدوه، فأطلق عن الرجل الّذي كتم عليه.

ثمّ إنّ القوم عملوا بالمعاصي فأهلكهم الله وجعل مدينتهم عاليها سافلها، وابتدرت الجارية الّتي كتمت عليه أمره والرجل الّذي كتم عليه كلّ واحد منهما ناحية من المدينة، فلمّا أصبحا التقيا فأخبر كلّ واحد منهما صاحبه بخبره، فقالا: ما نجونا إلاّ بذلك، فآمنا بربّ الخضر، وحسن إيمانهما وتزوّج بها الرجل، ووقعا إلى مملكة ملك آخر وتوصّلت المرأة إلى بيت الملك، وكانت تزيّن بنت الملك فبينا هي تمشطها يوماً إذ سقط من يدها المشط فقالت: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، فقالت لها بنت الملك: ما هذه الكلمة؟ فقالت لها: إنّ لي إلهاً تجري الأمور كلّها بحوله وقوّته، فقالت لها: ألك إله غير أبي؟ فقالت: نعم وهو إلهك وإله أبيك، فدخلت بنت الملك إلى أبيها فأخبرت أباها بما سمعت من هذه المرأة، فدعاها الملك فسألها عن خبرها فأخبرته، فقال لها: من على دينك؟ قالت: زوجي وولدي، فدعاهم الملك وأمرهم بالرجوع عن التوحيد فأبوا عليه، فدعا بمرجل من ماء فسخنه وألقاهم فيه وأدخلهم بيتاً وهدم عليهم البيت، فقال جبرئيل لرسول الله ﷺ: فهذه الرائحة الّتي تشمّها من ذلك البيت[١].

بيان: قوله: (زوّجت الغرّ من الغرّة) لعلّه بكسر الغين من الغرّة بمعنى الغفلة، والبعد عن فطنة الشرّ، كما ورد في الخبر: المؤمن غرّ كريم. ومنه الحديث: عليكم بالأبكار فإنّهن أغرّ غرّة. والمرجل كمنبر: القدر من الحجارة والنحاس.

١٥ - **مع:** معنى الخضر أنّه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلاّ اهتزّت خضراء، وكان اسمه تاليا بن ملكان بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح[٢].

١٦ - **ك:** الطالقانيّ، عن عبد العزيز بن يحيى، عن محمّد بن عطيّة، عن عبد الله بن سعد، عن هشام بن جعفر، عن حمّاد، عن عبد الله بن سليمان قال: قرأت في بعض كتب الله عزّ وجلّ أنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله عزّ وجلّ حجّة على عباده ولم يجعله نبيّاً، فمكّن الله له في الأرض وآتاه من كلّ شيء سبباً، فوصفت له عين الحياة وقيل له: من شرب منها شربة لم يمت حتّى يسمع الصيحة، وإنّه خرج في طلبها حتّى انتهى إلى موضع فيه ثلاث

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٦. (٢) معاني الأخبار، ص ٤٩.

مائة وستّون عيناً، وكان الخضر على مقدّمته، وكان من أحبّ الناس إليه، فأعطاه حوتاً مالحاً وأعطى كلّ واحد من أصحابه حوتاً مالحاً وقال لهم: ليغسل كلّ رجل منكم حوته عند كلّ عين، فانطلقوا وانطلق الخضر عليه السلام إلى عين من تلك العيون، فلمّا غمس الحوت في الماء حيي فانساب في الماء، فلمّا رأى الخضر عليه السلام ذلك علم أنّه قد ظفر بماء الحياة فرمى بثيابه وسقط في الماء، فجعل يرتمس فيه ويشرب منه، فرجع كلّ واحد منهم إلى ذي القرنين ومعه حوته، ورجع الخضر وليس معه الحوت، فسأله عن قصّته فأخبره فقال له: أشربت من ذلك الماء؟ قال: نعم، قال: أنت صاحبها، وأنت الّذي خلقت لهذه العين، فأبشر بطول البقاء في هذه الدنيا مع الغيبة عن الأبصار إلى النفخ في الصور[1].

١٧ - **ك:** المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن جعفر بن أحمد، عن ابن فضّال، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ الخضر شرب من ماء الحياة فهو حيّ لا يموت حتّى ينفخ في الصور، وإنّه ليأتينا فيسلم علينا فنسمع صوته ولا نرى شخصه، وإنّه ليحضر حيث ذكر، فمن ذكره منكم فليسلّم عليه، وإنّه ليحضر المواسم فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة فيؤمّن على دعاء المؤمنين، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته، ويصل به وحدته[2].

١٨ - **ك:** بهذا الإسناد عن الرضا عليه السلام قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جاء الخضر فوقف على باب البيت وفيه عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ورسول الله صلى الله عليه وآله قد سجّي بثوب فقال: السلام عليكم يا أهل البيت كلّ نفس ذائقة الموت وإنّما توفّون أجوركم يوم القيامة، إنّ في الله خلفاً من كلّ هالك، وعزاءً من كلّ مصيبة، ودركاً من كلّ فائت فتوكّلوا عليه وثقوا به، واستغفروا الله لي ولكم فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هذا أخي الخضر جاء يعزّيكم بنبيّكم[3].

أقول: قد أوردنا بعض أخباره في باب أحوال ذي القرنين.

١٩ - **ص:** بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسن ابن عليّ، عن المثنّى، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً لم يكن له قرن من ذهب ولا فضّة، بعثه الله في قومه فضربوه على قرنه الأيمن فغاب عنهم ثمّ عاد إليهم فدعاهم فضربوه على قرنه الأيسر وفيكم مثله - قالها ثلاث مرّات - وكان قد وصف له عين الحياة وقيل له: من شرب منها شربة لم يمت حتّى يسمع الصيحة، وإنّه خرج في طلبها حتّى أتى موضعاً كان فيه ثلاث مائة وستّون عيناً، وكان الخضر عليه السلام على مقدّمته، وكان من آثر أصحابه عنده، فدعاه وأعطاه وأعطى قوماً من أصحابه كلّ واحد منهم حوتاً مملوحاً، ثمّ قال: انطلقوا إلى هذه المواضع فليغسل كلّ رجل منكم حوته، وإنّ الخضر انتهى إلى عين من

(١) - (٣) كمال الدين، ص ٣٥٨-٣٦٢.

تلك العيون فلمّا غمس الحوت ووجد ريح الماء حيّ وانساب في الماء، فلمّا رأى ذلك الخضر رمى بثيابه وسقط في الماء فجعل يرتمس في الماء ويشرب رجاء أن يصيبها، فلمّا رأى ذلك رجع ورجع أصحابه، فأمر ذو القرنين بقبض السمك فقال: انظروا فقد تخلّفت سمكة واحدةٌ فقالوا: الخضر صاحبها، فدعاه فقال: ما فعلت بسمكتك؟ فأخبره الخبر، فقال: ماذا صنعت؟ قال: سقطت فيها أغوص وأطلبها فلم أجدها، قال فشربت من الماء؟ قال: نعم، قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها، فقال للخضر: أنت صاحبها وأنت الّذي خلقت لهذه العين، وكان اسم ذي القرنين عيّاشاً، وكان أوّل الملوك بعد نوح، ملك ما بين المشرق والمغرب(١).

٢٠ - كا: أحمد بن محمّد ومحمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسن، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن عبد الله بن حمّاد، عن سيف التمّار قال: كنّا مع أبي عبد الله عليه‌السلام جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: وربّ الكعبة وربّ البيت - ثلاث مرّات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأنّ موسى والخضر أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتّى تقوم الساعة، وقد ورثناه، من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وراثة(٢).

٢١ - ص: الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبي بصير، عن أحدهما صلوات الله عليهما قال: لمّا كان من أمر موسى الّذي كان أعطي مكتلاً فيه حوت مالح فقيل له: هذا يدلّك على صاحبك عند عين لا يصيب منها شيء إلاّ حيّ، فانطلقا حتّى بلغا الصخرة وجاوزا ثمّ قال لفتاه: آتنا غداءنا، فقال: الحوت اتّخذ في البحر سرباً، فاقتصّا الأثر حتّى أتيا صاحبهما في جزيرة في كساء جالساً فسلّم عليه وأجاب وتعجّب وهو بأرض ليس بها سلام، فقال: من أنت؟ قال: موسى، فقال: ابن عمران الّذي كلّمه الله؟ قال: نعم، قال: فما جاء بك؟ قال: أتيتك على أن تعلّمني، قال: إنّي وكلت بأمر لا تطيقه، فحدّثه عن آل محمّد وعن بلائهم وعمّا يصيبهم حتّى اشتدّ بكاؤهما، وذكر له فضل محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وما أعطوا وما ابتلوا به فجعل يقول: يا ليتني من أمّة محمّد؛ وإنّ العالم لمّا تبعه موسى خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار ثمّ بيّن له كلّها وقال: ما فعلته عن أمري، يعني لولا أمر ربّي لم أصنعه، وقال: لو صبر موسى لأراه العالم سبعين أعجوبة. وفي رواية: رحم الله موسى عجّل على العالم، أما إنّه لو صبر لرأى منه من العجائب ما لم ير(٣).

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٢١.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ١٤٩ باب ان الأئمة عليهم‌السلام يعلمون علم ما كان ح ١.

(٣) قصص الأنبياء، ص ١٥٧.

٢٢ - ص: الصدوق، عن محمّد العطّار، عن الحسين بن إسحاق، عن عليّ بن مهزيار وعن الحسين بن سعيد، عن عثمان بن عيسى، عن ابن مسكان، عن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا لقي موسى العالم وكلّمه وساءله نظر إلى خطّاف تصفر وترتفع في الماء وتستفل في البحر، فقال العالم لموسى: أتدري ما تقول هذه الخطّاف؟ قال: وما تقول؟ قال: تقول: وربّ السماوات والأرض وربّ البحر ما علمكما من علم الله إلاّ قدر ما أخذت بمنقاري من هذا البحر وأكثر، ولمّا فارقه موسى قال له موسى: أوصني، فقال الخضر: الزم ما لا يضرّك معه شيء كما لا ينفعك مع غيره شيء، وإيّاك واللّجاجة والمشي إلى غير حاجة والضحك في غير تعجّب، يا ابن عمران لا تعيّرنّ أحداً بخطيئته، وابك على خطيئتك(١).

أقول: قد أوردناه بأسانيد في باب أنّ الأئمّة عليهم السلام أعلم من الأنبياء.

٢٣ - ص: الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن يوسف بن حمّاد، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أسري برسول الله صلى الله عليه وآله بينا هو على البراق وجبرئيل معه إذ نفحته رائحة مسك، فقال: يا جبرئيل ما هذا؟ فقال: كان في الزمان الأوّل ملك له أسوة حسنة في أهل مملكته، وكان له ابن رغب عمّا هو فيه وتخلّى في بيت يعبد الله، فلمّا كبر سنّ الملك مشى إليه خيرة الناس وقالوا: أحسنت الولاية علينا، وكبرت سنّك، ولا خلفك إلاّ ابنك وهو راغب عمّا أنت فيه، وإنّه لم ينل من الدنيا، فلو حملته على النساء حتّى يصيب لذّة الدنيا لعاد، فاخطب كريمة له، فزوّجه جارية لها أدب وعقل، فلمّا أتوا بها وحوّلوها إلى بيته أجلسوها وهو في صلاته، فلمّا فرغ قال: أيتها المرأة ليس النساء من شأني، فإن كنت تحبّين أن تقيمي معي وتصنعين كما أصنع كان لك من الثواب كذا وكذا، قالت: فأنا أقيم على ما تريد، ثمّ إنّ أباه بعث إليها يسائلها هل حبلت؟ فقالت: إنّ ابنك ما كشف لي عن ثوب فأمر بردّها إلى أهلها وغضب على ابنه وأغلق الباب عليه ووضع عليه الحرس، فمكث ثلاثاً ثمّ فتح عنه فلم يوجد في البيت أحد، فهو الخضر عليه الصلاة والسلام(٢).

٢٤ - ك: كان اسم الخضر خضرويه بن قابيل بن آدم، ويقال: خضرون أيضاً؛ ويقال: خلعبا، وإنّه إنّما سمّي الخضر لأنّه جلس على أرض بيضاء فاهتزّت خضراء فسمّي الخضر لذلك، وهو أطول الآدميّين عمراً، والصحيح أنّ اسمه إلياس بن ملكان بن عامر بن أرفخشد ابن سام بن نوح(٣).

٢٥ - كا: العدّة عن أحمد بن محمّد، عن أحمد بن أبي داود، عن عبد الله بن أبان، عن

(١) - (٢) قصص الأنبياء، ص ١٥٧ - ١٥٨. (٣) كمال الدين، ص ٣٦٢.

أبي عبد الله عليه السلام قال: مسجد السهلة مناخ الراكب، قيل: ومن الراكب؟ قال: الخضر عليه السلام (١).

٢٦ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن عمرو بن عثمان، عن حسين بن بكر، عن عبد الرحمن بن سعيد الخزّاز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مسجد السهلة مناخ الراكب(٢).

٢٧ - **شي:** عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان وصيُّ موسى بن عمران يوشع ابن نون، وهو فتاه الّذي ذكره الله في كتابه(٣).

٢٨ - **شي:** عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان موسى أعلم من الخضر(٤).

٢٩ - **شي:** عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول موسى لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فقال: إنّما عنى الطعام فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ موسى لذو جوعات(٥).

٣٠ - **شي:** عن بريد، عن أحدهما عليهما السلام قال: قلت له: ما منزلتكم في الماضين أو بمن تشبهون منهم؟ قال: الخضر وذو القرنين كانا عالمين ولم يكونا نبيّين(٦).

كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة، عن بريد مثله، وفيه: صاحب موسى وذو القرنين(٧).

بيان: لعلّ المراد أنّه حين صادفه موسى عليه السلام لم يكن نبيّاً بل كان رعيّة لموسى عليه السلام وفيه بعد إشكال.

٣١ - **شي:** عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما مثل عليّ ومثلنا من بعده من هذه الأمّة كمثل موسى النبيّ عليه السلام والعالم حين لقيه واستنطقه وسأله الصحبة، فكان من أمرهما ما اقتصّه الله لنبيّه صلى الله عليه وآله في كتابه، وذلك أنّ الله قال لموسى: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ثمّ قال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وقد كان عند العالم علم لم يكتب لموسى في الألواح، وكان موسى يظنّ أنّ جميع الأشياء الّتي يحتاج إليها في تابوته، وجميع العلم قد كتب له في الألواح، كما يظنّ هؤلاء الّذين يدّعون أنّهم فقهاء وعلماء أنّهم قد أثبتوا جميع العلم والفقه في الدين ممّا تحتاج هذه الأمّة إليه وصحّ لهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعلموه ولفظوه، وليس كلّ علم رسول الله علموه ولا صار إليهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عرفوه،

(١) - (٢) الكافي، ج ٣ ص ٢٥٨ باب ٢٧٤ ح ١ و٢.

(٣) - (٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٥٦ ح ٤٢-٤٥ من سورة الكهف.

(٧) أصول الكافي، ج ١ ص ١٥٤ باب في أن الأئمة بمن يُشبهون. ح ٥.

وذلك أنّ الشيء من الحلال والحرام والأحكام يردّ عليهم فيسألون عنه ولا يكون عندهم فيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ويستحيون أن ينسبهم الناس إلى الجهل، ويكرهون أن يسألوا فلم يجيبوا الناس فيطلبوا العلم من معدنه فلذلك استعملوا الرأي والقياس في دين الله وتركوا الآثار ودانوا الله بالبدع، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كلّ بدعة ضلالة» فلو أنّهم إذ سئلوا عن شيء من دين الله فلم يكن عندهم منه أثر عن رسول الله ردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم من آل محمّد عليهم السلام، والّذي منعهم من طلب العلم منّا العداوة والحسد لنا، ولا والله ما حسد موسى العالم - وموسى نبيّ الله يوحى إليه - حيث لقيه واستنطقه وعرفه بالعلم، ولم يحسده كما حسدتنا هذه الأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على ما علمنا وما ورثنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يرغبوا إلينا في علمنا كما رغب موسى إلى العالم وسأله الصحبة ليتعلّم منه العلم ويرشده، فلمّا أن سأل العالم ذلك علم العالم أنّ موسى لا يستطيع صحبته ولا يحتمل عليه ولا يصبر معه، فعند ذلك قال العالم: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ فقال له موسى وهو خاضع له يستعطفه على نفسه كي يقبله: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ وقد كان العالم يعلم أنّ موسى لا يصبر على علمه، فكذلك والله يا إسحاق بن عمّار حال قضاة هؤلاء وفقهائهم وجماعتهم اليوم لا يحتملون والله علمنا ولا يقبلونه ولا يطيقونه ولا يأخذون به ولا يصبرون عليه كما لم يصبر موسى على علم العالم حين صحبه، ورأى ما رأى من علمه، وكان ذلك عند موسى مكروهاً، وكان عند الله رضىً وهو الحقّ، وكذلك علمنا عند الجهلة مكروه لا يؤخذ وهو عند الله الحقّ[1].

٣٢ - شي: عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: إنّه لمّا كان من أمر موسى عليه السلام الّذي كان أُعطي مكتل فيه حوت مملّح، وقيل له: هذا يدلّك على صاحبك عند عين مجمع البحرين، لا يصيب منها شيء ميّتاً إلّا حيي، يقال لها الحياة، فانطلقا حتّى بلغا الصخرة فانطلق الفتى يغسل الحوت في العين فاضطرب في يده حتّى خدشه وانفلت منه، ونسيه الفتى، فلمّا جاوز الوقت الّذي وقّت فيه أعيا موسى وقال لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فلمّا أتاها وجد الحوت قد خرّ في البحر فاقتصّا الأثر حتّى أتيا صاحبهما في جزيرة من جزائر البحر، إمّا متّكئاً وإمّا جالساً في كساء له، فسلّم عليه موسى، فعجب من السلام وهو في أرض ليس فيها السلام، فقال: من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: أنت موسى بن عمران الّذي كلّمه الله تكليماً؟ قال: نعم، قال: فما حاجتك؟ قال: أتّبعك على أن تعلّمني ممّا علّمت رشداً، قال: إنّي وكلتُ بأمر لا تطيقه ووكلتَ بأمر لا أطيقه، وقد قال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٥٧ ح ٤٦ من سورة الكهف.

فحدّثه عن آل محمّد وعمّا يصيبهم حتّى اشتدّ بكاؤهما، ثم حدّثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه السلام وعن ولد فاطمة وذكر له من فضلهم وما أعطوا حتّى جعل يقول: يا ليتني من آل محمّد، وعن رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قومه وما يلقى منهم ومن تكذيبهم إيّاه، وتلا هذه الآية: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فإنّه أخذ عليهم الميثاق(١).

بيان: قوله: (وعن رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله) أي بعد الهجرة أو في الرجعة.

٣٣ - **شي:** عن عبد الرحمن بن سيّابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ موسى صعد المنبر وكان منبره ثلاث مراق، فحدّث نفسه أنّ الله لم يخلق خلقاً أعلم منه، فأتاه جبرئيل فقال له: إنّك قد ابتليت فانزل فإنّ في الأرض من هو أعلم منك فاطلبه، فأرسل إلى يوشع إنّي قد ابتليت فاصنع لنا زاداً وانطلق بنا، فاشترى حوتاً فخرج بآذربيجان ثمّ شواه ثمّ حمله في مكتل، ثمّ انطلقا يمشيان في ساحل البحر - والنبيّ إذا مرّ في مكان لم يعي أبداً حتّى يجوز ذلك الوقت - قال: فبينما هما يمشيان حتّى انتهيا إلى شيخ مستلقٍ معه عصاه موضوعة إلى جانبه، وعليه كساء إذا قنّع رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطّى رجليه خرج رأسه، قال: فقام موسى يصلّي، وقال ليوشع: احفظ عليّ، قال: فقطرت قطرة من السماء في المكتل فاضطرب الحوت ثمّ جعل يجرّ المكتل إلى البحر قال: وهو قوله: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ قال: ثمّ إنّه جاء طير فوقع على ساحل البحر ثمّ أدخل منقاره فقال: يا موسى ما أخذت من علم ربّك ما حمل ظهر منقاري من جميع البحر، قال: ثمّ قام فمشى فتبعه يوشع، فقال موسى لمّا أعيا حيث جاز الوقت فيه: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ إلى قوله: ﴿فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قال: فرجع موسى يقتصّ أثره حتّى انتهى إليه وهو على حاله مستلق، فقال له موسى: السلام عليك، فقال: وعليك السلام يا عالم بني إسرائيل، قال: ثمّ وثب فأخذ عصاه بيده، قال: فقال له موسى: إنّي قد أمرت أن أتّبعك على أن تعلّمني ممّا علّمت رشداً، فقال كما قصّ عليكم: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

قال: فانطلقا حتّى انتهيا إلى معبر فلمّا نظر إليهم أهل المعبر فقالوا: والله لا نأخذ من هؤلاء أجراً، اليوم نحملهم، فلمّا ذهبت السفينة وسط الماء خرقها، قال له موسى كما أخبرتم ثمّ قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣)﴾ قال: وخرجا على ساحل البحر فإذا غلام يلعب مع غلمان عليه قميص حرير أخضر، في أذنيه درّتان، فتورّكه العالم فذبحه، قال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

قال: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٥٥ ح ٤١ من سورة الكهف.

﴿يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ خبزاً نأكله فقد جعنا، قال: وهي قرية على ساحل البحر يقال لها ناصرة، وبها تسمّى النصارى نصارى، فلم يضيّفوهما ولا يضيّفون بعدهما أحداً حتّى تقوم الساعة. وكان مثل السفينة فيكم وفينا ترك الحسين البيعة لمعاوية، وكان مثل الغلام فيكم قول الحسن بن عليّ عليه السلام لعبدالله بن عليّ: لعنك الله من كافر، فقال له: قد قتلته يا أبا محمّد، وكان مثل الجدار فيكم عليّ والحسن والحسين عليهم السلام (١).

بيان: تورّك فلان الصبيّ: جعله على وركه معتمداً عليها، ذكره الفيروزآباديّ وأمّا كون ترك الحسين عليه السلام البيعة لمعاوية لعنه الله شبيهاً بخرق السفينة لأنّه عليه السلام بترك البيعة مهّد لنفسه المقدّسة الشهادة، وبها انكسرت سفينة أهل البيت صلوات الله عليهم وكان فيها مصالح عظيمة: منها ظهور كفر بني أميّة وجورهم على الناس، وخروج الخلق عن طاعتهم. ومنها: ظهور حقّيّة أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم إذ لو بايعه الحسين عليه السلام أيضاً لظنّ أكثر الناس وجوب متابعة خلفاء الجور وعدم كونهم عليهم السلام ولاة الأمر.

ومنها: أنّ بسبب ذلك صار من بعده من الأئمّة عليهم السلام آمنين مطمئنّين، ينشرون العلوم بين الناس، إلى غير ذلك من المصالح الّتي لا يعلمها غيرهم، ولو كان ما ذكره المؤرّخون من بيعته عليه السلام له أخيراً حقّاً كان المراد ترك البيعة ابتداءً؛ ولا يبعد أن يكون في الأصل يزيد بن معاوية فسقط الساقط الملعون هو وأبوه. وأمّا ما تضمّن من قول الحسن عليه السلام لعبدالله بن عليّ فيشكل توجيهه، لأنّه كان من السعداء الّذين استشهدوا مع الحسين صلوات الله عليه على ما ذكره المفيد وغيره، والقول بأنّه عليه السلام علم أنّه لو بقي بعد ذلك ولم يستشهد لكفر بعيدٌ.

والظاهر أن يكون عبيد الله مصغّراً بناءً على ما ذكره ابن إدريس، أنّه لم يستشهد مع الحسين عليه السلام ردّاً على المفيد، وذكر صاحب المقاتل وغيره أنّه صار إلى المختار فسأله أن يدعو إليه ويجعل الأمر له فلم يفعل، فخرج ولحق بمصعب بن الزبير فقتل في الوقعة وهو لا يعرف.

قوله: (فقال له) أي أمير المؤمنين عليه السلام (قد قتلته) أي سيقتل بسبب لعنك، أو هذا إخبار بأنّه سيقتل كما قتل الخضر الغلام لكفره. وأمّا مثل الجدار فلعلّ المراد أنّ الله تعالى كما حفظ العلم تحت الجدار للغلامين لصلاح أبيهما فكذلك حفظ العلم لصلاح عليّ والحسن والحسين عليهم السلام في أولادهم إلى أن يظهره القائم عليه السلام للخلق، أو حفظ الله علم الرسول صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين للحسنين صلوات الله عليهم فأقام عليّاً عليه السلام للخلافة بعد أن أصابه ما أصابه من المخالفين والله يعلم.

٣٤ - **شي:** عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: بينما

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٥٨ ح ٤٧ من سورة الكهف.

موسى قاعد في ملأ من بني إسرائيل إذ قال له رجل: ما أرى أحداً أعلم بالله منك، قال موسى: ما أرى، فأوحى الله إليه: بلى عبدي الخضر، فسأل السبيل إليه، وكان له آية الحوت إن افتقده، فكان من شأنه ما قصّ الله[١].

٣٥ - شي: عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان سليمان أعلم من آصف، وكان موسى أعلم من الّذي اتّبعه[٢].

٣٦ - شي: عن ليث بن سليم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: شكا موسى إلى ربّه الجوع في ثلاثة مواضع: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٣].

٣٧ - شي: عن إسماعيل بن أبي زياد، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن ابن عبّاس قال: ما وجدت للناس ولعليّ بن أبي طالب شبهاً إلاّ موسى وصاحب السفينة، تكلّم موسى بجهل، وتكلّم صاحب السفينة بعلم، وتكلّم الناس بجهل، وتكلّم عليّ بعلم[٤].

٣٨ - شي: عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ نجدة الحروريّ كتب إلى ابن عبّاس يسأله عن سبي الذراريّ، فكتب إليه: أمّا الذراريّ فلم يكن رسول الله يقتلهم، وكان الخضر يقتل كافرهم ويترك مؤمنهم، فإن كنت تعلم ما يعلم الخضر فاقتلهم[٥]!.

٣٩ - شي: عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: بينما العالم يمشي مع موسى إذا بغلام يلعب قال: فوكزه العالم فقتله، فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ قال: فأدخل العالم يده فاقتلع كتفه فإذا عليه مكتوب: كافر مطبوع[٦].

٤٠ - شي: عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه كان يقرأ ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ يعني أمامهم ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[٧].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: ويستعمل وراء بمعنى القدّام أيضاً على الاتّساع، لأنّها جهة مقابلة لجهة، فكأنّ كلّ واحدة من الجهتين وراء الأخرى.

٤١ - شي: عن حريز، عمّن ذكره، عن أحدهما أنّه قرأ: وكان أبواه مؤمنين وطبع كافراً[٨].

٤٢ - شي: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ خشي إن أدرك الغلام أن يدعو أبويه إلى الكفر فيجيبانه من فرط حبّهما له[٩].

---

(١) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦٠-٣٦١ ح ٤٨-٥١ من سورة الكهف.
(٦) - (٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦١ ح ٥٣-٥٤ من سورة الكهف.
(٨) - (٩) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦١-٣٦٣ ح ٥٥-٥٦ من سورة الكهف.

٤٣ - شي: عن عبد الله بن خالد رفعه قال: كان في كتف الغلام الّذي قتله العالم مكتوب: كافرٌ[1].

٤٤ - شي: عن محمّد بن عمر، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة، وإنّ الغلامين كان بينهما وبين أبويهما سبعمائة سنة[2].

٤٥ - شي: عن عثمان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قال: ولدت لهما جارية فولدت غلاماً فكان نبياً[3].

٤٦ - شي: عن الحسن بن سعيد اللّحميّ قال: ولدت لرجل من أصحابنا جارية فدخل على أبي عبد الله عليه السلام فرآه متسخّطاً لها، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أرأيت لو أنّ الله أوحى إليك: إنّي أختار لك أو تختار لنفسك؟ ما كنت تقول؟ قال: كنت أقول: يا ربّ تختار لي، قال: فإنّ الله قد اختار لك. ثمّ قال: إنّ الغلام الّذي قتله العالم حين كان مع موسى في قول الله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قال: فأبدلهما جارية ولدت سبعين نبياً[4].

٤٧ - شي: عن أبي يحيى الواسطيّ رفعه إلى أحدهما في قول الله: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قال أبدلهما مكان الابن بنتاً فولدت سبعين نبياً[5].

٤٨ - شي: عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كم من إنسان له حقّ لا يعلم به؟ قال: قلت: وما ذاك أصلحك الله؟ قال: إنّ صاحبي الجدار كان لهما كنز تحته، أما إنّه لم يكن ذهب ولا فضّة، قال: قلت فأيّهما كان أحقّ به؟ فقال: الأكبر، كذلك نقول[6].

٤٩ - شي: عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله ليفلح بفلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده ويحفظه في دويرته ودويرات حوله، فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله. ثمّ ذكر الغلامين فقال: وكان أبوهما صالحاً، ألم تر أنّ الله شكر صلاح أبويهما لهما[7].

٥٠ - شي: عن محمّد بن عمرو الكوفيّ، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الغلامين كان بينهما وبين أبيهما سبعمائة سنة[8].

٥١ - شي: عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ فقال: أما إنّه ما كان ذهباً ولا فضّة وإنّما كان أربع كلمات: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا؛ من أيقن بالموت لم يضحك سنّه؛ ومن أقرّ بالحساب لم يفرح قلبه؛ ومن آمن بالقدر لم يخش إلاّ ربّه[9].

---

(١) - (٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦١-٣٦٣ ح ٥٧-٦٣ من سورة الكهف.

(٨) - (٩) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦٥ ح ٧٠ و٦٦ من سورة الكهف.

كا: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن صفوان مثله[١].

٥٢ - من رياض الجنان أخذه من أربعين السيّد الحسين بن دحية بن خليفة الكلبيّ بإسناده عن عمّار بن خالد، عن إسحاق الأزرق، عن عبد الملك بن سليمان قال: وجد في ذخيرة أحد حواريّي المسيح رقّ فيه مكتوب بالقلم السريانيّ منقول من التوراة: إنّه لمّا تشاجر موسى والخضر عليه‌السلام في قصّة السفينة والغلام والجدار ورجع موسى إلى قومه سأله أخوه هارون عليه‌السلام عمّا استعلمه من الخضر عليه‌السلام وشاهده من عجائب البحر، قال: بينا أنا والخضر على شاطئ البحر إذ سقط بين أيدينا طائر أخذ في منقاره قطرةً ورمى بها نحو المشرق، وأخذ ثانية ورماها في المغرب، وأخذ ثالثة ورمى بها نحو السماء، ورابعة رماها إلى الأرض، ثمّ أخذ خامسة وعاد ألقاها في البحر، فبهتنا لذلك فسألت الخضر عليه‌السلام عن ذلك فلم يجب، وإذا نحن بصيّاد يصطاد فنظر إلينا وقال: ما لي أراكما في فكر وتعجّب من الطائر؟ قلنا: هو ذلك، قال: أنا رجل صيّاد قد علمت وأنتما نبيّان ما تعلمان؟ قلنا: ما نعلم إلاّ ما علّمنا الله، قال: هذا طائر في البحر يسمّى مسلم، لأنّه إذا صاح يقول في صياحه: مسلم؛ فأشار برمي الماء من منقاره إلى السماء والأرض والمشرق والمغرب إلى أنّه يبعث نبيّ بعدكما تملك أمّته المشرق والمغرب، ويصعد إلى السماء، ويدفن في الأرض؛ وأمّا رميه الماء في البحر يقول: إنّ علم العالم عند علمه مثل هذه القطرة، وورث علمه وصيّه وابن عمّه؛ فسكن ما كنّا فيه من المشاجرة، واستقلّ كلّ واحد منّا علمه بعد أن كنّا معجبين بأنفسنا، ثمّ غاب الصيّاد عنّا فعلمنا أنّه ملك بعثه الله تعالى إلينا ليعرّفنا حيث ادّعينا الكمال.

كنز: ذكر بعض أصحابنا من رواة الحديث في كتاب الأربعين رواية أسعد الإربليّ عن عمّار بن خالد مثله[٢].

تذنيب: قال السيّد المرتضى قدّس الله روحه: فإن قيل: كيف يجوز أن يتّبع موسى عليه‌السلام غيره ويتعلّم منه وعندكم أنّ النبيّ لا يجوز أن يفتقر إلى غيره؟ وكيف يجوز أن يقول له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ والاستطاعة عندكم هي القدرة، وقد كان موسى عليه‌السلام على مذهبكم قادراً على الصبر؟ وكيف قال موسى عليه‌السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ فاستثنى المشيّة في الصبر، وأطلق فيما ضمنه من طاعته واجتناب معصيته؟ وكيف قال: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ و﴿شَيْئًا نُّكْرًا﴾ وما أتى العالم منكراً على الحقيقة؛ وما معنى قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ وعندكم أنّ النسيان لا يجوز على الأنبياء؟ ولم نعت موسى عليه‌السلام النفس بأنّها زكية ولم تكن كذلك على الحقيقة؟ ولم قال: ﴿فَخَشِينَا﴾ فإن كان الّذي خشيه الله تعالى

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٦٢ باب فضل اليقين ح ٦.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة، ص ١٠٤ ح ٩ من سورة آل عمران.

ما ظنّه قوم فالخشية لا تجوز عليه تعالى، وإن كان هو الخضر فكيف يستبيح دم الغلام لأجل الخشية والخشية لا تقتضي علماً ولا يقيناً؟

قلنا: أمّا العالم الّذي نعته الله في هذه الآيات فلا يجوز إلاّ أن يكون نبيّاً فاصلاً وقد قيل: إنّه الخضر عليه السلام، وأنكر أبو عليّ ذلك وزعم أنّه ليس بصحيح، قال: لأنّ الخضر يقال: إنّه كان نبيّاً من أنبياء بني إسرائيل الّذين بعثوا بعد موسى عليه السلام، وليس يمتنع أن يكون الله تعالى قد أعلم هذا العالم ما لم يعلمه موسى عليه السلام وأرشد موسى عليه السلام إليه ليتعلّم منه، وإنّما المنكر أن يحتاج النبيّ في العلم إلى بعض رعيّته المبعوث إليهم، وأمّا أن يفتقر إلى غيره ممّن ليس له برعيّة فجائز، وما تعلّمه من هذا العالم إلاّ كتعلّمه من الملك الّذي يهبط إليه بالوحي، وليس في هذا دلالة على أنّه كان أفضل من موسى في العلم، لأنّه لا يمتنع أن يزيد موسى عليه السلام عليه في سائر العلوم الّتي هي أفضل وأشرف ممّا علمه.

وأمّا نفي الاستطاعة فإنّما أراد بها أنّ الصبر لا يخفّ عليك، وأنّه يثقل على طبيعتك، كما يقول أحدنا لغيره: إنّك لا تستطيع أن تنظر إليّ، وكما يقول للمريض الّذي يجهده الصوم وإن كان عليه قادراً: إنّك لا تستطيع الصيام ولا تطيقه، وربّما عبّر بالاستطاعة عن الفعل نفسه، كما قال الله تعالى حكاية عن الحواريّين: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾(١) فكأنّه على هذا الوجه قال له: إنّك لن تصبر ولن يقع منك الصبر وإن كان إنّما نفى القدرة على ما ظنّه الجهّال لكان العالم وهو في ذلك سواء، فلا معنى لاختصاصه بنفي الاستطاعة، والّذي يدلّ على أنّه إنّما نفى عنه الصبر لا الاستطاعة قول موسى عليه السلام في جوابه: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ ولم يقل: ستجدني إن شاء الله مستطيعاً، ومن حقّ الجواب أن يطابق الابتداء، فدلّ جوابه على أنّ الاستطاعة في الابتداء هي عبارة عن الفعل نفسه.

فأمّا قوله: ﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ فهو أيضاً مشروط بالمشيّة وليس بمطلق على ما ذكر في السؤال، فكأنّه قال: ستجدني صابراً ولا أعصي لك أمراً إن شاء الله، وإنّما قدّم الشرط على الأمرين جميعاً، وهذا ظاهر في الكلام. فأمّا قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ فقد قيل: إنّه أراد شيئاً عجباً؛ وقيل: إنّه أراد شيئاً منكراً؛ وقيل: إنّ الأمر أيضاً هو الداهية فكأنّه قال: جئت داهية، وقد ذهب بعض أهل اللّغة إلى أنّ الأمر مشتقّ من الكثرة من أمر القوم: إذا كثروا، وجعل عبارة عمّا كثر عجبه، وإذا حملت هذه اللّفظة على العجب فلا سؤال فيها، وإن حملت على المنكر كان الجواب عنها وعن قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ واحداً، وفي ذلك وجوه: منها أنّ ظاهر ما أتيته المنكر ومن يشاهده ينكره قبل أن يعرف علّته.

ومنها: أن يكون حذف الشرط فكأنّه أراد: إن كنت قتلته ظالماً لقد جئت شيئاً نكراً.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٢.

ومنها أنّه أراد أنّك أتيت أمراً بديعاً غريباً، فإنّهم يقولون فيما يستغربونه ويجهلون علّته: إنّه نكر ومنكر، وليس يمكن أن يدفع خروج الكلام مخرج الاستفهام والتقرير دون القطع، ألا ترى إلى قوله: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وإلى قوله: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ ومعلوم أنّه إن كان قصد بخرق السفينة إلى التغريق فقد أتى منكراً، وكذلك إن كان قتل النفس على سبيل الظلم.

فأمّا قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ فقد ذكر فيه وجوه ثلاثة:

أحدها أنّه أراد النسيان المعروف، وليس ذلك بعجب مع قصر المدّة، فإنّ الإنسان قد ينسى ما قرب زمانه لما يعرض له من شغل القلب وغير ذلك.

والوجه الثاني: أنّه أراد: لا تؤاخذني بما تركت، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[1] أي ترك، وقد روي هذا الوجه عن ابن عبّاس، عن أبيّ بن كعب، عن رسول الله ﷺ قال: قال موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ يقول: بما تركت من عهدك.

والوجه الثالث: أنّه أراد: لا تؤاخذني بما فعلته ممّا يشبه النسيان، فسمّاه نسياناً للمشابهة كما قال المؤذّن لإخوة يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[2] أي إنّكم تشبهون السرّاق، وكما يتأوّل الخبر الّذي يرويه أبو هريرة، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: كذب إبراهيم ثلاث كذبات: في قوله: سارة أختي، وفي قوله: بل فعله كبيرهم هذا، وفي قوله: إنّي سقيم؛ والمراد بذلك - إن كان هذا الخبر صحيحاً[3] - أنّه فعل ما ظاهره الكذب، وإذا حملنا هذه اللّفظة على غير النسيان الحقيقيّ فلا سؤال فيها، وإذا حملناها على النسيان في الحقيقة كان الوجه فيها أنّ النبيّ إنّما لا يجوز عليه النسيان فيما يؤدّيه أو في شرعه، أو في أمر يقتضي التنفير عنه، فأمّا فيما هو خارج عمّا ذكرناه فلا مانع من النسيان، ألا ترى أنّه إذا نسي أو سها في مأكله أو مشربه على وجه لا يستمرّ ولا يتّصل فينسب إلى أنّه مغفل أنّ ذلك غير ممتنع.

وأمّا وصف النفس بأنّها زكيّة فقد قلنا: إنّ ذلك خرج مخرج الاستفهام لا على سبيل الإخبار، وإذا كان استفهاماً فلا سؤال على هذا الموضع.

وقد اختلف المفسّرون في هذه النفس فقال أكثرهم: إنّه كان صبيّاً لم يبلغ الحلم، وإنّ الخضر وموسى عليه السلام مرّا بغلمان يلعبون فأخذ الخضر منهم غلاماً فأضجعه وذبحه بالسكّين، ومن ذهب إلى هذا الوجه يجب أن يحمل قوله: ﴿زَكِيَّةً﴾ على أنّه من الزكاء الّذي هو الزيادة والنماء، لا من الطهارة في الدين من قولهم: زكت الأرض يزكو إذا زاد ريعها، وذهب قوم إلى أنّه كان رجلاً بالغاً كافراً، ولم يكن يعلم موسى عليه السلام باستحقاقه للقتل فاستفهم عن حاله، ومن أجاب بهذا الجواب إذا سئل عن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ يقول: لا يمتنع تسمية الرجل بأنّه غلام على مذهب العرب وإن كان بالغاً.

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٥. (٢) سورة يوسف، الآية: ٧٠.

(٣) وهو غير صحيح لأن مصدره أبو هريرة ومعروف هذا الرجل بالكذب والوضع.

وأمّا قوله: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾[١] فالظاهر يشهد أنّ الخشية هي من العالم لا منه تعالى، والخشية ههنا قيل: إنّها العلم كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾[٢] وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾[٣] وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[٤] وكلّ ذلك بمعنى العلم، وعلى هذا الوجه كان يقول: إنّني علمت بإعلام الله تعالى لي أنّ هذا الغلام متي بقي كفر أبواه، ومتى قتل بقيا على إيمانهما، فصارت تبقيته مفسدة ووجب اخترامه، ولا فرق بين أن يميته الله تعالى وبين أن يأمر بقتله، وقد قيل: إنّ الخشية ههنا بمعنى الخوف الّذي لا يكون معه يقين ولا قطع، وهذا يطابق جواب من قال: إنّ الغلام كان كافراً مستحقّاً للقتل بكفره، وانضاف إلى استحقاقه ذلك بالكفر خشية إدخال أبويه في الكفر وتزيينه لهما؛ وقال قوم: إنّ الخشية ههنا هي الكراهية، يقول القائل: فرّقت بين الرجلين خشية أن يقتتلا، أي كراهية لذلك، وعلى هذا التأويل والوجه الّذي قلنا إنّه بمعنى العلم لا يمتنع أن يضاف الخشية إلى الله تعالى.

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ والسفينة البحريّة تساوي المال الجزيل، وكيف يسمّى مالكها بأنّه مسكين والمسكين عند قوم شرّ من الفقير؟ وكيف قال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ ومن كان وراءهم قد سلموا من شرّه ونجوا من مكروهه، وإنّما الحذر ممّا يستقبل؟

قلنا: أمّا قوله: ﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ ففيه غير وجه منها أنّه لم يعن بوصفهم بالمسكنة الفقر، وإنّما أراد عدم الناصر وانقطاع الحيلة كما يقال لمن له عدوّ يظلمه ويتهضّمه: إنّه مسكين ومستضعف وإن كان كثير المال واسع الحال، ويجري هذا المجرى ما روي عنه عليه السلام من قوله: مسكين مسكين رجل لا زوجة له. وإنّما أراد وصفه بالعجز وقلّة الحيلة وإن كان ذا مال واسع.

ووجه آخر وهو أنّ السفينة للبحريّ الّذي لا يتعيّش إلاّ بها ولا يقدر على التكسّب إلاّ من جهتها، كالدار الّتي يسكنها الفقير هو وعياله ولا يجد سواها فهو مضطرّ إليها ومنقطع الحيلة إلاّ منها، وإذا انضاف إلى ذلك أن يشاركه جماعة في السفينة حتّى يكون له فيها الجزء اليسير كان أسوأ حالاً وأظهر فقراً.

ووجه آخر أنّ لفظة المساكين قد قرئت بتشديد السين، وإذا صحّت هذه الرواية فالمراد بها البخلاء، وقد سقط السؤال.

فأمّا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ فهذه اللّفظة يعبر بها عن الأمام والخلف معاً فهي ههنا بمعنى الأمام، ويشهد بذلك قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ يعني من قدّامه وبين يديه، وقال الشاعر:

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم

ولا شبهة في أنّ المراد بجميع ذلك القدّام؛ وقال بعض أهل العربيّة: إنّما صلح أن يعبّر بالوراء عن الأمام إذا كان الشيء المخبر عنه بالوراء يعلم أنّه لا بدّ من بلوغه ثمّ سبقه وتخليفه.

ووجه آخر: أنّه يجوز أن يريد أن ملكاً ظالماً كان خلفهم وفي طريقهم عند رجوعهم على وجه لا انفكاك لهم منه ولا طريق لهم غير المرور به، فخرق السفينة حتّى لا يأخذها إذا عادوا عليه، ويمكن أن يكون وراءهم على وجه الاتباع والطلب، والله أعلم بمراده[1].

٥٣ - **مهج:** روي أنّ الخضر وإلياس يجتمعان في كلّ موسم فيفترقان عن هذا الدعاء وهو: بسم الله ما شاء الله لا قوّة إلاّ بالله، ما شاء الله كلّ نعمة فمن الله، ما شاء الله الخير كلّه بيد الله عزّ وجلّ، ما شاء الله لا يصرف السوء إلاّ الله[2].

٥٤ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الخضر لموسى عليه السلام: يا موسى إنّ أصلح يوميك الّذي هو أمامك، فانظر أيّ يوم هو، وأعدّ له الجواب فإنّك موقوف ومسؤول، وخذ موعظتك من الدهر فإنّ الدهر طويل قصير، فاعمل كأنّك ترى ثواب عملك ليكون أطمع لك في الأجر، فإنّ ما هو آت من الدنيا كما قد ولّى منها[3].

بيان: طويل أي دهر الموعظة وهو ما مضى من الدهور، أو العمر من جهة الموعظة قصير أي دهر العمل أو من جهته. وقوله: (فإنّ ما هو آت) لعلّه تعليل لرؤية ثواب العمل وتعجيل حلول أوانه.

أقول: سيأتي في أبواب وفاة الرسول ووفاة أمير المؤمنين صلّى الله عليهما مجيء الخضر لتعزية أهل البيت عليهم السلام، وفي أبواب أحوال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً مجيئه إليه عليه السلام.

وأقول: وجدت في كتاب مزار لبعض قدماء أصحابنا أنّه روي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه قال: حججت إلى بيت الله الحرام فوردنا عند نزولنا الكوفة، فدخلنا مسجد السهلة فإذا نحن بشخص راكع ساجد، فلمّا فرغ دعا بهذا الدعاء: «أنت الله لا إله إلاّ أنت» إلى آخر الدعاء، ثمّ نهض إلى زاوية المسجد فوقف هناك وصلّى ركعتين ونحن معه، فلمّا انفتل من الصلاة سبّح ثمّ دعا فقال: «اللّهمّ» إلى آخر الدعاء، ثمّ نهض فسألناه عن المكان فقال: إنّ هذا الموضع بيت إبراهيم الخليل الّذي كان يخرج منه إلى العمالقة. ثمّ مضى إلى الزاوية الغربيّة فصلّى ركعتين ثمّ رفع يديه وقال: «اللّهمّ» إلى آخر الدعاء، ثمّ قام ومضى إلى الزاوية الشرقيّة فصلّى ركعتين ثمّ بسط كفّيه وقال: «اللّهمّ» إلى آخر الدعاء، وعفّر خدّيه على الأرض وقام

---

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٨٥. (٢) مهج الدعوات، ص ٣٧١.

(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٦٠ باب محاسبة العمل ح ٢٢.

فخرج فسألناه بمَ يعرف هذا المكان؟ فقال: إنّه مقام الصالحين والأنبياء والمرسلين، قال: فاتّبعناه وإذا به قد دخل إلى مسجد صغير بين يدي السهلة فصلّى فيه ركعتين بسكينة ووقار كما صلّى أوّل مرّة ثمّ بسط كفّيه وقال: «إلهي» إلى آخر الدعاء، ثمّ بكى وعفّر خدّيه وقال: «ارحم من أساء واقترف واستكان واعترف» ثمّ قلب خدّه الأيسر ودعا ثمّ خرج فاتّبعته وقلت له: يا سيّدي بمَ يعرف هذا المسجد؟ فقال: إنّه مسجد زيد بن صوحان صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ غاب عنّا ولم نره. فقال لي صاحبي: إنّه الخضر عليه السلام.

٥٥ - وروى الديلميّ في كتاب أعلام الدين عن أبي أمامة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذات يوم لأصحابه: ألا أحدّثكم عن الخضر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: بينا هو يمشي في سوق من أسواق بني إسرائيل إذ بصر به مسكين فقال: تصدّق عليّ بارك الله فيك، قال الخضر: آمنت بالله، ما يقضي الله يكون، ما عندي من شيء أعطيكه، قال المسكين: بوجه الله لمّا تصدّقت عليّ إنّي رأيت الخير في وجهك ورجوت الخير عندك، قال الخضر: آمنت بالله إنّك سألتني بأمر عظيم ما عندي من شيء أعطيكه إلاّ أن تأخذني فتبيعني، قال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: الحقّ أقول لك إنّك سألتني بأمر عظيم، سألتني بوجه ربي عزّ وجلّ أما إنّي لا أخيّبك في مسألتي بوجه ربّي فبعني، فقدّمه إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم، فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء، فقال الخضر عليه السلام: إنّما ابتعتني التماس خدمتي فمرني بعمل، قال: إنّي أكره أن أشقّ عليك إنّك شيخ كبير، قال: لست تشق عليّ، قال: فقم فانقل هذه الحجارة - قال: وكان لا ينقلها دون ستّة نفر في يوم - فقام فنقل الحجارة في ساعته فقال له: أحسنت وأجملت وأطقت ما لم يطقه أحد قال: ثمّ عرض للرجل سفر فقال: إنّي أحسبك أميناً فاخلفني في أهلي خلافة حسنة، وإنّي أكره أن أشقّ عليك، قال: لست تشقّ عليّ، قال: فاضرب من اللّبن شيئاً حتّى أرجع إليك، قال: فخرج الرجل لسفره ورجع وقد شيّد بناءه، فقال له الرجل: أسألك بوجه الله ما حسبك وما أمرك؟ قال: إنّك سألتني بأمر عظيم بوجه الله عزّ وجلّ ، ووجه الله عزّ وجلّ أوقعني في العبوديّة وسأخبرك من أنا، أنا الخضر الّذي سمعت به، سألني مسكين صدقة ولم يكن عندي شيء أعطيه، فسألني بوجه الله عزّ وجلّ فأمكنته من رقبتي، فباعني فأخبرك أنّه من سئل بوجه الله عزّ وجلّ فرد سائله وهو قادر على ذلك وقف يوم القيامة ليس لوجهه جلد ولا لحم ولا دم إلاّ عظم يتقعقع، قال الرجل: شققت عليك ولم أعرفك قال: لا بأس أبقيت وأحسنت، قال: بأبي أنت وأمّي احكم في أهلي ومالي بما أراك الله عزّ وجلّ ، أم أخيّرك فأخلّي سبيلك؟ قال: أحبّ إليّ أن تخلّي سبيلي فأعبد الله على سبيله، فقال الخضر عليه السلام: الحمد لله الّذي أوقعني في العبوديّة فأنجاني منها[1].

(١) اعلام الدين، ص ٣٥٠.

١١ - باب ما ناجى به موسى عليه السلام ربه وما اوحى إليه من الحكم والمواعظ وما جرى بينه وبين إبليس لعنه الله، وفيه بعض النوادر

الآيات: النساء «٤»: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)﴾.

الأنعام «٦»: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ «١٤٦»، «وقال تعالى»: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ «١٥٤».

النحل «١٦»: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ «١١٨».

الإسراء «١٧»: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ «٢».

القصص «٢٨»: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ «٤٤» «وقال تعالى»: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ «٤٦».

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي بما ظلم اليهود أنفسهم بارتكاب المعاصي الّتي تقدّم ذكرها. وقوله: ﴿حَرَّمْنَا﴾ عمل في الباء، أي لمّا فعلوا ما فعلوا اقتضت المصلحة تحريم هذه الأشياء عليهم؛ وقيل: حرّم هذه الطيّبات على الظالمين منهم عقوبة على فعلهم، وهي ما بيّن في قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ الآية[1].

﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ قيل: هو كلّ ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل والنعام والاوزّ والبطّ، عن ابن عبّاس وغيره؛ وقيل: هو الإبل فقط؛ وقيل: يدخل فيه كلّ السباع والكلاب والسنانير وما يصطاد بظفره؛ وقيل: كلّ ذي مخلب من الطير، وكلّ ذي حافر من الدوابّ ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ﴾ أخبر سبحانه أنّه كان حرّم عليهم شحوم البقر والغنم من الثرب. وشحم الكلى وغير ذلك ممّا في أجوافها، واستثنى من ذلك فقال: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي من الشحم وهو اللحم السمين، فإنّه لم يحرم عليهم ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ أي ما حملته الحوايا من الشحم، والحوايا هي المباعر؛ وقيل: هي بنات اللّبن؛ وقيل: الأمعاء الّتي عليها الشحوم ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو شحم الجنب والألية لأنه على العصعص؛ وقيل: الألية لم تدخل

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٢٣٧.

في ذلك ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ أي حرّمنا ذلك عليهم عقوبة لهم بقتلهم الأنبياء وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس(١).

﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ أي تماماً على إحسان موسى، أي ليكمل إحسانه الّذي يستحقّ به كمال ثوابه في الآخرة، أو تماماً على المحسنين أو تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه؛ وقيل: أي تماماً على الّذي أحسن الله سبحانه إلى موسى بالنبوّة وغيرها من الكرامة؛ وقيل: تماماً للنعمة على إبراهيم ولجزائه على إحسانه في طاعة ربّه، وذلك من لسان الصدق الّذي سأل الله سبحانه أن يجعله له ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ ممّا يحتاج إليه الخلق ﴿وَهُدًى﴾ أي ودلالة على الحقّ والدين يهتدى بها في التوحيد والعدل والشرائع ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي نعمة على سائر المكلّفين ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ أي بجزائه(٢).

﴿مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ أي في سورة الأنعام.

﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ أي أمرناهم أن لا تتّخذوا من دوني معتمداً عليه ترجعون إليه في النوائب أو ربّاً تتوكّلون عليه(٣).

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمّد ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾ أي حاضراً بجانب الجبل الغربيّ أي في الجانب الغربيّ من الجبل الّذي كلّم الله فيه موسى؛ وقيل: بجانب الوادي الغربيّ ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أي عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه؛ وقيل: أي أخبرناه بأمرنا ونهينا؛ وقيل: أراد كلامه معه في وصف نبيّنا صلى الله عليه وآله ونبوّته ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي الحاضرين لذلك الأمر وبذلك المكان، فتخبر قومك به عن مشاهدة وعيان، ولكنّا أخبرناك به ليكون معجزة لك ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ أي ولم تكن حاضراً بناحية الجبل الّذي كلّمنا عليه موسى وناديناه: يا موسى خذ الكتاب بقوّة؛ وقيل: أراد بذلك المرّة الثانية الّتي كلّم الله فيها موسى حين اختار من قومه سبعين رجلاً ليسمعوا كلام الله ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي ولكنّ الله أعلمك ذلك وعرّفك إيّاه نعمة من ربّك أنعم بها عليك، وهو أن بعثك نبيّاً واختارك لإيتاء العلم بذلك معجزةً لك(٤).

١ - فس: أبي، عن ابن محبوب، عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من زرع حنطة في أرض فلم تزك أرضه وزرعه وخرج زرعه كثير الشعير فبظلم عمله في ملك رقبة الأرض، أو بظلم لمزارعه وأكرته، لأنّ الله يقول: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ يعني لحوم الإبل وشحوم البقر والغنم، هكذا أنزلها الله فاقرؤوها هكذا، وما كان الله ليحلّ شيئاً في كتابه ثمّ يحرّمه بعدما أحلّه، ولا

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٨٤.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٩٦.
(٣) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢١٨.
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٤٢.

يحرّم شيئاً ثمّ يحلّه بعدما حرّمه، قلت: وكذلك أيضاً قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾؟ قال: نعم، قلت: فقوله: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ قال: إنّ إسرائيل كان إذا أكل من لحم الإبل هيّج عليه وجع الخاصرة فحرّم على نفسه لحم الإبل، وذلك من قبل أن تنزل التوراة فلمّا نزلت التوراة لم يحرّمه ولم يأكله[1].

بيان: لعلّه عليه السلام قرأ (حَرَمْنا) بالتخفيف، أي جعلناهم محرومين، وتعديته بعلى لتضمين معنى السخط أو نحوه، واستدلّ عليه السلام على ذلك بأنّ ظلم اليهود كان بعد موسى عليه السلام ولم ينسخ شريعته إلاّ بشريعة عيسى، واليهود لم يؤمنوا به، فلا بدّ من أن يكون (حَرَمْنا) بالتخفيف أي سلبنا عنهم التوفيق حتّى ابتدعوا في دين الله، وحرّموا على أنفسهم الطيّبات الّتي كانت حلالاً عليهم افتراءً على الله، ولم أر تلك القراءة في الشواذّ أيضاً.

قوله عليه السلام: (ولم يأكله) أي موسى للنزاهة أو لاشتراك العلّة؛ ويمكن أن يقرأ يؤكّله على بناء التفعيل بأن يكون الضميران راجعين إلى الله تعالى أو بالتاء بإرجاعهما إلى التوراة، وبالياء يحتمل ذلك أيضاً، وعلى التاء يمكن أن يقرأ الثاني بالتخفيف بإرجاعهما إلى بني إسرائيل.

٢ - **فس:** ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ يعني تمّ له الكتاب لما أحسن[2].

٣ - **فس:** ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ يعني اليهود حرّم الله عليهم لحوم الطير، وحرّم عليهم الشحوم وكانوا يحبّونها إلاّ ما كان على ظهور الغنم أو في جانبه خارجاً من البطن، وهو قوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ يعني في الجنين ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ أي كان ملوك بني إسرائيل يمنعون فقراءهم من أكل لحم الطير والشحوم فحرّم الله ذلك عليهم ببغيهم على فقرائهم[3].

بيان: قال البيضاويّ: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ أو ما اشتمل على الأمعاء ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ هو شحم الألية لاتّصالها بالعصعص انتهى[4].

قوله: (يعني في الجنين) هذا مخالف للمشهور لكن لا يبعد عن أصل المعنى اللّغويّ قال الزجّاج: واحدها حاوية وحاوياً وحوية وهي ما تحوى في البطن فاجتمع واستدار، فالمراد استثناء الشحم المحيط بالجنين، أو الّذي في بطن الجنين، وفي بعض النسخ «في الجنبين» وهو أبعد من المعنى اللّغوي ممّا مرّ وإن ناسب سابقه في الجملة.

٤ - **لي:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن سهل، عن عبد العظيم الحسنيّ، عن أبي الحسن العسكريّ عليه السلام قال: لمّا كلّم الله عزّ وجلّ موسى بن عمران عليه السلام قال موسى: إلهي ما جزاء من شهد أنّي رسولك ونبيّك وأنك كلّمتني؟ قال: يا موسى تأتيه ملائكتي فتبشّره بجنّتي، قال

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٦٥. (٢) - (٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٢٧.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٥٨.

موسى: إلهي فما جزاء من قام بين يديك يصلّي؟ قال: يا موسى أباهي به ملائكتي راكعاً وساجداً وقائماً وقاعداً، ومن باهيت به ملائكتي لم أعذّبه. قال موسى: إلهي فما جزاء من أطعم مسكيناً ابتغاء وجهك؟ قال: يا موسى آمر منادياً ينادي يوم القيامة على رؤوس الخلائق أنّ فلان بن فلان من عتقاء الله من النار. قال موسى: إلهي فما جزاء من وصل رحمه؟ قال: يا موسى أنسيء له أجله وأهوّن عليه سكرات الموت ويناديه خزنة الجنّة: هلمّ إلينا فادخل من أيّ أبوابها شئت. قال موسى: إلهي فما جزاء من كفّ أذاه عن النّاس وبذل معروفه لهم؟ قال يا موسى: يناديه النّار يوم القيامة: لا سبيل لي عليك. قال: إلهي فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه؟ قال: يا موسى أظلّه يوم القيامة بظلّ عرشي وأجعله في كنفي. قال: إلهي فما جزاء من تلا حكمتك سرّاً وجهراً؟ قال: يا موسى يمرّ على الصّراط كالبرق. قال: إلهي فما جزاء من صبر على أذى الناس وشتمهم فيك؟ قال: أعينه على أهوال يوم القيامة، قال: إلهي فما جزاء من دمعت عيناه من خشيتك؟ قال: يا موسى أقي وجهه من حرّ النار، وأؤمنه يوم الفزع الأكبر. قال: إلهي فما جزاء من ترك الخيانة حياءً منك؟ قال: يا موسى له الأمان يوم القيامة. قال: إلهي فما جزاء من أحبّ أهل طاعتك؟ قال: يا موسى أحرّمه على ناري. قال: إلهي فما جزاء من قتل مؤمناً متعمّداً؟ قال: لا أنظر إليه يوم القيامة، ولا أقيل عثرته. قال: إلهي فما جزاء من دعا نفساً كافرة إلى الإسلام؟ قال: يا موسى آذن له في الشفاعة يوم القيامة لمن يريد، قال: إلهي فما جزاء من صلّى الصلوات لوقتها؟ قال: أعطيه سؤله وأبيحه جنّتي. قال: إلهي فما جزاء من أتمّ الوضوء من خشيتك؟ قال: أبعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه يتلألأ. قال: إلهي فما جزاء من صام شهر رمضان لك محتسباً؟ قال: يا موسى أقيمه يوم القيامة مقاماً لا يخاف فيه. قال: إلهي فما جزاء من صام شهر رمضان يريد به الناس؟ قال: يا موسى ثوابه كثواب من لم يصمه[1].

٥ - لي: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن ابن أبي نجران، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستانيّ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنّ في التوراة مكتوباً: يا موسى إنّي خلقتك واصطنعتك وقوّيتك وأمرتك بطاعتي ونهيتك عن معصيتي، فإن أطعتني أعنتك على طاعتي، وإن عصيتني لم أعنك على معصيتي، يا موسى ولي المنّة عليك في طاعتك لي، ولي الحجّة عليك في معصيتك لي[2].

٦ - لي: حمزة العلويّ، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستانيّ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: في التوراة مكتوب فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى خفني في سرّ أمرك أحفظك من وراء عورتك.

---

(١) الأمالي للصدوق، ص ١٧٣ مجلس ٣٧ ح ٨.

(٢) الأمالي للصدوق، ص ٢٥٤ مجلس ٥١ ح ٣.

واذكرني في خلواتك وعند سرور لذّاتك أذكرك عند غفلاتك، واملك غضبك عمّن ملّكتك عليه أكفّ عنك غضبي، واكتم مكنون سرّي في سريرتك، وأظهر في علانيتك المداراة عنّي لعدوّي وعدوك من خلقي، ولا تستسبّ لي عندهم بإظهارك مكنون سرّي فتشرك عدوّك وعدوّي في سبّي[١].

جا: أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن ابن محبوب مثله «ص ٢١٠ مجلس ٢٣ ح ٤٦».

ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن محمّد بن الحسين، عن ابن محبوب إلى قوله: من خلقي، يا موسى إنّي خلقتك واصطفيتك وقوّيتك وأمرتك بطاعتي، ونهيتك عن معصيتي، فإن أنت أطعتني أعنتك على طاعتي، وإن أنت عصيتني لم أعنك على معصيتي ولي عليك المنّة في طاعتك، ولي عليك الحجّة في معصيتك إيّاي، وقال: قال موسى: يا ربّ من يسكن حظيرة القدس؟ قال: الّذين لم تر أعينهم الزنى، ولم يخالط أموالهم الربى، ولم يأخذوا في حكمهم الرشى، وقد قال: يا موسى لا تستذلّ الفقير، ولا تغبط الغنيّ بالشيء اليسير[٢].

بيان: قوله تعالى: (أحفظك من وراء عورتك) العورة: العيب وكلّ ما يستحيى منه، أي أحفظك عن أن يصل النّاس إلى عورتك ويطّلعوا عليها، أو من أن تصل إليك العورات، أو بعد أن تكون متّصفاً بها أحفظك عن عقابها وأمثالها، والأوّل أظهر. قوله: (عند غفلاتك) أي بالحفظ عن المعاصي، أو بالمغفرة بعد صدورها. قوله تعالى: (ولا تستسبّ) أي لا تظهر عندهم أسراري فيسبّوني وتكون أنت سبباً لذلك.

٧ - لي: أبي عن سعد، عن ابن أبي الخطاب، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول: كان فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: يا ابن عمران كذب من زعم أنّه يحبّني فإذا جنّه اللّيل نام عنّي، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه؟ ها أنا ذا يا ابن عمران مطّلع على أحبّائي إذا جنّهم اللّيل حوّلت أبصارهم من قلوبهم، ومثّلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلّموني عن الحضور، يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع، ومن عينيك الدموع في ظلم اللّيل، وادعني فإنّك تجدني قريباً مجيباً[٣].

ايضاح: حوّلت أبصارهم من قلوبهم أي جعلت قلوبهم مشغولة بذكري بحيث لا تشتغل بما رأته الأبصار، أو لا تنظر أبصارهم إلى ما تشتهيه قلوبهم، ويحتمل أن يكون «من قلوبهم»

---

(١) الأمالي للصدوق، ص ٢١٠ مجلس ٤٤ ح ٦. (٢) قصص الأنبياء، ص ١٦٤.
(٣) الأمالي للصدوق، ص ٢٩٢ مجلس ٥٧ ح ١.

صفة أو حالاً لقوله: أبصارهم أي حوّلت أبصار قلوبهم عن النظر إلى غيري، ويؤيّده الفقرة الثانية[1].

٨ - يد، لي: ابن مسرور، عن ابن عامر، عن عمّه، عن ابن محبوب، عن مقاتل بن سليمان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لمّا صعد موسى عليه السلام إلى الطور فناجى ربّه عزّ وجلّ قال: يا ربّ أرني خزائنك، قال: يا موسى إنّما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له: كن فيكون[2].

مع: أبي وابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب مثله «ص ٤٠٢».

٩ - لي: ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن عمرو بن عثمان الخزّاز، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: قال موسى بن عمران عليه السلام: يا ربّ أوصني، قال: أوصيك بي، فقال: يا ربّ أوصني، قال: أوصيك بي - ثلاثاً - فقال: يا ربّ أوصني قال: أوصيك بأمّك، قال: يا ربّ أوصني، قال: أوصيك بأمّك، قال: أوصني، قال: أوصيك بأبيك، قال: فكان يقال لأجل ذلك: إنّ للأمّ ثلثا البرّ، وللأب الثلث[3].

١٠ - لي: ابن البرقيّ، عن أبيه، عن جدّه، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن أبي عبد الله الخيّاط، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى كن خلق الثوب، نقيّ القلب، حلس البيت، مصباح اللّيل، تعرف في أهل السماء، وتخفى على أهل الأرض يا موسى إيّاك واللّجاجة، ولا تكن من المشّائين في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، وابك على خطيئتك يا ابن عمران[4].

توضيح: قال الفيروزآباديّ: الحلس بالكسر: كساء على ظهر البعير تحت البرذعة، ويبسط في البيت تحت حرّ الثياب، وهو حلس بيته: إذا لم يبرح مكانه.

١١ - لي: بإسناده عن الحسن بن عليّ عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله - وساق الحديث الطويل إلى أن قال -: قال اليهوديّ فأخبرني عن خمسة أشياء مكتوبات في التوراة - وساقه إلى أن قال -: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أوّل ما في التوراة مكتوب:

---

(١) يمكن أن يقرأ الفعلان على بناء المعلوم والمجهول، والأول أظهر لأن التحويل والتمثيل إن كان من فعلهم فكان ذكر الفاعل أكمل وأدخل في مدحهم، فكان الأنسب: حولوا ومثلوا، وإن كان من فعله تعالى فبيان الفاعل أتم في معرض الامتنان إلا أن يقال: لما كان الغرض مدحهم أعرض تعالى عما فعل بهم من اللطف، واكتفى ببيان ما يتعلق بكمالهم فتدبر (منه رحمه الله).

(٢) التوحيد، ص ١٣٣، وأمالي الصدوق، ص ٤١٣ مجلس ٥٧ ح ٤.

(٣) - (٤) أمالي الصدوق، ص ٤١٣ مجلس ٥٧ ح ٥ و٦.

محمّد رسول الله، وهي بالعبرانيّة طاب، ثمّ تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ وفي السطر الثاني اسم وصيّي عليّ بن أبي طالب، وفي الثالث والرابع سبطيّ الحسن والحسين، وفي السطر الخامس أمّهما فاطمة سيّدة نساء العالمين، وفي التوراة اسم وصيّي إلياء، واسم السبطين شبّر وشبير وهما نورا فاطمة. قال اليهوديّ: صدقت يا محمّد[١].

١٢ - يه: بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: اسم النبيّ ﷺ في توراة موسى الحادّ وتأويله يحادّ من حادّ الله دينه قريباً كان أم بعيداً[٢].

١٣ - ف: مناجاة الله عزّ وجلّ لموسى بن عمران عليه السلام: يا موسى لا تطل في الدنيا أملك فيقسو قلبك، وقاسي القلب منّي بعيد، أمت قلبك بالخشية، وكن خلق الثياب، جديد القلب، تخفى على أهل الأرض وتعرف بين أهل السّماء، وصح إليّ من كثرة الذنوب صياح الهارب من عدوّه، واستعن بي على ذلك فإنّي نعم المستعان. يا موسى إنّي أنا الله فوق العباد والعباد دوني وكلّ لي داخرون، فاتّهم نفسك على نفسك، ولا تأمن ولدك على دينك إلاّ أن يكون ولدك مثلك يحبّ الصالحين. يا موسى اغسل واغتسل واقترب من عبادي الصالحين يا موسى كن إمامهم في صلاتهم وفيما يتشاجرون، واحكم بينهم بالحقّ بما أنزلت عليك، فقد أنزلته حكماً بيّناً، وبرهاناً نيّراً، ونوراً ينطق بما في الأوّلين وبما هو كائن في الآخرين. يا موسى أوصيك وصيّة الشفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم صاحب الأتان والبرنس والزيت والزيتون والمحراب، ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيّب الطاهر المطهّر، فمثله في كتابك أنّه مؤمن مهيمن على الكتب، وأنّه راكع ساجد راغب راهب إخوانه المساكين، وأنصاره قوم آخرون[٣]، وسيكون في زمانه أزل وزلازل وقتل، اسمه أحمد ومحمّد الأمين من الباقين الأوّلين، يؤمن بالكتب كلّها، ويصدّق جميع المرسلين[٤]، أمّته مرحومة مباركة، لهم ساعات موقّتات يؤذّنون فيها بالصلوات، فبه صدّق فإنّه أخوك. يا موسى إنّه أميني وهو عبد مصدق مبارك له فيما وضع يده عليه، ويبارك عليه، كذلك كان في علمي، وكذلك خلقته، به أفتح الساعة، وبأمّته أختم مفاتيح الدنيا[٥]، فمر ظلمة بني إسرائيل

---

(١) أمالي الصدوق، ص ١٦١ مجلس ٣٥ ح ١.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٤ ص ٧٠٥ كتاب الوصية ح ٥٤٠٥.

(٣) إذ لم يكن انصاره ﷺ من قريش ومن قومه فتأمل (منه رحمه الله).

(٤) أي بقي يحميهم أو يظهر صدقهم، لأنه يظهر صدق نفسه بالمعجزة، وينجر بصدقهم فيظهر صدقهم أيضاً، فتأمل. (منه رحمه الله).

(٥) أي بأمته ينقطع القتال والفتح، أو فتح جميع الأمور، وعلى التقديرين كناية عن اتصال أمته بالقيامة، والله أعلم. (منه رحمه الله).

أن لا يدرسوا اسمه ولا يخذلوه وإنّهم لفاعلون، وحبّه لي حسنة، وأنا معه وأنا من حزبه وهو من حزبي وحزبي هم الغالبون. يا موسى أنت عبدي وأنا إلهك، لا تستذلّ الحقير الفقير، ولا تغبط الغنيّ بشيء يسير، وكن عند ذكري خاشعاً، وعند تلاوة رحمتي طامعاً، فأسمعني لذاذة التوراة بصوت خاشع حزين، اطمئنّ عند ذكري، واعبدني ولا تشرك بي، إنّي أنا السيّد الكبير، إنّي خلقتك من نطفة من ماء مهين من طينة أخرجتها من أرض ذليلة ممسوحة فكانت بشراً فأنا صانعها خلقاً، فتبارك وجهي، وتقدّس صنعي، ليس كمثلي شيء، وأنا الحيّ الدائم لا أزول. يا موسى كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً، وناجني حين تناجيني بخشية من قلب وجل، وأحي بتوراتي أيّام الحياة، وأعلم الجاهلين محامدي، وذكّرهم آلائي ونعمي، وقل لهم: لا يتمادون في غيّ ما هم فيه، فإنّ أخذي أليمٌ شديدٌ.

يا موسى إن انقطع حبلك منّي لم يتّصل بحبل غيري، فاعبدني وقم بين يديّ مقام العبد الحقير، ذمّ نفسك وهي أولى بالذمّ، ولا تتطاول على بني إسرائيل بكتابي، فكفى بهذا واعظاً لقلبك ومنيراً، وهو كلام ربّ العالمين جلّ وتعالى(١).

يا موسى ما دعوتني وجدتني، فإنّي سأغفر لك على ما كان منك، السماء تسبّح لي وجلاً، والملائكة من مخافتي مشفقون، وأرضي تسبّح لي طمعاً، وكلّ الخلق يسبّحون لي داخرين، ثمّ عليك بالصلاة فإنّها منّي بمكان، ولها عندي عهد وثيق، وألحق بها ما منها زكاة القربان من طيّب المال والطعام فإنّي لا أقبل إلاّ الطيّب يراد به وجهي، اقرن مع ذلك صلة الأرحام، فإنّي أنا الله الرحمن الرحيم، والرحم إنّي خلقتها فضلاً من رحمتي ليتعاطف بها العباد ولها عندي سلطان في معاد الآخرة، وأنا قاطع من قطعها، وواصل من وصلها، وكذلك أفعل بمن ضيّع أمري.

يا موسى أكرم السائل إذا أتاك بردّ جميل أو إعطاء يسير، فإنّه يأتيك من ليس بإنس ولا جانّ، ملائكة الرحمن يبلونك كيف أنت صانع فيما أوليتك، وكيف مواساتك فيما خوّلتك، فاخشع لي بالتضرّع، واهتف بولولة الكتاب، واعلم أنّي أدعوك دعاء السيّد مملوكه ليبلغ به شرف المنازل، وذلك من فضلي عليك وعلى آبائك الأوّلين.

يا موسى لا تنسني على كلّ حال، ولا تفرح بكثرة المال فإنّ نسياني يقسي القلوب ومع كثرة المال كثرة الذنوب، الأرض مطيعة، والسماء مطيعة، والبحار مطيعة، فمن عصاني شقي، فأنا الرحمن رحمن كلّ زمان، آتي بالشدّة بعد الرخاء، وبالرخاء بعد الشدّة، وبالملوك بعد الملوك، وملكي قائم دائم لا يزول، ولا يخفى عليّ شيء في الأرض ولا في السّماء، وكيف يخفى عليّ ما منّي مبتدؤه؟! وكيف لا يكون همّك فيما عندي وإليّ ترجع لا

---

(١) يمكن أن يكون إشارة إلى ما قاله الحكماء في أن العلم بالعلة مستلزم للعلم بالمعلول ولكنه بعيد «منه رحمه الله».

محالة؟! يا موسى اجعلني حرزك، وضع عندي كنزك من الصالحات، وخفني ولا تخف غيري إليّ المصير.

يا موسى عجّل التوبة، وأخر الذنب، وتأنّ في المكث بين يديّ في الصلاة، ولا ترج غيري، اتّخذني جنّة للشدائد، وحصناً لملمّات الأمور.

يا موسى نافس في الخير أهله، فإنّ الخير كاسمه[1]، ودع الشرّ لكلّ مفتون.

يا موسى اجعل لسانك من وراء قلبك تسلم، وأكثر ذكري باللّيل والنهار تغنم، ولا تتّبع الخطايا فتندم، فإنّ الخطايا موعدها النار.

يا موسى أطب الكلام لأهل الترك للذنوب، وكن لهم جليساً، واتّخذهم لغيبك إخواناً، وجد معهم يجدون معك.

يا موسى ما أُريد به وجهي فكثير قليله، وما أُريد به غيري فقليل كثيره، وإنّ أصلح أيّامك الّذي هو أمامك، فانظر أيّ يوم هو فأعدّ له الجواب فإنّك موقوف ومسؤول، وخذ موعظتك من الدهر وأهله فإنّ الدهر طويله قصير، وقصيره طويل، وكلّ شيء فان، فاعمل كأنّك ترى ثواب عملك لكي يكون أطمع لك في الآخرة لا محالة، فإنّ ما بقي من الدنيا كما ولّى منها، وكلّ عامل يعمل على بصيرة ومثال، فكن مرتاداً لنفسك. يا ابن عمران لعلّك تفوز غداً يوم السؤال، وهنالك يخسر المبطلون.

يا موسى طب نفساً عن الدنيا وانطو عنها، فإنّها ليست لك ولست لها، ما لك ولدار الظالمين إلاّ لعامل فيها بخير فإنّها له نعم الدار.

يا موسى الدنيا وأهلها فتن بعضها لبعض، فكلٌّ مزيّن له ما هو فيه، والمؤمن زيّنت له الآخرة فهو ينظر إليها ما يفتر، قد حالت شهوتها بينه وبين لذّة العيش فأدلجته بالأسحار كفعل الراكب السابق إلى غايته، يظلّ كئيباً، ويمسي حزيناً، فطوبى له، لو قد كشف الغطاء ماذا يعاين من السرور؟!

يا موسى إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عجّلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين، ولا تكن جبّاراً ظلوماً، ولا تكن للظالمين قريناً.

يا موسى ما عمر وإن طال ما يذمّ آخره، وما ضرّك ما زوي عنك إذا حمدت مغبّته.

يا موسى صرخ الكتاب إليك صراخاً بما أنت إليه صائر، فكيف ترقد على هذا العيون أم كيف يجد قوم لذّة العيش لولا التمادي في الغفلة والتتابع في الشهوات، ومن دون هذا جزع الصدّيقون؟!

---

(١) يعني كما أن الخير يدل على الحسن، مسمّاه أيضاً حسن، أو كما الخير يدل على حسن الأمر، لأنه اسم تفضيل (منه رحمه الله).

يا موسى مر عبادي يدعوني على ما كان بعد أن يقرّوا بي أنّي أرحم الراحمين، أُجيب المضطرّين، وأكشف السوء، وأبدّل الزمان، وآتي بالرخاء، وأشكر اليسير، وأُثيب الكثير، وأغني الفقير، وأنا الدائم العزيز القدير، فمن لجأ إليك وانضوى إليك من الخاطئين فقل: أهلاً وسهلاً، بأرحب الفناء نزلت، بفناء ربّ العالمين، واستغفر لهم وكن كأحدهم، ولا تستطل عليهم بما أنا أعطيتك فضله، وقل لهم: فليسألوني من فضلي ورحمتي فإنّه لا يملكها أحد غيري، وأنا ذو الفضل العظيم، كهف الخاطئين، وجليس المضطرّين، ومستغفر للمذنبين، إنّك منّي بالمكان الرضيّ، فادعني بالقلب النقيّ، واللّسان الصادق، وكن كما أمرتك، أطع أمري، ولا تستطل على عبادي بما ليس منك مبتدؤه، وتقرّب إليّ فإنّي منك قريب، فإنّي لم أسألك ما يؤذيك ثقله ولا حمله، إنّما سألتك أن تدعوني فأُجيبك وأن تسألني فأُعطيك، وأن تتقرّب بما منّي أخذت تأويله وعليّ تمام تنزيله.

يا موسى انظر إلى الأرض فإنّها عن قريب قبرك، وارفع عينيك إلى السماء فإنّ فوقك فيها ملكاً عظيماً، وابك على نفسك ما كنت في الدنيا، وتخوّف العطب والمهالك ولا تغرّنّك زينة الدنيا وزهرتها، ولا ترض بالظلم ولا تكن ظالماً فإنّي للظالم بمرصد حتّى أُديل منه المظلوم.

يا موسى إنّ الحسنة عشرة أضعاف، ومن السيّئة الواحدة الهلاك، لا تشرك بي، لا يحلُّ لك أن تشرك بي، قارب وسدّد، ادع دعاء الطامع الراغب فيما عندي، النادم على ما قدّمت يداه، فإنّ سواد اللّيل يمحوه النهار، كذلك السيّئة تمحوها الحسنة، وعشوة اللّيل تأتي على ضوء النهار، وكذلك السيّئة تأتي على الحسنة فتسوّدها[1].

كا: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن عليّ بن عيسى رفعه قال: إنّ موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى فقال في مناجاته: يا موسى لا تطوّل في الدنيا أملك وذكر نحوه مع زيادات ستأتي مع شرحها في كتاب الروضة[2].

١٤ - **لي:** العطّار، عن سعد، عن الإصفهانيّ، عن المنقريّ، عن حفص قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاء إبليس إلى موسى بن عمران عليه السلام وهو يناجي ربّه، فقال له ملك من الملائكة: ما ترجو منه وهو في هذه الحال يناجي ربّه؟ فقال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنّة.

وكان فيما ناجاه الله تعالى به أن قال له: يا موسى لا أقبل الصلاة إلاّ ممّن تواضع لعظمتي، وألزم قلبه خوفي، وقطع نهاره بذكري، ولم يبت مصرًّا على الخطيئة، وعرف حقّ أوليائي وأحبّائي. فقال موسى: ربّ تعني بأحبّائك وأوليائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب؟

(١) تحف العقول، ص ٣٦٣.

(٢) روضة الكافي، الموجود مع الاصول، ص ٦٩٢ حديث موسى عليه السلام، ح ٨.

فقال عزّ وجلّ : هم كذلك يا موسى إلاّ أنّي أردت مَنْ مِنْ أجله خلقت آدم وحوّاء ومَن من أجله خلقت الجنّة والنار، فقال موسى عليه السلام : من هو يا ربّ؟ قال: محمّد أحمد، شققت اسمه من اسمي لأنّي أنا المحمود، فقال موسى: يا ربّ اجعلني من أمّته، قال: أنت يا موسى من أمّته إذا عرفته وعرفت منزلته ومنزلة أهل بيته، إنّ مثله ومثل أهل بيته فيمن خلقت كمثل الفردوس في الجنان، لا ييبس ورقها، ولا يتغيّر طعمها، فمن عرفهم وعرف حقّهم جعلت له عند الجهل علماً، وعند الظلمة نوراً، أجيبه قبل أن يدعوني، وأعطيه قبل أن يسألني.

يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عجّلت عقوبته، إنّ الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته، وجعلتها ملعونة ملعوناً ما فيها إلاّ ما كان فيها لي. يا موسى إنّ عبادي الصالحين زهدوا فيها بقدر علمهم بي، وسائرهم من خلقي رغبوا فيها بقدر جهلهم بي، وما من أحد من خلقي عظّمها فقرّت عينه، ولم يحقّرها أحد إلاّ انتفع بها.

ثمّ قال الصادق عليه السلام: إن قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا، وما عليك إن لم يثن عليك النّاس، وما عليك أنّ تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً، إنّ عليّاً عليه السلام كان يقول: لا خير في الدنيا إلاّ لأحد رجلين: رجل يزداد كلّ يوم إحساناً، ورجل يتدارك سيّئته بالتوبة وأنّى له بالتوبة؟ والله لو سجد حتّى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلاّ بولايتنا أهل البيت[1].

فس: أبي، عن الإصفهاني مثله، وفي آخره: ألا ومن عرف حقّنا ورجا الثواب فينا رضي بقوته نصف مدّ كلّ يوم، وما يستر عورته، وما أكنّ رأسه، وهم في ذلك والله خائفون وجلون[2].

مع: العطّار، عن سعد، عن الإصفهانيّ إلى قوله: قبل أن يسألني[3].

١٥ - **فس:** إنّ في التوراة مكتوب: أولياء الله يتمنّون الموت[4].

١٦ - **فس:** أبي، عن الإصفهانيّ، عن المنقريّ، عن حفص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في مناجاة الله تعالى لموسى عليه السلام: يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عجّلت عقوبته، فما فتح الله على أحد هذه الدنيا إلاّ بذنب لينسيه ذلك لذنب فلا يتوب فيكون إقبال الدنيا عليه عقوبة لذنوبه[5].

١٧ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن ابن مسكان، عن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ بني إسرائيل أتوا موسى عليه السلام فسألوه أن

(١) أمالي الصدوق، ص ٥٣٠ مجلس ٩٥ ح ٢.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٤٤.
(٣) معاني الأخبار، ص ٥٤ باب ٢٨ ح ١.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٦٦.
(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٠٧.

يسأل الله عزّ وجلّ أن يمطر السماء عليهم إذا أرادوا، ويحبسها إذا أرادوا، فسأل الله عزّ وجلّ ذلك لهم، فقال الله عزّ وجلّ : ذلك لهم يا موسى، فأخبرهم موسى فحرثوا ولم يتركوا شيئاً إلاّ زرعوه، ثمّ استنزلوا المطر على إرادتهم وحبسوه على إرادتهم، فصارت زروعهم كأنّها الجبال والآجام، ثمّ حصدوا وداسوا وذرّوا فلم يجدوا شيئاً، فضجّوا إلى موسى عليه السلام وقالوا: إنّما سألناك أن تسأل الله أن يمطر السماء علينا إذا أردنا فأجابنا، ثمّ صيّرها علينا ضرراً، فقال: يا ربّ إنّ بني إسرائيل ضجّوا ممّا صنعت بهم، فقال: وممّ ذاك يا موسى؟ قال: سألوني أن أسألك أن تمطر السماء إذا أرادوا، وتحبسها إذا أرادوا فأجبتهم، ثمّ صيّرتها عليهم ضرراً، فقال: يا موسى أنا كنت المقدّر لبني إسرائيل فلم يرضوا بتقديري فأجبتهم إلى إرادتهم فكان ما رأيت[١].

١٨ - ع، ن: المفسر بإسناده إلى أبي محمّد، عن آبائه، عن الرضا عليه السلام قال: لمّا بعث الله عزّ وجلّ موسى بن عمران عليه السلام واصطفاه نجيّاً وفلق له البحر ونجّى بني إسرائيل وأعطاه التوراة والألواح رأى مكانه من ربّه عزّ وجلّ فقال: يا ربّ لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي، فقال الله جلّ جلاله: يا موسى أما علمت أنّ محمّداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي؟ قال موسى: يا ربّ فإن كان محمّد أكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟ قال الله جلّ جلاله: يا موسى أما علمت أنّ فضل آل محمّد على جميع آل النبيّين كفضل محمّد على جميع المرسلين؟ فقال موسى: يا ربّ فإن كان آل محمّد كذلك فهل في أصحاب الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟ قال الله: يا موسى أما علمت أنّ فضل صحابة محمّد على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمّد على جميع آل النبيّين وفضل محمّد على جميع المرسلين؟ فقال موسى: يا ربّ فإن كان محمّد وأصحابه كما وصفت فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمّتي؟ ظلّلت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المنّ والسلوى وفلقت لهم البحر. فقال الله جلّ جلاله: يا موسى أما علمت أنّ فضل أمّة محمّد على جميع الأمم كفضله على جميع خلقي، فقال موسى: يا ربّ ليتني كنت أراهم، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى إنّك لن تراهم، فليس هذا أوان ظهورهم، ولكن سوف تراهم في الجنّات: جنّات عدن والفردوس بحضرة محمّد في نعيمها يتقلّبون، وفي خيراتها يتبحبحون، أفتحبّ أن أسمعك كلامهم؟ قال: نعم إلهي، قال الله جلّ جلاله: قم بين يديّ واشدد مئزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، ففعل ذلك موسى عليه السلام فنادى ربنا عزّ وجلّ : يا أمّة محمّد، فأجابوه كلّهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمّهاتهم: لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبّيك قال: فجعل

(١) الكافي، ج ٥ ص ٧٢٩ باب ١٥٧ ح ٢.

الله عزّ وجلّ تلك الإجابة منهم شعار الحجّ، ثمّ نادى ربّنا عزّ وجلّ : يا أمّة محمّد إنّ قضائي عليكم أنّ رحمتي سبقت غضبي، وعفوي قبل عقابي، فقد استجبت لكم من قبل أن تدعوني، وأعطيتكم من قبل أن تسألوني، من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله صادق في أقواله محقّ في أفعاله وأنّ عليّ بن أبي طالب أخوه ووصيّه من بعده ووليّه، ويلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمّد، وأنّ أولياءه المصطفين المطهّرين المبانين بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أولياؤه أدخلته جنّتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر، قال: فلمّا بعث الله عزّ وجلّ نبيّنا محمّداً صلّى الله عليه وآله قال: يا محمّد وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أمّتك بهذه الكرامة، ثمّ قال عزّ وجلّ لمحمّد صلّى الله عليه وآله : قل: الحمد لله ربّ العالمين على ما اختصّني به من هذه الفضيلة، وقال لأمّته: قولوا أنتم: الحمد لله ربّ العالمين على ما اختصّنا به من هذه الفضائل(١).

١٩ - **ل:** العطّار، عن أبيه، عن الحسين بن إسحاق التاجر، عن عليّ بن مهزيار عن فضالة، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى: لا تفرح بكثرة المال، ولا تدع ذكري على كلّ حال، فإنّ كثرة المال تنسي الذنوب، وترك ذكري يقسي القلوب(٢).

كا: عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ مثله(٣).

ص: بإسناده عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن الأهوازيّ، عن فضالة، عن السكونيّ مثله «ص ١٦٦».

٢٠ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مكتوب في التوراة الّتي لم تغيّر أنّ موسى سأل ربّه فقال: يا ربّ أقريب أنت منّي فأناجيك، أم بعيدٌ فأناديك؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى أنا جليس من ذكرني، فقال موسى: فمن في سترك يوم لا ستر إلاّ سترك؟ قال: الّذين يذكرونني فأذكرهم، ويتحابّون فيّ فأحبّهم، فأولئك الّذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم(٤).

٢١ - **كا:** بهذا الإسناد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مكتوب في التوراة الّتي لم تغيّر أنّ موسى سأل ربّه فقال: إلهي إنّه يأتي عليّ مجالس أعزّك وأجلّك أن أذكرك فيها، فقال: يا موسى إنّ ذكري حسن على كلّ حال(٥).

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٢١ باب ١٥٧ ح ٣، وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٥٥ باب ٢٨ ح ٣٠.
(٢) الخصال، ص ٣٩ باب الاثنين ح ٢٣.
(٣) - (٥) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٧٨ باب ما يجب من ذكر الله ح ٧ و٤ و٨.

٢٢ - كا: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن ابن فضّال، عن بعض أصحابه، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ لموسى أكثر ذكري باللّيل والنهار، وكن عند ذكري خاشعاً، وعند بلائي صابراً، واطمئنّ عند ذكري، واعبدني ولا تشرك بي شيئاً إليّ المصير. يا موسى اجعلني ذخرك، وضع عندي كنزك من الباقيات الصالحات[1].

٢٣ - وبإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ لموسى: اجعل لسانك من وراء قلبك تسلم، وأكثر ذكري باللّيل والنهار، ولا تتبع الخطيئة في معدنها فتندم، فإنّ الخطيئة موعد أهل النار[2].

٢٤ - وبإسناده قال: كان فيما ناجى الله تعالى به موسى قال: يا موسى لا تنسني على كلّ حال، فإنّ نسياني يميت القلب[3].

٢٥ - ل: محمّد بن أحمد الأسديّ المعروف بابن جرادة، عن أحمد بن محمّد العامريّ، عن هارون بن سعيد الأيليّ، عن عبد الله بن وهب، عن جويبر، عن الضحّاك، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ ناجى موسى بن عمران عليه السلام بمائة ألف كلمة وأربعة وعشرين ألف كلمة في ثلاثة أيّام ولياليهنّ، ما طعم فيها موسى، ولا شرب فيها، فلمّا انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلام الآدميّين مقتهم لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله عزّ وجلّ[4].

٢٦ - ل: القطّان، عن أحمد الهمدانيّ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن ثابت بن أبي صفيّة، عن سعد الخفّاف، عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام: يا موسى احفظ وصيّتي لك بأربعة أشياء: أولاهنّ: ما دمت لا ترى ذنوبك تغفر فلا تشتغل بعيوب غيرك. والثانية: ما دمت لا ترى كنوزي قد نفدت فلا تغتمّ بسبب رزقك. والثالثة: ما دمت لا ترى زوال ملكي فلا ترج أحداً غيري، والرابعة: مادمت لا ترى الشيطان ميّتاً فلا تأمن مكره[5].

ضه: عنه عليه السلام مثله «ص ٣٨٢».

٢٧ - ن: بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى عليه السلام سأل ربّه عزّ وجلّ فقال: يا ربّ اجعلني من أمّة محمّد، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى إنّك لا تصل إلى ذلك[6].

---

(١) - (٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٧٨ باب ما يجب من ذكر الله ح ٧ و٤ و٨-١١.

(٤) الخصال، ص ٦٤١ باب ما بعد الألف ح ٢٠.

(٥) الخصال، ص ٢١٧ باب الأربعة، ح ٤١.

(٦) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٣٥ باب ٣١ ح ٤٧.

٢٨ - ن: بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ليس في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلاّ وهي في التوراة «يا أيّها الناس» وفي خبر آخر: «يا أيّها المساكين»(١).

٢٩ - ن: بهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى بن عمران عليه السلام سأل ربّه عزّ وجلّ وقال: يا ربّ أبعيد أنت منّي فأناديك؟ أم قريب فأناجيك؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى بن عمران أنا جليس من ذكرني(٢).

٣٠ - ن: بهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى بن عمران عليه السلام سأل ربّه عزّ وجلّ فقال: يا ربّ إنّ أخي هارون مات فاغفر له، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى لو سألتني في الأوّلين والآخرين لأجبتك ما خلا قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام فإنّي أنتقم له من قاتله(٣).

٣١ - كا: عليّ، عن أبيه ومحمّد بن إسماعيل عن الفضل جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: ما يمنعك من مناجاتي؟ فقال: يا ربّ أجلّك عن المناجاة لخلوف فم الصائم، فأوحى الله إليه: يا موسى لخلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك(٤).

٣٢ - عدة: روى شعيب الأنصاريّ وهارون بن خارجة قالا: قال أبو عبد الله عليه السلام إنّ موسى عليه السلام انطلق ينظر في أعمال العباد فأتى رجلاً من أعبد النّاس فلمّا أمسى حرّك الرجل شجرة إلى جنبه فإذا فيها رمّانتان، قال: فقال: يا عبد الله من أنت؟ إنّك عبد صالح، أنا ههنا منذ ما شاء الله ما أجد في هذه الشجرة إلاّ رمّانة واحدة، ولولا أنّك عبد صالح ما وجدت رمّانتين، قال: أنا رجل أسكن أرض موسى بن عمران، قال: فلمّا أصبح قال: تعلم أحداً أعبد منك؟ قال: نعم فلان الفلانيّ، قال: فانطلق إليه فإذا هو أعبد منه كثيراً، فلمّا أمسى أوتي برغيفين وماء، فقال: يا عبد الله من أنت؟ إنّك عبد صالح، أنا ههنا منذ ما شاء الله وما أوتى إلاّ برغيف واحد، ولولا أنّك عبد صالح ما أوتيت برغيفين، فمن أنت؟ قال: أنا رجل أسكن أرض موسى بن عمران، ثمّ قال موسى: هل تعلم أحداً أعبد منك؟ قال: نعم فلان الحدّاد في مدينة كذا وكذا، قال: فأتاه فنظر إلى رجل ليس بصاحب عبادة، بل إنّما هو ذاكر لله تعالى، وإذا دخل وقت الصلاة قام فصلّى، فلمّا أمسى نظر إلى غلّته فوجدها قد أضعفت، قال: يا عبد الله من أنت؟ إنّك عبد صالح، أنا ههنا منذ ما شاء الله، غلّتي قريب بعضها من

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٤٣ باب ٣١ ح ١١٩.
(٢) - (٣) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٥١ باب ٣١ ح ١٧٥ و١٧٩.
(٤) الكافي، ج ٤ ص ٣٣١ باب ٤٤ ح ١٣.

بعض والليلة قد أضعفت، فمن أنت؟ قال: أنا رجل أسكن أرض موسى بن عمران، قال: فأخذ ثلث غلته فتصدق بها، وثلثاً أعطى مولىً له، وثلثاً اشترى به طعاماً فأكل هو وموسى، قال: فتبسم موسى عليه السلام، فقال: من أيّ شيء تبسمت؟ قال: دلني نبيّ بني إسرائيل على فلان فوجدته من أعبد الخلق، فدلني على فلان فوجدته أعبد منه، فدلني فلان عليك وزعم أنك أعبد منه ولست أراك شبه القوم، قال: أنا رجل مملوك، أليس تراني ذاكراً لله؟ أوليس تراني أصلّي الصلاة لوقتها؟ وإن أقبلت على الصلاة أضررت بغلّة مولاي وأضررت بعمل النّاس، أتريد أن تأتي بلادك؟ قال: نعم، قال: فمرّت به سحابة فقال الحدّاد: يا سحابة تعالي، قال: فجاءت، قال: أين تريدين؟ قالت: أريد أرض كذا وكذا، قال: انصرفي، ثمّ مرّت به أخرى، فقال: يا سحابة تعالي، فجاءته، فقال: أين تريدين؟ قالت: أريد أرض كذا وكذا، قال: انصرفي، ثمّ مرّت به أخرى، فقال: يا سحابة تعالي، فجاءته، فقال: أين تريدين؟ قالت: أريد أرض موسى بن عمران، قال: فقال: احملي هذا حمل رفيق، وضعيه في أرض موسى بن عمران وضعاً رفيقاً، قال: فلمّا بلغ موسى عليه السلام بلاده قال: يا ربّ بما بلّغت هذا ما أرى؟ قال: إنّ عبدي هذا يصبر على بلائي ويرضى بقضائي ويشكر نعمائي[(١)].

٣٣ - يد، ن: الأشنانيّ، عن عليّ بن مهرويه، عن الفرّاء، عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى بن عمران عليه السلام لمّا ناجى ربّه عزّ وجلّ قال: يا ربّ أبعيد أنت منّي فأناديك، أم قريب فأناجيك؟ فأوحى الله جلّ جلاله إليه: أنا جليس من ذكرني، فقال موسى عليه السلام: يا ربّ إنّي أكون في حال أجلّك أن أذكرك فيها، فقال: يا موسى اذكرني على كلّ حال[(٢)].

٣٤ - ج، ن، يد: عن الحسن بن محمّد النوفليّ، عن الرضا عليه السلام أنّه قال لرأس الجالوت: يا يهوديّ أسألك بالعشر الآيات الّتي أنزلت على موسى بن عمران هل تجد في التوراة مكتوباً نبأ محمّد وأمّته: «إذا جاءت الأمّة الأخيرة أتباع راكب البعير، يسبّحون الربّ جدًّا جدًّا، تسبيحاً جديداً، في الكنائس الجدد، فليفزع بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم لتطمئنّ قلوبهم، فإنّ بأيديهم سيوفاً ينتقمون بها من الأمم الكافرة في أقطار الأرض» أهكذا هو في التوراة مكتوب؟ قال رأس الجالوت: نعم، إنّا لنجده كذلك، ثمّ قال عليه السلام: يا يهوديّ إنّ موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم: إنّه سيأتيكم نبيّ من إخوانكم فبه فصدّقوا، ومنه فاسمعوا، فهل تعلم أنّ لبني إسرائيل إخوة غير ولد إسماعيل إن كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل، والسبب الّذي بينهم من قبل إبراهيم عليه السلام؟ فقال رأس الجالوت: هذا قول موسى لا ندفعه، فقال له الرضا عليه السلام: أفليس قد صحّ هذا عندكم؟ قال: نعم، ولكنّي أحبّ

(١) عدة الداعي، ص ٢٥٠.

(٢) التوحيد، ص ١٨٢، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١١٦ باب ١١ ح ٢٢.

أن تصحّحه لي من التوراة، فقال له الرضا عليه السلام: هل تنكر أنّ التوراة تقول لكم: «جاء النور من جبل طور سيناء، وأضاء لنا من جبل ساعير، واستعلن علينا من جبل فاران» فالنور من قبل طور سيناء وحي الله الّذي أنزله على موسى، وجبل ساعير هو الّذي أوحى الله عزّوجلّ إلى عيسى عليه السلام وهو عليه، وأمّا جبل فاران فذلك من جبال مكّة بينه وبينها يوم[1].

أقول: قد مرّ تمام الخبر بشرحه وسنده في كتاب الاحتجاجات.

٣٥ - **ما:** المفيد، عن ابن قولويه، عن الكلينيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن اليقطينيّ عن يونس، عن محمّد بن زياد، عن رفاعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أربع في التوراة وإلى جنبهنّ أربع: من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح على ربّه ساخطاً، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فإنّما يشكو ربّه، ومن أتى غنياً فتضعضع له ليصيب من دنياه فقد ذهب ثلثا دينه، ومن دخل النار ممّن قرأ القرآن فإنّما هو ممّن كان يتّخذ آيات الله هزواً. والأربع الّتي إلى جنبهنّ: كما تدين تدان، ومن ملك استأثر، ومن لم يستشر ندم، والفقر هو الموت الأكبر[2].

جا: أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن رفاعة مثله[3].

٣٦ - **ما:** المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسين ابن سعيد، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فيما أوحى الله جلّ وعز إلى موسى بن عمران: يا موسى ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من عبدي المؤمن، وإنّي إنّما ابتليته لما هو خير له، وأعافيه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عبدي عليه، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، أكتبه في الصدّيقين عندي إذا عمل برضائي وأطاع أمري[4].

٣٧ - **ثو:** أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن أبي أيّوب، عن الوصّافيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان فيما ناجى الله به موسى عليه السلام على الطور: أن يا موسى أبلغ قومك أنّه ما يتقرّب إليّ المتقرّبون بمثل البكاء من خشيتي، وما تعبّد لي المتعبّدون بمثل الورع عن محارمي، وما تزيّن لي المتزيّنون بمثل الزهد في الدنيا عمّا بهم الغنى عنه، قال: فقال موسى: يا أكرم الأكرمين فماذا أثبتهم على ذلك؟ فقال: يا موسى أمّا المتقرّبون إليّ بالبكاء من خشيتي فهم في الرفيق الأعلى لا يشركهم فيه أحد، وأمّا المتعبّدون لي بالورع عن محارمي فإنّي أفتّش الناس عن أعمالهم ولا أفتّشهم حياءً منهم، وأمّا المتقرّبون إليّ

(١) الاحتجاج، ص ٤١٩، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٤٥ باب ١٢ ح ١، والتوحيد ص ٤٢٤.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٢٢٩ مجلس ٨ ح ٤٠٤.
(٣) أمالي المفيد، ص ١٨٨ مجلس ٢٣ ح ١٥.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٢٣٨ مجلس ٩ ح ٤٢١.

بالزهد في الدنيا فإنّي أبيحهم الجنّة بحذافيرها يتبوّؤون منها حين يشاؤون[1].

٣٨ – أعلام الدين للديلميّ من كتاب المؤمن تصنيف الحسين بن سعيد بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا موسى عليه السلام يمشي على ساحل البحر إذ جاء صيّاد فخرّ للشمس ساجداً وتكلّم بالشرك، ثمّ ألقى شبكته فخرجت مملوءة، ثمّ ألقاها فخرجت مملوءة، ثمّ أعادها فخرجت مملوءة فمضى، ثمّ جاء آخر فتوضّأ وصلّى وحمد الله وأثنى عليه ثمّ ألقى شبكته فلم يخرج شيئاً، ثمّ أعاد فخرجت سمكة صغيرة فحمد الله وأثنى عليه وانصرف، فقال موسى عليه السلام: يا ربّ عبدك الكافر تعطيه مع كفره، وعبدك المؤمن لم تخرج له غير سمكة صغيرة؟ فأوحى الله إليه انظر عن يمينك، فكشف له عمّا أعدّ الله لعبده المؤمن، ثمّ قال: انظر عن يسارك فكشف له عمّا أعد الله للكافر فنظر، ثمّ قال: يا موسى ما نفع هذا الكافر ما أعطيته، ولا ضرّ هذا المؤمن ما منعته، فقال موسى: يا ربّ يحقّ لمن عرفك أن يرضى بما صنعت[2].

ورواه الحسن بن سليمان في كتاب المحتضر من كتاب الشفاء والجلاء بإسناده، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه مثله.

٣٩ – **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عمّن ذكره عن درست، عمّن ذكره عنهم عليهم السلام قال: بينما موسى جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان فوضعه ودنا من موسى وسلّم، فقال له موسى: من أنت؟ قال: إبليس، قال: لا قرّب الله دارك، لماذا البرنس؟ قال: أختطف به قلوب بني آدم، فقال له موسى عليه السلام: أخبرني بالذنب الّذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال: ذلك إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في نفسه ذنبه، وقال: يا موسى لا تخل بامرأة لا تحلّ لك فإنّه لا يخلو رجل بامرأة لا تحلّ له إلاّ كنت صاحبه دون أصحابي، فإيّاك أنّ تعاهد الله عهداً فإنّه ما عاهد الله أحدٌ إلاّ كنت صاحبه دون أصحابي حتّى أحول بينه وبين الوفاء به، وإذا هممت بصدقة فأمضها فإذا همّ العبد بصدقة كنت صاحبه دون أصحابي حتّى أحول بينه وبينها[3].

بيان: قوله لعنه الله: (كنت صاحبه) يعني أغتنم إغواءه وأهتمّ به بحيث لا أكله إلى أصحابي وأعواني، بل أتولّى إضلاله بنفسي.

٤٠ – **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد ابن سنان، عن مقرن إمام بني فتيان، عمّن روى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في زمن موسى عليه السلام ملك جبّار قضى حاجة مؤمن بشفاعة عبد صالح، فتوفّي في يوم الملك الجبّار والعبد الصالح، فقام على الملك الناس وأغلقوا أبواب السوق لموته ثلاثة أيّام، وبقي ذلك

(١) ثواب الأعمال، ص ٢٠٦. (٢) اعلام الدين، ص ٤٣٣.

(٣) قصص الأنبياء، ص ١٥٣-١٥٤.

العبد الصالح في بيته، وتناولت دوابّ الأرض من وجهه، فرآه موسى بعد ثلاث، فقال: يا ربّ هو عدوّك وهذا وليّك! فأوحى الله إليه يا موسى إنّ وليّي سأل هذا الجبّار حاجة فقضاها له فكافأته عن المؤمن، وسلّطت دوابّ الأرض على محاسن وجه المؤمن لسؤاله ذلك الجبّار[1].

٤١ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير عن أبي بصير، عن أبي عبد الله صاحب السابريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى اشكرني حقّ شكري، فقال: يا ربّ كيف أشكرك حقّ شكرك وليس من شكر أشكرك به إلاّ وأنت أنعمت به عليّ؟ فقال: يا موسى شكرتني حقّ شكري حين علمت أنّ ذلك منّي[2].

٤٢ - **سن:** أبي، عن جعفر بن محمّد، عن القدّاح، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: قال موسى بن عمران عليه السلام: يا ربّ من أهل الّذين تظلّهم في ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلاّ ظلّك؟ قال: فأوحى الله إليه: الطاهرة قلوبهم، والتربة أيديهم، الّذين يذكرون جلالي إذا ذكروا ربّهم، الّذين يكتفون بطاعتي كما يكتفي الصبيّ الصغير باللّبن، الّذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي النسور إلى أوكارها، والّذين يغضبون لمحارمي إذا استحلّت مثل النمر إذا حرد[3].

بيان: التربة أيديهم بكسر الراء أي الفقراء، قال الجزريّ: ترب الرجل: إذا افتقر، أي لصق بالتراب. وقال الفيروزآباديّ: حرد كضرب وسمع: غضب.

٤٣ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عمرو بن عثمان، عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أحببني وحبّبني إلى خلقي، قال موسى: يا ربّ إنّك لتعلم أنّه ليس أحد أحبّ إليّ منك، فكيف لي بقلوب العباد؟ فأوحى الله إليه: فذكّرهم نعمتي وآلائي، فإنّهم لا يذكرون منّي إلاّ خيراً، فقال موسى: يا ربّ رضيت بما قضيت، تميت الكبير، وتبقي الأولاد الصغار، فأوحى الله إليه: أما ترضى بي رازقاً وكفيلاً؟ فقال: بلى يا ربّ نعم الوكيل ونعم الكفيل[4].

٤٤ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن الحجّال، عن العلاء، عن محمّد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ موسى عليه السلام سأل ربّه أن يعلمه زوال الشمس، فوكّل الله بها ملكاً فقال: يا موسى قد زالت الشمس، فقال موسى: متى؟ فقال: حين أخبرتك وقد سارت خمس مائة عام[5].

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٥٣-١٥٤.
(٢) قصص الأنبياء، ص ١٦١.
(٣) المحاسن، ص ١٦.
(٤) - (٥) قصص الأنبياء، ص ١٦١.

٤٥ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن الإصبهانيّ، عن المنقريّ، عن حفص بن غياث، عن الصادق عليه السلام قال: بينا موسى بن عمران يعظ أصحابه إذ قام رجل فشقّ قميصه، فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا موسى قل له: لا تشقّ قميصك، ولكن اشرح لي عن قلبك. ثمّ قال: مرّ موسى بن عمران برجل من أصحابه وهو ساجد فانصرف من حاجته وهو ساجد على حاله، فقال له موسى: لو كانت حاجتك بيدي لقضيتها لك، فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا موسى لو سجد حتّى ينقطع عنقه ما قبلته حتّى يتحول عمّا أكره إلى ما أحب(١).

٤٦ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق عن أبيه، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن حمزة بن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى موسى إنّه ما يتقرّب إليّ عبد بشيء أحبّ إليّ من ثلاث خصال، فقال موسى: وما هي يا ربّ؟ قال: الزهد في الدنيا، والورع عن محارمي، والبكاء من خشيتي، فقال موسى: فما لمن صنع ذلك؟ فقال: أمّا الزاهدون في الدنيا فأحكّمهم في الجنّة، وأمّا الورعون عن محارمي فإنّي أفتش النّاس ولا أفتشهم، وأمّا البكّاؤون من خشيتي ففي الرفيق الأعلى لا يشركهم فيه أحد(٢).

٤٧ - **ين:** عثمان بن عيسى، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله أوحى إلى موسى عليه السلام إنّ بعض أصحابك ينمّ عليك فاحذره، فقال: يا ربّ لا أعرفه فأخبرني به حتّى أعرفه، فقال: يا موسى عبت عليه النميمة وتكلّفني أن أكون نمّاماً؟ قال: يا ربّ فكيف أصنع؟ قال الله تعالى فرّق أصحابك عشرة عشرة، ثمّ تقرع بينهم فإنّ السهم يقع على العشرة الّتي هو فيهم، ثمّ تفرّقهم وتقرع بينهم فإنّ السهم يقع عليه، قال: فلمّا رأى الرجل أنّ السهام تقرع قام فقال: يا رسول الله أنا صاحبك، لا والله لا أعود أبداً(٣).

٤٨ - **ين:** ابن أبي البلاد، عن أبيه رفعه قال: رأى موسى بن عمران عليه السلام رجلاً تحت ظلّ العرش، فقال: يا ربّ من هذا الّذي أدنيته حتّى جعلته تحت ظلّ العرش؟ فقال الله تبارك وتعالى: يا موسى هذا لم يكن يعقّ والديه، ولا يحسد النّاس على ما آتاهم الله من فضله(٤).

٤٩ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب عن ابن أسباط، عن خلف بن حمّاد، عن قتيبة الأعشى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله إلى موسى عليه السلام كما تدين تدان، وكما تعمل كذلك تجزى، من يصنع المعروف إلى امرىء السوء يجزى شرًّا(٥).

٥٠ - **ص:** بهذا الإسناد قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ فيما ناجى الله به موسى عليه السلام أن

---

(١) روضة الكافي، الموجود مع الاصول ص ٧٣٤ باب نادر ح ٩٨.
(٢) قصص الأنبياء، ص ١٦١.
(٣) كتاب الزهد، ص ٦٨ باب ١ ح ١٥.
(٤) كتاب الزهد، ص ١٠٥ باب ٥ ح ١٨.
(٥) قصص الأنبياء، ص ١٦٢-١٦٣.

قال: إنّ الدنيا ليست بثواب للمؤمن بعمله، ولا نقمة للفاجر بقدر ذنبه، هي دار الظالمين إلاّ العامل فيها بالخير فإنّها له نعمت الدار[١].

٥١ - ص: الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن أحمد بن محمّد، عن رجل، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان فيما ناجى الله تعالى به موسى: يا موسى لا تركن إلى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتّخذها أمّاً وأباً، يا موسى لو وكلتك إلى نفسك تنظر لها لغلب عليك حبّ الدنيا وزهرتها. يا موسى نافس في الخير أهله، واسبقهم إليه، فإنّ الخير كاسمه، واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه، ولا تنظر عيناك إلى كلّ مفتون فيها موكول إلى نفسه، واعلم أنّ كلّ فتنة بذرها حبّ الدنيا. ولا تغبطنّ أحداً برضى النّاس عنه حتّى تعلم أنّ الله عزّ وجلّ عنه راض، ولا تغبطنّ أحداً بطاعة النّاس له واتّباعهم إيّاه على غير الحقّ فهو هلاك له ولمن اتّبعه[٢].

٥٢ - وقال أبو جعفر عليه السلام: قال موسى عليه السلام: أيّ عبادك أبغض إليك؟ قال: جيفة باللّيل، بطّال بالنهار.

وقال: قال موسى لربّه: يا ربّ إن كنت بعيداً ناديت، وإن كنت قريباً ناجيت، قال: يا موسى: أنا جليس من ذكرني، فقال موسى: يا ربّ إنّا نكون على حال من الحالات في الدنيا مثل الغائط والجنابة فنذكرك؟ قال: يا موسى اذكرني على كلّ حال.

وقال: قال موسى: يا ربّ ما لمن عاد مريضاً؟ قال: أوكّل به ملكاً يعوده في قبره إلى محشره. قال: يا ربّ ما لمن غسّل ميّتاً؟ قال: أخرجه من ذنوبه كما خرج من بطن أمه. قال: يا ربّ ما لمن شيّع جنازةً؟ قال: أوكّل به ملائكة معهم رايات يشيّعونه من محشره إلى مقامه. قال: فما لمن عزّى الثكلى؟ قال: أظلّه في ظلّي يوم لا ظلّ إلاّ ظلّي. تعالى الله.

وقال: فيما ناجى الله به موسى أن قال: أكرم السائل إذا هو أتاك بشيء ببذل يسير أو بردّ جميل، فإنّه قد يأتيك من ليس بجنّي ولا إنسيّ: ملك من ملائكة الرحمن ليبلوك فيما خوّلتك، ويسألك عمّا موّلتك فكيف أنت صانع؟

وقال: يا موسى لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك[٣].

بيان: قوله تعالى: (فإنّ الخير كاسمه) لعلّ المراد أنّ الخير لمّا دلّ بحسب أصل معناه في اللّغة على الأفضليّة وما يطلق عليه في العرف والشرع من الأعمال الحسنة هي خير الأعمال فالخير كاسمه، أي الاسم مطابق لمسمّياته، أو أنّ الخير لمّا كان كلّ أحد يستحسنه إذا سمعه فهو حسن واقعاً. والحاصل أنّ ما يحكم به عقول عامّة الناس في ذلك مطابق للواقع،

(١) - (٣) قصص الأنبياء، ص ١٦٢-١٦٣.

ويحتمل أن يكون المراد باسمه ذكره بين الناس، أي أنّ الخير ينفع في الآخرة كما يصير سبباً لرفعة الذكر في الدنيا.

٥٣ - **ص**: بالإسناد إلى الصدوق، عن ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان عن ابن أورمة، عن رجل، عن عبد الله بن عبد الرحمن البصريّ، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: مرّ موسى بن عمران عليه السلام برجل رافع يده إلى السماء يدعو، فانطلق موسى في حاجته فغاب عنه سبعة أيّام، ثمّ رجع إليه وهو رافع يديه يدعو ويتضرّع ويسأل حاجته، فأوحى الله إليه: يا موسى لو دعاني حتّى تسقط لسانه ما استجبت له حتّى يأتيني من الباب الّذي أمرته به[1].

٥٤ - **كا**: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد أو غيره، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبديّ، عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾: يعني لحوم الإبل والبقر والغنم، قال: إنّ إسرائيل كان إذا أكل من لحم الإبل هيّج عليه وجع الخاصرة، فحرّم على نفسه لحم الابل، وذلك قبل أن تنزل التوراة، فلمّا أنزلت التوراة لم يحرّمه ولم يأكله[2].

٥٥ - **ص**: بالإسناد إلى الصدوق، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل ابن صالح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا مضى موسى إلى الجبل اتّبعه رجل من أفضل أصحابه قال: فأجلسه في أسفل الجبل، وصعد موسى الجبل، فناجى ربّه ثمّ نزل فإذا بصاحبه قد أكل السبع وجهه وقطعه، فأوحى الله تعالى إليه: إنّه كان له عندي ذنب فأردت أن يلقاني ولا ذنب له[3].

٥٦ - **ص**: بهذا الإسناد، عن ابن أبي عمير، عن أبي عليّ، عن محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إنّ من عبادي من يتقرّب إليّ بالحسنة فأحكّمه في الجنّة، قال: وما تلك الحسنة؟ قال: يمشي في حاجة مؤمن[4].

٥٧ - **ص**: بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن مقاتل بن سليمان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لمّا صعد موسى عليه السلام إلى الطور فناجى ربّه قال: ربّ أرني خزائنك، قال: يا موسى إنّ خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له: كن فيكون. وقال: قال: يا ربّ أي خلقك أبغض إليك؟ قال: الّذي يتّهمني، قال: ومن خلقك من يتّهمك؟ قال: نعم الّذي يستخيرني فأخير له والّذي أقضي القضاء له وهو خير له فيتّهمني[5].

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٦٤. (٢) الكافي، ج ٥ ص ٧٥٢ باب ١٩١ ح ٩.

(٣) - (٥) قصص الأنبياء، ص ١٦٤-١٦٥.

٥٨ - **ختص**: قال الصادق عليه السلام: أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام: قل للملأ من بني إسرائيل: إيّاكم وقتل النفس الحرام بغير حقّ، فإنّ من قتل منكم نفساً في الدنيا قتلته في النّار مائة ألف قتلة مثل قتلة صاحبه[1].

٥٩ - **ص**: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن الوصّافيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: فيما ناجى الله موسى عليه السلام أن قال: إنّ لي عباداً أبيحهم جنّتي وأحكّمهم فيها، قال موسى: من هؤلاء الّذين أبحتهم جنّتك وتحكّمهم فيها؟ قال: من أدخل على مؤمن سروراً[2].

كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن سنان مثله (ج ٢ ص ٤٣٤ ح ٣).

٦٠ - **ص**: بهذا الإسناد عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في التوراة مكتوب، ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك خوفاً منّي، وإن لا تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك شغلاً بالدنيا، ثمّ لا أسدّ فاقتك وأكلك إلى طلبها[3].

٦١ - **ين**: محمّد بن سنان، عمّن أخبره، عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ موسى بن عمران عليه السلام حبس عنه الوحي ثلاثين صباحاً، فصعد على جبل بالشام يقال له أريحا، فقال: يا ربّ لمَ حبست عنّي وحيك وكلامك؟ ألذنب أذنبته؟ فها أنا بين يديك فاقتصّ لنفسك رضاها، وإن كنت إنّما حبست عنّي وحيك وكلامك لذنوب بني إسرائيل فعفوك القديم، فأوحى الله إليه: أن يا موسى تدري لمَ خصصتك بوحيي وكلامي من بين خلقي؟ فقال: لا أعلمه يا رب، قال: يا موسى إنّي اطّلعت إلى خلقي اطّلاعة فلم أر في خلقي أشدّ تواضعاً منك، فمن ثمّ خصصتك بوحيي وكلامي من بين خلقي. قال: فكان موسى عليه السلام إذا صلّى لم ينفتل حتّى يلصق خدّه الأيمن بالأرض وخدّه الأيسر بالأرض[4].

٦٢ - **سن**: أبي، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: في التوراة أربعة أسطر: من لا يستشير يندم، والفقر الموت الأكبر، وكما تدين تدان، ومن ملك استأثر[5].

٦٣ - **كشف**: روى الحافظ عبد العزيز بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: كان فيما أعطى الله عزّ وجلّ موسى عليه السلام في الألواح الأوّل. اشكر لي ولوالديك أقيك المتالف، وأنسئ لك في عمرك، وأحيك حياة طيّبة، وأقلبك إلى خير منها[6].

---

(١) الاختصاص، ص ٢٣٥.
(٢) - (٣) قصص الأنبياء، ص ١٦٥-١٦٦.
(٤) كتاب الزهد، ص ١٢٦ باب ١٠ ح ٦.
(٥) المحاسن، ص ٦٠١.
(٦) كشف الغمة، ج ٢ ص ٣٣٤.

٦٤ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام: إذا وقفت بين يديّ فقف موقف الذليل الفقير، وإذا قرأت التوراة فأسمعنيها بصوت حزين[١].

٦٥ - **كا:** بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، أعطي موسى منها أربعة أحرف[٢].

٦٦ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن إسحاق ابن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ في التوراة مكتوباً: ابن آدم! اذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي فلا أمحقك فيمن أمحق، فإذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فإنّ انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك[٣].

٦٧ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن داود الرقيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزّ وجلّ لموسى بن عمران: يا ابن عمران لا تحسدنّ الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدّنّ عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فإنّ الحاسد ساخط لنعمي، صادّ لقسمي الّتي قسّمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس منّي[٤].

٦٨ - **دعوات الراوندي:** روي أنّ موسى عليه السلام قال: يا ربّ دلّني على عمل إذا أنا عملته نلت به رضاك، فأوحى الله إليه: يا ابن عمران إنّ رضائي في كرهك ولن تطيق ذلك، قال: فخرّ موسى عليه السلام ساجداً باكياً فقال: يا ربّ خصصتني بالكلام ولم تكلّم بشراً قبلي، ولم تدلّني على عمل أنال به رضاك؟ فأوحى الله إليه: إنّ رضاي في رضاك بقضائي[٥].

٦٩ - **يه:** قال الصادق عليه السلام: لمّا حجّ موسى عليه السلام نزل عليه جبرئيل عليه السلام، فقال له موسى: يا جبرئيل ما لمن حجّ هذا البيت بلا نيّة صادقة ولا نفقة طيّبة؟ قال: لا أدري حتّى أرجع إلى ربّي عزّ وجلّ، فلمّا رجع قال الله عزّ وجلّ: يا جبرئيل ما قال لك موسى؟ - وهو أعلم بما قال - قال: يا ربّ قال لي: ما لمن حجّ هذا البيت بلا نيّة صادقة ولا نفقة طيّبة؟ قال الله عزّ وجلّ: ارجع إليه وقل له: أهب له حقّي وأرضي عنه خلقي، فقال: يا جبرئيل ما لمن حجّ هذا البيت بنيّة صادقة ونفقة طيّبة؟ قال: فرجع إلى الله عزّ وجلّ فأوحى الله إليه: قل له: أجعله في الرفيق الأعلى مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً[٦].

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٤٠ باب ترتيل القرآن ح ٦.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ١٣٢ باب ما عند الأئمة من اسم الله الأعظم ح ١.

(٣) أصول الكافي، ج ٢ باب الغضب ح ١٠.

(٤) أصول الكافي، ج ٢ باب الحسد ح ٦.

(٥) دعوات الراوندي، ص ١٦٤.

(٦) من لا يحضره الفقيه، ج ٢ ح ٢٢٨٨.

٧٠ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: دعا موسى عليه السلام وأمّن هارون وأمّنت الملائكة، فقال الله تعالى: قد أجيبت دعوتكما فاستقيما، ومن غزا في سبيل الله أستجيب له كما استجبت لكما إلى يوم القيامة[1].

٧١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن عليّ بن الحسن التيميّ، عن سليمان بن عباد، عن عيسى ابن أبي الورد، عن محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ بني إسرائيل شكوا إلى موسى ما يلقون من البياض، فشكا ذلك إلى الله عزّ وجلّ، فأوحى الله إليه: مرهم يأكلوا لحم البقر بالسلق[2].

٧٢ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن جعفر البغداديّ، عن عبد الله بن إسحاق، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مكتوب في التوراة: اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فإنّه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت، والشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير[3].

٧٣ - **كا:** حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مكتوب في التوراة: إنّ من باع أرضاً أو ماءً فلم يضعه في أرض وماء ذهب ثمنه محقاً[4].

٧٤ - **تم:** من كتاب ربيع الأبرار قال: مرّ موسى عليه السلام على قرية من قرى بني إسرائيل فنظر إلى أغنيائهم قد لبسوا المسوح، وجعلوا التراب على رؤوسهم، وهم قيام على أرجلهم تجري دموعهم على خدودهم، فبكى رحمة لهم، فقال: إلهي هؤلاء بنو إسرائيل حنّوا إليك حنين الحمام، وعووا عواء الذئاب، ونبحوا نباح الكلاب، فأوحى الله إليه: ولِمَ ذاك؟ لأنّ خزانتي قد نفدت؟ أم لأنّ ذات يدي قد قلّت؟ أم لست أرحم الراحمين؟ ولكن أعلمهم أنّي عليم بذات الصدور، يدعونني وقلوبهم غائبةٌ عنّي، مائلةٌ إلى الدنيا.

٧٥ - **عدة:** يروى أنّ موسى عليه السلام قال يوماً: يا ربّ إنّي جائع، فقال تعالى: أنا أعلم بجوعك، قال: ربّ أطعمني، قال: إلى أن أريد[5].

٧٦ - وفيما أوحى الله إليه عليه السلام: يا موسى الفقير من ليس له مثلي كفيلٌ، والمريض من ليس له مثلي طبيبٌ، والغريب من ليس له مثلي مؤنسٌ. وقال تعالى: يا موسى ارض بكسرة من شعير تسدّ بها جوعتك، وبخرقة تواري بها عورتك، واصبر على المصائب، وإذا رأيت

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٨٥ باب من تستجاب دعوته ح ٨.
(٢) الكافي، ج ٦ ص ١٠٦٢ باب ٢٢٩ ح ١.
(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٨٢ باب الشكر ح ٣.
(٤) الكافي، ج ٥ ص ٦٣٨ باب ٥٠ ح ٣.
(٥) علة الداعي، ص ١١٧.

الدنيا مقبلة عليك فقل: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، عقوبة عجّلت في الدنيا، وإذا رأيت الدنيا مدبرةً عنك فقل: مرحباً بشعار الصالحين، يا موسى: لا تعجبنّ بما أُوتي فرعون وما متّع به، فإنّما هي زهرة الحياة الدنيا[١].

٧٧ - وروي أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: أن اصعد الجبل لمناجاتي، وكان هناك جبال فتطاولت الجبال، وطمع كلّ أن يكون هو المصعود عدا جبلاً صغيراً احتقر نفسه وقال: أنا أقلّ من أن يصعدني نبيّ الله لمناجاة ربّ العالمين، فأوحى الله إليه. أن اصعد ذلك الجبل فإنّه لا يرى لنفسه مكاناً[٢].

٧٨ - وعن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: كان فيما أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام: كذب من زعم أنّه يحبّني فإذا جنّه اللّيل نام، يا ابن عمران لو رأيت الّذين يصلّون لي في الدجى وقد مثّلت نفسي بين أعينهم يخاطبوني وقد جليت عن المشاهدة، ويكلّموني وقد عززت عن الحضور، يا ابن عمران هب لي من عينيك الدموع، ومن قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ثمّ ادعني في ظلم اللّيالي تجدني قريباً مجيباً[٣].

٧٩ - **فر:** عن سعيد بن الحسن معنعناً عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ قال: قضى بخلافة يوشع بن نون من بعده. ثمّ قال: لم أدع نبياً من غير وصيّ، وإنّي باعث نبيّاً عربيّاً، وجاعل وصيه عليّاً، فذلك قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾[٤].

وعن عليّ بن أحمد بن عليّ بن حاتم معنعناً عن ابن عبّاس مثله وزاد فيه: في الوصاية وحدّثه بما كان وما هو كائن[٥].

٨٠ - وحدّثني جعفر بن محمّد الفزاريّ معنعناً عن أبي سعيد المدائنيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما معنى قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ قال: كتاب كتبه الله يا أبا سعيد في ورقة آس قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، ثمّ صيّرها في عرشه أو تحت عرشه فيها: يا شيعة آل محمّد قد أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ومن أتاني منكم بولاية محمّد وآله أسكنته جنّتي برحمتي[٦].

١٢ - باب وفاة موسى وهارون عليهما السلام وموضع قبرهما وبعض أحوال يوشع بن نون عليه السلام

١ - **قس:** مات هارون وموسى عليهما السلام في التيه، فروي أنّ الّذي حفر قبر موسى هو ملك الموت في صورة آدميّ، ولذلك لا يعرف بنو إسرائيل موضع قبر موسى عليه السلام وسئل

---

(١) عدة الداعي، ص ١١٨.
(٢) عدة الداعي، ص ١٧٨.
(٣) عدة الداعي، ص ٢٠٧.
(٤) - (٦) تفسير فرات، ج ١ ص ٣١٥ ح ٤٢٣-٤٢٥.

النبيّ ﷺ عن قبره فقال: عند الطريق الأعظم، عند الكثيب الأحمر. قال: وكان بين موسى وبين داود خمسمائة سنة، وبين داود وعيسى ألف سنة ومائة سنة[١].

٢ - **لي:** ابن إدريس، عن ابن عيسى، عن ابن أبي نجران، عن أبي جميلة، عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ موسى بن عمران عليه السلام قال: يا ربّ رضيت بما قضيت، تميت الكبير وتبقي الطفل الصغير، فقال الله جلّ جلاله: يا موسى أما ترضاني لهم رازقاً وكفيلاً؟ قال: بلى يا ربّ فنعم الوكيل أنت، ونعم الكفيل[٢].

ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن أبي جميلة مثله[٣].

٣ - **كا:** محمّد بن الحسن وغيره عن سهل، عن محمّد بن عيسى، ومحمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين جميعاً عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر وعبدالكريم بن عمرو، عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوصى موسى إلى يوشع بن نون وأوصى يوشع بن نون إلى ولد هارون، ولم يوص إلى ولده ولا إلى ولد موسى إنّ الله عزّ وجلّ له الخيرة، يختار من يشاء ممّن يشاء، وبشّر موسى ويوشع بالمسيح[٤].

٤ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن محمّد بن جمهور، عن أبي معمّر قال: سألت الرضا عليه السلام عن الإمام يغسّله الإمام؟ قال: سنّة موسى بن عمران عليه السلام[٥].

بيان: أي حيث غسّله وصيّه يوشع، أو المعصومون من الملائكة.

٥ - **يب:** ذكر أحمد بن محمّد بن داود القمّيّ رحمه الله في نوادره قال: روى محمّد بن عيسى، عن أخيه جعفر بن عيسى، عن خالد بن سدير أخي حنّان بن سدير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل شقّ ثوبه على أبيه أو على أمّه أو على أخيه أو على قريب له، فقال: لا بأس بشقّ الثوب قد شقّ موسى بن عمران على أخيه هارون عليه السلام[٦].

٦ - **يب:** أخبرني الشيخ عن أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد، عن حريز، عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليه السلام قال: الغسل في سبعة عشر موطناً - وساق الحديث إلى أن قال -: وليلة إحدى وعشرين، أي من شهر رمضان، وهي اللّيلة الّتي أُصيب فيها أوصياء الأنبياء، وفيها رفع عيسى بن مريم عليه السلام وقبض موسى عليه السلام[٧].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٧٣.
(٢) أمالي الصدوق، ص ١٦٥ مجلس ٣٦ ح ٣
(٣) قصص الأنبياء ص ١٦١.
(٤) أصول الكافي، ج ١ ص ١٦٩ باب الاشارة والنص على أمير المؤمنين ح ٣.
(٥) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٢٨ باب ان الإمام لا يغسله إلا إمام ح ٢.
(٦) تهذيب الاحكام، ج ٨ ص ١٦٢٢ باب ١٥ ح ٢٣.
(٧) تهذيب الأحكام، ج ١ ص ٦٥ باب ٥ ح ٣٤.

أقول: قد مرّ في الباب الأوّل عن أبي جعفر عليه السلام أنّه كان وصيّ موسى بن عمران يوشع ابن نون، وهو فتاه الّذي قال الله تبارك وتعالى في كتابه.

٧ - **ك، لي:** القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمّارة، عن أبيه قال: قلت للصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: أخبرني بوفاة موسى بن عمران عليه السلام، فقال له: إنه لمّا أتاه أجله واستوفى مدّته وانقطع أكله أتاه ملك الموت فقال له: السلام عليك يا كليم الله، فقال موسى: وعليك السلام من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: ما الّذي جاء بك؟ قال: جئت لأقبض روحك، فقال له موسى عليه السلام: من أين تقبض روحي؟ قال: من فمك، قال له موسى عليه السلام: كيف وقد كلّمت ربّي جلّ جلاله؟ قال: فمن يديك، قال: كيف وقد حملت بهما التوراة؟ قال: فمن رجليك، قال: كيف وقد وطئت بهما طور سيناء؟ قال: فمن عينيك، قال: كيف ولم تزل إلى ربّي بالرجاء ممدودة؟ قال: فمن أذنيك، قال: وكيف وقد سمعت بهما كلام ربّي عزّ وجلّ؟ قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك الموت: لا تقبض روحه حتّى يكون هو الّذي يريد ذلك، وخرج ملك الموت فمكث موسى ما شاء الله أن يمكث بعد ذلك، ودعا يوشع بن نون فأوصى إليه وأمره بكتمان أمره وبأن يوصي بعده إلى من يقوم بالأمر، وغاب موسى عليه السلام عن قومه فمرّ في غيبته برجل وهو يحفر قبراً، فقال له: ألا أعينك على حفر هذا القبر؟ فقال له الرجل: بلى، فأعانه حتّى حفر القبر وسوّى اللّحد، ثمّ اضطجع فيه موسى بن عمران عليه السلام لينظر كيف هو، فكشف له عن الغطاء فرأى مكانه من الجنّة، فقال: يا ربّ اقبضني إليك، فقبض ملك الموت روحه مكانه، ودفنه في القبر، وسوّى عليه التراب، وكان الّذي يحفر القبر ملك في صورة آدميّ، وكان ذلك في التيه، فصاح صائح من السماء: مات موسى كليم الله، فأيّ نفس لا تموت؟

فحدّثني أبي، عن جدّي، عن أبيه عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن قبر موسى عليه السلام أين هو؟ فقال: عند الطريق الأعظم، عند الكثيب الأحمر[1].

ثمّ إنّ يوشع بن نون قام بالأمر بعد موسى صابراً من الطواغيت على اللأواء والضرّاء والجهد والبلاء حتّى مضى منهم ثلاثة طواغيت فقوي بعدهم أمره، فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسى بصفراء بنت شعيب امرأة موسى عليه السلام في مائة ألف رجل فقاتلوا يوشع بن نون فغلبهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وهزم الباقين بإذن الله تعالى ذكره وأسر صفراء بنت شعيب، وقال لها: قد عفوت عنك في الدنيا إلى أن نلقى نبيّ الله موسى فأشكو ما لقيت منك ومن قومك، فقالت صفراء: وا ويلاه، والله لو أُبيحت لي الجنّة لاستحييت أن أرى فيها رسول الله وقد هتكت حجابه وخرجت على وصيّه بعده[2].

---

(١) أمالي الصدوق، ص ١٩٣ مجلس ٤١ ح ٢. (٢) كمال الدين، ص ١٥٣ باب ٧ ح ١٧

أقول: لم يكن في «لي» ثمّ إنّ يوشع إلى آخر ما نقلنا، ولكن نقلناه عن «ك» وله تتمّة سيأتي في أبواب أحوال داود عليه السلام [(١)].

٨ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: إنّ يوشع بن نون قام بالامر، إلى آخر الخبر [(٢)].

٩ - **ع:** أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ ملك الموت أتى موسى بن عمران عليه السلام فسلّم عليه، فقال: من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت، قال: ما حاجتك؟ فقال له: جئت أقبض روحك، فقال له موسى: من أين تقبض روحي؟ قال: من فمك، قال له موسى: كيف وقد كلّمت ربّي عزّوجلّ؟ قال: فمن يديك فقال له موسى: كيف وقد حملت بهما التوراة؟ فقال: من رجليك، فقال: وكيف وقد وطئت بهما طور سيناء؟ قال: وعدّ أشياء غير هذا، قال: فقال له ملك الموت: فإنّي أمرت أن أتركك حتّى تكون أنت الّذي تريد ذلك، فمكث موسى ما شاء الله، ثمّ مرّ برجل وهو يحفر قبراً، فقال له موسى: ألا أعينك على حفر هذا القبر؟ فقال له الرجل: بلى، قال: فأعانه حتّى حفر القبر، ولحد اللّحد، فأراد الرجل أن يضطجع في اللّحد لينظر كيف هو فقال له موسى: أنا أضطجع فيه، فاضطجع موسى فأري مكانه من الجنّة - أو قال: منزله من الجنّة - فقال: يا ربّ اقبضني إليك، فقبض ملك الموت روحه، ودفنه في القبر، وسوّى عليه التراب، قال: وكان الّذي يحفر القبر ملك الموت في صورة آدميّ، فلذلك لا يعرف قبر موسى [(٣)].

١٠ - **ك:** عليّ بن أحمد الدقّاق، عن حمزة بن القاسم، عن عليّ بن الجنيد الرازيّ، عن أبي عوانة، عن الحسين بن عليّ، عن عبد الرزّاق، عن أبيه، عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف، عن عبد الله بن مسعود قال: قلت للنبيّ صلى الله عليه وآله: يا رسول الله من يغسّلك إذا متّ؟ فقال: يغسّل كلّ نبيّ وصيّه، قلت: فمن وصيّك يا رسول الله؟ قال: عليّ بن أبي طالب، فقلت: كم يعيش بعدك يا رسول الله؟ قال: ثلاثين سنة. فإنّ يوشع بن نون وصيّ موسى عاش من بعده ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوج موسى فقالت: أنا أحقّ بالأمر منك، فقاتلها فقتل مقاتلتها وأسرها فأحسن أسرها، وإنّ ابنة أبي بكر ستخرج على عليّ في كذا وكذا ألفاً من أمّتي فيقاتلها فيقتل مقاتلتها ويأسرها فيحسن أسرها، وفيها أنزل الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[(٤)] يعني صفراء بنت شعيب [(٥)].

١١ - **كا:** أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن عمّار الساباطيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما منزلة الأئمّة؟ قال: كمنزلة ذي القرنين،

---

(١) سيأتي في باب ١٩ ح ١٠ من هذا الجزء.
(٢) قصص الأنبياء، ص ١٧٦.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٨٩ باب ٦١ ح ١.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٥) كمال الدين، ص ٣٨.

وكمنزلة يوشع، وكمنزلة آصف صاحب سليمان[١].

١٢ - **ص:** بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لمّا كانت اللّيلة الّتي قتل فيها عليّ عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلّا وجد تحته دم عبيط حتّى طلع الفجر، وكذلك كانت اللّيلة الّتي قتل فيها يوشع بن نون. الخبر[٢].

١٣ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال موسى عليه السلام لهارون عليه السلام: امض بنا إلى جبل طور سيناء، ثمّ خرجا فإذا بيت على بابه شجرة عليها ثوبان، فقال موسى لهارون: اطرح ثيابك وادخل هذا البيت والبس هاتين الحلّتين ونم على السرير، ففعل هارون، فلمّا أن نام على السرير قبضه الله إليه، وارتفع البيت والشجرة، ورجع موسى إلى بني إسرائيل فأعلمهم أنّ الله قبض هارون ورفعه إليه، فقالوا: كذبت أنت قتلته، فشكا موسى عليه السلام ذلك إلى ربّه، فأمر الله تعالى الملائكة فأنزلته على سرير بين السماء والأرض حتّى رأته بنو إسرائيل فعلموا أنّه مات[٣].

١٤ - **ص:** بهذا الإسناد عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ ملك الموت أتى موسى فسلّم عليه فقال: من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت، قال: فما جاء بك؟ قال: جئت لأقبض روحك، وإنّي أمرت أن أتركك حتّى تكون أنت الّذي تريد، وخرج ملك الموت فمكث موسى ما شاء الله، ثمّ دعا يوشع بن نون فأوصى إليه وأمره بكتمان أمره وبأن يوصي بعده إلى من يقوم بالأمر، وغاب موسى عليه السلام عن قومه فمرّ في غيبته ورأى ملائكةً يحفرون قبراً، قال: لمن تحفرون هذا القبر؟ قالوا: نحفره والله لعبد كريم على الله تعالى، فقال: إنّ لهذا العبد من الله لمنزلة، فإنّي ما رأيت مضجعاً ولا مدخلاً أحسن منه، فسألت الملائكة: يا صفيّ الله أتحبّ أن تكون ذلك؟ قال: وددت، قالوا: فادخل واضطجع فيه ثمّ توجّه إلى ربّك، فاضطجع فيه موسى عليه السلام لينظر كيف هو، فكشف له من الغطاء فرأى مكانه في الجنّة فقال: يا ربّ اقبضني إليك، فقبضه ملك الموت ودفنه، وكانت الملائكة حثت عليه، فصاح صائح من السماء: مات موسى كليم الله وأيّ نفس لا تموت؟ فكان بنو إسرائيل لا يعرفون مكان قبره، فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن قبره قال: عند الطريق الأعظم، عند الكثيب الأحمر[٤].

١٥ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٣٦ باب في الأئمة انهم إذا ظهر أمرهم، ح ٥.

(٢) قصص الأنبياء، ص ١٤٣.

(٣) - (٤) قصص الأنبياء، ص ١٧٤-١٧٥.

أورمة بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ امرأة موسى عليه السلام خرجت على يوشع بن نون راكبة زرافة، فكان لها أوّل النهار وله آخر النهار فظفر بها، فأشار عليه بعض من حضره بما لا ينبغي فيها، فقال: أبعد مضاجعة موسى لها؟ ولكن أحفظه فيها[1].

١٦ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن ابن جمهور، عن أحمد بن الحسين، عن أبيه، عن إسماعيل بن محمّد، عن محمّد بن سنان قال: كنت عند الرضا عليه السلام فقال لي: يا محمّد إنّه كان في زمن بني إسرائيل أربعة نفر من المؤمنين فأتى واحد منهم الثلاثة وهم مجتمعون في منزل أحدهم في مناظرة بينهم، فقرع الباب وخرج إليه الغلام فقال: أين مولاك؟ فقال: ليس هو في البيت، فرجع الرجل ودخل الغلام إلى مولاه فقال له: من كان الّذي قرع الباب؟ قال: كان فلان فقلت له: لستَ في المنزل، فسكت ولم يكترث ولم يلم غلامه ولا اغتمّ أحد منهم لرجوعه عن الباب، وأقبلوا في حديثهم، فلمّا كان من الغد بكر إليهم الرجل فأصابهم وقد خرجوا يريدون ضيعة لبعضهم فسلّم عليهم وقال: أنا معكم، فقالوا نعم، ولم يعتذروا إليه، وكان الرجل محتاجاً ضعيف الحال، فلمّا كانوا في بعض الطريق إذا غمامة قد أظلّتهم فظنّوا أنّه مطر فبادروا، فلمّا استوت الغمامة على رؤوسهم إذا مناد ينادي من جوف الغمامة: أيّتها النار خذيهم وأنا جبرئيل رسول الله، فإذا نار من جوف الغمامة قد اختطفت الثلاثة نفر، وبقي الآخر مرعوباً يعجب ممّا نزل بالقوم ولا يدري ما السبب، فرجع إلى المدينة فلقي يوشع بن نون وأخبره الخبر وما رأى وما سمع، فقال يوشع بن نون: أما علمت أنّ الله سخط عليهم بعد أن كان عنهم راضياً، وذلك بفعلهم بك؟ قال: وما فعلهم بي؟ فحدّثه يوشع، فقال الرجل: فأنا أجعلهم في حلّ وأعفو عنهم، قال: لو كان هذا قبل لنفعهم، فأمّا الساعة فلا، وعسى أن ينفعهم من بعد[2].

١٧ - **ك:** أبي، عن أحمد بن إدريس ومحمّد بن يحيى معاً عن الأشعريّ، عن محمّد بن يوسف التميميّ، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: عاش موسى مائة وستّاً وعشرين سنة، وعاش هارون عليه السلام مائة وثلاثاً وثلاثين سنة[3].

بيان: يشكل الجمع بين هذا وما مرّ من كون هارون سبق موسى عليه السلام في الموت إلّا بأن يقال: كان هارون أكبر منه وأزيد من سنة.

١٨ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن الفضيل، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مات موسى كليم الله في التيه، فصاح صائح من السماء: مات موسى، وأيّ نفس لا تموت[4]؟

(١) قصص الأنبياء، ص ١٧٥.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥١٨ باب من حجب أخاه المؤمن ح ٢.

(٣) كمال الدين، ص ٤٧٤.

(٤) الكافي، ج ٣ ص ٥٩ باب ٧٢ ح ٤.

يز: محمّد بن الحسين مثله[1].

١٩ - صفوة الصفات للكفعمي: روي عن الباقر عليه السلام أنّ يوشع بن نون وصيّ موسى عليه السلام لمّا حارب العماليق وكانوا في صور هائلة ضعفت نفوس بني إسرائيل عنهم، فشكوا إلى الله عزّ وجلّ ، فأمر الله تعالى يوشع عليه السلام أن يأمر الخواصّ من بني إسرائيل أن يأخذ كلّ واحد منهم جرّة من الخزف فارغة على كتفه الأيسر باسم عمليق، ويأخذ بيمينه قرناً مثقوباً من قرون الغنم ويقرأ كلّ واحد منهم في القرن هذا الدعاء - يعني دعاء السمات - لئلاّ يسترق السمع بعض شياطين الجنّ والإنس فيتعلّموه، ثمّ يلقون الجرار في عسكر العماليق آخر اللّيل ويكسرونها، ففعلوا ذلك فأصبح العماليق كأنّهم أعجاز نخل خاوية منتفخي الأجواف، موتى. الخبر.

ثمّ قال: ولقد وجدت هذا الحديث بعينه مروياً عن الصادق عليه السلام إلاّ أنّه ذكر أنّ محاربة العمالقة كانت مع موسى عليه السلام ، روى ذلك عنه عثمان بن سعيد العمريّ.

أقول: قال صاحب الكامل: أوحى الله تعالى في التيه إلى موسى عليه السلام : إنّي متوفّ هارون، فانطلق به إلى جبل كذا وكذا، فانطلقا نحوه فإذا هما بشجرة لم يريا مثلها، وفيه بيت مبنيّ، وسرير عليه فرش، وريح طيّبة، فلمّا رآه هارون أعجبه، فقال: يا موسى إنّي أحبّ أن أنام على هذا السرير، فقال له موسى: نم، قال: إنّي أخاف ربّ هذا البيت أن يأتي فيغضب عليّ، قال موسى: لا تخف أنا أكفيك، قال: فنم معي، فلمّا ناما أخذ هارون الموت فلمّا وجد حسه قال: يا موسى خدعتني فتوفي ورفع على السرير إلى السّماء، ورجع موسى إلى بني إسرائيل فقال له بنو إسرائيل: إنّك قتلت هارون لحبنا إياه، فقال: ويحكم أفتروني أن أقتل أخي؟ فلمّا أكثروا عليه صلّى ودعا الله تعالى فنزل بالسرير حتّى نظروا إليه ما بين السماء والأرض، فأخبرهم أنّه مات وأنّ موسى لم يقتله، فصدّقوه فكان موته في التيه.

قال: وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة، وقيل: بينما موسى عليه السلام يمشي ومعه يوشع بن نون فتاه إذ أقبلت ريح سوداء، فلمّا نظر إليها يوشع ظنّ أنّها الساعة فالتزم موسى وقال: لا تقوم الساعة وأنا ملتزم نبيّ الله، فاستلّ موسى من تحت القميص، وبقي القميص في يدي يوشع، فلمّا جاء يوشع بالقميص اخذه بنو إسرائيل وقالوا: قتلت نبيّ الله، فقال: ما قتلته ولكنه استلّ منّي، فلم يصدّقوه، قال: فإذا لم تصدّقوني فأخّروني ثلاثة أيّام، فوكلوا به من يحفظه، فدعا الله فأُتي كلّ رجل كان يحرسه في المنام فأُخبر أنّ يوشع لم يقتل موسى، وأنّا رفعناه إلينا، فتركوه؛ وقيل: إنّه مرّ منفرداً برهط من الملائكة يحفرون قبراً. وذكر نحواً ممّا مرّ في الأخبار.

(١) الزهد، ص ١٥١ باب ١٤ ح ٨.

ثمّ قال: ولمّا توفّي موسى عليه السلام بعث الله يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبيّاً إلى بني إسرائيل، وأمره بالمسير إلى أريحا مدينة الجبّارين.

فاختلف العلماء في فتحها على يد من كان، فقال ابن عبّاس: أمّا هارون وموسى توفيا في التيه، وتوفّي فيه كلّ من دخله وقد جاوز العشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، فلمّا انقضى أربعون سنة أوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون يأمره بالمسير إليها وفتحها ففتحها، ومثله قال قتادة والسدّيّ وعكرمة؛ وقال آخرون: إنّ موسى عليه السلام عاش حتّى خرج من التيه وسار إلى مدينة الجبّارين، وعلى مقدّمته يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو صهره على أخته مريم بنت عمران، فلمّا بلغوها اجتمع الجبّارون إلى بلعم بن باعورا وهو من ولد لوط فقالوا له: إنّ موسى قد جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا، فادع الله عليهم، وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم فقال لهم: كيف أدعو على نبيّ الله والمؤمنين ومعهم الملائكة؟ فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم، فأتوا امرأته وأهدوا لها هديّة فقبلتها وطلبوا إليها أن تحسّن لزوجها أن يدعو على بني إسرائيل، فقالت له في ذلك فامتنع فلم تزل به حتّى قال: أستخير ربّي، فاستخار الله تعالى فنهاه في المنام فأخبرها بذلك، فقالت: راجع ربّك، فعاود الاستخارة فلم يرد إليه جواب، فقالت: لو أراد ربّك لنهاك، ولم تزل تخدعه حتّى أجابهم، فركب حماراً له متوجّهاً إلى جبل يشرف على بني إسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم فما سار عليه إلاّ قليلاً حتّى ربض الحمار، فنزل عنه فضربه حتّى قام فركبه فسار به قليلاً فربض، فعل ذلك ثلاث مرّات، فلمّا اشتدّ ضربه في الثالثة أنطقه الله فقال له: ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة تردّني؟ فلم يرجع، فأطلق الله الحمار حينئذ فسار عليه حتّى أشرف على بني إسرائيل، فكان كلّما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم، وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب الدعاء عليهم، فقالوا له في ذلك، فقال: هذا شيء غلبنا الله عليه، واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم: الآن قد ذهبت منّي الدنيا والآخرة، ولم يبق إلاّ المكر والحيلة، وأمرهم أن يزيّنوا النساء ويعطوهنّ السلع للبيع، ويرسلوهنّ إلى العسكر، ولا تمنع امرأة نفسها ممّن يريدها، وقال: إن زنى منهم رجل واحد كفيتموهم، ففعلوا ذلك ودخل النساء عسكر بني إسرائيل فأخذ زمري بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة وأتى بها موسى فقال له: أظنّك تقول: إنّ هذا حرام! فوالله لا نطيعك، ثمّ أدخلها خيمته فوقع عليها، فأنزل الله عليهم الطاعون، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر عمّه موسى غائباً، فلمّا جاء رأى الطاعون قد استقرّ في بني إسرائيل وأخبر الخبر وكان ذا قوّة وبطش فقصد زمري فرآه وهو مضاجع المرأة فطعنهما بحربة بيده فانتظمهما، ورفع الطاعون، وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً، فأنزل الله في بلعم: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

ثمّ إنّ موسى قدّم يوشع بن نون إلى أريحا في بني إسرائيل فدخلها، وقتل بها الجبّارين، وبقيت منهم بقيّة وقد قاربت الشمس الغروب، فخشي أن يدركهم اللّيل فيعجزوه فدعا الله تعالى أن يحبس عليه الشمس ففعل وحبسها حتّى استأصلهم، ودخلها موسى، فأقام بها ما شاء الله أن يقيم، وقبضه الله تعالى إليه لا يعلم بقبره أحد من الخلق؛ وأمّا من زعم أنّ موسى كان توفّي قبل ذلك فقال: إنّ الله تعالى أمر يوشع بالمسير إلى مدينة الجبّارين، فسار ببني إسرائيل ففارقه رجل منهم يقال له بلعم بن باعور، وكان يعرف الاسم الأعظم، وساق من حديثه نحو ما تقدّم، فلمّا ظفر يوشع بالجبّارين أدركه المساء ليلة السبت فدعا الله تعالى فرد الشمس عليه، وزاد في النهار ساعة فهزم الجبّارين، ودخل مدينتهم، وجمع غنائمهم ليأخذها القربان، فلم تأت النار، فقال يوشع: فيكم غلول، فبايعوني، فبايعوه فلصقت يده في يد من غلّ، فأتاه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت فجعله في القربان، وجعل الرجل معه فجاءت النار وأكلتهما، وقيل: بل حصرها ستّة أشهر، فلمّا كان السابع تقدّموا إلى المدينة فصاحوا صيحةً واحدة فسقط السور فدخلوها وهزموا الجبّارين أقبح هزيمة، وقتلوا فيهم فأكثروا، ثمّ اجتمع جماعة من ملوك الشام وقصدوا يوشع بن نون فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك إلى غار فأمر بهم يوشع فقتلوا وصلبوا. ثمّ ملك الشام جميعه فصار لبني إسرائيل وفرّق فيه عمّاله، ثمّ توفّاه الله، فاستخلف على بني إسرائيل كالب بن يوفنا، وكان عمر يوشع مائة وستّاً وعشرين سنة، وكان قيامه بالأمر بعد موسى عليه السلام سبعاً وعشرين سنة. انتهى[1].

وقال المسعوديّ: سار ملك الشام وهو السميدع بن هزبر بن مالك إلى يوشع بن نون، فكانت له معه حروب إلى أن قتله يوشع واحتوى على ملكه، وألحق به غيره من الجبابرة والعماليق، وشنّ الغارات بأرض الشام، وكانت مدّة يوشع بعد موسى تسعاً وعشرين سنة، وقد كان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له بلعم بن باعور، وكان مستجاب الدعوة، فحمله قومه على الدعاء على يوشع، فلم يتأتّ له ذلك وعجز عنه، فأشار إلى بعض ملوك العماليق أن يبرز الحسان من النساء نحو عساكر يوشع، ففعلوا ذلك، فزنوا بهم فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم تسعون ألفاً، وقيل: أكثر من ذلك؛ وقيل: إنّ يوشع قبض وهو ابن مائة وعشر سنين، وقام في بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا[2].

٢٠ - **مهج**: بإسنادنا إلى سعد بن عبد الله من كتابه رفعه قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: وجد رجل من أصحابه صحيفة أتى بها رسول الله، فنادى: الصلاة جامعة، فما تخلّف أحد لا ذكر ولا أنثى، فرقي المنبر فقرأها فإذا كتاب يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام فإذا فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم إنّ ربّكم بكم لرؤوفٌ رحيم، ألا إنّ خير عباد الله التقيّ الخفيّ،

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ١٦٨-١٧٢. (٢) مروج الذهب، ج ١ ص ٥٩.

وإنّ شرّ عباد الله المشار إليه بالأصابع، فمن أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوفى وأن يؤدّي الحقوق الّتي أنعم الله بها عليه فليقل في كلّ يوم: سبحان الله كما ينبغي لله لا إله إلاّ الله كما ينبغي لله، والحمد لله كما ينبغي لله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وصلّى الله على محمّد وأهل بيته النبيّ العربيّ الهاشميّ، وصلّى الله على جميع المرسلين والنبيّين حتّى يرضى الله[1].

دعوات الراونديّ عنه عليه السلام مثله[2].

٢١ - لي: بإسناده عن حبيب بن عمرو قال: لمّا توفّي أمير المؤمنين عليه السلام قام الحسين عليه السلام خطيباً فقال: أيّها الناس في هذه اللّيلة رفع عيسى بن مريم، وفي هذه اللّيلة قتل يوشع بن نون. الخبر[3].

٢٢ - د: في ليلة إحدى وعشرين من رمضان رفع عيسى بن مريم عليه السلام. وفيها من رمضان قبض موسى بن عمران عليه السلام وفي مثلها قبض وصيّه يوشع بن نون عليه السلام[4].

أقول: قد مضى بعض أحوال يوشع ووفاة موسى وهارون عليهما السلام في باب التيه.

١٣ - باب تمام قصّة بلعم بن باعور، وقد مضى بعضها في الباب السابق

الآيات: الأعراف «٧»: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

١ - فس: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ فإنّها نزلت في بلعم بن باعورا، وكان من بني إسرائيل. وحدّثني أبي، عن الحسين ابن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه أعطي بلعم بن باعورا الاسم الأعظم، وكان يدعو به فيستجيب له فمال إلى فرعون، فلمّا مرّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم: ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى فامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها فأنطقها الله عزّ وجلّ فقالت: ويلك على ماذا تضربني؟ أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبيّ الله وقوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتّى قتلها، وانسلخ الاسم من لسانه، وهو قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ وهو مثل ضربه.

فقال الرضا عليه السلام: فلا يدخل الجنّة من البهائم إلاّ ثلاثة: حمارة بلعم، وكلب أصحاب

---

(١) مهج الدعوات، ص ٣٠٦.
(٢) الدعوات للراوندي ص ٤٦.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٢٦٢ مجلس ٥٢ ح ٤.
(٤) العدد القوية ص ٢٣٥.

الكهف، والذئب، وكان سبب الذئب أنّه بعث ملك ظالم رجلاً شرطيّاً ليحشر قوماً من المؤمنين ويعذّبهم، وكان للشرطيّ ابن يحبّه، فجاء ذئب فأكل ابنه فحزن الشرطيّ عليه، فأدخل الله ذلك الذئب الجنّة لما أحزن الشرطي(١).

٢ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد ومحمّد العطّار، عن ابن عيسى عن البزنطيّ، عن عبد الرحمن بن سيّابة، عن معاوية بن عمّار رفعه قال: فتحت مدائن الشام على يوشع بن نون، ففتحها مدينة مدينة حتّى انتهى إلى البلقاء، فلقوا فيها رجلاً يقال له بالق(٢)، فجعلوا يخرجون يقاتلونه لا يقتل منهم رجل، فسأل عن ذلك فقيل: إنّ فيهم امرأة عندها علم، ثمّ سألوا يوشع الصلح، ثمّ انتهى إلى مدينة أخرى فحصرها وأرسل صاحب المدينة إلى بلعم ودعاه فركب حماره إلى الملك فعثر حماره تحته فقال: لمَ عثرت؟ فكلّمه الله: لم لا أعثر وهذا جبرئيل بيده حربة ينهاك عنهم؟ وكان عندهم أنّ بلعم أوتي الاسم الأعظم، فقال الملك: ادع عليهم - وهو المنافق الّذي روي أنّ قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ نزل فيه - فقال لصاحب المدينة: ليس للدعاء عليهم سبيل، ولكن أشير عليك أن تزيّن النساء وتأمرهنّ أن يأتين عسكرهم فيتعرّضن للرجال، فإنّ الزناء لم يظهر في قوم قطّ إلّا بعث الله عليهم الموت فلمّا دخل النساء العسكر وقع الرجال بالنساء، فأوحى الله إلى يوشع: إن شئت سلّطت عليهم العدوّ، وإن شئت أهلكتهم بالسنين، وإن شئت بموت حثيث عجلان، فقال: هم بنو إسرائيل لا أحب أن يسلّط الله عليهم عدوّهم، ولا أن يهلكهم بالسنين، ولكن بموت حثيث عجلان، قال: فمات في ثلاث ساعات من النهار سبعون ألفاً بالطاعون(٣).

٣ - شي: عن سليمان اللّبان قال: قال أبو جعفر عليه السلام: أتدري ما مثل المغيرة بن سعيد؟ قال: قلت: لا، قال: مثله مثل بلعم الّذي أوتي الاسم الأعظم الّذي قال الله: ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾(٤).

بيان: قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: ﴿آيَاتِنَا﴾ أي حججنا وبيناتنا ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ أي فخرج من العلم بها بالجهل كالشيء الّذي ينسلخ من جلده ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي تبعه، وقيل: معناه: لحقه الشيطان وأدركه حتّى أضله ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ أي من الهالكين؛ وقيل: من الخائبين، واختلف في المعنيّ به فقيل: هو بلعام بن باعور، عن ابن عبّاس وابن مسعود، وكان رجلاً على دين موسى، وكان في المدينة الّتي قصدها موسى عليه السلام وكانوا كفّاراً، وكان عنده اسم الله الأعظم، وكان إذا دعا الله تعالى به أجابه؛ وقيل: هو بلعم بن

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٩.

(٢) يظهر من سائر الكتب أن بالقا كان اسم ملك هذه القرية وبه سميت القرية بلقاء (منه رحمه الله)

(٣) قصص الأنبياء، ص ١٧٣.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٥ ح ١١٨ من سورة الأعراف.

باعورا من بني هاب بن لوط عن أبي حمزة الثماليّ ومسروق؛ قال أبو حمزة: وبلغنا أيضاً - والله أعلم - أنّه أميّة بن أبي الصلت الثقفيّ، وكان قد قرأ الكتب، وعلم أنّه سبحانه مرسل رسولاً في ذلك الوقت، فلمّا أرسل محمّد ﷺ حسده ومرّ على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل: قتلهم محمّد، فقال: لو كان نبيّاً ما قتل أقرباءه؛ وقيل: إنّه أبو عامر الراهب الّذي سماه النبيّ الفاسق؛ وقيل: المعنيّ بن منافقو أهل الكتاب. وقال أبو جعفر عليه السلام: الأصل في ذلك بلعم، ثمّ ضربه الله مثلاً لكلّ مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي بتلك الآيات، أي ولو شئنا لرفعنا منزلته بإيمانه ومعرفته قبل أن يكفر، ولكن بقّيناه ليزداد الإيمان فكفر؛ وقيل: معناه: ولو شئنا لحلنا بينه وبين ما اختاره من المعصية ﴿وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي ركن إلى الدنيا ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ أي صفته كصفة الكلب، إن طردته وشددت عليه يخرج لسانه من فمه، وكذا إن تركته ولم تطرده، و﴿تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ من الحملة لا من الحمل والمعنى: إن وعظته فهو ضالّ وإن لم تعظه فهو ضالّ؛ وقيل: إنّما شبّه بالكلب في الخسة وقصور الهمّة، ثمّ وصف الكلب باللّهث على عادة العرب في تشبيههم الشيء بالشيء ثمّ يأخذون في وصف المشبه به وإن لم يكن ذلك في المشبّه، وقيل: شبّهه بالكلب إذا أخرج لسانه، لإيذائه الناس بلسانه، حملت عليه أو تركته، يقال لمن آذى النّاس بلسانه: فلان أخرج لسانه من الفم مثل الكلب، ولهثه في هذا الموضع: صياحه ونباحه[١].

١٤ - باب قصة حزقيل عليه السلام

الآيات: البقرة «٢»: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ «٢٤٣».

١ - **فس:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ الآية، فإنّه وقع الطاعون بالشام في بعض الكور فخرج منهم خلق كثير كما حكى الله تعالى هرباً من الطاعون فصاروا إلى مفازة فماتوا في ليلة واحدة كلّهم، فبقوا حتّى كانت عظامهم يمرّ بها المارّ فينحّيها برجله عن الطريق، ثمّ أحياهم الله وردّهم إلى منازلهم فبقوا دهراً طويلاً ثمّ ماتوا وتدافنوا[٢].

٢ - **خص:** سعد، عن ابن أبي الخطاب، عن أبي خالد القمّاط عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: كان في بني إسرائيل شيء لا يكون ههنا مثله؟ فقال: لا، فقلت: فحدّثني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ فهل أحياهم حتّى نظر النّاس إليهم ثمّ أماتهم من يومهم أو

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٩٤. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٨٩.

ردّهم إلى الدنيا؟ فقال: بل ردّهم إلى الدنيا حتّى سكنوا الدور، وأكلوا الطعام، ونكحوا النساء، ولبثوا بذلك ما شاء الله، ثمّ ماتوا بالآجال.

شي: عن حمران مثله[1].

٣ -ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال: سأل عبد الأعلى مولى بني سام الصادق عليه السلام وأنا عنده: حديث يرويه النّاس، فقال: وما هو؟ قال: يروون أنّ الله تعالى عزّ وجلّ أوحى إلى حزقيل النبيّ عليه السلام: أن أخبر فلان الملك أنّي متوفّيك يوم كذا، فأتى حزقيل الملك فأخبره بذلك، قال: فدعا الله وهو على سريره حتّى سقط ما بين الحائط والسرير، وقال: يا ربّ أخّرني حتّى يشبّ طفلي وأقضي أمري، فأوحى الله إلى ذلك النبيّ أن ائت فلاناً وقل إنّي أنسأت في عمره خمس عشر سنة، فقال النبيّ: يا ربّ بعزّتك إنّك تعلم أنّي لم أكذب كذبةً قطّ، فأوحى الله إليه: إنّما أنت عبد مأمور فأبلغه[2].

٤ -ص: الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن عمر بن يزيد عنهما عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ قال: إنّ هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام من بني إسرائيل، وكانوا سبعين ألف بيت، وكان الطاعون يقع فيهم في كلّ أوان، فكانوا إذا أحسّوا به خرج من المدينة الأغنياء، وبقي فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الّذين أقاموا، ويقلّ في الّذين خرجوا، فصاروا رميماً عظاماً، فمرّ بهم نبيّ من الأنبياء يقال له حزقيل فرآهم وبكى وقال: يا ربّ لو شئت أحييتهم الساعة، فأحياهم الله. وفي رواية أنّه تعالى أوحى إليه: أن رشّ الماء عليهم، ففعل فأحياهم[3].

بيان: السقط ظاهر في هذا الخبر، كما سيظهر من رواية الكافي مع توافق آخر سنديهما.

٥ - سن: بعض أصحابنا، عن رجل سمّي، عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا خرج ملك القبط يريد هدم بيت المقدس اجتمع الناس إلى حزقيل النبيّ عليه السلام فشكوا ذلك إليه، فقال: لعلّي أناجي ربّي اللّيلة، فلمّا جنّه اللّيل ناجى ربّه، فأوحى الله إليه: إنّي قد كفيتكهم وكانوا قد مضوا، فأوحى الله إلى ملك الهواء: أن أمسك عليهم أنفاسهم فماتوا كلّهم، فأصبح حزقيل النبيّ وأخبر قومه بذلك فخرجوا فوجدوهم قد ماتوا، ودخل حزقيل النبيّ العجب، فقال في نفسه: ما فضل سليمان النبيّ عليّ وقد أعطيت مثل هذا؟ قال: فخرجت قرحة على كبده فآذته، فخشع لله وتذلّل وقعد على الرماد، فأوحى الله إليه: أن خذ لبن التين فحكّه على صدرك من خارج، ففعل فسكن عنه ذلك[4].

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٥٠ ح ٤٣٤. (٢) - (٣) قصص الأنبياء، ص ٢٤١-٢٤٢.
(٤) المحاسن، ص ٥٥٣.

ص، بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى الثماليّ مثله[1].

قال الطبرسيّ قدّس روحه في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾: قيل: هم قوم من بني إسرائيل فرّوا من طاعون وقع في أرضهم، عن الحسن؛ وقيل: فرّوا من الجهاد وقد كتب عليهم، عن الضحّاك ومقاتل، واحتجّا بقوله عقيب الآية ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وقيل: هم قوم حزقيل وهو ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وذلك أنّ القيّم بأمر بني إسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون، ثمّ كالب بن يوفنا، ثمّ حزقيل وقد كان يقال له ابن العجوز، وذلك أنّ أمّه كانت عجوزاً، فسألت الله الولد وقد كبرت وعقمت فوهبه الله سبحانه لها؛ وقال الحسن: هو ذو الكفل وإنّما سمّي حزقيل ذا الكفل لأنّه كفل سبعين نبيّاً نجّاهم من القتل، وقال لهم: اذهبوا فإنّي إن قتلت كان خيراً من أن تقتلوا جميعاً، فلمّا جاء اليهود وسألوا حزقيل عن الأنبياء السبعين قال: إنّهم ذهبوا فلا أدري أين هم، ومنع الله سبحانه ذا الكفل منهم.

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أجمع أهل التفسير أنّ المراد بألوف هنا كثرة العدد إلّا ابن زيد فإنّه قال: معناه: خرجوا مؤتلفي القلوب لم يخرجوا عن تباغض. واختلف من قال: المراد به العدد الكثير فقيل: كانوا ثلاثة آلاف عن عطاء؛ وقيل: ثمانية آلاف، عن مقاتل والكلبيّ؛ وقيل: عشرة آلاف، عن أبي روق؛ وقيل: بضعة وثلاثين ألفاً، عن السدّيّ؛ وقيل: أربعين ألفاً، عن ابن عبّاس وابن جريج؛ وقيل: سبعين ألفاً، عن عطاء بن أبي رباح؛ وقيل: كانوا عدداً كثيراً، عن الضحّاك.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ أي من خوف الموت ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ قيل: أحياهم الله بدعاء نبيّهم حزقيل، عن ابن عبّاس، وقيل: إنّه شمعون نبيّ من أنبياء بني إسرائيل. ثمّ ذكر رحمه الله القصّة فقال: قيل: إنّ اسم القرية الّتي خرجوا منها داوردان؛ وقيل: واسط؛ قال الكلبيّ والضحّاك ومقاتل: إنّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوّهم، فخرجوا وعسكروا ثمّ جبنوا وكرهوا الموت فاعتلّوا وقالوا: إنّ الأرض الّتي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتّى ينقطع منها الوباء، فأرسل الله عليهم الموت، فلمّا رأوا أنّ الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فراراً من الموت، فلمّا رأى الملك ذلك قال: اللّهمّ ربّ يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك، فأرهم آية في أنفسهم حتّى يعلموا أنّهم لا يستطيعون الفرار منك، فأماتهم الله جميعاً وأمات دوابّهم وأتى عليهم ثمانية أيّام حتّى انتفخوا وأروحت أجسادهم، فخرج إليهم النّاس فعجزوا عن دفنهم، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع، وتركوهم فيها، قالوا: وأتى على ذلك مدّة حتّى بليت أجسادهم، وعريت عظامهم، وقطعت أوصالهم، فمرّ عليهم حزقيل فجعل يتفكّر فيهم متعجّباً منهم، فأوحى الله إليه: يا حزقيل تريد

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٤١.

أن أريك آية؟ وأريك كيف أحيي الموتى؟ قال: نعم، فأحياهم الله عزّ وجلّ ، وقيل: إنّهم كانوا قوم حزقيل فأحياهم الله بعد ثمانية أيّام، وذلك أنّه لمّا أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى، ثمّ قال: يا ربّ كنت في قوم يحمدونك ويسبّحونك ويقدّسونك، فبقيت وحيداً لا قوم لي، فأوحى الله تعالى إليه: قد جعلنا حياتهم إليك. فقال حزقيل: احيوا بإذن الله، فعاشوا(١).

٦ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عمر بن يزيد وغيره عن بعضهم عن أبي عبد الله وبعضهم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ فقال: إنّ هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام، وكانوا سبعين ألف بيت، وكان الطاعون يقع فيهم في كلّ أوان، فكانوا إذا أحسّوا به خرج من المدينة الأغنياء لقوّتهم، وبقي فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الّذين أقاموا ويقل في الّذين خرجوا فيقول الّذين خرجوا: لو كنّا أقمنا لكثر فينا الموت، ويقول الّذين أقاموا: لو كنّا خرجنا لقلّ فينا الموت، قال: فاجتمع رأيهم جميعاً على أنّه إذا وقع الطاعون وأحسّوا به خرجوا كلّهم من المدينة، فلمّا أحسّوا بالطاعون خرجوا جميعاً وتنحّوا عن الطاعون حذر الموت فصاروا في البلاد ما شاء الله، ثمّ إنّهم مرّوا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطاعون فنزلوا بها، فلمّا حطّوا رحالهم واطمأنّوا قال لهم الله عزّ وجلّ : موتوا جميعاً، فماتوا من ساعتهم وصاروا رميماً يلوح، وكانوا على طريق المارّة فكنستهم المارة فنحّوهم وجمعوهم في موضع، فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيل، فلمّا رأى تلك العظام بكى واستعبر وقال: يا ربّ لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتّهم فعمروا بلادك وولدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك من خلقك، فأوحى الله إليه: أفتحبّ ذلك؟ قال: نعم يا ربّ فأحيهم، فأوحى الله عزّ وجلّ : قل كذا وكذا، فقال الّذي أمره الله عزّ وجلّ أن يقوله، فقال أبو عبد الله عليه السلام : وهو الاسم الأعظم، فلمّا قال حزقيل ذلك الكلام نظر إلى العظام يطير بعضها إلى بعض، فعادوا أحياء ينظر بعضهم إلى بعض، يسبّحون الله عزّ ذكره ويكبّرونه ويهلّلونه، فقال حزقيل عند ذلك: أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير. قال عمر بن يزيد: فقال أبو عبد الله عليه السلام : فيهم نزلت هذه الآية(٢).

٧ - **أقول:** روى الشيخ أحمد بن فهد في المهذّب وغيره بأسانيدهم عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يوم النيروز هو اليوم الّذي أحيا الله فيه القوم الّذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم، وذلك أنّ نبيّاً من الأنبياء سأل ربّه أن يحيي القوم الّذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله، فأوحى إليه: أن صبّ عليهم الماء في مضاجعهم، فصبّ عليهم الماء في هذا اليوم

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٣٢. (٢) روضة الكافي الموجود مع الأصول، ص ٧٦٨ ح ٢٣٧.

فعاشوا وهم ثلاثون ألفاً، فصار صبّ الماء في يوم النيروز سنّة ماضية لا يعرف سببها إلاّ الراسخون في العلم.

٨ - ج، يد، ن: عن الحسن بن محمّد النوفليّ فيما احتجّ الرضا عليه السلام على أرباب الملل قال عليه السلام للجاثليق: فإنّ اليسع صنع مثل ما صنع عيسى فلم يتّخذه أمّته ربّاً، ولقد صنع حزقيل النبيّ عليه السلام مثل ما صنع عيسى بن مريم عليه السلام فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستّين سنة. ثمّ التفت إلى رأس الجالوت فقال: أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة؟ اختارهم بخت نصّر من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس، ثمّ انصرف بهم إلى بابل، فأرسله الله عزّ وجلّ إليهم فأحياهم. ثمّ أقبل على النصرانيّ فقال: يا نصرانيّ أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟ قال: بل كانوا قبله، فقال عليه السلام: فمتى اتّخذتم عيسى ربّاً جاز لكم أن تتّخذوا اليسع وحزقيل، لأنّهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى من إحياء الموتى وغيره، إنّ قوماً من بني إسرائيل هربوا من بلادهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة، فلم يزالوا فيها حتّى نخرت عظامهم وصاروا رميماً، فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل فتعجّب منهم ومن كثرة العظام البالية، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: أتحبّ أن أحييهم لك فتنذرهم؟ قال: نعم يا ربّ، فأوحى الله إليه: أن نادهم، فقال: أيّتها العظام البالية قومي بإذن الله عزّ وجلّ، فقاموا أحياء أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم[1].

٩ - ج: في حديث الزنديق الّذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل قال عليه السلام: أحيا الله قوماً خرجوا عن أوطانهم هاربين من الطاعون لا يحصى عددهم، فأماتهم الله دهراً طويلاً حتّى بليت عظامهم وتقطّعت أوصالهم وصاروا تراباً، فبعث الله في وقت أحبّ أن يري خلقه قدرته نبيّاً يقال له حزقيل، فدعاهم فاجتمعت أبدانهم، ورجعت فيها أرواحهم، وقاموا كهيئة يوم ماتوا لا يفقدون من أعدادهم رجلاً فعاشوا بعد ذلك دهراً طويلاً[2].

أقول: إنّما أوردنا قصّة حزقيل عليه السلام ههنا تبعاً للمشهور بين المفسّرين والمؤرّخين، والظاهر من بعض الروايات تأخّره عن تلك المرتبة.

١٥ - باب قصص إسماعيل الذي سماه الله صادق الوعد وبيان أنه غير إسماعيل بن إبراهيم

قال الله تعالى في سورة مريم «١٩»: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾.

---

(١) الاحتجاج، ص ٤١٨ والتوحيد ص ٤٢٢، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٤٣ باب ١٢ ح ١.
(٢) الاحتجاج، ص ٣٤٤.

١ - ن، ع: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أشيم، عن الجعفريّ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: أتدري لمَ سمّي إسماعيل صادق الوعد؟ قلت: لا أدري، قال: وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره[(١)].

مع: مرسلاً مثله[(٢)].

٢ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير ومحمّد بن سنان، عمّن ذكراه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيل الّذي قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ لم يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبيّاً من الأنبياء بعثه الله عزّ وجلّ إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال: إنّ الله جلّ جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت، فقال: لي أسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام[(٣)].

مل: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، وابن أبي الخطّاب وابن يزيد جميعاً، عن محمّد ابن سنان مثله[(٤)].

٣ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مروان، عن سماعة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ إسماعيل كان رسولاً نبيّاً، سلّط عليه قومه فقشروا جلدة وجهه وفروة رأسه، فأتاه رسول من ربّ العالمين فقال له: ربّك يقرؤك السلام ويقول: قد رأيت ما صنع بك، وقد أمرني بطاعتك فمرني بما شئت، فقال: يكون لي بالحسين بن عليّ عليه السلام أسوة[(٥)].

مل: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى وابن أبي الخطّاب وابن يزيد جميعاً، عن محمّد ابن سنان مثله[(٦)].

٤ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن ماجيلويه، عن عمّه، عن الكوفيّ، عن التفليسيّ، عن السمنديّ، عن الصادق، عن آبائه صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أفضل الصدقة صدقة اللّسان، تحقن به الدماء، وتدفع به الكريهة، وتجرّ المنفعة إلى أخيك المسلم. ثمّ قال صلى الله عليه وآله: إنّ عابد بني إسرائيل الّذي كان أعبدهم كان يسعى في حوائج الناس عند الملك، وإنّه لقي إسماعيل بن حزقيل فقال: لا تبرح حتّى أرجع إليك يا إسماعيل، فسها عنه عند الملك، فبقي إسماعيل إلى الحول هناك، فأنبت الله لإسماعيل عشباً فكان يأكل منه، وأجرى له عيناً وأظلّه بغمام، فخرج الملك بعد ذلك إلى التنزّه ومعه العابد فرأى إسماعيل فقال: إنّك لههنا يا إسماعيل؟ فقال له: قلت: لا تبرح فلم أبرح، فسمّي صادق الوعد، قال:

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٥ باب ٣٢ ح ٩، وعلل الشرائع، ج ١ ص ٩٧ باب ٦٧ ح ١.
(٢) معاني الأخبار، ص ٥٠ باب ٢٦ ح ١.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٨ باب ٦٧ ح ٢.
(٤) كامل الزيارات، ص ٦٤ باب ١٩ ح ١.
(٥) علل الشرائع ج ١ ص ٩٨ باب ٦٧ ح ٣.
(٦) كامل الزيارات ص ٦٤ باب ١٩ ح ٢.

وكان جبّار مع الملك فقال: أيّها الملك كذب هذا العبد، قد مررت بهذه البرّيّة فلم أره ههنا، فقال له إسماعيل: إن كنت كاذباً فنزع الله صالح ما أعطاك، قال: فتناثرت أسنان الجبّار، فقال الجبّار: إنّي كذبت على هذا العبد الصالح، فاطلب أن يدعو الله أن يردّ عليّ أسناني فإنّي شيخ كبير، فطلب إليه الملك فقال: إنّي أفعل، قال: الساعة؟ قال: لا، وأخّره إلى السحر ثمّ دعا. ثمّ قال: يا فضل إنّ أفضل ما دعوتم الله بالأسحار، قال الله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

٥ - ص: بهذا الإسناد عن ماجيلويه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن محمّد بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن شعيب العقرقوفيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ إسماعيل نبيّ الله وعد رجلاً بالصفاح، فمكث به سنة مقيماً، وأهل مكّة يطلبونه لا يدرون أين هو حتّى وقع عليه رجل فقال: يا نبيّ الله ضعفنا بعدك وهلكنا، فقال: إنّ فلان الطائفيّ وعدني أن أكون ههنا ولن أبرح حتّى يجيء، قال: فخرجوا إليه حتّى قالوا له: يا عدوّ الله وعدت النبيّ فأخلفته، فجاء وهو يقول لإسماعيل عليه السلام: يا نبيّ الله ما ذكرت ولقد نسيت ميعادك، فقال: أما والله لو لم تجئني لكان منه المحشر، فأنزل الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾[2].

٦ - مل: محمّد بن جعفر الرزّاز، عن ابن أبي الخطّاب وأحمد بن الحسن بن فضّال، عن الحسن بن فضّال، عن مروان بن مسلم، عن بريد العجليّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا ابن رسول الله أخبرني عن إسماعيل الّذي ذكره الله في كتابه حيث يقول: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ أكان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام؟ فإنّ الناس يزعمون أنّه إسماعيل بن إبراهيم، فقال عليه السلام: إنّ إسماعيل مات قبل إبراهيم[3]، وإنّ إبراهيم كان حجّة لله قائماً صاحب شريعة، فإلى من أرسل إسماعيل إذن؟ قلت: فمن كان جعلت فداك؟ قال: ذاك إسماعيل بن حزقيل النبيّ، بعثه الله إلى قومه فكذّبوه وقتلوه وسلخوا وجهه، فغضب الله عليهم له فوجّه إليه سطاطائيل ملك العذاب فقال له: يا إسماعيل أنا سطاطائيل ملك العذاب، وجّهني ربّ العزّة إليك لأعذب قومك بأنواع العذاب إن شئت، فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك يا سطاطائيل، فأوحى الله إليه: فما حاجتك يا إسماعيل؟ فقال إسماعيل: يا ربّ إنّك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبيّة، ولمحمّد بالنبوّة، ولأوصيائه بالولاية، وأخبرت خلقك بما تفعل اُمّته بالحسين بن عليّ من بعد نبيّها، وإنّك وعدت الحسين أن تكرّه إلى الدنيا حتّى ينتقم بنفسه ممّن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا ربّ أن تكرّني إلى الدنيا حتّى أنتقم ممّن فعل ذلك بي ما فعل، كما تكرّ الحسين، فوعد الله

(١) - (٢) قصص الأنبياء، ص ١٨٨.

(٣) هذا مخالف لما مر من تقدم فوت إبراهيم عليه السلام على فوت إسماعيل عليه السلام، في أبواب أحوالهما ولعل إحداهما محمول على التقية (منه رحمه الله).

إسماعيل بن حزقيل ذلك، فهو يكرّ مع الحسين بن عليّ عليه السلام [١].

٧ - جا: الجعابيّ، عن ابن عقدة، عن يحيى بن زكريّا، عن عثمان بن عيسى، عن أحمد ابن سليمان وعمران بن مروان، عن سماعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الّذي قال الله في كتابه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ سلّط عليه قومه فكشطوا وجهه وفروة رأسه، فبعث الله إليه ملكاً فقال له: إنّ ربّ العالمين يقرؤك السلام ويقول: قد رأيت ما صنع بك قومك فسلني ما شئت، فقال: يا ربّ العالمين لي بالحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أسوة. قال أبو عبد الله عليه السلام: ليس هو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام [٢].

بيان: المشهور بين العامّة أنّه إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وروى بعضهم نحواً ممّا ورد في تلك الأخبار.

١٦ - باب قصة إلياس وإليا واليسع عليهم السلام

الآيات: الأنعام «٦»: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

الصافات «٣٧»: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾.

ص «٣٨»: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ «٤٨».

تفسير: قيل: البعل: اسم صنم كان لأهل بكّ من الشام، وهو البلد الّذي يقال له الآن بعلبكّ، وقيل: البعل: الربّ بلغة اليمن. والمعنى: أتدعون بعض البعول ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي في العذاب «وإلياسين» قيل: لغة في إلياس؛ وقيل: جمع له يراد به هو وأتباعه، وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على إضافة آل إلى ياسين، فيكون ياسين أبا إلياس، أو محمّداً صلى الله عليه وآله، وسيأتي الأخير في كتاب الإمامة في تفاسير أهل البيت.

١ - كا: عليّ بن محمّد، ومحمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن بكر بن صالح، عن محمّد بن سنان، عن مفضّل بن عمر قال: أتينا باب أبي عبد الله عليه السلام ونحن نريد الإذن عليه فسمعناه يتكلّم بكلام ليس بالعربيّة، فتوهّمنا أنّه بالسريانيّة، ثمّ بكا فبكينا لبكائه، ثمّ خرج إلينا الغلام فأذن لنا فدخلنا عليه، فقلت: أصلحك الله أتيناك نريد الإذن عليك فسمعناك تتكلّم بكلام ليس بالعربيّة فتوهّمنا أنّه بالسريانيّة ثمّ بكيت فبكينا لبكائك، فقال: نعم ذكرت

(١) كامل الزيارات، ص ١٣٨ باب ١٩ ح ٣. (٢) أمالي المفيد، ص ٣٩ مجلس ٥ ح ٧.

إلياس النبيّ عليه السلام وكان من عبّاد أنبياء بني إسرائيل، فقلت كما كان يقول في سجوده، ثمّ اندفع فيه بالسريانيّة فما رأينا والله قسّاً ولا جاثليقاً أفصح لهجة منه به، ثمّ فسّره لنا بالعربيّة فقال: كان يقول في سجوده: «أتراك معذّبي وقد أظمأت لك هواجري؟ أتراك معذّبي وقد عفّرت لك في التراب وجهي؟ أتراك معذّبي وقد اجتنبت لك المعاصي؟ أتراك معذّبي وقد أسهرت لك ليلي؟» قال: فأوحى الله إليه: أن ارفع رأسك فإنّي غير معذّبك قال: فقال: إن قلت: لا أعذّبك ثمّ عذّبتني ماذا؟ ألست عبدك وأنت ربّي؟ فأوحى الله إليه: أن ارفع رأسك فإنّي غير معذّبك، فإنّي إذا وعدت وعداً وفيت به[1].

٢ - ص: بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده عن وهب بن منبّه، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: إنّ يوشع بن نون بوّأ بني إسرائيل الشام بعد موسى عليه السلام وقسّمها بينهم فسار منهم سبط ببعلبكّ بأرضها، وهو السبط الّذي منه إلياس النبيّ، فبعثه الله إليهم وعليهم يومئذ ملك فتنهم بعبادة صنم يقال له بعل، وذلك قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ﴾ وكان للملك زوجة فاجرة يستخلفها إذا غاب فتقضي بين الناس، وكان لها كاتب حكيم قد خلّص من يدها ثلاث مائة مؤمن كانت تريد قتلهم، ولم يعلم على وجه الأرض أنثى أزنى منها، وقد تزوّجت سبعة ملوك من بني إسرائيل حتّى ولدت تسعين ولداً سوى ولد ولدها، وكان لزوجها جار صالح من بني إسرائيل، وكان له بستان يعيش به إلى جانب قصر الملك، وكان الملك يكرمه، فسافر مرّة فاغتنمت امرأته وقتلت العبد الصالح وأخذت بستانه غصباً من أهله وولده، وكان ذلك سبب سخط الله عليهم، فلمّا قدم زوجها أخبرته الخبر فقال لها: ما أصبت، فبعث الله إلياس النبيّ يدعوهم إلى عبادة الله فكذّبوه وطردوه وأهانوه وأخافوه، وصبر عليهم واحتمل أذاهم ودعاهم إلى الله تعالى فلم يزدهم إلاّ طغياناً، فآلى الله على نفسه أن يهلك الملك والزانية إن لم يتوبوا إليه، وأخبرهما بذلك، فاشتدّ غضبهم عليه وهمّوا بتعذيبه وقتله، فهرب منهم فلحق بأصعب جبل فبقي فيه وحده سبع سنين، يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر والله يخفي مكانه، فأمرض الله ابناً للملك مرضاً شديداً حتّى يئس منه، وكان أعزّ ولده إليه، فاستشفعوا إلى عبدة الصنم ليستشفعوا له فلم ينفع، فبعثوا الناس إلى حدّ الجبل الّذي فيه إلياس عليه السلام فكانوا يقولون: اهبط إلينا واشفع لنا، فنزل إلياس من الجبل وقال: إنّ الله أرسلني إليكم وإلى من ورائكم، فاسمعوا رسالة ربّكم، يقول الله: ارجعوا إلى الملك فقولوا له: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا إله بني إسرائيل الّذي خلقهم، وأنا الّذي أرزقهم وأحييهم وأميتهم وأضرّهم وأنفعهم، وتطلب الشفاء لابنك من غيري؟ فلمّا صاروا إلى الملك وقصّوا عليه القصّة امتلأ غيظاً فقال: ما الّذي منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتوني به فإنّه

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ١٣٠ باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب ح ٢.

عدوّي، قالوا: لمّا صار معنا قذف في قلوبنا الرعب عنه، فندب خمسين من قومه من ذوي البطش وأوصاهم بالاحتيال له وإطماعه في أنّهم آمنوا به ليغترّ بهم فيمكّنهم من نفسه، فانطلقوا حتّى ارتقوا ذلك الجبل الّذي فيه إلياس عليه السلام ثمّ تفرّقوا فيه وهم ينادونه بأعلى صوتهم ويقولون: يا نبيّ الله ابرز لنا فإنّا آمنا بك، فلمّا سمع إلياس مقالتهم طمع في إيمانهم فكان في مغارة فقال: اللّهمّ إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في النزول إليهم، وإن كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم، فما استتمّ قوله حتّى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا، فبلغ الملك خبرهم فاشتدّ غيظه فانتدب كاتب امرأته المؤمن وبعث معه جماعة إلى الجبل وقال له: قد آن أن أتوب، فانطلق لنا إليه حتّى يرجع إلينا يأمرنا وينهانا بما يرضي ربّنا، وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام، فانطلق كاتبها والفئة الّذين أنفذهم معه حتّى علا الجبل الّذي فيه إلياس، ثمّ ناداه فعرف إلياس صوته فأوحى الله تعالى إليه: أن ابرز إلى أخيك الصالح وصافحه وحيّه. فقال المؤمن: بعثني إليك هذا الطاغي وقومه، وقصّ عليه ما قالوا، ثمّ قال: وإنّي لخائف إن رجعتُ إليه ولستَ معي أن يقتلني، فأوحى الله تعالى عزّ وجلّ إلى إلياس[1]: إنّ كلّ شيء جاءك منهم خداع ليظفروا بك، وإنّي أشغله عن هذا المؤمن بأن أُميت ابنه، فلمّا قدموا عليه شدّ الله الوجع على ابنه وأخذ الموت بكظمه ورجع إلياس سالماً إلى مكانه، فلمّا ذهب الجزع عن الملك بعد مدّة سأل الكاتب على الّذي جاء به، فقال: ليس لي به علم.

ثمّ إنّ إلياس عليه السلام نزل واستخفى عند أُمّ يونس بن متى ستّة أشهر ويونس مولود، ثمّ عاد إلى مكانه فلم يلبث إلاّ يسيراً حتّى مات ابنها حين فطمته فعظمت مصيبتها فخرجت في طلب إلياس ورقت الجبال حتّى وجدت إلياس فقالت: إنّي فجعت بموت ابني وألهمني الله تعالى عزّ وعلا الاستشفاع بك إليه ليحيي لي ابني فإنّي تركته بحاله ولم أدفنه وأخفيت مكانه، فقال لها: ومتى مات ابنك؟ قالت: اليوم سبعة أيّام، فانطلق إلياس وسار سبعة أيّام أُخرى حتّى انتهى إلى منزلها، فرفع يديه بالدعاء واجتهد حتّى أحيا الله تعالى جلّت عظمته بقدرته يونس عليه السلام فلمّا عاش انصرف إلياس، ولمّا صار ابن أربعين سنة أرسله الله إلى قومه كما قال: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

ثمّ أوحى الله تعالى جلّ وعلا إلى إلياس بعد سبع سنين من يوم أحيا الله يونس سلني أُعطك، فقال: تميتني فتلحقني بآبائي فإنّي قد مللت بني إسرائيل وأبغضتهم فيك، فقال تعالى جلّت قدرته: ما هذا باليوم الّذي أُعري منك الأرض وأهلها، وإنّما قوامها بك، ولكن سلني

(١) في بعض الكتب أوحى الله إلى الياس عليه السلام: إن كل ما جاءك عنه مكر وكذب ليظفر بك، وأن الملك إن أخبرته رسله انك لقيت هذا الرجل ولم يأت بك إليه اتهمه وعرف انه قد راهن في أمرك، فلم يأمن أن تقيله فانطلق معه وإني سأشغله عنكما، واضاعف على ابنه البلاء، فإذا هو مات فارجع عنه، ولا تقم عنده فذهب معه ورجع سالماً (منه رحمه الله).

أعطك، فقال إلياس: فأعطني ثاري من الّذين أبغضوني فيك، فلا تمطر عليهم سبع سنين قطرةً إلاّ بشفاعتي[١]، فاشتدّ على بني إسرائيل الجوع وألحّ عليهم البلاء، وأسرع الموت فيهم، وعلموا أنّ ذلك من دعوة إلياس، ففزعوا إليه وقالوا: نحن طوع يدك، فهبط إلياس معهم ومعه تلميذ له اليسع وجاء إلى الملك فقال: أفنيت بني إسرائيل بالقحط، فقال: قتلهم الّذي أغواهم، فقال: ادع ربّك يسقيهم، فلمّا جن اللّيل قام إلياس عليه السلام ودعا الله، ثمّ قال لليسع: انظر في أكناف السماء ماذا ترى؟ فنظر فقال: أرى سحابة، فقال: أبشروا بالسقاء، فليحرزوا أنفسهم وأمتعتهم من الغرق، فأمطر الله عليهم السماء وأنبتت لهم الأرض، فقام إلياس بين أظهرهم وهم صالحون، ثمّ أدركهم الطغيان والبطر فجحدوا حقّه وتمرّدوا، فسلّط الله عليهم عدوًّا قصدهم ولم يشعروا به حتّى رهقهم، فقتل الملك وزوجته وألقاهما في بستان الّذي قتلته زوجة الملك، ثمّ وصى إلياس إلى اليسع وأنبت الله لإلياس الريش وألبسه النور ورفعه إلى السّماء، وقذف بكسائه من الجوّ على اليسع، فنبّأه الله على بني إسرائيل وأوحى إليه وأيّده، فكان بنو إسرائيل يعظّمونه ويهتدون بهداه[٢].

بيان: الكظم محرّكة: الحلق أو الفم أو مخرج النفس. وقال الطبرسيّ: اختلف في إلياس فقيل: هو إدريس، عن ابن مسعود وقتادة؛ وقيل: هو من أنبياء بني إسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عمّ اليسع، وهو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، عن ابن عبّاس ومحمّد بن إسحاق وغيرهما، قالوا: إنّه بعث بعد حزقيل لمّا عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وكان يوشع لمّا فتح الشام بوّأها بني إسرائيل وقسّمها بينهم، فأحلّ سبطاً منهم ببعلبكّ وهم سبط إلياس بعث فيهم نبيّاً إليهم فأجابه الملك، ثمّ إنّ امرأته حملته على أن ارتدّ وخالف إلياس وطلبه ليقتله فهرب إلى الجبال والبراري، وقيل: إنّه استخلف اليسع على بني إسرائيل ورفعه الله تعالى من بين أظهرهم، وقطع عنه لذّة الطعام والشراب، وكساه الريش فصار إنسيّاً ملكيّاً أرضيّاً سماويّاً، وسلّط الله على الملك وقومه عدوًّا لهم، فقتل الملك وامرأته، وبعث الله اليسع رسولاً فآمنت به بنو إسرائيل وعظّموه وانتهوا إلى أمره، عن ابن عبّاس؛ وقيل: إنّ إلياس صاحب البراري، والخضر صاحب الجزائر، ويجتمعان في كلّ يوم عرفة بعرفات؛ وذكر وهب أنّه ذو الكفل؛ وقيل: هو الخضر عليه السلام، وقال: اليسع هو ابن اخطوب بن العجوز[٣].

٣ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن محمّد بن عيسى أو غيره، عن قتيبة بن مهران، عن حمّاد بن زكريّا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) وفي بعض الروايات: ان الله لم يجبه إلى سبع سنين، وقال: أنا أرحم بخلقي من ذلك فكان الياس ينقص إلى أن بلغ ثلاث سنين فأجابه إلى ذلك (منه رحمه الله).

(٢) قصص الأنبياء، ص ٢٤٨.

(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٢٩.

عليكم بالكرفس، فإنّه طعام إلياس واليسع ويوشع بن نون[١].

٤ - **كا:** محمّد بن أبي عبد الله ومحمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد جميعاً، عن الحسن بن العبّاس بن الجريش عن أبي جعفر الثاني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: بينا أبي يطوف بالكعبة إذا رجل معتجر قد قيّض له فقطع عليه أسبوعه حتّى أدخله إلى دار جنب الصفا، فأرسل إليّ فكنّا ثلاثة، فقال: مرحباً يا ابن رسول الله، ثمّ وضع يده على رأسي وقال: بارك الله فيك يا أمين الله بعد آبائه يا أبا جعفر. إن شئت فأخبرني وإن شئت فأخبرتك، وإن شئت سلني وإن شئت سألتك، وإن شئت فأصدقني وإن شئت صدقتك، قال: كلّ ذلك أشاء، قال: فإيّاك أن ينطق لسانك عند مسألتي بأمر تضمر لي غيره[٢]، قال: إنّما يفعل ذلك من في قلبه علمان يخالف أحدهما صاحبه، وإنّ الله عزّ وجلّ أبى أن يكون له علم فيه اختلاف، قال: هذه مسألتي وقد فسّرت طرفاً منها، أخبرني عن هذا العلم الّذي ليس فيه اختلاف من يعلمه؟ قال: أمّا جملة العلم فعند الله جلّ ذكره، وأمّا ما لابدّ للعباد منه فعند الأوصياء، قال: ففتح الرجل عجرته واستوى جالساً وتهلل وجهه، وقال: هذه أردت ولها أتيت، زعمت أنّ علم ما لا اختلاف فيه من العلم عند الأوصياء، فكيف يعلمونه؟ قال: كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه إلاّ أنّهم لا يرون ما كان رسول الله يرى، لأنّه كان نبيّاً وهم محدّثون، وإنّه كان يفد إلى الله جلّ جلاله فيسمع الوحي وهم لا يسمعون، فقال: صدقت يا ابن رسول الله سآتيك بمسألة صعبة، أخبرني عن هذا العلم ما له لا يظهر كما كان يظهر مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: فضحك أبي عليه السلام وقال: أبى الله أن يطلع على علمه إلاّ ممتحناً للايمان به، كما قضى على رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصبر على أذى قومه ولا يجاهدهم إلاّ بأمره، فكم من اكتتام قد اكتتم به حتّى قيل له: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣] وأيم الله أن لو صدع قبل ذلك لكان آمناً، ولكنّه إنّما نظر في الطاعة وخاف الخلاف، فلذلك كفّ، فوددت أنّ عينيك تكون مع مهديّ هذه الأمّة والملائكة بسيوف آل داود بين السماء والأرض يعذّب أرواح الكفرة من الأموات، ويلحق بهم أرواح أشباههم من الأحياء، ثمّ أخرج سيفاً ثمّ قال: ها إنّ هذا منها؟ قال: فقال أبي: إي والّذي اصطفى محمّداً على البشر، قال: فردّ الرجل اعتجاره وقال: أنا إلياس ما سألتك عن أمرك

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ١٠٩٣ باب ٢٨٥ ح ١.

(٢) أي لا تخبرني بشيء يكون في علمك شيء آخر، تلزمك لأجله القول بخلاف ما أخبرت، كما في أكثر علوم أهل الضلال، فإنه يلزمهم أشياء لا يقولون بها. قيل: المراد أخبرني بعلم يقيني، لا يكون عندك احتمال خلافه فقوله عليه السلام: (علمان) أي احتمالان متناقضان أو المراد لا تكتم مني شيئاً من الأسرار والله يعلم (منه رحمه الله).

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

ولي به جهالة، غير أنّي أحببت أن يكون هذا الحديث قوّة لأصحابك. وساق الحديث بطوله إلى أن قال: ثمّ قام الرجل وذهب فلم أره[١].

٥ - م: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لزيد بن أرقم: إذا أردت أن يؤمنك الله من الغرق والحرق والشرق فقل إذا أصبحت: «بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلاّ الله، بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلاّ الله، بسم الله ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، بسم الله ما شاء الله صلّى الله على محمّد وآله الطيّبين» فإنّ من قالها ثلاثاً إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والشرق حتّى يمسي، ومن قالها ثلاثاً إذا أمسى أمن من الحرق والغرق والشرق حتّى يصبح، وإنّ الخضر وإلياس عليهما السلام يلتقيان في كلّ موسم فإذا تفرّقا تفرّقا عن هذه الكلمات[٢].

٦ - ص: الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن الحسن، عن عمرو بن سعيد، عن مصدّق، عن عمّار، عن الصادق عليه السلام قال: كان في زمان بني إسرائيل رجل يسمّى إليا رئيس على أربع مائة من بني إسرائيل، وكان ملك بني إسرائيل هوي امرأة من قوم يعبدون الأصنام من غير بني إسرائيل فخطبها، فقالت: على أن أحمل الصنم فأعبده في بلدتك، فأبى عليها ثمّ عاودها مرّة بعد مرّة حتّى صار إلى ما أرادت فحوّلها إليه ومعها صنم، وجاء معها ثمان مائة رجل يعبدونه، فجاء إليا إلى الملك فقال: ملّكك الله ومدّ لك في العمر فطغيت وبغيت! فلم يلتفت إليه فدعا الله إليا أن لا يسقيهم قطرة، فنالهم قحط شديد ثلاث سنين حتّى ذبحوا دوابّهم فلم يبق لهم من الدوابّ إلاّ برذون يركبه الملك، وآخر يركبه الوزير، وكان قد استتر عند الوزير أصحاب إليا يطعمهم في سرب، فأوحى الله تعالى جلّ ذكره إلى إليا: تعرّض للملك فإنّي أريد أن أتوب عليه، فأتاه فقال: يا إليا ما صنعت بنا؟ قتلت بني إسرائيل، فقال إليا: تطيعني فيما آمرك به؟ فأخذ عليه العهد، فأخرج أصحابه وتقرّبوا إلى الله تعالى بثورين، ثمّ دعا بالمرأة فذبحها وأحرق الصنم وتاب الملك توبة حسنة حتّى لبس الشعر وأرسل إليه المطر والخصب[٣].

٧ - ير: محمّد بن الحسين، عن أحمد بن الحسن الميثميّ، عن أبان بن عثمان، عن موسى النميريّ قال: جئت إلى باب أبي جعفر عليه السلام لأستأذن عليه، فسمعنا صوتاً حزيناً يقرأ بالعبرانيّة، فبكينا حيث سمعنا الصوت، وظنّنا أنّه بعث إلى رجل من أهل الكتاب يستقرئه، فأذن لنا فدخلنا عليه فلم نر عنده أحداً، فقلنا: أصلحك الله سمعنا صوتاً بالعبرانيّة فظننا أنّك بعثت إلى رجل من أهل الكتاب تستقرئه، قال: لا، ولكن ذكرت مناجاة إليا لربّه فبكيت من ذلك، قال: قلنا: وما كان مناجاته جعلني الله فداك؟ قال: جعل يقول: «يا ربّ أتراك معذّبي

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ١٣٨ باب في شأن إنا أنزلناه ح ١.
(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ١٩ ح ٤.
(٣) قصص الأنبياء، ص ٢٤٢.

بعد طول قيامي لك؟ أتراك معذّبي بعد طول صلاتي لك» وجعل يعدّد أعماله، فأوحى الله إليه: إنّي لست أعذّبك، قال: فقال: يا ربّ وما يمنعك أن تقول لا بعد نعم وأنا عبدك وفي قبضتك؟ قال: فأوحى الله إليه: إنّي إذا قلت قولاً وفيت به(١).

بيان: لا يبعد اتّحاد إلياس وإليا لتشابه الاسمين والقصص المشتملة عليهما.

٨ - **ج، يد، ن:** في خبر طويل رواه الحسن بن محمّد النوفليّ، عن الرضا عليه السلام فيما احتجّ به على جاثليق النصارى أن قال عليه السلام: إنّ اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى عليه السلام: مشى على الماء وأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فلم تتّخذه أمّته ربّاً. الخبر(٢).

٩ - **قب:** روي عن أنس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سمع صوتاً من قلّة جبل: اللّهمّ اجعلني من الأمّة المرحومة المغفورة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا بشيخ أشيب، قامته ثلاث مائة ذراع، فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله عانقه، ثمّ قال: إنّني آكل في كلّ سنة مرّة واحدة وهذا أوانه، فإذا هو بمائدة أنزل من السماء فأكلا، وكان إلياس عليه السلام(٣).

١٠ - **فس:** قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ قال: كان لهم صنم يسمّونه بعلاً، وسأل رجل أعرابيّاً عن ناقة واقفة فقال: لمن هذه الناقة؟ فقال الأعرابيّ: أنا بعلها، وسمّي الربّ بعلاً. ثمّ ذكر عزّ وجلّ آل محمد عليهم السلام فقال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠)﴾ فقال: ياسين: محمّد، وآل محمّد الأئمّة صلوات الله وسلامه عليهم(٤).

أقول: روى الثعلبيّ بإسناده عن رجل من أهل عسقلان أنّه كان يمشي بالأردنّ عند نصف النهار، فرأى رجلاً فقال: يا عبد الله من أنت؟ فجعل لا يكلّمني، فقلت: يا عبد الله من أنت؟ قال: أنا إلياس، قال: فوقعت عليّ رعدة فقلت: ادع الله أن يرفع عنّي ما أجد حتّى أفهم حديثك وأعقل عنك، قال: فدعا لي بثمان دعوات «يا برّ يا رحيم يا حنّان يا منّان يا حيّ يا قيّوم» ودعوتين بالسريانيّة فلم أفهمهما، فرفع الله عنّي ما كنت أجد، فوضع كفّه بين كتفيّ فوجدت بردها بين ثدييّ، فقلت له: يوحى إليك اليوم؟ قال: منذ بعث محمّد رسولاً فإنّه ليس يوحى إليّ، قال: قلت له: فكم من الأنبياء اليوم أحياء؟ قال: أربعة: اثنان في الأرض واثنان في السّماء، ففي السماء عيسى وإدريس عليهما السلام وفي الأرض إلياس والخضر عليهما السلام، قلت: كم الأبدال؟ قال: ستّون رجلاً: خمسون منهم من لدن عريش المصر إلى شاطئ الفرات، ورجلان بالمصيصة، ورجل بعسقلان، وسبعة في سائر البلاد، وكلّما أذهب الله تعالى بواحد منهم جاء سبحانه بآخر، بهم يدفع الله عن الناس البلاء، وبهم يمطرون، قلت.

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٣١٩ ج ٧ باب ١٣ ح ٣.
(٢) الاحتجاج، ص ٤١٨، والتوحيد ص ٤٢٢، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٤٣ باب ١٢ ح ١.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٨٠. (٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٩.

فالخضر أنّى يكون؟ قال: في جزائر البحر، قلت: فهل تلقاه؟ قال: نعم، قلت: أين؟ قال: بالموسم، قلت: فما يكون من حديثكما؟ قال: يأخذ من شعري وآخذ من شعره، قال: وذاك حين كان بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال، فقلت: فما تقول في مروان بن الحكم؟ قال: ما تصنع به؟ رجل جبّار عات على الله عزّوجلّ، القاتل والمقتول والشاهد في النار، قلت: فإنّي شهدت فلم أطعن برمح ولم أرم بسهم ولم أضرب بسيف وأنا أستغفر الله تعالى من ذلك المقام لن أعود إلى مثله أبداً، قال: أحسنت، هكذا فكن، فإنّي وإيّاه قاعدان إذ وضع بين يديه رغيفان أشدّ بياضاً من الثلج فأكلت أنا وهو رغيفاً وبعض آخر، ثمّ رفع فما رأيت أحداً وضعه ولا أحداً رفعه، وله ناقة ترعى في واد الأردنّ، فرفع رأسه إليها فما دعاها حتّى جاءت فبركت بين يديه فركبها، قلت: أريد أن أصحبك، قال: إنّك لا تقدر على صحبتي، قال: قلت: إنّي خلق ما لي زوجة ولا عيال، فقال: تزوّج وإيّاك والنساء الأربع: إيّاك والناشزة والمختلعة والملاعنة والمبارئة، وتزوّج ما بدا لك من النساء، قال: قلت: إنّي أحبّ لقاءك، قال: إذا رأيتني فقد رأيتني، ثمّ قال لي: إنّي أريد أن أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان، ثمّ حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما أدري كيف ذهب[1].

١٧ - باب قصص ذي الكفل عليه السلام

الآيات: الأنبياء «٢١»: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

ص «٣٨»: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ «٤٨».

١ - **ص:** الصدوق، عن الطالقانيّ، عن أحمد بن قيس، عن أحمد بن محمّد بن أبي البهلول، عن الفضل بن نفيس، عن الحسن بن شجاع، عن سليمان بن الربيع، عن بارح بن أحمد، عن مقاتل بن سليمان، عن عبد الله بن سعد، عن عبد الله بن عمر قال: سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله فقيل له: ما كان ذو الكفل؟ فقال: كان رجل من حضرموت واسمه عويديا بن ادريم، قال: من يلي أمر الناس بعدي على أن لا يغضب؟ قال: فقام فتى فقال: أنا، فلم يلتفت إليه، ثمّ قال كذلك فقام الفتى، فمات ذلك النبيّ، وبقي ذلك الفتى وجعله الله نبيّاً، وكان الفتى يقضي أوّل النهار، فقال إبليس لأتباعه: من له؟ فقال واحد منهم يقال له الأبيض: أنا، فقال إبليس: فاذهب إليه لعلّك تغضبه، فلمّا انتصف النهار جاء الأبيض إلى ذي الكفل وقد أخذ مضجعه فصاح وقال: إنّي مظلوم، فقال: قل له: تعال فقال: لا أنصرف، قال: فأعطاه خاتمه، فقال: اذهب وأتني بصاحبك، فذهب حتّى إذا كان من الغد جاء تلك الساعة الّتي أخذ هو مضجعه، فصاح: إنّي مظلوم، وإنّ خصمي لم يلتفت إلى

(١) عرائس المجالس، ص ٢٣٠.

خاتمك، فقال له الحاجب: ويحك دعه ينم، فإنّه لم ينم البارحة ولا أمس، قال: لا أدعه ينام وأنا مظلوم، فدخل الحاجب وأعلمه فكتب له كتاباً وختمه ودفعه إليه، فذهب حتّى إذا كان من الغد حين أخذ مضجعه جاء فصاح فقال: ما التفت إلى شيء من أمرك، ولم يزل يصيح حتّى قام وأخذ بيده في يوم شديد الحرّ لو وضعت فيه بضعة لحم على الشمس لنضجت، فلمّا رأى الأبيض ذلك انتزع يده من يده ويئس منه أن يغضب، فأنزل الله تعالى جلّ وعلا قصّته على نبيّه ليصبر على الأذى كما صبر الأنبياء عليهم السلام على البلاء[1].

بيان: لعلّه سقط من أوّل الخبر شيء، ورأيت في بعض الكتب هكذا: لمّا كبر اليسع عليه السلام قال: لو أنّي استخلفت رجلاً يعمل على الناس في حياتي فأنظر كيف يعمل فجمع النّاس فقال لهم: من يتقبّل منّي ثلاثاً أستخلفه بعدي: أن يصوم النهار ويقوم اللّيل ولا يغضب، فقام رجل تزدريه الأعين فقال: أنا، فردّه، ثمّ قال في اليوم الثاني كذلك، فسكت النّاس وقام ذلك الرجل وقال: أنا، فاستخلفه، فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان؛ وساق الحديث نحواً ممّا مرّ[2].

أقول: فظهر أنّ القائل نبيٌّ آخر غير ذي الكفل، والقائل الّذي وفى بالعهد ولم يغضب هو ذو الكفل عليه السلام.

٢ - **ص:** الصدوق، عن الدقّاق، عن الأسديّ، عن سهل، عن عبد العظيم الحسنيّ قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أسأله عن ذي الكفل ما اسمه؟ وهل كان من المرسلين؟ فكتب صلوات الله وسلامه عليه: بعث الله تعالى جلّ ذكره مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ، المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وإنّ ذا الكفل منهم صلوات الله عليهم، وكان بعد سليمان بن داود عليه السلام، وكان يقضي بين الناس كما كان يقضي داود، ولم يغضب إلاّ لله عزّ وجلّ، وكان اسمه عويديا وهو الّذي ذكره الله تعالى جلّت عظمته في كتابه حيث قال: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[3].

بيان: قال الشيخ أمين الدين الطبرسيّ: أمّا ذو الكفل فاختلف فيه فقيل: إنّه كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبيّاً، ولكنّه تكفّل لنبيّ صوم النهار، وقيام اللّيل، وأن لا يغضب، ويعمل بالحقّ، فوفى بذلك فشكر الله ذلك له، عن أبي موسى الأشعريّ وقتادة ومجاهد؛ وقيل: هو نبيّ اسمه ذو الكفل، عن الحسن؛ قال: ولم يقصّ الله خبره مفصّلاً، وقيل: هو إلياس، عن ابن عبّاس، وقيل: كان نبيّاً وسمّي ذا الكفل بمعنى أنّه ذو الضعف فله ضعف ثواب غيره ممّن هو في زمانه، لشرف عمله، عن الجبّائيّ؛ وقيل: هو اليسع بن خطوب الّذي كان مع إلياس،

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢١٢.
(٢) عرائس المجالس، ص ٢٣١.
(٣) قصص الأنبياء، ص ٢١٣.

وليس اليسع الّذي ذكره الله في القرآن، تكفّل لملك جبّار إن هو تاب دخل الجنّة، ودفع إليه كتاباً بذلك، فتاب الملك وكان اسمه كنعان فسمّي ذا الكفل، والكفل في اللّغة: الخطّ[1].

وفي كتاب النبوّة بالإسناد عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ وذكر نحواً ممّا مرّ انتهى.

وقال البيضاويّ: ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ يعني إلياس؛ وقيل: يوشع؛ وقيل زكريّا[2].

أقول: وقال بعض المؤرّخين أنّه بشر بن أيّوب الصابر وذهب أكثرهم إلى أنّه كان وصيّ اليسع، وقد مرّ في الباب الأوّل أنّه يوشع، وقد مرّ منّا فيه كلام، وإنّما أوردناه في تلك المرتبة تبعاً لأكثر المؤرّخين، وإن كان يظهر من الخبر أنّه كان بعد سليمان عليه السلام، وذكر المسعوديّ أنّ حزقيل وإلياس وذا الكفل وأيّوب كانوا بعد سليمان عليه السلام وقبل المسيح عليه السلام[3].

وقال الثعلبيّ في كتاب العرائس: وقال بعضهم: ذو الكفل بشر بن أيّوب الصابر، بعثه الله بعد أبيه رسولاً إلى أرض الروم، فآمنوا به وصدّقوه واتّبعوه، ثمّ إنّ الله تعالى أمره بالجهاد فكاعوا عن ذلك وضعفوا، وقالوا: يا بشر إنّا قوم نحبّ الحياة ونكره الموت، ومع ذلك نكره أن نعصي الله ورسوله، فإن سألت الله تعالى أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا إلاّ إذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه، فقال لهم بشر بن أيّوب: لقد سألتموني عظيماً وكلفتموني شططاً، ثمّ إنّه قام وصلّى ودعا وقال: «إلهي أمرتني أن نجاهد أعداءك، وأنت تعلم أنّي لا أملك إلاّ نفسي، وإنّ قومي قد سألوني ما أنت أعلم به منّي، فلا تأخذني بجريرة غيري، فإنّي أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك» قال: وأوحى الله تعالى إليه: يا بشر إنّي سمعت مقالة قومك، وإنّي قد أعطيتهم ما سألوني، فطوّلت أعمارهم فلا يموتون إلاّ إذا شاؤوا، فكن كفيلاً لهم منّي بذلك، فبلّغهم بشر رسالة الله فسمّي ذا الكفل، ثمّ إنّهم توالدوا وكثروا ونموا حتّى ضاقت بهم بلادهم، وتنغّصت عليهم معيشتهم، وتأذّوا بكثرتهم، فسألوا بشراً أن يدعو الله تعالى أن يردّهم إلى آجالهم، فأوحى الله تعالى إلى بشر: أما علم قومك أنّ اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم؟ ثمّ ردّهم إلى أعمارهم فماتوا بآجالهم، قال: فلذلك كثرت الروم حتّى يقال: إنّ الدنيا خمسة أسداسها الروم، وسمّوا روماً لأنّهم نسبوا إلى جدّهم روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، قال وهب: وكان بشر بن أيّوب مقيماً بالشام عمره حتّى مات، وكان عمره خمساً وتسعين سنة[4].

وقال السيّد ابن طاوس في سعد السعود: قيل: إنّه تكفّل لله تعالى جلّ جلاله أن لا يغضبه قومه فسمّي ذا الكفل؛ وقيل: تكفّل لنبيّ من الأنبياء أن لا يغضب فاجتهد إبليس أن يغضبه بكلّ طريق فلم يقدر فسمّي ذا الكفل لوفائه لنبيّ زمانه أنّه لا يغضب[5].

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٠٧.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٢٤.
(٣) مروج الذهب، ج ١ ص ٦٩.
(٤) عرائس المجالس، ص ١٤٤.
(٥) سعد السعود، ص ٢٤١.

١٨ - باب قصص لقمان وحكمه

الآيات: لقمان «٣١»: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾.

تفسير: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ أي لأن اشكر، أو أي اشكر، فإنَّ إيتاء الحكمة في معنى القول ﴿وَهْنًا﴾ أي ذات وهن، أو تهن وهناً على وهن، أي تضعف ضعفاً فوق ضعف ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي فطامه في انقضاء عامين، وكانت الأمّ ترضعه في تلك المدّة ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ تفسير لوصيّنا أو علّة له، أو بدل من والديه بدل الاشتمال ﴿إِنَّهَآ﴾ أي الخصلة من الإساءة والإحسان ﴿إِن تَكُ﴾ مثلاً في الصغر كحبّة الخردل ﴿فَتَكُن﴾ في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة أو أعلاه كمحدّب السماوات أو أسفله كمقعّر الأرض يحضرها الله فيحاسب عليها ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي ممّا عزمه الله من الأمور، أي قطعه قطع إيجاب ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي لا تمله عنهم، ولا تولّهم صفحة وجهك كما تفعله المتكبّرون ﴿مَرَحًا﴾ أي فرحاً وبطراً ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ أي توسّط بين الدبيب والإسراع ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي اخفضه إلاّ في موضع الحاجة، أو توسّط في ذلك أيضاً.

١ - **فس:** ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ يعني ضعفاً على ضعف، وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ يقول: اتّبع سبيل محمد. قال عليّ بن إبراهيم: ثمّ عطف على خبر لقمان وقصّته فقال: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ قال: من الرزق «يأتيك به الله». قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي لا تذلّ للنّاس طمعاً فيما عندهم ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي فرحاً. وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ يقول: بالعظمة.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾: أي لا تعجل ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي لا ترفعه[1].

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٤٢.

بيان: تفسير تصعير الخدّ بالتذلّل خلاف المشهور بين اللّغويّين والمفسّرين، لكن لا يبعد كثيراً عن أصل المعنى اللّغويّ، فإنّ التصعير إمالة الوجه، فكما يكون عن الناس تكبّراً يكون إلى النّاس تذلّلاً، بل هو أنسب باللاّم.

قال الطبرسيّ رحمه الله: أي ولا تمل وجهك عن النّاس تكبّراً، ولا تعرض عمّن يكلّمك استخفافاً به، وهذا معنى قول ابن عبّاس وأبي عبد الله عليه السلام، يقال: أصاب البعير صعر أي داء يلوي منه عنقه[1].

٢ - **فس:** أبي، عن القاسم بن محمّد، عن المنقريّ، عن حمّاد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن لقمان وحكمته الّتي ذكرها الله عزّ وجلّ، فقال: أما والله ما أوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال، ولكنه كان رجلاً قويّاً في أمر الله، متورّعاً في الله، ساكتاً، سكيناً، عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن بالعبر، لم ينم نهاراً قطّ، ولم يره أحد من النّاس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدّة تستّره وعموق نظره وتحفّظه في أمره، ولم يضحك من شيء قطّ مخافة الإثم، ولم يغضب قطّ، ولم يمازح إنساناً قطّ، ولم يفرح لشيء إن أتاه من أمر الدنيا، ولا حزن منها على شيء قطّ، وقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة وقدّم أكثرهم أفراطاً فما بكى على موت أحد منهم، ولم يمرّ برجلين يختصمان أو يقتتلان إلاّ أصلح بينهما، ولم يمض عنهما حتّى تحاجزا، ولم يسمع قولاً قطّ من أحد استحسنه إلاّ سأل عن تفسيره وعمّن أخذه، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين فيرثي للقضاة ممّا ابتلوا به، ويرحم الملوك والسلاطين لغرّتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك، ويعتبر ويتعلّم ما يغلب به نفسه، ويجاهد به هواه، ويحترز به من الشيطان، وكان يداوي قلبه بالتفكّر، ويداري نفسه بالعبر، وكان لا يظعن إلاّ فيما يعنيه، فبذلك أوتي الحكمة، ومنح العصمة، وإنّ الله تبارك وتعالى أمر طوائف من الملائكة حين انتصف النهار وهدأت العيون بالقائلة فنادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم فقالوا: يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض، تحكم بين النّاس؟ فقال لقمان: إن أمرني ربّي بذلك فالسمع والطاعة، لأنّه إن فعل بي ذلك أعانني عليه وعلّمني وعصمني، وإن هو خيّرني قبلت العافية، فقالت الملائكة: يا لقمان لمَ؟ قال: لأنّ الحكم بين النّاس بأشدّ المنازل من الدين، وأكثر فتناً وبلاءً ما يخذل ولا يعان، ويغشاه الظلم من كلّ مكان، وصاحبه منه بين أمرين: إن أصاب فيه الحقّ فبالحريّ أن يسلم، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنّة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً وضعيفاً كان أهون عليه في المعاد من أن يكون فيه حكماً سريّاً شريفاً. ومن اختار الدنيا على الآخرة يخسرهما كلتيهما، تزول هذه ولا تدرك تلك. قال: فتعجّبت الملائكة من حكمته، واستحسن الرحمن منطقه، فلمّا أمسى وأخذ

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٨٧.

مضجعه من اللّيل أنزل الله عليه الحكمة فغشّاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم، وغطّاه بالحكمة غطاءً، فاستيقظ وهو أحكم النّاس في زمانه، وخرج على الناس ينطق بالحكمة ويبيّنها فيها، قال: فلمّا أُوتي الحكم ولم يقبلها أمر الله الملائكة فنادت داود بالخلافة فقبلها ولم يشترط فيها بشرط لقمان، فأعطاه الله الخلافة في الأرض وابتلي فيها غير مرّة، وكلّ ذلك يهوي في الخطاء يقيله الله ويغفر له، وكان لقمان يكثر زيارة داود عليه السلام ويعظه بمواعظه وحكمته وفضل علمه، وكان يقول داود له: طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة، وصرفت عنك البليّة، وأُعطي داود الخلافة، وابتلي بالخطاء والفتنة.

ثمّ قال أبو عبد الله في قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ قال: فوعظ لقمان ابنه بآثار حتّى تفطر وانشقّ، وكان فيما وعظه به يا حمّاد أن قال: يا بنيّ إنّك منذ سقطت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدارٌ أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد. يا بنيّ جالس العلماء وازحمهم بركبتيك، ولا تجادلهم فيمنعوك، وخذ من الدنيا بلاغاً، ولا ترفضها فتكون عيالاً على الناس، ولا تدخل فيها دخولاً يضرّ بآخرتك، وصم صوماً يقطع شهوتك، ولا تصم صياماً يمنعك من الصّلاة، فإنّ الصلاة أحبّ إلى الله من الصيام. يا بنيّ إنّ الدنيا بحرٌ عميقٌ، قد هلك فيها عالمٌ كثيرٌ، فاجعل سفينتك فيها الإيمان، واجعل شراعها التوكّل، واجعل زادك فيها تقوى الله، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن هلكت فبذنوبك. يا بنيّ إن تأدّبت صغيراً انتفعت به كبيراً، ومن عني بالأدب اهتمّ به، ومن اهتمّ به تكلّف علمه، ومن تكلّف علمه اشتدّ له طلبه، ومن اشتدّ له طلبه أدرك منفعته فاتّخذه عادةً، فإنّك تخلف في سلفك، وتنفع به من خلفك، ويرتجيك فيه راغب، ويخشى صولتك راهب، وإيّاك والكسل عنه بالطلب لغيره، فإن غلبت على الدنيا فلا تغلبنّ على الآخرة، فإذا فاتك طلب العلم في مظانّه فقد غلبت على الآخرة، واجعل في أيّامك ولياليك وساعاتك لنفسك نصيباً في طلب العلم، فإنّك لم تجد له تضييعاً أشدّ من تركه، ولا تمارينّ فيه لجوجاً، ولا تجادلنّ فقيهاً، ولا تعادينّ سلطاناً، ولا تماشينّ ظلوماً، ولا تصادقنّه، ولا تؤاخينّ فاسقاً، ولا تصاحبنّ متّهماً، واخزن علمك كما تخزن ورقك.

يا بنيّ خف الله خوفاً لو أتيت يوم القيامة ببرّ الثقلين خفت أن يعذّبك، وارج الله رجاءً لو وافيت القيامة بإثم الثقلين رجوت أن يغفر الله لك.

فقال له ابنه: يا أبه وكيف أُطيق هذا وإنّما لي قلب واحد؟ فقال له لقمان: يا بنيّ لو استخرج قلب المؤمن فشقّ لوجد فيه نوران: نور للخوف، ونور للرجاء، لو وزنا ما رجح أحدهما على الآخر بمثقال ذرّة، فمن يؤمن بالله يصدّق ما قال الله، ومن يصدّق ما قال الله يفعل ما أمر الله، ومن لم يفعل ما أمر الله لم يصدّق ما قال الله، فإنّ هذه الأخلاق يشهد بعضها لبعض، فمن يؤمن بالله إيماناً صادقاً يعمل لله خالصاً ناصحاً، ومن يعمل لله خالصاً ناصحاً

فقد آمن بالله صادقاً، ومن يطع الله خافه، ومن خافه فقد أحبه، ومن أحبّه اتّبع أمره، ومن اتبع أمره استوجب جنّته ومرضاته، ومن لم يتّبع رضوان الله فقد هان عليه سخطه، نعوذ بالله من سخط الله. يا بنيّ لا تركن إلى الدنيا، ولا تشغل قلبك بها، فما خلق الله خلقاً هو أهون عليه منها، ألا ترى أنّه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين، ولم يجعل بلاءها عقوبةً للعاصين[1].

بيان: تحاجزا: تصالحا وتمانعا. قوله: (لا يظعن) أي لا يسافر، قوله عليه السلام. (ما يخذل) أي هو شيء يخذل صاحبه، أو بتقدير اللاّم، أي هو أكثر فتناً وبلاءً لما يخذل صاحبه، أو هو أكثر فتناً ما دام يخذل صاحبه ولا يعينه الله، أو الموصول مبتدأ وأكثر خبره، ولعلّ الثالث أظهر الوجوه، ويؤيّده أنّ في رواية الثعلبيّ هكذا: «لأنّ الحاكم بأشدّ المنازل وآكدها، يغشاه الظلم من كلّ مكان، إن يعن فبالحريّ أن ينجو» ولا يبعد زيادة الواو في يغشاه فيكون «ما يخذل» متعلّقاً به، وفي القصص: لأنّ الحكم بين النّاس أشدّ المنازل من الدين وأكثرها فتناً وبلاءً، يخذل صاحبه ولا يعان، ويغشاه الظلم من كلّ مكان. والسريّ: الشريف. قوله: (ويبيّنها فيها) أي في جماعة الناس أو في الدنيا، والأظهر «يبثّها فيهم» كما في القصص.

قوله عليه السلام: (حتّى تفطّر وانشقّ) كناية عن غاية تأثير الحكمة فيه. قوله: (وازحمهم) قال الفيروزآباديّ: زحمه كمنعه: ضايقه، وزاحم الخمسين: قاربها، أي ادخل بينهم ولو بمشقّة؛ ويحتمل أن يكون كناية عن القرب منهم.

قوله عليه السلام: (ومن عني بالأدب) أي اعتنى به وعرف فضله. قوله عليه السلام: (فإنّك تخلف) أي تكون من حيث الاتّصاف بتلك العادات الحسنة خليفة من مضى من المتخلّقين بها. قوله عليه السلام: (من تركه) أي ترك طلب العلم يفضي إلى ضياع ما حصّلته.

٣ - **لي:** ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن القاسانيّ، عن المنقريّ عن حمّاد بن عيسى، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: كان فيما أوصى به لقمان ابنه ناتان أن قال له: يا بنيّ ليكن ممّا تتسلح به على عدوّك فتصرعه المماسحة وإعلان الرضى عنه، ولا تزاوله بالمجانبة فيبدو له ما في نفسك فيتأهّب لك؛ يا بنيّ خف الله خوفاً لو وافيته ببرّ الثقلين خفت أن يعذّبك الله، وارج الله رجاءً لو وافيته بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر لك؛ يا بنيّ إنّي حملت الجندل والحديد وكلّ حمل ثقيل فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرارات كلّها فلم أذق شيئاً أمرّ من الفقر[2].

بيان: قال الفيروزآباديّ: تماسحا: تصادقا أو تبايعا فتصافقا، وماسحا: لا ينافي القول غشّاً.

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٣٩.

(٢) أمالي الصدوق، ص ٥٣٢ مجلس ٩٥ ح ٥.

٤ - **لي**: أبي، عن الحسين بن موسى، عن الصفّار ولم يحفظ الحسين الإسناد قال: قال لقمان لابنه: يا بنيّ اتّخذ ألف صديق وألف قليل، ولا تتّخذ عدوًّا واحداً والواحد كثير، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

تكثر من الإخوان ما اسطعت إنّهم ... عمادٌ إذا ما استنجدوا وظهور
وليس كثيراً ألف خلّ وصاحب ... وإنّ عدوًّا واحداً لكثير[1]

٥ - **ل**: أبي، عن سعد، عن الإصفهانيّ، عن المنقريّ، عن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه أن قال له: يا بنيّ ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيّته في طلب الرزق أنّ الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة أحوال من أمره وأتاه رزقه ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة، إنّ الله تبارك وتعالى سيرزقه في الحال الرابعة، أمّا أوّل ذلك فإنّه كان في رحم أُمّه يرزقه هناك في قرار مكين حيث لا يؤذيه حرّ ولا برد، ثمّ أخرجه من ذلك وأجرى له رزقاً من لبن أُمّه يكفيه به ويربّيه وينعشه من غير حول به ولا قوّة، ثمّ فطم من ذلك فأجرى له رزقاً من كسب أبويه برأفة ورحمة له من قلوبهما لا يملكان غير ذلك حتّى أنّهما يؤثرانه على أنفسهما في أحوال كثيرة، حتّى إذا كبر وعقل واكتسب لنفسه ضاق به أمره وظنّ الظنون بربّه وجحد الحقوق في ماله، وقتر على نفسه وعياله مخافة إقتار رزق، وسوء يقين بالخلف من الله تبارك وتعالى في العاجل والآجل، فبئس العبد هذا يا بنيّ[2].

ص: مرسلاً مثله[3].

بيان: لا يملكان غير ذلك أي لا يستطيعان ترك ذلك لما جبلهما الله عليه من حبّه أو ينفقان عليه كسبهما وإن لم يكونا يملكان غيره.

٦ - **ب**: هارون، عن ابن صدقة، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: قيل للقمان: ما الّذي أجمعت عليه من حكمتك؟ قال: قال: لا أتكلّف ما قد كفيته، ولا أُضيّع ما وليته[4].

٧ - **ما**: المفيد، عن ابن قولويه، عن ابن عامر، عن الإصفهانيّ، عن المنقريّ، عن حمّاد ابن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان فيما وعظ لقمان ابنه أن قال له: يا بنيّ اجعل في أيّامك ولياليك وساعاتك نصيباً لك في طلب العلم، فإنّك لن تجد له تضييعاً مثل تركه[5].

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٥٣٢ مجلس ٩٥ ح ٦.
وقد ذكر المصنف في الهامش: في الديوان المنسوب إليه عليه السلام هكذا:

عليك باخوان الصفا فانهم ... عماد اذا استنجدتهم وظهور
وما بكثير الف خل وصاحب ... وان عدوا واحداً لكثير

(٢) الخصال، ص ١٢٢ باب الثلاثة ح ١١٤. (٣) قصص الأنبياء، ص ١٩٧.
(٤) قرب الإسناد، ص ٧٢ ح ٢٣٢. (٥) أمالي الطوسي، ص ٦٨ مجلس ٣ ح ٩٩.

٨ - **ل:** أبي، عن سعد، عن الإصفهانيّ، عن المنقريّ، عن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: يا بنيّ لكلّ شيء علامة يعرف بها ويشهد عليها، وإنّ للدين ثلاث علامات: العلم، والإيمان، والعمل به. وللإيمان ثلاث علامات: الإيمان بالله وكتبه ورسله.

وللعالم ثلاث علامات: العلم بالله، وبما يحبّ، وما يكره؛ وللعامل ثلاث علامات: الصلاة، والصيام، والزكاة؛ وللمتكلّف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، ويقول ما لا يعلم، ويتعاطى ما لا ينال؛ وللظالم ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويعين الظلمة؛ وللمنافق ثلاث علامات: يخالف لسانه قلبه، وقلبه فعله، وعلانيته سريرته؛ وللآثم ثلاث علامات: يخون، ويكذب، ويخالف ما يقول؛ وللمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان الناس عنده، ويتعرّض في كلّ أمر للمحمدة؛ وللحاسد ثلاث علامات: يغتاب إذا غاب، ويتملّق إذا شهد، ويشمت بالمصيبة؛ وللمسرف ثلاث علامات: يشتري ما ليس له، ويلبس ما ليس له، ويأكل ما ليس له؛ وللكسلان ثلاث علامات: يتوانى حتّى يفرّط، ويفرّط حتّى يضيّع، ويضيّع حتّى يأثم؛ وللغافل ثلاث علامات: السهو، واللّهو، والنسيان.

قال حمّاد بن عيسى: قال أبو عبد الله عليه السلام: ولكلّ واحدة من هذه العلامات شعب يبلغ العلم بها أكثر من ألف باب وألف باب وألف باب، فكن يا حمّاد طالباً للعلم في آناء اللّيل والنهار، فإن أردت أن تقرّ عينك وتنال خير الدنيا والآخرة فاقطع الطمع ممّا في أيدي الناس، وعدّ نفسك في الموتى، ولا تحدّث لنفسك أنّك فوق أحد من الناس، واخزن لسانك كما تخزن مالك[1].

٩ - **مع:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ رفعه، قال: قال لقمان لابنه: يا بنيّ صاحب مائة ولا تعاد واحداً، يا بنيّ إنّما هو خلاقك وخلقك، فخلاقك دينك، وخلقك بينك وبين الناس، فلا تبتغض إليهم، وتعلّم محاسن الأخلاق، يا بني كن عبداً للأخيار ولا تكن ولداً للأشرار، يا بنيّ أدّ الأمانة تسلم لك دنياك وآخرتك، وكن أميناً تكن غنياً[2].

بيان: الخلاق بالفتح: الحظّ والنصيب، والمراد هنا: نصيبك في الآخرة.

١٠ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن أبيه، عن درست، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان لقمان عليه السلام يقول لابنه: يا بنيّ إنّ الدنيا بحر وقد غرق فيها جيل كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله تعالى، وليكن جسرك إيماناً بالله، وليكن شراعها التوكّل، لعلّك يا بنيّ تنجو وما أظنّك ناجياً! يا بنيّ

---

(١) الخصال، ص ١٢١ باب الثلاثة ح ١٣. (٢) معاني الأخبار، ص ٢٥٣.

كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم ينتقصون في كلّ يوم، وكيف لا يعدّ لما يوعد من كان له أجل ينفد، يا بنيّ خذ من الدنيا بلغة، ولا تدخل فيها دخولاً تضرّ فيها بآخرتك، ولا ترفضها فتكون عيالاً على النّاس، وصم صياماً يقطع شهوتك، ولا تصم صياماً يمنعك من الصّلاة، فإنّ الصلاة أعظم عند الله من الصوم؛ يا بنيّ لا تتعلّم العلم لتباهي به العلماء، أو تماري به السفهاء، أو ترائي به في المجالس، ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة؛ يا بنيّ اختر المجالس على عينيك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس إليهم، فإنّك إن تكن عالماً ينفعك علمك ويزيدوك علماً، وإن تكن جاهلاً يعلّموك، ولعلّ الله تعالى أن يظلّهم برحمة فيعمّك معهم. وقال: قيل للقمان: ما يجمع من حكمتك؟ قال: لا أسأل عمّا كفيته، ولا أتكلّف ما لا يعنيني[1].

١١ - ص: بهذا الإسناد عن ابن عيسى، عن الحسين، عن أخيه، عن أبيه، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان فيما وعظ به لقمان ابنه أن قال يا بنيّ إن تك في شكّ من الموت فارفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك، وإن كنت في شكّ من البعث فادفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك، فإنّك إذا فكرت في هذا علمت أنّ نفسك بيد غيرك، وإنّما النوم بمنزلة الموت، وإنّما اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت.

وقال: قال لقمان عليه السلام: يا بنيّ لا تقترب فيكون أبعد لك، ولا تبعد فتهان، كلّ دابّة تحبُّ مثلها وابن آدم لا يحبّ مثله! لا تنشر بزّك إلاّ عند باغيه، وكما ليس بين الكبش والذئب خلّة كذلك ليس بين البارّ والفاجر خلّة، من يقترب من الزفت تعلّق كذلك من يشارك الفاجر يتعلّم من طرقه، من يحبّ المراء يشتم، ومن يدخل مدخل السوء يتّهم، ومن يقارن قرين السوء لا يسلم، ومن لا يملك لسانه يندم.

وقال: يا بنيّ صاحب مائةً ولا تعاد واحداً، يا بنيّ إنّما هو خلاقك وخلقك، فخلاقك دينك، وخلقك بينك وبين الناس، فلا تبغضنّ إليهم، وتعلّم محاسن الأخلاق؛ يا بنيّ كن عبداً للأخيار، ولا تكن ولداً للأشرار، يا بنيّ أدّ الأمانة تسلم دنياك وآخرتك، وكن أميناً فإنّ الله تعالى جلّ وعلا لا يحبّ الخائنين، يا بنيّ لا تر الناس أنّك تخشى الله وقلبك فاجر[2].

بيان: لا تقترب أي من الناس في المعاشرة كثيراً فيصير سبباً لكثرة البعد عنهم، والغرض بيان أنّ ما ينبغي في معاشرتهم هو رعاية الوسط، فإنّ كثرة الخلطة وبثّ الأسرار أقرب إلى المفارقة، والبعد عنهم يوجب الإهانة. قوله عليه السلام: (لا تنشر بزّك) أي لا تعرض متاعك من العلم والحكمة إلاّ عند طالبه ومن هو أهله.

١٢ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن الإصبهانيّ، عن المنقريّ،

(١) - (٢) قصص الأنبياء، ص ١٩٠.

عن حمّاد بن عيسى، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لمّا وعظ لقمان ابنه فقال: أنا منذ سقطت إلى الدنيا استدبرت واستقبلت الآخرة، فدارٌ أنت إليها تسير أقرب من دار أنت منها متباعد؛ يا بنيّ لا تطلب من الأمر مدبراً، ولا ترفض منه مقبلاً، فإنّ ذلك يضلّ الرأي ويزري بالعقل؛ يا بنيّ ليكن ممّا تستظهر به على عدوّك الورع عن المحارم، والفضل في دينك، والصيانة لمروّتك، والاكرام لنفسك أن تدنّسها بمعاصي الرحمن ومساوي الأخلاق وقبيح الأفعال، واكتم سرّك، وأحسن سريرتك، فإنّك إذا فعلت ذلك أمنت بستر الله أن يصيب عدوّك منك عورة، أو يقدر منك على زلّة، ولا تأمننّ مكره فيصيب منك غرّة في بعض حالاتك، وإذا استمكن منك وثب عليك ولم يقلك عثرة، وليكن ممّا تتسلّح به على عدوّك إعلان الرضى عنه، واستصغر الكثير في طلب المنفعة، واستعظم الصغير في ركوب المضرّة، يا بنيّ لا تجالس النّاس بغير طريقتهم، ولا تحملنّ عليهم فوق طاقتهم فلا يزال جليسك عنك نافراً، والمحمول عليه فوق طاقته مجانباً لك، فإذا أنت فرد لا صاحب لك يؤنسك، ولا أخ لك يعضدك، فإذا بقيت وحيداً كنت مخذولاً وصرت ذليلاً، ولا تعتذر إلى من لا يحبُّ أن يقبل لك عذراً، ولا يرى لك حقّاً، ولا تستعن في أمورك إلاّ بمن يحبُّ أن يتّخذ في قضاء حاجتك أجراً، فإنّه إذا كان كذلك طلب قضاء حاجتك لك كطلبه لنفسه، لأنّه يعد نجاحها لك كان ربحاً في الدنيا الفانية، وحظّاً وذخراً له في الدار الباقية، فيجتهد في قضائها لك، وليكن إخوانك وأصحابك الّذين تستخلصهم وتستعين بهم على أمورك أهل المروّة والكفاف والثروة والعقل والعفاف، الّذين إن نفعتهم شكروك، وإن غبت عن جيرتهم ذكروك[1].

ايضاح: لا تطلب من الأمر مدبراً أي الأمر الّذي لم يتهيّأ أسبابه ويبعد حصوله، أو أمور الدنيا فإنّ كلّها مدبرة فانية. وقال الفيروزآباديّ: أزرى بأخيه: أدخل عليه عيباً أو أمراً يريد أن يلبّس عليه به وبالأمر: تهاون.

١٣ - **ص:** بهذا الإسناد عن الصادق عليه السلام قال: قال لقمان: يا بنيّ إن تأدّبت صغيراً انتفعت به كبيراً، ومن عني بالأدب اهتمّ به، ومن اهتمّ به تكلّف علمه، ومن تكلّف علمه اشتدّ له طلبه، ومن اشتدّ له طلبه أدرك به منفعة فاتّخذه عادةً، وإيّاك والكسل منه والطلب بغيره، وإن غلبت على الدنيا فلا تغلبنّ على الآخرة، وإنّه إن فاتك طلب العلم فإنّك لن تجد تضييعاً أشدّ من تركه، يا بنيّ استصلح الأهلين والإخوان من أهل العلم إن استقاموا لك على الوفاء، واحذرهم عند انصراف الحال بهم عنك، فإنّ عداوتهم أشدّ مضرّةً من عداوة الأباعد لتصديق النّاس إيّاهم لاطّلاعهم عليك[2].

١٤ - **ص:** بالإسناد المتقدّم عن الصادق عليه السلام قال: قال لقمان: يا بنيّ إيّاك والضجر

(١) قصص الأنبياء، ص ١٩٣.
(٢) قصص الأنبياء، ص ١٩٤.

وسوء الخلق وقلّة الصبر فلا يستقيم على هذه الخصال صاحب، وألزم نفسك التؤدة في أمورك، وصبّر على مؤونات الإخوان نفسك، وحسّن مع جميع الناس خلقك، يا بنيّ إن عدمك ما تصل به قرابتك وتتفضّل به على إخوانك فلا يعدمنّك حسن الخلق وبسط البشر، فإنّه من أحسن خلقه أحبّه الأخيار وجانبه الفجّار، واقنع بقسم الله ليصفو عيشك، فإن أردت أن تجمع عزّ الدنيا فاقطع طمعك ممّا في أيدي الناس، فإنّما بلغ الأنبياء والصدّيقون ما بلغوا بقطع طمعهم.

وقال الصادق عليه السلام : قال لقمان عليه السلام : يا بنيّ إن احتجت إلى سلطان فلا تكثر الإلحاح عليه، ولا تطلب حاجتك منه إلاّ في مواضع الطلب، وذلك حين الرضى وطيب النفس، ولا تضجرنّ بطلب حاجة فإنّ قضاءها بيد الله ولها أوقات، ولكن ارغب إلى الله وسله وحرّك إليه أصابعك؛ يا بنيّ إنّ الدنيا قليل وعمرك قصير؛ يا بنيّ احذر الحسد فلا يكوننّ من شأنك، واجتنب سوء الخلق فلا يكوننّ من طبعك، فإنّك لا تضرّ بهما إلاّ نفسك، وإذا كنت أنت الضارُّ لنفسك كفيت عدوّك أمرك، لأنّ عداوتك لنفسك أضرّ عليك من عداوة غيرك؛ يا بنيّ اجعل معروفك في أهله وكن فيه طالباً لثواب الله، وكن مقتصداً، ولا تمسكه تقتيراً، ولا تعطه تبذيراً.

يا بنيّ سيّد أخلاق الحكمة دين الله تعالى، ومثل الدين كمثل شجرة نابتة، فالإيمان بالله ماؤها، والصلاة عروقها، والزكاة جذعها، والتآخي في الله شعبها، والاخلاق الحسنة ورقها، والخروج عن معاصي الله ثمرها، ولا تكمل الشجرة إلاّ بثمرة طيّبة، كذلك الدين لا يكمل إلاّ بالخروج عن المحارم، يا بنيّ لكلّ شيء علامة يعرف بها وإنّ للدين ثلاث علامات: العفّة، والعلم، والحلم[١].

١٥ - ص: بالإسناد المتقدّم عن سليمان بن داود المنقريّ، عن ابن عيينة، عن الزهريّ، عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما قال: قال لقمان: يا بنيّ إنّ أشدّ العدم عدم القلب، وإنّ أعظم المصائب مصيبة الدين، وأسنى المرزئة مرزئته، وأنفع الغنى غنى القلب، فتلبّث في كلّ ذلك، والزم القناعة والرضى بما قسم الله، وإنّ السارق إذا سرق حبسه الله من رزقه، وكان عليه إثمه، ولو صبر لنال ذلك وجاءه من وجهه، يا بنيّ أخلص طاعة الله حتّى لا تخالطها بشيء من المعاصي، ثمّ زيّن الطاعة باتّباع أهل الحقّ فإنّ طاعتهم متّصلة بطاعة الله تعالى وزيّن ذلك بالعلم، وحصّن علمك بحلم لا يخالطه حمق، واخزنه بلين لا يخالطه جهل، وشدّده بحزم لا يخالطه الضياع وامزج حزمك برفق لا يخالطه العنف[٢].

١٦ - ص: عن سليمان بن داود، عن يحيى بن سعيد القطّان قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: قال لقمان عليه السلام : حملت الجندل والحديد وكلّ حمل ثقيل فلم أحمل شيئاً أثقل من جار

(١) - (٢) قصص الأنبياء، ص ١٩٥-١٩٦.

السوء، وذقت المرارات كلّها فما ذقت شيئاً أمرّ من الفقر، يا بنيّ لا تتّخذ الجاهل رسولاً، فإن لم تصب عاقلاً حكيماً يكون رسولك فكن أنت رسول نفسك، يا بنيّ اعتزل الشرّ يعتزلك.

وقال الصادق صلوات الله عليه: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قيل للعبد الصالح لقمان: أيّ الناس أفضل؟ قال: المؤمن الغنيّ، قيل: الغنيّ من المال؟ فقال: لا، ولكن الغنيّ من العلم الّذي إن احتيج إليه انتفع بعلمه، فإن استغنى عنه اكتفى؛ وقيل: فأيّ الناس أشرّ؟ قال: الّذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً[١].

١٧ - نبه: قال لقمان: يا بنيّ كما تنام كذلك تموت، وكما تستيقظ كذلك تبعث[٢].

وقال: يا بنيّ كذب من قال: إنّ الشرّ يطفأ بالشرّ، فإن كان صادقاً فليوقد نارين، هل تطفئ إحداهما الأخرى؟ وإنّما يطفىء الخير الشرّ كما يطفىء الماء النار[٣]. وقال يا بنيّ بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً[٤].

وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمرّ به مولاه فيقول: يا لقمان إنّك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك، فيقول لقمان: إنّ طول الوحدة أفهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طريق الجنّة[٥].

١٨ - كا: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقريّ، عن حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتك إيّاهم في أمرك وأمورهم، وأكثر التبسّم في وجوههم، وكن كريماً على زادك، وإذا دعوك فأجبهم، وإذا استعانوا بك فأعنهم، واغلبهم بثلاث: بطول الصمت، وكثرة الصّلاة، وسخاء النفس بما معك من دابّة أو مال أو زاد، وإذا استشهدوك على الحقّ فاشهد لهم، وأجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثمّ لا تعزم حتّى تثبت وتنظر، ولا تجب في مشورة حتّى تقوم فيها وتقعد وتنام وتصلّي وأنت مستعمل فكرك وحكمتك في مشورته، فإنّ من لم يمحض النصيحة لمن استشاره سلبه الله تبارك وتعالى رأيه ونزع عنه الأمانة، وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم، وإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، وإذا تصدّقوا وأعطوا قرضاً فأعط معهم، واسمع لمن هو أكبر منك سنّاً، وإذا أمروك بأمر وسألوك فقل: نعم، ولا تقل: لا، فإنّ (لا) عيّ ولؤم، وإذا تحيّرتم في طريقكم فانزلوا، وإذا شككتم في القصد فقفوا وتآمروا، وإذا رأيتم شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم ولا تسترشدوه، فإنّ الشخص الواحد في الفلاة مريب، لعلّه أن يكون عيناً للصوص، أو يكون هو الشيطان الّذي يحيّركم،

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٩٧.
(٢) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ٨٠.
(٣) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ٣٨.
(٤) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ١٣٧.
(٥) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ٢٥٠.

واحذروا الشخصين أيضاً إلاّ أن تروا ما لا أرى، فإنّ العاقل إذا أبصر بعينه شيئاً عرف الحقّ منه، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب؛ يا بنيّ فإذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخّرها لشيء، وصلّها واسترح منها، فإنّها دين، وصلّ في جماعة ولو على رأس زجّ[١]، ولا تنامنّ على دابّتك فإن ذلك سريع في دبرها، وليس ذلك من فعل الحكماء إلاّ أن تكون في محمل يمكنك التمدّد لاسترخاء المفاصل، وإذا قربت من المنزل فانزل عن دابّتك، وابدأ بعلفها قبل نفسك، وإذا أردت النزول فعليك من بقاع الأرض بأحسنها لوناً، وألينها تربة، وأكثرها عشباً، وإذا نزلت فصلّ ركعتين قبل أن تجلس، وإذا أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب في الأرض، فإذا ارتحلت فصلّ ركعتين، وودّع الأرض الّتي حللت بها، وسلّم عليها وعلى أهلها، فإنّ لكلّ بقعة أهلاً من الملائكة، وإن استطعت أن لا تأكل طعاماً حتّى تبدأ فتتصدّق منه فافعل، وعليك بقراءة كتاب الله عزّوجلّ ما دمت راكباً، وعليك بالتسبيح ما دمت عاملاً، وعليك بالدعاء ما دمت خالياً، وإيّاك والسير من أوّل اللّيل، وعليك بالتعريس والدلجة من لدن نصف اللّيل إلى آخره، وإيّاك ورفع الصوت في مسيرك[٢].

أقول: قال الشيخ أمين الدين الطبرسيّ: اختلف في لقمان فقيل: إنّه كان حكيماً ولم يكن نبيّاً، عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة وأكثر المفسّرين؛ وقيل: إنّه كان نبيّاً، عن عكرمة والسدّيّ والشعبيّ، وفسّروا الحكمة في الآية بالنبوّة؛ وقيل: إنّه كان عبداً أسود حبشيّاً، غليظ المشافر، مشقوق الرجلين في زمن داود عليه السلام، وقال له بعض الناس: ألست كنت ترعى الغنم معنا؟ فقال: نعم، فقال: من أين أوتيت ما أرى؟ قال: قدر الله وأداء الأمانة، وصدق الحديث، والصمت عمّا لا يعنيني؛ وقيل: إنّه كان ابن اخت أيّوب، عن وهب، وقيل: كان ابن خالة أيّوب، عن مقاتل؛ وروي عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: حقّاً أقول، لم يكن لقمان نبيّاً ولكنّه كان عبداً كثير التفكّر، حسن اليقين أحبّ الله فأحبّه ومنّ عليه بالحكمة، كان نائماً نصف النهار إذ جاء نداءٌ: يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة؟ ثمّ ذكر نحواً ممّا مرّ في خبر حمّاد، ثمّ قال: ذكر أنّ مولى لقمان دعاه فقال: اذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها، فأتاه بالقلب واللّسان[٣]، فسأله عن ذلك فقال:

---

(١) أقول: الزج بالضم: الحديدة التي في أسفل الرمح ويقابله السنان، وإن شئت أن تعرف من عمل بهذه الوصية فراجع أحوال أصحاب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وصلاتهم جماعة روحي وأرواح العالمين لهم الفداء [النمازي].

(٢) روضة الكافي الموجود مع الاصول، ص ٨٣٥ ح ٥٤٧.

(٣) قال المصنف في حاشية الكتاب: كأن سقط هنا شيء، إذ روى البيضاوي والثعلبي وغيرهما، أنه أمره بعد أيام بأن يذبح شاة، ويأتي بأخبث مضغتين منها، فأتي بهما أيضاً، فسأل عن ذلك فأجاب بما في المتن انتهى (منه رحمه الله).
=

إنّهما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا.

وقيل: إنّ مولاه دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان: إنّ طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد، ويورث الباسور، ويصعد الحرارة إلى الرأس، فاجلس هوناً، وقم هوناً؛ قال: فكتب حكمته على باب الحشّ.

قال عبد الله بن دينار: قدم لقمان من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات، قال: ملكت أمري، قال: ما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت، قال: جدّد فراشي، قال: ما فعلت أُختي؟ قال: ماتت، قال: سترت عورتي، قال: ما فعل أخي؟ قال: مات، قال: انقطع ظهري.

وقيل للقمان: أي الناس شرّ؟ قال: الّذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً. وقيل له: ما أقبح وجهك! قال: تعيب على النقش أو على فاعل النقش؟ وقيل: إنّه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد ليّن الله له الحديد كالطين، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلمّا أتمّها لبسها، وقال: نعم لبوس الحرب أنت، فقال: الصمت حكمة وقليل فاعله، فقال له داود عليه السلام: بحقّ ما سمّيت حكيماً. انتهى[1].

وقال المسعوديّ: كان لقمان نوبيّاً مولى للقين بن حسر، وولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام، وكان عبداً صالحاً، ومنّ الله عليه بالحكمة، ولم يزل في فيافي الأرض مظهراً للحكمة والزهد في هذا العالم إلى أيّام يونس بن متى، حتّى بعث إلى أهل نينوى من بلاد الموصل[2].

١٩ - كا: عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يحيى بن عقبة الأزديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بنيّ إنّ الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له، وإنّما أنت عبد مستأجر قد أُمرت بعمل ووعدت عليه أجراً، فأوف عملك واستوف أجرك، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتّى سمنت، فكان حتفها عند سمنها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر، أخربها ولا تعمرها فإنّك لم تؤمر بعمارتها، واعلم أنّك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله عزّ وجلّ عن أربع: شبابك فيما أبليته، وعمرك فيما أفنيته، ومالك ممّا اكتسبته وفيما أنفقته فتأهّب لذلك، وأعدّ له جواباً، ولا تأس على ما فاتك من الدنيا، فإنّ قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه، وكثيرها لا يؤمن بلاؤه، فحذ

= أقول: لعل السقط في نسخة المصنف أما النسخة التي لدينا من المجمع طبعة مؤسسة الأعلمي فهي كاملة.

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٨٠.
(٢) مروج الذهب، ج ١ ص ٦٥.

حذرك، وجدّ في أمرك، واكشف الغطاء عن وجهك وتعرّض لمعروف ربّك، وجدّد التوبة في قلبك، واكمش في فراقك قبل أن يقصد قصدك ويقضي قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد[١].

٢٠ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عمّن ذكره رفعه قال: قال لقمان عليه السلام لابنه: يا بنيّ لا تقرب فيكون أبعد لك، ولا تبعد فتهان، كلّ دابّة تحب مثلها وابن آدم لا يحبّ مثله! ولا تنشر بزّك إلاّ عند باغيه، كما ليس بين الذئب والكبش خلّة كذلك ليس بين البارّ والفاجر خلّة، من يقترب من الزفت يعلق به بعضه، كذلك من يشارك الفاجر يتعلّم من طرقه، من يحبّ المراء يشتم، ومن يدخل مداخل السوء يتّهم، ومن يقارن قرين السوء لا يسلم، ومن لا يملك لسانه يندم[٢].

٢١ - **نبه:** قال لقمان: لأن يضربك الحكيم فيؤذيك خير من أن يدهنك الجاهل بدهن طيب. وقيل للقمان: ألست عبد آل فلان؟ قال: بلى، قيل: فما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وتركي ما لا يعنيني، وغضّي بصري، وكفّي لساني، وعفّتي في طعمتي، فمن نقص عن هذا فهو دوني، ومن زاد عليه فهو فوقي، ومن عمله فهو مثلي. وقال: يا بنيّ لا تؤخّر التوبة فإنّ الموت يأتي بغتة، ولا تشمت بالموت، ولا تسخر بالمبتلى، ولا تمنع المعروف. يا بنيّ كن أميناً تعش غنياً. يا بنيّ اتّخذ تقوى الله تجارة تأتك الارباح من غير بضاعة، وإذا أخطأت خطيئةً فابعث في أثرها صدقة تطفئها. يا بنيّ إنّ الموعظة تشقّ على السفيه كما يشقّ الصعود على الشيخ الكبير. يا بنيّ لا ترث لمن ظلمته، ولكن ارث لسوء ما جنيته على نفسك، وإذا دعتك القدرة إلى ظلم النّاس فاذكر قدرة الله عليك. يا بنيّ تعلّم من العلماء ما جهلت، وعلّم النّاس ما علمت[٣].

٢٢ - **أقول:** وجدت بخطّ أبي نوّر الله ضريحه ما هذا لفظه: جعفر بن الحسين شيخ الصّدوق محمّد بن بابويه وثّقه (جش) وله كتاب النوادر وكان ذلك عندنا فمن أخباره: بسم الله الرحمن الرحيم: عن الأوزاعي إنّ لقمان الحكيم لمّا خرج من بلاده نزل بقرية بالموصل يقال لها كوماس، قال: فلمّا ضاق بها ذرعه واشتدّ بها غمّه ولم يكن أحد يتّبعه على أثره أغلق الأبواب وأدخل ابنه يعظه، فقال: يا بنيّ إنّ الدنيا بحر عميق هلك فيها ناس كثير، تزوّد من عملها، واتّخذ سفينة حشوها تقوى الله، ثمّ اركب الفلك تنجو، وإنّي لخائف أن لا تنجو، يا بنيّ السفينة إيمان، وشراعها التوكّل، وسكّانها الصبر، ومجاذيفها الصوم والصلاة والزكاة، يا بنيّ من ركب البحر من غير سفينة غرق، يا بنيّ أقلّ الكلام، واذكر الله عزّ وجلّ في كلّ مكان، فإنّه قد أنذرك وحذّرك وبصّرك وعلّمك، يا بنيّ اتّعظ بالناس قبل أن يتّعظ الناس بك، يا بنيّ

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٠٥ باب ذم الدنيا، ح ٢٠.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٥٣ باب من تكره مجالسته ح ٩.

(٣) تنبيه الخواطر، ج ٢ ص ٢٣٠.

اتّعظ بالصغير قبل أن ينزل بك الكبير، يا بنيّ املك نفسك عند الغضب حتّى لا تكون لجهنّم حطباً، يا بنيّ الفقر خير من أن تظلم وتطغى، يا بنيّ إيّاك وأن تستدين فتخون في الدين.

٢٣ - **ختص:** عن الأوزاعيّ مثله، وزاد فيه: يا بنيّ إن تخرج من الدنيا فقيراً وتدع أمرك وأموالك عند غيرك قيّماً فتصيّره أميراً، يا بنيّ إنّ الله رهن الناس بأعمالهم، فويلٌ لهم ممّا كسبت أيديهم وأفئدتهم؛ يا بنيّ لا تأمن من الدنيا والذنوب والشيطان فيها، يا بنيّ إنّه قد افتتن الصالحون من الأوّلين فكيف تنجو منه الآخرون؟ يا بنيّ اجعل الدنيا سجنك فتكون الآخرة جنّتك؛ يا بنيّ إنّك لم تكلّف أن تشيل الجبال، ولم تكلّف ما لا تطيقه، فلا تحمل البلاء على كتفك، ولا تذبح نفسك بيدك؛ يا بنيّ لا تجاورنّ الملوك فيقتلوك، ولا تطعمهم فتكفر؛ يا بنيّ جاور المساكين، واخصص الفقراء والمساكين من المسلمين؛ يا بنيّ كن لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج العطوف؛ يا بنيّ إنّه ليس كلّ من قال: اغفر لي غفر له، إنّه لا يغفر إلاّ لمن عمل بطاعة ربّه؛ يا بنيّ الجار ثمّ الدار؛ يا بني الرفيق ثمّ الطريق؛ يا بنيّ لو كانت البيوت على العمل ما جاور رجل جار سوء أبداً؛ يا بنيّ الوحدة خير من صاحب السوء؛ يا بنيّ الصاحب الصالح خير من الوحدة؛ يا بنيّ نقل الحجارة والحديد خير من قرين السوء؛ يا بنيّ إنّي نقلت الحجارة والحديد فلم أجد شيئاً أثقل من قرين السوء؛ يا بني إنّه من يصحب قرين السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتّهم، يا بنيّ من لا يكفّ لسانه يندم؛ يا بنيّ المحسن تكافئ بإحسانه، والمسيء يكفيك مساويه، لو جهدت أن تفعل به أكثر ممّا يفعله بنفسه ما قدرت عليه؛ يا بنيّ من ذا الّذي عبد الله فخذله؟ ومن ذا الّذي ابتغاه فلم يجده؟ يا بنيّ ومن ذا الّذي ذكره فلم يذكره؟ ومن ذا الّذي توكّل على الله فوكله إلى غيره؟ ومن ذا الّذي تضرّع إليه جلّ ذكره فلم يرحمه؟ يا بنيّ شاور الكبير ولا تستحي من مشاورة الصغير؛ يا بنيّ إيّاك ومصاحبة الفسّاق فإنّما هم كالكلاب، إن وجدوا عندك شيئاً أكلوه، وإلاّ ذمّوك وفضحوك. وإنّما حبّهم بينهم ساعة؛ يا بنيّ معاداة المؤمن خير من مصادقة الفاسق؛ يا بنيّ المؤمن تظلمه ولا يظلمك وتطلب عليه ويرضى عنك، والفاسق لا يراقب الله فكيف يراقبك؟! يا بنيّ استكثر من الأصدقاء ولا تأمن من الأعداء، فإنّ الغلّ في صدورهم مثل الماء تحت الرماد؛ يا بنيّ ابدأ الناس بالسلام والمصافحة قبل الكلام؛ يا بنيّ لا تكالب الناس فيمقتوك، ولا تكن مهيناً فيضلّوك، ولا تكن حلواً فيأكلوك، ولا تكن مرًّا فيلفظوك - ويروى: ولا تكن حلواً فتبلع، ولا مرًّا فترمى -.

يا بنيّ لا تخاصم في علم الله، فإنّ علم الله لا يدرك ولا يحصى؛ يا بنيّ خف الله مخافة لا تيأس من رحمته، وارجه رجاء لا تأمن من مكره؛ يا بنيّ انه النفس عن هواها، فإنّك إن لم تنه النفس عن هواها لن تدخل الجنّة ولن تراها - ويروى انه نفسك عن هواها، فإنّ في هواها رداها.

يا بنيّ إنّك منذ يوم هبطت من بطن أمّك استقبلت الآخرة واستدبرت الدنيا، فإنّك إن نلت

مستقبلها أولى بك من مستدبرها؛ يا بنيّ إيّاك والتجبّر والتكبّر والفخر فتجاور إبليس في داره؛ يا بنيّ دع عنك التجبّر والكبر، ودع عنك الفخر، واعلم أنّك ساكن القبور؛ يا بنيّ اعلم أنّه من جاور إبليس وقع في دار الهوان، لا يموت فيها ولا يحيى؛ يا بنيّ ويل لمن تجبّر وتكبّر، كيف يتعظّم من خلق من طين، وإلى طين يعود ثمّ لا يدري إلى ما يصير إلى الجنّة فقد فاز، أو إلى النّار فقد خسر خسراناً مبيناً وخاب؟ - ويروى: كيف يتجبّر من قد جرى في مجرى البول مرّتين - يا بنيّ كيف ينام ابن آدم والموت يطلبه؟ وكيف يغفل ولا يغفل عنه؟ يا بنيّ إنّه قد مات أصفياء الله عزّوجلّ وأحبّاؤه وأنبياؤه صلوات الله عليهم، فمن ذا بعدهم يخلد فيترك؟ يا بنيّ لا تطأ أمتك ولو أعجبتك وانه نفسك عنها وزوّجها، يا بنيّ لا تفشينّ سرك إلى امرأتك؛ ولا تجعل مجلسك على باب دارك؛ يا بنيّ إنّ المرأة خلقت من ضلع أعوج إن أقمتها كسرتها، وإن تركتها تعوّجت، ألزمهنّ البيوت فإن أحسنّ فاقبل إحسانهنّ، وإن أسأن فاصبر إنّ ذلك من عزم الأمور.

يا بنيّ النساء أربع: ثنتان صالحتان، وثنتان ملعونتان، فأمّا إحدى الصالحتين: فهي الشريفة في قومها، الذليلة في نفسها، الّتي إن أُعطيت شكرت، وإن ابتليت صبرت، القليل في يديها كثير؛ والثاني: الولود الودود، تعود بخير على زوجها، هي كالأمّ الرحيم، تعطف على كبيرهم، وترحم صغيرهم، وتحبّ ولد زوجها وإن كانوا من غيرها، جامعة الشمل، مرضية البعل، مصلحة في النفس والأهل والمال والولد، فهي كالذهب الأحمر، طوبى لمن رزقها، إن شهد زوجها أعانته، وإن غاب عنها حفظته. وأمّا إحدى الملعونتين فهي العظيمة في نفسها، الذليلة في قومها، الّتي إن أُعطيت سخطت، وإن منعت عتبت وغضبت، فزوجها منها في بلاء، وجيرانها منها في عناء، فهي كالأسد إن جاورته أكلك، وإن هربت منه قتلك؛ والملعونة الثانية فهي قلى عن زوجها وملّها جيرانها[1]، إنّما هي سريعة السخطة، سريعة الدمعة، إن شهد زوجها لم تنفعه، وإن غاب عنها فضحته، فهي بمنزلة الأرض النشّاشة إن أُسقيت أفاضته الماء وغرقت، وإن تركتها عطشت، وإن رزقت منها ولداً لم تنتفع به؛ يا بنيّ لا تتزوّج بأمة فيباع ولدك بين يديك وهو فعلك بنفسك.

يا بنيّ لو كانت النساء تذاق كما تذاق الخمر ما تزوّج رجل امرأة سوءٍ أبداً، يا بنيّ أحسن إلى من أساء إليك، ولا تكثر من الدنيا فإنّك على غفلة منها، وانظر إلى ما تصير منها، يا بنيّ لا تأكل مال اليتيم فتفتضح يوم القيامة، وتكلّف أن تردّه إليه، يا بنيّ لو أنّه أغنى أحد عن أحد لأغنى الولد عن والده، يا بنيّ إنّ النار يحيط بالعالمين كلّهم فلا ينجو منها أحد إلاّ من رحمه الله وقرّبه منه، يا بنيّ لا يغرّنّك خبيث اللّسان فإنّه يختم على قلبه، وتتكلّم جوارحه وتشهد عليه؛ يا بنيّ لا تشتم الناس فتكون أنت الّذي شتمت أبويك؛ يا بنيّ لا يعجبك إحسانك، ولا

(١) في المصدر: فهي عند زوجها وميلها في جيرانها.

تعظّمنّ بعملك الصالح فتهلك؛ يا بنيّ أقم الصلاة، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور؛ يا بنيّ لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم؛ يا بنيّ ولا تمش في الأرض مرحاً إنّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً؛ يا بنيّ إنّ كلّ يوم يأتيك يوم جديد يشهد عليك عند ربّ كريم؛ يا بنيّ إنّك مدرج في أكفانك ومحلّ قبرك، ومعاين عملك كلّه؛ يا بنيّ كيف تسكن دار من أسخطته؟ أم كيف من قد عصيته؟ يا بنيّ عليك بما يعنيك، ودع عنك ما لا يعنيك، فإنّ القليل منها يكفيك[١]، والكثير منها لا يعنيك، يا بنيّ لا تؤثرنّ على نفسك سواها، ولا تورث مالك أعداءك؛ يا بنيّ إنّه قد أُحصي الحلال الصغير فكيف بالحرام الكثير؟ يا بني اتّق النظر إلى ما لا تملكه، وأطل التفكّر في ملكوت السماوات والأرض والجبال وما خلق الله، فكفى بهذا واعظاً لقلبك؛ يا بنيّ اقبل وصيّة الوالد الشفيق؛ يا بنيّ بادر بعملك قبل أن يحضر أجلك وقبل أن تسير الجبال سيراً، وتجمع الشمس والقمر، وتغيّر السماء وتطوى، وتنزل الملائكة صفوفاً خائفين حافّين مشفقين، وتكلّف أن تجاوز الصّراط، وتعاين حينئذ عملك وتوضع الموازين وتنشر الدواوين؛ يا بنيّ تعلّمت سبعة آلاف من الحكمة فاحفظ منها أربعاً ومر معي إلى الجنّة: أحكم سفينتك فإنّ بحرك عميق، وخفّف حملك فإنّ العقبة كؤود، وأكثر الزاد فإنّ السفر بعيد، وأخلص العمل فإنّ الناقد بصير[٢].

٢٤ - **كنز الفوائد للكراجكيّ:** من حكم لقمان عليه السلام: يا بنيّ أقم الصلاة فإنّ مثل الصلاة في دين الله كمثل عمود الفسطاط، فإنّ العمود إذا استقام نفعت الأطناب والأوتاد والظلال، وإن لم يستقم لم ينفع وتد ولا طنب ولا ظلال، أي بني! صاحب العلماء وجالسهم، وزرهم في بيوتهم لعلّك أن تشبههم فتكون منهم، اعلم أي بنيّ! إنّي قد ذقت الصبر وأنواع المرّ فلم أر أمرّ من الفقر، فإن افتقرت يومك فاجعل فقرك بينك وبين الله، ولا تحدّث الناس بفقرك فتهون عليهم، يا بنيّ ادع الله ثمّ سل في الناس هل من أحد دعا الله فلم يجبه؟ أو سأله فلم يعطه؟ يا بنيّ ثق بالله العظيم عزّ وجلّ، ثمّ سل في الناس هل من أحد وثق بالله فلم ينجه؟ يا بنيّ توكّل على الله، ثمّ سل في الناس من ذا الّذي توكّل على الله فلم يكف؟ يا بنيّ أحسن الظنّ بالله ثمّ سل في الناس: من ذا الّذي أحسن الظنّ بالله فلم يكن عند حسن ظنّه به؟ يا بنيّ من يرد رضوان الله يسخط نفسه إليه، ومن لا يسخط نفسه لا يرضي ربّه، ومن لا يكظم غيظه يشمت عدوّه؛ يا بنيّ تعلّم الحكمة تشرف، فإنّ الحكمة تدلّ على الدين، وتشرّف العبد على الحرّ، وترفع المسكين على الغنيّ، وتقدّم الصغير على الكبير، وتجلس المسكين مجالس الملوك وتزيد الشريف شرفاً، والسيّد سؤدداً، والغنيّ مجداً، وكيف يظنّ ابن آدم أن

---

(١) أي وأولادك للآية الكريمة، كذا قيل... (منه رحمه الله).
(٢) الاختصاص ص ٣٣٦.

يتهيّأ له أمر دينه ومعيشته بغير حكمة؟ ولن يهيّىء الله عَزَّوَجَلَّ أمر الدنيا والآخرة إلاّ بالحكمة ومثل الحكمة بغير طاعة مثل الجسد بلا نفس، أو مثل الصعيد بلا ماء، ولا صلاح للجسد بغير نفس، ولا للصعيد بغير ماء، ولا للحكمة بغير طاعة[١].

٢٥ - وأخبرني جماعة عن أبي المفضّل الشيبانيّ بإسناده عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بنيّ من ذا الّذي ابتغى الله فلم يجده؟ ومن ذا الّذي لجأ إلى الله فلم يدافع عنه؟ أم من ذا الّذي توكّل على الله فلم يكفه[٢]؟

٢٦ - بيان التنزيل لابن شهر آشوب: قال: أوّل ما ظهر من حكم لقمان أنّ تاجراً سكر وخاطر نديمه أن يشرب ماء البحر كلّه وإلاّ سلّم إليه ماله وأهله، فلمّا أصبح وصحا ندم وجعل صاحبه يطالبه بذلك، فقال لقمان: أنا أخلّصك بشرط أن لا تعود إلى مثله. قل: ءأشرب الماء الّذي كان فيه وقتئذ فأتني به، أو أشرب ماءه الآن فسدّ أفواهه لأشربه، أو أشرب الماء الّذي يأتي به فاصبر حتّى يأتي؛ فأمسك صاحبه عنه.

٢٧ - كتاب فتح الأبواب للسيّد ابن طاوس قال: روي أنّ لقمان الحكيم قال لولده في وصيّته: لا تعلّق قلبك برضى النّاس ومدحهم وذمّهم فإنّ ذلك لا يحصل ولو بالغ الإنسان في تحصيله بغاية قدرته، فقال ولده: ما معناه؟ أحبّ أن أرى لذلك مثالاً أو فعالاً أو مقالاً، فقال له: أخرج أنا وأنت، فخرجا ومعهما بهيمة فركبه لقمان وترك ولده يمشي وراءه، فاجتازوا على قوم فقالوا: هذا شيخ قاسي القلب، قليل الرحمة، يركب هو الدابّة وهو أقوى من هذا الصبيّ، ويترك هذا الصبيّ يمشي وراءه، وإنّ هذا بئس التدبير! فقال لولده: سمعت قولهم وإنكارهم لركوبي ومشيك؟ فقال: نعم، فقال: اركب أنت يا ولدي حتّى أمشي أنا، فركب ولده ومشى لقمان، فاجتازوا على جماعة أخرى فقالوا: هذا بئس الوالد وهذا بئس الولد، أمّا أبوه فإنّه ما أدب هذا الصبيّ حتّى يركب الدابّة ويترك والده يمشي وراءه، والوالد أحقّ بالاحترام والركوب، وأمّا الولد فإنّه عقّ والده بهذه الحال، فكلاهما أساءا في الفعال! فقال لقمان لولده: سمعت؟ فقال: نعم، فقال: نركب معاً الدابّة، فركبا معا فاجتازا على جماعة فقالوا: ما في قلب هذين الراكبين رحمة، ولا عندهم من الله خير، يركبان معاً الدابّة يقطعان ظهرها ويحملانها ما لا تطيق، لو كان قد ركب واحد ومشى واحد كان أصلح وأجود، فقال: سمعت؟ فقال: نعم، فقال: هات حتّى نترك الدابّة تمشي خالية من ركوبنا، فساقا الدابّة بين أيديهما وهما يمشيان فاجتازا على جماعة فقالوا: هذا عجيب من هذين الشخصين، يتركان دابّة فارغة تمشي بغير راكب ويمشيان! وذمّوهما على ذلك كما ذمّوهما على كلّ ما كان، فقال لولده: ترى في تحصيل رضاهم حيلة لمحتال؟ فلا تلتفت إليهم، واشتغل برضى الله جلّ جلاله، ففيه شغل شاغل، وسعادة وإقبال في الدنيا ويوم الحساب والسؤال[٣].

---

(١) كنز الفوائد ج٢ ص٦٦. (٢) كنز الفوائد ج٢ ص٦٧. (٣) فتح الأبواب، ص ٣٠٧.

١٩ - باب قصة إشمويل عليه السلام وطالوت وجالوت وتابوت السكينة

الآيات: البقرة «٢»: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي لعلّكم إن فرض عليكم المحاربة مع ذلك الملك ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ أي لا تفوا بما تقولون وتجبنوا ﴿مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ أي من أوطاننا وأهالينا بالسبي والقهر على نواحينا ﴿تَوَلَّوْا﴾ أي أعرضوا عن القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم الّذين عبروا النهر ﴿قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ أي جعله ملكاً، وهو من ولد بنيامين، ولم يكن من سبط النبوّة ولا من سبط المملكة، وسمّي طالوت لطوله، ويقال: كان سقّاء؛ وقيل: خربندجاً؛ وقيل: دبّاغاً، وكانت النبوّة في سبط لاوي، والمملكة في سبط يهودا، وقيل: في سبط يوسف؛ وقيل: بعثه نبيّاً بعد أن جعله ملكاً ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ أي فضيلة وسعة ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل في وقته وأجملهم وأتمهم وأعظمهم جسماً وأقواهم شجاعة؛ وقيل: كان إذا قام الرجل فبسط يده رافعاً لها نال رأسه، قال وهب: كان ذلك قبل الملك وزاده ذلك بعد الملك ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ أي خرج من مكانه وقطع الطريق بالجنود، اختلف في عددهم قيل: كانوا ثمانين ألف مقاتل؛ وقيل: سبعين ألفاً، وذلك أنّهم لمّا رأوا التابوت أيقنوا بالنصر فتبادروا إلى الجهاد ﴿قَالَ﴾ يعني طالوت ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ أي ممتحنكم ومختبركم، وكان سبب ابتلائهم شكايتهم عن قلّة الماء وخوف التلف

من العطش؛ وقيل: إنّما ابتلوا ليشكروا فيكثر ثوابهم واختلف في النهر فقيل: هو نهر بين الأردنّ وفلسطين؛ وقيل: نهر فلسطين ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي من أهل ولايتي وممّن يتّبعني ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ أي لم يجد طعمه ولم يذق منه ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ أي إلاّ من أخذ من الماء مرّةً واحدةً باليد، ومن قرأ غرفة بالضمّ - وهو غير ابن كثير وأبوعمرو وأهل المدينة - فمعناه: إلاّ من شرب مقدار ملء كفّه ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ أي أكثر من غرفة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وقيل: إنّ الّذين شربوا منه غرفة كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً؛ وقيل: أربعة آلاف رجل، ونافق ستّة وسبعون ألفاً، ثمّ نافق الأربعة آلاف إلاّ ثلاث مائة وبضعة عشر؛ وقيل: من استكثر من ذلك الماء عطش ومن لم يشرب إلاّ غرفة روي وذهب عطشه، وردّ طالوت عند ذلك العصاة منهم فلم يقطعوا معه النهر ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ أي فلمّا تخطّى النهر طالوت والمؤمنون معه، وروي أنّه جاوز معه المؤمنون خاصّة كانوا مثل عدد أهل بدر؛ وقيل: بل جاوز المؤمنون والكافرون إلاّ أنّ الكافرين انعزلوا وبقي المؤمنون على عدد أهل بدر وهذا أقوى، فلمّا رأوا كثرة جنود جالوت ﴿قَالُوا﴾ أي الكفّار منهم ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي يستيقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ﴾ أي راجعون إلى الله وإلى جزائه، أو يظنّون أنّهم ملاقو الله بالقتل في تلك الوقعة، وهم المؤمنون الّذين عددهم عدّة أهل بدر ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾ أي فرقة ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بنصره ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾ أي اصبب علينا ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ حتّى لا نفرّ ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ﴾ أي داود ﴿الْمُلْكَ﴾ بعد قتل جالوت بسبع سنين ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ قبل النبوّة ولم يكن نبيّاً قبل قتله جالوت، فجمع الله له الملك والنبوّة عند موت طالوت في حالة واحدة، لأنّه لا يجوز أن يترأس من ليس بنبيّ على نبيّ؛ وقيل: يجوز ذلك إذا كان يفعل ما يفعل بأمره ومشورته ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ من أمور الدين والدنيا، منها: صنعة الدروع فإنّه كان يلين له الحديد كالشمع، وقيل: الزبور والحكم بين الناس وكلام الطير والنمل؛ وقيل: الصوت الطيّب والألحان[1].

١ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، والحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبيّ، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ قال: لم يكن من سبط النبوّة ولا من سبط المملكة ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ وقال: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ فجاءت به الملائكة تحمله، وقال الله جلّ ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ فشربوا منه إلاّ ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم من اغترف، ومنهم من لم يشرب، فلمّا

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٤٠.

برزوا قال الّذين اعترفوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ وقال الّذين لم يعترفوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

شي: عن أبي بصير مثله. «ج ١ ص ١٥٢ ح ٤٤٠ و٤٤٤ من سورة البقرة».

٢ - **كا**: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيّوب، عن يحيى الحلبيّ، عن عبد الله بن سليمان، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قرأ: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال: كانت تحمله في صورة البقرة[2].

٣ - **كا**: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عمّن أخبره، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال: رضراض الألواح فيها العلم والحكمة[3].

٤ - **فس**: أبي، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام إنّ بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي وغيّروا دين الله وعتوا عن أمر ربّهم، وكان فيهم نبيّ يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه، وروي أنّه أرميا النبيّ، فسلّط الله عليهم جالوت وهو من القبط فأذلّهم وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم وأخذ أموالهم واستعبد نساءهم، ففزعوا إلى نبيّهم وقالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وكانت النبوّة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسلطان في بيت آخر، لم يجمع الله لهم النبوّة والملك في بيت واحد، فمن ذلك قالوا: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فقال لهم نبيّهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ وكان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فقال لهم نبيّهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فغضبوا من ذلك وقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ وكانت النبوّة في ولد لاوي، والملك في ولد يوسف، وكان طالوت من ولد ابن يامين أخي يوسف لأمّه، لم يكن من بيت النبوّة، ولا من بيت المملكة، فقال لهم نبيّهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وكان أعظمهم جسماً وكان شجاعاً قويّاً وكان أعلمهم إلاّ أنّه كان فقيراً فعابوه بالفقر، فقالوا: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ فقال لهم نبيّهم: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ

---

(١) روضة الكافي، الموجود مع الاصول، ص ٨٢١ ح ٤٩٨.

(٢) - (٣) روضة الكافي الموجود مع الأصول، ص ٨٢٢ ح ٤٩٩-٥٠٠.

ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُۚ ﴾ وكان التابوت الّذي أنزله الله على موسى فوضعته فيه أمّه وألقته في اليمّ، فكان في بني إسرائيل يتبرّكون به، فلمّا حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوّة وأودعه يوشع وصيّه فلم يزل التابوت بينهم حتّى استخفّوا به، وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عزّ وشرف ما دام التابوت عندهم، فلمّا عملوا بالمعاصي واستخفّوا بالتابوت رفعه الله عنهم، فلمّا سألوا النبيّ وبعث الله إليهم طالوت ملكاً يقاتل معهم ردّ الله عليهم التابوت، كما قال الله ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُۚ ﴾ قال: البقيّة: ذرّيّة الأنبياء، وقوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ فإنّ التابوت كان يوضع بين يدي العدوّ وبين المسلمين فتخرج منه ريح طيّبة لها وجه كوجه الإنسان.

حدّثني أبي، عن الحسين بن خالد، عن الرضا عليه السلام أنّه قال: السكينة ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، وكان إذا وضع التابوت بين يدي المسلمين والكفّار فإن تقدّم التابوت رجل لا يرجع حتّى يغلب أو يقتل، ومن رجع عن التابوت كفر وقتله الإمام، فأوحى الله إلى نبيّهم إنّ جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى عليه السلام وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام اسمه داود بن إيشا، وكان إيشا راعياً وكان له عشرة بنين أصغرهم داود، فلمّا بعث طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى إيشا أن احضر واحضر ولدك، فلمّا حضروا دعا واحداً واحداً من ولده فألبسه الدرع درع موسى عليه السلام فمنهم من طال عليه، ومنهم من قصر عنه، فقال لإيشا: هل خلّفت من ولدك أحداً؟ قال: نعم أصغرهم تركته في الغنم راعياً، فبعث إليه فجاء به فلمّا دعي أقبل ومعه مقلاع، قال: فناداه ثلاث صخرات في طريقه، فقالت: يا داود خذنا، فأخذها في مخلاته، وكان شديد البطش، قويّاً في بدنه شجاعاً، فلمّا جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوى عليه ففصل طالوت بالجنود، وقال لهم نبيّهم: يا بني إسرائيل: إنّ الله مبتليكم بنهر في هذه المفازة، فمن شرب منه فليس من حزب الله، ومن لم يشرب فهو من الله إلاّ من اغترف غرفة بيده، فلمّا وردوا النهر أطلق الله لهم أن يغرف كلّ واحد منهم غرفة بيده فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم، فالّذين شربوا منه كانوا ستّين ألفاً، وهذا امتحان امتحنوا به كما قال الله.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: القليل الّذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا جاوزوا النهر ونظروا إلى جنود جالوت قال الّذين شربوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾ وقال الّذين لم يشربوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فجاء داود عليه السلام فوقف بحذاء جالوت وكان جالوت على الفيل، وعلى رأسه التاج، وفي جبهته ياقوتة يلمع نورها، وجنوده بين يديه، فأخذ داود عليه السلام من تلك الأحجار حجراً فرمى به في ميمنة جالوت فمرّ في الهواء فوقع عليهم فانهزموا، وأخذ حجراً آخر فرمى به في ميسرة جالوت فوقع عليهم فانهزموا، ورمى جالوت

بحجر فصكّت الياقوتة في جبهته ووصلت إلى دماغه ووقع إلى الأرض ميّتاً، وهو قوله: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾(١).

بيان: قوله: (وروي) من كلام المصنّف أدخل بين الخبر. قوله: (البقيّة ذرّيّة الأنبياء) كأنّه هكذا فهم ما سيأتي من رواية أبي المحسن، وفي تلك الرواية يحتمل أن يكون تفسيراً للملائكة، أي الملائكة الحاملون للتابوت حقيقة هم الأوصياء من ذرّيّة الأنبياء، وأُطلقت الملائكة عليهم مجازاً، وعلى ما رواه يحتمل أن يكون المراد كون ذكرهم وبيان فضلهم في التابوت، أو يكون (في) بمعنى (مع).

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾: اختلف في ذلك النبيّ فقيل: اسمه شمعون بن صفيّة من ولد لاوي، عن السدّيّ؛ وقيل: هو يوشع؛ وقيل: هو إشمويل، وهو بالعربيّة إسماعيل، عن أكثر المفسّرين وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام «ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله» اختلف في سبب سؤالهم ذلك فقيل: كان سببه استذلال الجبابرة لهم لمّا ظهروا على بني إسرائيل وغلبوهم على كثير من ديارهم وسبوا كثيراً من ذراريهم بعد أن كانت الخطايا قد كثرت في بني إسرائيل، فبعث إليهم اشمويل نبيّاً فقالوا له: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، عن الربيع والكلبيّ؛ وقيل: أرادوا قتال العمالقة فسألوا ملكاً يكون أميراً عليهم؛ وقيل: بعث الله إشمويل نبيّاً فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال، ثمّ كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان، فقالوا لإشمويل: ابعث لنا ملكاً. ثمّ قال رحمه الله: قيل: كان التابوت في أيدي أعداء بني إسرائيل من العمالقة غلبوهم عليه لمّا مرج أمر بني اسرائيل، وحدث فيهم الأحداث ثمّ انتزعه الله من أيديهم وردّه على بني إسرائيل تحمله الملائكة، عن ابن عبّاس ووهب وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام، وقيل: كان التابوت الّذي أنزله الله على آدم فيه صور الأنبياء فتوارثته أولاد آدم عليه السلام، وكان في بني إسرائيل يستفتحون به على عدوّهم؛ قال قتادة: كان في بريّة التيه خلّفه هناك يوشع بن نون تحمله الملائكة إلى بني إسرائيل؛ وقيل: كان قدر التابوت ثلاثة أذرع في ذراعين، عليه صفائح الذهب، وكان من شمشاد، وكانوا يقدّمونه في الحروب ويجعلونه أمام جندهم، فإذا سمع من جوفه أنين زفّ التابوت أي سار، وكان الناس يسيرون خلفه فإذا سكن الأنين وقف فوقفوا(٢).

٥ - ب: ابن عيسى، عن ابن أسباط، عن أبي الحسن عليه السلام قال: السكينة ريح تخرج من الجنّة لها صورة كصورة الإنسان، ورائحة طيّبة، وهي الّتي أُنزلت على إبراهيم عليه السلام، فأقبلت تدور حول أركان البيت، وهو يضع الأساطين، قلنا هي من الّتي قال فيه: ﴿سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال: تلك السكينة كانت في التابوت، وكانت فيها طست يغسل فيها قلوب الأنبياء، وكان التابوت يدور في بني

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٨٩.
(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٤٠.

إسرائيل مع الأنبياء عليهم السلام ثمّ أقبل علينا فقال: فما تابوتكم؟ قلنا: السلاح، قال: صدقتم هو تابوتكم. الخبر(١).

٦ - مع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن النعمان، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّوجلّ: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ قال: كان القليل ستّين ألفاً(٢).

شي: عن أبي بصير مثله(٣).

٧ - مع: أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن السنديّ بن محمّد، عن العلاء، عن محمّد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: السكينة الإيمان(٤).

٨ - مع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن هاشم، عن ابن مرّار، عن يونس، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته فقلت: جعلت فداك ما كان تابوت موسى وكم كان سعته؟ قال: ثلاث أذرع في ذراعين، قلت: ما كان فيه؟ قال: عصا موسى والسكينة، قلت: وما السكينة؟ قال: روح الله يتكلم، كانوا إذا اختلفوا في شيء كلمهم وأخبرهم ببيان ما يريدون(٥).

٩ - ن، مع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن إسماعيل بن همّام، عن الرضا عليه السلام أنّه قال لرجل: أيّ شيء السكينة عندكم؟ فلم يدر القوم ما هي، فقالوا: جعلنا الله فداك ما هي؟ قال: ريح تخرج من الجنّة طيّبة لها صورة كصورة الإنسان، تكون مع الأنبياء عليهم السلام، وهي الّتي أنزلت على إبراهيم عليه السلام حين بنى الكعبة فجعلت تأخذ كذا وكذا، وبنى الأساس عليها(٦).

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف في السكينة فقيل: إنّ السكينة الّتي فيه كانت ريحاً هفّافة من الجنّة لها وجه كوجه الانسان، عن عليّ عليه السلام، وقيل: كان له جناحان ورأس كرأس الهرّة من الزبرجد والزمرّد، عن مجاهد، وروي ذلك في أخبارنا؛ وقيل: كان فيه آية يسكنون إليها، عن عطا؛ وقيل: روح من الله يكلّمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف، عن وهب؛ واختلف في البقيّة أيضاً فقيل: إنّها عصا موسى ورضاض الألواح، عن ابن عبّاس وقتادة والسدّيّ، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام، وقيل: هي التوراة وشيء من ثياب موسى عليه السلام عن الحسن؛ وقيل: وكان فيه لوحان أيضاً من التوراة وقفيز من المنّ الّذي كان ينزل عليهم، ونعلا موسى وعمامة هارون وعصاه، هذه أقوال أهل التفسير في السكينة والبقيّة.

والظاهر أنّ السكينة أمنة وطمأنينة جعلها الله سبحانه فيه ليسكن إليه بنو إسرائيل، والبقيّة جائز أن يكون بقية من العلم، أو شيئاً من علامات الأنبياء، وجائز أن يتضمنهما جميعاً. وأمّا

(١) قرب الإسناد، ص ٣٧٣ ح ١٣٢٧. (٢) معاني الأخبار، ص ١٥١.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٥٢ ح ٤٣٩. (٤) - (٥) معاني الأخبار، ص ٢٨٤.
(٦) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٧٨ باب ٢٨ ح ٨٠، ومعاني الأخبار ص ٢٨٥.

قوله: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فقيل: حملته الملائكة بين السماء والأرض حتّى رآه بنو إسرائيل عياناً، عن ابن عبّاس والحسن؛ وقيل: لمّا غلب الأعداء على التابوت أدخلوه بيت الأصنام فأصبحت أصنامهم منكّسة فأخرجوه ووضعوه ناحية من المدينة فأخذهم وجع في أعناقهم وكلّ موضع وضعوه ظهر فيه بلاء وموت ووباء. فأشير عليهم بأن يخرجوا التابوت فأجمع رأيهم على أن يأتوا به ويحملوه على عجلة ويشدّوها إلى ثورين، ففعلوا ذلك وأرسلوا الثورين فجاءت الملائكة وساقوا الثورين إلى بني إسرائيل. انتهى[1].

أقول: يمكن الجمع بين ما ورد في أخبارنا من معنى السكينة بأنّ المراد جميع ذلك. وإنّما ورد في كلّ خبر بعض ما هو داخل فيها.

١٠ - **ك:** القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمارة، عن أبيه، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: إنّ يوشع بن نون قام بالأمر بعد موسى عليه السلام صابراً من الطواغيت على اللأواء والضرّاء والجهد والبلاء حتّى مضى منهم ثلاثة طواغيت فقوي بعدهم أمره فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسى بصفراء بنت شعيب امرأة موسى في مائة ألف رجل، فقاتلوا يوشع بن نون فغلبهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم الباقين بإذن الله تعالى ذكره، وأسر صفراء بنت شعيب وقال لها: قد عفوت عنك في الدنيا إلى أن نلقى نبيّ الله موسى فأشكو ما لقيت منك ومن قومك، فقالت صفراء: وا ويلاه، والله لو أبيحت لي الجنّة لاستحييت أن أرى فيها رسول الله وقد هتكت حجابه وخرجت على وصيّه بعده، فاستتر الأئمّة بعد يوشع إلى زمان داود عليه السلام أربعمائة سنة، وكانوا أحد عشر، وكان قوم كلّ واحد منهم يختلفون إليه في وقته ويأخذون عنه معالم دينهم حتّى انتهى الأمر إلى آخرهم فغاب عنهم، ثمّ ظهر فبشّرهم بداود عليه السلام، وأخبرهم أنّ داود عليه السلام هو الّذي يطهّر الأرض من جالوت وجنوده، ويكون فرجهم في ظهوره، وكانوا ينتظرونه فلمّا كان زمان داود عليه السلام كان له أربعة إخوة ولهم أب شيخ كبير، وكان داود عليه السلام من بينهم خامل الذكر، وكان أصغر إخوته لا يعلمون أنّه داود النبيّ المنتظر الّذي يطهّر الأرض من جالوت وجنوده، وكانت الشيعة يعلمون أنّه قد ولد وبلغ أشدّه وكانوا يرونه ويشاهدونه ولا يعلمون أنّه هو، فخرج داود عليه السلام وإخوته وأبوهم لمّا فصل طالوت بالجنود، وتخلّف عنهم داود، وقال: ما يصنع بي في هذا الوجه؟ واستهان به إخوته وأبوه وأقام في غنم أبيه يرعاها، فاشتدّت الحرب وأصاب الناس جهد فرجع أبوه وقال لداود: احمل إلى إخوتك طعاماً يتقوّون به على العدوّ، وكان عليه السلام رجلاً قصيراً، قليل الشعر، طاهر القلب، أخلاقه نقيّة، فخرج والقوم متقاربون بعضهم من بعض قد رجع كلّ واحد منهم إلى مركزه، فمرّ داود على حجر فقال الحجر له بنداء رفيع: يا داود خذني فاقتل بي جالوت، فإنّي إنّما خلقت لقتله، فأخذه ووضعه في مخلاته الّتي كانت يكون فيها حجارته

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٤٤.

الّتي كان يرمي بها غنمه، فلمّا دخل العسكر سمعهم يعظّمون أمر جالوت، فقال لهم: ما تعظّمون من أمره؟ فوالله إن عاينته لأقتلنّه، فتحدّثوا بخبره حتّى أدخل على طالوت، فقال له: يا فتى ما عندك من القوّة وما جرّبت من نفسك؟ قال: قد كان الأسد يعدو على الشاة من غنمي فأُدركه وآخذ برأسه وأقلب لحيه عنها فآخذها من فيه، وقد كان الله تبارك وتعالى أوحى إلى طالوت أنّه لا يقتل جالوت إلاّ من لبس درعك فملأها، فدعا بدرعه فلبسها داود فاستوت عليه، فراع ذلك طالوت ومن حضره من بني إسرائيل، فقال: عسى الله أن يقتل جالوت به، فلمّا أصبحوا والتقى النّاس قال داود: أروني جالوت، فلمّا رآه أخذ الحجر فرماه به فصكّ به بين عينيه فدمغه وتنكّس عن دابّته، فقال النّاس: قتل داود جالوت، وملّكه النّاس حتّى لم يكن يسمع لطالوت ذكر، واجتمعت عليه بنو إسرائيل وأنزل الله تبارك وتعالى عليه الزبور، وعلّمه صنعة الحديد فليّنه له، وأمر الجبال والطير أن تسبّح معه، وأعطاه صوتاً لم يسمع بمثله حسناً، وأُعطي قوّة في العبادة، وأقام في بني إسرائيل نبيّاً.

ثمّ إنّ داود عليه السلام أراد أن يستخلف سليمان عليه السلام لأنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليه يأمره بذلك، فلمّا أخبر بني إسرائيل ضجّوا من ذلك، وقالوا: يستخلف علينا حدثاً وفينا من هو أكبر منه! فدعا أسباط بني إسرائيل فقال لهم: قد بلغتني مقالتكم فأروني عصيّكم، فأيّ عصا أثمرت فصاحبها وليّ الأمر بعدي، فقالوا: رضينا، وقال: ليكتب كلّ واحد منكم اسمه على عصاه فكتبوا، ثمّ جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثمّ أُدخلت بيتاً وأُغلق الباب وحرسه رؤوس أسباط بني إسرائيل، فلمّا أصبح صلّى بهم الغداة، ثمّ أقبل ففتح الباب فأخرج عصيّهم وقد أورقت عصا سليمان وقد أثمرت، فسلّموا ذلك لداود، فاختبره بحضرة بني إسرائيل فقال له: يا بنيّ أيّ شيء أبرد؟ قال: عفو الله عن النّاس وعفو النّاس بعضهم عن بعض، قال: يا بنيّ فأيّ شيء أحلى؟ قال: المحبّة وهي روح الله في عباده، فافترّ داود ضاحكاً فسار به في بني إسرائيل فقال: هذا خليفتي فيكم من بعدي ثمّ أخفى سليمان بعد ذلك أمره وتزوّج بامرأة واستتر من شيعته ما شاء الله أن يستتر، ثمّ إنّ امرأته قالت له ذات يوم: بأبي أنت وأُمّي ما أكمل خصالك وأطيب ريحك! ولا أعلم لك خصلة أكرهها إلاّ أنّك في مؤونة أبي، فلو دخلت السوق فتعرّضت لرزق الله رجوت أن لا يخيبك، فقال لها سليمان: إنّي والله ما عملت عملاً قطّ ولا أحسنه، فدخل السوق فجال يومه ذلك ثمّ رجع فلم يصب شيئاً، فقال لها: ما أصبت شيئاً، قالت: لا عليك إن لم يكن اليوم كان غداً، فلمّا كان من الغد خرج إلى السوق فجال فيه فلم يقدر على شيء ورجع فأخبرها فقالت: يكون غداً إن شاء الله، فلمّا كان في اليوم الثالث مضى حتّى انتهى إلى ساحل البحر فإذا هو بصيّاد فقال له: هل لك أن أُعينك وتعطينا شيئاً؟ قال: نعم، فأعانه فلمّا فرغ أعطاه الصيّاد سمكتين فأخذهما وحمد الله عزّ وجلّ، ثمّ إنّه شقّ بطن إحداهما فإذا هو بخاتم في بطنها، فأخذه فصيّره في ثوبه وحمد الله، وأصلح السمكتين وجاء بهما إلى منزله، وفرحت امرأته بذلك، وقالت له: إنّي أُريد أن

تدعو أبويّ حتّى يعلما أنّك قد كسبت، فدعاهما فأكلا معه، فلمّا فرغوا قال لهم: هل تعرفوني؟ قالوا: لا والله إلاّ أنّا لم نر خيراً منك، فأخرج خاتمه فلبسه فخرّ عليه الطير والريح وغشيه الملك وحمل الجارية وأبويها إلى بلاد إصطخر، واجتمعت إليه الشيعة واستبشروا به ففرّج الله عنهم ما كانوا فيه من حيرة غيبته، فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى آصف بن برخيا بإذن الله تعالى ذكره، فلم يزل بينهم تختلف إليه الشيعة ويأخذون عنه معالم دينهم، ثمّ غيّب الله عزّوجلّ آصف غيبة طال أمدها، ثمّ ظهر لهم فبقي بين قومه ما شاء الله، ثمّ إنّه ودّعهم فقالوا له: أين الملتقى؟ قال: على الصّراط، وغاب عنهم ما شاء الله، واشتدّت البلوى على بني إسرائيل بغيبته وتسلط عليهم بخت نصّر فجعل يقتل من يظفر به منهم ويطلب من يهرب، ويسبي ذراريهم، فاصطفى من السبي من أهل بيت يهودا أربعة نفر فيهم دانيال، واصطفى من ولد هارون عزيراً، وهم حينئذ صبية صغار، فمكثوا في يده وبنو إسرائيل في العذاب المهين، والحجّة دانيال أسير في يد بخت نصّر تسعين سنة، فلمّا عرف فضله وسمع أنّ بني إسرائيل ينتظرون خروجه ويرجون الفرج في ظهوره وعلى يده أمر أن يجعل في جبّ عظيم واسع ويجعل معه الأسد ليأكله، فلم يقربه، وأمر أن لا يطعم، فكان الله تعالى يأتيه بطعامه وشرابه على يد نبيّ من أنبياء بني إسرائيل، فكان يصوم دانيال النهار، ويفطر اللّيل على ما يدلى إليه من الطعام، واشتدّت البلوى على شيعته وقومه المنتظرين لظهوره، وشكّ أكثرهم في الدين لطول الأمد، فلمّا تناهى البلاء بدانيال وبقومه رأى بخت نصّر في المنام كأنّ ملائكة من السماء قد هبطت إلى الأرض أفواجاً إلى الجبّ الّذي فيه دانيال مسلّمين عليه، يبشّرونه بالفرج، فلمّا أصبح ندم على ما أتى إلى دانيال، فأمر أن يخرج من الجبّ فلمّا أخرج اعتذر إليه ممّا ارتكب منه من التعذيب، ثمّ فوّض إليه النظر في أمور ممالكه والقضاء بين الناس، فظهر من كان مستتراً من بني إسرائيل، ورفعوا رؤوسهم، واجتمعوا إلى دانيال عليه السلام موقنين بالفرج، فلم يلبث إلاّ القليل على تلك الحال حتّى مضى لسبيله، وأفضى الأمر بعده إلى عزير، وكانوا يجتمعون إليه، ويأنسون به، ويأخذون عنه معالم دينهم، فغيّب الله عنهم شخصه مائة عام، ثمّ بعثه وغابت الحجج بعده، واشتدّت البلوى على بني إسرائيل حتّى ولد يحيى بن زكريّا عليه السلام وترعرع وظهر وله سبع سنين، فقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكّرهم بأيّام الله، وأخبرهم أنّ محن الصالحين إنّما كانت لذنوب بني إسرائيل، وأنّ العاقبة للمتّقين، ووعدهم الفرج بقيام المسيح عليه السلام بعد نيّف وعشرين سنة من هذا القول، فلمّا ولد المسيح أخفى الله ولادته وغيب شخصه لأنّ مريم عليها السلام لمّا حملته انتبذت به مكاناً قصيّاً.

ثمّ إنّ زكريّا وخالتها أقبلا يقصّان أثرها حتّى هجما عليها وقد وضعت ما في بطنها وهي تقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ فأطلق الله تعالى ذكره لسانه بعذرها وإظهار حجّتها، فلمّا ظهر اشتدت البلوى والطلب على بني إسرائيل وأكبّ الجبابرة والطواغيت عليهم، حتّى كان من أمر المسيح ما قد أخبر الله به، واستتر شمعون بن حمون والشيعة حتّى

أفضى بهم الاستتار إلى جزيرة من جزائر البحر فأقاموا بها ففجر لهم فيها العيون العذبة، وأخرج لهم من كلّ الثمرات، وجعل لهم فيها الماشية، وبعث إليهم سمكة تدعى القمد لا لحم لها ولا عظم، وإنّما هي جلد ودم فخرجت من البحر، وأوحى الله عزّ وجلّ إلى النحل أن تركبها، فركبتها فأتت النحل إلى تلك الجزيرة ونهض النحل وتعلّق بالشجر فعرش وبنى وكثر العسل، ولم يكونوا يفقدون شيئاً من أخبار المسيح عليه السلام (١).

بيان: قد مضى صدر الخبر في باب وفاة موسى عليه السلام وقال الفيروزآباديّ: دمغه كمنعه ونصره: شجّه حتّى بلغت الشجّة الدماغ. وقال: افترّ: ضحك ضحكاً حسناً، وقال: عرش بالمكان: أقام.

١١ - **شي:** عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال: وكان الملك في ذلك الزمان هو الّذي يسير بالجنود، والنبيّ يقيم له أمره وينبّئه الخبر من عند ربّه، فلمّا قالوا ذلك لنبيّهم قال لهم: إنّه ليس عندكم وفاء ولا صدق ولا رغبة في الجهاد، فقالوا: إن كتب الله الجهاد فإذا أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلابدّ لنا من الجهاد ونطيع ربّنا في جهاد عدوّنا، قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فقالت عظماء بني إسرائيل: وما شأن طالوت يملك علينا وليس في بيت النبوّة والمملكة؟ وقد عرفت أنّ النبوّة والمملكة في اللاّوي ويهودا، وطالوت من سبط ابن يامين بن يعقوب، فقال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ والملك بيد الله يجعله حيث يشاء ليس لكم أن تخيّروا، فإنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت من قبل الله، تحمله الملائكة فيه سكينة من ربكم وبقيّة، وهو الّذي كنتم تهزمون به من لقيتم، فقالوا: إن جاء التابوت رضينا وسلّمنا(٢).

١٢ - **شي:** عن حريز، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال: رضاض الألواح، فيها العلم والحكمة، العلم جاء من السماء فكتب في الألواح وجعل في التابوت(٣).

١٣ - **شي:** عن أبي المحسن، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن قول الله: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ فقال: ذرّيّة الأنبياء(٤).

١٤ - **شي:** عن العبّاس بن هلال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته وهو يقول

---

(١) كمال الدين، ص ١٥٣.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٥١ ح ٤٣٨ من سورة البقرة.

(٣) - (٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٥٢ ح ٤٤١-٤٤٢ من سورة البقرة.

للحسن: أيّ شيء السكينة عندكم؟ وقرأ: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ فقال له الحسن: جعلت فداك لا أدري، فأيّ شيء هو؟ قال: ريح تخرج من الجنّة طيّبة لها صورة كصورة وجه الإنسان، قال: فيكون مع الأنبياء، فقال له عليّ بن أسباط تنزل على الأنبياء والأوصياء؟ فقال: تنزل على الأنبياء، قال: وهي الّتي نزلت على إبراهيم عليه السلام حيث بنى الكعبة فجعلت تأخذ كذا وكذا ويبني الأساس عليها، فقال له محمّد بن عليّ: قول الله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال: هي من هذا. ثمّ أقبل على الحسن فقال: أيّ شيء التابوت فيكم؟ فقال: السلاح، فقال: نعم هو تابوتكم، فقال: فأيّ شيء في التابوت الّذي كان في بني إسرائيل؟ قال: كان فيه ألواح موسى الّتي تكسّرت والطشت الّتي يغسل فيها قلوب الأنبياء[1].

١٥ - ل، ع، ن: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن يوم الأربعاء الّذي يتطيّر منه، فقال عليه السلام: آخر أربعاء في الشهر - وساق الحديث إلى أن قال -: ويوم الأربعاء أخذت العماليق التابوت[2].

١٦ - شي: عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان داود وإخوة له أربعة، ومعهم أبوهم شيخ كبير، وتخلّف داود عليه السلام في غنم لأبيه، ففصل طالوت بالجنود فدعا أبوداود داود وهو أصغرهم، فقال: يا بنيّ اذهب إلى إخوتك بهذا الّذي قد صنعناه لهم يتقوّون به على عدوّهم وكان رجلاً قصيراً أزرق، قليل الشعر، طاهر القلب فخرج وقد تقارب القوم بعضهم من بعض[3].

١٧ - شي: عن أبي بصير قال: سمعته يقول: فمرّ داود على الحجر، فقال الحجر: يا داود خذني فاقتل بي جالوت، فإنّي إنّما خلقت لقتله، فأخذه فوضعه في مخلاته الّتي تكون فيها حجارته الّتي كان يرمي بها عن غنمه بمقذافه، فلمّا دخل العسكر سمعهم يتعظّمون أمر جالوت، فقال لهم داود: ما تعظمون من أمره فوالله لئن عاينته لأقتلنّه؟ فتحدّثوا بخبره حتّى أدخل على طالوت، فقال: يا فتى وما عندك من القوّة وما جرّبت من نفسك؟ قال: كان الأسد يعدو على الشاة من غنمي فأدركه فآخذ برأسه فأفكّ لحييه عنها فآخذها من فيه، قال: فقال: ادع لي بدرع سابغة، قال: فأُتي بدرع فقذفها في عنقه فتملأ منها حتّى راع طالوت ومن حضره من بني إسرائيل، فقال طالوت: والله لعسى الله أن يقتله به، قال: فلمّا أن أصبحوا ورجعوا إلى طالوت والتقى النّاس قال داود عليه السلام: أروني جالوت، فلمّا رآه أخذ الحجر فجعله في مقذافه فرماه فصكّ به بين عينيه فدمغه ونكس عن دابّته، وقال النّاس: قتل داود جالوت،

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٥٢ ح ٤٤٣ من سورة البقرة.

(٢) الخصال، ص ٣٨٨ باب السبعة ح ٧٨، وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢١ ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٣.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٥٤ ح ٤٤٥ من سورة البقرة.

وملكه النّاس حتّى لم يكن يسمع لطالوت ذكر، واجتمعت بنو إسرائيل على داود وأنزل الله عليه الزبور، وعلّمه صنعة الحديد فليّنه له، وأمر الجبال والطير يسبّحن معه، قال: ولم يعط أحد مثل صوته، فأقام داود في بني إسرائيل مستخفياً وأُعطي قوّة في عبادته(١).

أقول: قال صاحب الكامل: لمّا انقطع إلياس عن بني إسرائيل بعث الله اليسع، فكان فيهم ما شاء الله ثمّ قبضه الله، وعظمت فيهم الأحداث وعندهم التابوت يتوارثونه فيه السكينة وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون، تحمله الملائكة، فكانوا لا يلقاهم عدوّ فيقدّمون التابوت إلاّ هزم الله العدوّ وكانت السكينة شبه رأس هرّ فإذا صرخت في التابوت بصراخ هرّ أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح؛ ثمّ خلف فيهم ملك يقال له إيلاف، وكان الله يمنعهم ويحميهم، فلمّا عظمت أحداثهم نزل بهم عدوّ فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت فاقتتلوا فغلبهم عدوّهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا، فلمّا علم ملكهم أنّ التابوت أُخذ مات كمداً، ودخل العدوّ أرضهم ونهب وسبى وعاد فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف، وكانوا يتمادون أحياناً في غيّهم فيسلّط الله عليهم من ينتقم به منهم فإذا رجعوا إلى التوبة كفى الله عنهم شرّ عدوّهم، فكان هذا حالهم من لدن توفّي يوشع بن نون إلى أن بعث الله إشمويل، وملكهم طالوت وردّ عليهم التابوت، وكانت مدّة ما بين وفاة يوشع إلى أن رجعت النبوّة إلى إشمويل أربعمائة سنة وستّين سنة، وكان من خبر إشمويل أنّ بني إسرائيل لمّا طال عليهم البلاء وطمع فيهم الأعداء وأخذ التابوت عنهم فصاروا بعده لا يلقون ملكاً إلاّ خائفين، فقصدهم جالوت ملك الكنعانيّين، وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين فظفر بهم وضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة، فدعوا الله أن يبعث لهم نبيّاً يقاتلون معه، وكان سبط النبوّة هلكوا فلم يبق منهم غير امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدّلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها، فولدت غلاماً سمّته إشمويل، ومعناه سمع الله دعائي، وسبب هذه التسمية أنّها كانت عاقراً، وكان لزوجها امرأة أُخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبغت عليها بكثرة أولادها، فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولداً، فرحم الله تعالى انكسارها وحاضت لوقتها وقربت زوجها فحملت، فلمّا انقضت مدّة الحمل ولدت غلاماً فسمّته إشمويل، فلمّا كبر أسلمته في بيت المقدس يتعلّم التوراة وكفله شيخ من علمائهم وتبنّاه، فلمّا بلغ أن يبعثه الله نبيّاً أتاه جبرئيل وهو يصلّي فناداه بصوت يشبه صوت الشيخ، فجاء إليه فقال: ما تريد؟ فكره أن يقول: لم أدع فيفزع، فقال: ارجع ونم، فعاد جبرئيل لمثلها، فجاء إلى الشيخ فقال له: ما تريد؟ فقال: يا بنيّ عد، وإذا دعوتك فلا تجبني، فلمّا كانت الثالثة ظهر له جبرئيل عليه السلام وأمره بإنذار قومه وأعلمه أنّ الله بعثه رسولاً، فدعاهم فكذّبوه ثمّ أطاعوه، فأقام يدبّر أمرهم عشر سنين، وقيل: أربعين سنة، وكانت العمالقة مع ملكهم جالوت قد عظمت نكايتهم في

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٥٤ ح ٤٤٦ من سورة البقرة.

بني إسرائيل حتّى كادوا يهلكونهم، فلمّا رأى بنو إسرائيل ذلك قالوا: ﴿ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبْنَآئِنَا﴾ فدعا الله فأرسل إليه عصاً وقرناً فيه دهن، وقيل له: إنّ صاحبكم طوله طول هذه العصا، فإذا دخل عليك رجل فنشّ الدهن الّذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فدهن رأسه به وملّكه عليهم، فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها، وقيل: كان طالوت دبّاغاً، وقيل: كان سقّاءً يستقي الماء ويبيعه فضلّ حماره فانطلق يطلبه، فلمّا اجتاز بالمكان الّذي فيه إشمويل دخل يسأله أن يدعو له ليردّ الله حماره، فلمّا دخل نشّ الدهن فقاسوه بالعصا فكان مثلها، فقال لهم نبيّهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فقالوا له: ما كنت قطّ أكذب منك الساعة ونحن من سبط الملك، ولم يؤت سعة من المال فنتّبعه؟ فقال إشمويل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ فقالوا: إن كنت صادقاً فأت بآية، فقال: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الآية، فحملته الملائكة وأتت به إلى طالوت نهاراً بين السماء والأرض والناس ينظرون، فأخرجه طالوت إليهم فأقرّوا بملكه ساخطين، وخرجوا معه كارهين، وهم ثمانون ألفاً، فلمّا خرجوا قال لهم طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ وهو نهر فلسطين، وقيل: هو الأردنّ، فشربوا منه إلاّ قليلاً وهم أربعة آلاف، فمن شرب منه عطش، ومن لم يشرب منه إلاّ غرفة روي، فلمّا جاوزه هو والّذين آمنوا معه لقيهم جالوت وكان ذا بأس شديد، فلمّا رأوه رجع أكثرهم وقالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ ولم يبق معه غير ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً عدّة أهل بدر، فلمّا رجع من رجع قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وكان فيهم أبو داود ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابناً، وكان داود عليه السلام أصغر بنيه وقد خلّفه يرعى لهم ويحمل إليهم الطعام، وكان قد قال لأبيه ذات يوم: يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيئاً إلاّ صرعته، وقال له: لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً فركبت عليه وأخذت بأذنيه ولم أخفه، ثمّ أتاه يوماً آخر فقال له: إنّي لأمشي بين الجبال فأسبّح فلا يبقى جبل إلاّ سبّح معي، قال: أبشر فإنّ هذا خير أعطاكه الله، فأرسل الله تعالى إلى النبيّ الّذي مع طالوت قرناً فيه دهن وتنّوراً من حديد، فبعث الله إلى طالوت وقال: إنّ صاحبكم الّذي يقتل جالوت يوضع هذا الدهن على رأسه فيغلي حتّى يسيل من القرن ولا يجاوز رأسه إلى وجهه، ويبقى على رأسه كهيئة الإكليل، ويدخل في هذا التنّور فيملؤه، فدعا طالوت بني إسرائيل فجرّبهم فلم يوافقه منهم أحد، فأحضر داود من رعيه فمرّ في طريقه بثلاثة أحجار، فكلّمته وقلن: خذنا يا داود فاقتل بنا جالوت، فأخذهنّ وجعلهنّ في مخلاته وكان طالوت قد قال: من قتل جالوت زوجته ابنتي، وأجريت خاتمه في مملكتي، فلمّا جاء داود وضعوا القرن على رأسه فغلى حتّى ادّهن منه، ولبس التنّور فملأه، وكان داود مسقاماً أزرق مصفارًا، فلمّا دخل في التنّور تضايق عليه حتّى ملأه وفرح إشمويل وطالوت وبنو إسرائيل بذلك، وتقدّموا إلى جالوت وصفّوا للقتال،

وخرج داود نحو جالوت وأخذ الأحجار ووضعها في قذافته ورمى بها جالوت فوقع الحجر بين عينيه ونقبت رأسه وقتله، ولم يزل الحجر يقتل كلّ من أصابته ينفذ منه إلى غيره، فانهزم عسكر جالوت بإذن الله، ورجع طالوت فأنكح ابنته داود، وأجرى خاتمه في ملكه فمال النّاس إلى داود وأحبّوه[1].

أقول: في أكثر نسخ التواريخ التنّور بالتاء، وفي العرائس شبه تنّور، فأمره أن يجلس فيه، وفي بعض النسخ بالسين، قال الفيروزآباديّ: السنّور: لبوس من قدّ كالدرع انتهى.

ثمّ اعلم أنّه ذكر المؤرّخون أنّ طالوت حسد داود وأراد قتله فمنعه الله من ذلك، وهو ليس بمعتمد، لأنّه يظهر من الآية وبعض الروايات فضله وعلمه وكماله، ولم يرد في أخبارنا شيء من ذلك ولذا تركنا إيراده.

وذكر المسعوديّ هذه القصّة نحواً ممّا مرّ، وفيه: إنّ الله تعالى جمع الأحجار الثلاثة في مخلاته فصارت حجراً واحداً، وذكر أنّ مدّة مكث التابوت ببابل كان عشر سنين، فسمعوا عند الفجر حفيف الملائكة يحملون التابوت[2].

١٨ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن معاوية بن وهب، عن سعيد السمّان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، كانت بنو إسرائيل أيّ أهل بيت وجد التابوت على بابهم أوتوا النبوّة، فمن صار إليه السلاح منّا أوتي الإمامة[3].

١٩ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن السكين، عن نوح ابن درّاج، عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، حيثما دار التابوت دار الملك، فأينما دار فينا السلاح دار العلم[4].

٢٠ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن أبي نصر، عن الرضا عليه السلام مثله[5].

أقول: سيأتي الأخبار في ذلك في كتاب الإمامة.

٢١ - **يه:** قال الصادق عليه السلام: مسجد السهلة هو بيت إدريس عليه السلام الّذي كان يخيط فيه، وهو الموضع الّذي خرج منه إبراهيم إلى العمالقة، وهو الموضع الّذي خرج منه داود إلى جالوت[6].

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ١٨٣. (٢) مروج الذهب، ج ١ ص ٦٣.

(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ١٣٥ باب أن مثل سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، ح ١.

(٤) - (٥) أصول الكافي، ج ١ ص ١٣٥ باب أن مثل سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، ح ٢ و٤.

(٦) من لا يحضره الفقيه، ج ١ ح ٦٩٧.

٢٢ - **كنز الفوائد للكراجكي:** ذكروا أنّ الوليد بن عبد الملك احتاج إلى رصاص أيّام بناء مسجد دمشق، فقيل: إنّ في الأُردنّ منارة فيها رصاص فابعث إليها، قال: فبعث إليها، فلمّا أخذوا في حفرها ضرب رجل بمعول فأصاب رجلاً في سفط وناله المعول فسال دمه، فقيل: هذا طالوت الملك فتركه ولم يخرجه[1].



(١) كنز الفوائد ج ٢ ص ١٨٠.



تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الرابع عشر

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص ب : ٧١٢٠

أبواب قصص داود

١ - باب عمره ووفاته وفضائله وما أعطاه الله ومنحه وعلل تسميته وكيفية حكمه وقضائه

الآيات: النساء، والإسراء: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ «١٦٣ و٥٥».

المائدة «٥»: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

الأنعام «٦»: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ «٨٤».

الأنبياء: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

النمل «٢٧»: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ «١٥».

سبأ «٣٤»: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

١ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن الفضيل، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مات داود النبيّ عليه السلام يوم السبت مفجوءاً، فأظلّته الطير بأجنحتها، ومات موسى كليم الله في التيه فصاح صائح من السماء: مات موسى وأيّ نفس لا تموت؟[١].

ين: محمّد بن الحسين مثله[٢].

٢ - **ل:** ابن إدريس، عن أبيه، عن الأشعريّ، عن أبي عبد الله الرازيّ، عن ابن أبي عثمان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله اختار من الأنبياء أربعة للسيف: إبراهيم، وداود، وموسى، وأنا؛ الخبر[٣].

٣ - **ن، ع:** سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عمّن خلق الله من الأنبياء مختوناً، فقال: خلق الله عزّ وجلّ آدم مختوناً، وولد شيث مختوناً، وإدريس، ونوح، وسام بن نوح وإبراهيم،

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ٥٩ باب ٧٢ ح ٤. (٢) الزهد، ص ١٥١ باب ١٤ ح ٨.

(٣) الخصال، ص ٢٢٥ باب ٤ ح ٥٨.

وداود، وسليمان، ولوط، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلوات الله عليهم[١].

٤ - مع: معنى داود أنّه داوى جرحه بودّ، وقد قيل: داوى ودّه بالطاعة حتّى قيل عبد[٢].

أقول: سيأتي الخبر في ذلك في قصّة النملة.

٥ - **ل:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلّا أربعة بعد نوح: ذو القرنين واسمه عيّاش، وداود، وسليمان، ويوسف عليهم السلام فأمّا عيّاش فملك ما بين المشرق والمغرب، وأمّا داود فملك ما بين الشامات إلى بلاد إصطخر وكذلك ملك سليمان، وأمّا يوسف فملك مصر وبراريها لم يجاوزها إلى غيرها[٣].

٦ - **فس:** ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: إنّ الله عزّوجلّ أعطى داود وسليمان ما لم يعط أحداً من أنبياء الله من الآيات: علّمهما منطق الطير، وألان لهما الحديد والصفر من غير نار، وجعلت الجبال يسبّحن مع داود، وأنزل عليه الزبور، فيه توحيد وتمجيد ودعاء وأخبار رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما والأئمّة عليهم السلام وأخبار الرجعة وذكر القائم عليه السلام لقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[٤].

٧ - **فس:** ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ أي سبحي لله ﴿وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ قال: كان داود إذا مرّ في البراري يقرأ الزبور تسبّح الجبال والطير معه والوحوش، وألان الله له الحديد مثل الشمع حتّى كان يتّخذ منه ما أحبّ.

وقال الصادق عليه السلام: اطلبوا الحوائج يوم الثلثاء فإنّه اليوم الّذي ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام. وقوله: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ قال: الدروع ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ قال: المسامير الّتي في الحلقة ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٥].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ أي قلنا للجبال: يا جبال سبّحي معه، عن ابن عبّاس والحسن وقتادة ومجاهد، قالوا: أمر الله الجبال أن تسبّح معه إذا سبّح فسبّحت معه، وتأويله عند أهل اللّغة: رجّعي معه التسبيح، من آب يؤوب، ويجوز أن يكون سبحانه فعل في الجبال ما يأتي به منها التسبيح معجزاً له، وأمّا الطير فيجوز أن يسبّح ويحصل له من التميّز مايتأتّى منه ذلك بأن يزيد الله في فطنته فيفهم ذلك. انتهى[٦].

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢١٩ باب ٢٤ ح ١، وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣١٩ ح ٤٤.
(٢) معاني الأخبار، ص ٥٠.
(٣) الخصال، ص ٢٤٨ باب الأربعة ح ١١٠.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٦.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٧٤.
(٦) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٠٠.

أقول: يمكن أن يكون تسبيح الجبال كناية عن تسبيح الملائكة الساكنين بها ، أو بأن خلق الله الصوت فيها ، أو على القول بأنّ للجمادات شعوراً فلا حاجة إلى كثير تكلّف وأمّا الطيور فلا دليل على عدم تمييزها وقابليتها للتسبيح، مع أنّ كثيراً من الأخبار دلّت على أنّ لها تسبيحاً ، وما سيأتي من قصّة النمل يؤيّده.

ثمّ قال رحمه الله : وقيل: معناه سيري معه، فكانت الجبال والطير تسير معه أينما سار. والتأويب: السير بالنهار؛ وقيل: معناه: ارجعي إلى مراد داود فيما يريده من حفر بئر، واستنباط عين، واستخراج معدن ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ أي قلنا له: اعمل من الحديد دروعاً تامّات ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي عدّل في نسج الدروع، ومنه قيل لصانعها سرّاد وزرّاد، والمعنى: لا تجعل المسامير دقاقاً فتنفلق، ولا غلاظاً فتكسر الحلق؛ وقيل: السرد: المسامير الّتي في حلق الدروع[1].

٨ - **فس:** ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ أي الزرد ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾[2].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾: قيل: معناه سيّرنا الجبال مع داود حيث سار، فعبّر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآية العظيمة الّتي تدعو إلى تسبيح الله تعالى وتعظيمه وتنزيهه عن كلّ ما لا يليق به، وكذلك تسخير الطير له تسبيح يدلّ على أن مسخّرها قادر لا يجوز عليه ما يجوز على العباد، عن الجبّائيّ وعليّ بن عيسى؛ وقيل: إنّ الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح، وكذلك الطير تسبّح معه بالغداة والعشيّ معجزةً له، عن وهب؛ وفي قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ أي علّمناه كيف يصنع الدرع، قال قتادة: أوّل من صنع الدرع داود، إنّما كانت صفائح، جعل الله سبحانه الحديد في يده كالعجين، فهو أوّل من سردها وحلقها فجمعت الخفّة والتحصين وهو قوله: ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي ليحرزكم ويمنعكم من وقع السلاح فيكم، عن السدّيّ، وقيل: معناه من حربكم، أي في حالة الحرب والقتال؛ وقيل: إنّ سبب إلانة الحديد لداود عليه السلام أنّه كان نبيّاً ملكاً وكان يطوف في ولايته متنكّراً يتعرّف أحوال عمّاله ومتصرّفيه، فاستقبله جبرئيل ذات يوم على صورة آدميّ وسلّم عليه، فردّ السلام وقال: ما سيرة داود؟ فقال: نعمت السيرة لولا خصلة فيه، قال: وما هي؟ قال: إنّه يأكل من بيت مال المسلمين، فشكره وأثنى عليه وقال: لقد أقسم داود إنّه لا يأكل من بيت مال المسلمين، فعلم الله سبحانه صدقه فألان له الحديد كما قال: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾[3].

٩ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ عن

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٠٠.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٨.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٠٤.

الرضا عليه السلام في قوله تعالى لداود: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ قال: هي الدرع، والسرد: تقدير الحلقة بعد الحلقة[1].

بيان: كأنّه تفسير لتقدير السرد.

١٠ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن يزيد، عن حمّاد ابن عيسى، عن إبراهيم بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ قال: ذا القوّة[2].

١١ - **فس:** ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ يعني إذا طلعت الشمس[3].

١٢ - **ص:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد البرقيّ، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن أبي بكر، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ داود عليه السلام كان يدعو أن يلهمه الله القضاء بين النّاس بما هو عنده تعالى الحقّ، فأوحى إليه: يا داود إنّ الناس لا يحتملون ذلك، وإنّي سأفعل، وارتفع إليه رجلان فاستعداه أحدهما على الآخر فأمر المستعدى عليه أن يقوم إلى المستعدي فيضرب عنقه ففعل، فاستعظمت بنو إسرائيل ذلك وقالت: رجل جاء يتظلّم من رجل فأمر الظالم أن يضرب عنقه! فقال: ربّ أنقذني من هذه الورطة، قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا داود سألتني أن ألهمك القضاء بين عبادي بما هو عندي الحقّ، وإنّ هذا المستعدي قتل أبا هذا المستعدى عليه، فأمرت فضربت عنقه قوداً بأبيه وهو مدفون في حائط كذا وكذا تحت شجرة كذا، فأته فناده باسمه فإنّه سيجيبك فسله، قال: فخرج داود عليه السلام وقد فرح فرحاً شديداً لم يفرح مثله فقال لبني إسرائيل: قد فرّج الله، فمشى ومشوا معه فانتهى إلى الشجرة فنادى: يا فلان، فقال: لبّيك يا نبيّ الله، قال: من قتلك؟ قال: فلان، فقالت بنو إسرائيل: لسمعناه يقول: يا نبيّ الله، فنحن نقول كما قال، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إنّ العباد لا يطيقون الحكم بما هو عندي الحكم، فسل المدّعي البيّنة، وأضف المدّعى عليه إلى اسمي[4].

١٣ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى عن ابن محبوب، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ داود عليه السلام سأل ربّه أن يريه قضيّة من قضايا الآخرة، فأوحى الله إليه: يا داود إنّ الّذي سألتني لم أطلع عليه أحداً من خلقي ولا ينبغي لأحد أن يقضي به غيري، قال: فلم يمنعه ذلك أن عاد فسأل الله أن يريه قضيّة من قضايا الآخرة، قال: فأتاه جبرائيل فقال: لقد سألت ربّك شيئاً ما سأله قبلك نبيّ من أنبيائه صلوات الله عليهم، يا داود إنّ الّذي سألت لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه، ولا ينبغي لأحد أن يقضي به غيره، فقد أجاب الله تعالى دعوتك وأعطاك ما سألت، إنّ أوّل خصمين يردان عليك غداً القضية فيهما من قضايا الآخرة، فلمّا أصبح داود وجلس في مجلس القضاء أتى شيخ متعلّق

---

(١) - (٢) قصص الأنبياء، ص ٢٠٢.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٠٣.

(٤) قصص الأنبياء، ص ٢٠٠-٢٠٢.

بشابّ ومع الشابّ عنقود من عنب، فقال الشيخ: يا نبيّ الله إنّ هذا الشابّ دخل بستاني، وخرّب كرمي، وأكل منه بغير إذني، قال: فقال داود للشابّ: ما تقول؟ فأقرّ الشابّ بأنّه قد فعل ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إن كشفت لك من قضايا الآخرة فقضيت بها بين الشيخ والغلام لم يحتملها قلبك، ولا يرضى بها قومك، يا داود إنّ هذا الشيخ اقتحم على والد هذا الشابّ في بستانه فقتله، وغصبه بستانه، وأخذ منه أربعين ألف درهم، فدفنها في جانب بستانه فادفع إلى الشابّ سيفاً ومره أن يضرب عنق الشيخ، وادفع إليه البستان ومره أن يحفر في موضع كذا من البستان ويأخذ ماله؛ قال: ففزع داود عليه السلام من ذلك، وجمع علماء أصحابه وأخبرهم الخبر، وأمضى القضيّة على ما أوحى الله إليه[1].

كا: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، وعدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب مثله[2].

١٤ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى ابن أورمة، عن فضالة، عن داود بن فرقد، عن إسماعيل بن جعفر قال: اختصم رجلان إلى داود النبيّ في بقرة، فجاء هذا ببيّنة، وجاء هذا ببيّنة على أنّها له فدخل داود المحراب فقال: يا ربّ قد أعياني أن أحكم بين هذين، فكن أنت الّذي تحكم، فأوحى الله تعالى: اخرج فخذ البقرة من الّذي هي في يده وادفعها إلى آخر واضرب عنقه، قال: فضجّت بنو إسرائيل وقالوا: جاء هذا ببيّنة وجاء هذا ببيّنة مثل بيّنة هذا وكان أحقّهم بإعطائها الّذي هي في يده، فأخذها منه وضرب عنقه وأعطاها للآخر فدخل داود المحراب فقال: يا ربّ قد ضجّت بنو إسرائيل بما حكمت فأوحى الله تعالى إليه: إنّ الّذي كانت البقرة في يده لقي أبا الآخر فقتله وأخذ البقرة منه، فإذا جاءك مثل هذا فاحكم بينهم بما ترى، ولا تسألني أن أحكم بينهم حتّى الحساب[3].

كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة مثله[4].

١٥ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان على عهد داود عليه السلام سلسلة يتحاكم الناس إليها، وإنّ رجلاً أودع رجلاً جوهراً فجحده إيّاه فدعاه إلى السلسلة فذهب معه إليها، وقد أدخل الجوهر في قناة، فلمّا أراد أن يتناول السلسلة قال له: أمسك هذه القناة حتّى آخذ السلسلة، فأمسكها ودنا الرجل من السلسلة فتناولها وأخذها وصارت في يده، فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أن احكم بينهم بالبيّنات وأضفهم إلى اسمي يحلفون به، ورفعت السلسلة[5].

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٠٠-٢٠٢.
(٢) الكافي ج ٧ ص ١٤٣٥ باب ٢٦٨ ح ١.
(٣) قصص الأنبياء، ص ٢٠٠.
(٤) الكافي ج ٧ ص ١٤٤٢ باب ٢٦٨ ح ٢١.
(٥) قصص الأنبياء، ص ٢٠٢.

١٦ - ك: أبي، عن أحمد بن إدريس، ومحمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن محمّد بن يوسف التميميّ، عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: عاش داود مائة سنة، منها أربعون سنة ملكه[1].

١٧ - كا: أبو عليّ الأشعريّ، عن عيسى بن أيّوب، عن عليّ بن مهزيار، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا عرض على آدم ولده نظر إلى داود فأعجبه فزاده خمسين سنة من عمره، قال: ونزل عليه جبرئيل وميكائيل فكتب عليه ملك الموت صكّاً بالخمسين سنة، فلمّا حضرته الوفاة نزل عليه ملك الموت، فقال آدم: قد بقي من عمري خمسون سنة، فقال: فأين الخمسون الّتي جعلتها لابنك داود؟ قال: فإمّا أن يكون نسيها أو أنكرها، فنزل عليه جبرئيل وميكائيل وشهدا عليه فقبضه ملك الموت، فقال أبو عبد الله عليه السلام : وكان أوّل صكّ كتب في الدنيا[2].

١٨ - شي: عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أهبط ظللاً من الملائكة على آدم وهو بواد يقال له الروحاء وهو واد بين الطائف ومكّة، ثمّ صرخ بذرّيّته وهم ذرّ قال فخرجوا كما يخرج النحل من كورها فاجتمعوا على شفير الوادي، فقال الله لآدم: انظر ماذا ترى؟ فقال آدم: ذرّاً كثيراً على شفير الوادي، فقال الله: يا آدم هؤلاء ذرّيّتك، أخرجتهم من ظهرك لآخذ عليهم الميثاق لي بالربوبيّة، ولمحمّد بالنبوّة، كما أخذته عليهم في السماء، قال آدم: يا ربّ وكيف وسعتهم ظهري؟ قال الله: يا آدم بلطف صنيعي ونافذ قدري، قال آدم: يا ربّ فما تريد منهم في الميثاق؟ قال الله: أن لا يشركوا بي شيئاً، قال آدم: فمن أطاعك منهم يا ربّ فما جزاؤه؟ قال الله: أسكنه جنّتي، قال آدم: فمن عصاك فما جزاؤه؟ قال: أسكنه ناري، قال آدم: يا ربّ لقد عدلت فيهم وليعصينّك أكثرهم إن لم تعصمهم. قال أبو جعفر عليه السلام : ثمّ عرض الله على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم، قال: فمرّ آدم باسم داود النبيّ عليه السلام فإذا عمره أربعون سنة، فقال: يا ربّ ما أقلّ عمر داود وأكثر عمري! يا ربّ إن أنا زدت داود من عمري ثلاثين سنة أينفذ ذلك له؟ قال: نعم يا آدم، قال: فإنّي قد زدته من عمري ثلاثين سنة، فأنفذ ذلك له وأثبتها له عندك واطرحها من عمري، قال: فأثبت الله لداود من عمره ثلاثين سنة، ولم يكن له عند الله مثبتاً، ومحا من عمر آدم ثلاثين سنة وكانت له عند الله مثبتاً. فقال أبو جعفر عليه السلام : فذلك قول الله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: فمحا الله ما كان عنده مثبتاً لآدم، وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتاً.

قال: فلمّا دنا عمر آدم هبط عليه ملك الموت عليه السلام ليقبض روحه، فقال له آدم عليه السلام : يا ملك الموت قد بقي من عمري ثلاثين سنة، فقال له ملك الموت: ألم تجعلها لابنك داود

(١) كمال الدين، ص ٤٧٤.

(٢) الكافي، ج ٧ ص ١٤١٢ باب ٢٢٧ ح ٢.

النبيّ عليه السلام ، وطرحتها من عمرك حيث عرض الله عليك أسماء الأنبياء من ذرّيّتك ، وعرض عليك أعمارهم وأنت بوادي الروحاء؟ فقال آدم: يا ملك الموت ما أذكر هذا ، فقال له ملك الموت: يا آدم لا تجهل ، ألم تسأل الله أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك؟ فأثبتها لداود في الزبور ومحاها من عمرك من الذكر ، قال: فقال آدم: احضر الكتاب حتّى أعلم ذلك ، قال أبو جعفر عليه السلام : وكان آدم صادقاً لم يذكر ، قال أبو جعفر عليه السلام : فمن ذلك اليوم أمر الله العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمّى لنسيان آدم وجحود ما جعل على نفسه[١] .

أقول: قد مضت الأخبار في ذلك في أبواب قصص آدم عليه السلام وفي بعضها أنّه زاد في عمر داود عليه السلام ستّين سنة تمام المائة ، وهو أوفق بسائر الأخبار ، والله يعلم.

١٩ - كا: محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيّوب ، عن أبان بن عثمان ، عمّن أخبر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في كتاب عليّ عليه السلام : إنّ نبياً من الأنبياء شكا إلى ربّه القضاء ، فقال: كيف أقضي بما لم تر عيني ولم تسمع أذني؟ فقال: اقض بينهم بالبيّنات وأضفهم إلى اسمي يحلفون به. وقال: إنّ داود عليه السلام قال: يا ربّ أرني الحقّ كما هو عندك حتّى أقضي به ، فقال: إنّك لا تطيق ذلك ، فألحّ على ربّه حتّى فعل ، فجاءه رجل يستعدي على رجل ، فقال: إنّ هذا أخذ مالي ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود: إنّ هذا المستعدي قتل أبا هذا وأخذ ماله ، فأمر داود بالمستعدي فقتل فأخذ ماله فدفعه إلى المستعدى عليه ، قال: فعجب الناس وتحدّثوا حتّى بلغ داود عليه السلام ودخل عليه من ذلك ما كره ، فدعا ربّه أن يرفع ذلك ففعل ، ثمّ أوحى الله عزّ وجلّ إليه أن احكم بينهم بالبيّنات ، وأضفهم إلى اسمي يحلفون به[٢] .

٢٠ - يه: قال أبو جعفر عليه السلام : دخل عليّ عليه السلام المسجد فاستقبله شابّ وهو يبكي وحوله قوم يسكتونه ، فقال عليّ عليه السلام : ما أبكاك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنّ شريحاً قضى عليّ بقضيّة ما أدري ما هي ، إنّ هؤلاء النفر خرجوا بأبي معهم في سفرهم فرجعوا ولم يرجع أبي ، فسألتهم عنه فقالوا: مات ، فسألتهم عن ماله فقالوا: ما ترك مالاً ، فقدّمتهم إلى شريح فاستحلفهم ، وقد علمت يا أمير المؤمنين أنّ أبي خرج ومعه مالٌ كثيرٌ ، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : ارجعوا ، فردّهم جميعاً والفتى معهم إلى شريح ، فقال له: يا شريح كيف قضيت بين هؤلاء؟ قال: يا أمير المؤمنين ادّعى هذا الفتى على هؤلاء النفر أنّهم خرجوا في سفر وأبوه معهم فرجعوا ولم يرجع أبوه ، فسألتهم عنه فقالوا: مات ، وسألتهم عن ماله فقالوا: ما خلّف شيئاً ، فقلت للفتى: هل لك بيّنة على ما تدّعي؟ قال: لا ، فاستحلفتهم ، فقال عليه السلام لشريح: يا شريح هيهات! هكذا تحكم في مثل هذا؟ فقال: كيف هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال عليّ عليه السلام : يا شريح والله لأحكمنّ فيه بحكم ماحكم به خلقٌ قبلي إلاّ داود

(١) تفسير العياشي ، ج ٢ ص ٢٣٤.

(٢) الكافي ، ج ٧ ص ١٤٣٢ باب ٢٥٩ ح ٣.

النبيّ عليه السلام يا قنبر ادع لي شرطة الخميس، فدعاهم، فوكّل بهم بكلّ واحد منهم رجلاً من الشرطة، ثمّ نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى وجوههم فقال: ماذا تقولون؟ أتقولون إنّي لا أعلم ما صنعتم بأب هذا الفتى؟ إنّي إذاً لجاهل، ثمّ قال: فرّقوهم وغطّوا رؤوسهم، ففرّق بينهم وأقيم كلّ واحد منهم إلى أسطوانة من أساطين المسجد ورؤوسهم مغطّاة بثيابهم، ثمّ دعا بعبيد الله بن أبي رافع كاتبه، فقال: هات صحيفة ودواةً، وجلس عليّ عليه السلام في مجلس القضاء واجتمع الناس إليه، فقال: إذا أنا كبّرت فكبّروا، ثمّ قال للناس: أفرجوا، ثمّ دعا بواحد منهم فأجلسه بين يديه فكشف عن وجهه، ثمّ قال لعبيد الله: اكتب إقراره وما يقول، ثمّ أقبل عليه بالسؤال، ثمّ قال له: في أيّ يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الفتى معكم؟ فقال الرجل: في يوم كذا وكذا، فقال: وفي أيّ شهر؟ قال: في شهر كذا وكذا، قال: وإلى أين بلغتم من سفركم حين مات أبو هذا الفتى؟ قال: إلى موضع كذا وكذا، قال: وفي أيّ منزل مات؟ قال: في منزل فلان ابن فلان، قال: وما كان من مرضه؟ قال: كذا وكذا، قال: كم يوماً مرض؟ قال: كذا وكذا يوماً، قال: فمن كان يمرّضه؟ وفي أيّ يوم مات؟ ومن غسّله؟ وأين غسّله؟ ومن كفّنه؟ وبما كفّنتموه؟ ومن صلّى عليه؟ ومن نزل قبره؟ فلمّا سأله عن جميع ما يريد كبّر عليّ عليه السلام وكبّر النّاس معه، فارتاب أولئك الباقون ولم يشكّوا أنّ صاحبهم قد أقرّ عليهم وعلى نفسه، فأمر أن يغطّى رأسه وأن ينطلقوا به إلى الحبس، ثمّ دعا بآخر فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه، ثمّ قال: كلاّ، زعمت أنّي لا أعلم ما صنعتم؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما أنا إلاّ واحد من القوم، ولقد كنت كارهاً لقتله، فأقرّ، ثمّ دعا بواحد بعد واحد وكلّهم يقرّ بالقتل وأخذ المال، ثمّ ردّ الّذي كان أمر به إلى السجن فأقرّ أيضاً فألزمهم المال والدم.

وقال شريح: يا أمير المؤمنين وكيف كان حكم داود عليه السلام؟ فقال: إنّ داود النبيّ عليه السلام مرّ بغلمة يلعبون وينادون بعضهم: مات الدين، فدعا منهم غلاماً فقال له: يا غلام ما اسمك؟ فقال: اسمي مات الدين، فقال له داود: من سمّاك بهذا الاسم؟ قال: أمّي، فانطلق إلى أمّه، فقال: يا امرأة ما اسم ابنك هذا؟ قالت: مات الدين، فقال لها: ومن سمّاه بهذا الاسم؟ قالت: أبوه، قال: وكيف كان ذلك؟ قالت: إنّ أباه خرج في سفر له ومعه قوم وهذا الصبيّ حمل في بطني، فانصرف القوم ولم ينصرف زوجي فسألتهم عنه، فقالوا: مات، قلت: أين ما ترك؟ قالوا: لم يخلّف مالاً، فقلت: أوصاكم بوصيّة؟ فقالوا: نعم، زعم أنّك حبلى، فما ولدت من ولد ذكر أو أنثى فسمّيه مات الدين، فسمّيته، فقال: أتعرفين القوم الّذين كانوا خرجوا مع زوجك؟ قالت: نعم، قال: فأحياء هم أم أموات؟ قالت: بل أحياء، قال: فانطلقي بنا إليهم، ثمّ مضى معها فاستخرجهم من منازلهم فحكم بينهم بهذا الحكم فثبت عليهم المال والدم، ثمّ قال للمرأة: سمّي ابنك عاش الدين[1].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ ص ٤٣٦ ح ٣٢٥٧.

يب: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام مثله[١].

٢١ - **يه:** التفليسيّ، عن السمنديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إنّك نعم العبد لولا أنّك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً، قال: فبكى داود عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى الحديد: أن لن لعبدي داود، فألان الله تعالى له الحديد، فكان يعمل كلّ يوم درعاً فيبيعها بألف درهم، فعمل عليه السلام ثلاث مائة وستّين درعاً فباعها بثلاث مائة وستّين ألفاً، واستغنى عن بيت المال[٢].

٢٢ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه وعليّ بن محمّد جميعاً، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من تعذّرت عليه الحوائج فليلتمس طلبها يوم الثلثاء، فإنّه اليوم الّذي ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام[٣].

٢٣ - **شا:** روى عبد الله بن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام قائم آل محمّد عليه وعليهم السلام حكم بين الناس بحكم داود، لا يحتاج إلى بيّنة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه[٤].

أقول: قال صاحب الكامل: كان داود بن إيشا من أولاد يهودا، وكان قصيراً أزرق، قليل الشعر، فلمّا قتل طالوت أتى بنو إسرائيل داود وأعطوه خزائن طالوت وملّكوه عليهم؛ وقيل: إنّ داود ملك قبل أن يقتل جالوت، فلمّا ملك جعله الله نبيّاً ملكاً، وأنزل عليه الزبور وعلّمه صنعة الدروع، وألان له الحديد، وأمر الجبال والطير أن يسبّحن معه إذا سبّح، ولم يعط الله أحداً مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور تدنو الوحش حتّى يؤخذ بأعناقها، وكان شديد الاجتهاد، كثير العبادة والبكاء، وكان يقوم اللّيل، ويصوم نصف الدهر، وكان يحرسه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف، وكان يأكل من كسب يده أربعة آلاف، قيل: أصاب الناس في زمان داود عليه السلام طاعون جارف، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس، وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء، فلهذا قصده ليدعو فيه، فلمّا وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم، فاستجاب الله ورفع الطاعون، فاتّخذوا ذلك الموضع مسجداً، وكان الشروع في بنائه لأحد عشر سنة مضت من ملكه، وتوفّي قبل أن يستتمّ بناؤه وأوصى إلى سليمان بإتمامه.

ثمّ إنّ داود عليه السلام توفّي، وكانت له جارية تغلق الأبواب كلّ ليلة وتأتيه بالمفاتيح ويقوم إلى عبادته، فأغلقتها ليلة فرأت في الدار رجلاً، فقالت: من أدخلك الدار؟ قال: أنا الّذي

---

(١) تهذيب الأحكام، ج ٦ باب ٩٢ ح ٨٢.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ ص ٤٨١ ح ٣٥٩٦.
(٣) روضة الكافي الموجود مع الاصول ص ٧٤٢ ح ١٠٩.
(٤) الارشاد للمفيد، ص ٣٦٥.

أدخل على الملوك بغير إذن، فسمع داود عليه السلام قوله فقال: أنت ملك الموت؟ فهلاّ أرسلت إليّ فأستعدّ للموت؟ قال: قد أرسلنا إليك كثيراً، قال: من كان رسولك؟ قال: أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك؟ قال: ماتوا، قال: فهم كانوا رسلي إليك بأنّك تموت كما ماتوا، ثمّ قبضه، فلمّا مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوّته، وكان له تسعة عشر ولداً، فورثه سليمان دونهم، وكان عمر داود عليه السلام لمّا توفّي مائة، صحّ ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وكانت مدّة ملكه أربعين سنة[1].

٢٤ - **كتاب البيان لابن شهرآشوب:** يقال: إنّ داود عليه السلام جزّأ ساعات اللّيل والنهار على أهله، فلم يكن ساعة إلاّ وإنسان من أولاده في الصلاة، فقال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾.

٢٥ - **نهج:** وإن شئت ثلّثت بداود عليه السلام صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنّة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيّكم يكفيني بيعها؟ ويأكل قرص الشعير من ثمنها[2].

بيان: قال الفيروزآباديّ: مزامير داود عليه السلام ما كان يتغنّى به من الزبور؛ وقال ابن أبي الحديد: إنّ داود عليه السلام أعطي من طيّب النغم ولذّة ترجيع القراءة ما كانت الطيور لأجله تقع عليه وهو في محرابه، والوحش تسمعه، فتدخل بين النّاس ولا تنفر منهم لما قد استغرقها من طيب صوته. وسفائف الخوص جمع سفيفة وهي النسيجة منه. والخوص: ورق النخل.

أقول: لعلّ هذا كان قبل أن ألان الله له الحديد.

٢٦ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أبي أيّوب، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أوّل ما بعث كان يصوم حتّى يقال ما يفطر ويفطر حتّى يقال ما يصوم، ثمّ ترك ذلك وصام يوماً وأفطر يوماً، وهو صوم داود عليه السلام الخبر[3].

الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن الوشّاء، عن حمّاد بن عثمان، عنه عليه السلام مثله[4].

٢٧ - **كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن الحسن بن عليّ الكوفيّ، عن عليّ بن مهزيار عن عثمان ابن عيسى، عن ابن مسكان، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال إنّ داود عليه السلام لمّا وقف الموقف بعرفة نظر إلى الناس وكثرتهم، فصعد الجبل فأقبل يدعو، فلمّا قضى نسكه أتاه جبرئيل فقال له: يا داود يقول لك ربّك: لمَ صعدت الجبل؟ ظننت أنّه يخفى عليّ صوت من صوت؟! ثمّ مضى به إلى البحر إلى جدّة فرسب به في الماء مسيرة أربعين صباحاً في البرّ، فإذا صخرة ففلقها فإذا فيها دودة، فقال: يا داود يقول لك ربّك: أنا أسمع صوت هذه في بطن هذه

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ١٩٢-١٩٦. (٢) نهج البلاغة، ص ٣٢١ خطبة ١٥٨.

(٣) - (٤) الكافي، ج ٤ ص ٣٤٣ باب ٥٦ ح ٢ و١.

الصخرة في قعر هذا البحر، فظننت أنّه يخفى عليّ صوت من صوت؟[١].

بيان: لعلّه إنّما ظنّ هذا غيره فنسب إليه ليعلم غيره ذلك، أو أنّه ظنّ أنّ من أدب الدعاء أن لا تكون الأصوات مختلطة فنبّه بذلك على خلافه، أو أنّ فعله لمّا كان مظنّة ذلك عوتب بذلك وإن لم يكن غرضه ذلك والله يعلم.

٢٨ - **ين:** النضر، عن محمّد بن سنان، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال داود النبيّ عليه السلام: لأعبدنّ الله اليوم عبادة ولأقرأنّ قراءة لم أفعل مثلها قطّ، فدخل محرابه ففعل، فلمّا فرغ من صلاته إذا هو بضفدع في المحراب، فقال له: يا داود أعجبك اليوم ما فعلت من عبادتك وقراءتك؟ فقال: نعم، فقال: لا يعجبنّك، فإنّي أسبّح الله في كلّ ليلة ألف تسبيحة يتشعّب لي مع كلّ تسبيحة ثلاثة آلاف تحميدة، وإنّي لأكون في قعر الماء فيصوّت الطير في الهواء فأحسبه جائعاً فأطفو له على الماء ليأكلني وما لي ذنب[٢].

٢٩ - **ين:** الحسن بن محمّد، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ داود النبيّ عليه السلام كان ذات يوم في محرابه إذ مرّت به دودةٌ حمراء صغيرة تدبّ حتّى انتهت إلى موضع سجوده، فنظر إليها داود وحدّث في نفسه: لمَ خلقت هذه الدودة؟ فأوحى الله إليها: تكلّمي، فقالت له: يا داود هل سمعت حسّي أو استبنت على الصفا أثري؟ فقال لها داود: لا، قالت: فإنّ الله يسمع دبيبي ونفسي وحسّي ويرى أثر مشيي فاخفض من صوتك[٣].

عرائس الثعلبيّ: قال وهب: إنّ داود عليه السلام لمّا تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ له دمعة ليلاً ولا نهاراً، فقسم الدهر على أربعة أيّام: يوم للقضاء بين بني إسرائيل، ويوم لنسائه، ويوم يسبّح فيه في الفيافي والجبال والساحل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك، فإذا كان يوم سياحته يخرج إلى الفيافي فيرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي معه الشجر والمدر والرمال والطير والوحوش والحيتان ودوابّ البحر وطير الماء والسباع، ويبكي معه الجبال والحجارة والدوابّ والطير حتّى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثمّ يجيء إلى البحار فيرفع صوته بالمزامير ويبكي فتبكي معه الحيتان ودوابُّ البحر، فإذا أمسى رجع، وإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه: إنّ اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده، قال: فيدخل الدار الّتي فيها المحاريب فيبسط له ثلاثة فرش من مسوح حشوها اللّيف فيجلس عليها ويجيء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصيّ، فيجلسون في تلك المحاريب، ثمّ يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم، فلا يزال يبكي حتّى يغرق الفراش من دموعه، ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب، فيجيء ابنه

(١) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٦ باب ١٣٥ ح ١١. (٢) - (٣) الزهد، ص ١٣٢ باب ١١ ح ٤-٥.

سليمان عليه السلام فيحمله، ويأخذ داود من تلك الدموع بكفّيه ثمّ يمسح بها وجهه ويقول: يا ربّ اغفر ما ترى، فلو عدل بكاء داود ودموعه ببكاء أهل الدنيا ودموعهم لعدلها؛ وقال وهب: لمّا تاب الله على داود عليه السلام كان يبدأ بالدعاء ويستغفر للخاطئين قبل نفسه، فيقول: اللّهمّ اغفر للخاطئين، فعساك تغفر لداود معهم.

وروي أنّه عليه السلام كان بعد الخطيئة لا يجالس إلاّ الخاطئين، ثمّ يقول. تعالوا إلى داود الخاطئ، ولا يشرب شراباً إلاّ وهو ممزوج بدموع عينيه، وكان يذرّ عليه الملح والرماد فيقول وهو يأكل: هذا أكل الخاطئين، وكان قبل الخطيئة يقوم نصف اللّيل ويصوم نصف الدهر، وبعدها صام الدهر كلّه، وقام اللّيل كلّه[1].

٢ - باب قصة داود عليه السلام وأوريا وما صدر عنه من ترك الأولى وما جرى بينه وبين حزقيل عليه السلام

الآيات: ص «٣٨»: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠) وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)﴾.

تفسير: ﴿الْأَيْدِ﴾ القوّة ﴿أَوَّابٌ﴾ أي رجّاع إلى الله تعالى ومرضاته ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ هو حين تشرق الشمس، أي تضيء وتصفو شعاعها وهو وقت الضحى، أو وقت شروق الشمس وطلوعها، والحاصل وقت الرواح والصباح ﴿مَحْشُورَةً﴾ أي مجموعة إليه تسبّح الله معه ﴿كُلٌّ لَهُ﴾ من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجّاع إلى التسبيح ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ أي قوّيناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ أي النبوّة، أو كمال العلم وإتقان العمل ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ قيل: يعني الشهود والأيمان؛ وقيل: هو علم القضاء والفهم ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ أي تصعّدوا سور الغرفة، تفعّل من السور ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنّهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي ولا تجر علينا في حكمك ﴿إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾

---

(١) عرائس المجالس، ص ٢٥٣. أقول: كتاب عرائس المجالس لا يمت بعقائد الإمامية بصلة وهو من كتب العامة ولا ندري سبب وضع المجلسي قدس سره نصوص من هذا الكتاب في كتابه بحار الأنوار.

أي وسطه وهو العدل «والنعجة» الأنثى من الضأن ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي ملّكنيها، وحقيقته: اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي؛ وقيل: اجعلها كفلي أي نصيبي ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي غلبني في مخاطبته إيّاي محاجّة بأن جاء بحجاج ولم أقدر ردّه، أو في مغالبته إيّاي في الخطبة ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أي وهم قليل، وما مزيدة للإبهام والتعجّب من قلّتهم ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أي امتحنّاه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ قال الأكثر: أي ساجداً، وقيل: خرّ للسجود راكعاً، أي مصلّياً.

١ - فس: أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن الصادق عليه السلام قال: إنّ داود عليه السلام لمّا جعله الله عزّ وجلّ خليفة في الأرض، وأنزل عليه الزبور أوحى الله عزّ وجلّ إلى الجبال والطير أن يسبّحن معه، وكان سببه أنّه إذا صلّى يقوم وزيره بعدما يفرغ من الصلاة فيحمد الله ويسبّحه ويكبّره ويهلله، ثمّ يمدح الأنبياء عليهم السلام نبيّاً نبيّاً، ويذكر من فضلهم وأفعالهم وشكرهم وعبادتهم لله سبحانه، والصبر على بلائه، ولا يذكر داود عليه السلام، فنادى داود ربّه فقال: يا ربّ قد أثنيت على الأنبياء بما قد أثنيت عليهم ولم تثن عليّ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: هؤلاء عباد ابتليتهم فصبروا، وأنا أثني عليهم بذلك، فقال: يا ربّ فابتلني حتّى أصبر، فقال: يا داود تختار البلاء على العافية؟ إنّي ابتليت هؤلاء ولم أعلمهم، وأنا أبتليك وأعلمك أنّه يأتيك بلائي في سنة كذا وشهر كذا في يوم كذا، وكان داود يفرغ نفسه لعبادته يوماً، ويقعد في محرابه، ويوماً يقعد لبني إسرائيل فيحكم بينهم، فلمّا كان في اليوم الّذي وعده الله عزّ وجلّ اشتدّت عبادته وخلا في محرابه وحجب الناس عن نفسه وهو في محرابه يصلّي، فإذا بطائر قد وقع بين يديه، جناحاه من زبرجد أخضر، ورجلاه من ياقوت أحمر، ورأسه ومنقاره من اللّؤلؤ والزبرجد، فأعجبه جدّاً ونسي ما كان فيه، فقام ليأخذه، فطار الطائر فوقع على حائط بين داود وبين اوريا بن حنّان، وكان داود قد بعث اوريا في بعث، فصعد داود الحائط ليأخذ الطير، وإذا امرأة اوريا جالسة تغتسل، فلمّا رأت ظلّ داود نشرت شعرها، وغطّت به بدنها، فنظر إليها داود وافتتن بها ورجع إلى محرابه ونسي ما كان فيه، وكتب إلى صاحبه في ذلك البعث أن يسيروا إلى موضع كيت وكيت، ويوضع التابوت بينهم وبين عدوّهم، وكان التابوت في بني إسرائيل كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وقد كان رفع بعد موسى عليه السلام إلى السماء لمّا عملت بنو إسرائيل بالمعاصي، فلمّا غلبهم جالوت وسألوا النبيّ أن يبعث إليهم ملكاً يقاتل في سبيل الله - تقدّس وجهه - بعث إليهم طالوت وأنزل عليهم التابوت وكان التابوت إذا وضع بين بني إسرائيل وبين أعدائهم ورجع عن التابوت إنسان كفر وقتل، ولا يرجع أحد عنه إلاّ ويقتل، فكتب داود إلى صاحبه الّذي بعثه أن ضع التابوت بينك وبين عدوك، وقدّم اوريا بن حنّان بين يدي التابوت، فقدّمه وقتل، فلمّا قتل اوريا دخل عليه الملكان ولم يكن تزوّج امرأة اوريا وكانت في عدّتها وداود في محرابه يوم عبادته، فدخل عليه الملكان من سقف البيت وقعدا بين يديه، ففزع داود منهما فقالا: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ

بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ ولداود حينئذ تسع وتسعون امرأة ما بين مهيرة إلى جارية، فقال أحدهما لداود: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ أي ظلمني وقهرني، فقال داود كما حكى الله عزّوجلّ : ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ قال: فضحك المستعدى عليه من الملائكة وقال: حكم الرجل على نفسه، فقال داود: أتضحك وقد عصيت لقد هممت أن أهشم فاك، قال: فعرجا، وقال الملك المستعدى عليه: لو علم داود أنّه أحقّ بهشم فيه منّي، ففهم داود الأمر وذكر القضيّة فبقي أربعين يوماً ساجداً يبكي ليله ونهاره، ولا يقوم إلاّ وقت الصلاة حتّى انخرق جبينه وسال الدم من عينيه.

فلمّا كان بعد أربعين يوماً نودي: يا داود ما لك؟ أجائع أنت فنشبعك، أم ظمآن فنسقيك، أم عريان فنكسوك، أم خائف فنؤمنك؟ فقال: أي ربّ وكيف لا أخاف وقد عملت ما علمت وأنت الحكم العدل الّذي لا يجوزك ظلم ظالم؟ فأوحى الله عزّوجلّ إليه: تب يا داود، فقال: أي ربّ وأنى لي بالتوبة؟ قال صر إلى قبر اوريا حتّى أبعثه إليك واسأله أن يغفر لك فإن غفر لك غفرت لك، قال: يا ربّ فإن لم يفعل؟ قال: أستوهبك منه، فخرج داود عليه السلام يمشي على قدميه ويقرأ الزبور وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى حجر ولا شجر ولا جبل ولا طائر ولا سبع إلاّ يجاوبه حتّى انتهى إلى جبل وعليه نبيّ عابد يقال له حزقيل فلمّا سمع دويّ الجبال وصوت السباع علم أنّه داود، فقال: هذا النبيّ الخاطئ، فقال داود: يا حزقيل أتأذن لي أن أصعد إليك؟ قال: لا، فإنّك مذنب، فبكى داود عليه السلام فأوحى الله عزّوجلّ إلى حزقيل: يا حزقيل لا تعيّر داود بخطيئته، وسلني العافية، فنزل حزقيل وأخذ بيد داود وأصعده إليه، فقال له داود: يا حزقيل هل هممت بخطيئة قطّ؟ قال: لا، قال: فهل دخلك العجب ممّا أنت فيه من عبادة الله عزّوجلّ؟ قال: لا، قال: فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ من شهواتها ولذّاتها؟ قال: بلى ربما عرض ذلك بقلبي، قال فما تصنع؟ قال: أدخل هذا الشعب فأعتبر بما فيه، قال: فدخل داود عليه السلام الشعب فإذا بسرير من حديد عليه جمجمة بالية، وعظام نخرة، وإذا لوح من حديد وفيه مكتوب، فقرأه داود فإذا فيه: أنا أروى بن سلم، ملكت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف جارية، وكان آخر أمري أن صار التراب فراشي، والحجارة وسادي، والحيّات والديدان جيراني، فمن يراني فلا يغترّ بالدنيا؛ ومضى داود حتّى أتى قبر اوريا فناداه فلم يجبه، ثمّ ناداه ثانية فلم يجبه، ثمّ ناداه ثالثة فقال اوريا: ما لك يا نبيّ الله لقد شغلتني عن سروري وقرّة عيني؟ قال يا اوريا اغفر لي وهب لي خطيئتي، فأوحى الله عزّوجلّ : يا داود بيّن له ما كان منك، فناداه داود فأجابه في الثالثة فقال: يا اوريا فعلت كذا وكذا، وكيت وكيت، فقال اوريا أيفعل الأنبياء مثل هذا؟! فناداه فلم يجبه، فوقع داود عليه السلام على الأرض باكياً، فأوحى الله عزّوجلّ إلى صاحب الفردوس ليكشف عنه، فكشف عنه، فقال اوريا: لمن هذا؟ فقال لمن غفر لداود خطيئته، فقال: يا ربّ قد وهبت له خطيئته، فرجع

داود عليه السلام إلى بني إسرائيل وكان إذا صلّى قام وزيره يحمد الله ويثني عليه، ويثني على الأنبياء عليهم السلام ثم يقول: كان من فضل نبيّ الله داود قبل الخطيئة كيت وكيت، فاغتمّ داود عليه السلام فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا داود قد وهبت لك خطيئتك وألزمت عار ذنبك بني إسرائيل، قال: يا ربّ كيف وأنت الحكم العدل الّذي لا تجور؟ قال: لأنّه لم يعاجلوك النكير، وتزوّج داود عليه السلام بامرأة اوريا بعد ذلك، فولد له منها سليمان عليه السلام، ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ أي علم ﴿وَأَنَابَ﴾ أي تاب، وذكر أنّ داود كتب إلى صاحبه أن لا تقدّم اوريا بين يدي التابوت وردّه، فقدم اوريا إلى أهله ومكث ثمانية أيّام ثمّ مات(١).

بيان: اعلم أنّ هذا الخبر محمول على التقيّة لموافقته لما روته العامّة في ذلك، وسيأتي تحقيق القول فيه.

٢ - **ن:** الهمدانيّ والمكتّب والورّاق جميعاً، عن عليّ بن إبراهيم، عن القاسم بن محمّد البرمكيّ، عن أبي الصلت الهرويّ قال: سأل الرضا عليه السلام عليّ بن محمّد بن الجهم فقال: ما يقول من قبلكم في داود عليه السلام؟ فقال: يقولون: إنّ داود عليه السلام كان في محرابه يصلّي إذ تصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير، فخرج الطير إلى الدار، فخرج في أثره، فطار الطير إلى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار اوريا بن حنان، فاطلع داود عليه السلام في أثر الطير فإذا بامرأة اوريا تغتسل، فلمّا نظر إليها هواها، وكان قد أخرج اوريا في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدّم اوريا أمام الحرب، فقدّم فظفر اوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود، فكتب إليه ثانية أن قدّمه أمام التابوت فقدّم فقتل اوريا رحمه الله وتزوّج داود بامرأته قال: فضرب عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد نسبتم نبيّاً من أنبياء الله عليهم السلام إلى التهاون بصلاته حين خرج في أثر الطير، ثمّ بالفاحشة، ثمّ بالقتل، فقال: يا ابن رسول الله فما كانت خطيئته؟ فقال عليه السلام: ويحك إنّ داود عليه السلام إنّما ظنّ أن ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عزّ وجلّ إليه الملكين فتسوّرا المحراب فقالا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ فعجّل داود عليه السلام على المدّعى عليه فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ ولم يسأل المدّعي البيّنة على ذلك، ولم يقبل على المدّعى عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة حكم لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ إلى آخر الآية؟ فقال: يا ابن رسول الله فما قصّته مع اوريا؟ قال

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٠٣.

الرضا عليه السلام : إنّ المرأة في أيّام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوّج بعده أبداً، وأوّل من أباح الله عزّ وجلّ أن يتزوّج بامرأة قتل بعلها داود عليه السلام فتزوج بامرأة اوريا لمّا قتل وانقضت عدّتها منه، فذلك الّذي شقّ على أوريا(١).

بيان: قد مرّ الخبر بتمامه وبيانه مع أخبار أُخر في باب عصمتهم.

٣ - **ك، لي:** أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: إنّ داود عليه السلام خرج ذات يوم يقرأ الزبور، وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبع إلاّ جاوبه، فما زال يمرّ حتّى انتهى إلى جبل، فإذا على ذلك الجبل نبيّ عابد يقال له حزقيل، فلمّا سمع دويّ الجبال وأصوات السباع والطير علم أنّه داود عليه السلام ، فقال داود: يا حزقيل أتأذن لي فأصعد إليك؟ قال: لا، فبكى داود عليه السلام فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا حزقيل لا تعيّر داود وسلني العافية، فقام حزقيل فأخذ بيد داود فرفعه إليه، فقال داود: يا حزقيل هل هممت بخطيئة قطُّ؟ قال: لا، قال: فهل دخلك العجب ممّا أنت فيه من عبادة الله عزّ وجلّ ؟ قال: لا، قال: فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ من شهوتها ولذّتها؟ قال: بلى ربّما عرض بقلبي، قال: فماذا تصنع إذا كان ذلك؟ قال: أدخل هذا الشعب فأعتبر بما فيه، قال: فدخل داود النبيّ عليه السلام الشعب فإذا سرير من حديد عليه جمجمة بالية، وعظام فانية؛ وإذا لوح من حديد فيه كتابة فقرأها داود عليه السلام فإذا هي: أنا أروى سلم ملكت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، وافتضضت ألف بكر، فكان آخر أمري أن صار التراب فراشي، والحجارة وسادتي، والديدان والحيّات جيراني، فمن رآني فلا يغتر بالدُّنيا(٢).

٤ - **نبه:** دخل داود غاراً من غيران بيت المقدس فوجد حزقيل يعبد ربّه وقد يبس جلده على عظمه فسلّم عليه، فقال: أسمع صوت شبعان ناعم، فمن أنت؟ قال: أنا داود، قال: الّذي له كذا وكذا امرأة؟ وكذا وكذا أمة؟ قال: نعم، وأنت في هذه الشدّة؟! قال: ما أنا في شدة، ولا أنت في نعمة حتّى تدخل الجنّة(٣).

٥ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن عليّ بن أحمد، عن محمّد بن أبي عبدالله الكوفيّ، عن موسى النخعيّ، عن الحسين بن أبي سعيد؛ عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول فيما يقول الناس في داود وامرأة اوريا؟ فقال: ذلك شيء تقوله العامّة(٤).

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٧١ باب ١٤ ح ١.

(٢) كمال الدين، ص ٤٧٥، وأمالي الصدوق، ص ٨٨ مجلس ٢١ ح ٨.

(٣) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ٦٧. أقول: مقتضى جمع الروايات أن يقال بتطويل عمره أو تعدّده كتعدّد إسماعيل، فإنّ أحدهما ابن إبراهيم عليه السلام وثانيهما إسماعيل بن حزقيل صادق الوعد. [النمازي].

(٤) قصص الأنبياء، ص ٢٠٤.

٦ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن يزيد، عن حمّاد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن الشحّام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو أخذت أحداً يزعم أنّ داود عليه السلام وضع يده عليها لحددته حدّين: حدّاً للنبوّة، وحدّاً لما رماه به[1].

أقول: روت العامّة مثله عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٧ - **شي:** عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم، ويوسف، وداود، فقلت: ما بلغ من بكائهم؟ فقال: أمّا آدم عليه السلام فبكى حين أُخرج من الجنّة، وكان رأسه في باب من أبواب السماء فبكى حتّى تأذّى به أهل السماء فشكوا ذلك إلى الله فحطّ من قامته، فأمّا داود فإنّه بكى حتّى هاج العشب من دموعه، وإن كان ليزفر الزفرة فيحرق ما نبت من دموعه، وأمّا يوسف عليه السلام فإنّه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن فتأذّى به أهل السجن، فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً[2].

٨ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أسباط، عن أبي إسحاق الخراسانيّ، عن بعض رجاله قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى داود: إنّي قد غفرت ذنبك وجعلت عار ذنبك على بني إسرائيل، فقال: كيف يا ربّ وأنت لا تظلم؟ قال: إنّهم لن يعاجلوك بالنكرة[3].

عرائس الثعلبيّ: قال: لمّا علم داود بعد نزول الملكين أنّهما نزلا لتنبيهه على الخطاء خرّ ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلاّ لحاجة ولوقت صلاة مكتوبة، ثمّ يعود ساجداً ثمّ لا يرفع رأسه إلاّ لحاجة لا بدّ منها، ثمّ يعود فيسجد تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي حتّى نبت العشب حول رأسه، وهو ينادي ربّه عزّ وجلّ ويسأله التوبة، وكان يقول في سجوده: «سبحان الملك الأعظم الّذي يبتلي الخلق بما يشاء، سبحان خالق النور؛ إلهي لم أتّعظ بما وعظت به غيري، سبحان خالق النور؛ إلهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا صائر إليه، سبحان خالق النور؛ إلهي يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لي لا تذهب عنّي، سبحان خالق النور؛ إلهي أمرتني أن أكون لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج الرحيم فنسيت عهدك، سبحان خالق النور؛ الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال: هذا داود الخاطئ، سبحان خالق النور؛ إلهي بأيّ عين أنظر إليك يوم القيامة وإنّما ينظر الظالمون من طرف خفيّ؟ إلهي بأيّ قدم أقوم أمامك يوم تزلّ أقدام الخاطئين؟ سبحان خالق النور؛ إلهي الخطيئة لازمة لي سبحان خالق النور؛ إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلاّ من عند سيّده؟ سبحان خالق النور؛ إلهي مطرت السماء ولم تمطر حولي، سبحان خالق النور؛ إلهي أعشبت الأرض ولم تعشب حولي لخطيئتي، سبحان خالق النور؛ إلهي أنا الّذي لا

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٠٤.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٨ ح ٢٨ من سورة يوسف.

(٣) الكافي، ج ٥ ص ٦٢١ باب ٢٨ ح ٧.

أطيق حرّ شمسك فكيف أطيق حرّ نارك؟ سبحان خالق النور، إلهي أنا الّذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنّم؟ سبحان خالق النور؛ إلهي كيف يستر الخاطئون بخطاياهم وأنت شاهدهم حيث كانوا، سبحان خالق النور؛ إلهي قرح الجبين وجمدت العينان من مخافة الحريق على جسدي، سبحان خالق النور؛ إلهي تسبّح لك الطير بأصوات ضعاف تخافك وأنا العبد الخاطئ الّذي لم أرع وصيّتك، سبحان خالق النور؛ إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الّذي أصاب، سبحان خالق النور إلهي أسألك يا إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن تعطيني سؤلي، فإنّ إليك رغبتي، سبحان خالق النور؛ اللّهم برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك بهواي، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من دعوة لا تستجاب، وصلاة لا تقبل، وعمل لا يقبل سبحان خالق النور؛ اللّهمّ اغفر لي بنور وجهك الكريم ذنوبي الّتي أوبقتني سبحان خالق النور؛ إلهي فررت إليك بذنوبي، واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين، ولا تخزني يوم الدين، سبحان خالق النور؛ إلهي قرح الجبين وفنيت الدموع، وتناثر الدود من ركبتي، وخطيئتي ألزم بي من جلدي، سبحان خالق النور.

قالوا: فأتاه نداء: يا داود أجائع أنت فتطعم؟ أم ظمآن أنت فتسقى؟ أمظلوم أنت فتنصر؟ ولم يجبه في ذكر خطيئته، فصاح صيحة هاج ما حوله، ثمّ نادى: يا ربّ الذنب الّذي أصبت، فنودي: يا داود ارفع رأسك، فقد غفرت لك، فلم يرفع رأسه حتّى جاءه جبرئيل فرفعه.

وروي أنّه لمّا نادى اوريا فلم يجبه بعد ذكر ما فعل بزوجته قام عند قبره، وجعل يحثو التراب على رأسه، ثمّ نادى: الويل لداود ثمّ الويل لداود، سبحان خالق النور؛ الويل لداود ثمّ الويل له حين يؤخذ بذقنه فيدفع إلى المظلوم، سبحان خالق النور؛ الويل لداود ثمّ الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور؛ الويل لداود ثمّ الويل الطويل له حين تقرّبه الزبانية مع الظالمين إلى النار، سبحان خالق النور. قال: فأتاه نداء من السماء: يا داود قد غفرت لك ذنبك، ورحمت بكاءك، واستجبت دعاءك، وأقلت عثرتك. وعن أبي العالية قال: كان من دعاءِ داود عليه السلام: سبحانك إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت عليّ الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ارتدّت إليّ روحي، إلهي أتيت أطبّاء عبادك ليداووا لي خطيئتي فكلّهم عليك يدلّني.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: خدّ الدموع في وجه داود عليه السلام خديد الماء في الأرض[1].

تذنيب: قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف في استغفار داود عليه السلام من أيّ شيء كان؟ فقيل: إنّه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى، والخضوع له، والتذلّل بالعبادة والسجود، كما حكى سبحانه عن إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَالَّذِيَ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ وأمّا

(١) عرائس المجالس، ص ٢٥١.

قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ فالمعنى أنّا قبلناه منه وأثبناه عليه، فأخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ وقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فلمّا كان المقصود من الاستغفار والتوبة القبول قيل في جوابه: «غفرنا» وهذا قول من ينزّه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإماميّة وغيرهم، ومن جوّز على الأنبياء الصّغائر قال: إنّ استغفاره عليه السلام كان لصغيرة.

ثمّ إنّهم اختلفوا في ذلك على وجوه: أحدها أنّ اوريا بن حنّان خطب امرأة فكان أهلها أرادوا أن يزوّجوها منه، فبلغ داود جمالها فخطبها أيضاً فزوّجوها منه وقدّموه على اوريا، فعوتب داود عليه السلام على الحرص على الدنيا، عن الجبائيّ.

وثانيها: أنّه أخرج اوريا إلى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته، فعوتب على ذلك بنزول الملكين.

وثالثها: أنّه كان في شريعته أنّ الرجل إذا مات وخلّف امرأة فأولياؤه أحقّ بها إلاّ أن يرغبوا عن التزويج بها، فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوّج بها، فلمّا قتل اوريا خطب داود امرأته ومنعت هيبة داود وجلالته أولياءه أن يخطبوها فعوتب على ذلك.

ورابعها: أنّ داود كان متشاغلاً بالعبادة فأتاه رجل وامرأة محاكمين إليه فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها وذلك نظر مباح، فمالت نفسه ميل الطباع، ففصل بينهما وعاد إلى عبادة ربّه، فشغله الفكر في أمرها عن بعض نوافله فعوتب.

وخامسها: أنّه عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبّت، وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عمّا عنده فيه، ولا يحكم عليه قبل ذلك، وإنّما أنساه التثبّت في الحكم فزعه من دخولهما عليه في غير وقت العادة. انتهى[1].

وقال الرازيّ بعد ردّ الرواية المشهورة والطعن فيها وإقامة الدلائل على بطلانها وذكر بعض الوجوه السابقة وتزييفها:

روي أنّ جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبيّ الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربّه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوّروا المحراب فلمّا دخلوا عليه وجدوا عنده أقواماً يمنعونه منهم فخافوا ووضعوا كذباً فقالوا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إلى آخر القصّة. وليس في لفظ القرآن ما يمكن أن يحتجّ به في إلحاق الذنب بداود إلاّ ألفاظ أربعة: أحدها قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ وثانيها: قوله: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ وثالثها: قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾ ورابعها قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ ثمّ نقول: وهذه الألفاظ لا يدلّ شيء منها على ما ذكروه، وتقريره من وجوه:

الأوّل: أنّهم لمّا دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه السلام دعاه الغضب إلى

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٥٣.

أن يشتغل بالانتقام منهم إلاّ أنّه مال إلى التصفّح والتجاوز عنهم طلباً لمرضاة الله تعالى، فكانت هذه الواقعة هي الفتنة، لأنّها جارية مجرى الابتلاء والامتحان، ثمّ إنّه استغفر ربّه ممّا همّ به من الانتقام منهم، وتاب عن ذلك الهمّ وأناب، فغفرنا له ذلك القدر من الهمّ والعزم.

والثاني: أنّه وإن غلب على ظنّه أنّهم دخلوا عليه ليقتلوه إلاّ أنّه ندم على ذلك الظنّ، وقال: لمّا لم تقم دلالة ولا أمارة على أنّ الأمر كذلك فبئس ما عملت بهم حين ظننت بهم هذا الظنّ الرديء، فكان هذا هو المراد من قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ منه فغفر الله له ذلك.

الثالث: أنّ دخولهم عليه كان فتنة لداود إلاّ أنّه عليه السلام استغفر لذلك الداخل العازم على قتله، وقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ أي لاحترام داود عليه السلام وتعظيمه انتهى(١).

وقال البيضاويّ: أقصى ما في هذه الإشعار بأنّه عليه السلام ودّ أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله، فنبّهه الله بهذه القضيّة فاستغفر وأناب عنه. انتهى(٢).

أقول: لمّا ثبت بما قدّمنا عصمتهم عليهم السلام عن جميع الذنوب لا بدّ من ردّ ما يدلُّ على صدور ذنب عنه عليه السلام في ذلك، وأمّا الوجوه الّتي يمكن حملها على ترك الأولى والأفضل كأكثر الوجوه السالفة فهي محتملة، ولا يمكن القطع بها إلاّ بعد ثبوتها، وقد عرفت ما يظهر من الأخبار والله يعلم حقيقة الحال.

٣ - باب ما أُوحي إليه عليه السلام وصدر عنه من الحكم

الآيات: الأنبياء «٢١»: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ «١٠٥».

تفسير: قال الطبرسيّ قدّس الله سره: فيه أقوال:

أحدها: أنّ الزبور: كتب الأنبياء، والذكر: اللّوح المحفوظ؛ وثانيها: أنّ الزبور: الكتب المنزلة بعد التوراة، والذكر: التوراة؛ وثالثها: أنّ الزبور: زبور داود والذكر: التوراة ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنّة؛ وقيل: هي الأرض المعروفة يرثها أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وقال أبو جعفر عليه السلام: هم أصحاب المهديّ عليه السلام في آخر الزمان(٣).

١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن ابن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل الزبور في ليلة ثمان عشرة مضت من شهر رمضان(٤).

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٦ المجلد ٩ ص ٣٨١. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٢.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ١١٩. (٤) الكافي، ج ٤ ص ٣٧٧ باب ١١٣ ح ٥.

وبإسناده عن داود بن حفص، عنه عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله مثله.

٢ - ع: بإسناده عن يزيد بن سلام أنّه سأل النبيّ صلى الله عليه وآله لمَ سمّي الفرقان فرقاناً؟ فقال: لأنّه متفرّق الآيات والسور، أنزلت في غير الألواح وغير الصحف، والتوراة والإنجيل والزبور أُنزلت كلّها جملة في الألواح والورق. الحديث[١].

٣ - لي: الدقّاق، عن الصوفيّ، عن عبيد الله بن موسى الطبريّ، عن محمّد بن الحسين الخشّاب، عن محمّد بن محصن، عن يونس بن ظبيان، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام: ما لي أراك وحداناً؟ قال: هجرت الناس وهجروني فيك، قال: فما لي أراك ساكتاً؟ قال: خشيتك أسكتتني، قال: فما لي أراك نصباً قال: حبّك أنصبني، قال: فما لي أراك فقيراً وقد أفدتك؟ قال: القيام بحقّك أفقرني، قال: فما لي أراك متذلّلاً؟ قال عظيم جلالك الّذي لا يوصف ذلّلني، وحقٌّ ذلك لك يا سيّدي، قال الله جلّ جلاله: فأبشر بالفضل منّي، فلك ما تحبّ يوم تلقاني، خالط الناس وخالقهم بأخلاقهم، وزايلهم في أعمالهم تنل ما تريد منّي يوم القيامة.

وقال الصادق عليه السلام: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: يا داود بي فافرح، وبذكري فتلذّذ، وبمناجاتي فتنعّم، فعن قليل أُخلّي الدار من الفاسقين، وأجعل لعنتي على الظالمين[٢].

ص: بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أُورمة وعن عليّ بن أحمد، عن محمّد بن هارون، عن عبيد الله بن موسى مثله «ص ١٩٩».

٤ - لي: ابن المغيرة، عن جدّه، عن جدّه، عن السكونيّ، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: يا داود كما لا تضيق الشمس على من جلس فيها كذلك لا تضيق رحمتي على من دخل فيها، وكما لا تضرّ الطيرة من لا يتطيّر منها كذلك لا ينجو من الفتنة المتطيّرون، وكما أنّ أقرب الناس منّي يوم القيامة المتواضعون كذلك أبعد الناس منّي يوم القيامة المتكبّرون[٣].

٥ - لي: أبي، عن سعد، عن النهديّ، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام إنّ العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأُبيحه جنّتي، قال: فقال داود عليه السلام: يا ربّ وما تلك الحسنة؟ قال: يدخل على عبدي المؤمن سروراً ولو بتمرة، قال: فقال داود عليه السلام: حقّ لمن عرفك أن لا يقطع رجاءه منك[٤].

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٨١ باب ٢٢٢ ح ٣٣. (٢) أمالي الصدوق، ص ١٦٤ مجلس ٣٦ ح ١.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٢٥١ مجلس ٥٠ ح ١٢. (٤) أمالي الصدوق، ص ٤٨٣ مجلس ٨٨ ح ٣.

ص: بإسناده إلى الصدوق مثله «ص ١٩٨».

٦ - **مع، ن:** ماجيلويه، عن عليّ، عن أبيه، عن داود بن سليمان، عن عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمدّ عليهما السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: إنّ العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأُدخله الجنّة، قال: يا ربّ وما تلك الحسنة؟ قال: يفرّج عن المؤمن كربته ولو بتمرة، قال: فقال داود عليه السلام: حقّ لمن عرفك أن لا ينقطع رجاؤه منك(١).

٧ - **ب:** ابن طريف، عن ابن علوان، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وذكر نحوه؛ وفيه: قال: كربة ينفّسها عن مؤمن بقدر تمرة، أو شقّ تمرة(٢).

٨ - **ب:** هارون، عن ابن صدقة، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام إنّ داود قال لسليمان: يا بنيّ إيّاك وكثرة الضحك، فإنّ كثرة الضحك تترك العبد حقيراً يوم القيامة، يا بنيّ عليك بطول الصمت إلاّ من خير، فإنّ الندامة على طول الصمت مرّة واحدة خير من الندامة على كثرة الكلام مرّات، يا بنيّ لو أنّ الكلام كان من فضّة كان ينبغي للصمت أن يكون من ذهب(٣).

٩ - **ما:** المفيد، عن الحسين بن محمّد التمّار، عن محمّد بن القاسم الأنباريّ، عن أبيه، عن الحسين بن سليمان الزاهد قال: سمعت أبا جعفر الطائيّ الواعظ يقول: سمعت وهب بن منبّه يقول: قرأت في زبور داود أسطراً منها ما حفظت ومنها ما نسيت، فما حفظت قوله: يا داود اسمع منّي ما أقول والحقّ أقول، من أتاني وهو يحبني أدخلته الجنة، يا داود اسمع مني ما أقول والحق أقول، من أتاني وهو مستحي من المعاصي الّتي عصاني بها غفرتها له، وأنسيتها حافظيه، يا داود اسمع منّي ما أقول والحقّ أقول، من أتاني بحسنة واحدة أدخلته الجنّة، قال داود: يا ربّ وما هذه الحسنة؟ قال: من فرّج عن عبد مسلم، فقال داود: إلهي لذلك لا ينبغي لمن عرفك أن يقطع رجاءه منك(٤).

١٠ - **ما:** المفيد، عن الحسن بن حمزة العلويّ، عن محمّد الحميريّ، عن أبيه، عن هارون، عن ابن زياد، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام قال: في حكمة آل داود: يا ابن آدم كيف تتكلّم بالهدى وأنت لا تفيق عن الردى؟! يا ابن آدم أصبح قلبك قاسياً، ولعظمة الله ناسياً، فلو كنت بالله عالماً وبعظمته عارفاً لم تزل منه خائفاً ولموعده راجياً، ويحك كيف لا تذكر لحدك وانفرادك فيه وحدك؟(٥)!

١١ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن أحمد بن سعيد بن يزيد، عن محمّد بن سلمة الأمويّ، عن أحمد بن القاسم الأمويّ، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن

---

(١) معاني الأخبار، ص ٣٧٤، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٧٩ باب ٢٨ ح ٨٤.
(٢) قرب الإسناد، ص ١١٩ ح ٤١٧.
(٣) قرب الإسناد، ص ٦٩ ح ٢٢١.
(٤) أمالي الطوسي، ص ١٠٦ مجلس ٤ ح ١٦٢.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٢٠٣ مجلس ٧ ح ٣٤٦.

عليّ عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام: يا داود إنّ العبد ليأتيني بالحسنة يوم القيامة فأُحكّمه بها في الجنّة، قال داود عليه السلام: يا ربّ وما هذا العبد الّذي يأتيك بالحسنة يوم القيامة فتحكّمه بها في الجنّة؟ قال: عبد مؤمن سعى في حاجة أخيه المسلم أحبّ قضاءها قضيت له أم لم تقض[١].

١٢ - **فس:** ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ قال: الكتب كلّها ذكر ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قال: القائم عليه السلام وأصحابه، قال: والزبور فيه ملاحم وتحميد وتمجيد ودعاء[٢].

بيان: قال المسعوديّ: أنزل الله عليه الزبور بالعبرانيّة مائة وخمسين سورة. وجعله ثلاثة أثلاث، فالثلث الأوّل فيه ما يلقون من بخت نصّر وما يكون من أمره في المستقبل، وفي الثلث الثاني ما يلقون من أهل الثور؛ وفي الثلث الثالث مواعظ وترغيب ليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم[٣].

١٣ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن الثماليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: أن بلّغ قومك أنّه ليس من عبد منهم آمره بطاعتي فيطيعني إلاّ كان حقّاً عليّ أن أعينه على طاعتي، فإن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته وإن اعتصم بي عصمته، وإن استكفاني كفيته، وإن توكّل عليّ حفظته، وإن كاده جميع خلقي كدت دونه[٤].

١٤ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، وعن عليّ بن أحمد، عن محمّد بن هارون، عن عبيد الله بن موسى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن محصن، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام إنّ العباد تحابّوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وأظهروا العمل للدنيا، وأبطنوا الغشّ والدغل[٥].

١٥ - **ص:** بهذا الإسناد عن ابن أورمة، عن الحسن بن عليّ رفعه قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: اذكرني في أيّام سرّائك حتّى أستجيب لك في أيّام ضرّائك[٦]

١٦ - **ص:** الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن أحمد بن النضر، عن إسرائيل رفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال: قال الله عزّ وجلّ لداود عليه السلام: أحبّني وحبّبني إلى خلقي، قال: يا ربّ نعم أنا أحبّك فكيف أُحبّبك إلى خلقك؟ قال: اذكر أياديّ عندهم فإنّك إذا ذكرت ذلك لهم أحبّوني[٧].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٥١٥ مجلس ١٨ ح ١١٢٧. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٥٢

(٣) مروج الذهب، ج ١ ص ٦٤. (٤) - (٦) قصص الأنبياء، ص ١٩٨-١٩٩.

(٧) قصص الأنبياء، ص ٢٠٤.

١٧ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الوشّاء عن عليّ بن سوقه، عن عيسى الفرّاء وأبي عليّ العطّار، عن رجل، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا داود عليه السلام جالس وعنده شابّ رثّ الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت إذ أتاه ملك الموت فسلّم عليه وأحدّ ملك الموت النظر إلى الشابّ، فقال داود عليه السلام: نظرت إلى هذا، فقال: نعم، إنّي أمرت بقبض روحه إلى سبعة أيّام في هذا الموضع، فرحمه داود فقال: يا شابُّ هل لك امرأة؟ قال: لا وما تزوَّجت قطّ قال داود عليه السلام: فأت فلاناً - رجلاً كان عظيم القدر في بني إسرائيل - فقل له: إنّ داود يأمرك أن تزوّجني ابنتك، وتدخلها اللّيلة، وخذ من النفقة ما تحتاج إليه وكن عندها، فإذا مضت سبعة أيّام فوافني في هذا الموضع، فمضى الشابّ برسالة داود عليه السلام فزوّجه الرجل ابنته وأدخلوها عليه، وأقام عندها سبعة أيّام، ثمَّ وافى داود يوم الثامن، فقال له داود عليه السلام: يا شابّ كيف رأيت ما كنت فيه؟ قال: ما كنت في نعمة ولا سرور قطّ أعظم ممّا كنت فيه، قال داود: اجلس فجلس وداود ينتظر أن يقبض روحه، فلمّا طال قال: انصرف إلى منزلك فكن مع أهلك، فإذا كان يوم الثامن فوافني ههنا، فمضى الشابّ ثمّ وافاه يوم الثامن وجلس عنده، ثمّ انصرف أسبوعاً آخر ثمّ أتاه وجلس، فجاء ملك الموت إلى داود عليه السلام فقال داود: ألست حدّثتني بأنّك أمرت بقبض روح هذا الشابّ إلى سبعة أيّام؟ قال: بلى، فقال: فقد مضت ثمانية وثمانية وثمانية، قال: يا داود إنّ الله تعالى رحمه برحمتك له فأخّر في أجله ثلاثين سنة[١].

١٨ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إنّ خلادة بنت أوس بشّرها بالجنّة، وأعلمها أنّها قرينتك في الجنّة، فانطلق إليها فقرع الباب عليها، فخرجت وقالت: هل نزل فيّ شيءٌ؟ قال: نعم، قالت: وما هو؟ قال: إنّ الله تعالى أوحى إليّ وأخبرني أنّك قرينتي في الجنّة وأن أبشّرك بالجنّة، قالت: أويكون اسم وافق اسمي؟ قال: إنّك لأنت هي، قالت: يا نبيّ الله ما أكذّبك، ولا والله ما أعرف من نفسي ما وصفتني به، قال داود عليه السلام: أخبريني عن ضميرك وسريرتك ما هو؟ قالت: أمّا هذا فسأخبرك به، أخبرك أنّه لم يصبني وجع قطّ نزل بي كائناً ما كان، وما نزل ضرّ بي حاجة وجوع كائناً ما كان إلاّ صبرت عليه ولم أسأل الله كشفه عنّي حتّى يحوّله الله عنّي إلى العافية والسعة، ولم أطلب بها بدلاً، وشكرت الله عليها وحمدته، فقال داود عليه السلام: فبهذا بلغت ما بلغت، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: وهذا دين الله الّذي ارتضاه للصالحين[٢].

١٩ - **ختص:** قال الله لداود: يا داود احذر القلوب المعلّقة بشهوات الدنيا فإنّ عقولها محجوبة عنّي[٣].

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٠٤. (٢) قصص الأنبياء، ص ٢٠٦. (٣) الاختصاص، ص ٢٣٢.

٢٠ - **كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن الحسن بن عليّ الكوفي، عن عثمان بن عيسى، عن سعيد بن يسار، عن منصور بن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في حكمة آل داود عليهم السلام: على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه[١].

٢١ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن عبد الله بن القاسم، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: يا داود كما أنّ أقرب الناس من الله المتواضعون، كذلك أبعد الناس من الله المتكبّرون[٢].

٢٢ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ لداود عليه السلام: يا داود بشّر المذنبين، وأنذر الصدّيقين قال: كيف أبشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين؟ قال: يا داود بشّر المذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصدّيقين أن لا يعجبوا بأعمالهم فإنّه ليس عبد أنصبه للحساب إلاّ هلك[٣].

٢٣ - **ارشاد القلوب:** روي أنّ الله أوحى إلى داود عليه السلام: من أحبّ حبيباً صدّق قوله، ومن أنس بحبيب قبل قوله ورضي فعله، ومن وثق بحبيب اعتمد عليه، ومن اشتاق إلى حبيب جدّ في السير إليه، يا داود ذكري للذاكرين[٤]، وجنّتي للمطيعين، وزيارتي للمشتاقين، وأنا خاصّة للمطيعين[٥].

٢٤ - وإنّ الله أوحى إلى داود: قل لفلان الجبّار: إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا على الدنيا، ولكن لتردّ عنّي دعوة المظلوم وتنصره، فإنّي آليت على نفسي أن أنصره وأنتصر له ممّن ظلم بحضرته ولم ينصره[٦].

٢٥ - وأوحى الله إلى داود عليه السلام: اشكرني حقّ شكري، قال: إلهي أشكرك حقّ شكرك وشكري إيّاك نعمة منك، فقال: الآن شكرتني، وقال داود عليه السلام: يا ربّ وكيف كان آدم يشكرك حقّ شكرك وقد جعلته أب أنبيائك وصفوتك، وأسجدت له ملائكتك؟ فقال: إنّه عرف أنّ ذلك من عندي فكان اعترافه بذلك حقّ شكري[٧].

٢٦ - وروي أنّ داود عليه السلام خرج مصحراً منفرداً، فأوحى الله إليه: يا داود ما لي أراك وحدانيّاً؟ فقال: إلهي اشتدّ الشوق منّي إلى لقائك، وحال بيني وبينك خلقك، فأوحى الله

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٩٥ باب الصمت ح ٢٠.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٩٩ باب التواضع ح ١١.

(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٩٠ باب العجب ح ٨.

(٤) هذا موافق لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي﴾ الآية [النمازي].

(٥) إرشاد القلوب، ص ٥٥. (٦) إرشاد القلوب، ص ٧٠.

(٧) إرشاد القلوب، ص ١١٠.

إليه: ارجع إليهم فإنّك إن تأتني بعبد آبق أُثبتك في اللّوح حميداً[١].

٢٧ - نبه: روي أنّه مكتوب في حكمة آل داود: حقّ على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: فساعة فيها يناجي ربّه، وساعة فيها يحاسب نفسه، وساعة يفضي إلى إخوانه الّذين يصدقونه عن عيوب نفسه، وساعة يخلّي بين نفسه ولذّتها فيما يحلّ ويحمد، فإنّ هذه الساعة عون لتلك الساعات[٢].

٢٨ - يه: في الصحيح عن إبراهيم بن أبي البلاد قال: كانت امرأة على عهد داود عليه السلام يأتيها رجل يستكرهها على نفسها، فألقى الله عزّ وجلّ في نفسها فقالت له: إنّك لا تأتيني مرّة إلاّ وعند أهلك من يأتيهم، قال: فذهب إلى أهله فوجد عند أهله رجلاً، فأتى به داود عليه السلام فقال: يا نبي الله أتى إليّ ما لم يؤت إلى أحد، قال: وما ذاك؟ قال: وجدت هذا الرجل عند أهلي، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود: قل له: كما تدين تدان[٣].

٢٩ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن مفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته ثمّ تكيده السماوات والأرض ومن فيهنّ إلاّ جعلت له المخرج من بينهنّ، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته إلاّ قطعت أسباب السماوات من يديه وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأيّ واد تهالك[٤].

٣٠ - ثم: محمّد بن الحسن، عن أحمد بن إدريس، عن سلمة بن الخطّاب، عن القاسم ابن يحيى، عن جدّه الحسن، عن داود الرقّيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام: قل للجبّارين: لا يذكروني، فإنّه لا يذكرني عبد إلاّ ذكرته، وإن ذكروني ذكرتهم فلعنتهم[٥].

٣١ - ين: ابن أبي البلاد، عن سعد الإسكاف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل عابد فأعجب به داود عليه السلام فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: لا يعجبك شيء من أمره فإنّه مراء، قال: فمات الرجل فأتى داود فقيل له: مات الرجل؛ فقال: ادفنوا صاحبكم، قال: فأنكرت ذلك بنو إسرائيل، وقالوا: كيف لم يحضره؟ قال: فلما غسّل قام خمسون رجلاً فشهدوا بالله ما يعلمون منه إلاّ خيراً، فلمّا صلّوا عليه قام خمسون رجلاً فشهدوا بالله ما يعلمون إلاّ خيراً، فلمّا دفنوه قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: ما منعك أن تشهد فلاناً؟ قال: الّذي أطلعتني عليه من أمره، قال: إن كان لكذلك ولكن شهده قوم من الأحبار

---

(١) إرشاد القلوب، ص ١٥٢. (٢) تنبيه الخواطر، ج ٢ ص ٢٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه، ج ٤ ص ٦٤١ ح ٤٩٨٩.

(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٦٥ باب التفويض إلى الله ح ١.

(٥) فلاح السائل، ص ٣٧ الفصل السابع.

والرهبان، فشهدوا لي ما يعلمون إلاّ خيراً، فأجزت شهادتهم عليه، وغفرت له علمي فيه[١].

٣٣ - ج، يد، ن: عن الحسن بن محمّد النوفليّ، عن الرضا عليه السلام فيما احتجّ به على أهل الملل قال لرأس الجالوت: قال داود عليه السلام في زبوره: «اللّهمّ ابعث مقيم السنّة بعد الفترة» فهل تعرف نبيّاً أقام السنّة بعد الفترة غير محمّد؟[٢].

٣٤ - عدة: فيما أوحى الله إلى داود عليه السلام: من انقطع إليّ كفيته، ومن سألني أعطيته، ومن دعاني أجبته، وإنّما أؤخّر دعوته وهي معلّقة وقد استجبتها حتّى يتمّ قضائي فإذا تمّ قضائي أنفذت ما سأل، قل للمظلوم: إنّما أؤخّر دعوتك وقد استجبتها لك على من ظلمك لضروب كثيرة غابت عنك وأنا أحكم الحاكمين: إمّا أن تكون قد ظلمت رجلاً فدعا عليك فتكون هذه بهذه لا لك ولا عليك، وإمّا أن تكون لك درجة في الجنّة لا تبلغها عندي إلاّ بظلمه لك، لأنّي أختبر عبادي في أموالهم وأنفسهم، وربّما أمرضت العبد فقلّت صلاته وخدمته، ولصوته إذا دعاني في كربته أحبّ إليّ من صلاة المصلّين، ولربما صلّى العبد فأضرب بها وجهه وأحجب عنّي صوته، أتدري من ذلك يا داود؟ ذلك الّذي يكثر الالتفات إلى حرم المؤمنين بعين الفسق وذلك الّذي حدّثته نفسه لو ولي أمراً لضرب فيه الأعناق ظلماً، يا داود نح على خطيئتك كالمرأة الثكلى على ولدها، لو رأيت الّذين يأكلون الناس بألسنتهم وقد بسطتها بسط الأديم وضربت نواحي ألسنتهم بمقامع من نار، ثمّ سلّطت عليهم موبّخاً لهم يقول: يا أهل النار هذا فلان السليط فاعرفوه، كم ركعة طويلة فيها بكاء بخشية قد صلاّها صاحبها لا تساوي عندي فتيلاً حين نظرت في قلبه فوجدته إن سلّم من الصلاة، وبرزت له امرأة وعرضت عليه نفسها أجابها وإن عامله مؤمن خانه[٣].

أقول: قال السيّد قدّس الله روحه في كتاب سعد السعود: رأيت في زبور داود عليه السلام في السورة الثانية ما هذا لفظه: داود! إنّي جعلتك خليفة في الأرض، وجعلتك مسبّحي ونبيّي،

---

(١) الزهد، ص ١٣٥ باب ١١ ح ١٠.

(٢) الإحتجاج، ص ٤٢٢، والتوحيد، ص ٤٢٨، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٤٩ باب ١٢ ح ١.

(٣) عدة الداعي، ص ٣٨. قال الثعلبي: قال وهب: لما استخلف داود ابنه سليمان وعظه فقال: يا بني إياك والهزل، فإن نفعه قليل، ويهيج العداوة بين الاخوان. وإياك والغضب، فإن الغضب يستخف بصاحبه. وعليك بتقوى الله وطاعته، فإنهما يغلبان كل شيء. وإياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء، فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس، وإن كانوا براء. واقطع طمعك عن الناس، فانه هو الغنى، وإياك والطمع فهو الفقر الحاضر. وإياك وما يعتذر منه من القول، وعوّد نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان وإن استطعت أن يكون يومك خير من أمسك فافعل. وصلّ صلاة مودع. ولا تجالس السفهاء ولا ترد على عالم، ولا تماره في الدين. وإذا غضبت فالصق بالارض، وتحول من مكانك، وارج رحمة الله فإنها واسعة، وسعت كل شيء. «منه رحمه الله» [عرائس المجالس، ص ٢٥٨].

وسيتّخذ عيسى إلهاً من دوني من أجل ما مكّنت فيه من القوّة وجعلته يحيي الموتى بإذني، داود! صفني لخلقي بالكرم والرحمة، وأنّي على كلّ شيء قدير، داود! من ذا الّذي انقطع إليّ فخيّبته؟ أو من ذا الّذي أناب إليّ فطردته عن باب إنابتي؟ ما لكم لا تقدّسون الله وهو مصوّركم وخالقكم على ألوان شتّى؟ ما لكم لا تحفظون طاعة الله آناء اللّيل والنهار وتطردون المعاصي عن قلوبكم، كأنكم لا تموتون، وكأنّ دنياكم باقية لا تزول ولا تنقطع، ولكم في الجنّة عندي أوسع وأخصب لو عقلتم وتفكّرتم وستعلمون إذا حضرتم وصرتم إليّ أنّي بما تعمل الخلق بصير، سبحان خالق النور.

وفي السورة العاشرة: أيّها الناس لا تغفلوا عن الآخرة، ولا تغرّنكم الحياة لبهجة الدنيا ونضارتها بني إسرائيل! لو تفكّرتم في منقلبكم ومعادكم وذكرتم القيامة وما أعددت فيها للعاصين قلّ ضحككم وكثر بكاؤكم، ولكنكم غفلتم عن الموت ونبذتم عهدي وراء ظهوركم، واستخففتم بحقّي كأنكم لستم بمسيئين ولا محاسبين، كم تقولون ولا تفعلون؟! وكم تعدون فتخلفون؟! وكم تعاهدون فتنقضون؟! لو تفكّرتم في خشونة الثرى ووحشة القبر وظلمته لقلّ كلامكم وكثر ذكركم واشتغالكم لي، إنّ الكمال كمال الآخرة، وأمّا كمال الدنيا فمتغيّر وزائل، لا تتفكّرون في خلق السماوات والأرض وما أعددت فيها من الآيات والنذر وحبست الطير في جوّ السماء يسبّحن ويسرحن في رزقي؟ وأنا الغفور الرحيم، سبحان خالق النور.

وفي السورة السابعة عشر: داود! اسمع ما أقول، ومر سليمان يقول بعدك: إنّ الأرض أورثها محمّداً وأُمّته وهم خلافكم، ولا تكون صلاتهم بالطنابير ولا يقدّسون الأوتار، فازدد من تقديسك، وإذا زمرتم بتقديسي فأكثروا البكاء بكلّ ساعة، داود! قل لبني إسرائيل: لا تجمعوا المال من الحرام فإنّي لا أقبل صلاتهم، واهجر أباك على المعاصي وأخاك على الحرام، واتل على بني إسرائيل نبأ رجلين كانا على عهد إدريس فجاءت لهما تجارة وقد فرضت عليهما صلاة مكتوبة فقال الواحد: أبدأ بأمر الله، وقال الآخر: أبدأ بتجارتي وألحق أمر الله، فذهب هذا لتجارته، وهذا لصلاته، فأوحيت إلى السحاب فنفخت وأطلقت ناراً وأحاطت واشتغل الرجل بالسحاب والظلمة فذهبت تجارته وصلاته، وكتب على بابه: انظروا ماتصنع الدنيا والتكاثر بصاحبه.

داود! إنّ الكبائر والكبر حرد لا يتغيّر أبداً، فإذا رأيت ظالماً قد رفعته الدنيا فلا تغبطه فإنّه لا بدّ له من أحد الأمرين: إمّا أن أسلّط عليه ظالماً أظلم منه فينتقم منه، وإمّا أُلزمه رد التبعات يوم القيامة. داود! لو رأيت صاحب التبعات قد جعل في عنقه طوق من نار، فحاسبوا نفوسكم، وأنصفوا الناس، ودعوا الدنيا وزينتها، يا أيّها الغفول ما تصنع بدنيا يخرج منها الرجل صحيحاً ويرجع سقيماً، ويخرج فيجبى جباية فيكبل بالحديد والأغلال، ويخرج الرجل صحيحاً فيردّ قتيلاً. ويحكم لو رأيتم الجنّة وما أعددت فيها لأوليائي من النعيم لما

ذقتم دواءها بشهوة، أين المشتاقون إلى لذيذ الطعام والشراب؟ أين الّذين جعلوا مع الضحك بكاءً؟ أين الّذين هجموا على مساجدي في الصيف والشتاء؟ انظروا اليوم ما ترى أعينكم فطال ما كنتم تسهرون والنّاس نيام، فاستمتعوا اليوم ما أردتم فإنّي قد رضيت عنكم أجمعين، ولقد كانت أعمالكم الزاكية تدفع سخطي عن أهل الدنيا يا رضوان اسقهم من الشراب الآن فيشربون، وتزداد وجوههم نضرة، فيقول رضوان: هل تدرون لمَ فعلت هذا؟ لأنّه لم تطأ فروجكم فروج الحرام، ولم تغبطوا الملوك والأغنياء غير المساكين، يا رضوان أظهر لعبادي ما أعددت لهم ثمانية ألف ضعف. يا داود من تاجرني فهو أربح التاجرين، ومن صرعته الدنيا فهو أخسر الخاسرين، ويحك يا ابن آدم ما أقسى قلبك! أبوك وأمّك يموتان وليس لك عبرة بهما؟! يا ابن آدم ألا تنظر إلى بهيمة ماتت فانتفخت وصارت جيفة، وهي بهيمة وليس لها ذنب؟ ولو وضعت أوزارك على الجبال الراسيات لهدّتها. داود! وعزّتي ما شيء أضرّ عليكم من أموالكم وأولادكم، ولا أشدّه في قلوبكم فتنة منها، والعمل الصالح عندي مرفوع، وأنا بكلّ شيء محيط. سبحان خالق النور.

وفي السورة الثالثة والعشرين: يا بني الطين والماء المهين، وبني الغفلة والغرّة لا تكثروا الالتفات إلى ما حرّمت عليكم، فلو رأيتم مجاري الذنوب لاستقذرتموه، ولو رأيتم العطرات قد عوفين من هيجان الطبائع، فهنّ الراضيات فلا يسخطن أبداً، وهنّ الباقيات فلا يمتن أبداً، كلّما اقتضّها صاحبها رجعت بكراً، أرطب من الزبد، وأحلى من العسل، بين السرير والفراش أمواج تتلاطم من الخمر والعسل، كلّ نهر ينفذ من آخر ويحك إنّ هذا لهو الملك الأكبر، والنعيم الأطول، والحياة الرغدة، والسرور الدائم، والنعيم الباقي عندي الدهر كلّه، وأنا العزيز الحكيم، سبحان خالق النور.

وفي الثلاثين: بني آدم رهائن الموتى، اعملوا لآخرتكم واشتروها بالدنيا ولا تكونوا كقوم أخذوها لهواً ولعباً، واعلموا أنَّ من قارضني نمت بضاعته وتوفّر ربحها، ومن قارض الشيطان قرن معه، ما لكم تتنافسون في الدنيا وتعدلون عن الحقّ، غرّتكم أحسابكم، فما حسب امرىء خلق من الطين؟ إنّما الحسب عندي هو التقوى، بني آدم! إنّكم وما تعبدون من دون الله في نار جهنّم؛ أنتم منّي براء، وأنا منكم بريء، لا حاجة لي في عبادتكم حتّى تسلموا إسلاماً مخلصاً وأنا العزيز الحكيم، سبحان خالق النور.

وفي السادسة والأربعين: بني آدم! لا تستخفّوا بحقي فأستخفّ بكم في النار، إنّ أكلة الربا تقطع أمعاؤهم وأكبادهم، إذا ناولتم الصدقات فاغسلوها بماء اليقين، فإنّي أبسط يميني قبل يمين الآخذ، فإذا كانت من حرام حذفت بها[1] في وجه المتصدّق، وإن كانت من حلال

(١) أقول حذفت بالحاء المهملة مع الذال المعجمة بمعنى خذفت بالمعجمات يعني رميت [النمازي]

قلت: ابنوا له قصوراً في الجنّة، وليست الرئاسة رئاسة الملك، إنّما الرئاسة رئاسة الآخرة، سبحان خالق النور.

وفي السابعة والأربعين: أتدري يا داود لَمَ مسخت بني إسرائيل فجعلت منهم القردة والخنازير؟ لأنّهم إذا جاء الغنيّ بالذنب العظيم ساهلوه، وإذا جاء المسكين بأدنى منه انتقموا منه، وجبت لعنتي على كلّ متسلّط في الأرض لا يقيم الغنيّ والفقير بأحكام واحدة إنكم تتّبعون الهوى في الدنيا، أين المفرّ منّي إذا تخلّيت بكم؟ كم قد نهيتكم عن الالتفات إلى حرم المؤمنين؟ وطالت ألسنتكم في أعراض الناس، سبحان خالق النور.

وفي الخامسة والستّين: أفصحتم في الخطبة وقصّرتم في العمل، فلو أفصحتم في العمل وقصّرتم في الخطبة لكان أرجى لكم، ولكنّكم عمدتم إلى آياتي فاتّخذتموها هزءاً، وإلى مظالمي فاشتهرتم بها، وعلمتم أن لا هرب منّي، وأمنتم فجائع الدنيا.

داود! اتل على بني إسرائيل نبأ رجل دانت له أقطار الأرض حتّى استوى، وسعى في الأرض فساداً، وأخمد الحقّ وأظهر الباطل، وعمر الدنيا، وحصّن الحصون، وحبس الأموال، فبينما هو في غضارة دنياه إذ أوحيت إلى زنبور يأكل لحمة خدّه، ويدخل وليلدغ الملك، فدخل الزنبور وبين يديه ستّاره ووزراؤه وأعوانه فضرب خدّه فتورّمت وتفجّرت منه أعين دماً وقيحاً، فثير عليه بقطع من لحم وجهه حتّى كان كلّ من يجلس عنده شمّ منه نتناً عظيماً، حتّى دفن جثّة بلا رأس، فلو كان للآدميّين عبرة تردعهم لردعتهم، ولكن اشتغلوا بلهو الدنيا ولعبهم، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يأتيهم أمري ولا أضيع أجر المحسنين، سبحان خالق النور[1].

أقول: سيأتي سائر ما نقلنا من الزبور وسائر حكم داود عليه‌السلام في كتاب المواعظ إن شاء الله تعالى.

٤ - باب قصة أصحاب السبت

الآيات: البقرة «٢»: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝٦٥ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٦٦﴾.

النساء «٤»: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ «٤٧» وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ «١٥٤».

الأعراف «٧»: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا

---

(١) سعد السعود، ص ٤٧-٥١. وفي المصدر هناك زيادات لعلها أسقطت من النساخ فراجع.

يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

النحل «١٦»: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ «١٢٤».

تفسير: قيل: المعنى: إنّما جعل السبت لعنة ومسخاً على الّذين اختلفوا فيه فحرّموه ثمّ استحلّوه فمسخهم؛ وقيل: أي إنّما فرض تعظيم السبت على الّذين اختلفوا في أمر الجمعة وهم اليهود، وكانوا قد أُمروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عمّا أُمروا به؛ وقيل: المختلفون هم اليهود والنصارى، قال بعضهم: السبت أعظم الأيّام لأنّه سبحانه فرغ فيه من خلق الأشياء، وقال آخرون: بل الأحد أعظم لأنّه ابتدأ خلق الأشياء فيه، ويؤيّد الوسط ما سيأتي من الخبر.

١ - **ع:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عبد الله بن محمّد الحجّال، عن عليّ بن عقبة، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ اليهود أُمروا بالإمساك يوم الجمعة فتركوا يوم الجمعة وأمسكوا يوم السبت، فحرّم عليهم الصيد يوم السبت[1].

شي: عن عليّ بن عقبة مثله[2].

٢ - **فس:** إنّ أصحاب السبت قد كان أملى الله لهم حتّى أثروا وقالوا: إنّ السبت لنا حلال، وإنّما كان حرّم على أوّلينا، وكانوا يعاقبون على استحلالهم السبت، فأمّا نحن فليس علينا حرام، وما زلنا بخير منذ استحللنا، وقد كثرت أموالنا وصحّت أبداننا، ثمّ أخذهم الله ليلاً وهم غافلون[3].

٣ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن محمّد بن عليّ الهمدانيّ، عن سماعة بن مهران، عن الكلبيّ النسّابة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجرّيّ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ مسخ طائفة من بني إسرائيل فما أُخذ منهم بحراً فهو الجرّيّ والزمّير والمارماهي وما سوى ذلك، وما أُخذ منهم برّاً فالقردة والخنازير والوبر والورل وما سوى ذلك[4].

بيان: قال الجوهريّ: الورل: دابّة مثل الضبّ.

٤ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبد الرزّاق بن مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمّد بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل قال: فلمّا استجاب لكلّ نبيّ من استجاب له من قومه من المؤمنين جعل لكلّ نبيّ منهم شرعة

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٨٨ باب ٥٩ ح ١.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٧ ح ٩٤ من سورة الأعراف.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ١٨٨.
(٤) الكافي، ج ٦ ص ١٠١٥ باب ١٥١ ح ١٢.

ومنهاجاً، والشرعة والمنهاج سبيل وسنّة، وكان من السبيل والسنّة الّتي أمر الله عزّوجلّ بها موسى أن جعل عليهم السبت، وكان من أعظم السبت ولم يستحلّ أن يفعل ذلك من خشية الله من قوم ثمود سبقت الحيتان إليهم يوم السبت أدخلها الله الجنّة، ومن استخفّ بحقّه واستحلّ ما حرّم الله عليه من العمل الّذي نهى الله عنه فيه أدخله الله عزّوجلّ النار، وذلك حيث استحلّوا الحيتان واحتبسوها وأكلوها يوم السبت غضب الله عليهم من غير أن يكون أشركوا بالرحمن ولا شكوا في شيء ممّا جاء به موسى عليه السلام، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ الخبر(١).

٥ - فس: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ فإنّها قرية كانت لبني إسرائيل قريبة من البحر، وكان الماء يجري عليها في المدّ والجزر، فيدخل أنهارهم وزروعهم ويخرج السمك من البحر حتّى يبلغ آخر زروعهم، وقد كان الله حرّم عليهم الصيد يوم السبت فكانوا يضعون الشباك في الأنهار ليلة الأحد، ويصيدون بها السمك، وكان السمك يخرج يوم السبت ويوم الأحد لا يخرج وهو قوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ فنهاهم علماؤهم عن ذلك فلم ينتهوا فمسخوا قردة وخنازير، وكان العلّة في تحريم الصيد عليهم يوم السبت أنّ عيد جميع المسلمين وغيرهم كان يوم الجمعة، فخالف اليهود وقالوا: عيدنا السبت، فحرّم الله عليهم الصيد يوم السبت، ومسخوا قردة وخنازير(٢).

حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أنّ قوماً من أهل أيلة من قوم ثمود، وأنّ الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ليختبر الله طاعتهم في ذلك، فشرعت إليهم يوم سبتهم في ناديهم وقدّام أبوابهم في أنهارهم وسواقيهم، فبادروا إليها فأخذوا يصطادونها ولبثوا في ذلك ما شاء الله، لا ينهاهم عنها الأحبار ولا يمنعهم العلماء من صيدها، ثمّ إنّ الشيطان أوحى إلى طائفة منهم إنّما نهيتم عن أكلها يوم السبت ولم تنهوا عن صيدها، فاصطادوا يوم السبت وكلوها فيما سوى ذلك من الأيّام، فقالت طائفة منهم: الآن نصطادها، فعتت وانحازت طائفة أُخرى منهم ذات اليمين، فقالوا: ننهاكم عن عقوبة الله أن تعرّضوا لخلاف أمره، واعتزلت طائفة منهم ذات اليسار فتنكّبت فلم تعظهم، فقالت للطائفة الّتي وعظتهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فقالت الطائفة الّتي وعظتهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٤٦ باب ١٧ ح ١.

(٢) أقول: وحيث أنه يجري في هذه الأمة كلما جرى في الأمم السالفة فيجري ذلك على ما فعل أعداء الأئمة بذرية النبي ومسخ بني أمية [النمازي].

﴿رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال: فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني لمّا تركوا ما وعظوا به ومضوا على الخطيئة، فقالت الطائفة الّتي وعظتهم: لا والله لا نجامعكم ولا نبايتكم اللّيلة في مدينتكم هذه الّتي عصيتم الله فيها مخافة أن ينزل بكم البلاء فيعمّنا معكم، قال: فخرجوا عنهم من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء فنزلوا قريباً من المدينة فباتوا تحت السماء، فلمّا أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله غدوا لينظروا ما حال أهل المعصية فأتوا باب المدينة فإذا هو مصمت فدقّوه فلم يجابوا ولم يسمعوا منها حسّ أحد، فوضعوا سلّماً على سور المدينة ثمّ أصعدوا رجلاً منهم فأشرف على المدينة فنظر فإذا هو بالقوم قردة يتعاوون، فقال الرجل لأصحابه: يا قوم أرى والله عجباً، قالوا: وما ترى؟ قال: أرى القوم قد صاروا قردة يتعاوون، لها أذناب، فكسروا الباب، قال: فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة، فقال القوم للقردة: ألم ننهكم؟ فقال عليّ عليه السلام: والله الّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّي لأعرف أنسابها من هذه الأمّة لا ينكرون ولا يغيّرون بل تركوا ما أمروا به فتفرّقوا، وقد قال الله تعالى: ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فقال الله: ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[1].

توضيح: قوله: (ليلة الأحد) أي لئلاّ يرجع ما أتاهم يوم السبت، لكنّه مخالف لسائر الروايات والسير، والظاهر أنّ فيه سقطاً، ولعلّه كان هكذا: ليلة السبت ويصطادون يوم الأحد. قوله عليه السلام: (إنّي لأعرف أنسابها) أي أشباهها مجازاً، أي أعرف جماعة من هذه الأمّة أشباه الطائفة الّذين لم ينهوا عن المنكر حتّى مسخوا، ويحتمل أن يكون سمّاهم أنسابهم لتناسب طيناتهم، ولا يبعد أن يكون في الأصل أشباههم، ويمكن إرجاع الضمير إلى هذه الأمّة لكنّه أبعد وأشدّ تكلّفاً.

أقول: قال السيّد ابن طاوس: رأيت في تفسير أبي العبّاس بن عقدة أنّه روى عن عليّ بن الحسن، عن عمرو بن عثمان، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله.

ثمّ قال: إنّي وجدت في نسخة حديث غير هذا أنّهم كانوا ثلاث فرق: فرقة باشرت المنكر وفرقة أنكرت عليهم وفرقة داهنت أهل المعاصي فلم تنكر ولم تباشر المعصية، فنجّى الله الّذين أنكروا، وجعل الفرقة المداهنة ذرّاً، ومسخ الفرقة المباشرة للمنكر قردة. ثمّ قال: ولعلّ مسخ المداهنة ذرّاً لتصغيرهم عظمة الله وتهوينهم بحرمة الله فصغّرهم الله[2].

ص: بالإسناد، عن الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبيدة مثله مع اختصار «ص ١٠٠».

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٤٥.
(٢) سعد السعود، ص ١١٨-١١٩.

شي: عن أبي عبيدة مثله[١].

٦ - **كا**: العدّة، عن سهل، عن عمرو بن عثمان، عن عبد الله بن المغيرة، عن طلحة ابن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ فقال: كانوا ثلاثة أصناف: صنف ائتمروا وأمروا فنجوا، وصنف ائتمروا ولم يأمروا فمسخوا ذرّاً، وصنف لم يأتمروا ولم يأمروا فهلكوا[٢].

بيان: لعلّ المراد بهلاكهم صيرورتهم قردة.

٧ - **ص**: بهذا الإسناد، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فقال: الخنازير على لسان داود عليه السلام والقردة على لسان عيسى عليه السلام وقال: إنّ اليهود أُمروا بالإمساك يوم الجمعة فتركوا وأمسكوا يوم السبت فحرّم عليهم الصيد يوم السبت، فعمد رجال من سفهاء القرية فأخذوا من الحيتان ليلة السبت وباعوا، ولم ينزل بهم عقوبة فاستبشروا وفعلوا ذلك سنين، فوعظهم طوائف فلم يسمعوا وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ فأصبحوا قردة خاسئين[٣].

٨ - **شي**: عن عبد الصمد بن برار قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: كانت القردة هم اليهود الّذين اعتدوا في السبت فمسخهم الله قروداً[٤].

٩ - **شي**: عن زرارة، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال: لما معها ينظر إليها من أهل القرى، ولما خلفها قال: نحن ولنا فيها موعظة[٥].

بيان: هذا أحد الوجوه الّتي ذكرت في تفسير الآية مرويّاً عن ابن عبّاس وغيره وقيل: أي عقوبة للذنوب الّتي تقدّمت على الاصطياد، والذنوب الّتي تأخّرت عنه؛ وقيل لما بين يديها من القرى، وما خلفها من القرى، وسيأتي تأويل آخر عن العسكريّ عليه السلام.

١٠ - **شي**: عن الأصبغ بن نباتة، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: كانت مدينة حاضرة البحر فقالوا لنبيّهم: إن كان صادقاً فليحوّلنا ربّنا جرّيثاً، فإذا المدينة في وسط البحر قد غرقت من اللّيل، وإذا كلّ رجل منهم مسوخاً جرّيثاً يدخل الراكب في فيها[٦].

١١ - **شي**: عن هارون بن عبد العزيز رفعه إلى أحدهم عليهم السلام قال: جاء قوم إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وقالوا له: يا أمير المؤمنين إنّ هذه الجراريّ تباع في أسواقنا، قال:

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦ ح ٩٣.

(٢) روضة الكافي المطبوع مع الاصول ص ٧٥٠ ح ١٥١. (٣) قصص الأنبياء، ص ٢٠٦.

(٤) - (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٦٤ ح ٥٥ و٥٦ من سورة البقرة.

(٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦ ح ٩٢ من سورة الأعراف.

فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام ضاحكاً، ثمّ قال: قوموا لأريكم عجباً، ولا تقولوا في وصيّكم إلاّ خيراً، فقاموا معه فأتوا شاطئ الفرات فتفل فيه تفلة وتكلّم بكلمات فإذا بجرّيثة رافعة رأسها، فاتحة فاها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: من أنت؟ الويل لك ولقومك، فقال: نحن من أهل القرية الّتي كانت حاضرة البحر إذ يقول الله في كتابه: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ الآية، فعرض الله علينا ولايتك فقعدنا عنها فمسخنا الله، فبعضنا في البرّ وبعضنا في البحر، فأمّا الّذين في البحر فنحن الجراريّ، وأمّا الّذين في البرّ فالضبّ واليربوع. قال: ثمّ التفت أمير المؤمنين إلينا فقال: أسمعتم مقالتها؟ قلنا: اللّهمّ نعم، قال: والّذي بعث محمّداً بالنبوّة لتحيض كما تحيض نساؤكم[1].

١٢ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ الآية، وذلك أنّ موسى أمر قومه أن يتفرّغوا لله في كلّ سبعة أيّام يوماً يجعله الله عليهم، وهم الّذين اختلفوا فيه[2].

١٣ - **م:** قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ لمّا اصطادوا السمك فيه ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مبعدين عن كلّ خير ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ تلك المسخة الّتي أخزيناهم ولعنّاهم بها ﴿نَكَالًا﴾ عقاباً وردعاً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ بين يدي المسخة من ذنوبهم الموبقات الّتي استحقّوا بها العقوبات ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ للقوم الّذين شاهدوهم بعد مسخهم يرتدعون عن مثل أفعالهم لمّا شاهدوا ما حلّ بهم من عقابنا ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الّذين يتّعظون بها فيفارقون المخزيات ويعظون بها الناس ويحذّرونهم المرديات.

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: كان هؤلاء قوماً يسكنون على شاطئ بحر نهاهم الله وأنبياؤه عن اصطياد السمك في يوم السبت، فتوسّلوا إلى حيلة ليحلّوا بها لأنفسهم ما حرّم الله، فخدّوا أخاديد وعملوا طرقاً تؤدّي إلى حياض، يتهيّأ للحيتان الدخول فيها من تلك الطرق ولا يتهيّأ لها الخروج إذا همّت بالرجوع، فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان الله لها فدخلت في الأخاديد وحصلت في الحياض والغدران، فلمّا كانت عشيّة اليوم همّت بالرجوع منها إلى اللّجج لتأمن صائدها فرامت الرجوع فلم تقدر، فبقيت ليلتها في مكان يتهيّأ أخذها بلا اصطياد لاسترسالها؟ فيه وعجزها عن الامتناع لمنع المكان لها، فكانوا يأخذونها يوم الأحد، ويقولون: ما اصطدنا في السبت، وإنّما اصطدنا في الأحد، وكذب أعداء الله بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم الّتي عملوها يوم السبت حتّى كثر من ذلك مالهم وثراؤهم وتنعّموا بالنساء وغيرهنّ لاتّساع أيديهم به، فكانوا في المدينة نيّفاً وثمانين ألفاً، فعل هذا منهم سبعون ألفاً، وأنكر عليهم الباقون، كما نصّ الله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ الآية، وذلك أنّ طائفة منهم وعظوهم

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٨ ح ٩٦ من سورة الأعراف. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٩٤.

وزجروهم عذاب الله وخوّفوهم من انتقامه وشديد بأسه وحذّروهم فأجابوهم عن وعظهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ بذنوبهم هلاك الاصطلام ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فأجابوا القائلين هذا لهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ هذا القول منّا لهم معذرة إلى ربكم إذ كلّفنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن ننهى عن المنكر ليعلم ربّنا مخالفتنا لهم وكراهتنا لفعلهم، قالوا: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ونعظهم أيضاً لعلّهم تنجع فيهم المواعظ فيتّقوا هذه الموبقة ويحذروا عقوبتها، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ حادوا وأعرضوا وتكبّروا عن قبولهم الزجر ﴿عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ مبعدين عن الخير مقصين.

قال: فلمّا نظر العشرة آلاف والنيّف أنّ السبعين ألفاً لا يقبلون مواعظهم ولا يحفلون بتخويفهم إيّاهم وتحذيرهم لهم اعتزلوهم إلى قرية أُخرى قريبة من قريتهم وقالوا: إنّا نكره أن ينزل بهم عذاب الله ونحن في خلالهم، فأمسوا ليلة فمسخهم الله كلّهم قردة، وبقي باب المدينة مغلقاً لا يخرج منهم أحد، ولا يدخل عليهم أحد، وتسامع بذلك أهل القرى فقصدوهم وتسنّموا حيطان البلد فاطلعوا عليهم فإذا كلّهم رجالهم ونساؤهم قردة يموج بعضهم في بعض يعرف هؤلاء الناظرون معارفهم وقراباتهم وخلطاءهم، يقول المطّلع لبعضهم: أنت فلان؟ أنت فلان؟ فتدمع عينه ويومئ برأسه أن نعم، فما زالوا كذلك ثلاثة أيّام، ثمّ بعث الله عليهم مطراً وريحاً فجرفتهم إلى البحر، وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيّام، وأمّا الّذين ترون من هذه المصوّرات بصورها فإنّما هي أشباهها، لا هي بأعيانها ولا من نسلها.

ثمّ قال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ الله مسخ هؤلاء لاصطيادهم السمك، فكيف ترى عند الله عزّ وجلّ حال من قتل أولاد رسول الله وهتك حرمته؟! إنّ الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدنيا فإنّ المعدّ لهم من عذاب الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ. ثمّ قال عليه السلام: أما إنّ هؤلاء الّذين اعتدوا في السبت لو كانوا حين همّوا بقبيح فعالهم سألوا ربّهم بجاه محمّد وآله الطيّبين أن يعصمهم من ذلك لعصمهم، وكذلك الناهون لهم لو سألوا الله عزّ وجلّ أن يعصمهم بجاه محمّد وآله الطيّبين لعصمهم، ولكنّ الله عزّ وجلّ لم يلهمهم ذلك ولم يوفّقهم له فجرت معلومات الله فيهم على ما كان سطر في اللّوح المحفوظ[1].

بيان: قال الطبرسيّ قدّس الله روحه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: أي الّذين جاوزوا ما أُمروا به من ترك الصيد يوم السبت، وكانت الحيتان تجتمع في يوم السبت لأمنها فحبسوها في السبت وأخذوها في الأحد، فاعتدوا في السبت، أي ظلموا وتجاوزوا ما حدّ لهم لأنّ صيدها هو حبسها.

وروي عن الحسن أنّهم اصطادوا يوم السبت مستحلّين بعدما نهوا عنه ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٦٨.

خَٰسِـِٔينَ﴾ هذا إخبار عن سرعة مسخه إيّاهم، لا أنّ هناك أمراً، ومعناه: جعلناهم قردة، كقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾.

قال ابن عبّاس: فمسخهم الله عقوبة لهم، وكانوا يتعاوون وبقوا ثلاثة أيّام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا، ثمّ أهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فهبّت بهم فألقتهم في الماء، وما مسخ الله أمّة إلاّ أهلكها، فهذه القردة والخنازير ليست من نسل أولئك، ولكن مسخ أولئك على صورة هؤلاء يدلّ عليه إجماع المسلمين على أنّه ليس في القردة والخنازير من هو من أولاد آدم، ولو كانت من أولاد الممسوخين لكانت من بني آدم. وقال مجاهد: لم يمسخوا قردة وإنّما هو مثل ضربه الله كما قال: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ وحكي عنه أيضاً أنّه قال: مسخت قلوبهم، فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظاً ولا تتّقي زجراً، وهذان القولان يخالفان الظاهر الّذي أكثر المفسّرين عليه من غير ضرورة تدعو إليه.

وقوله: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ أي مبعدين عن الخير، وقيل: أذلاء صاغرين مطرودين(١).

وقال ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ أي مجاورة البحر وقريبة منه وهي أيلة عن ابن عبّاس؛ وقيل: هي مدين، عنه أيضاً؛ وقيل: الطبريّة، عن الزهريّ ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ أي يظلمون فيه بصيد السمك، ويتجاوزون الحدّ في أمر السبت ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ أي ظاهرة على وجه الماء، عن ابن عبّاس؛ وقيل: متتابعة، عن الضحّاك؛ وقيل: رافعة رؤوسها، قال الحسن: كانت تشرع إلى أبوابهم مثل الكباش البيض لأنّها كانت آمنة يومئذ ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ أي ويوم لا يكون السبت كانت تغوص في الماء. واختلف في أنّهم كيف اصطادوا فقيل: إنّهم ألقوا الشبكة في الماء يوم السبت حتّى كان يقع فيها السمك، ثمّ كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء إلاّ يوم الأحد وهذا تسبّب محظور؛ وفي رواية عكرمة عن ابن عبّاس: اتّخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان إليها ولا يمكنها الخروج منها فيأخذونها يوم الأحد؛ وقيل: إنّهم اصطادوها وتناولوها باليد في يوم السبت ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ أي مثل ذلك الاختبار الشديد نختبرهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ أي بفسقهم وعصيانهم، وعلى المعنى الآخر لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الإتيان الّذي كان منها يوم السبت، ثمّ استأنف فقال: ﴿نَبْلُوهُم﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾ أي جماعة منهم أي من بني إسرائيل الّذين لم يصطادوا وكانوا ثلاث فرق: فرقة قانصة، وفرقة ساكتة، وفرقة واعظة، فقال الساكتون للواعظين الناهين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أي يهلكهم الله. ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم ولكن لأياسهم أن يقبل هؤلاء القوم الوعظ، فإنّ الأمر بالمعروف إنّما يجب عند عدم اليأس عن القبول، عن الجبّائيّ،

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٢٤٨.

ومعناه: ما ينفع الوعظ ممّن لا يقبل، والله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة ﴿قَالُوا﴾ أي قال الواعظون في جوابهم ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ معناه: موعظتنا إيّاهم معذرة إلى الله، وتأدية لفرضه في النهي عن المنكر لئلاّ يقول لنا: لمَ لم تعظوهم، ولعلّهم بالوعظ يتّقون ويرجعون ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي فلمّا ترك أهل القرية ما ذكرهم الواعظون به ولم ينتهوا عن ارتكاب المعصية بصيد السمك ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ أي خلّصنا الّذين ينهون عن المعصية ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي بفسقهم وذلك العذاب لحقهم قبل أن مسخوا قردة، عن الجبّائيّ، ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية أو من الهالكة.

وروي عن ابن عبّاس فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنّه نجت الفرقتان وهلكت الثالثة وبه قال السدّيّ. والثاني: أنّه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية وبه قال ابن زيد، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام. والثالث: التوقّف فيه، روي عن عكرمة، قال: دخلت على ابن عبّاس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية، ثمّ قال: قد علمت أنّ الله تعالى أهلك الّذين أخذوا الحيتان، وأنجا الّذين نهوهم، ولم أدر ما صنع بالّذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية، وهذا حالنا، واختاره الجبّائيّ، وقال الحسن: إنّه نجا الفرقة الثالثة لأنّه ليس شيء أبلغ في الأمر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وهم قد ذكروا الوعيد فقالوا: ﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وقال: قتل المؤمن أعظم والله من أكل الحيتان ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي عن ترك ما نهوا عنه، يعني لم يتركوا ما نهوا عنه وتمردوا في الفساد والجرأة على المعصية وأبوا أن يرجعوا عنها ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾ أي جعلناهم قردة ﴿خَاسِئِينَ﴾ مبعدين مطرودين، وإنّما ذكر (كن) ليدلّ عليه أنّه سبحانه لا يمتنع عليه شيء، وأجاز الزجّاج أن يكون قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون ذلك أبلغ في الآية النازلة بهم، وحكي ذلك عن أبي الهذيل؛ قال قتادة: صاروا قردة لها أذناب تعاووا بعد أن كانوا رجالاً ونساء؛ وقيل: إنّهم بقوا ثلاثة أيّام ينظر إليهم الناس ثمّ هلكوا ولم يتناسلوا، عن ابن عبّاس قال: ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيّام؛ وقيل: عاشوا سبعة أيّام ثمّ ماتوا، عن مقاتل؛ وقيل: إنّهم توالدوا، عن الحسن، وليس بالوجه، لأنّ من المعلوم أنّ القردة ليست من أولاد آدم، كما أنّ الكلاب ليست منهم، ووردت الرواية عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى لم يمسخ شيئاً فجعل له نسلاً وعقباً.

القصة: قيل: كانت هذه القصّة في زمن داود عليه السلام.

وعن ابن عبّاس قال: أمروا باليوم الّذي أمرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به، وحرّم عليهم فيه الصيد، وأمروا بتعظيمه، فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرّعاً بيضاً سماناً حتّى لا يرى الماء من كثرتها، فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون، ثمّ أتاهم

الشيطان وقال: إنّما نهيتم عن أخذها يوم السبت، فاتّخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة، ثمّ يأخذونها يوم الأحد؛ وعن ابن زيد قال: أخذ رجل منهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً وشدّه إلى الساحل، ثمّ أخذه يوم الأحد وشواه، فلاموه على ذلك، فلمّا لم يأته العذاب أخذوا ذلك وأكلوه وباعوه، وكانوا نحواً من اثني عشر ألفاً، فصار النّاس ثلاث فرق على ما تقدّم ذكره، فاعتزلتهم الفرقة الناهية ولم تساكنهم، فأصبحوا يوماً ولم يخرج من العاصية أحد فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب فدخلوا وكانت القردة تعرفهم وهم لا يعرفونها، فجعلت تبكي فإذا قالوا لهم: ألم ننهكم؟ قالت برؤوسها: أن نعم، قال قتادة: صارت الشبّان قردة، والشيوخ خنازير[1].

١٤ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ قال: الخنازير على لسان داود عليه السلام، والقردة على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام[2].

شي: عن أبي عبيدة مثله[3].

١٥ - **فس:** أبي، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة قال: سألته، عن قوم من الشيعة يدخلون في أعمال السلطان ويعملون لهم ويحبون لهم ويوالونهم، قال: ليس هم من الشيعة ولكنّهم من أولئك. ثمّ قرأ أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ قال: الخنازير على لسان داود، والقردة على لسان عيسى[4].

بيان: اعلم أنّ تلك الروايات اتّفقت على خلاف ما هو المشهور بين المفسّرين والمؤرّخين من كون المسخ الّذي كان في زمان داود عليه السلام بأنّهم صاروا قردة، وإنّما مسخ أصحاب المائدة خنازير[5]، وقد دلّ على الجزء الأوّل قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ والحمل على سهو النسّاخ مع اتّفاق التفسيرين والكافي والقصص عليه بعيد، والحمل على غلط الرواة أيضاً لا يخلو من بعد، ويمكن توجيهه بوجهين: الأوّل أن لا يكون هذا الخبر إشارة إلى قصّة أصحاب السبت بل إلى مسخ آخر وقع في زمان داود عليه السلام ولكن خبر القصص يأبى عنه إلاّ بتكلّف بعيد. الثاني أنّه يمكن أن يكون مسخهم في الزمانين بالصنفين

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٨٠-٣٨٤.
(٢) روضة الكافي المطبوع مع الأصول، ص ٧٦٨ ح ٢٤٠.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٦٤ ح ١٦١. (٤) تفسير القمي، ج ١ ص ١٨٣.
(٥) أقول: الإشكال وارد إذا كان المراد من اللعن المسخ، لكن فيه منع إذ ليس فيه إلّا اللعن وهو أعم كما هو واضح. [النمازي].

معاً، ويكون المقصود في الآية جعل بعضهم قردة، ويكون التخصيص في الخبر لعدم توهّم التخصيص في الآية مع كون الفرد الآخر مذكوراً فيها وفي الروايات المشهورة فلا حاجة إلى ذكره ويؤيّده أنّ عليّ بن إبراهيم ذكر في الموضعين الصنفين معاً.

وقال البيضاويّ: قيل أهل أيلة لمّا اعتدوا في السبت لعنهم الله على لسان داود فمسخهم قردة وخنازير، وأصحاب المائدة لمّا كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل انتهى[١]. وقال الثعلبيّ في أصحاب السبت: قال قتادة: صار الشبّان قروداً، والشيوخ خنازير، وما نجا إلاّ الّذين نهوا[٢].

ثمّ اعلم أنّ الوجهين جاريان في خبري العيّاشي، أعني رواية ابن نباتة وهارون بن عبد العزيز بأن يكونا إشارتين إلى قصّة أخرى وإن كان متعلّقها تلك القرية الّتي وقعت فيها عقوبة السبت، أو بأن يكونوا مسخوا بتلك الأصناف جميعاً بتلك الأسباب كلّها.

وقال الطبرسيّ رحمه الله: قيل في معناه أقوال:

أحدها أنّ معناه: لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، وعلى لسان عيسى فصاروا خنازير، وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: أمّا داود فإنّه لعن أهل أيلة لمّا اعتدوا في سبتهم وكان اعتداؤهم في زمانه، فقال: اللّهمّ ألبسهم اللّعنة مثل الرداء ومثل المنطقة على الحقوين. فمسخهم الله قردة، وأمّا عيسى عليه السلام فإنّه لعن الّذين أنزلت عليهم المائدة ثمّ كفروا بعد ذلك. وثانيها ما قاله ابن عبّاس إنّه يريد في الزبور وفي الإنجيل، ومعنى هذا أنّ الله تعالى لعن في الزبور من يكفر من بني إسرائيل، وفي الإنجيل كذلك. وثالثها أن يكون عيسى وداود عليهما السلام أعلما أنّ محمّداً نبيّ مبعوث ولعنا من يكفر به انتهى[٣].

والأيْلة بضمّ الهمزة والباء المشدّدة موضع البصرة الآن وهي إحدى الجنّات الأربعة.

أبواب قصص سليمان بن داود عليه السلام [٤]

٥ - باب فضله ومكارم أخلاقه وجمل أحواله

الآيات: النساء «٤»: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا﴾ «١٦٣».

الأنعام «٦»: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ «٨٤».

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٤٥٠. (٢) عرائس المجالس ص ٢٥٦.

(٣) مجمع البيان، ج ٣ ص ٣٩٦.

(٤) في ناسخ التواريخ: أن ولادة سليمان كانت في سنة ٤٣٩١ من الهبوط، وولادة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت في سنة ٦١٦٣ منه، وكان بينهما ١٧٧٢ سنة. [النمازي].

الأنبياء ٢١»: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

النمل «٢٧»: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

سبأ «٣٤»: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾.

ص «٣٨»: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

تفسير: قال المفسّرون: الأرض الّتي باركنا فيها هي الشام، ووجّه وصف الريح تارة بالعاصفة وأخرى بالرخاء بوجوه: الأوّل: أنّها كانت تارة كذا وتارة كذا بحسب إرادته؛ والثاني: أنّها كانت في بدءِ الأمر عاصفة لرفع البساط وقلعه، ثمّ كانت تصير رخاء عند تسييرها؛ والثالث: أنّ العصف عبارة عن سرعة سيرها والرخاوة عن كونها ليّنة طيبة في نفسها؛ الرابع: أنّ الرخاوة كناية عن انقيادها له في كلّ ما أمرها به.

وقال الطبرسيّ رحمه الله: وقيل: كانت الريح تجري به في الغداة مسيرة شهر، وفي الرواح كذلك، وكان يسكن بعلبكّ، ويبنى له بيت المقدس، ويحتاج إلى الخروج إليها وإلى غيرها، قال وهب: وكان سليمان يخرج إلى مجلسه فتعكف عليه الطير ويقوم له الإنس والجنّ حتّى يجلس على سريره ويجتمع معه جنوده، ثمّ تحمله الريح إلى حيث أراد[1].

قوله تعالى: ﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي في البحر فيخرجون له الجواهر واللآلي ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي سوى ذلك من الأبنية كالمحاريب والتماثيل وغيرهما ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ لئلاّ يهربوا منه ويمتنعوا عليه؛ وقيل: من أن يفسدوا ما عملوه[2].

قوله: ﴿عِلْمًاۖ﴾ قال: أي بالقضاء بين الخلق وبكلام الطير والدوابّ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ﴾ فيه دلالة على أنّ الأنبياء يورّثون المال كتوريث غيرهم؛ وقيل: إنّه ورّثه علمه ونبوّته وملكه دون سائر أولاده، والصحيح عند أهل البيت عليهم السلام هو الأوّل ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أهل العربيّة يقولون: لا يطلق النطق على غير بني آدم، وإنّما يقال الصوت، لأنّ النطق عبارة عن الكلام

(١) - (٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٠٥-١٠٦.

ولا كلام للطير إلاّ أنّه لمّا فهم سليمان معنى صوت الطير سمّاه منطقاً مجازاً ؛ وقيل : إنّه أراد حقيقة المنطق لأنّ من الطير ما له كلام يهجّى كالطوطي. وقال عليّ بن عيسى : إنّ الطير كانت تكلّم سليمان معجزةً له كما أخبر عن الهدهد، ومنطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة بخلاف منطق النّاس الّذي يتفاهمون به المعاني على صيغ مختلفة، ولذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها، ولم تفهم هي عنّا لأنّ أفهامها مقصورة على تلك الأمور المخصوصة، ولمّا جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي من كلّ شيء يؤتى الأنبياء والملوك وقيل : من كلّ شيء يطلبه طالب لحاجته إليه وانتفاعه به[1].

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي أراد من النواحي ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ أي وسخّرنا له الشياطين ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أي وسخّرنا له آخرين من الشياطين مشدّدين في الأغلال والسلاسل من الحديد، وكان يجمع بين اثنين وثلاثة منهم في سلسلة لا يمتنعون عليه إذا أراد ذلك بهم عند تمرّدهم ؛ وقيل : إنّه إنّما كان يفعل ذلك بكفّارهم فإذا آمنوا أطلقهم ﴿هَٰذَا﴾ أي ما تقدّم من الملك ﴿عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ أي فأعط من الناس من شئت وامنع من شئت ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي لا تحاسب يوم القيامة على ما تعطي وتمنع[2].

١ - فس: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ قال : تجري من كلّ جانب ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ قال : إلى بيت المقدس والشام[3].

٢ - ك: القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال : إنّ داود عليه السلام أراد أن يستخلف سليمان عليه السلام لأنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليه يأمره بذلك، فلمّا أخبر بني إسرائيل ضجّوا من ذلك، وقالوا : يستخلف علينا حدثاً وفينا من هو أكبر منه؟ فدعا أسباط بني إسرائيل فقال لهم : قد بلغتني مقالتكم فأروني عصيّكم، فأيّ عصا أثمرت فصاحبها وليّ الأمر بعدي، فقالوا : رضينا، وقال : ليكتب كلّ واحد منكم اسمه على عصاه، فكتبوا ثمّ جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثمّ أدخلت بيتاً وأغلق الباب وحرسه رؤوس أسباط بني إسرائيل، فلمّا أصبح صلّى بهم الغداة ثمّ أقبل ففتح الباب فأخرج عصيّهم وقد أورقت عصا سليمان وقد أثمرت، فسلّموا ذلك لداود فاختبره بحضرة بني إسرائيل فقال له : يا بنيّ أيّ شيء أبرد؟ قال : عفو الله عن النّاس، وعفو الناس بعضهم عن بعض، قال : يا بنيّ فأيّ شيء أحلى؟ قال : المحبّة وهي روح الله في عباده، فافترّ داود ضاحكاً، فسار به في بني إسرائيل فقال : هذا خليفتي فيكم من بعدي، ثمّ أخفى سليمان بعد ذلك أمره وتزوّج بامرأة واستتر من شيعته ما شاء الله أن يستتر، ثمّ إنّ امرأته قالت له ذات يوم : بأبي أنت وأمّي ما أكمل خصالك وأطيب ريحك! ولا أعلم لك خصلة أكرهها إلاّ أنّك في

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٦٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٦٢.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٨.

مؤونة أبي، فلو دخلت السوق فتعرّضت لرزق الله رجوت أن لا يخيّبك، فقال لها سليمان: إنّي والله ما عملت عملاً قطّ ولا أحسنه، فدخل السوق فجال يومه ذلك ثمّ رجع فلم يصب شيئاً، فقال لها: ما أصبت شيئاً، قالت: لا عليك إن لم يكن اليوم كان غداً، فلمّا كان من الغد خرج إلى السوق فجال فيه فلم يقدر على شيء ورجع فأخبرها، فقالت: يكون غداً إن شاء الله، فلمّا كان في اليوم الثالث مضى حتّى انتهى إلى ساحل البحر فإذا هو بصيّاد فقال له: هل لك أن أعينك وتعطينا شيئاً؟ قال: نعم، فأعانه فلمّا فرغ أعطاه الصيّاد سمكتين فأخذهما وحمد الله عزّوجلّ، ثمّ إنّه شقّ بطن إحداهما فإذا هو بخاتم في بطنها، فأخذه فصيّره في ثوبه وحمد الله، وأصلح السمكتين وجاء بهما إلى منزله، وفرحت امرأته بذلك، وقالت له: إنّي أريد أن تدعو أبويّ حتّى يعلما أنّك قد كسبت، فدعاهما فأكلا معه، فلمّا فرغوا قال لهم: هل تعرفوني؟ قالوا: لا والله إلاّ أنّا لم نر خيراً منك، فأخرج خاتمه فلبسه فخرّ عليه الطير والريح وغشيه الملك، وحمل الجارية وأبويها إلى بلاد إصطخر، واجتمعت إليه الشيعة واستبشروا به، ففرّج الله عنهم ممّا كانوا فيه من حيرة غيبته، فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى آصف بن برخيا بإذن الله تعالى ذكره، فلم يزل بينهم يختلف إليه الشيعة ويأخذون عنه معالم دينهم، ثمّ غيّب الله عزّوجلّ آصف غيبة طال أمدها، ثمّ ظهر لهم فبقي بين قومه ما شاء الله، ثمّ إنه ودّعهم فقالوا له: أين الملتقى؟ قال: على الصراط، وغاب عنهم ما شاء الله، واشتدّت البلوى على بني إسرائيل بغيبته وتسلّط عليهم بخت نصّر(١).

أقول: تمام الخبر في باب قصّة طالوت.

ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن محمّد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير، عن أبي الخطّاب، عن العبد الصالح مثله إلى قوله: فافترّ داود ضاحكاً(٢).

٣ - **ما:** الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم بن أحمد، عن الحسن بن عليّ الزعفرانيّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ سليمان عليه السلام لمّا سلب ملكه خرج على وجهه فضاف رجلاً عظيماً فأضافه وأحسن إليه، ونزل سليمان منه منزلاً عظيماً لما رأى من صلاته وفضله، قال: فزوّجه بنته، فقالت له بنت الرجل حين رأت منه ما رأت: بأبي أنت وأمّي ما أطيب ريحك وأكمل خصالك! لا أعلم فيك خصلة أكرهها إلاّ أنّك في مؤونة أبي، قال: فخرج حتّى أتى الساحل فأعان صيّاداً على ساحل البحر فأعطاه السمكة الّتي وجد في بطنها خاتمه(٣).

٤ - **ج:** في حديث الزنديق الّذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل كان فيما سأله: كيف

(١) كمال الدين، ص ١٥٦. (٢) قصص الأنبياء، ص ٢٠٥.

(٣) أمالي الطوسي، ص ٦٥٩ مجلس ٣٥ ح ١٣٥٩.

صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان ابن داود عليه السلام من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟ قال عليه السلام : غلظوا لسليمان كما سخّروا وهم خلق رقيق غذاؤهم التنسّم، والدليل على ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع، ولا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء إليها إلاّ بسلّم أو سبب[1].

٥ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه أو غيره، عن سعد بن سعد عن الحسن بن الجهم، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان لسليمان بن داود عليه السلام ألف امرأة في قصر واحد ثلاث مائة مهيرة، وسبعمائة سرّيّة[2].

٦ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أوّل من اتّخذ السكّر سليمان بن داود عليه السلام[3].

٧ - **ص:** الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام ابن سالم، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان ملك سليمان ما بين الشامات إلى بلاد إصطخر[4].

٨ - **دعوات الراونديّ:** قال الصادق عليه السلام : كان سليمان عليه السلام يطعم أضيافه اللّحم بالحوّارى وعياله الخشكار، ويأكل هو الشعير غير منخول[5].

بيان: الخبز الحوّارى: الّذي نخل مرّة بعد مرّة. والخشكار لم أجده في أكثر كتب اللّغة، فكأنّه معرّب مولّد، وفي كتب الطبّ وبعض كتب اللّغة أنّه الخبز المأخوذ من الدقيق غير المنخول، وقيل: إنّه الخبز اليابس، والأوّل هو المراد ههنا.

٩ - **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام : ولو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سلّماً أو لدفع الموت سبيلاً لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام ، الّذي سخّر له ملك الجنّ والإنس مع النبوّة، وعظيم الزلفة، فلمّا استوفى طعمته واستكمل مدّته رمته قسيّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية، والمساكن معطّلة، وورثها قوم آخرون[6].

١٠ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ قال: كانوا ثمانين رجلاً وسبعين امرأة، ما أغبّ المحراب رجل واحد منهم يصلّي فيه، وكانوا آل داود، فلمّا قبض داود عليه السلام ولي سليمان عليه السلام قال: يا أيّها النّاس علّمنا منطق الطير، سخّر الله له الجنّ والإنس، وكان لا يسمع بملك في ناحية الأرض إلاّ أتاه حتّى يذلّه ويدخله في دينه، وسخّر الريح له، فكان إذا

(١) الاحتجاج، ص ٣٣٩.
(٢) الكافي، ج ٥ ص ٨٩٣ باب ٣٨١ ح ٥٠.
(٣) الكافي، ج ٦ ص ١٠٧٦ باب ٢٥٣ ح ٧.
(٤) قصص الأنبياء، ص ٢٠٨.
(٥) دعوات الراوندي، ص ١٤٢.
(٦) نهج البلاغة، ص ٣٦٧ خطبة ١٨١.

خرج إلى مجلسه عكف عليه الطير وقام الجنّ والإنس، وكان إذا أراد أن يغزو أمر بمعسكره فضرب له بساطاً من الخشب، ثمّ جعل عليه الناس والدوابّ وآلة الحرب كلّها حتّى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت الخشب فحمله حتّى ينتهي به إلى حيث يريد، وكان غدوّها شهراً ورواحها شهراً[1].

بيان: ما أغبّ المحراب أي لم يكونوا يأتون المحراب غبّاً، بل كان كلّ منهم يواظبه.

١١ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، بإسناده عن أبي حمزة، عن الأصبغ قال: خرج سليمان بن داود عليه‌السلام من بيت المقدس مع ثلاثمائة ألف كرسيّ عن يمينه عليها الإنس، وثلاثمائة ألف كرسيّ عن يساره عليها الجنّ، وأمر الطير فأظلّتهم، وأمر الريح فحملتهم حتّى وردت بهم المدائن، ثمّ رجع وبات في إصطخر، ثمّ غدا فانتهى إلى جزيرة بركاوان ثمّ أمر الريح فخفضتهم حتّى كادت أقدامهم يصيبها الماء، فقال بعضهم لبعض: هل رأيتم ملكاً أعظم من هذا؟ فنادى ملك من السماء: لثواب تسبيحة واحدة أعظم ممّا رأيتم[2].

فس: أبي، عن ابن أبي نصر، عن أبان، عن أبي حمزة مثله[3].

١٢ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن أبي ولاّد، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: كان لسليمان عليه‌السلام حصن بناه الشياطين له فيه ألف بيت، في كلّ بيت طروقة، منهنّ سبعمائة أمة قبطيّة، وثلاثمائة

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي ص ٢٠٨، وروى الثعلبي: انه نزل كتاب من السماء على داود مختوماً بخاتم من الذهب فيه ثلاث عشرة مسألة، فأوحى الله إلى داود أن سهل عنها إبنك سليمان، فإن أخبر بهن فهو الخليفة من بعدك. قال فدعا داود سبعين قسّاً وسبعين حبراً، وأجلس سليمان بين أيديهم. فقال: أخبرني يا بني ما أقرب الأشياء؟ وما أبعد الأشياء؟ وما أنس الأشياء؟ وما أوحش الأشياء؟ وما أحسن الأشياء؟ وما أقبح الأشياء؟ وما أقل الأشياء؟ وما أكثر الأشياء؟ وما القائمان؟ وما المختلفان؟ وما المتباغضان؟ وما الأمر الذي إذا ركبه الرجل حمد آخره؟ والأمر الذي إذا ركبه الرجل ذم آخره؟
قال سليمان: أما أقرب الأشياء فالآخرة، وأما أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا، وأما أنس الأشياء فجسد فيه روح ناطق، وأما أوحش الأشياء فجسد بلا روح، وأما أحسن الأشياء فالإيمان بعد الكفر، وأما أقبح الأشياء فالكفر بعد الإيمان، وأما أقل الأشياء فاليقين، وأما أكثر الأشياء فالشك، وأما القائمان فالسماء والأرض، وأما المختلفان فالليل والنهار، وأما المتباغضان فالموت والحياة، وأما الأمر الذي إذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم على الغضب، وأما الأمر الذي إذا ركبه الرجل ذمّ آخره فالحدة على الغضب.

قال: ففك ذلك الخاتم فإذا هذه المسائل سواء على ما انزل من السماء، فقال القسيسون والأحبار: ما لشيء الذي إذا صَلُح صَلَح كل شيء من الإنسان، وإذا فَسُد فَسَد كل شيء منه؟ فقال: القلب. فرضوا بخلافته. «منه رحمه الله». [عرائس المجالس، ص ٢٥٧].

(٢) قصص الأنبياء، ص ٢٠٨. (٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٠٩.

حرّة مهيرة، فأعطاه الله تعالى قوّة أربعين رجلاً في مباضعة النساء وكان يطوف بهنّ جميعاً ويسعفهنّ قال: وكان سليمان عليه السلام يأمر الشياطين فتحمل له الحجارة من موضع إلى موضع، فقال لهم إبليس: كيف أنتم؟ قالوا: ما لنا طاقة بما نحن فيه، فقال إبليس: أليس تذهبون بالحجارة وترجعون فراغاً؟ قالوا: نعم، قال: فأنتم في راحة، فأبلغت الريح سليمان ما قال إبليس للشياطين، فأمرهم يحملون الحجارة ذاهبين ويحملون الطين راجعين إلى موضعها، فتراءى لهم إبليس فقال: كيف أنتم؟ فشكوا إليه، فقال: ألستم تنامون باللّيل؟ قالوا: بلى، قال: فأنتم في راحة، فأبلغت الريح ما قالت الشياطين وإبليس فأمرهم أن يعملوا باللّيل والنهار، فما لبثوا إلاّ يسيراً حتّى مات سليمان، وقال: خرج سليمان يستسقي ومعه الجنّ والإنس فمرّ بنملة عرجاء ناشرة جناحها، رافعة يدها، وتقول: اللّهمّ إنّا خلق من خلقك، لا غنى بنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا؛ فقال سليمان عليه السلام لمن كان معه: ارجعوا فقد شفع فيكم غيركم. وفي خبر: قد كفيتم بغيركم[1].

بيان: قال الجوهريّ: طروقة الفحل: أنثاه.

١٣ - **سن:** اليقطينيّ، عن الدهقان، عن درست، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً قطّ إلاّ عاقلاً، وبعض النبيّين أرجح من بعض، وما استخلف داود سليمان حتّى اختبر عقله، واستخلف داود سليمان وهو ابن ثلاثة عشر سنة، ومكث في ملكه أربعين سنة، وملك ذو القرنين وهو ابن اثني عشر سنة ومكث في ملكه ثلاثين سنة[2].

١٤ - **سن:** أبي وعليّ بن عيسى الأنصاريّ، عن محمّد بن سليمان الديلميّ، عن أبي الحسن الثاني عليه السلام قال: إنّ سليمان بن داود عليه السلام أتته امرأة عجوز مستعدية على الريح، فدعا سليمان الريح فقال لها: ما دعاك إلى ما صنعت بهذه المرأة؟ قالت: إنّ ربّ العزّة بعثني إلى سفينة بني فلان لأنقذها من الغرق، وكانت قد أشرفت على الغرق، فخرجت في سنّتي عجلى إلى ما أمرني الله به، ومررت بهذه المرأة وهي على سطحها فعثرت بها ولم أردها فسقطت فانكسرت يدها، فقال سليمان: يا ربّ بما أحكم على الريح؟ فأوحى الله إليه: يا سليمان احكم بأرش كسر هذه المرأة على أرباب السفينة الّتي أنقذتها الريح من الغرق، فإنّه لا يظلم لديّ أحد من العالمين[3].

١٥ - **سن:** عليّ بن الحكم، عن أبان، عن أبي العبّاس، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾ فقال: والله ما هي تماثيل الرجال والنساء ولكنّ الشجر وشبهه[4].

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٠٩.
(٢) المحاسن، ص ١٩٣.
(٣) المحاسن، ص ٣٠٢.
(٤) المحاسن، ص ٦١.

كا: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن داود بن الحصين، عن الفضل بن العبّاس مثله(١).

١٦ - **سر:** من كتاب أبان بن تغلب، عن ابن أسباط وابن أبي نجران والوشّاء جميعاً، عن محمّد بن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام أو عن زرارة عنه عليه السلام قال: آخر نبيّ يدخل الجنّة سليمان بن داود عليه السلام وذلك لما أعطي في الدُّنيا(٢).

١٧ - **مكا:** عن زروان المدائنيّ، عن أبي الحسن الثاني عليه السلام قال: لقد كان لسليمان عليه السلام ألف امرأة في قصر: ثلاث مائة مهيرة، وسبعمائة سرّيّة، وكان يطيّف بهنّ في كلّ يوم وليلة(٣).

بيان: طيّف تطييفاً: أكثر الطواف، وفي بعض النسخ يطوف، أي كان يأتيهنّ جميعاً إمّا بالزيارة أو بالجماع أيضاً.

١٨ - **محص:** عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ آخر الأنبياء دخولاً إلى الجنّة سليمان عليه السلام، وذلك لما أعطي من الدنيا(٤).

١٩ - **يه:** بإسناده الصحيح عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ سليمان عليه السلام قد حجّ البيت في الجنّ والإنس والطير والرياح، وكسا البيت القباطيّ(٥).

بيان: القبطيّة ثوب ينسب إلى مصر، والجمع قباطيّ بالضمّ والكسر.

٢٠ - **يه:** بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أوّل من كسا البيت الثياب سليمان بن داود عليه السلام، كساه القباطيّ(٦).

٢١ - **فس:** ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ قال: كانت الريح تحمل كرسيّ سليمان فتسير به في الغداة مسيرة شهر، وبالعشيّ مسيرة شهر ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي الصفر ﴿مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ قال: الشجر ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ أي جفنة كالحفرة ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ أي ثابتات. ثمّ قال: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ قال: اعملوا ما تشكرون عليه(٧).

بيان: يمكن قراءة تشكرون على المعلوم والمجهول ولعلّ الأخير أظهر.

تفسير: قال الطبرسيّ نوّر الله مضجعه: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي وسخّرنا لسليمان الريح ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ أي مسير غدوّ تلك الريح المسخّرة له مسيرة شهر، ومسير رواحها

---

(١) الكافي، ج ٦ باب ٣٦٩ ح ٣. (٢) السرائر، ج ٣ ص ٥٦٤.
(٣) مكارم الأخلاق، ص ٧٤.
(٤) التمحيص الذي يلي كتاب تحف العقول، ص ٤١٦ ح ٨٠.
(٥) - (٦) من لا يحضره الفقيه، ج ٢ ص ٢٩٥ ح ٢٢٨٦ و٢٢٨٧.
(٧) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٧٤.

مسيرة شهر، والمعنى أنّها كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب، قال قتادة: كانت تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار، وتروح مسيرة شهر إلى آخر النهار؛ وقال الحسن: كانت تغدو من دمشق فيقيل بإصطخر من أرض إصفهان وبينهما مسيرة شهر للمسرع، وتروح من إصطخر، فتبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر تحمله الريح مع جنوده، أعطاه الله الريح بدلاً من الصافنات الجياد ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أي أذبنا له عين النحاس وأظهرنا له، قالوا: جرت له عين الصفر ثلاثة أيّام بلياليهنّ جعلها الله له كالماء، وإنّما يعمل الناس بما أُعطي لسليمان منه ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ المعنى: وسخّرنا له من الجنّ من يعمل بحضرته وأمام عينه ما يأمرهم به من الأعمال كما يعمل الآدميّ بين يدي الآدميّ بأمر ربّه تعالى، وكان يكلّفهم الأعمال الشاقّة مثل عمل الطين وغيره؛ وقال ابن عبّاس: سخّرهم الله لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، وفي هذا دلالة على أنّه قد كان من الجنّ من هو غير مسخّر له ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ المعنى: ومن يعدل من هؤلاء الجنّ الّذين سخّرناهم لسليمان عمّا أمرناهم به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير، أي عذاب النار في الآخرة، عن أكثر المفسّرين، وفي هذا دلالة على أنّهم قد كانوا مكلّفين؛ وقيل: معناه: نذيقه العذاب في الدنيا، وأنّ الله سبحانه وكل بهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ﴾ وهي البيوت الشريفة؛ وقيل: هي القصور والمساجد يتعبّد فيها، عن قتادة والجبّائيّ، قال: وكان ممّا عملوه بيت المقدس، وقد كان الله عزّوجلّ سلّط على بني إسرائيل الطاعون، فهلك خلق كثير في يوم واحد، فأمرهم داود عليه السلام أن يغتسلوا ويبرزوا إلى الصعيد بالذراريّ والأهلين ويتضرّعوا إلى الله تعالى لعلّه يرحمهم، وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد، وارتفع داود عليه السلام فوق الصخرة فخرّ ساجداً يبتهل إلى الله سبحانه وسجدوا معه، فلم يرفعوا رؤوسهم حتّى كشف الله عنهم الطاعون، فلمّا أن شفّع الله داود في بني إسرائيل جمعهم داود بعد ثلاث وقال لهم: إنّ الله تعالى قد منّ عليكم ورحمكم فجدّدوا له شكراً بأن تتّخذوا من هذا الصعيد الّذي رحمكم فيه مسجداً، ففعلوا وأخذوا في بناء بيت المقدس، فكان داود عليه السلام ينقل الحجارة لهم على عاتقه، وكذلك خيار بني إسرائيل حتّى رفعوه قامة، ولداود عليه السلام يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة، فأوحى الله تعالى إلى داود: إنّ تمام بنائه يكون على يد ابنه سليمان، فلمّا صار داود ابن أربعين ومائة سنة توفّاه الله، واستخلف سليمان فأحبّ إتمام بيت المقدس فجمع الجنّ والشياطين فقسّم عليهم الأعمال، يخصّ كلّ طائفة منهم بعمل فأرسل الجنّ والشياطين في تحصيل الرخام والمها[1] الأبيض الصافي من

(١) المها: جمع المهاة بالفتح وهي البلورة، والربض (بالتحريك): سور المدينة ومأوى الغنم والناحية، وكل ما يؤدى إليه ويستراح لديه من مال وبيت ونحوه (منه رحمه الله).

معادنه، وأمر ببناء المدينة من الرخام والصفاح، وجعلها اثني عشر ربضاً، وأنزل كلّ ربض منها سبطاً من الأسباط، فلمّا فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجّه الشياطين فرقاً فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها، وفرقة يقلعون الجواهر والأحجار من أماكنها، وفرقة يأتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب، وفرقة يأتونه بالدرّ من البحار، فأُتي من ذلك بشيء لا يحصيه إلاّ الله تعالى، ثمّ أحضر الصنّاع وأمرهم بنحت تلك الأحجار حتّى صيّروها ألواحاً، ومعالجة تلك الجواهر واللآلي، وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وعمده بأساطين المها الصافي، وسقّفه بألواح الجواهر، وفصّص سقوفه وحيطانه باللآلي واليواقيت والجواهر، وبسط أرضه بألواح الفيروزج، فلم يكن في الأرض بيت أبهى منه ولا أنور من ذلك المسجد، كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلمّا فرغ منه جمع إليه خيار بني إسرائيل فأعلمهم أنّه بناه لله تعالى، واتّخذ ذلك اليوم الّذي فرغ منه عيداً، فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتّى إذا غزا بخت نصّر بني إسرائيل فخرّب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والدرر واليواقيت والجواهر، فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق، قال سعيد بن المسيّب: لمّا فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلّقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتّى قال في دعائه: بصلوات أبي داود إلاّ فتحت الأبواب، ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قرّاء بني إسرائيل خمسة آلاف باللّيل وخمسة آلاف بالنهار ولا تأتي ساعة من ليل ولا نهار إلاّ ويعبد الله فيها ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ يعني صوراً من نحاس وشبه وزجاج ورخام كانت الجنّ تعملها.

ثمّ اختلفوا فقال بعضهم: كانت صوراً للحيوانات؛ وقال آخرون: كانوا يعملون صور السباع والبهائم على كرسيّه ليكون أهيب له، فذكروا أنّهم صوّروا أسدين أسفل كرسيّه، ونسرين فوق عمودي كرسيّه، فكان إذا أراد أن يصعد على الكرسيّ بسط الأسدان ذراعيهما، وإذا علا على الكرسيّ نشر النسران أجنحتهما فظلّلاه من الشمس، ويقال: إنّ ذلك كان ممّا لا يعرفه أحد من الناس، فلمّا حاول بخت نصّر صعود الكرسيّ بعد سليمان حين غلب على بني إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان عليه السلام فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقدّها فخرّ مغشيّاً عليه، فما جسر أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسيّ، قال الحسن: ولم تكن يومئذ التصاوير محرّمة وهي محظورة في شريعة نبيّنا صلى الله عليه وآله فإنّه قال: «لعن الله المصورين» ويجوز أن يكره ذلك في زمن دون زمن، وقد بيّن الله سبحانه أنّ المسيح عليه السلام كان يصوّر بأمر الله من الطين كهيئة الطير؛ وقال ابن عبّاس: كانوا يعملون صور الأنبياء والعبّاد في المساجد ليقتدى بهم؛ وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: والله ما هي تماثيل الرجال والنساء ولكنّها الشّجر وما أشبهه.

﴿وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ﴾ أي صحاف كالحياض الّتي يجبى فيها الماء أي يجمع، وكان

سليمان عليه السلام يصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان، فإنّه لم يمكنه أن يطعمهم في مثل قصع الناس لكثرتهم؛ وقيل: إنّه كان يجمع على كلّ جفنة ألف رجل يأكلون بين يديه ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ أي ثابتات لا تزلن عن أمكنتهنّ لعظمهنّ، عن قتادة، وكانت باليمن؛ وقيل: كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع أنفسهم، وكان سليمان عليه السلام يطعم جنده انتهى(1).

وقال صاحب الكامل: لمّا توفّي داود عليه السلام ملك بعده ابنه سليمان عليه السلام على بني إسرائيل، وكان عمره ثلاث عشر سنة، وآتاه مع الملك النبوّة، وسخّر له الجنّ والإنس والشياطين والطير والريح، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الإنس والجنّ متى يجلس فيه، وقيل: إنّه سخّر له الريح والجنّ والشياطين والطير وغير ذلك بعد أن زال ملكه وأعاده الله إليه، وكان أبيض جسيماً كثير الشعر يلبس البياض، وكان يأكل من كسبه وكان كثير الغزو، وكان إذا أراد الغزو أمر فعمل بساط من خشب يسع عسكره فيركبون عليه هم ودوابّهم وما يحتاجون إليه، ثمّ أمر الريح فحملته فسار في غدوته مسيرة شهر وفي روحته كذلك، وكان له ثلاث مائة زوجة، وسبعمائة سرّيّة، وأعطاه الله أخيراً أنّه لا يتكلّم أحد بشيء إلاّ حملته الريح فيعلم ما يقول. انتهى(2).

٢٢ - **أعلام الدين:** قال ابن شهاب: بعث سليمان بن داود عليه السلام بعض عفاريته، وبعث معه نفراً من أصحابه، فقال: اذهبوا معه وانظروا ماذا يقول، فمرّوا به في السوق فرفع رأسه إلى السماء ونظر إلى الناس فهزّ رأسه، ومرّوا به على بيت يبكون على ميّت لهم فضحك، ومرّوا به على الثوم يكال كيلاً وعلى الفلفل يوزن وزناً فضحك، ومرّوا به على قوم يذكرون الله تعالى وآخرين في باطل فهزّ رأسه، ثمّ ردّوه إلى سليمان فأخبروه بما رأوا منه، فسأله سليمان عليه السلام: أرأيت إذ مرّوا بك في السوق لمَ رفعت رأسك إلى السماء ونظرت إلى الأرض والناس؟ قال: عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون! ومن الناس ما أسرع ما يملون! قال: ومررت على أهل بيت يبكون على ميّت وقد أدخله الله الجنّة فضحكت، قال: ومررت على الثوم يكال كيلاً ومنه الترياق، وعلى الفلفل يوزن وزناً وهو الداء فتعجّبت، ونظرت إلى قوم يذكرون الله وآخرين في باطل فتعجّبت وضحكت(3).

أقول: قد مرّ في الباب الأوّل وغيره في خبر الشاميّ أنّ سليمان عليه السلام ممّن ولد من الأنبياء مختوناً، وفي الباب الثاني عن الرضا عليه السلام أنّه كان نقش خاتمه: سبحان من ألجم الجنّ بكلماته، وفي أبواب قصص داود عليه السلام بعض ما يتعلق بأحواله.

٢٣ - وقال الطبرسيّ رحمه الله: روى الواحديّ بالإسناد، عن محمّد بن جعفر بن محمّد عن

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٠٠.
(٢) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ١٩٧.
(٣) اعلام الدين، ص ٢٨١.

أبيه عليه السلام قال: أُعطي سليمان بن داود ملك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمائة سنة وسبعة أشهر، ملك أهل الدنيا كلّهم من الجنّ والإنس والشياطين والدوابّ والطير والسباع، وأُعطي علم كلّ شيء ومنطق كلّ شيء، وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة الّتي سمع بها النّاس، وذلك قوله: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[1].

أقول: هذا الخبر غريب من حيث اشتماله على ملك المشارق والمغارب، وكون ملكه سبعمائة سنة، ومخالف للأخبار المعتبرة من الجهتين معاً، لكن سيأتي من إكمال الدين في باب وفاته عليه السلام ما يؤيد الثاني.

ثمّ قال رحمه الله: قال محمّد بن كعب: بلغنا أنّ سليمان بن داود عليه السلام كان عسكره مائة فرسخ: خمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للجنّ، وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلاثمائة مهيرة، وسبعمائة سرّيّة، فيأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به، فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض: إنّي قد زدت في ملكك: إنّه لا يتكلّم أحد من الخلائق بشيء إلاّ جاءت به الريح فأخبرتك. وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطاً فرسخاً في فرسخ، ذهباً في إبريسم، وكان يوضع فيه منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسيّ من ذهب وفضّة، فيقعد الأنبياء على كراسيّ الذهب والعلماء على كراسيّ الفضّة، وحولهم النّاس، وحول النّاس الجنّ والشياطين وتظلّه الطير بأجنحتها حتّى لا تقع عليه الشمس، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح، ومن الرواح إلى الصباح[2].

أقول: روى ابن شهر آشوب في البيان الخبر الثاني مختصراً، وزاد فيه: وله تخت من عاج ميل في ميل، وروى ذلك كلّه في عدّة الداعي وزاد في آخره: فيحكى أنّه مرّ بحرّاث فقال: لقد أُوتي ابن داود ملكاً عظيماً، فألقاه الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحرّاث وقال: إنّما مشيت إليك لئلاّ تتمنّى ما لا تقدر عليه، ثمّ قال: لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير ممّا أُوتي آل داود، وفي حديث آخر: لأنّ ثواب التسبيحة يبقى، وملك سليمان يفنى.

٢٤ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن موسى بن سعدان، عن أبي الحسن الأسديّ، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة بعد عتمة وهو يقول: همهمة همهمة، وليلة مظلمة، خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم، وفي يده خاتم سليمان، وعصا موسى[3].

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٦٩. (٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٧٠.
(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ١٣٣ باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء، ح ٤.

٢٥ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن سيف، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: قلت له: إنّهم يقولون في حداثة سنّك، فقال: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن يستخلف سليمان وهو صبيّ يرعى الغنم، فأنكر ذلك عبّاد بني إسرائيل وعلماؤهم، فأوحى الله تعالى أن خذ عصيّ المتكلّمين وعصا سليمان واجعلها في بيت واختم عليها بخواتيم القوم، فإذا كان من الغد فمن كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة، فأخبرهم داود عليه السلام، فقالوا: قد رضينا وسلّمنا[١].

٢٦ - **كا:** محمّد بن الحسن وعليّ بن إبراهيم الهاشميّ، عن بعض أصحابنا، عن سليمان ابن جعفر الجعفريّ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام القنزعة الّتي على رأس القنبرة من مسحة سليمان بن داود عليه السلام، وذلك أنّ الذكر أراد أن يسفد أنثاه فامتنعت عليه، فقال لها: لا تمتنعي ما أُريد إلاّ أن يخرج الله عزّ وجلّ منّي نسمة يذكر به، فأجابته إلى ما طلب، فلمّا أرادت أن تبيض قال لها: أين تريدين أن تبيضي؟ فقالت: لا أدري أنحّيه عن الطريق، قال لها: إنّي أخاف أن يمرّ بك مارّ الطريق، ولكنّي أرى لك أن تبيضي قرب الطريق، فمن يراك قربه توهّم أنّك تعرضين للقط الحبّ من الطريق، فأجابته إلى ذلك وباضت وحضنت حتّى أشرفت على النقاب، فبينا هما كذلك إذ طلع سليمان بن داود عليه السلام في جنوده والطير تظلّه، فقالت له: هذا سليمان قد طلع علينا بجنوده، ولا آمن أن يحطمنا ويحطم بيضنا، فقال لها: إنّ سليمان عليه السلام لرجل رحيم، فهل عندك شيء خبيته لفراخك إذا نقبن؟ قالت: نعم عندي جرادة خبأتها منك، أنتظر بها فراخي إذا نقبن، فهل عندك شيء؟ قال: نعم عندي تمرة خبأتها منك لفراخي، قالت: فخذ أنت تمرتك وآخذ أنا جرادتي ونعرض لسليمان عليه السلام فنهديهما له، فإنّه رجل يحبّ الهديّة، فأخذ التمرة في منقاره، وأخذت هي الجرادة في رجليها، ثمّ تعرّضا لسليمان عليه السلام، فلمّا رآهما وهو على عرشه بسط يده لهما فأقبلا فوقع الذكر على اليمين، ووقعت الأنثى على اليسار، وسألهما عن حالهما فأخبراه فقبل هديّتهما وجنّب جنده عنهما وعن بيضهما، ومسح على رأسهما ودعا لهما بالبركة، فحدثت القنزعة على رأسهما من مسحة سليمان عليه السلام[٢].

٢٧ - **نبه:** روي أنّ سليمان بن داود عليه السلام مرّ في موكبه والطير تظلّه والجنّ والإنس عن يمينه وعن شماله بعابد من عبّاد بني إسرائيل، فقال: والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً، فسمعه سليمان فقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير ممّا أُعطي ابن داود، إنّ ما أُعطي ابن داود يذهب وإنّ التسبيحة تبقى[٣].

٢٨ - وكان سليمان عليه السلام إذا أصبح تصفّح وجوه الأغنياء والأشراف حتّى يجيء إلى

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٣٢٧ باب حالات الأئمة ح ٣.

(٢) الكافي، ج ٦ ص ١٠١٨ باب ١٥٦ ح ٤. (٣) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ١٢٩.

المساكين ويقعد معهم ويقول: مسكين مع المساكين(١).

٢٩ - **ارشاد القلوب:** كان سليمان عليه السلام مع ما هو فيه من الملك يلبس الشعر، وإذا جنّه اللّيل شدّ يديه إلى عنقه، فلا يزال قائماً حتّى يصبح باكياً، وكان قوته من سفائف الخوص يعملها بيده، وإنّما سأل الملك ليقهر ملوك الكفر(٢).

وروى الثعلبيّ في تفسيره بإسناده عن وهب بن منبّه، عن كعب قال: إنّ سليمان عليه السلام كان إذا ركب حمل أهله وسائر حشمه وخدمه وكتّابه في مدينة من قوارير، لها ألف سقف، وتلك السقوف بعضها فوق بعض على قدر درجاتهم، وقد اتّخذ مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام، يسع كلّ قدر عشرة جزائر، وقد اتّخذ ميادين للدوابّ أمامه، فيطبخ الطبّاخون، ويخبز الخبّازون، وتجري الدوابّ بين يديه بين السماء والأرض، والريح تهوي بهم، فسار من إصطخر إلى اليمن، فسلك المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله فقال سليمان: هذا دار هجرة نبيّ في آخر الزمان، طوبى لمن آمن به، وطوبى لمن اتّبعه، وطوبى لمن اقتدى به، ورأى حول البيت أصناماً تعبد من دون الله فلمّا جاوز سليمان البيت بكى البيت، فأوحى الله تعالى إلى البيت: ما يبكيك؟ قال: يا ربّ أبكاني هذا نبيّ من أنبيائك وقوم من أوليائك مرُّوا عليّ فلم يهبطوا فيّ، ولم يصلّوا عندي، ولم يذكروك بحضرتي والأصنام تعبد حولي من دونك، فأوحى الله تعالى إليه: أن لاتبك فإنّي سوف أملأك وجوهاً سجّداً، وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك نبيّاً في آخر الزمان أحبّ أنبيائي إليّ، وأجعل فيك عمّاراً من خلقي يعبدونني وأفرض على عبادي فريضة يدفّون إليك دفيف النسور إلى وكورها، ويحنّون إليك حنين الناقة إلى ولدها، والحمامة إلى بيضتها، وأطهّرك من الأوثان وعبدة الشيطان قال: وروي أنّ سليمان لمّا ملك بعد أبيه أمر باتّخاذ كرسيّ ليجلس عليه للقضاء وأمر بأن يعمل بديعاً مهولاً بحيث أن لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتهيب، قال: فعمل له كرسيّ من أنياب الفيلة وفصّصوه بالياقوت واللّؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفّفوه بأربع نخلات من ذهب، شماريخها الياقوت الأحمر والزمرّد الأخضر، على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب وعلى رأس الآخرين نسران من ذهب، بعضها مقابلاً لبعض وجعلوا من جنبتي الكرسيّ أسدين من الذهب، على رأس كلّ واحد منهما عمود من الزمرّد الأخضر، وقد عقدوا على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر واتّخذوا عناقيدها من الياقوت الأحمر بحيث يظلّ عريش الكروم النخل والكرسيّ، قال: وكان سليمان عليه السلام إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسيّ كلّه بما فيه دوران الرحى المسرعة، وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها، وتبسط الأسدان أيديهما فتضربان الأرض بأذنابهما، فكذلك كلّ درجة يصعدها سليمان عليه السلام، فإذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللّذان على النخلتين تاج

(١) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ٢٠٣. (٢) إرشاد القلوب، ص ١٤٠.

سليمان فوضعاه على رأس سليمان عليه السلام، ثمّ يستدير الكرسيّ بما فيه ويدور معه النسران والطاووسان والأسدان قائلات برؤوسها إلى سليمان ينضحن عليه من أجوافها المسك والعنبر، ثمّ تناولت حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسيّ التوراة فيفتحها سليمان عليه السلام ويقرؤها على الناس، ويدعوهم إلى فصل القضاء، ويجلس عظماء بني إسرائيل على كراسيّ من الذهب المفصّصة بالجوهر وهي ألف كرسيّ عن يمينه، وتجيء عظماء الجنّ وتجلس على كراسيّ الفضّة عن يساره وهي ألف كرسيّ حافّين جميعاً به، ثمّ يحفّ بهم الطير فتظلّهم، وتتقدّم إليه الناس للقضاء، فإذا دعا بالبيّنات والشهود لإقامة الشهادات دار الكرسيّ بما فيه مع جميع ما حوله دوران الرحى المسرعة ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما، وينشر النسران والطاووسان أجنحتهما فيفزع منه الشهود ويدخلهم من ذلك رعب ولا يشهدون إلاّ بالحقّ(١).

٦ - باب معنى قول سليمان عليه السلام: هب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي

١ - مع، ع: أحمد بن يحيى المكتّب، عن أحمد بن محمّد الورّاق، عن عليّ بن هارون الحميريّ، عن عليّ بن محمّد بن سليمان النوفليّ، عن أبيه، عن عليّ بن يقطين قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: أيجوز أن يكون نبيّ الله عزّ وجلّ بخيلاً؟ فقال: لا، فقلت له: فقول سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ ما وجهه ومعناه؟ فقال: الملك ملكان: ملك مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس، وملك مأخوذ من قبل الله تعالى ذكره كملك آل إبراهيم وملك طالوت وملك ذي القرنين، فقال سليمان عليه السلام: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ أن يقول: إنّه مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس، فسخّر الله عزّ وجلّ له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب، وجعل غدوّها شهراً ورواحها شهراً، وسخّر الله عزّ وجلّ له الشياطين كلّ بنّاء وغوّاص وعلّم منطق الطير، ومكّن في الأرض، فعلم الناس في وقته وبعده أنّ ملكه لا يشبه ملك الملوك المختارين من قبل الناس والمالكين بالغلبة والجور. قال: فقلت له: فقول رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله أخي سليمان بن داود ما كان أبخله؟! فقال: لقوله عليه السلام وجهان: أحدهما ما كان أبخله بعرضه وسوء القول فيه، والوجه الآخر: يقول: ما كان أبخله إن كان أراد ما يذهب إليه الجهّال. ثمّ قال عليه السلام: قد والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤت سليمان وما لم يؤت أحد من الأنبياء، قال الله عزّ وجلّ في قصّة سليمان: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وقال عزّ وجلّ في قصّة محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٢).

---

(١) عرائس المجالس، ص ٢٦٣.

(٢) معاني الأخبار، ص ٣٥٣ وعلل الشرائع، ج ١ ص ٩٠ باب ٦٢ ح ١.

بيان: تأويله عليه السلام للآية الكريمة يحتمل وجهين: الأوّل أن يكون عليه السلام قدّر في الآية شيئاً وهو قوله: أن يقول، أي هب لي ملكاً يكون لعظمته بحيث لا يقدر أحد على أن يقول: إنّه كملك سائر الملوك مأخوذ بالجور والغلبة. ويؤيّده الوجه الأوّل من وجهي تأويل الخبر حيث بخل بعرضه في هذا الدعاء، وسأل الله أن يرفع عنه ألسن الناس بأنّ ملكه مأخوذ بالجور، ولا يكون عرضه عرضة لملام لئام الخلق.

الثاني: أن يكون المعنى أنّه عليه السلام سأل ربّه ملكاً لا يتهيّأ للملوك الجائرين تحصيله بالجور والغلبة ليكون معجزاً له على نبوّته وآية على خلافته، فلا يمنع هذا الكلام أن يعطي الله من بعده من الأنبياء والأوصياء أضعاف ما أعطاه، فيكون قوله: (لا ينبغي لأحد من بعدي أن يقول) بياناً لحاصل المعنى ولازمه لا تقديراً في الكلام، أي طلب ملكاً لم يقدر أحد على تحصيله بقوّته لئلا يقال: إنّ ملكه مأخوذ بالغلبة، فلا يكون معجزاً له، فعلى هذا يكون قوله عليه السلام: (ما أبخله بعرضه) لأنّه كان ذلك أيضاً مقصوداً له ضمناً وإن كان المقصود بالذات كونه معجزاً، والظاهر أنّه عليه السلام كان يعلم أنّ الخبر موضوع، وإنّما أوّله تحرّزاً عن طرح الخبر المشهور بينهم تقيّة، ولذا ردّد عليه السلام بين الوجهين، ولو كان صادراً عنه صلى الله عليه وآله لكان عالماً بما أراده به؛ وأمّا كون ما أعطاه الرسول أفضل فلأنه تعالى أعطى سليمان ما أعطى وفوّض الأمر إليه في بذله ومنعه ولم يفوّض إليه تعيين أمر بخلاف نبيّنا صلى الله عليه وآله فإنّه فوّض إليه الأمر وأمر النّاس باتّباعه في كلّ ما يقول، وهذا مبنيّ على التفويض وسيأتي تحقيقه في كتاب الإمامة.

ويحتمل أن يكون الفضل بسبب أنّه فوّض إليه إعطاء الأمور الدنيويّة ومنعها وأعطى النبيّ صلى الله عليه وآله الرئاسة العامّة في الدين والدنيا لجميع الخلق، وفيه شيء.

وقال الطبرسيّ في قوله تعالى: ﴿رُخَآءً﴾ أي لينة سهلة، وقيل: طيّبة سريعة؛ وقيل: أي مطيعة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي حيث أراد سليمان من النواحي[1].

٢ - ب: محمّد بن عبد الحميد، عن أبي جميلة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ قلت: فأعطي الّذي دعا به؟ قال: نعم، ولم يعط بعده إنسان ما أعطي نبيّ الله عليه السلام من غلبة الشيطان فخنقه إلى أسطوانة حتّى أصاب بلسانه يد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله: لولا ما دعا به سليمان لأريتكموه[2].

تذييل: قال الطبرسيّ قدّس الله روحه: يسأل عن هذا فيقال: إنّ هذا القول من سليمان يقتضي الضنّة والمنافسة لأنّه لم يرض بأن يسأل الملك حتّى أضاف إلى ذلك أن يمنع غيره منه. وأجيب عنه بأجوبة: أحدها أنّ الأنبياء لا يسألون إلاّ ما يؤذن لهم في مسألته، وجائز أن

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٦٢. (٢) قرب الإسناد، ص ١٧٥ ح ٦٤٢.

يكون الله أعلم سليمان أنّه إن سأل ملكاً لا يكون لغيره كان أصلح له في الدين، وأعلمه أنّه لا صلاح لغيره في ذلك، ولو أنّ أحدنا صرّح في دعائه بهذا الشرط حتّى يقول: اللّهمّ اجعلني أكثر أهل زماني مالاً إذا علمت أنّ ذلك أصلح لي لكان ذلك منه حسناً جائزاً، اختاره الجبّائيّ.

وثانيها: أنّه يجوز أن يكون عليه السلام التمس من الله آية لنبوّته يبين بها من غيره وأراد: لا ينبغي لأحد غيري ممّن أنا مبعوث إليه، ولم يرد من بعده إلى يوم القيامة من النبيّين كما يقال: أنا لا أطيع أحداً بعدك، أي لا أطيع أحداً سواك.

وثالثها: ما قاله المرتضى قدّس الله سره: إنّه يجوز أن يكون إنّما سأل ملك الآخرة وثواب الجنّة، ويكون معنى قوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾ لا يستحقّه بعد وصولي إليه أحد، من حيث لا يصلح أن يعمل ما يستحقّ به ذلك لانقطاع التكليف.

ورابعها: أنّه التمس معجزة تختصّ به، كما أنّ موسى عليه السلام اختصّ بالعصا واليد واختصّ صالح بالناقة، ومحمّد صلى الله عليه وآله بالقرآن والمعراج، ويدلّ عليه ما روي مرفوعاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه صلّى صلاة فقال: إنّ الشيطان عرض لي ليفسد عليّ الصلاة فأمكنني الله منه فودعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتّى تصبحوا وتنظروا إليه أجمعين فذكرت قول سليمان ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ فردّه الله خاسئاً خائباً. أورده البخاريّ ومسلم في الصحيحين انتهى[1].

وقال الرازيّ: أجاب القائلون بأنّ الشيطان استولى على مملكته معناه أن يعطيه الله ملكاً لا يقدر الشياطين أن يقوموا مقامه ويسلبونه منه، ثمّ قال بعدما ذكر بعض الأجوبة السابقة:

الثالث: أنّ الاحتراز عن طيّبات الدنيا مع القدرة عليها أشقّ من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها، فكأنّه قال: يا إلهي أعطني مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلّية حتّى أحترز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابي أكمل وأفضل.

الرابع: من الناس من يقول: الاحتراز عن لذّات الدنيا عسر صعب لأنّ هذه اللّذّات حاضرة وسعادات الآخرة نسيئة، والنقد يصعب بيعه بالنسيئة، فقال سليمان: أعطني يا ربّ مملكة تكون أعظم الممالك الممكنة للبشر حتّى أنّي أبقى مع تلك القدرة الكاملة في غاية الاحتراز ليظهر للخلق أنّ حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى انتهى[2].

وذكر البيضاويّ وجهاً آخر وهو أنّ المعنى: لا ينبغي لأحد من بعدي لعظمته، كقولك. لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال، على إرادة وصف الملك بالعظمة، لا أن لا يعطى أحد مثله[3].

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٦٢.

(٢) تفسير فخر الرازي، ج ٢٦ المجلد ٩ ص ٣٩٤.

(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٦

أقول: بعد ثبوت عصمة الأنبياء وجلالتهم لا بدّ من حمل ما صدر عنهم على محمل صحيح مجملاً وإن لم يتعيّن في نظرنا، وما ذكر من الوجوه محتملة وإن كان بعضها لا يخلو من بعد، وما ذكره الطبرسيّ أوّلاً أظهر الوجوه، ويمكن أن يقال: المنع عن غيره لم يكن على وجه الضنّة بل على وجه الشفقة، لأنّ ملك الدنيا في نظرهم خسيس دنيّ لا يليق بالمقرّبين قربه، ولمّا رأى صلاح زمانه في ذلك سأله اضطراراً ومنعه عن غيره إشفاقاً عليهم؛ أو يقال: إنّ كلامه مخصوص بمن عدا الأنبياء والأوصياء وهو قريب من الثاني، ويحتمل وجوهاً أخر تركناها مخافة الإطناب.

٧ - باب قصة مروره عليه السلام بوادي النمل وتكلمه معها وسائر ما وصل إليه من أصوات الحيوانات

الآيات؛ النمل «٢٧»: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ هو واد بالطائف، وقيل: بالشام ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ أي صاحت بصوت خلق الله لها، ولمّا كان الصوت مفهوماً لسليمان عليه السلام عبّر عنه بالقول؛ وقيل: كانت رئيسة النمل ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ أي لا يكسرنكم ﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بحطمكم ووطئكم فإنّهم لو علموا بمكانكم لم يطؤوكم، وهذا يدلّ على أنّ سليمان وجنوده كانوا ركباناً ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح، لأنّ الريح لو حملتهم بين السماء والأرض لما خافت النملة أن يطؤوها بأرجلهم، ولعلّ هذه القصّة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان عليه السلام. فإن قيل: كيف عرفت النملة سليمان وجنوده حتّى قالت هذه المقالة؟ قلنا: إذا كانت مأمورة بطاعته فلا بدّ أن يخلق الله لها من الفهم ما تعرف به أمور طاعته، ولا يمتنع أن يكون لها من الفهم ما تستدرك به ذلك، وقد علمنا أنّها تشقّ ما تجمع من الحبوب بنصفين مخافة أن تصيبه الندى فينبت إلاّ الكزبرة فإنّها تكسرها بأربع لأنّها تنبت إذا قطعت بنصفين، فمن هداها إلى هذا فإنّه يهديها إلى تميز ما يحطمها ممّا لا يحطمها؛ وقيل: إنّ ذلك كان منها على سبيل المعجز الخارق للعادة لسليمان عليه السلام، قال ابن عبّاس: فوقف سليمان عليه السلام بجنوده حتّى دخل النمل مساكنه فتبسّم ضاحكاً من قولها، وسبب ضحكه التعجّب لأنّه رأى ما لا عهد له به؛ وقيل: إنّه تبسّم بظهور عدله حتّى عرفه النمل؛ وقيل: إنّ الريح أطارت كلامها إليه من ثلاثة أميال حتّى سمع ذلك فانتهى إليها وهي تأمر النمل بالمبادرة فتبسّم من حذرها ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ أي ألهمني[1].

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٧٠.

أقول: قال الرازيّ في تفسيره: رأيت في بعض الكتب أنّ تلك النملة إنّما أمرت غيرها بالدخول لأنّها خافت أنّها إذا رأت سليمان على جلالته فربما وقعت في كفران نعمة الله، وهو المراد بقوله: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ فأمرتها بالدخول في مساكنها لئلاّ ترى تلك النّعم فلا تقع في كفران نعم الله[١].

١ - **فس:** ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قعد على كرسيّه وحملته الريح على وادي النمل، وهو واد ينبت الذهب والفضّة، وقد وكل الله به النمل وهو قول الصادق عليه السلام: إنّ لله وادياً ينبت الذهب والفضّة، قد حماه الله بأضعف خلقه وهو النمل، لو رامته البخاتيّ ما قدرت عليه. فلمّا انتهى سليمان إلى وادي النمل فقالت نملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ إلى قوله: ﴿فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال: يحبس أوّلهم على آخرهم[٢].

بيان: قال البيضاويّ: ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي يحبسون بحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا[٣].

٢ - **ن، ع:** عبد الله بن محمّد بن عبد الوهّاب القرشيّ، عن منصور بن عبد الله الإصفهانيّ، عن عليّ بن مهرويه القزوينيّ، عن داود بن سليمان الغازي قال: سمعت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد عليهما السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ قال: لمّا قالت النملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ حملت الريح صوت النملة إلى سليمان وهو مارّ في الهواء والريح قد حملته فوقف وقال: عليّ بالنملة، فلمّا أتي بها قال سليمان: يا أيّتها النملة أما علمت أنّي نبيّ الله وأنّي لا أظلم أحداً؟ قالت النملة: بلى، قال سليمان فلمَ حذّرتهم ظلمي وقلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾؟ قالت النملة: خشيت أن ينظروا إلى زينتك فيفتتنوا بها فيبعدوا عن الله تعالى ذكره.

ثمّ قالت النملة: أنت أكبر أم أبوك داود؟ قال سليمان عليه السلام: بل أبي داود، قالت النملة: فلمَ زيد في حروف اسمك حرف على حروف اسم أبيك داود؟ قال سليمان: ما لي بهذا علم، قالت النملة: لأنّ أباك داود داوى جرحه بودّ فسمّي داود، وأنت يا سليمان أرجو أن تلحق بأبيك.

ثم قالت النملة: هل تدري لمَ سخّرت لك الريح من بين سائر المملكة؟ قال سليمان: ما

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٤ المجلد ٨ ص ٥٤٩.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٠٢.

(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٧٤.

لي بهذا علم، قالت النملة: يعني عزّ وجلّ بذلك: لو سخّرت لك جميع المملكة كما سخّرت لك هذه الريح لكان زوالها من يدك كزوال الريح، فحينئذ تبسّم ضاحكاً من قولها[1].

بيان: قال الثعلبيّ في تفسيره: رأيت في بعض الكتب وذكر نحوه، وفيه: فقالت النملة: هل علمت لمَ سمّي أبوك داود؟ فقال: لا، قالت: لأنّه داوى جرحه بودّ، هل تدري لمَ سمّيت سليمان؟ قال: لا، قالت: لأنّك سليم ركنت إلى ما أُوتيت لسلامة صدرك، وآن لك أن تلحق بأبيك.

أقول: التعليل الّذي ذكرته النملة يحتمل وجوهاً من التأويل:

الأوّل: وهو الّذي ارتضيته أنّ المعنى أنّ أباك لمّا ارتكب ترك الأولى وصار قلبه مجروحاً بذلك فداواه بودّ الله تعالى ومحبّته فلذا سمّي داود اشتقاقاً من الدواء بالودّ وأنت لمّا لم ترتكب بعد وأنت سليم منه سمّيت سليمان، فخصوص العلّتين للتسميتين صارتا علّة لزيادة اسمك على اسم أبيك.

ثمّ لمّا كان كلامها موهماً لكونه من جهة السلامة أفضل من أبيه استدركت ذلك بأنّ ما صدر عنه لم يصر سبباً لنقصه، بل صار سبباً لكمال محبّته وتمام مودّته، وأرجو أن تلحق أنت أيضاً بأبيك في ذلك ليكمل محبّتك.

الثاني: أنّ المعنى أنّ أصل الاسم كان داوى جرحه بودّ وهو أكثر من اسمك، وإنّما صار بكثرة الاستعمال داود، ثمّ دعا له ورجّاه بقوله: أرجو أن تلحق بأبيك، أي في الكمال والفضل.

الثالث: ما ذكره بعض المعاصرين وهو أنّ المراد أنّ هذا الاسم مشتمل على سليم، أو مأخوذ منه، والسليم قد يستعمل في الجريح كاللّديغ تفؤّلاً بصحّته وسلامته، أو أنت سليم من المداواة الّتي حصلت لأبيك فلهذا سمّيت سليمان، فالحرف الزائد للدلالة على وجود الجرح، وكما أنّ الجرح زائد في البدن أو النفس عن أصل الخلقة كان في الاسم حرف زائد للدلالة على ذلك، وفيه معنى لطيف وهو أنّ هذه الزيادة في الاسم الدالّة على الزيادة في المسمّى ليست ممّا يزيد به الاسم والمسمى كمالاً، بل قد تكون الزيادة لغير ذلك.

الرابع: ما يفهم ممّا عنون الصدوق الباب الّذي أورد الخبر فيه به، حيث قال: «باب العلّة الّتي من أجلها زيد في حروف اسم سليمان حرف من حروف اسم أبيه داود» فلعلّه رحمه الله حمل الخبر على أنّ المعنى أنّك لمّا كنت سليماً أُريد أن يشتقّ لك اسم يشتمل على السلامة، ولمّا كان أبوك داود داوى جرحه بالودّ وصار كاملاً بذلك أراد الله تعالى أن يكون في اسمك حرف من حروف اسمه لتلحق به في الكمال، فزيد فيه الألف وما يلزمه لتمام التركيب وصحّته من

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٤ باب ٣٢ ح ٨، وعلل الشرائع، ج ١ ص ٩١ باب ٦٣ ح ١.

النون فصار سليمان، وإلاّ لكان السليم كافياً للدلالة على السلامة، فلذا زيد حروف اسمك على حروف اسم أبيك، ولو كان في الخبر «من حروف اسم أبيك» كما رأينا في بعض النسخ كان ألصق بهذا المعنى. وقوله: (أرجو أن تلحق بأبيك) أي لتلك الزيادة فيدلّ ضمناً وكناية على أنّه إنّما زيد لذلك، ولا يخفى بعده.

٣ - **يه:** بإسناده إلى حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام: أنه قال: إنّ سليمان بن داود عليه السلام خرج ذات يوم مع أصحابه ليستسقي، فوجد نملة قد رفعت قائمة من قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللّهمّ إنّا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك، فلا تهلكنا بذنوب بني آدم، فقال سليمان عليه السلام لأصحابه: ارجعوا لقد سقيتم بغيركم[1].

أقول: روى البرسيّ في مشارق الأنوار أنّ سليمان عليه السلام كان سماطه كلّ يوم سبعة أكرار، فخرجت دابّة من دوابّ البحر يوماً وقالت: يا سليمان أضفني اليوم، فأمر أن يجمع لها مقدار سماطه شهراً، فلمّا اجتمع ذلك على ساحل البحر وصار كالجبل العظيم أخرجت الحوت رأسها وابتلعته، وقالت: يا سليمان أين تمام قوتي اليوم؟ هذا بعض قوتي! فعجب سليمان عليه السلام فقال لها: هل في البحر دابّة مثلك؟ فقالت: ألف أمّة، فقال سليمان: سبحان الله الملك العظيم[2].

وروى غيره أنّ سليمان عليه السلام رأى عصفوراً يقول لعصفورة: لمَ تمنعين نفسك منّي؟ ولو شئت أخذت قبّة سليمان بمنقاري فألقيتها في البحر، فتبسّم سليمان عليه السلام من كلامه ثمّ دعاهما وقال للعصفور: أتطيق أن تفعل ذلك؟ فقال: لا يا رسول الله، ولكنّ المرء قد يزيّن نفسه ويعظّمها عند زوجته، والمحبّ لا يلام على ما يقول، فقال سليمان عليه السلام للعصفورة: لمَ تمنعينه من نفسك وهو يحبّك؟ فقالت: يا نبيّ الله إنّه ليس محبّاً ولكنّه مدّع، لأنّه يحبّ معي غيري، فأثّر كلام العصفورة في قلب سليمان، وبكى بكاءً شديداً واحتجب عن الناس أربعين يوماً يدعو الله أن يفرغ قلبه لمحبّته وأن لا يخالطها بمحبّة غيره.

وروي أنّه عليه السلام سمع يوماً عصفوراً يقول لزوجته: ادني منّي حتّى أجامعك لعلّ الله يرزقنا ولداً يذكر الله تعالى فإنّا كبرنا، فتعجّب سليمان من كلامه وقال: هذه النيّة خير من مملكتي.

وقال البيضاويّ: حكي أنّه مرّ ببلبل يتصوّت ويترقّص، فقال: يقول: إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء، وصاحت فاختة فقال: إنّها تقول: ليت الخلق لم يخلقوا[3].

وقال الزمخشريّ: روي أنّ قتادة دخل الكوفة والتفت عليه الناس، فقال: سلوا عمّا شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً وهو غلام حدث فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ١ ح ١٤٩١.
(٢) مشارق أنوار اليقين، ص ٤١.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٧٤.

أنثى؟ فسألوه فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٌ﴾ وذلك أنّ النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميّز بينهما بعلامة نحو قولهم: حمامة ذكر، وحمامة أنثى. انتهى[١].

وقال ابن الحاجب في بعض تصانيفه: إنّ تأنيث مثل الشاة والنملة والحمامة من الحيوانات تأنيث لفظيّ، ولذلك كان قول من زعم أنّ النملة في قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٌ﴾ أنثى لورود تاء التأنيث في ﴿قَالَتۡ﴾ وهماً، لجواز أن يكون مذكّراً في الحقيقة، وورود تاء التأنيث كورودها في فعل المؤنّث اللّفظيّ، ولذا قيل: إفحام قتادة خير من جواب أبي حنيفة.

أقول: هذا هو الحقّ وقد ارتضاه الرضيّ رحمه الله وغيره، والحمد لله الّذي فضح من أراد أن يدّعي رتبة أمير المؤمنين عليه السلام بهذه البضاعة من العلم، وهذا الناصبيّ الآخر الّذي أراد أعوانه إثبات علوّ شأنه بأنّه تكلم في بدء شبابه بمثل ذلك.

وقال الثعلبيّ في تفسيره: قال مقاتل: كان سليمان عليه السلام جالساً إذ مرّ به طائر يطوف، فقال لجلسائه: هل تدرون ما يقول هذا الطائر الّذي مرّ بنا؟ قالوا: أنت أعلم، فقال سليمان: إنّه قال لي: السلام عليك أيّها الملك المتسلّط على بني إسرائيل، أعطاك الله سبحانه وتعالى الكرامة، وأظهرك على عدوّك، إنّي منطلق إلى فروخي، ثمّ أمرّ بك الثانية، وإنّه سيرجع إلينا الثانية فانظروا إلى رجوعه، قال: فنظر القوم طويلاً إذ مرّ بهم فقال: السلام عليك أيّها الملك إن شئت أن تأذن لي كيما أكتسب على فروخي حتّى يشبّوا ثمّ آتيك فافعل بي ما شئت، فأخبرهم سليمان بما قال وأذن له.

وعن كعب قال: صاح ورشان عند سليمان، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: فإنّها تقول: لدوا للموت وابنوا للخراب. وصاحت فاختة فقال: تقول: ليت الخلق لم يخلقوا. وصاح طاووس عنده فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنّه يقول: كما تدين تدان. وصاح هدهد عنده فقال: إنّه يقول: من لا يرحم لا يرحم. وصاح صرد عنده فقال: تقول: استغفروا الله يا مذنبين. وصاح طوطيّ فقال: يقول: كلّ حيّ ميّت وكلّ جديد بال. وصاح خطّاف فقال: يقول: قدّموا خيراً تجدوه. وهدرت حمامة فقال: تقول: سبحان ربّي الأعلى ملء سماواته وأرضه. وصاح قمريٌّ فقال: يقول: سبحان ربّي الأعلى. قال: والغراب يدعو على العشّار. والحدأ يقول: كلّ شيء هالك إلاّ وجهه. والقطا يقول: من سكت سلم. والببغاء - وهو طائر أخضر - يقول: ويل لمن الدنيا همّه. والضفدع يقول: سبحان ربّي القدوس. والباز يقول: سبحان ربّي وبحمده. والضفدعة تقول: سبحان المذكور بكلّ مكان.

---

(١) تفسير الكشاف، ج ٣ ص ١٣٧.

وروي عن مكحول أنّه صاح درّاج عند سليمان بن داود عليه السلام فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا؛ قال: فإنّه يقول: الرّحمن على العرش استوى.

٤ - **دعوات الراونديّ:** ذكروا أنّ سليمان عليه السلام كان جالساً على شاطئ بحر فبصر بنملة تحمل حبّة قمح تذهب بها نحو البحر، فجعل سليمان ينظر إليها حتّى بلغت الماء، فإذا بضفدعة قد أخرجت رأسها من الماء ففتحت فاها فدخلت النملة فاها وغاصت الضفدعة في البحر ساعة طويلة وسليمان يتفكّر في ذلك متعجباً، ثمّ إنّها خرجت من الماء وفتحت فاها فخرجت النملة من فيها ولم يكن معها الحبّة، فدعاها سليمان عليه السلام وسألها عن حالها وشأنها وأين كانت، فقالت: يا نبيّ الله إنّ في قعر هذا البحر الّذي تراه صخرة مجوّفة وفي جوفها دودة عمياء، وقد خلقها الله تعالى هنالك فلا تقدر أن تخرج منها لطلب معاشها، وقد وكلني الله برزقها، فأنا أحمل رزقها، وسخّر الله هذه الضفدعة لتحملني فلا يضرّني الماء في فيها، وتضع فاها على ثقب الصخرة وأدخلها، ثمّ إذا أوصلت رزقها إليها خرجت من ثقب الصخرة إلى فيها فتخرجني من البحر، قال سليمان عليه السلام: وهل سمعت لها من تسبيحة؟ قالت: نعم، تقول: يا من لا ينساني في جوف هذه الصخرة تحت هذه اللّجّة برزقك لا تنس عبادك المؤمنين برحمتك[1].

٨ - باب تفسير قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾

الآيات: ص «٣٨»: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ أي سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي رجّاع إلى الله تعالى في أموره ابتغاء مرضاته ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ متعلّق بنعم، أو باذكر المقدّر ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ أي بعد زوال الشمس ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي الخيل أو المال ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي آثرته على ذكر ربّي[2].

١ - **فس:** قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وذلك أنّ سليمان عليه السلام كان يحبّ الخيل ويستعرضها، فعرضت عليه يوماً إلى أن غابت الشمس، وفاتته صلاة العصر، فاغتمّ من ذلك غمّاً شديداً، فدعا الله عزّ وجلّ أن يردّ عليه الشمس حتّى يصلّي العصر، فردّ الله سبحانه عليه الشمس إلى وقت صلاة العصر حتّى صلاّها، ثمّ دعا بالخيل فأقبل يضرب أعناقها وسوقها بالسيف حتّى

(١) دعوات الراوندي، ص ١١٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٥٨.

قتلها كلّها، وهو قوله عزّ اسمه: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ وهو أنّ سليمان لمّا تزوّج باليمانيّة ولد منها ابن وكان يحبّه، فنزل ملك الموت على سليمان وكان كثيراً ما ينزل عليه، فنظر إلى ابنه نظراً حديداً، ففزع سليمان من ذلك، فقال لأمّه: إنّ ملك الموت نظر إلى ابني نظرة أظنّه قد أمر بقبض روحه، فقال للجنّ والشياطين: هل لكم حيلة في أن تفرّوه من الموت؟ فقال واحد منهم: أنا أضعه تحت عين الشمس في المشرق، فقال سليمان: إنّ ملك الموت يخرج ما بين المشرق والمغرب، فقال واحد منهم: أنا أضعه في الأرضين السابعة، فقال: إنّ ملك الموت يبلغ ذلك، فقال آخر: أنا أضعه في السحاب والهواء، فرفعه ووضعه في السحاب فجاء ملك الموت فقبض روحه في السحاب، فوقع ميّتاً على كرسيّ سليمان، فعلم أنّه قد أخطأ، فحكى الله ذلك في قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ والرخاء: الليّنة ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ أي في البحر ﴿الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ يعني مقيّدين قد شدّ بعضهم إلى بعض، وهم الّذين عصوا سليمان عليه السلام حين سلبه الله عزّ وجلّ ملكه.

وقال الصادق عليه السلام: جعل الله عزّ وجلّ ملك سليمان عليه السلام في خاتمه، فكان إذا لبسه حضرته الجنّ والإنس والشياطين وجميع الطير والوحش وأطاعوه فيقعد على كرسيّه ويبعث الله عزّ وجلّ ريحاً تحمل الكرسيّ بجميع ما عليه من الشياطين والطير والإنس والدوابّ والخيل فتمرّ بها في الهواء إلى موضع يريده سليمان عليه السلام، وكان يصلّي الغداة بالشام، والظهر بفارس، وكان يأمر الشياطين أن يحملوا الحجارة من فارس يبيعونها بالشام، فلمّا مسح أعناق الخيل وسوقها بالسيف سلبه الله ملكه، وكان إذا دخل الخلاء دفع خاتمه إلى بعض من يخدمه فجاء شيطان فخدع خادمه وأخذ من يده الخاتم ولبسه، فخرّت عليه الشياطين والجنّ والإنس والطير والوحوش، وخرج سليمان عليه السلام في طلب الخاتم فلم يجده، فهرب ومرّ على ساحل البحر وأنكرت بنو إسرائيل الشيطان الّذي تصوّر في صورة سليمان، وصاروا إلى أمّه فقالوا لها: أتنكرين من سليمان شيئاً؟ فقالت: كان أبرّ الناس بي وهو اليوم يعصيني، وصاروا إلى جواريه ونسائه وقالوا: أتنكرن من سليمان شيئاً؟ قلن: لم يكن يأتينا في الحيض وهو يأتينا في الحيض، فلمّا خاف الشيطان أن يفطنوا به ألقى الخاتم في البحر، فبعث الله سمكة فالتقمته وهرب الشيطان فبقوا بنو إسرائيل يطلبون سليمان عليه السلام أربعين يوماً، وكان سليمان عليه السلام يمرّ على ساحل البحر تائباً إلى الله ممّا كان منه، فلمّا كان بعد أربعين يوماً مرّ بصيّاد يصيد السمك فقال له: أعينك على أن تعطيني من السمك شيئاً؟ قال: نعم، فأعانه سليمان عليه السلام، فلمّا اصطاد دفع إلى سليمان عليه السلام سمكة فأخذها فشقّ بطنها وذهب يغسلها فوجد الخاتم في بطنها فلبسه، فخرّت عليه الشياطين والجنّ والإنس والطير والوحوش

ورجع إلى ما كان، وطلب ذلك الشيطان وجنوده الّذين كانوا معه فقيّدهم وحبس بعضهم في جوف الماء وبعضهم في جوف الصخر بأسامي الله، فهم محبوسون معذّبون إلى يوم القيامة.

قال: ولمّا رجع سليمان إلى ملكه قال لآصف بن برخيا - وكان آصف كاتب سليمان وهو الّذي كان عنده علم من الكتاب -: قد عذرت الناس بجهالتهم فكيف أعذرك؟ فقال: لا تعذرني فلقد عرفت الحوت الّذي أخذ خاتمك وأباه وأمّه وعمّه وخاله، ولقد قال لي: اكتب لي، فقلت له: إنّ قلمي لا يجري بالجور، فقال: اجلس ولا تكتب، فكنت أجلس ولا أكتب شيئاً، ولكن أخبرني عنك يا سليمان صرت تحبّ الهدهد وهو أخسّ الطير منتناً وأخبثه ريحاً، قال: إنّه يبصر الماء من وراء الصفا الأصمّ. فقال: وكيف يبصر الماء من وراء الصفا وإنّما يوارى عنه الفخّ بكفّ من تراب حتّى يأخذ بعقبه؟ فقال سليمان: قف يا وقاف إنّه إذا جاء القدر حال دون البصر(١).

بيان: قوله: (حتّى يأخذ بعقبه) أي يأخذ الفخّ برجله، وفي بعض النسخ: بعنقه، وفي بعضها: رقبته، أي يأخذ الفخّ أو الصائد رقبته.

وقال الفيروزآباديّ: الوقّاف: المتأنّي. والمحجم عن القتال.

أقول: ما ذكره عليّ بن إبراهيم في تأويل تلك الآيات كلّها موافقة لروايات المخالفين، وإنّما أوّلها علماؤنا على وجوه أخر: قال الصدوق رحمه الله في الفقيه: قال زرارة والفضيل: قلنا لأبي جعفر عليه السلام: أرأيت قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾؟ قال: يعني كتاباً مفروضاً، وليس يعني وقت فوتها إن جاز ذلك الوقت ثمّ صلاّها لم تكن صلاة مؤدّاة، ولو كان ذلك كذلك لهلك سليمان بن داود عليه السلام حين صلاّها بغير وقتها، ولكنه متى ذكرها صلاّها.

ثمّ قال رحمه الله: إنّ الجهّال من أهل الخلاف يزعمون أنّ سليمان عليه السلام اشتغل ذات يوم بعرض الخيل حتّى توارت الشمس بالحجاب، ثمّ أمر بردّ الخيل وأمر بضرب سوقها وأعناقها، وقال: إنّها شغلتني عن ذكر ربّي، وليس كما يقولون، جلّ نبيّ الله سليمان عليه السلام عن مثل هذا الفعل، لأنّه لم يكن للخيل ذنب فيضرب سوقها وأعناقها لأنّها لم تعرض نفسها عليه ولم تشغله، وإنّما عرضت عليه وهي بهائم غير مكلّفة.

والصحيح في ذلك ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ سليمان بن داود عليه السلام عرض عليه ذات يوم بالعشيّ الخيل، فاشتغل بالنظر إليها حتّى توارت الشمس بالحجاب فقال للملائكة: ردّوا الشمس عليّ حتّى أصلّي صلاتي في وقتها، فردّوها، فقام فطفق مسح ساقيه وعنقه، وأمر أصحابه الّذين فاتتهم الصلاة معه بمثل ذلك، وكان ذلك وضوؤهم للصلاة، ثمّ

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٠٧.

قام فصلّى فلمّا فرغ غابت الشمس وطلعت النجوم، وذلك قول الله عزّوجلّ : ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله : ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ وقد أخرجت هذا الحديث مسنداً في كتاب الفوائد انتهى[1].

وقال الطبرسيّ رحمه الله : ﴿الصَّافِنَاتُ﴾: الخيل الواقفة على ثلاث قوائم، الواضعة أطراف السنبك الرابع على الأرض ﴿الْجِيَادُ﴾: السريعة المشي، الواسعة الخطو، قال مقاتل: إنّه ورث من أبيه ألف فرس، وكان أبوه قد أصاب ذلك من العمالقة؛ وقال الكلبيّ غزا سليمان دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس؛ وقال الحسن: كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة، وقال: المراد بالخير الخيل هنا، فإنّ العرب تسمّي الخيل الخير؛ وقيل: معناه حبّ المال، وكان سليمان عليه السلام قد صلّى الصلاة الأولى وقعد على كرسيّه والخيل تعرض عليه حتّى غابت الشمس.

وفي روايات أصحابنا أنّه فاته أوّل الوقت؛ وقال الجبّائيّ: لم يفته الفرض، وإنّما فاته نفل كان يفعله آخر النهار لاشتغاله بالخيل؛ وقيل: إنّ ذكر ربّي كناية عن كتاب التوراة انتهى[2].

ولنذكر بعض ما ذكر من وجوه التأويل في تلك الآيات: قال السيّد المرتضى قدّس الله روحه: ظاهر الآية لا يدلّ على إضافة قبيح إلى النبيّ، والرواية إذا كانت مخالفة لما تقتضيه الأدلّة لا يلتفت إليها لو كانت قويّة ظاهرة، فكيف إذا كانت ضعيفة واهية؟! والّذي يدلّ على ما ذكرناه على سبيل الجملة أنّ الله تعالى ابتدأ الآية بمدحه والثناء عليه، فقال: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ وليس يجوز أن يثني عليه بهذا الثناء ثمّ يتبعه من غير فصل بإضافة القبيح إليه، وأنّه تلهّى بعرض الخيل عن فعل المفروض عليه من الصّلاة، والّذي يقتضيه الظاهر أنّ حبّه للخيل وشغفه بها كان عن إذن ربّه وأمره وبتذكيره إيّاه، لأنّ الله تعالى قد أمرنا بارتباط الخيل وإعدادها لمحاربة الأعداء، فلا ينكر أن يكون سليمان عليه السلام مأموراً بمثل ذلك انتهى[3].

ثمّ اعلم أنّهم اختلفوا في مرجع الضمير في قوله: ﴿تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ إذ يجوز بحسب ظاهر اللّفظ إرجاع الضميرين إلى الشمس وإن لم يجر لها ذكر بقرينة المقام ولذكر ما له تعلّق بها وهو العشيّ وإلى الخيل والأوّل إلى الشمس والثاني إلى الخيل وبالعكس فقيل بإرجاعهما جميعاً إلى الشمس كما مرّ فيما رواه الصدوق، وروى الطبرسيّ رحمه الله عن ابن عبّاس أنّه قال: سألت عليّاً عليه السلام عن هذه الآية، فقال: ما بلغك فيها يا ابن عبّاس؟ فقلت: سمعت كعباً يقول: اشتغل سليمان بعرض الأفراس حتّى فاتته الصلاة، فقال: ردّوها عليّ يعني الأفراس، وكانت أربعة عشر فأمر بضرب سوقها وأعناقها

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ١ ح ٦٠٦ و٦٠٧.

(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٥٨.

(٣) تنزيه الأنبياء، ص ٩٣.

بالسيف فقتلها، فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً لأنّه ظلم الخيل بقتلها. فقال عليّ عليه السلام: كذب كعب، لكن اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم لأنّه أراد جهاد العدوّ حتّى توارت الشمس بالحجاب، فقال بأمر الله تعالى للملائكة الموكّلين بالشمس: ردّوها عليّ، فردّت فصلّى العصر في وقتها، وإنّ أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم لأنّهم معصومون مطهّرون[1].

وقيل: بإرجاعهما معاً إلى الخيل وفيه وجهان: الأوّل أنّه أمر بإجراء الخيل حتّى غابت عن بصره فأمر بردّها فمسح سوقها وأعناقها صيانة لها وإكراماً لما رأى من حسنها، فمن عادة من عرضت عليه الخيل أن يمرّ يده على أعرافها وأعناقها وقوائمها، ويمكن أن يكون الغرض من ذلك المسح بيان أنّ إكرامها وحفظها ممّا يرغب فيه، لكونها من أعظم الأعوان على دفع العدوّ، أو أنّه أراد أن يظهر أنّه في ضبط السياسة والملك يتصنّع إلى حيث يباشر أكثر الأمور بنفسه، أو أنّه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها فكان يمسحها ويمسح سوقها وأعناقها حتّى يعلم هل فيها ما يدلّ على المرض.

الثاني: أن يكون المسح ههنا هو الغسل فإنّ العرب تسمّي الغسل مسحاً، فكأنّه لمّا رأى حسنها أراد صيانتها وإكرامها فغسل قوائمها وأعناقها.

وقيل: بإرجاع الأوّل إلى الشمس والثاني إلى الخيل وهذا يحتمل وجوهاً:

الأوّل: ما ذكره السيّد رحمه الله أنّ المراد أنّه عرقبها ومسح سوقها وأعناقها بالسيف من حيث شغلته عن النافلة، ولم يكن ذلك على سبيل العقوبة لها، لكن حتّى لا يتشاغل في المستقبل بها عن الطاعات، لأنّ للإنسان أن يذبح فرسه لأكل لحمه، فكيف إذا انضاف إلى ذلك وجه آخر لحسنه.

وقد قيل: إنّه يجوز أن يكون لمّا كانت الخيل أعزّ ماله أراد أن يكفّر عن تفريطه في النافلة بذبحها والتصدّق بلحمها على المساكين، قالوا: فلمّا رأى حسن الخيل وراقته وأعجبته أراد أن يتقرّب إلى الله بالمعجب له الرائق في عينه، ويشهد بصحّة هذا المذهب قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2].

الثاني: أنّه مسح سوقها وأعناقها وجعلها مسبّلة في سبيل الله.

الثالث: أن يكون قوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ بياناً لغاية عرض الخيل واستعادته بها، من غير أن يكون فات عنه بسببها شيء، وإنّما أمر بردّها إكراماً لها كما مرّ، وعلى هذا فقوله. ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ يحتمل وجهين ذكرهما الرازيّ في تفسيره.

الأوّل: أن يضمن أحببت معنى فعل يتعدّى بعن، كأنّه قيل: أبنت حبّ الخير عن ذكر ربّي وهو التوراة، لأنّ ارتباط الخيل كما أنّه في القرآن ممدوح فكذلك في التوراة ممدوح.

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٥٩.

(٢) تنزيه الأنبياء، ص ٩٤.

الثاني: أنّ الإنسان قد يحبُّ شيئاً ولكنّه لا يحبّ أن يحبّه، كالمريض الّذي يشتهي ما يضرّه في مرضه، وأمّا من أحبّ شيئاً وأحبّ أن يحبّه كان ذلك غاية المحبّة فقوله. ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي أحببت حبّي لهذه الخيل، ثمّ قال: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ بمعنى أنّ هذه المحبّة الشديدة إنّما حصلت عن ذكر الله وأمره لا عن الشهوة والهوى، وأمّا الاحتمال الرابع فلم يقل به أحد وإن أمكن توجيهه ببعض الوجوه السابقة، فإذا أحطت خبراً بما حكيته لك علمت أنّه يمكن تأويلها بوجوه كثيرة لا يتضمّن شيء منها إثبات ذنب له عليه السلام.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ فاختلف العلماء في فتنته وزلّته والجسد الّذي ألقي على كرسيّه على أقوال:

الأوّل: ما ذكره الرازيّ عن بعض رواة المخالفين أنّ سليمان بلغه خبر مدينة في البحر، فخرج إليها بجنوده تحمله الريح فأخذها وقتل ملكها وأخذ بنتاً له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهاً، فاصطفاها لنفسه وأسلمت فأحبّها، وكانت تبكي على أبيها فأمر سليمان الشيطان فمثّل لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته، وكانت تذهب إلى تلك الصورة بكرة وعشيّاً مع جواريها يسجدن له، فأخبر آصف سليمان بذلك، فكسر الصورة وعاقب المرأة، ثمّ خرج وحده إلى بلاده وفرش الرماد وجلس عليه تائباً إلى الله تعالى، وكانت له أمّ ولد يقال لها أمينة، إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها، فوضعه عندها يوماً وأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وقال: يا أمينة خاتمي، فتختّم به وجلس على كرسيّ سليمان، فأتاه الطير والجنّ والإنس وتغيّرت هيئة سليمان، فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته فطردته، فعرف أنّ الخطيئة قد أدركته، فكان يدور على البيوت ويتكفّف وإذا قال: أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبّوه، ثمّ أخذ يخدم الصيّادين ينقل لهم السمك فيعطونه كلّ يوم سمكتين، فمكث على هذه الحالة أربعين يوماً عدد ما عبد الوثن في بيته، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن: ما يدع امرأة منّا في دمها، ولا يغتسل من جنابة، وقيل: كان نفذ حكمه في كلّ شيء إلاّ فيهنّ، ثمّ طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختّم به ووقع ساجداً لله ورجع إلى ملكه وأخذ ذلك الشيطان فحبسها في صخرة وألقاها في البحر، فهؤلاء قالوا: قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ هو جلوس ذلك الشيطان على كرسيّه عقوبة له، ثمّ قال: واعلم أنّ أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه:

الأوّل: أنّ الشيطان لو قدر على أن يتشبّه بالصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء قطعاً، فلعل هؤلاء الّذين رأوهم النّاس في صورة محمّد وموسى وعيسى عليهم السلام ما كانوا أولئك، بل كانوا شياطين تشبّهوا بهم في الصورة، ومعلوم أنّ ذلك يبطل الدين بالكلّيّة.

الثاني: أنّ الشيطان لو قدر على أن يعامل نبيّ الله تعالى بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر

على مثلها مع جميع العلماء والزهّاد، وحينئذ وجب أن يقتلهم ويمزق تصانيفهم ويخرّب ديارهم. الثالث: كيف يليق بحكمة الله وإحسانه أن يسلّط الشيطان على أزواج سليمان، ولا شك أنّه قبيحٌ. الرابع: لو قلنا: إنّ سليمان عليه‌السلام أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه، وإن لم يأذن فيه فالذنب على تلك المرأة، فكيف يؤاخذ الله سليمان عليه‌السلام بفعل لم يصدر عنه؟[1]!

وقال السيّد قدّس الله روحه: أمّا ما رواه القصّاص الجهّال في هذا الباب فليس ممّا يذهب على عاقل بطلانه، وأنّ مثله لا يجوز على الأنبياء عليهم‌السلام، وأنّ النبوّة لا تكون في خاتم يسلبها الجنّيّ، وأنّ الله تعالى لا يمكّن الجنّيّ من التمثّل بصورة النبيّ ولا غير ذلك ممّا افتروا به على النبيّ[2].

أقول: ثمّ ذكر رحمه‌الله وجوهاً ذكر الطبرسيّ رحمة الله عليه مختصراً منها مع غيرها، منها: أنّ سليمان عليه‌السلام قال يوماً في مجلسه: لأطوفنّ اللّيلة على سبعين امرأة تلد كلّ امرأة منهنّ غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهنّ فلم تحمل منهنّ إلاّ امرأة واحدة جاءت بشقّ ولد، رواه أبو هريرة عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: ثمّ قال: فوالّذي نفس محمّد بيده لو قال: «إن شاء الله» لجاهدوا في سبيل الله فرساناً، فالجسد الّذي أُلقي على كرسيّه كان هذا، ثمّ أناب إلى الله تعالى وفزع إلى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع إليه سبحانه، وهذا لا يقتضي أنّه وقع منه معصية صغيرة ولا كبيرة، لأنّه عليه‌السلام وإن لم يستثن ذكره لفظاً فلا بدّ من أن يكون استثناه ضميراً واعتقاداً، إذ لو كان قاطعاً للقول بذلك لكان مطلقاً لما لا يأمن أن يكون كذباً إلاّ أنّه لمّا لم يذكر لفظة الاستثناء عوتب على ذلك من حيث ترك ما هو مندوب إليه.

ومنها ما روي أنّ الجنّ والشياطين لمّا ولد لسليمان عليه‌السلام ابن قال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لنلقينّ منه ما لقينا من أبيه من البلاء، فأشفق عليه‌السلام منهم عليه، فاسترضعه في المزن وهو السحاب، فلم يشعر إلاّ وقد وضع على كرسيّه ميّتاً تنبيهاً على أنّ الحذر لا ينفع عن القدر، وإنّما عوتب عليه‌السلام على خوفه من الشياطين، عن الشعبيّ وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه‌السلام. ومنها أنّه ولد له ميّت جسد بلا روح فأُلقي على سريره، عن الجبّائيّ.

ومنها أنّ الجسد المذكور هو جسد سليمان لمرض امتحنه الله تعالى به، وتقدير الكلام: وألقيناه على كرسيّه جسداً لشدّة المرض، فيكون جسداً منصوباً على الحال، والعرب يقول في الإنسان إذا كان ضعيفاً: هو جسد بلا روح ولحم على وضم ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي رجع إلى حال الصحّة، عن أبي مسلم. وأمّا ما ذكر عن ابن عبّاس أنّه أُلقي شيطان اسمه صخر على كرسيّه وكان مارداً عظيماً لا يقوى عليه جميع الشياطين، وكان نبيّ الله سليمان لا يدخل الكنيف

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٦ المجلد ٩ ص ٢٩٠-٢٩٣. (٢) تنزيه الأنبياء، ص ٩٥.

بخاتمه، فجاء صخر في صورة سليمان حتّى أخذ الخاتم من امرأة من نسائه، وأقام أربعين يوماً في ملكه وسليمان هارب، وعن مجاهد أنّ شيطاناً اسمه آصف قال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أُخبرك بذلك، فلمّا أعطاه إيّاه نبذه في البحر فذهب ملكه، وقعد الشيطان على كرسيّه ومنعه الله تعالى نساء سليمان فلم يقربهنّ، وكان سليمان يستطعم فلا يطعم حتّى أعطته امرأته يوماً حوتاً فشقّ بطنه فوجد خاتمه فيه فردّ الله ملكه، وعن السدّيّ أنّ اسم ذلك الشيطان خيفيق، وما ذكر أنّ السبب في ذلك أنّ الله سبحانه أمره أن لا يتزوّج في غير بني إسرائيل فتزوّج من غيرهم، وقيل: بل السبب فيه أنّه وطئ امرأة في حال الحيض فسال منها الدم فوضع خاتمه ودخل الحمّام فجاء الشيطان وأخذه، وقيل: تزوّج امرأة مشركة ولم يستطع أن يكرهها على الإسلام فعبدت الصنم في داره أربعين يوماً فابتلاه الله بحديث الشيطان والخاتم أربعين يوماً، وقيل: احتجب ثلاثة أيّام ولم ينظر في أمر الناس فابتلي بذلك فإنّ جميع ذلك ممّا لا يعوّل عليه، لأنّ النبوّة لا تكون في الخاتم ولا يجوز أن يسلبها الله النبيّ ولا أن يمكّن الشيطان من التمثّل بصورة النبيّ والقعود على سريره والحكم بين عباده، وبالله التوفيق[1].

٩ - باب قصته عليه السلام مع بلقيس

الآيات: النمل «٢٧»: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٦٠.

وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

١ - **ختص**: أحمد بن محمّد وفضالة، عن أبان، عن أبي بصير وزرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما زاد العالم على النظر إلى ما خلفه وما بين يديه مدّ بصره ثمّ نظر إلى سليمان عليه السلام ثمّ مدّ بيده فإذا هو ممثّل بين يديه(١).

٢ - وذكر عليّ بن مهزيار، عن أحمد بن محمّد، عن حمّاد بن عثمان، عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما زاد صاحب سليمان على أن قال بإصبعه هكذا، فإذا هو قد جاء بعرش صاحبة سبأ، فقال له حمران: كيف هذا أصلحك الله؟ فقال: إنّ أبي كان يقول: إنّ الأرض طويت له إذا أراد طواها(٢).

٣ - **فس**: كان سليمان عليه السلام إذا قعد على كرسيّه جاءت جميع الطير الّتي سخّرها الله لسليمان فتظلّ الكرسيّ والبساط بجميع من عليه من الشمس، فغاب عنه الهدهد من بين الطير فوقعت الشمس من موضعه في حجر سليمان، فرفع رأسه، وقال كما حكى الله: ﴿مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ إلى قوله: ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي بحجّة قويّة، فلم يمكث إلاّ قليلاً إذ جاء الهدهد فقال له سليمان: أين كنت؟ قال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي بخبر صحيح ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ و هذا ممّا لفظه عامّ ومعناه خاصّ، لأنّها لم تؤت أشياء كثيرة منها الذكر واللّحية، ثمّ قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ثمّ قال الهدهد: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي المطر وفي ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ النبات ثمّ قال سليمان: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ إلى قوله: ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ فقال الهدهد: إنّها في عرش عظيم أي سرير، فقال سليمان: ألق الكتاب على قبّتها، فجاء الهدهد فألقى الكتاب في حجرها فارتاعت من ذلك وجمعت جنودها وقالت لهم كما حكى الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ أي مختوم ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي لا تتكبّروا عليّ، ثمّ قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ قالوا لها كما حكى الله: ﴿نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ فقالت لهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ثمّ قالت: إن كان هذا نبيّاً من عند الله كما يدّعي فلا طاقة لنا به، فإنّ الله لا يُغلب، ولكن سأبعث إليه

(١) - (٢) الاختصاص، ص ٢٧٠.

بهديّة فإن كان ملكاً يميل إلى الدنيا قبلها وعلمت أنّه لا يقدر علينا، فبعثت إليه حقّاً فيه جوهرة عظيمة، وقالت للرسول: قل له: يثقب هذه الجوهرة بلا حديد ولا نار، فأتاه الرسول بذلك فأمر سليمان عليه السلام بعض جنوده من الديدان فأخذ خيطاً في فمه ثمّ ثقبها وأخرج الخيط من الجانب الآخر وقال سليمان لرسولها: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي لا طاقة ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ فرجع إليها الرسول فأخبرها بذلك وبقوّة سليمان فعلمت أنّه لا محيص لها، فارتحلت وخرجت نحو سليمان، فلمّا أخبر الله سليمان بإقبالها نحوه قال للجنّ والشياطين: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ من عفاريت الجن: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ قال سليمان: أريد أسرع من ذلك، فقال آصف بن برخيا: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فدعا الله باسمه الأعظم فخرج السرير من تحت كرسيّ سليمان بن داود عليه السلام فقال سليمان: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي غيروه ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ وكان سليمان قد أمر أن يتّخذ لها بيت من قوارير ووضعه على الماء، ثمّ قيل لها: ﴿ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ فظنّت أنّه ماء فرفعت ثوبها وأبدت ساقيها فإذا عليها شعر كثير، فقيل لها: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فتزوّجها سليمان وهي بلقيس بنت الشرح الجبيريّة، وقال سليمان للشياطين: اتّخذوا لها شيئاً يذهب هذا الشعر عنها، فعملوا الحمّامات وطبخوا النورة فالحمّامات والنورة ممّا اتّخذته الشياطين لبلقيس، وكذا الأرحية الّتي تدور على الماء.

وقال الصادق عليه السلام: أعطي سليمان بن داود عليه السلام مع علمه معرفة المنطق بكلّ لسان ومعرفة اللّغات ومنطق الطير والبهائم والسباع، فكان إذا شاهد الحروب تكلّم بالفارسيّة وإذا قعد لعمّاله وجنوده وأهل مملكته تكلّم بالروميّة، فإذا خلا مع نسائه تكلّم بالسريانيّة والنبطيّة، وإذا قام في محرابه لمناجاة ربّه تكلّم بالعربيّة، وإذا جلس للوفود والخصماء تكلّم بالعبرانيّة قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يقول: لأنتفنّ ريشه، قوله: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ يقول: لا تعظموا عليّ، قوله: ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ يقول: لا طاقة لهم بها، وقول سليمان: ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ﴾ الّذي آتاني من الملك ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ إذا رأيت من هو دوني أفضل منّي علماً، فعزم الله له على الشكر (١).

٤ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زاهر أو غيره، عن محمّد بن حمّاد، عن أخيه أحمد بن حمّاد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبيّ صلى الله عليه وآله ورث النبيّين كلّهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتّى انتهى

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٠٣.

إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبيّاً إلاّ ومحمّد ﷺ أعلم منه قال: قلت: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله، قال: صدقت، وسليمان بن داود عليه السلام كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله ﷺ يقدر على هذه المنازل، قال: فقال: إنّ سليمان بن داود عليه السلام قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره فقال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ حين فقده فغضب عليه فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وإنّما غضب لأنّه كان يدلّه على الماء فهذا وهو طائر قد أعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والجنّ والإنس والشياطين والمردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه، وإنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وقد ورثنا نحن هذا القرآن الّذي فيه ما تسيّر به الجبال، وتقطّع به البلدان وتحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإنّ في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلاّ أن يأذن الله به، الخبر[1].

بيان: تحت الهواء لعلّ المراد منه تحت الأرض كما سيأتي، فإنّ الأرض أيضاً تحت الهواء، أو المراد معرفته حين كونهم على البساط في الهواء.

٥ - **كا:** محمّد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن محمّد بن الفضيل، عن شريس الوابشيّ، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس[2] حتّى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة العين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله تبارك وتعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم[3].

٦ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله، عن عليّ ابن محمّد النوفليّ، عن أبي الحسن العسكريّ عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، كان عند آصف حرف فتكلّم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتّى صيّره إلى سليمان، ثمّ انبسطت الأرض في أقلّ من طرفة عين[4].

٧ - **ير:** أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن محمّد بن الفضيل، عن سعد أبي عمر

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ١٢٩ باب ان الأئمة ورثوا علم النبي ح ٧.

(٢) قال الراوندي في الخرائج ج ١ ص ١٨: كان سليمان حينئذ ببيت المقدّس، فقال وصيّه: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ وكان بين بيت المقدّس والموضع الذي فيه عرشها باليمن مسيرة خمسمائة فرسخ ذاهباً وخمسمائة فرسخ راجعً فأتاه به وصيّه من هذه المسافة قبل أن يرتد إليه طرفه. مستدرك السفينه ج ١ لغة «اصف».

(٣) - (٤) أصول الكافي، ج ١ ص ١٣٢ باب ما اعطي الأئمة من الاسم الأعظم، ح ١ و ح ٢.

الجلّاب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثمّ تناول السرير بيده ثمّ عادت الأرض كما كان أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب المكتوب عنده[1].

٨ - **ير:** أحمد بن موسى، عن أحمد بن عبدوس الخليجيّ، عن عليّ بن الحكم، عن محمّد بن الفضيل، عن سعد أبي عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ اسم الله الأعظم على اثنين وسبعين حرفاً، وإنّما كان عند آصف كاتب سليمان عليه السلام وكان يوحي إليه حرف واحد ألف أو واو، فتكلّم فانخرقت له الأرض حتّى التقّت فتناول السرير، وإنّ عندنا من الاسم أحداً وسبعين حرفاً، وحرف عند الله في غيبه[2].

أقول: قد أوردنا بعض الأخبار في أبواب الإمامة، وبعضها في أبواب التوحيد.

٩ - **ير:** محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن محمّد بن الفضيل، عن ضريس الوابشيّ، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك قول العالم: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ قال: فقال: يا جابر إنّ الله جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، فكان عند العالم منها حرف واحد فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير حتّى التقّت القطعتان وحوّل من هذه على هذه، وعندنا من اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف في علم الغيب المكنون عنده[3].

١٠ - **كا:** عليّ بن محمّد بن بندار، عن السيّاريّ رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من أراد الاطلاء بالنورة فأخذ من النورة بإصبعه فشمّه وجعله على طرف أنفه وقال: «صلى الله على سليمان بن داود كما أمرنا بالنورة» لم تحرقه النورة[4].

١١ - **مل:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الأهوازيّ، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن ابن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ صاحب سليمان تكلّم باسم الله الأعظم فخسف ما بين سرير سليمان وبين العرش من سهولة الأرض وحزونتها حتّى التقت القطعتان فاجترّ العرش، قال سليمان: يخيّل إليّ أنّه خرج من تحت سريري، قال: ودحيت في أسرع من طرفة العين[5].

بيان: ظاهر أكثر تلك الأخبار أنّ الأرض الّتي كانت بينه وبين السرير انخسفت وتحرّكت الأرض الّتي كان السرير عليها حتّى أحضرته عنده. فإن قيل: كيف انخسفت الأبنية الّتي

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٢٠٥ ج ٤ باب ١٢ ح ٨.
(٢) - (٣) بصائر الدرجات، ص ٢٠٥ ج ٤ باب ١٢ ح ٩ و٦.
(٤) الكافي، ج ٦ ص ١١٧٣ باب ٣٨٦ ح ١٣. (٥) كامل الزيارات، ص ١٢٨ باب ١٧ ح ١.

كانت عليها؟ قلنا: يحتمل أن تكون تلك الأبنية تحرّكت بأمره تعالى يميناً وشمالاً، وكذا ما عليها من الحيوانات والأشجار وغيرها، ويمكن أن يكون حركة السرير من تحت الأرض بأن غار في الأرض وطويت وتكاثفت الطبقة التحتانيّة حتّى خرج من تحت سريره ثمّ دحيت تلك الطبقة من تحت الأرض.

١٢ - **ختص:** محمّد بن عليّ، عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان الأحمر قال: قال الصادق عليه السلام: يا أبان كيف تنكر الناس قول أمير المؤمنين عليه السلام لمّا قال: «لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربت بها صدر ابن أبي سفيان بالشام فنكسته عن سريره» ولا ينكرون تناول آصف وصيّ سليمان عرش بلقيس وإتيانه سليمان به قبل أن يرتدّ إليه طرفه؟ أليس نبيّنا صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء ووصيّه أفضل الأوصياء؟ أفلا جعلوه كوصيّ سليمان عليه السلام؟ حكم الله بيننا وبين من جحد حقّنا وأنكر فضلنا[1].

أقول: قال الشيخ أمين الدين الطبرسيّ برد الله مضجعه في قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ أي طلبه عند غيبته ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أي ما للهدهد لا أراه؟ واختلف في سبب تفقّده فقيل: إنّه احتاج إليه في سفره ليدلّه على الماء، يقال: إنّه يرى الماء في بطن الأرض كما نراه في القارورة، عن ابن عبّاس، وروى العيّاشيّ بالإسناد قال: قال أبو حنيفة لأبي عبد الله عليه السلام: كيف تفقّد سليمان الهدهد من بين الطير؟ قال: لأنّ الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن في القارورة. فنظر أبو حنيفة إلى أصحابه وضحك! فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما يضحكك؟ قال: ظفرت بك جعلت فداك؟ قال: وكيف ذاك؟ قال: الّذي يرى الماء في بطن الأرض لا يرى الفخّ في التراب حتّى تأخذ بعنقه؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا نعمان أما علمت أنّه إذا نزل القدر أغشى البصر.

وقيل: إنّما تفقّده لإخلاله بنوبته، عن وهب؛ وقيل: كانت الطيور تظلّه من الشمس فلمّا أخلّ الهدهد بمكانه بان بطلوع الشمس عليه ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ معناه: أتأخر عصياناً أم غاب لعذر وحاجة؟ قال المبرّد: لمّا تفقّد سليمان الطير ولم ير الهدهد قال: ما لي لا أرى الهدهد؟ على تقدير أنّه مع جنوده وهو لا يراه، ثمّ أدركه الشكّ فشكّ في غيبته عن ذلك الجمع بحيث لم يره فقال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ أي بل أكان من الغائبين؟ كأنّه ترك الكلام الأوّل واستفهم عن حاله وغيبته، ثمّ أوعده على غيبته فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي بنتف ريشه وإلقائه في الشمس، عن ابن عبّاس وقتادة ومجاهد؛ وقيل: بأن أجعله بين أضداده، وكما صحّ نطق الطير وتكليفه في زمانه معجزة له جازت معاتبته على ما وقع منه من تقصير فإنّه كان مأموراً بطاعته فاستحقّ العقاب على غيبته ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ أو لأقطعنّ حلقه عقوبة له على عصيانه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي بحجّة واضحة تكون عذراً له في الغيبة ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ

(١) الاختصاص، ص ٢١٢.

بَعِيدٍ﴾ أي فلم يلبث سليمان إلاّ زماناً يسيراً حتّى جاء الهدهد؛ وقيل: معناه: فلبث الهدهد في غيبته قليلاً ثمّ رجع، وعلى هذا فيجوز أن يكون التقدير: فمكث في مكان غير بعيد، قال ابن عبّاس: فأتاه الهدهد بحجّة فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي اطلعت على ما لم تطّلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي بخبر صادق، وسبأ: مدينة بأرض اليمن، عن قتادة؛ وقيل: إنّ الله بعث إلى سبأ اثني عشر نبيّاً، عن السدّيّ.

وروى علقمة عن ابن عبّاس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن سبأ فقال: هو رجل[1] ولد له عشرة من العرب تيامن منهم ستّة، وتشاءم منهم أربعة، فالذين تشاءموا: لخم وجذام، وغسّان، وعاملة؛ والّذين تيامنوا: كندة، والأشعرون، والأزد وحمير، ومذحج، وأنمار، ومن الأنمار خثعم، وبجيلة ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي تتصرّف فيهم بحيث لا يعترض عليها أحد ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهذا إخبار عن سعة ملكها، أي من كلّ شيء من الأموال وما يحتاج إليه الملوك من زينة الدنيا، قال الحسن: وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ؛ وقيل: شرحيل ولدها أربعون ملكاً آخرهم أبوها، قال قتادة: وكان أولو مشورتها ثلاث مائة واثني عشر قيلاً، كلّ قيل منهم تحت رايته ألف مقاتل ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ أي سرير أعظم من سريرك، وكان مقدّمه من ذهب مرصّع بالياقوت الأحمر والزمرّد الأخضر، ومؤخّره من فضّة مكلّلة بألوان الجواهر، وعليه سبعة أبيات على كلّ بيت باب مغلق؛ وعن ابن عبّاس قال: كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، وطوله في الهواء ثلاثون ذراعاً، وقال أبو مسلم: المراد بالعرش الملك ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي عبادتهم للشمس من دون الله ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي صرفهم عن سبيل الحقّ ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ قرأ أبو جعفر والكسائيّ ورويس عن يعقوب «ألا يسجدوا» خفيفة اللاّم، والباقون بالتشديد، فعلى الأوّل إنّما هو على معنى الأمر بالسجود ودخلت الياء للتنبيه، أو على تقدير ألا يا قوم اسجدوا لله؛ وقيل: إنّه أمر من الله تعالى لجميع خلقه بالسجود له؛ وقيل: إنّه من كلام الهدهد قاله لقوم بلقيس حين وجدهم يسجدون لغير الله، أو قاله لسليمان عند عوده إليه استنكاراً لما وجدهم عليه، والقراءة بالتشديد على معنى زيّن لهم الشيطان ضلالتهم لئلاّ يسجدوا لله ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الخبء: المخبوء، وهو ما أحاط به غيره حتّى منع من إدراكه، وما يوجده الله فيخرجه من العدم إلى الوجود يكون بهذه المنزلة؛ وقيل: الخبء: الغيب؛ وقيل: إنّ خبء السماوات المطر،

---

(١) أقول: لا تنافي لأنّه من الممكن أن يكون سبأ اسم رجل، ثمّ صار اسماً للقرية. في المجمع: سبأ أبوعرب اليمن كلّها، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ثمّ سمّيت مدينة مأرب المسمّاة بمأرب سبأ وهو قرب اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال. ويقال: سبأ مدينة بلقيس باليمن وهي ملكة سبأ؛ انتهى. [النمازي].

وخبء الأرض النبات والأشجار ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي يعلم السرّ والعلانية ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ من كلام الهدهد، أو ابتداء إخبار من الله تعالى، فلمّا سمع سليمان ما اعتذر به الهدهد في تأخره ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ثمّ كتب سليمان عليه السلام كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إليه فذلك قوله: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ يعني إلى أهل سبأ ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي استتر منهم قريباً بعد إلقاء الكتاب إليهم ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي يرجع بعضهم إلى بعض من القول، فمضى الهدهد بالكتاب فألقاه إليهم فلمّا رأته بلقيس ﴿قَالَتْ﴾ لقومها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ أي أيها الأشراف ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ قال قتادة: أتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها، فألقى الكتاب على نحرها فقرأت الكتاب؛ وقيل: كانت لها كوّة مستقبلة للشمس تقع الشمس عندما تطلع فيها، فإذا نظرت إليها سجدت، فجاء الهدهد إلى الكوّة فسدّها بجناحه، فارتفعت الشمس ولم تعلم، فقامت تنظر فرمى الكتاب إليها، عن وهب وابن زيد؛ فلمّا أخذت الكتاب جمعت الأشراف وهم ثلاثمائة واثنا عشر قبيلاً، ثمّ قالت لهم: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ سمّته كريماً لأنّه كان مختوماً عن ابن عبّاس، ويؤيّده الحديث: إكرام الكتاب ختمه. وقيل: وصفته بالكريم لأنّه صدّره ببسم الله الرحمن الرحيم؛ وقيل: لحسن خطّه وجودة لفظه وبيانه؛ وقيل: لأنّه كان ممّن يملك الإنس والجنّ والطير، وقد كانت سمعت بخبر سليمان فسمّته كريماً لأنّه من كريم رفيع الملك عظيم الجاه ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ معناه أنّ الكتاب من سليمان وأنّ المكتوب فيه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فإنّ هذا القدر جملة ما في الكتاب ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ اي أشيروا عليّ بالصواب ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ أي ما كنت ممضية أمراً حتّى تحضرون، وهذا ملاطفة منها لقومها، قالوا لها في الجواب: ﴿نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ﴾ أي أصحاب قوّة وقدرة وأهل عدد ﴿وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي وأصحاب شجاعة شديدة ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ أي أنّ الأمر مفوّض إليك في القتال وتركه ﴿فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ أي ما الّذي تأمريننا به لنمتثله؛ فإن أمرت بالصلح صالحنا وإن أمرت بالقتال قاتلنا، قالت مجيبة لهم عن التعريض بالقتال: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ أي إذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة أهلكوها وخرّبوها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ أي أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر، والمعنى أنّها حذّرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم وانتهى الخبر عنها وصدّقها الله فيما قالت فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي وكما قالت هي ﴿يَفْعَلُونَ﴾ وقيل: إنّ الكلام متّصل بعضه ببعض ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من قولها ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم﴾ أي إلى سليمان عليه السلام وقومه ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾ أصانعه بذلك عن ملكي ﴿فَنَاظِرَةٌ﴾ أي منتظرة ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ بقبول أم ردّ، وإنّما فعلت ذلك لأنّها عرفت عادة الملوك في حسن موقع الهدايا عندهم، وكان غرضها أن يتبيّن لها بذلك أنّه ملك أو نبيّ، فإن قبل الهديّة تبيّن أنّه ملك وعندها ما يرضيه، وإن ردّها تبيّن أنّه نبيّ.

واختلف في الهديّة فقيل: أهدت إليه وصفاء ووصائف ألبستهم لباساً واحداً حتّى لا يعرف ذكر من أنثى، عن ابن عبّاس؛ وقيل: أهدت مائتي غلام ومائتي جارية ألبست الغلمان لباس الجواري وألبست الجواري لباس الغلمان، عن مجاهد؛ وقيل: أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج، فلمّا بلغ ذلك سليمان عليه السلام أمر الجنّ فموّهوا له الآجرّ بالذهب ثمّ أمر به فأُلقي في الطريق، فلمّا جاؤوا رأوه ملقى في الطريق في كلّ مكان فلمّا رأوا ذلك صغر في أعينهم ما جاؤوا به، عن ثابت البنانيّ؛ وقيل: إنّها عمدت إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجواري الأقبية والمناطق وألبست الغلمان في سواعدهم أساور من ذهب، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب، وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً مرصّعات بأنواع الجواهر، وحملت الجواري على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون، على كلّ فرس لجام من ذهب مرصّع بالجواهر، وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضّة، وتاجاً مكلّلاً بالدرّ والياقوت المرتفع، وعمدت إلى حقّة فجعلت فيها درّة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعيّة مثقوبة معوجة الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها اسمه المنذر بن عمرو وضمت إليه رجالاً من قومها أصحاب رأي وعقل، وكتبت إليه كتاباً بنسخة الهديّة، قالت فيها: إن كنت نبيّاً فميّز بين الوصفاءِ والوصائف، وأخبر بما في الحقّة قبل أن تفتحها، واثقب الدرّة ثقباً مستوياً، وأدخل الخرزة خيطاً من غير علاج إنس ولا جنّ؛ وقالت للرسول: انظر إليه إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظر غضب فاعلم أنّه ملك، فلا يهولنّك أمره، فأنا أعزّ منه، وإن نظر إليك نظر لطف فاعلم أنّه نبيّ مرسل.

فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر، فأمر سليمان الجنّ أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضّة ففعلوا، ثمّ أمرهم أن يبسطوا من موضعه الّذي هو فيه إلى بضع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضّة، وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفها من الذهب والفضّة ففعلوا، ثمّ قال للجنّ: عليّ بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان ويساره، ثم قعد سليمان عليه السلام في مجلسه على سريره، ووضع له أربعة آلاف كرسيّ عن يمينه ومثلها عن يساره، وأمر الشياطين أن يصطفّوا صفوفاً فراسخ، وأمر الإنس فاصطفّوا فراسخ، وأمر الوحش والسباع والهوامّ والطير فاصطفّوا فراسخ عن يمينه ويساره، فلمّا دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان تقاصرت إليهم أنفسهم، ورموا بما معهم من الهدايا، فلمّا وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام نظر إليهم نظراً حسناً بوجه طلق، وقال: ما وراءكم؟ فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا به، وأعطاه كتاب الملكة، فنظر فيه وقال: أين الحقّة؟ فأُتي بها فحرّكها، وجاءه جبرئيل فأخبره بما في الحقّة، وقال: إن فيها درّة يتيمة غير مثقوبة، وخرزة مثقوبة معوجة الثقب، فقال الرسول: صدقت، فاثقب الدرّة وأدخل الخيط في الخرزة، فأرسل سليمان عليه السلام إلى الأرضة فجاءت فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتّى خرجت من الجانب الآخر، ثمّ قال: من لهذه الخرزة يسلكها الخيط؟ فقالت دودة

بيضاء: أنا لها يا رسول الله، فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتّى خرجت من الجانب الآخر، ثمّ ميّز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثمّ تجعله على اليد الأخرى ثمّ تضرب به الوجه، والغلام يأخذ من الآنية يضرب به وجهه، وكانت الجارية تصبّ على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد، وكانت الجارية تصبّ الماء صبّاً وكان الغلام يحدر الماء على يده حدراً، فميّز بينهم بذلك؛ هذا كلّه مرويّ عن وهب وغيره. وقيل: إنّها أيضاً أنفذت مع هداياها عصا كانت تتوارثها ملوك حمير، وقالت: أريد أن تعرّفني رأسها من أسفلها، وبقدح ماء وقالت: تملأه ماء رواء ليس من الأرض ولا من السّماء، فأرسل سليمان العصا إلى الهواء وقال: أيّ الرأسين سبق إلى الأرض فهو أصلها، وأمر بالخيل فأجريت حتّى عرقت وملأ القدح من عرقها، وقال: هذا ليس من ماء الأرض ولا من ماء السّماء.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي فلمّا جاء الرسول سليمان ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ أي أتزيدونني مالاً؟ وهذا استفهام إنكار، يعني أنّه لا يحتاج إلى مالهم ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ أي ما أعطاني الله من الملك والنبوّة والحكمة خير ممّا أعطاكم من الدنيا وأموالها ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ إذا أهدى بعضكم إلى بعض، وأمّا أنا فلا أفرح بها، أشار إلى قلّة اكتراثه بأموال الدنيا، ثمّ قال سليمان للرسول: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما جئت به من الهدايا ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً﴾ أي من تلك القرية ومن تلك المملكة؛ وقيل: من أرضها وملكها ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أي ذليلون صغيرو القدر إن لم يأتوا مسلمين، فلمّا ردّ سليمان عليه السلام الهديّة وميّز بين الغلمان والجواري إلى غير ذلك علموا أنّه نبيّ مرسل وأنّه ليس كالملوك الّذين يغترّون بالأموال.

فلمّا رجع إليها الرسول وعرفت أنّه نبيّ وأنّها لا تقاومه فتجهّزت للمسير إليه وأخبر جبرئيل عليه السلام سليمان عليه السلام أنّها خرجت من اليمن مقبلة إليه قال سليمان لأماثل جنده وأشراف عسكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾.

واختلف في السبب الّذي خصّ العرش بالطلب على أقوال:

أحدها: أنّه أعجبته صفته، فأراد أن يراه، وظهر له آثار إسلامها فأحبّ أن يملك عرشها قبل أن تسلم فيحرم عليه أخذ مالها، عن قتادة؛ وثانيها: أنّه أراد أن يختبر بذلك عقلها وفطنتها، ويختبر هل تعرفه أو تنكره، عن ابن زيد؛ وقيل: أراد أن يجعل دليلاً ومعجزة على صدقه ونبوّته، لأنّها خلّفته في دارها وأوثقته ووكّلت به ثقات قومها يحرسونه ويحفظونه، عن وهب؛ وقال ابن عبّاس: كان سليمان عليه السلام رجلاً مهيباً لا يبتدئ بالكلام حتّى يكون هو الّذي يسأل عنه، فخرج يوماً وجلس على سريره فرأى رهجاً قريباً منه - أي غباراً - فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس يا رسول الله، فقال: وقد نزلت منّا بهذا المكان! وكان ما بين الكوفة والحيرة على قدر فرسخ، فقال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾.

وقوله: ﴿مُسْلِمِينَ﴾ فيه وجهان: أحدهما أنّه أراد مؤمنين موحّدين، والآخر مستسلمين منقادين على ما مرّ بيانه ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ أي مارد قويّ، عن ابن عبّاس ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَقَامِكَ﴾ أي من مجلسك الّذي تقضي فيه، عن قتادة ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ أي وإنّي على حمله لقويّ، وعلى الإتيان به في هذه المدّة قادر، وعلى ما فيه من الذهب والجواهر أمين، وفي هذا دلالة على أنّ القدرة قبل الفعل، لأنّه أخبر بأنّه قويّ عليه قبل أن يجيء به، وكان سليمان عليه السلام يجلس في مجلسه للقضاء غدوةً إلى نصف النهار، فقال سليمان عليه السلام: أريد أسرع من ذلك، فعند ذلك ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهو آصف بن برخيا وكان وزير سليمان وابن أخته، وكان صدّيقاً يعرف اسم الله الأعظم الّذي إذا دعي به أجاب، عن ابن عبّاس؛ وقيل: إنّ ذلك الاسم (الله) والذي يليه (الرحمن) وقيل: هو «يا حي يا قيوم» وبالعبرانيّة «اهيا شراهيا» وقيل: هو «يا ذا الجلال والإكرام» عن مجاهد؛ وقيل إنّه قال: يا إلهنا وإله كلّ شيء إلهاً واحداً لا إله إلاّ أنت، عن الزهريّ؛ وقيل: إنّ الّذي عنده علم من الكتاب كان رجلاً من الإنس يعلم اسم الله الأعظم اسمه بلخيا، عن مجاهد، وقيل: اسمه اسطوم، عن قتادة؛ وقيل: هو الخضر عليه السلام، عن أبي لهيعة؛ وقيل: إنّ الّذي عنده علم من الكتاب هو جبرئيل عليه السلام، أذن الله له في طاعة سليمان، وأن يأتيه بالعرش الّذي طلبه؛ وقال الجبّائيّ: هو سليمان عليه السلام قال ذلك للعفريت ليريه نعمة الله عليه، وهذا قول بعيد لم يؤثر عند أهل التفسير؛ وأمّا الكتاب المعرّف في الآية بالألف واللاّم فقيل: إنّه اللّوح المحفوظ؛ وقيل: إنّ المراد به جنس كتب الله المنزلة على أنبيائه وليس المراد به كتاباً بعينه، والجنس قد يعرّف بالألف واللاّم؛ وقيل: المراد به كتاب سليمان عليه السلام إلى بلقيس ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ اختلف في معناه، فقيل: يريد: قبل أن يصل إليك من كان منك على قدر مدّ البصر، عن قتادة؛ وقيل: معناه: قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته ويرجع إليك؛ قال سعيد بن جبير: قال لسليمان: انظر إلى السماء فما طرف حتّى جاء به فوضعه بين يديه، والمعنى: حتّى يرتدّ إليك طرفك بعد مدّه إلى السماء؛ وقيل: ارتداد الطرف إدامة النظر حتّى يرتدّ طرفه خاسئاً، عن مجاهد، فعلى هذا معناه أنّ سليمان عليه السلام مدّ بصره إلى أقصاه وهو يديم النظر فقبل أن ينقلب إليه بصره حسيراً يكون قد أُتي بالعرش. وقال الكلبيّ: خرّ آصف ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتّى نبع عند كرسيّ سليمان، وذكر العلماء في ذلك وجوهاً:

أحدها: أنّ الملائكة حملته بأمر الله تعالى. والثاني: أنّ الريح حملته. والثالث: أنّ الله تعالى خلق فيه حركات متوالية. والرابع: أنّه انخرق مكانه حيث هو هناك، ثمّ نبع بين يدي سليمان. والخامس: أنّ الأرض طويت له، وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام. والسادس: أنّه أعدمه الله في موضعه وأعاده في مجلس سليمان، وهذا لا يصحّ على مذهب أبي هاشم، ويصحّ على مذهب أبي عليّ الجبّائيّ فإنّه يجوز فناء بعض الأجسام دون بعض.

وفي الكلام حذف كثير لأنّ التقدير: قال سليمان له: افعل، فسأل الله تعالى في ذلك فحضر العرش فرآه سليمان مستقراً عنده أي فلمّا رأى سليمان العرش محمولاً إليه موضوعاً بين يديه في مقدار رجع البصر ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ أي من نعمته عليّ وإحسانه لديّ لأنّ تيسير ذلك وتسخيره مع صعوبته وتعذّره معجزة له ودلالة على علوّ قدره وجلالته وشرف منزلته عند الله تعالى ﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ أي ليختبرني هل أقوم بشكر هذه النعمة أم أكفر بها ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأنّ عائدة شكره ومنفعته ترجعان إليه وتخصّانه دون غيره، وهذا مثل قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ يعني غنيّ عن شكر العباد، غير محتاج إليه، بل هم المحتاجون إليه لما لهم فيه من الثواب والأجر ﴿كَرِيمٌ﴾ أي متفضّل على عباده شاكرهم وكافرهم وعاصيهم ومطيعهم، لا يمنعه كفرهم وعصيانهم من الإفضال عليهم والإحسان إليهم ﴿قَالَ﴾ سليمان ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي غيّروا سريرها إلى حال تنكرها إذا رأته، وأراد بذلك اختبار عقلها على ما قيل ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ أي أتهتدي إلى معرفة عرشها بفطنتها بعد التغيير أم لا تهتدي إلى ذلك، عن سعيد بن جبير وقتادة؛ وقيل: أتهتدي أي أتستدلّ بعرشها على قدرة الله وصحّة نبوّتي، وتهتدي بذلك إلى طريق الإيمان والتوحيد أم لا؟ عن الجبّائيّ؛ قال ابن عبّاس: فنزع ما كان على العرش من الفصوص والجواهر، وقال مجاهد: غيّر ما كان أحمر وجعل أخضر، وما كان أخضر فجعل أحمر؛ وقال عكرمة: زيد فيه شيء ونقص منه شيء ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ فلم تثبته ولم تنكره فدلّ ذلك على كمال عقلها حيث لم تقل: لا، إذ كان يشبه سريرها لأنّها وجدت فيه ما تعرفه، ولم تقل: نعم إذ وجدت فيه ما غيّر وبدّل ولأنّها خلّفته في بيتها وحمله في تلك المدّة إلى ذلك الموضع غير داخل في مقدور البشر؛ قال مقاتل: عرفته ولكن شبّهوا عليها حين قالوا لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ فشبّهت حين قالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ولو قيل لها: أهذا عرشك؟ لقالت: نعم؛ قال عكرمة: كانت حكيمة، قالت: إن قلت: هو هو خشيت أن أكذّب، وإن قلت: لا خشيت أن أكذّب، فقالت: كأنّه هو، شبّهته به، فقيل لها: فإنّه عرشك، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب، وكانت قد خلّفته وراء سبعة أبواب لمّا خرجت، فقالت: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ بصحّة نبوّة سليمان ﴿مِن قَبْلِهَا﴾ أي من قبل الآية في العرش ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ طائعين لأمر سليمان، وقيل: إنّه من كلام سليمان، عن مجاهد، ومعناه: أوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة قبل مجيئها ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي منعها عبادة الشمس عن الإيمان بالله تعالى بعد رؤية تلك المعجزات، عن مجاهد، فعلى هذا تكون (ما) موصولة مرفوعة الموضع بأنّها فاعلة صدّ؛ وقيل: معناه: وصدّها سليمان عمّا كانت تعبده من دون الله، وحال بينها وبينه، ومنعها عنه، فعلى هذا تكون (ما) في موضع النصب؛ وقيل: معناه منعها الإيمان والتوحيد عن الّذي كانت تعبده من دون الله وهو الشمس، ثمّ استأنف فقال: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ أي من قوم

يعبدون الشمس قد نشأت فيما بينهم فلم تعرف إلاّ عبادة الشمس ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾ والصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف.

وذكر أنّ سليمان عليه السلام لمّا أقبلت صاحبة سبأ أمر الشياطين ببناء الصرح، وهو كهيئة السطح المنبسط من قوارير أجري تحته الماء، وجمع في الماء الحيتان والضفادع ودوابّ البحر ثمّ وضع له فيه سرير فجلس عليه؛ وقيل: إنّه قصر من زجاج كأنّه الماء بياضاً؛ وقال أبو عبيدة: كلّ بناء من زجاج أو صخر أو غير ذلك موثق فهو صرح، وإنّما أمر سليمان عليه السلام بالصرح لأنّه أراد أن يختبر عقلها وينظر هل تستدلّ على معرفة الله تعالى بما ترى من هذه الآية العظيمة؟ وقيل: إنّ الجنّ والشياطين خافت أن يتزوّجها سليمان عليه السلام فلا ينفكّون من تسخير سليمان وذرّيّته بعده لو تزوّجها وذلك أنّ أمّها كانت جنّيّة فأساؤوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا: إنّ في عقلها شيئاً، وإنّ رجلها كحافر الحمار، فلمّا امتحن ذلك وجدها على خلاف ما قيل؛ وقيل: إنّه ذكر له أنّ على رجليها شعراً، فلمّا كشفته بان الشعر فساءه ذلك، فاستشار الجنّ في ذلك فعملوا الحمّامات، وطبخوا له النورة والزرنيخ، وكان أوّل ما صنعت النورة ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ أي رأت بلقيس الصرح ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ وهي معظم الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لدخول الماء؛ وقيل: إنّها لمّا رأت الصرح قالت: ما وجد ابن داود عذاباً يقتلني به إلاّ الغرق؟! وأنفت أن تجيء فلا تدخل ولم يكن من عادتهم لبس الخفاف فلمّا كشفت عن ساقيها قال لها سليمان: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ أي مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ وليس بماء، ولمّا رأت سرير سليمان والصرح ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بالكفر الّذي كنت عليه ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ فحسن إسلامها؛ وقيل: إنّها لمّا جلست دعاها سليمان إلى الإسلام، وكانت قد رأت الآيات والمعجزات فأجابته وأسلمت؛ وقيل: إنّها لمّا ظنّت أنّ سليمان عليه السلام يغرقها ثمّ عرفت حقيقة الأمر قالت: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ إذ توهّمت على سليمان ما توهّمت.

واختلف في أمرها بعد ذلك فقيل: إنّها تزوّجها سليمان وأقرّها على ملكها؛ وقيل: إنّه زوّجها من ملك يقال له تبّع وردّها إلى أرضها، وأمر زوبعة أمير الجنّ باليمن أن يعمل له ويطيع، فصنع له المصانع باليمن[(١)].

١٣ - وروى العيّاشيّ في تفسيره بالإسناد قال: التقى موسى بن محمّد بن عليّ بن موسى

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٧٤-٣٨٨.

روي المصنف عن الثعلبي أن أبا بلقيس بنت اليشرح كان يلقب بهزهاز، وكان ملكاً عظيم الشأن، ولده أربعون ملكاً، وكان ملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفواً لي، وأبى أن يتزوج فيهم، فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن، وكان الانس إذ ذاك يرون الجن ويخالطونهم فولدت له تلقمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها (منه رحمه الله).

ويحيى بن أكثم فسأله عن مسائل قال: فدخلت على أخي عليّ بن محمّد عليه السلام بعد أن دار بيني وبينه من المواعظ حتّى انتهيت إلى طاعته، فقلت له: جعلت فداك إنّ يحيى بن أكثم سألني عن مسائل أفتيه فيها، فضحك، فقال: فهل أفتيته فيها؟ قلت: لا، قال: ولم؟ قلت. لم أعرفها، قال: وما هي؟ قلت: قال: أخبرني عن سليمان أكان محتاجاً إلى علم آصف بن برخيا؟ ثمّ ذكر المسائل الأخر، قال: اكتب يا أخي: بسم الله الرحمن الرحيم سألت عن قول الله تعالى في كتابه: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف، لكنّه أحبّ أن يعرف أمّته من الإنس والجنّ أنّه الحجّة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله، ففهّمه الله ذلك لئلاّ يختلف في إمامته ودلالته، كما فهم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام ليتعرّف إمامته ونبوّته من بعده لتأكيد الحجّة على الخلق(١).

ف: سأل يحيى بن أكثم. وذكر نحوه(٢).

١٤ - **م:** إنّ الله خصّ بسورة الفاتحة محمّداً صلى الله عليه وآله وشرّفه بها ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان عليه السلام فإنّه أعطاه منها ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّىٓ أُلۡقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾(٣).

أقول: وقال الثعلبيّ في تفسيره: قالت العلماء بسير الأنبياء: إنّ نبيّ الله سليمان عليه السلام لمّا فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهّز للمسير واستصحب من الجنّ والإنس والشياطين والطير والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ، فأمر الريح الرخاء فحملتهم، فلمّا وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم، فكان ينحر كلّ يوم طول مقامه بمكّة خمسة آلاف بدنة، وخمسة آلاف ثور، وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضر من أشراف قومه: إنّ هذا مكان يخرج منه نبيّ عربيّ صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه، ويبلغ هيبته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحقّ سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم، قالوا: فبأيّ دين يدين يا نبيّ الله؟ قال: بدين الحنيفيّة فطوبى لمن أدركه وآمن به وصدّقه، قالوا: فكم بيننا وبين خروجه يا نبيّ الله؟ قال: ذهاب ألف عام، فليبلّغ الشاهد منكم الغائب، فإنّه سيّد الأنبياء وخاتم الرسل، وإنّ اسمه لمثبت في زبر الأنبياء، قالوا: فأقام بمكّة حتّى قضى نسكه، ثمّ أحبّ أن يسير إلى أرض اليمن فخرج من مكّة صباحاً وسار نحو اليمن يوم نجم سهيل، فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر، فرأى أرض حسنة تزهر خضرتها فأحبّ النزول بها ليصلي ويتغدّى فطلبوا الماء فلم يجدوا، وكان دليله على الماء الهدهد، كان يرى الماء من تحت الأرض فينقر الأرض فيعرف موضع الماء ويعده، ثمّ تجيء

---

(١) لم أجده في تفسير العياشي ولكن قسماً منه في كتاب الإختصاص ص ٩٠.
(٢) تحف العقول، ص ٣٥٣.
(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٩ ح ١٠

الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الإهاب، ثمّ يستخرجون الماء، قالوا: فلمّا نزل قال الهدهد: إنّ سليمان عليه السلام قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فانظر إلى عرض الدنيا وطولها، ففعل ذلك ونظر يميناً وشمالاً، فرأى بستاناً لبلقيس فمال إلى الخضرة فوقع فيه فإذا هو بهدهد فهبط عليه، وكان اسم هدهد سليمان يعفور، واسم هدهد اليمن عنقير، فقال عنقير ليعفور: من أين أقبلت وأين تريد؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود، قال: ومن سليمان ابن داود؟ قال: ملك الجنّ والإنس والطير والوحوش والشياطين والرياح، فمن أين أنت؟ قال: أنا من هذه البلاد، قال: ومن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها بلقيس، وإنّ لصاحبكم سليمان ملكاً عظيماً، وليس ملك بلقيس دونه، فإنّها ملكة اليمن كلّها، وتحت يدها اثنى عشر ألف قائد، تحت كلّ قائد مائة ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتّى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يتفقّدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، قال الهدهد اليمانيّ: إنّ صاحبك ليسرّه أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وما رجع إلى سليمان عليه السلام إلاّ وقت العصر فلمّا طلبه سليمان عليه السلام فلم يجده دعا عريف الطيور وهو النسر فسأله عنه، فقال: ما أدري أين هو؟ وما أرسلته مكاناً، ثمّ دعا بالعقاب فقال: عليّ بالهدهد، فارتفع فإذا هو بالهدهد مقبلاً فانقضّ نحوه، فناشده الهدهد بحقّ الله الّذي قوّاك وأغلبك عليّ إلاّ رحمتني ولم تتعرّض لي بسوء، قال: فولّى عنه العقاب وقال له: ويلك ثكلتك أمّك إنّ نبيّ الله حلف أن يعذّبك أو يذبحك، ثمّ طارا متوجّهين نحو سليمان فلمّا انتهى إلى المعسكر تلقّته النسر والطير فقالوا: توعّدك نبيّ الله، فقال الهدهد: أوما استثنى نبيّ الله؟ فقالوا: بلى ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ فلمّا أتيا سليمان وهو قاعد على كرسيّه قال العقاب: قد أتيتك به يا نبيّ الله، فلمّا قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرّهما على الأرض تواضعاً لسليمان، فأخذ برأسه فمدّه إليه، فقال: أين كنت؟ فقال: يا نبيّ الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى، فلمّا سمع ذلك سليمان عليه السلام ارتعد وعفا عنه - وساق القصّة إلى أن قال: وقال مقاتل: حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتّى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون حتّى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها. إلى آخر القصّة.

١٠ - باب ما أُوحي إليه وصدر عنه من الحكم، وفيه قصة نفش الغنم

الآيات: الأنبياء «٢١»: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿٧٩﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف في الحكم فقيل: إنّه زرع وقعت فيه الغنم ليلاً فأكلته؛ وقيل: كان كرماً قد بدت عناقيده عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام؛ وقال الجبّائيّ: أوحى الله إلى سليمان عليه السلام بما نسخ به حكم داود عليه السلام ولم يكن ذلك عن اجتهاد وهو

المعوّل عليه عندنا[1].

١ - ل: ابن الوليد، عن الصفّار، عن القاشاني، عن الإصبهانيّ، عن المنقريّ، عن سفيان بن نجيح، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال سليمان بن داود عليه السلام: أوتينا ما أوتي الناس وما لم يؤتوا، وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا، فلم نجد شيئاً أفضل من خشية الله في المغيب والمشهد، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة الحقّ في الرضى والغضب، والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ على كلّ حال[2].

٢ - فس: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فإنّه حدّثني أبي، عن عبد الله بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل كان له كرم ونفشت فيه غنم لرجل آخر باللّيل وقضمته وأفسدته، فجاء صاحب الكرم إلى داود عليه السلام فاستعدى على صاحب الغنم فقال داود عليه السلام: اذهبا إلى سليمان ليحكم بينكما، فذهبا إليه، فقال سليمان: إن كانت الغنم أكلت الأصل والفرع فعلى صاحب الغنم أن يدفع إلى صاحب الكرم الغنم وما في بطنها، وإن كانت ذهبت بالفرع ولم تذهب بالأصل فإنّه يدفع ولدها إلى صاحب الكرم، وكان هذا حكم داود، وإنّما أراد أن يعرّف بني إسرائيل أنّ سليمان عليه السلام وصيّه بعده، ولم يختلفا في الحكم، ولو اختلف حكمهما لقال: «وكنا لحكمهما شاهدين»[3].

بيان: نفشت الغنم أي رعت ليلاً بلا راع.

٣ - سن: بعض أصحابنا، عن البزنطيّ، عن جميل بن درّاج، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ قال: لم يحكما، إنّما كانا يتناظران ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[4].

يه: بسنده الصحيح عن جميل، عن زرارة مثله[5].

٤ - يه: بسنده الصحيح عن الوشّاء، عن أحمد بن عمر الحلبيّ قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ قال: كان حكم داود عليه السلام رقاب الغنم، والّذي فهّم الله عزّ وجلّ سليمان أن يحكم لصاحب الحرث باللّبن والصوف ذلك العام كلّه[6].

٥ - يب: الحسين بن سعيد، عن بعض أصحابنا، عن المعلّى أبي عثمان، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٠٣.
(٢) الخصال، ص ٢٤١ باب الأربعة ح ٢٤١.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٨.
(٤) المحاسن، ص ٢٧٧.
(٥) - (٦) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ ص ٣٤١٧ ح ٤٥٨ و٤٥٩.

نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ فقال: لا يكون النفش إلاّ باللّيل، إنّ على صاحب الحرث أن يحفظ الحرث بالنهار وليس على صاحب الماشية حفظها بالنهار، إنّما رعيها وإرزاقها بالنهار، فما أفسدت فليس عليها، وعلى صاحب الماشية حفظ الماشية باللّيل عن حرث الناس، فما أفسدت باللّيل فقد ضمنوا، وهو النفش، وإنّ داود عليه السلام حكم للّذي أصاب زرعه رقاب الغنم، وحكم سليمان عليه السلام الرسل والثلّة وهو اللّبن والصوف في ذلك العام[1].

٦ - يب: الحسين، عن عبد الله بن بحر، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾ قلت: حين حكما في الحرث كانت قضيّة واحدة؟ فقال: إنّه كان أوحى الله عزّ وجلّ إلى النبيّين قبل داود إلى أن بعث الله داود عليه السلام: أيُّ غنم نفشت في الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم، ولا يكون النفش إلاّ باللّيل، وإنّ على صاحب الزرع أن يحفظ بالنهار، وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم باللّيل، فحكم داود عليه السلام بما حكمت به الأنبياء عليهم السلام من قبله، وأوحى الله تعالى إلى سليمان: أيُّ غنم نفشت في الزرع فليس لصاحب الزرع إلاّ ما خرج من بطونها، وكذلك جرت السنّة بعد سليمان عليه السلام، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فحكم كلّ واحد منهما بحكم الله عزّ وجلّ[2].

٧ - كا: الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن عليّ بن محمّد، عن بكر بن صالح، عن محمّد بن سليمان، عن عيثم بن أسلم، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الإمامة عهد من الله عزّ وجلّ معهود لرجال مسمّين، ليس للإمام أن يزويها عن الّذي يكون من بعده، إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام: أن اتّخذ وصيّاً من أهلك، فإنّه قد سبق في علمي أن لا أبعث نبيّاً إلاّ وله وصيّ من أهله، وكان لداود عليه السلام أولاد عدّة، وفيهم غلام كانت أمّه عند داود عليه السلام، وكان لها محبّاً، فدخل داود عليه السلام عليها حين أتاه الوحي، فقال لها: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليّ يأمرني أن أتّخذ وصيّاً من أهلي، فقالت له امرأته: فليكن ابني، قال: ذاك أريد، وكان السابق في علم الله المحتوم عنده أنّه سليمان، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى داود أن لا تعجل دون أن يأتيك أمري، فلم يلبث داود عليه السلام أن ورد عليه رجلان يختصمان في الغنم والكرم، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: أن اجمع ولدك، فمن قضى بهذه القضيّة فأصاب فهو وصيّك من بعدك، فجمع داود عليه السلام ولده فلمّا أن اقتصّ الخصمان قال سليمان عليه السلام: يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك؟ قال: دخلته ليلاً قال: قد قضيت عليك يا صاحب الغنم بأولاد غنمك وأصوافها في عامك هذا، ثمّ قال له داود عليه السلام: فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوّم ذلك علماء بني إسرائيل فكان ثمن الكرم قيمة الغنم؟ فقال سليمان عليه السلام: إنّ الكرم لم يجتثّ من أصله، وإنّما أكل حمله وهو عائد في

---

(١) - (٢) تهذيب الأحكام، ج ٧ باب ٢١ ح ١ و٢.

قابل، فأوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السلام أنّ القضاء في هذه القضيّة ما قضى سليمان به، يا داود أردت أمراً وأردنا أمراً غيره، فدخل داود عليه السلام على امرأته فقال: أردنا أمراً وأراد الله غيره، ولم يكن إلاّ ما أراد الله عزّوجلّ فقد رضينا بأمر الله عزّوجلّ وسلّمنا، وكذلك الأوصياء عليهم السلام ليس لهم أن يتعدّوا بهذا الأمر فيجاوزون صاحبه إلى غيره[1].

بيان: اعلم أنّه لمّا ثبت بالدلائل العقليّة عدم جواز الاجتهاد والرأي على الأنبياء عليهم السلام وأنّهم لا يحكمون إلاّ بالوحي فلذا ذهب بعض أصحابنا وبعض المعتزلة إلى أنّه تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام ما نسخ حكم داود عليه السلام، وكان حكم داود عليه السلام أيضاً بالوحي، ويرد عليه أنّ شريعة سليمان لم تكن ناسخة فكيف نسخت ما ثبت في شريعة موسى عليه السلام؟

ويمكن الجواب عنه بأنّه لم يثبت امتناع نسخ بعض جزئيّات الأحكام في زمن غير أولي العزم من الرسل، وأمّا النسخ الكلّيّ والإتيان بشريعة مبتدأة فهو مختصٌّ بأولي العزم منهم، مع أنّه يمكن أن يكون موسى عليه السلام أخبر بأنّ هذا الحكم ثابت إلى زمن سليمان عليه السلام ثمّ يتغيّر الحكم. والأصوب في الجواب أن يقال: إنّ الآية لا تدلّ على أنّ سليمان عليه السلام حكم بخلاف ما حكم به داود عليه السلام بل يحتمل أن يكون المراد: إذ يريدان أن يحكما في الحرث كما دلت عليه رواية أبي بصير في التفسير ورواية زرارة، فهما كانا يتناظران في ذلك منتظرين للوحي أو كان داود عليه السلام عالماً بالحكم وكان يسأل سليمان عليه السلام ليبيّن فضله على الناس، فأوحى الله ذلك إلى سليمان عليه السلام، ويؤيّده أنّ في خبر معاوية نسب الحكم برقاب الغنم إلى علماء بني إسرائيل والسؤال الّذي اشتمل عليه الخبر محمول على ما ذكرنا من إرادة ظهور فضله على بني إسرائيل.

وأمّا خبر الحلبيّ فيمكن أن يكون محمولاً على التقيّة، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد بحكم داود الحكم الّذي كان شائعاً في زمانه، أو الحكم الّذي كان يلقيه على سليمان ليختبره ويظهر عقله وعلمه، وكذا القول في سائر الأخبار والله يعلم.

٨ - **يه:** عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قالت أمّ سليمان بن داود لسليمان عليه السلام: يا بنيّ إيّاك وكثرة النوم باللّيل فإنّ كثرة النوم باللّيل تدع الرجل فقيراً يوم القيامة[2].

٩ - **نبه:** قال سليمان بن داود عليه السلام لابنه: يا بنيّ إيّاك والمراء فإنّه ليست فيه منفعة، وهو يهيّج بين الإخوان العداوة[3].

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ١٥٨ باب ان الإمامة عهد من الله ح ١.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ ص ٦٢٤ ح ٤٩١٥.

(٣) تنبيه الخواطر، ج ٢ ص ١٢.

١١ - باب وفاته عليه السلام وما كان بعده

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ «١٠٢».

سبأ «٣٤»: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ «١٤».

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي اليهود الّذين كانوا على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، أو على عهد سليمان عليه السلام، أو الأعمّ، أي اقتدوا بما كانت ﴿تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي تتبع وتعمل به؛ وقيل: تقرأ؛ وقيل: تكذب، يقال: تلا عليه: إذا كذب، والشياطين: شياطين الجنّ، وقيل: شياطين الإنس ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ قيل: أي في ملك سليمان على وجهين: أحدهما في عهده، والثاني في نفس ملك سليمان، كما يقال: فلان يطعن في ملك فلان؛ وقيل: معناه: على عهد ملك سليمان ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ بيّن بهذا أنّ ما كانت تتلوه الشياطين وترويه كان كفراً إذ برئ سليمان منه، ثمّ بيّن أنّ ذلك الكفر كان من نوع السحر، فإنّ اليهود أضافوا إلى سليمان السحر، وزعموا أنّ ملكه كان به فبرّأه الله منه؛ وقيل: في السبب الّذي لأجله أضافت السحر إلى سليمان عليه السلام أنّ سليمان عليه السلام كان قد جمع كتب السحرة ووضعها في خزائنه؛ وقيل: كتمها تحت كرسيّه لئلاّ يطّلع النّاس عليها ولا يعملوا بها، فلمّا مات سليمان عليه السلام استخرجت السحرة تلك الكتب وقالوا: إنّما تمّ ملك سليمان عليه السلام بالسحر، وبه سخّر الجنّ والإنس والطير، وزيّنوا السحر في أعين الناس بالنسبة إلى سليمان عليه السلام وشاع ذلك في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمان عليه السلام ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ بما استخرجوه من السحر، أو بما نسبوه إلى سليمان عليه السلام، أو بأنّهم سحروا فعبّر عن السحر بالكفر ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ أي ألقوا السحر إليهم فتعلّموه، أو دلّوهم على استخراجه من تحت الكرسيّ فتعلّموه ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ﴾ أي ما دلّ الجنّ على موته إلاّ الأرضة حيث أكلت عصاه فسقط فعلموا أنّه ميّت ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ أي سقط ميّتاً[1].

١ - ع، ن: الهمدانيّ عن عليّ، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: إنّ سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه: إنّ الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، سخّر لي الريح والإنس والجنّ والطير والوحوش، وعلّمني منطق الطير، وآتاني من كلّ شيء، ومع جميع ما أُوتيت من الملك ما تمّ لي سرور يوم إلى اللّيل، وقد أحببت أن أدخل قصري في غد فأصعد أعلاه وأنظر إلى ممالكي فلا تأذنوا

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٣٢٧.

لأحد عليّ لئلاّ يرد عليّ ما ينغّص عليّ يومي قالوا: نعم، فلمّا كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره، ووقف متكئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أوتي فرحاً بما أعطي إذ نظر إلى شابّ حسن الوجه واللّباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره، فلمّا بصر به سليمان عليه السلام قال له: من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم؟ فبإذن من دخلت؟ فقال الشابّ: أدخلني هذا القصر ربّه وبإذنه دخلت، فقال: ربّه أحقّ به منّي، فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: وفيما جئت؟ قال: جئت لأقبض روحك، قال: امض لما أمرت به فهذا يوم سروري؛ وأبى الله عزّ وجلّ أن يكون لي سرور دون لقائه، فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه، فبقي سليمان عليه السلام متكئاً على عصاه وهو ميّت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقدّرون أنّه حيّ فافتتنوا فيه واختلفوا فمنهم من قال: إنّ سليمان عليه السلام قد بقي متكئاً على عصاه هذه الأيّام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب، إنّه لربّنا الّذي يجب علينا أن نعبده؛ وقال قوم: إنّ سليمان عليه السلام ساحر وإنّه يرينا أنّه واقف متكئ على عصاه، يسحر أعيننا وليس كذلك، فقال المؤمنون: إنّ سليمان هو عبد الله ونبيّه يدبّر الله أمره بما شاء؛ فلمّا اختلفوا بعث الله عزّ وجلّ الأرضة فدبّت في عصاه، فلمّا أكلت جوفها انكسرت العصا وخرّ سليمان عليه السلام من قصره على وجهه، فشكرت الجنّ للأرضة صنيعها، فلأجل ذلك لا توجد الأرضة في مكان إلاّ وعندها ماء وطين، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ يعني عصاه ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ ثمّ قال الصادق عليه السلام: والله ما نزلت هذه الآية هكذا، وإنّما نزلت: «فلما خر تبينت الإنس أنّ الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين»[1].

بيان: نسب صاحب الكشّاف هذه القراءة إلى ابن مسعود، وعلى القراءة المشهورة قيل: معناه: علمت الجنّ بعدما التبس عليهم أنّهم لا يعلمون الغيب؛ وقيل: معناه: علمت عامّة الجنّ وضعفاؤهم أنّ رؤساءهم لا يعلمون الغيب؛ وقيل: المعنى: ظهرت الجنّ، وأن بما في حيّزه بدل منه أي ظهر أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب[2].

٢ - ع: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمر سليمان بن داود عليه السلام الجنّ فصنعوا له قبّة من قوارير، فبينما هو متكئ على عصاه في القبّة ينظر إلى الجنّ كيف يعملون وهم ينظرون إليه إذ حانت منه التفاتة فإذا رجل معه في القبّة، قال: من أنت؟ قال: أنا الّذي لا أقبل الرشاء، ولا أهاب الملوك، أنا ملك الموت، فقبضه وهو قائم متكئ على عصاه في القبّة والجنّ ينظرون إليه، قال: فمكثوا

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٣ باب ٦٤ ح ٢، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٣٩ باب ٢٦ ح ٢٤.
(٢) تفسير الكشاف، ج ٣ ص ٢٥٤.

سنة وهم يدأبون له حتّى بعث الله عزّ وجلّ الأرضة فأكلت منسأته وهي العصا، فلمّا خرّ تبيّنت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

قال أبو جعفر عليه السلام : إنّ الجنّ يشكرون الأرضة ما صنعت بعصا سليمان. فما تكاد تراها في مكان إلاّ وعندها ماء وطين[1].

٣ - فس: أبي، عن ابن أبي عمير مثله إلى قوله: وهي العصا ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا﴾ سنة ﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ فالجنّ تشكر الأرضة بما عملت بعصا سليمان، قال: فلا تكاد تراها في مكان إلاّ وعندها ماء وطين، فلمّا هلك سليمان عليه السلام وضع إبليس السحر وكتبه في كتاب، ثمّ طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، ثمّ دفنه تحت السرير، ثمّ استثاره لهم فقرؤوه فقال الكافرون: ما كان سليمان يغلبنا إلاّ بهذا، وقال المؤمنون: بل هو عبد الله ونبيّه، فقال جلّ ذكره: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[2].

شي: عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا هلك سليمان. إلى آخر الخبر[3].

٤ - فس: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ قال: لمّا أوحى الله تعالى إلى سليمان عليه السلام : إنّك ميّت أمر الشياطين أن يتّخذوا له بيتاً من قوارير ووضعوه في لجّة البحر، ودخله سليمان عليه السلام فاتّكأ على عصاه وكان يقرأ الزبور والشياطين حوله ينظرون إليه ولا يجسرون أن يبرحوا، فبينا هو كذلك إذ حانت منه التفاتة فإذا هو برجل معه في القبّة، ففزع منه سليمان عليه السلام فقال له: من أنت؟ قال: أنا الّذي لا أقبل الرشاء، ولا أهاب الملوك، فقبضه وهو متّكئ على عصاه سنة، والجنّ يعملون له ولا يعلمون بموته حتّى بعث الله الأرضة فأكلت منسأته، فلمّا خرّ على وجهه تبيّنت الإنس أن لو كان الجنّ يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين. كذا نزلت هذه الآية، وذلك أنّ الإنس كانوا يقولون: إنّ الجنّ يعلمون الغيب، فلمّا سقط سليمان عليه السلام على وجهه علم الإنس أن لو علم الجنّ الغيب لم يعملوا سنة لسليمان عليه السلام وهو ميّت ويتوهّمونه حيّاً، قال: فالجنّ تشكر الأرضة بما عملت بعصا سليمان عليه السلام . وذكر نحو ما مرّ إلى قوله: عبد الله ونبيّه، وفي بعض النسخ: ما هو من عند الله ونبيّه، وفي بعضها: إنّما هو[4].

٥ - ع: المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن محمّد بن نصير، عن أحمد بن محمّد، عن ابن معروف، عن عليّ بن مهزيار، عن البزنطيّ وفضالة، عن أبان، عن أبي

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٤ باب ٦٤ ح ٣.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٦٤
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٧٠ ح ٧٤.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٧٤.

بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الجنّ شكروا الأرضة ما صنعت بعصا سليمان عليه السلام، فما تكاد تراها في مكان إلاّ وعندها ماء وطين[(١)].

٦ - ع: أبي، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن الحسن بن عليّ، عن عليّ بن عقبة، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقد شكرت الشياطين الأرضة حين أكلت عصا سليمان حتّى سقط، وقالوا: عليك الخراب وعلينا الماء والطين، فلا تكاد تراها في موضع إلاّ رأيت ماء وطيناً[(٢)].

٧ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام: إنّ آية موتك أنّ شجرة تخرج في بيت المقدس يقال لها الخرنوبة، قال: فنظر سليمان عليه السلام يوماً إلى شجرة قد طلعت في بيت المقدس، فقال لها سليمان عليه السلام: ما اسمك؟ قالت: الخرنوبة، فولّى مدبراً إلى محرابه حتّى قام فيه متّكئاً على عصاه فقبضه الله من ساعته، فجعلت الإنس والجنّ يخدمونه ويسعون في أمره كما كانوا من قبل وهم يظنّون أنّه حيّ حتّى دبّت الأرضة في عصاه فأكلت منسأته فانكسرت ووقع سليمان عليه السلام إلى الأرض[(٣)].

كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب مثله، وزاد في آخره: أفلا تسمع لقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ الآية[(٤)].

٨ - ك: أبي، عن أحمد بن إدريس، ومحمّد بن يحيى، عن الأشعريّ، عن محمّد بن يوسف التميميّ، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عاش سليمان بن داود سبعمائة سنة واثني عشر سنة[(٥)].

٩ - قس: أبي، عن البزنطيّ، عن عبد الله بن القاسم، عن أبي خالد القمّاط عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قالت بنو إسرائيل لسليمان عليه السلام: استخلف علينا ابنك، فقال لهم: إنّه لا يصلح لذلك، فألحّوا عليه فقال: إنّي سائله عن مسائل فإن أحسن الجواب فيها استخلفته، ثمّ سأله فقال: يا بنيّ ما طعم الماء وطعم الخبز؟ ومن أيّ شيء ضعف الصوت وشدّته؟ وأين موضع العقل من البدن؟ ومن أيّ شيء القساوة والرقّة؟ وممّ تعب البدن ودعته؟ وممّ تكسّب البدن وحرمانه؟ فلم يجبه بشيء منها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: طعم الماء الحياة، وطعم الخبز القوّة، وضعف الصوت وشدّته من شحم الكليتين، وموضع العقل الدماغ، ألا ترى أنّ

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٢ باب ٦٤ ح ١ و٤.
(٣) قصص الأنبياء، ص ٢٠٩.
(٤) روضة الكافي المطبوع مع الأصول، ص ٧٤٣ ح ١١٤.
(٥) كمال الدين، ص ٤٧٤.

الرجل إذا كان قليل العقل قيل له: ما أخفّ دماغه! والقسوة والرقّة من القلب وهو قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وتعب البدن ودعته من القدمين اذا أتعبا في المشي يتعب البدن وإذا أودعا أودع البدن وكسب البدن وحرمانه من اليدين إذا عمل بهما ردّتا على البدن، وإذا لم يعمل بهما لم تردّا على البدن شيئاً[1].

تذنيب: قال الطبرسيّ رحمه الله: قيل: إنّ سليمان عليه السلام كان يعتكف في مسجد بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقلّ وأكثر، يدخل فيه طعامه وشرابه ويتعبّد فيه، فلمّا كان في المرّة الّتي مات فيها لم يكن يصبح يوماً إلاّ وتنبت شجرة كان يسألها سليمان عليه السلام فتخبره عن اسمها ونفعها وضرّها، فرأى يوماً نبتاً فقال: ما اسمك؟ قال: الخرنوب، قال: لأيّ شيء أنت؟ قال: للخراب، فعلم أنّه سيموت، فقال: اللهمّ أعم على الجنّ موتي ليعلم الإنس أنّهم لا يعلمون الغيب، وكان قد بقي من بنائه سنة، وقال لأهله: لا تخبروا الجنّ بموتي حتّى يفرغوا من بنائه. ودخل محرابه وقام متكئاً على عصاه فمات وبقي قائماً سنة، وتمّ البناء، ثمّ سلّط الله على منسأته الأرضة حتّى أكلتها فخرّ ميتاً، فعرف الجنّ موته وكانوا يحسبونه حيّاً لما كانوا يشاهدون من طول قيامه قبل ذلك.

وقيل: إنّ في إماتته قائماً وبقائه كذلك أغراضاً: منها إتمام البناء، ومنها أن يعلم الإنس أنّ الجنّ لا يعلم الغيب وأنّهم في ادّعاء ذلك كاذبون؛ ومنها: أن يعلم أنّ من حضر أجله فلا يتأخّر إذ لم يتأخّر سليمان عليه السلام مع جلالته، وروي أنّه أطلعه الله سبحانه على حضور وفاته فاغتسل وتحنّط وتكفّن والجنّ في عملهم؛ وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان آصف يدبّر أمره حتّى دبّت الأرضة.

قال: وذكر أهل التاريخ أنّ عمر سليمان عليه السلام كان ثلاثاً وخمسين سنة مدّة ملكه منها أربعون سنة، وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ في بناء بيت المقدس بعد أربع سنين مضين من ملكه. وقال رحمه الله: وأمّا الوجه في عمل الجنّ تلك الأعمال العظيمة فهو أنّ الله تعالى زاد في أجسامهم وقوّتهم وغيّر خلقهم عن خلق الجنّ الّذين لا يرون للطافتهم ورقّة أجسامهم على سبيل الإعجاز الدالّ على نبوّة سليمان عليه السلام، فكانوا بمنزلة الأسراء في يده، وكانوا تتهيّأ لهم الأعمال الّتي كان يكلّفها إيّاهم، ثمّ لمّا مات عليه السلام جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه فلا يتهيّأ لهم في هذا الزمان شيء من ذلك. انتهى[2].

أقول: لا استبعاد في أن يكونوا مخلوقين خلقة يمكنهم التصوُّر بصورة مرئيّة ولا استحالة في أن يجعلهم الله مع لطافة أجسامهم قادرين على الأعمال الصعبة كالملك، وسيأتي القول فيهم في كتاب السماء والعالم، وقد مضى في الباب الأوّل نقلاً عن الاحتجاج لذلك وجه.

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٠٩.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٠٤.

١٢ - باب قصة قوم سبأ وأهل الثرثار

الآيات: سبأ «٣٤»: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾.

١ - **فس:** ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ قال: فإنّ بحراً كان من اليمن وكان سليمان أمر جنوده أن يجروا لهم خليجاً من البحر العذب إلى بلاد الهند، ففعلوا ذلك وعقدوا له عقدةً عظيمة من الصخر والكلس حتّى يفيض على بلادهم، وجعلوا للخليج مجاري، وكانوا إذا أرادوا أن يرسلوا منه الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه، وكانت لهم جنّتان عن يمين وشمال عن مسيرة عشرة أيّام فيمن يمرّ لا تقع عليه الشمس من التفافها، فلمّا عملوا بالمعاصي وعتوا عن أمر ربّهم ونهاهم الصالحون فلم ينتهوا بعث الله على ذلك السدّ الجرذ وهي الفأرة الكبيرة، فكانت تقلع الصخرة الّتي لا يستقلّها الرجل وترمي بها، فلمّا رأى ذلك قوم منهم هربوا وتركوا البلاد، فما زال الجرذ تقلع الحجر حتّى خرّبوا ذلك السدّ فلم يشعروا حتّى غشيهم السيل وخرّب بلادهم وقلع أشجارهم وهو قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ إلى قوله: ﴿سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ أي العظيم الشديد ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ وهو أمّ غيلان ﴿وَأَثْلٍ﴾ قال: هو نوع من الطرفاء ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾ قال: مكّة ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ إلى قوله: ﴿شَكُورٍ﴾[1].

٢ - **سن:** عن عبد الله بن المغيرة، عن عمرو بن شمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّي لألعق أصابعي من المأدم حتّى أخاف أن يرى خادمي أنّ ذلك من جشع، وليس ذلك كذلك، إنّ قوماً أفرغت عليهم النعمة وهم أهل الثرثار فعمدوا إلى مخّ الحنطة فجعلوه خبزاً هجاء فجعلوا ينجون به صبيانهم حتّى اجتمع من ذلك جبل، قال: فمرّ رجل صالح على امرأة وهي تفعل ذلك بصبيّ لها، فقال: ويحكم اتّقوا الله لا تغيّروا ما بكم من نعمة، فقالت: كأنّك تخوّفنا بالجوع؟ أما ما دام ثرثارنا يجري فإنّا لا نخاف الجوع، قال: فأسف الله عزّ وجلّ وضعف لهم الثرثار وحبس عنهم قطر السماء ونبت الأرض، قال: فاحتاجوا إلى ما في أيديهم فأكلوه، ثمّ احتاجوا إلى ذلك الجبل، فإن كان ليقسّم بينهم بالميزان[2].

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٧٥.

(٢) المحاسن، ص ٤٤٣.

أقول: قد أوردنا أخباراً كثيرة في ذلك في باب آداب الاستنجاء.

٣ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن سدير قال: سأل رجل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ فقال: هؤلاء قوم كانت لهم قرى متّصلة ينظر بعضهم إلى بعض، وأنهار جارية، وأموال ظاهرة، فكفروا بأنعم الله وغيّروا ما بأنفسهم، فأرسل الله عليهم سيل العرم فغرّق قراهم، وأخرب ديارهم، وذهب بأموالهم، وأبدلهم مكان جنّاتهم جنّتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ثمّ قال الله عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[1].

كا: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب مثله[2].

ص: بالإسناد عن الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب مثله[3].

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ المراد بسبأ ههنا القبيلة الّذين هم أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ أي في بلدهم ﴿آيَةٌ﴾ أي حجّة على وحدانيّة الله عزّ اسمه وكمال قدرته، وعلامة على سبوغ نعمه، ثمّ فسّر سبحانه الآية فقال: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أي بستانان عن يمين من أتاهما وشماله؛ وقيل: عن يمين البلد وشماله؛ وقيل: إنّه لم يرد جنّتين اثنتين، والمراد: كانت ديارهم على وتيرة واحدة، إذ كانت البساتين عن يمينهم وشمالهم متّصلة بعضها ببعض، وكان من كثرة النعم أنّ المرأة كانت تمشي والمكتل على رأسها فيمتلئ بالفواكه من غير أن تمسّ بيدها شيئاً؛ وقيل: الآية المذكورة هي أنّه لم يكن في قريتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حيّة، وكان الغريب إذا دخل بلادهم وفي ثيابه قمّل ودوابّ ماتت، عن ابن زيد؛ وقيل: إنّ المراد بالآية خروج الأزهار والثمار من الأشجار على اختلاف ألوانها وطعومها؛ وقيل: إنّها كانت ثلاث عشرة قرية في كلّ قرية نبيّ يدعوهم إلى الله سبحانه يقولون لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ أي كلوا ممّا رزقكم الله في هذه الجنان واشكروا له يزدكم من نعمه واستغفروه يغفر لكم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي هذه بلدة مخصبة نزهة أرضها عذبة، تخرج النبات وليست بسبخة، وليس فيها شيء من الهوامّ المؤذية؛ وقيل: أراد به صحّة هوائها، وعذوبة مائها، وسلامة تربتها، وأنّه ليس فيها حرّ يؤذي في القيظ ولا برد يؤذي في الشتاء ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ أي كثير المغفرة للذنوب ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن الحقّ ولم يشكروا الله سبحانه ولم يقبلوا ممّن دعاهم إلى الله من

---

(١) روضة الكافي، ص ٨٥٧ ح ٥٩٦.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٧٥ باب الذنوب ح ٢٣.

(٣) قصص الأنبياء، ص ٩٩.

أنبيائه ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ وذلك أنّ الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن، وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما، فسدوا ما بين الجبلين فإذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السدّ بقدر الحاجة، فكانوا يسقون زروعهم وبساتينهم فلمّا كذّبوا رسلهم وتركوا أمر الله بعث الله جرذاً نقب ذلك الردم وفاض الماء عليهم فأغرقهم، عن وهب(١).

وقال البيضاويّ: ﴿سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ أي سيل الأمر العرم، أي الصعب، من عرم الرجل فهو عارم وعرم: إذا شرس خلقه وصعب، أو المطر الشديد، أو الجرذ، أضاف إليه السيل لأنّه نقب عليهم سكراً ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر، وتركت فيه نقباً على مقدار ما يحتاجون إليه، أو المسنّاة الّتي عقدت سكراً على أنّه جمع عرمة. وهي الحجارة المركومة؛ وقيل: اسم واد جاء السيل من قبله، وكان ذلك بين عيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله.

﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ مرّ بشع، فإنّ الخمط كلّ نبت أخذ طعماً من مرارة؛ وقيل: الأراك، أو كلّ شجر لا شوك له ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ والأثل: هو الطرفاء ولا ثمر له، ووصف السدر بالقلّة فإنّ جناه وهو النبق ممّا يطيب أكله، ولذلك يغرس في البساتين ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرانهم النعمة، أو بكفرهم بالرسل، إذ روي أنّه بعث إليهم ثلاثة عشر نبيّاً فكذّبوهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ وهل نجازي بمثل ما فعلنا بهم إلّا البليغ في الكفران أو الكفر ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة يظهر بعضها لبعض، أو راكبة متن الطريق، ظاهرة لأبناء السبيل ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية إلى أن يبلغ الشام ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ على إرادة القول بلسان الحال أو المقال ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ متى شئتم من ليل أو نهار ﴿آمِنِينَ ۝١٨ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ أشروا النعمة وملّوا العافية كبني إسرائيل، فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزوّد الأزواد، فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسّطة ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ حيث بطروا النعمة ولم يعتدّوا بها ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدّث الناس بهم تعجّباً، وضرب مثل فيقولون: تفرّقوا أيدي سبأ ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ ففرّقناهم غاية التفريق حتّى لحق غسّان منهم بالشام، وأنمار بيثرب، وجذام بتهامة، والأزد بعمان(٢).

وقال الطبرسيّ رحمه الله: روى الكلبيّ، عن أبي صالح قال: ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو ابن عامر الّذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء، وكانت قد رأت في كهانتها أنّ سدّ مأرب سيخرب، وأنّه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنّتين، فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه حتّى انتهوا إلى مكّة فأقاموا بها وما حولها، فأصابتهم الحمّى وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٠٩.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٠٣.

الحمّى، فدعوا طريفة وشكوا إليها الّذي أصابهم، فقالت لهم: قد أصابني الّذي تشتكون وهو مفرّق بيننا، قالوا: فماذا تأمرين؟ قالت: من كان منكم ذا همّ بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد، فكانت أزد عمان؛ ثمّ قالت: من كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على أزمات الدهر فعليه بالأراك من بطن مرّ، فكانت خزاعة. ثمّ قالت: من كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل، فكانت الاوس والخزرج. ثمّ قالت: من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير وملابس التاج والحرير فليلحق ببصرى وعوير، وهما من أرض الشام، وكان الّذين سكنوها آل جفنة بن غسّان. ثمّ قالت: من كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الأرزاق والدم المهراق فليلحق بأرض العراق، وكان الّذين سكنوها آل جزيمة الأبرش ومن كان بالحيرة وآل محرق[1].

١٣ - باب قصة أصحاب الرس وحنظلة[2]

الآيات: الحج «٢٢»: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ «٤٥».

الفرقان «٢٥»: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ «٣٨».

ق «٥٠»: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ «١٢».

١ - ع، ن: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن الهرويّ، عن الرضا، عن آبائه عن الحسين بن عليّ عليه السلام قال: أتى عليّ بن أبي طالب عليه السلام قبل مقتله بثلاثة أيّام رجل من أشراف تميم يقال له عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرسّ في أيّ عصر كانوا؟ وأين كانت منازلهم؟ ومن كان ملكهم؟ وهل بعث الله عزّ وجلّ إليهم رسولاً أم لا؟ وبماذا أهلكوا؟ فإنّي أجد في كتاب الله ذكرهم ولا أجد خبرهم. فقال له عليّ عليه السلام: لقد سألت عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدّثك به أحد بعدي إلاّ عنّي، وما في كتاب الله عزّ وجلّ آية إلاّ وأنا أعرف تفسيرها، وفي أيّ مكان نزلت من سهل أو جبل، وفي أيّ وقت نزلت من ليل أو نهار، وإنّ ههنا لعلماً جمّاً - وأشار إلى صدره - ولكن طلاّبه يسير، وعن قليل يندمون لو فقدوني، قال: كان من قصّتهم يا أخا تميم أنّهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت، كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها روشاب كانت أنبطت لنوح عليه السلام بعد الطوفان، وإنّما سمّوا أصحاب الرسّ لأنّهم رسّوا نبيّهم في الأرض،

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢١١.

(٢) أقول: ظهر في سنة ٥٧٠٤ بعد الهبوط ونسبه ينتهي إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام. تفصيل ذلك مع قضاياه في كتاب ناسخ التواريخ ج٢ [النمازي].

وذلك بعد سليمان بن داود عليه السلام، وكانت لهم اثنتا عشر قرية على شاطئ نهر يقال له: الرسّ من بلاد المشرق، وبهم سمّي ذلك النهر، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه، ولا أعذب منه، ولا قرى أكثر ولا أعمر منها تسمّى إحداهنّ أبان، والثانية آذر، والثالثة دي، والرابعة بهمن، والخامسة إسفندار، والسادسة فروردين، والسابعة أردي بهشت، والثامنة خرداد، والتاسعة مرداد، والعاشرة تير، والحادي عشرة مهر، والثاني عشرة شهر يورد، وكانت أعظم مدائنهم إسفندار وهي الّتي ينزلها ملكهم، وكان يسمّى تركوذ بن غابور بن يارش بن سازن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم، وبها العين والصنوبرة، وقد غرسوا في كلّ قرية منها حبّة من طلع تلك الصنوبرة، وأجروا إليها نهراً من العين الّتي عند الصنوبرة، فنبتت الحبّة وصارت شجرة عظيمة، وحرّموا ماء العين والأنهار فلا يشربون منها ولا أنعامهم، ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون: هو حياة آلهتنا، فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها، ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرسّ الّذي عليه قراهم، وقد جعلوا في كلّ شهر من السنة في كلّ قرية عيداً يجتمع إليه أهلها فيضربون على الشجرة الّتي بها كلّة من حرير فيها من أنواع الصور، ثمّ يأتون بشاء وبقر فيذبحونها قرباناً للشجرة، ويشعلون فيها النيران بالحطب، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خرّوا للشجرة سجّداً يبكون ويتضرّعون إليها أن ترضى عنهم، فكان الشيطان يجيء فيحرّك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصبيّ: إنّي قد رضيت عنكم عبادي! فطيبوا نفساً، وقرّوا عيناً، فيرفعون رؤوسهم عند ذلك، ويشربون الخمر، ويضربون بالمعازف، ويأخذون الدستبند، فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثمّ ينصرفون، وإنّما سمّت العجم شهورها بأبان ماه وآذر ماه وغيرهما اشتقاقاً من أسماء تلك القرى لقول أهلها بعضهم لبعض هذا عيد شهر كذا، وعيد شهر كذا، حتّى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليها صغيرهم وكبيرهم، فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور، وجعلوا له اثني عشر باباً كلّ باب لأهل قرية منهم، ويسجدون للصنوبرة خارجاً من السرادق، ويقربون لها الذبائح أضعاف ما قرّبوا للشجرة الّتي في قراهم فيجيء إبليس عند ذلك فيحرّك الصنوبرة تحريكاً شديداً، ويتكلّم من جوفها كلاماً جهوريّاً، ويعدهم ويمنّيهم بأكثر ممّا وعدتهم ومنّتهم الشياطين كلّها، فيرفعون رؤوسهم من السجود، وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون ولا يتكلّمون من الشرب والعزف، فيكونون على ذلك اثني عشر يوماً ولياليها بعدد أعيادهم سائر السنة، ثمّ ينصرفون، فلمّا طال كفرهم بالله عزّ وجلّ وعبادتهم غيره بعث الله عزّ وجلّ إليهم نبيّاً من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب، فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله عزّ وجلّ ومعرفة ربوبيّته فلا يتّبعونه، فلمّا رأى شدّة تماديهم في الغيّ والضلال وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والنجاح وحضر عيد قريتهم العظمى قال: يا ربّ إنّ عبادك أبوا إلاّ

تكذيبي والكفر بك، وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضرّ، فأيبس شجرهم أجمع، وأرهم قدرتك وسلطانك، فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كلّها فهالهم ذلك وقطع بهم، وصاروا فرقتين: فرقة قالت: سحر آلهتكم هذا الرجل الّذي زعم أنّه رسول ربّ السماء والأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلهه، وفرقة قالت: لا بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاءها لكي تغضبوا لها فتنتصروا منه، فأجمع رأيهم على قتله، فاتّخذوا أنابيب طوالاً من رصاص واسعة الأفواه، ثمّ أرسلوها في قرار العين إلى أعلى الماء، واحدة فوق الأخرى مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء، ثمّ حفروا في قرارها بئراً ضيّقة المدخل عميقة، وأرسلوا فيها نبيّهم، وألقموا فاها صخرة عظيمة، ثمّ أخرجوا الأنابيب من الماء وقالوا: نرجو الآن أن ترضى عنّا آلهتنا إذا رأت أنّا قد قتلنا من كان يقع فيها، ويصدّنا عن عبادتها، ودفنّاه تحت كبيرها يتشفّى منه، فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان، فبقوا عامّة يومهم يسمعون أنين نبيّهم، وهو يقول: «سيّدي قد ترى ضيق مكاني وشدّة كربي فارحم ضعف ركني وقلّة حيلتي، وعجّل بقبض روحي ولا تؤخّر إجابة دعوتي» حتّى مات؛ فقال الله جلّ جلاله لجبرئيل: يا جبرئيل أيظنّ عبادي هؤلاء الّذين غرّهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي أن يقوموا لغضبي أو يخرجوا من سلطاني؟ كيف وأنا المنتقم ممّن عصاني، ولم يخش عقابي، وإنّي حلفت بعزّتي لأجعلنّهم عبرة ونكالاً للعالمين، فلم يرعهم وهم في عيدهم ذلك إلاّ بريح عاصف شديدة الحمرة فتحيّروا فيها وذعروا منها وتضامّ بعضهم إلى بعض، ثمّ صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقّد، وأظلّتهم سحابة سوداء فألقت عليهم كالقبّة جمراً يلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار، فنعوذ بالله تعالى ذكره من غضبه ونزول نقمته، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم[١].

بيان: روى الثعلبيّ في العرائس هذه الرواية عن عليّ بن الحسين عليهما السلام نحواً ممّا أوردنا[٢].

قوله عليه السلام: (وبهم سمّي ذلك النهر) أي سمّي ذلك النهر الرسّ لفعلهم حيث رسّوا نبيّهم فيه. قال الفيروزآباديّ: الرسّ: البئر المطويّة بالحجارة. وبئر كانت لبقيّة من ثمود كذّبوا نبيّهم ورسّوه في بئر. والحفر. والدسّ. ودفن الميّت انتهى. قوله عليه السلام: (وحرّموا ماء العين) يدلّ على أنّ العين الّتي كانت عند الصنوبرة غير الرسّ الّذي كان عليه قراهم. والكلّة بالكسر: الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقّى فيه من البقّ. والقترة بالفتح: الغبرة. والقتار بالضمّ: ريح البخور والقدر والشواء. والمعازف: الملاهي. قوله: (ويأخذون الدستبند)

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٥٥ باب ٣٨ ح ١، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٨٣ باب ١٦ ح ١.

(٢) عرائس المجالس، ص ١٢٣.

لعلّ المراد به ما يسمّى بالفارسيّة أيضاً سنج، ويحتمل أن يكون المراد التزيّن بالأسورة. وكلام جهوريّ أي عال، ويظهر منه أنّ الّذين كانوا يتكلّمون في الأشجار الأُخر كانوا غير إبليس من أعوانه. وفي القاموس: قطع بزيد كعني فهو مقطوع به: عجز من سفره بأيّ سبب كان، أو حيل بينه وبين ما يؤمّله. والبربخ بالبائين الموحّدتين والخاء المعجمة: ما يعمل من الخزف للبئر ومجاري الماء.

٢ - فس: أصحاب الرسّ هم الّذين هلكوا، لأنّهم استغنوا الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، والرسّ: نهر بناحية آذربايجان(١).

٣ - مع: معنى أصحاب الرسّ أنّهم نسبوا إلى نهر يقال له الرسّ من بلاد المشرق، وقد قيل: إنّ الرسّ هو البئر، وإنّ أصحابه رسّوا نبيّهم بعد سليمان بن داود عليه السلام وكانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت، كان غرسها يافث بن نوح، فأُنبتت لنوح بعد الطوفان، وكان نساؤهم يشتغلن بالنساء عن الرجال، فعذّبهم الله عزّ وجلّ بريح عاصف شديدة الحمرة، وجعل الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقّد وأظلّتهم سحابة سوداء مظلمة فانكفت عليهم كالقبّة جمرة تلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار(٢).

٤ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، وماجيلويه، عن محمّد بن أبي القاسم، عن محمّد بن عليّ، عن عليّ بن العبّاس، عن جعفر بن محمّد البلخيّ، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن إبراهيم قال: سأل رجل أبا الحسن موسى عليه السلام عن أصحاب الرسّ الّذين ذكرهم الله من هم وممّن هم وأيّ قوم كانوا؟ فقال: كانا رسّين: أمّا أحدهما فليس الّذي ذكره الله في كتابه، كان أهله أهل بدو وأصحاب شاة وغنم، فبعث الله تعالى إليهم صالح النبيّ عليه السلام رسولاً فقتلوه، وبعث إليهم رسولاً آخر فقتلوه، ثمّ بعث إليهم رسولاً آخر وعضده بوليّ فقتلوا الرسول، وجاهد الوليّ حتّى أفحمهم، وكانوا يقولون: إلهنا في البحر وكانوا على شفيره، وكان لهم عيد في السنة، يخرج حوت عظيم من البحر في تلك اليوم فيسجدون له، فقال وليّ صالح لهم: لا أريد أن تجعلوني ربّاً، ولكن هل تجيبوني إلى ما دعوتكم إن أطاعني ذلك الحوت؟ فقالوا: نعم، وأعطوه عهوداً ومواثيق، فخرج حوت راكب على أربعة أحوات، فلمّا نظروا إليه خرّوا سجّداً، فخرج وليّ صالح النبيّ إليه وقال له: ائتني طوعاً أو كرهاً باسم الله الكريم، فنزل عن أحواته، فقال الوليّ: ائتني عليهنّ لئلاّ يكون من القوم في أمري شكّ، فأتى الحوت إلى البرّ يجرّها وتجرّه إلى عند وليّ صالح، فكذّبوه بعد ذلك، فأرسل الله إليهم ريحاً فقذفتهم في اليمّ - أي البحر - ومواشيهم، فأتى الوحي إلى وليّ صالح بموضع ذلك البئر وفيها الذهب والفضّة، فانطلق فأخذه ففضّه على أصحابه بالسويّة على الصغير والكبير.

وأما الّذين ذكرهم الله في كتابه فهم قوم كان لهم نهر يدعى الرسّ، وكان فيهم أنبياء كثيرة،

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٠٠.

(٢) معاني الأخبار، ص ٤٨.

فسأله رجل: وأين الرسُّ؟ فقال: هو نهر بمنقطع آذربيجان، وهو بين حدّ ارمينية وآذربيجان، وكانوا يعبدون الصلبان، فبعث الله إليهم ثلاثين نبيّاً في مشهد واحد فقتلوهم جميعاً، فبعث الله إليهم نبيّاً وبعث معه وليّاً فجاهدهم، وبعث الله ميكائيل في أوان وقوع الحبّ والزرع، فأنضب ماءهم فلم يدع عيناً ولا نهراً ولا ماءً لهم إلاّ أيبسه وأمر ملك الموت فأمات مواشيهم، وأمر الله الأرض فابتلعت ما كان لهم من تبر أو فضّة أو آنية فهو لقائمنا عليه السلام إذا قام، فماتوا كلّهم جوعاً وعطشاً، فلم يبق منهم باقية، وبقي منهم قوم مخلصون فدعوا الله أن ينجيهم بزرع وماشية وماء، ويجعله قليلاً لئلاّ يطغوا، فأجابهم الله إلى ذلك لما علم من صدق نيّاتهم، ثمّ عاد القوم إلى منازلهم فوجدوها قد صارت أعلاها أسفلها، وأطلق الله لهم نهرهم، وزادهم فيه عليه ما سألوا، فقاموا على الظاهر والباطن في طاعة الله حتّى مضى أُولئك القوم وحدث بعد ذلك نسل أطاعوا الله في الظاهر ونافقوه في الباطن، وعصوا بأشياء شتّى فبعث الله من أسرع فيهم القتل، فبقيت شرذمة منهم فسلّط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحداً، وبقي نهرهم ومنازلهم مائتي عام لا يسكنها أحد، ثمّ أتى الله تعالى بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين، ثمّ أحدث قوم منهم فاحشة واشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء فسلّط الله عليهم صاعقة فلم يبق منهم باقية[1].

بيان: قوله: (بموضع ذلك البئر) يظهر منه أنّهم كانوا دفنوا أموالهم في بئر وسيظهر ممّا سننقل من رواية الثعلبيّ أنّ فيه تصحيفاً.

٥ - **ثو:** أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلت عليه نسوة فسألته امرأة عن السحق، فقال: حدّها حدّ الزاني، فقالت امرأة: ما ذكر الله عزّ وجلّ ذلك في القرآن؟ قال: بلى، قالت: وأين هو؟ قال: هو أصحاب الرسّ[2].

٦ - **كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن الحسن بن عليّ الكوفيّ، عن عبيس بن هشام، عن حسين بن أحمد المنقريّ، عن هشام الصيدلانيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله رجل عن هذه الآية: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ فقال بيده هكذا، فمسح إحداهما بالأخرى، فقال: هنّ اللّواتي باللّواتي، يعني النساء بالنساء[3].

قال الثعلبيّ في العرائس: قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ و قال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾.

اختلف أهل التفسير وأصحاب الأقاصيص فيهم، فقال سعيد بن جبير والكلبيّ والخليل

(١) قصص الأنبياء، ص ٩٦. (٢) ثواب الأعمال، ص ٣١٦.
(٣) الكافي، ج ٥ ص ٨٨٣ باب ٣٧٩ ح ١.

ابن أحمد - دخل كلام بعضهم في بعض، وكلّ أخبر بطائفة من حديث -: أصحاب الرسّ بقيّة ثمود قوم صالح عليه السلام وهم أصحاب البئر الّتي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ وكانوا بفليج اليمامة نزولاً على تلك البئر وكلّ ركيّة لم تطو بالحجارة والآجرّ فهو رسّ، وكان لهم نبيّ يقال له حنظلة بن صفوان، وكان بأرضهم جبل يقال له فتح، مصعداً في السماء ميلاً، وكانت العنقاء ينتابه وهي كأعظم مايكون من الطير، وفيها من كلّ لون، وسمّوها العنقاء لطول عنقها، وكانت تكون في ذلك الجبل تنقضّ على الطير تأكلها، فجاعت ذات يوم فأعوزها الطير فانقضّت على صبيّ فذهبت به، ثمّ إنّها انقضّت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمّتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين، فشكوا إلى نبيّهم، فقال: اللّهمّ خذها واقطع نسلها وسلّط عليها آية تذهب بها، فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر فضربتها العرب مثلاً في أشعارها وحكمها وأمثالها؛ ثمّ إنّ أصحاب الرسّ قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله تعالى.

وقال بعض العلماء: بلغني أنّه كان رسّان: أمّا أحدهما فكان أهله أهل بدو وأصحاب غنم ومواش فبعث الله إليهم نبيّاً فقتلوه، ثمّ بعث إليهم رسولاً آخر وعضده بوليّ فقتلوا الرسول، وجاهدهم الوليّ حتّى أفحمهم، وكانوا يقولون: إلهنا في البحر، وكانوا على شفيره، وكان يخرج إليهم من البحر شيطان في كلّ شهر خرجة فيذبحون عنده ويتّخذونه عيداً، فقال لهم الوليّ: أرأيتم إن خرج إلهكم الّذين تدعونه وتعبدونه إليّ وأطاعني أتجيبونني إلى ما دعوتكم إليه؟ فقالوا: بلى، وأعطوه على ذلك العهود والمواثيق، فانتظر حتّى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكباً أربعة أحوات، وله عنق مستعلية، وعلى رأسه مثل التاج، فلمّا نظروا إليه خرّوا له سجّداً، وخرج الوليّ إليه، فقال: ائتني طوعاً أو كرهاً، باسم الله الكريم، فنزل عند ذلك عن أحواته، فقال له الوليّ: ائتني عليهنّ لئلاّ يكون من القوم في أمري شكّ، فأتى الحوت وأتين به حتّى أفضين به إلى البرّ يجرّونه، فكذّبوه بعدما رأوا ذلك، ونقضوا العهد، فأرسل الله تعالى عليهم ريحاً فقذفتهم في البحر ومواشيهم جميعاً وما كانوا يملكون من ذهب وفضّة، فأتى الوليّ الصّالح إلى البحر حتّى أخذ التبر والفضّة والأواني فقسّمها على أصحابه بالسويّة على الصغير منهم والكبير، وانقطع هذا النسل.

وأمّا الآخر فهم قوم كان لهم نهر يدعى الرسّ ينسبون إليه، وكان فيهم أنبياء كثيرة، قلّ يوم يقوم نبيّ إلاّ قتل، وذلك النهر بمنقطع آذربيجان بينها وبين ارمينية فإذا قطعته مدبراً دخلت في حدّ ارمينية، وإذا قطعته مقبلاً دخلت في حدّ آذربيجان، يعبدون النيران، وهم كانوا يعبدون الجواري العذارى، فإذا تمّت لإحداهنّ ثلاثين سنة قتلوها واستبدلوا غيرها، وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ، وكان يرتفع في كلّ يوم وليلة حتّى يبلغ أنصاف الجبال الّتي حوله، وكان لا ينصبّ في برّ ولا بحر، إذا خرج من حدّهم يقف ويدور، ثمّ يرجع إليهم، فبعث الله تعالى إليهم ثلاثين نبيّاً في شهر واحد فقتلوهم جميعاً، فبعث الله عزّ وجلّ إليهم نبيّاً وأيّده بنصره وبعث

معه وليّاً فجاهدهم في الله حقّ جهاده، فبعث الله تعالى إليه ميكائيل حين نابذوه وكان ذلك في أوان وقوع الحبّ في الزرع، وكان إذ ذاك أحوج ما كانوا من الماء، ففجر نهرهم في البحر فانصبّ ما في أسفله، وأتى عيونه من فوق فسدّها، وبعث إليه خمسمائة ألف من الملائكة أعواناً له ففرّقوا ما بقي في وسط النهر، ثمّ أمر الله تعالى جبرائيل فنزل فلم يدع في أرضهم عيناً ولا نهراً إلاّ أيبسه بإذن الله عزّ وجلّ، وأمر ملك الموت فانطلق إلى المواشي فأماتهم ربضة واحدة، وأمر الرياح الأربع: الجنوب، والشمال، والدبور، والصباء، فضمّت ماكان لهم من متاع، وألقى الله عزّ وجلّ عليهم السبات، ثمّ حفّت الرياح الأربع المتاع أجمع فهبّته في رؤوس الجبال وبطون الأودية، فأمّا ما كان من حليّ أو تبر أو آنية فإنّ الله تعالى أمر الأرض فابتلعته فأصبحوا ولا شاة عندهم ولا بقرة، ولا مال يعودون إليه، ولا ماء يشربونه، ولا طعام يأكلونه، فآمن بالله تعالى عند ذلك قليل منهم، وهداهم إلى غار في جبل له طريق إلى خلفه فنجوا، وكانوا أحداً وعشرين رجلاً وأربع نسوة وصبيّين، وكان عدّة الباقين من الرجال والنساء والذراريّ ستّمائة ألف فماتوا عطشاً وجوعاً، ولم يبق منهم باقية، ثمّ عاد القوم إلى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها، فدعا القوم عند ذلك مخلصين أن يجيئهم بزرع وماء وماشية ويجعله قليلاً لئلاّ يطغوا، فأجابهم الله تعالى إلى ذلك لما علم من صدق نيّاتهم وعلم منهم الصدق، وآلوا أن لا يبعث رسولاً ممّن قاربهم إلاّ أعانوه وعضدوه، وعلم الله تعالى منهم الصدق فأطلق الله لهم نهرهم وزادهم على ما سألوا، فأقام أولئك في طاعة الله ظاهراً وباطناً حتّى مضوا وانقرضوا، وحدث بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله في الظاهر ونافقوه في الباطن، فأملى الله تعالى لهم، وكان عليهم قادراً، ثمّ كثرت معاصيهم وخالفوا أولياء الله تعالى فبعث الله عزّ وجلّ عدوّهم ممّن فارقهم وخالفهم فأسرع فيهم القتل، وبقيت منهم شرذمة فسلّط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحداً، وبقي نهرهم ومنازلهم مائتي عام لا يسكنها أحد، ثمّ أتى الله بقرن بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين سنين، ثمّ أحدثوا فاحشة جعل الرجل يدعو بنته وأخته وزوجته فينيلها جاره وأخاه وصديقه يلتمس بذلك البرّ والصلة، ثمّ ارتفعوا من ذلك إلى نوع آخر: ترك الرجال النساء حتّى شبقن واستغنوا بالرجال، فجاءت النساء شيطانهنّ في صورة امرأة وهي الدلهاث بنت إبليس وهي أخت الشيصار كانتا في بيضة واحدة فشبّهت إلى النساء ركوب بعضهنّ بعضاً وعلّمتهنّ كيف يصنعن، فأصل ركوب النساء بعضهنّ بعضاً من الدلهاث، فسلّط الله على ذلك القرن صاعقة في أوّل اللّيل، وخسفاً في آخر اللّيل، وصيحة مع الشمس، فلم يبق منهم باقية، وبادت مساكنهم، ولا أحسب منازلهم اليوم تسكن. انتهى[1].

أقول: إنّما أوردنا تلك الرواية بطولها لكونها كالشرح لروايتي يعقوب وهشام بل لا يبعد

(١) عرائس المجالس، ص ١٣١.

أن يكون من قوله: (قال بعض العلماء) إلى آخره رواية يعقوب بعينها، إذ كثيراً ما ينقل الثعلبيّ روايات الشيعة في كتابه هكذا، والراونديّ رحمه الله دأبه الاختصار في الأخبار، فكثيراً ما وجدناه ترك من خبر رواه عن الصدوق رحمه الله أكثر من ثلاثة أرباعه، وإنّما أوردنا قصّة أصحاب الرسّ في هذا الموضع لما ورد في الخبر أنّهم كانوا بعد سليمان عليه السلام ومنهم من ذكرها قبل قصص إبراهيم عليه السلام بناء على أنّهم من بقيّة قوم ثمود والصدوق أوردهم بعد قصص إبراهيم وقبل يعقوب عليه السلام، وقد ذكرهم الله في سورة الفرقان بعد ثمود، وفي سورة ق قبلهم.

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ هو بئر رسّوا فيها نبيّهم أي ألقوه فيها، عن عكرمة؛ وقيل: إنّهم كانوا أصحاب مواش ولهم بئر يقعدون عليها، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شعيباً فكذّبوه فانهار البئر وانخسف بهم الأرض فهلكوا، عن وهب؛ وقيل: الرسّ: قرية باليمامة يقال لها: فلج، قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله، عن قتادة؛ وقيل: كان لهم نبيّ يسمّى حنظلة فقتلوه فأهلكوا، عن سعيد بن جبير والكلبيّ؛ وقيل: هم أصحاب الرسّ والرسُّ: بئر بأنطاكية، قتلوا فيها حبيباً النجّار فنسبوا إليها، عن كعب ومقاتل؛ وقيل: أصحاب الرسّ كان نساؤهم سحّاقات، عن أبي عبد الله عليه السلام(١).

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾: قال الضحّاك: هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء، نزل بها أربعة آلاف ممّن آمن بصالح ومعهم صالح، فلمّا حضروا مات صالح، فسمي المكان حضرموت، ثمّ إنّهم كثروا فكفروا وعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نبيّاً يقال له حنظلة فقتلوه في السوق فأهلكهم الله فماتوا عن آخرهم، وعطّلت بئرهم، وخرب قصر ملكهم(٢).

٧ - **كنز الفوائد للكراجكيّ**: روي عن ابن عبّاس في حديث ذكر فيه إتيان رجل جهنيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإسلامه على يده وأنّهم تحدّثوا يوماً في ذكر القبور والجهنيّ حاضر فحدّثهم أنّ جهينة بن العوسان أخبره عن أشياخه أنّ سنة نزلت بهم حتّى أكلوا ذخائرهم، فخرجوا من شدّة الأزل وهم جماعة في طلب النبات فجنّهم اللّيل فأووا إلى مغارة: وكانت البلاد مسبعة وهم لا يعلمون، قال: فحدّثني رجل منهم يقال له مالك، قال: رأينا في الغار أشبالاً فخرجنا هاربين حتّى دخلنا وهدة من وهاد الأرض بعدما تباعدنا من ذلك الموضع، فأصبنا على باب الوهدة حجراً مطبقاً فتعاونّا عليه حتّى قلبناه فإذا رجل قاعد عليه جبّة صوف، وفي يده خاتم عليه مكتوب: أنا حنظلة بن صفوان رسول الله، وعند رأسه كتاب في صحيفة نحاس فيه: بعثني الله إلى حمير وهمدان والعزيز من أهل اليمن بشيراً ونذيراً، فكذّبوني وقتلوني. فأعادوا الصخرة على ما كانت عليه في موضعها(٣).

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٩٦.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٥٩.
(٣) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٨٠.

١٤ - باب قصة شعيا وحيقوق عليهما السلام

١ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن جابر، عن الباقر عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام: أوحى الله تعالى جلّت قدرته إلى شعيا عليه السلام إنّي مهلك من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من شرارهم وستّين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام: هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فقال: داهنوا أهل المعاصي فلم يغضبوا لغضبي[(١)].

٢ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن وهب بن منبّه قال: كان في بني إسرائيل ملك في زمان شعيا وهم متابعون مطيعون لله، ثمّ إنّهم ابتدعوا البدع فأتاهم ملك بابل وكان نبيّهم يخبرهم بغضب الله عليهم، فلمّا نظروا إلى ما لا قبل لهم من الجنود تابوا وتضرّعوا، فأوحى الله تعالى إلى شعيا إنّي قبلت توبتهم لصلاح آبائهم، وملكهم كان قرحة بساقه وكان عبداً صالحاً، فأوحى الله تعالى إلى شعيا عليه السلام أن مر ملك بني إسرائيل فليوص وصيّه وليستخلف على بني إسرائيل من أهل بيته، فإنّي قابضه يوم كذا، فليعهد عهده، فأخبره شعيا عليه السلام برسالته تعالى عزّ وعلا، فلمّا قال له ذلك أقبل على التضرّع والدعاء والبكاء، فقال: اللّهمّ ابتدأتني بالخير من أوّل يوم، وسبّبته لي، وأنت فيما أستقبل رجائي وثقتي، فلك الحمد بلا عمل صالح سلف منّي، وأنت أعلم منّي بنفسي، أسألك أن تؤخّر عنّي الموت، وتنسئ لي في عمري، وتستعملني بما تحبّ وترضى، فأوحى الله تعالى إلى شعيا إنّي رحمت تضرّعه، واستجبت دعوته، وقد زدت في عمره خمس عشرة سنة، فمره فليداو قرحته بماء التين فإنّي قد جعلته شفاء ممّا هو فيه، وإنّي قد كفيته وبني إسرائيل مؤونة عدوّهم، فلمّا أصبحوا وجدوا جنود ملك بابل مصروعين في عسكرهم موتى، لم يفلت منهم أحد إلاّ ملكهم وخمسة نفر فلمّا نظروا إلى أصحابهم وما أصابهم كرّوا منهزمين إلى أرض بابل، وثبت بنو إسرائيل متوازرين على الخير، فلمّا مات ملكهم ابتدعوا البدع، ودعا كلّ إلى نفسه، وشعيا عليه السلام يأمرهم وينهاهم فلا يقبلون حتّى أهلكهم الله.

وعن أنس أنّ عبد الله بن سلام سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن شعيا عليه السلام فقال: هو الّذي بشّر بي وبأخي عيسى بن مريم عليه السلام[(٢)].

أقول: قال صاحب الكامل بعد أن ذكر نحواً ممّا رواه وهب: قيل: إنّ شعيا أوحى الله إليه ليقوم في بني إسرائيل يذكّرهم بما يوحى على لسانه لمّا كثرت فيهم الأحداث، ففعل فعدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها، وأخذ الشيطان يهدب ثوبه وأراه بني إسرائيل فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتّى قطعوه في وسطها[(٣)].

أقول: سيأتي بعض أحواله في باب قصص بخت نصّر.

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٤٤.
(٢) قصص الأنبياء، ص ٢٤٥.
(٣) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ٢١٧.

٣ - ج، ن، يد: عن الحسن بن محمّد النوفليّ، عن الرضا عليه السلام فيما احتجّ على أرباب الملل قال عليه السلام للجاثليق: يا نصرانيّ كيف علمك بكتاب شعيا؟ قال: أعرفه حرفاً حرفاً، فقال له ولرأس الجالوت: أتعرفان هذا من كلامه: «يا قوم إنّي رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور، ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر»؟ فقالا: قد قال ذلك شعيا. ثمّ قال عليه السلام: وقال شعيا النبيّ فيما تقول أنت وأصحابك في التوراة: «رأيت راكبين أضاء لهما الأرض أحدهما على حمار والآخر على جمل» فمن راكب الحمار؟ ومن راكب الجمل؟ قال رأس الجالوت: لا أعرفهما، فخبّرني بهما، قال: أمّا راكب الحمار فعيسى وأمّا راكب الجمل فمحمّد صلى الله عليه وآله، أتنكر هذا من التوراة؟ قال: لا ما أنكره.

ثمّ قال الرضا عليه السلام: هل تعرف حيقوق النبيّ عليه السلام؟ قال: نعم إنّي به لعارف، قال: فإنّه قال وكتابكم ينطق به: «جاء الله بالبيان من جبل فاران، وامتلأت السماوات من تسبيح أحمد وأمّته، يحمل خيله في البحر كما يحمل في البرّ، يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس» يعني بالكتاب القرآن، أتعرف هذا وتؤمن به؟ قال رأس الجالوت قد قال ذلك حيقوق النبيّ ولا ننكر قوله[1].

١٥ - باب قصص زكريا ويحيى عليهما السلام

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾.

مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ اسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾.

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٢٠، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٤٥ باب ١٢ ح ١، والتوحيد ص ٤٢٤.

الأنبياء «٢١»: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

١ - **فس:** ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ قال: كانت لا تحيض فحاضت[1].

٢ - **ن:** ماجيلويه، عن عليّ، عن أبيه، عن الريّان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرّم، فقال: يا ابن شبيب أصائم أنت؟ فقلت: لا، فقال: إنّ هذا اليوم هو اليوم الّذي دعا فيه زكريّا عليه السلام ربّه فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريّا وهو قائم يصلّي في المحراب ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ فمن صام هذا اليوم ثمّ دعا الله عزّ وجلّ استجاب الله له كما استجاب لزكريا عليه السلام[2].

٣ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن بعض أصحابه، عن محمّد بن سنان، عن أبي سعيد المكاريّ عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: ما عنى الله تعالى بقوله في يحيى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً﴾؟ قال: تحنّن الله، قال: قلت: فما بلغ من تحنّن الله عليه؟ قال: كان إذا قال: يا ربّ قال الله عزّ وجلّ له: لبّيك يا يحيى[3].

٤ - **لي:** القطّان، عن محمّد بن سعيد بن أبي شحمة، عن عبد الله بن سعيد بن هاشم القنانيّ، عن أحمد بن صالح، عن حسّان بن عبد الله الواسطيّ، عن عبد الله بن لهيعة، عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: كان من زهد يحيى بن زكريّا عليه السلام أنّه أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر، وبرانس الصوف، وإذا هم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدّوها إلى سواري المسجد، فلمّا نظر إلى ذلك أتى أمّه فقال: يا أمّاه انسجي لي مدرعة من شعر وبرنساً من صوف حتّى آتي بيت المقدس فأعبد الله مع الأحبار والرهبان، فقالت له أمّه: حتّى يأتي نبيّ الله وأؤامره في ذلك، فلمّا دخل زكريّا عليه السلام أخبرته بمقالة يحيى، فقال له زكريّا: يا بنيّ ما يدعوك إلى هذا وإنّما أنت صبيّ صغير؟ فقال له: يا أبه أما رأيت من هو أصغر سنّاً منّي قد ذاق الموت؟ قال: بلى، ثمّ قال لأمّه: انسجي له مدرعة من شعر، وبرنساً من صوف، ففعلت فتدرّع المدرعة على بدنه، ووضع البرنس على رأسه، ثمّ أتى بيت المقدس فأقبل يعبد الله عزّ وجلّ مع الأحبار حتّى أكلت مدرعة الشعر لحمه، فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من جسمه فبكى، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا يحيى أتبكي ممّا قد نحل من جسمك؟ وعزّتي وجلالي لو اطّلعت إلى النار

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٥٠.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٦٨ باب ٢٨ ح ٥٨.

(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٩٨ باب القول عند الإصباح ح ٣٨.

اطّلاعة لتدرّعت مدرعة الحديد فضلاً عن المنسوج، فبكى حتّى أكلت الدموع لحم خدّيه، وبدا للنّاظرين أضراسه فبلغ ذلك أمّه فدخلت عليه وأقبل زكريّا عليه السلام واجتمع الأحبار والرهبان فأخبروه بذهاب لحم خدّيه، فقال: ما شعرت بذلك، فقال زكريّا عليه السلام: يا بنيّ ما يدعوك إلى هذا؟ إنّما سألت ربّي أن يهبك لي لتقرّ بك عيني، قال: أنت أمرتني بذلك يا أبه، قال: ومتى ذلك يا بنيّ؟ قال: ألست القائل: إنّ بين الجنّة والنار لعقبة لا يجوزها إلاّ البكّاؤون من خشية الله؟ قال: بلى، فجدّ واجتهد وشأنك غير شأني، فقام يحيى فنفض مدرعته فأخذته أمّه، فقالت: أتأذن لي يا بنيّ أن أتّخذ لك قطعتي لبود تواريان أضراسك وتنشفان دموعك؟ فقال لها: شأنك، فاتّخذت له قطعتي لبود تواريان أضراسه وتنشفان دموعه حتّى ابتلّتا من دموع عينيه فحسر عن ذراعيه، ثمّ أخذهما فعصرهما فتحدّر الدموع من بين أصابعه، فنظر زكريّا عليه السلام إلى ابنه وإلى دموع عينيه فرفع رأسه إلى السّماء فقال: اللّهم إنّ هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين.

وكان زكريّا عليه السلام إذا أراد أن يعظ بني إسرائيل يلتفت يميناً وشمالاً فإن رأى يحيى عليه السلام لم يذكر جنّة ولا ناراً، فجلس ذات يوم يعظ بني إسرائيل وأقبل يحيى قد لفّ رأسه بعباءة فجلس في غمار الناس والتفت زكريّا عليه السلام يميناً وشمالاً فلم ير يحيى فأنشأ يقول: حدّثني حبيبي جبرئيل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أنّ في جهنّم جبلاً يقال له السكران، في أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان لغضب الرحمن تبارك وتعالى، في ذلك الوادي جبّ قامته مائة عام، في ذلك الجبّ توابيت من نار، في تلك التوابيت صناديق من نار، وثياب من نار، وسلاسل من نار، وأغلال من نار، فرفع يحيى عليه السلام رأسه فقال: وا غفلتاه من السكران، ثمّ أقبل هائماً على وجهه، فقام زكريّا عليه السلام من مجلسه فدخل على أمّ يحيى فقال لها: يا أمّ يحيى قومي فاطلبي يحيى فإنّي قد تخوّفت أن لا نراه إلاّ وقد ذاق الموت، فقامت فخرجت في طلبه حتّى مرّت بفتيان من بني إسرائيل فقالوا لها: يا أمّ يحيى أين تريدين؟ قالت: أريد أن أطلب ولدي يحيى، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، فمضت أمّ يحيى والفتية معها حتّى مرّت براعي غنم فقالت له: يا راعي هل رأيت شابّاً من صفته كذا وكذا؟ فقال لها: لعلّك تطلبين يحيى بن زكريّا؟ قالت: نعم ذاك ولدي، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، قال: إنّي تركته السّاعة على عقبة ثنيّة كذا وكذا، ناقعاً قدميه في الماء، رافعاً بصره إلى السّماء يقول: «وعزتك مولاي لا ذقت بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلتي منك» فأقبلت أمّه فلمّا رأته أمّ يحيى دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين ثدييها وهي تناشده بالله أن ينطلق معها إلى المنزل فانطلق معها حتّى أتى المنزل، فقالت له أمّ يحيى: هل لك أن تخلع مدرعة الشعر وتلبس مدرعة الصوف فإنّه ألين؟ ففعل، وطبخ له عدس فأكل واستوفى فنام فذهب به النوم فلم يقم لصلاته، فنودي في منامه: يا يحيى بن زكريّا أردت داراً خيراً من داري وجواراً خيراً من جواري؟ فاستيقظ فقام فقال: يا ربّ أقلني عثرتي، إلهي فوعزّتك لا أستظلّ بظلّ سوى

بيت المقدس، وقال لأمّه: ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما ستورداني المهالك، فتقدّمت أمّه فدفعت إليه المدرعة وتعلّقت به، فقال لها زكريّا: يا أمّ يحيى دعيه فإنّ ولدي قد كشف له عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش، فقام يحيى عليه السلام فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه، ثمّ أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله عزّ وجلّ مع الأحبار حتّى كان من أمره ما كان[1].

بيان: المدرعة بكسر الميم: القميص. والبرنس: قلنسوة طويلة كان النسّاك يلبسونها في صدر الإسلام، واللّبود جمع اللّبد، وغمار النّاس بالضمّ والفتح: زحمتهم وكثرتهم، وثنيّة الجبل: منعطفه.

٥ - من خطّ الشهيد قدّس سرّه نقلاً من كتاب زهد الصادق عنه عليه السلام قال: بكى يحيى بن زكريّا عليه السلام حتّى ذهب لحم خدّيه من الدموع، فوضع على العظم لبوداً يجري عليها الدموع، فقال له أبوه: يا بنيّ إنّي سألت الله تعالى أن يهبك لي لتقرّ عيني بك، فقال: يا أبه إنّ على نيران ربّنا معاثر لا يجوزها إلاّ البكّاؤون من خشية الله عزّ وجلّ، وأتخوّف أن آتيها فأزلّ منها، فبكى زكريّا عليه السلام حتّى غشي عليه من البكاء.

٦ - **فس:** أبي، عن حنان بن سدير، عن عبد الله بن الفضل الهمدانيّ، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: مرّ عليه رجل عدوّ لله ولرسوله فقال: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ ثم مرّ عليه الحسين بن عليّ عليهما السلام فقال: لكن هذا لتبكينّ عليه السماء والأرض، وقال: وما بكت السماء والأرض إلاّ على يحيى بن زكريّا والحسين بن عليّ عليهم السلام[2].

٧ - **ب:** عنهما، عن حنان، عن الصّادق عليه السلام قال: زوروا الحسين عليه السلام ولا تجفوه فإنّه سيّد شباب الشهداء، وسيّد شباب أهل الجنّة، وشبيه يحيى بن زكريّا عليه السلام، وعليهما بكت السماء والأرض[3].

٨ - **كا:** عليّ عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقرأ: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ يعني أنّه لم يكن له وارث حتّى وهب الله له بعد الكبر[4].

٩ - **فر:** سهل بن أحمد الدينوريّ معنعناً عن أبي عبد الله عليه السلام وساق الحديث في أحوال القيامة إلى أن قال: ثمّ ينادي المنادي وهو جبرئيل عليه السلام: أين فاطمة بنت محمّد؟ أين خديجة بنت خويلد؟ أين مريم بنت عمران؟ أين آسية بنت مزاحم؟ أين أمّ كلثوم أمّ يحيى بن زكريّا؟ فيقمن. الحديث[5].

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٣٣ مجلس ٨ ح ٢. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٦٥.

(٣) قرب الإسناد، ص ٩٩ ح ٣٣٦.

(٤) الكافي، ج ٦ ص ٨٩٧ كتاب العقيقة، باب ١ ح ٩.

(٥) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٢٩٨ ح ٤٠٣.

١٠ - فس: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ۝٣٨ فَنَادَتْهُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ الحصور: الّذي لا يأتي النساء ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ والعاقر الّتي قد يئست من المحيض ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ قَالَ﴾ زكريا: ﴿رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ وذلك أنّ زكريّا ظن أنّ الّذين بشروه هم الشياطين فقال: ﴿رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ فخرس ثلاثة أيّام[1].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿هُنَالِكَ﴾ أي عندما رأى عند مريم عليها السلام فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف على خلاف العادة ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أي طمع في رزق الولد من العاقر، وقوله: ﴿طَيِّبَةً﴾ أي مباركة؛ وقيل: صالحة تقيّة نقيّة العمل ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ﴾ بمعنى قابل الدعاء ومجيب له ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ قيل: ناداه جبرئيل أي أتاه النداء من هذا الجنس؛ وقيل: نادته جماعة من الملائكة ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي في المسجد؛ وقيل: في محراب المسجد ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ سمّاه الله بهذا الاسم قبل مولده، واختلف فيه لمَ سمّي بيحيى؟ فقيل: لأنّ الله أحيا به عقر أمّه، عن ابن عبّاس؛ وقيل: لأنّ الله سبحانه أحياه بالإيمان عن قتادة؛ وقيل: لأنّه سبحانه أحيا قلبه بالنبوّة، ولم يسمّ قبله أحداً بيحيى ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي بعيسى، وعليه جميع المفسّرين إلّا ما حكي عن أبي عبيدة أنّه قال: بكتاب الله، وكان يحيى أكبر سنّاً من عيسى عليه السلام بستّة أشهر، وكلّف التصديق به، وكان أوّل من صدّقه وشهد أنّه كلمة الله وروحه، وكان ذلك إحدى معجزات عيسى وأقوى الأسباب لإظهار أمره، فإنّ الناس كانوا يقبلون قول يحيى لمعرفتهم بصدقه وزهده ﴿وَسَيِّدًا﴾ في العلم والعبادة؛ وقيل: في الحلم والتقوى وحسن الخلق؛ وقيل: كريماً على ربّه؛ وقيل: فقيهاً عالماً؛ وقيل: مطيعاً لربّه؛ وقيل: مطاعاً؛ وقيل: سيّداً للمؤمنين بالرئاسة عليهم؛ والجميع يرجع إلى أصل واحد ﴿وَحَصُورًا﴾ وهو الّذي لا يأتي النساء، عن ابن عبّاس وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام، ومعناه أنّه يحصر نفسه عن الشهوات أي يمنعها؛ وقيل: الحصور أنّه لا يدخل في اللّعب والأباطيل، عن المبرّد وقيل: العنين، وهذا لا يجوز على الأنبياء لأنّه عيب وذمّ، ولأنّ الكلام خرج مخرج المدح ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ﴾ أي رسولاً شريفاً رفيع المنزلة من جملة الأنبياء ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ﴾ أي من أين يكون؟ وقيل: كيف يكون ﴿لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي أصابني الشيب ونالني الهرم، قال ابن عبّاس: كان يومئذ ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ أي عقيم لا تلد، فإن قيل: لمَ

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٠٩.

راجع زكريّا هذه المراجعة وقد بشّره الله بأن يهب له ذرّيّة طيّبة؟ قيل: إنّما قال ذلك على سبيل التعرّف عن كيفيّة حصول الولد، أيعطيهما وهما على ما كانا عليه من الشيب أم يصرفهما إلى حال الشباب ثمّ يرزقهما الولد؟ ويحتمل أن يكون اشتبه الأمر عليه أن يعطيه الولد من امرأته العجوز أم من امرأة أخرى شابّة، فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ وتقديره كذلك الأمر الّذي أنتما عليه وعلى تلك الحال ﴿ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ معناه: يرزقك الله الولد منها فإنّه هيّن عليه؛ وقيل فيه وجه آخر وهو أنّه إنّما قال ذلك على سبيل الاستعظام لمقدور الله تعالى والتعجّب الّذي يحصل للإنسان عند ظهور آية عظيمة، كمن يقول لغيره: كيف سمحت نفسك لإخراج ذلك المال النفيس من يدك؟ تعجّباً من جوده، وقيل: إنّه قال ذلك على وجه التعجّب من أنّه كيف أجابه الله إلى مراده فيما دعا وكيف استحقّ لذلك، ومن زعم أنّه إنّما قال ذلك للوسوسة الّتي خالطت قلبه من الشيطان أو خيّلت إليه أنّ النداء كان من غير الملائكة فقد أخطأ، لأنّ الأنبياء لا بدّ أن يعرفوا الفرق بين كلام الملك ووسوسة الشيطان، ولا يجوز أن يتلاعب الشيطان بهم حتّى يختلط عليهم طريق الإفهام، ثمّ سأل الله سبحانه علامة يعرف بها وقت حمل امرأته ليزيد في العبادة شكراً؛ وقيل ليتعجّل السرور ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ أي علامة لوقت الحمل والولد، فجعل الله تلك العلامة في إمساك لسانه عن الكلام إلاّ إيماء من غير آفة حدثت فيه بقوله: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ أي قال الله، أو جبرئيل، أي علامتك ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ أي إيماء، وقيل: الرمز تحريك الشفتين؛ وقيل: أراد به صومه ثلاثة أيّام لأنّهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلاّ رمزاً ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ أي في هذه الأيّام الثلاثة، ومعناه أنّه لمّا منع عن الكلام عرف أنّه لم يمنع عن الذكر لله سبحانه والتسبيح له وذلك أبلغ في الإعجاز ﴿وَسَبِّحۡ﴾ أي نزّه الله؛ وقيل: معناه: صلّ ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ آخر النهار وأوّله[1].

١١ - ن، ل: ابن الوليد، عن سعد، عن أحمد بن حمزة الأشعريّ، عن ياسر الخادم قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيخرج من بطن أمّه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا، وقد سلّم الله على يحيى في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ وقد سلّم عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[2].

١٢ - ما: ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن الحسن بن القاسم، عن ثبير بن إبراهيم، عن سليم بن بلال المدنيّ، عن الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام إنّ إبليس كان يأتي الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى أن بعث الله المسيح عليه السلام يتحدّث عندهم ويسائلهم،

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٨٦.

(٢) عيون اخبار الرضا، ج ١ ص ٢٣٣ باب ٢٦ ح ١١، والخصال، ص ١٠٧ باب الثلاثة ح ٧١.

ولم يكن بأحد منهم أشدّ أنساً منه بيحيى بن زكريّا عليه السلام، فقال له يحيى: يا أبا مرّة إنّ لي إليك حاجة، فقال له: أنت أعظم قدراً من أن أردّك بمسألة فسلني ما شئت، فإنّي غير مخالفك في أمر تريده، فقال يحيى: يا أبا مرّة أحبّ أن تعرض عليّ مصائدك وفخوخك الّتي تصطاد بها بني آدم، فقال له إبليس: حبّاً وكرامةً، وواعده لغد، فلمّا أصبح يحيى عليه السلام قعد في بيته ينتظر الموعد وأغلق عليه الباب إغلاقاً فما شعر حتّى ساواه من خوخة كانت في بيته، فإذا وجهه صورة وجه القرد، وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً، وإذا أسنانه وفمه مشقوق طولاً عظماً واحداً بلا ذقن ولا لحية، وله أربعة أيد: يدان في صدره ويدان في منكبه، وإذا عراقيبه قوادمه، وأصابعه خلفه، وعليه قباء وقد شدّ وسطه بمنطقة فيها خيوط معلّقة بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان، وإذا بيده جرس عظيم، وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلّقة شبيهة بالكلاّب، فلمّا تأمّله يحيى عليه السلام قال له: ما هذه المنطقة الّتي في وسطك؟ فقال: هذه المجوسيّة، أنا الّذي سننتها وزيّنتها لهم، فقال له: ما هذه الخيوط الألوان؟ قال له: هذه جميع أصباغ النساء، لا تزال المرأة تصبغ الصبغ حتّى تقع مع لونها، فأفتتن النّاس بها، فقال له: فما هذا الجرس الّذي بيدك؟ قال: هذا مجمع كلّ لذّة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي، وإنّ القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذّونه فأُحرّك الجرس فيما بينهم فإذا سمعوه استخفّهم الطرب، فمن بين من يرقص ومن بين من يفرقع أصابعه، ومن بين من يشقّ ثيابه، فقال له: وأيّ الأشياء أقرّ لعينك؟ قال النساء هنّ فخوخي ومصائدي، فإنّي إذا اجتمعت عليّ دعوات الصالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهن، فقال له يحيى عليه السلام: فما هذه البيضة الّتي على رأسك؟ قال: بها أتوقّى دعوة المؤمنين، قال: فما هذه الحديدة الّتي أرى فيها؟ قال: بهذه أُقلّب قلوب الصالحين.

قال يحيى عليه السلام: فهل ظفرت بي ساعة قطّ؟ قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبني قال يحيى: فما هي؟ قال: أنت رجل أكول، فإذا أفطرت أكلت وبشمت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك باللّيل، قال يحيى عليه السلام: فإنّي أعطي الله عهداً ألاّ أشبع من الطعام حتّى ألقاه، قال له إبليس: وأنا أُعطي الله عهداً أنّي لا أنصح مسلماً حتّى ألقاه ثمّ خرج فما عاد إليه بعد ذلك[1].

بيان: الخوخة: كوّة تؤدّي الضوء إلى البيت. والعراقيب جمع العرقوب وهو عصب غليظ فوق عقب الإنسان. وقال الفيروزآباديّ: المعازف: الملاهي كالعود والطنبور، والواحد عزف أو معزف كمنبر ومكنسة. وقال: البشم محرّكة: التخمة والسأمة، بشم كفرح.

١٣ - **قص:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٣٣٩ مجلس ١٢ ح ٦٩٢.

زَكَرِيَّآ﴾ يقول: ذكر ربّك زكريّا فرحمه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ يقول: ضعف ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ يقول: لم يكن دعائي خائباً عندك ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ يقول: خفت الورثة من بعدي ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ ولم يكن لزكريّا يومئذ ولد يقوم مقامه ويرثه، وكانت هدايا بني إسرائيل ونذورهم للأحبار، وكان زكريّا رئيس الأحبار، وكانت امرأة زكريّا أخت مريم بنت عمران بن ماثان ويعقوب بن ماثان وبنو ماثان إذ ذاك رؤساء بني إسرائيل وبنو ملوكهم وهم من ولد سليمان بن داود عليه السلام، فقال زكريّا: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ يقول: لم يسمّ باسم يحيى أحد قبله ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ فهو اليأس ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ صحيحاً من غير مرض[1].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ أي هذا خبر رحمة ربّك زكريّا عبده، ويعني بالرحمة إجابته إيّاه حين دعاه وسأله الولد، وزكريّا اسم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل، كان من أولاد هارون بن عمران؛ وقيل: معناه: ذكر ربّك عبده بالرحمة ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ أي سرّاً غير جهر لا يريد به رياءً.

وقيل: إنّما أخفاه لئلاّ يهزأ به الناس ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ أي ضعف، وإنّما أضاف إلى العظم لأنّه مع صلابته إذا ضعف فكيف باللّحم والعصب ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أي أنّ الشيب قد عمّ الرأس ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي ولم أكن بدعائي إيّاك فيما مضى مخيّباً محروماً، والمعنى أنّك قد عوّدتني حسن الإجابة فلا تخيّبني فيما أسألك ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ وهم الكلالة، عن ابن عبّاس؛ وقيل، العصبة، عن مجاهد؛ وقيل: هم العمومة وبنو العمّ، عن أبي جعفر عليه السلام، وقيل بنو العمّ وكانوا اشرار بني إسرائيل ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ أي عقيماً لا تلد ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ ولداً يليني ويكون أولى بميراثي ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ وهو يعقوب بن ماثان، وأخوه عمران بن ماثان أبو مريم، عن الكلبيّ ومقاتل؛ وقيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي مرضيّاً عندك ممتثلاً لأمرك فاستجاب الله دعاءه وأوحى إليه: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي لم نسمّ قبله أحداً باسمه.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: وكذلك الحسين عليه السلام لم يكن له من قبل سميّ، ولم تبك السماء إلاّ عليهما أربعين صباحاً، قيل له: وما بكاؤها؟ قال: كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء، وكان قاتل يحيى عليه السلام ولد زنا، وقاتل الحسين عليه السلام ولد زنا.

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢.

وروى سفيان بن عيينة، عن عليّ بن زيد، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلاّ وذكر يحيى بن زكريّا عليه السلام وقال يوماً: من هوان الدنيا على الله عزّ وجلّ أنّ رأس يحيى بن زكريّا أُهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل.

وقيل: إنّ معنى قوله: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ لم تلد العواقر مثله ولداً، وهو كقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي مثلاً، عن ابن عبّاس ومجاهد ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ أي قد بلغت من كبر السنّ إلى حال اليبس والجفاف ونحول العظم، قال قتادة: كان له بضع وسبعون سنة ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي قال الله سبحانه: الأمر على ما أخبرتك من هبة الولد على الكبر ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل يحيى ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ أي شيئاً موجوداً.

وروى الحكم بن عتيبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّما ولد يحيى بعد البشارة له من الله بخمس سنين. ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ وعلامة أستدلّ بها على وقت كونه، قال الله سبحانه: ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أي وأنت سويّ صحيح سليم ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي من مصلاه ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ أي أشار إليهم وأومأ بيده؛ وقيل: كتب لهم في الأرض ﴿أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي صلّوا بكرةً وعشيّاً؛ وقيل: أراد التسبيح بعينه، قال ابن جريج: أشرف عليهم زكريّا عليه السلام من فوق غرفة كان يصلّي فيها لا يصعد إليها إلاّ بسلّم، وكانوا يصلّون معه الفجر والعشاء، فكان يخرج إليهم فيؤذن لهم بلسانه، فلمّا اعتقل لسانه خرج على عادته وأذن لهم بغير كلام، فعرفوا عند ذلك أنّه قد جاء وقت حمل امرأته بيحيى، فمكث ثلاثة أيّام لا يقدر على الكلام معهم ويقدر على التسبيح والدعاء، ثمّ قال سبحانه: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ تقديره: فوهبنا له يحيى وأعطيناه الفهم والعقل وقلنا له: يا يحيى خذ الكتاب، يعني التوراة بما قوّاك الله عليه وأيّدك به، ومعناه: وأنت قادر على أخذه، قويّ على العمل؛ وقيل: معناه: بجدّ وصحّة عزيمة على القيام بما فيه ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أي وآتيناه النبوّة في حال صباه وهو ابن ثلاث سنين، عن ابن عبّاس.

وروى العيّاشيّ بإسناده عن عليّ بن أسباط قال: قدمت المدينة وأنا أُريد مصر فدخلت على أبي جعفر محمّد بن عليّ الرضا عليهما السلام وهو إذ ذاك خماسيّ، فجعلت أتأمّله لأصفه لأصحابنا بمصر، فنظر إليّ فقال: يا عليّ إنّ الله أخذ في الإمامة كما أخذ في النبوّة، قال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ فقد يجوز أن يعطى الحكم ابن أربعين سنة، ويجوز أن يعطاه الصبيّ.

وقيل: إنّ الحكم الفهم، وعن معمّر قال: إنّ الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خلقت، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وروي ذلك عن أبي الحسن الرضا عليه السلام. ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ والحنان: العطف والرحمة أي وآتيناه رحمة من

عندنا؛ وقيل: تحنّناً على العباد ورقّة قلب عليهم ليدعوهم إلى طاعة الله؛ وقيل: محبّة منّا؛ وقيل تحنّن الله عليه كان إذا قال: يا ربّ قال له: لبّيك يا يحيى وهو المرويّ عن الباقر عليه السلام؛ وقيل: تعطّفاً منّا ﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي وعملاً صالحاً زاكياً أو زكاة لمن قبل دينه حتّى يكونوا أزكياء؛ وقيل: يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص؛ وقيل: وصدقة تصدّق الله بها على أبويه؛ وقيل: وزكّيناه بحسن الثناء عليه ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ أي مخلصاً مطيعاً متقياً لما نهى الله عنه، قالوا: وكان من تقواه أنّه لم يعمل خطيئة ولم يهمّ بها ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي باراً بهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ أي متكبّراً متطاولاً على الخلق ﴿عَصِيًّا﴾ أي عاصياً لربّه ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي سلام عليه منّا في هذه الأحوال؛ وقيل: سلامة وأمان له منّا. انتهى ملخّص تفسيره رحمه الله [١].

أقول: قول عليّ بن إبراهيم: (ويعقوب بن ماثان) إمّا عطف على زكريّا، أي كانت الرئاسة في ذلك الزمان لزكريّا ويعقوب عمّ زوجته، أو يعقوب مبتدأ وابن ماثان خبره، أي يعقوب الّذي ذكره الله هو ابن ماثان لا ابن إسحاق، أو هو مبتدأ وبنو ماثان معطوف عليه، وقوله: رؤساء خبرهما، فيكون من قبيل عطف العامّ على الخاصّ.

وقال البيضاويّ: قيل: يعقوب كان أخا زكريّا، أو عمران بن ماثان من نسل سليمان انتهى [٢].

وأمّا تفسيره العتيّ بالبؤس أو اليأس فلعلّه بيان لحاصل المعنى ولازمه. قال الجوهريّ: عتى الشيخ: كبر وولّى.

١٤ - **ج:** سأل سعد بن عبد الله القائم عليه السلام عن تأويل ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال عليه السلام: هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليها عبده زكريّا، ثمّ قصّها على محمّد صلى الله عليه وآله، وذلك أنّ زكريّا سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل عليه السلام فعلّمه إيّاها فكان زكريّا عليه السلام إذا ذكر محمّداً صلى الله عليه وآله وعليّاً وفاطمة والحسن عليهما السلام سرّي عنه همّه وانجلى كربه، وإذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة، فقال عليه السلام ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته فقال: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فالكاف اسم كربلا، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد وهو ظالم الحسين عليه السلام، والعين عطشه، والصاد صبره؛ فلمّا سمع ذلك زكريّا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام ومنع فيهنّ النّاس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب وكان يرثيه: إلهي أتفجع خير جميع خلقك بولده؟ إلهي أتنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه؟ إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهي أتحلّ كربة هذه المصيبة بساحتهما؟.

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤٠١.

(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٣.

ثمّ كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقرُّ به عيني على الكبر فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه، ثمّ افجعني به كما تفجع محمّداً حبيبك بولده. فرزقه الله يحيى وفجعه به، وكان حمل يحيى عليه السلام ستّة أشهر، وحمل الحسين عليه السلام كذلك؛ الخبر(١).

بيان: سرّي عنه الهمّ على بناء التفعيل مجهولاً: انكشف - والبهرة بالضمّ: تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء. وزفر: أخرج نفسه بعد مدّه إيّاه.

١٥ - **ع:** بالإسناد إلى وهب قال: انطلق إبليس يستقري مجالس بني إسرائيل أجمع ما يكونون، ويقول في مريم ويقذفها بزكريّا عليه السلام حتّى التحم الشرّ وشاعت الفاحشة على زكريّا عليه السلام، فلمّا رأى زكريّا عليه السلام ذلك هرب واتبعه سفهاؤهم وشرارهم وسلك في واد كثير النبت حتّى إذا توسّطه انفرج له جذع شجرة فدخل عليه السلام فيه وانطبقت عليه الشجرة، وأقبل إبليس يطلبه معهم حتّى انتهى إلى الشجرة الّتي دخل فيها زكريّا عليه السلام، فقاس لهم إبليس الشجرة من أسفلها إلى أعلاها حتّى إذا وضع يده على موضع القلب من زكريّا عليه السلام أمرهم فنشروا بمنشارهم وقطعوا الشجرة وقطعوه في وسطها، ثمّ تفرّقوا عنه وتركوه، وغاب عنهم إبليس حين فرغ ممّا أراد، فكان آخر العهد منهم به، ولم يصب زكريّا عليه السلام من ألم المنشار شيء، ثمّ بعث الله عزّ وجلّ الملائكة فغسّلوا زكريّا وصلّوا عليه ثلاثة أيّام من قبل أن يدفن، وكذلك الأنبياء عليهم السلام لا يتغيّرون ولا يأكلهم التراب ويصلّى عليهم ثلاثة أيّام ثمّ يدفنون(٢).

١٦ - **ك:** القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: أفضي الأمر بعد دانيال عليه السلام إلى عزير عليه السلام، وكانوا يجتمعون إليه ويأنسون به ويأخذون عنه معالم دينهم، فغيّب الله عنهم شخصه مائة عام ثمّ بعثه، وغابت الحجج بعده واشتدّت البلوى على بني إسرائيل حتّى ولد يحيى بن زكريّا عليه السلام وترعرع فظهر وله سبع سنين، فقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وذكّرهم بأيّام الله، وأخبرهم أنّ محن الصالحين إنّما كانت لذنوب بني إسرائيل، وأنّ العاقبة للمتّقين، ووعدهم الفرج بقيام المسيح عليه السلام بعد نيّف وعشرين سنة من هذا القول(٣).

أقول: تمامه في باب قصّة طالوت.

١٧ - **ص:** الصدوق، عن أبيه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا ولد يحيى عليه السلام رفع إلى السماء فغذّي بأنهار الجنّة حتّى فطم، ثمّ نزل إلى أبيه وكان البيت يضيء بنوره(٤).

١٨ - **ص:** بهذا الإسناد، عن ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دعا

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٦٣.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٠ باب ٧١ ح ١.
(٣) كمال الدين، ص ١٥٨.
(٤) قصص الأنبياء، ص ٢١٦-٢١٧.

زكريّا عليه السلام ربّه فقال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ فبشّره الله تعالى بيحيى فلم يعلم أنّ ذلك الكلام من عند الله تعالى جلّ ذكره، وخاف أن يكون من الشيطان، فقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ وقال: ﴿رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ فأسكت فعلم أنّه من الله تعالى[1].

١٩ - **تفسير النعماني** بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام حين سألوه عن معنى الوحي فقال: منه وحي النبوّة، ومنه وحي الإلهام، ومنه وحي الإشارة وساقه إلى أن قال: وأمّا وحي الإشارة فقوله عزّ وجلّ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي أشار إليهم، لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾.

٢٠ - **ص**: بالإسناد إلى الصدوق، عن ماجيلويه، عن عمّه، عن الكوفيّ، عن عبد الله ابن محمّد الحجّال، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ ملكاً كان على عهد يحيى بن زكريّا عليه السلام لم يكفه ما كان عليه من الطروقة حتّى تناول امرأة بغيّاً فكانت تأتيه حتّى أسنّت، فلمّا أسنّت هيّأت ابنتها، ثمّ قالت لها: إنّي أريد أن آتي بك الملك، فإذا واقعك فيسألك ما حاجتك فقولي: حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريّا عليه السلام، فلمّا واقعها سألها عن حاجتها، فقالت: قتل يحيى بن زكريّا عليه السلام فلمّا كان في الثالثة بعث إلى يحيى فجاء به فدعا بطست ذهب فذبحه فيها وصبّوه على الأرض فيرتفع الدم ويعلو، وأقبل الناس يطرحون عليه التراب فيعلو عليه الدم حتّى صار تلاً عظيماً، ومضى ذلك القرن فلمّا كان من أمر بخت نصّر ما كان رأى ذلك الدم فسأل عنه فلم يجد أحداً يعرفه حتّى دلّ على شيخ كبير، فسأله فقال: أخبرني أبي عن جدّي أنّه كان من قصّة يحيى بن زكريّا عليه السلام كذا وكذا، وقصّ عليه القصّة، والدم دمه، فقال بخت نصّر: لا جرم لأقتلنّ عليه حتّى يسكن، فقتل عليه سبعين ألفاً، فلمّا وفى عليه سكن الدم[2].

٢١ - وفي خبر آخر: إنّ هذه البغيّ كانت زوجة ملك جبّار قبل هذا الملك، وتزوّجها هذا بعده، فلمّا أسنّت وكان لها ابنة من الملك الأوّل قالت لهذا الملك: تزوّج أنت بها فقال: لأسأل يحيى بن زكريّا عليه السلام عن ذلك فإن أذن فعلت، فسأله عنه فقال: لا يجوز فهيّأت بنتها وزيّنتها في حال سكره وعرضتها عليه، فكان من حال قتل يحيى عليه السلام ما ذكر فكان ما كان[3].

٢٢ - **ص**: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ زكريّا عليه السلام كان خائفاً فهرب فالتجأ إلى شجرة فانفرجت له وقالت: يا زكريّا ادخل فيّ، فجاء حتّى دخل فيها، فطلبوه فلم يجدوه، فأتاهم إبليس وكان رآه فدلّهم عليه فقال لهم: هو في هذه الشجرة فاقطعوها، وقد كانوا يعبدون تلك الشجرة، فقالوا: لا نقطعها فلم يزل بهم حتّى شقّوها وشقّوا زكريّا عليه السلام[4].

٢٣ - **ص**: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن محمّد بن أبي القاسم، عن الكوفيّ عن

---

(١) - (٢) قصص الأنبياء، ص ٢١٦-٢١٧. (٣) - (٤) قصص الأنبياء، ص ٢١٨-٢٢٠.

أبي عبد الله الخيّاط، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن ينتصر لأوليائه انتصر لهم بشرار خلقه، وإذا أراد أن ينتصر لنفسه انتصر بأوليائه، ولقد انتصر ليحيى بن زكريّا عليه السلام ببخت نصّر[١].

٢٤ - ص: في خبر آخر أنّ عيسى بن مريم عليه السلام بعث يحيى بن زكريّا عليه السلام في اثني عشر من الحواريّين يعلّمون النّاس وينهاهم عن نكاح ابنة الأخت، قال: وكان لملكهم بنت أخت تعجبه، وكان يريد أن يتزوّجها، فلمّا بلغ أمّها أنّ يحيى عليه السلام نهى عن مثل هذا النكاح أدخلت بنتها على الملك مزيّنة، فلمّا رآها سألها عن حاجتها، قالت: حاجتي أن تذبح يحيى ابن زكريّا، فقال: سلي غير هذا، فقالت: لا أسألك غير هذا، فلمّا أبت عليه دعا بطشت ودعا بيحيى عليه السلام فذبحه فبدرت قطرة من دمه فوقعت على الأرض فلم تزل تعلو حتّى بعث الله بخت نصّر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل فدلّته على ذلك الدم، فألقى في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتّى يسكن، فقتل عليها سبعين ألفاً في سنة واحدة حتّى سكن[٢].

٢٥ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عثمان بن عيسى، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ عاقر ناقة صالح كان أزرق ابن بغيّ، وإنّ قاتل يحيى بن زكريّا عليه السلام ابن بغيّ، وإنّ قاتل عليّ عليه السلام ابن بغيّ، وكانت مراد تقول: ما نعرف له فينا أباً ولا نسباً، وإنّ قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام ابن بغيّ، وإنّه لم يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلّا أولاد البغايا. وقال في قوله تعالى جلّ ذكره: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قال: يحيى بن زكريّا عليه السلام لم يكن له سميّ قبله، والحسين بن عليّ عليه السلام لم يكن له سميّ قبله، وبكت السّماء عليهما أربعين صباحاً وكذلك بكت الشمس عليهما، وبكاؤها أن تطلع حمراء وتغيب حمراء. وقيل: أي بكى أهل السماء وهم الملائكة[٣].

بيان: قد يوجّه بكاء السّماء والأرض كما ذكره الراونديّ رحمه الله، ويمكن أن يقال: كناية عن شدّة المصيبة حتّى كأنّه بكى عليه السماء والأرض، أو عن أنه وصل ضرر تلك المصيبة إلى السّماء والأرض وأثّرت فيهما وظهر بها آثار التغيّر فيهما أو أنّه أمطرت السماء دماً، وكان يتفجّر الأرض دماً عبيطاً، فهذا بكاؤهما كما فسّر به في الخبر، ولعلّ الأخير أظهر.

٢٦ - ص: عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ الحسين بن عليّ عليه السلام بكى لقتله السماء والأرض واحمرّتا، ولم يبكيا على أحد قطّ إلّا على يحيى بن زكريّا عليه السلام[٤].

٢٧ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد بن عليّ الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ قال: لم تبك السماء على أحد قبل قتل يحيى بن زكريّا عليه السلام وبعده حتّى قتل الحسين عليه السلام فبكت عليه[٥].

---

(١) - (٢) قصص الأنبياء، ص ٢١٨-٢٢٠. (٣) - (٥) قصص الأنبياء، ص ٢٢٠.

٢٨ - **مل**: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن ابن فضّال عن مروان بن مسلم، عن إسماعيل بن كثير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام ولد زنا، وكان قاتل يحيى بن زكريّا عليه السلام ولد زنا، ولم تبك السماء والأرض إلا لهما. وذكر الحديث(١).

٢٩ - **مل**: محمّد بن جعفر، عن محمّد بن الحسين، عن صفوان، عن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان الّذي قتل الحسين بن عليّ عليه السلام ولد زنا، والّذي قتل يحيى بن زكريّا عليه السلام ولد زنا(٢).

٣٠ - **مل**: أبي وابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن عبد الخالق، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله(٣).

أقول: أوردنا بعض الأخبار في ذلك في باب أحوال الحسين عليه السلام.

٣١ - **شي**: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ زكريّا لمّا دعا ربّه أن يهب له فنادته الملائكة بما نادته به فأحبّ أن يعلم أنّ ذلك الصوت من الله أُوحي إليه أنّ آية ذلك أن يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة أيّام، قال: لمّا أمسك لسانه ولم يتكلّم علم أنّه لا يقدر على ذلك إلاّ الله، وذلك قول الله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾(٤).

بيان: يمكن أن يقال: اشتبه عليه في خصوص هذا الموضع لحكمة فاحتاج إلى استعلام ذلك، أو يقال: إنّه عليه السلام إنّما فعل ذلك لزيادة اليقين كما في سؤال إبراهيم عليه السلام.

٣٢ - **ل، ع، ن**: في أسئلة الشاميّ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ويوم الأربعاء قتل يحيى ابن زكريّا عليه السلام(٥).

٣٣ - **شي**: عن حمّاد، عمّن حدّثه، عن أحدهما عليهما السلام قال: لمّا سأل ربّه أن يهب له ذكراً فوهب الله له يحيى فدخله من ذلك فقال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ فكان يومئ برأسه وهو الرمز(٦).

٣٤ - **شي**: عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام ﴿وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا﴾ الحصور الّذي لا يأتي النساء ﴿وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٧).

٣٥ - **شي**: عن حسين بن أحمد، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ

---

(١) - (٣) كامل الزيارات، ص ١٦٣-١٦٤ ح ١٢ و٥ و٧.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٩٦ ح ٤٣ من سورة آل عمران.

(٥) الخصال، ص ٣٨٨ باب السبعة ح ٧٨، وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٣ باب ٢٤ ح ١.

(٦) - (٧) - تفسير العياشي، ج ١ ص ١٩٦ ح ٤٤-٤٥ من سورة آل عمران.

طاعة الله خدمته في الأرض، فليس شيء من خدمته تعدل الصلاة، فمن ثمّ نادت الملائكة زكريّا وهو قائم يصلّي في المحراب[1].

٣٦ - م: قال الله تعالى في قصّة يحيى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قال: لم يخلق أحداً قبله اسمه يحيى، فحكى الله قصّته إلى قوله: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قال: ومن ذلك الحكم أنّه كان صبيّاً فقال له الصبيان: هلمّ نلعب، فقال: أوّه والله ما للعب خلقنا، وإنّما خلقنا للجدّ لأمر عظيم، ثمّ قال: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ يعني تحنّناً ورحمةً على والديه وسائر عبادنا ﴿وَزَكَوٰةً﴾ يعني طهارة لمن آمن به وصدّقه ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ يتقي الشرور والمعاصي ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ محسناً إليهما، مطيعاً لهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ يقتل على الغضب ويضرب على الغضب، لكنّه ما من عبد لله عزّوجلّ إلاّ وقد أخطأ أو همّ بخطيئة ماخلا يحيى بن زكريّا عليه السلام، فإنّه لم يذنب ولم يهمّ بذنب، ثمّ قال الله عزّوجلّ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.

وقال أيضاً في قصّة يحيى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ يعني لمّا رأى زكريّا عليه السلام عند مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وقال لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وأيقن زكريّا أنّه من عند الله إذ كان لا يدخل عليها أحد غيره قال عند ذلك في نفسه: إنّ الّذي يقدر أن يأتي مريم بفاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء لقادر أن يهب لي ولداً وإن كنت شيخاً وكانت امرأتي عاقراً، فهنالك دعا زكريّا ربّه فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ قال الله عزّوجلّ: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني نادت زكريّا ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال: مصدّقاً بعيسى، يصدّق يحيى بعيسى ﴿وَسَيِّدًا﴾ يعني رئيساً في طاعة الله على أهل طاعته ﴿وَحَصُورًا﴾ وهو الّذي لا يأتي النساء ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال: وكان أوّل تصديق يحيى بعيسى أنّ زكريّا كان لا يصعد إلى مريم في تلك الصومعة غيره يصعد إليها بسلّم، فإذا نزل أقفل عليها ثمّ فتح لها من فوق الباب كوّة صغيرة يدخل عليها منها الريح، فلمّا وجد مريم وقد حبلت ساءه ذلك وقال في نفسه: ما كان يصعد إلى هذه أحد غيري وقد حبلت، والآن أفتضح في بني إسرائيل لا يشكّون أنّي أحبلتها، فجاء إلى امرأته فقال لها ذلك، فقالت: يا زكريّا لا تخف فإنّ الله لن يصنع بك إلاّ خيراً، وائتني بمريم أنظر إليها وأسألها عن حالها، فجاء بها زكريّا عليه السلام إلى امرأته، فكفى الله مريم مؤونة الجواب عن السؤال، فلمّا دخلت إلى أختها - هي الكبرى، ومريم الصغرى - لم تقم إليها امرأة زكريّا، فأذن الله ليحيى وهو في بطن أمّه فنخس في بطنها وأزعجها ونادى أمّه: تدخل إليك سيّدة نساء العالمين مشتملة على سيّد رجال العالمين فلا تقومين إليها؟!

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٩٦ ح ٤٦ من سورة آل عمران.

فانزعجت وقامت إليها، وسجد يحيى وهو في بطن أمّه لعيسى بن مريم، فذلك أوّل تصديقه [له]، ولذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام: إنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة إلاّ ما كان من ابني الخالة يحيى وعيسى(١).

بيان: نخسه أي غرزه بعود أو إصبع أو نحوهما، وفي بعض النسخ: بيده. ثمّ اعلم أنّ المؤرّخين اختلفوا في أنّ إيشاع أمّ يحيى هل كانت أخت مريم أو خالتها، والخبر يدلّ على الأوّل، وسيأتي تأويل آخر الخبر في قصّة المباهلة.

٣٧ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن بعض أصحابنا، عن عليّ بن الحكم، عن ربيع بن محمّد، عن عبد الله بن سليم العامريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام جاء إلى قبر يحيى بن زكريّا عليه السلام وكان سأل ربّه أن يحييه له، فدعاه فأجابه وخرج إليه من القبر فقال له: ما تريد منّي؟ فقال له: أريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا، فقال له: يا عيسى ما سكنت عنّي حرارة الموت وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا وتعود إليّ حرارة الموت! فتركه فعاد إلى قبره(٢).

٣٨ - **إرشاد القلوب:** كان يحيى عليه السلام لباسه اللّيف، وأكله ورق الشجرة(٣).

٣٩ - **يه:** قال الصّادق عليه السلام: إنّ رجلاً جاء إلى عيسى بن مريم عليه السلام فقال له: يا روح الله إنّي زنيت فطهّرني، فأمر عيسى عليه السلام أن ينادى في الناس: لا يبقى أحد إلاّ خرج لتطهير فلان، فلمّا اجتمع واجتمعوا وصار الرجل في الحفرة نادى الرجل في الحفرة: لا يحدّني من لله تعالى في جنبه حدّ، فانصرف الناس كلّهم إلاّ يحيى وعيسى عليهما السلام، فدنا منه يحيى فقال له: يا مذنب عظني، فقال له: لا تخلينّ بين نفسك وبين هواها فتردى، قال: زدني، قال لا تعيّرنّ خاطئاً بخطيئته، قال: زدني، قال: لا تغضب، قال: حسبي(٤).

٤٠ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن الحسن بن الجهم، عن إبراهيم بن مهزم، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: كان يحيى بن زكريّا عليه السلام يبكي ولا يضحك، وكان عيسى بن مريم عليه السلام يضحك ويبكي، وكان الّذي يصنع عيسى عليه السلام أفضل من الّذي كان يصنع يحيى عليه السلام (٥).

٤١ - **ص:** الصدوق بإسناده إلى ابن أورمة، عن الحسن بن عليّ، عن الحسن بن الجهم، عن الرضا عليه السلام مثله «ص ٢٧٣».

أقول: قال صاحب الكامل: لمّا دعا زكريّا ربّه وسأله الولد بينا هو يصلّي في المذبح الّذي

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٦٥٩. (٢) الكافي، ج ٣ ص ١٣٣ باب ١٦٦ ح ٣٧.
(٣) ارشاد القلوب، ص ١٤٠.
(٤) من لا يحضره الفقيه، ج ٤ ص ٦٤٦ ح ٥٠٢١.
(٥) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٦٧ باب الدعابة والضحك، ح ٢٠.

لهم فإذا برجل شابّ وهو جبرئيل عليه السلام، ففزع زكريّا منه، فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ويحيى أوّل من آمن بعيسى وصدّقه، وذلك أنّ أمّه كانت حاملاً فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى عليه السلام فقالت لها: يا مريم أحامل أنت؟ قالت: لماذا تسأليني؟ قالت: إنّي أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك، فذلك تصديقه؛ وقيل: صدّق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين، وإنّما ولد قبل المسيح عليه السلام بثلاث سنين؛ وقيل: بستّة أشهر، وكان يأكل العشب وأوراق الشجر؛ وقيل: كان يأكل خبز الشعير، فمرّ به إبليس ومعه رغيف شعير فقال: أنت تزعم أنّك زاهد وقد ادّخرت رغيف شعير؟ فقال يحيى: يا ملعون هو القوت، فقال إبليس: إنّ أقلّ من القوت يكفي لمن يموت، فأوحى الله إليه: اعقل ما يقول لك. ونبّئ صغيراً، فكان يدعو الناس إلى عبادة الله، ويلبس الشعر، ولم يكن له دينار ولا درهم ولا بيت يسكن إليه، أينما جنّه اللّيل أقام، ولم يكن له عبد ولا أمة، فنهى ملك زمانه عن تزويج بنت أخيه أو بنت زوجته فقتله، فلمّا سمع أبوه بقتله فرّ هارباً فدخل بستاناً عند بيت المقدس فيه أشجار فأرسل الملك في طلبه، فمرّ زكريّا عليه السلام بشجرة فنادته: هلمّ إليّ يا نبيّ الله، فلمّا أتاها انشقّت فدخل فيها فانطبقت عليه فبقي في وسطها، فأتى عدوّ الله إبليس فأخذ هدب ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدّقوه إذا أخبرهم، ثمّ لقي الطلب فقال لهم: ما تريدون؟ فقالوا: نلتمس زكريّا، فقال: إنّه سحر هذه الشجرة فانشقّت له فدخلها، قالوا: لا نصدّقك، فأراهم طرف ردائه، فأخذوا الفأس وقطعوا الشجرة وشقّوها بالمنشار فمات زكريّا عليه السلام فيها، فسلّط الله عليهم أخبث أهل الأرض فانتقم به منهم؛ وقيل: إنّ السبب في قتله أنّ إبليس جاء إلى مجالس بني إسرائيل فقذف زكريّا بمريم، وقال لهم ما أحبلها غيره، وهو الّذي كان يدخل عليها، فطلبوه فهرب؛ إلى آخر ما مرّ[1].

أقول: قال الشيخ في المصباح: في أوّل يوم من المحرّم استجاب الله تعالى دعوة زكريّا عليه السلام، وكذا روى السيّد في الإقبال عن المفيد، ورواه الصدوق في الفقيه أيضاً، وسيأتي بعض أخبار هذا الباب في أبواب قصص مريم وعيسى عليه السلام، وبعضها في باب أحوال بخت نصّر.

٤٢ - **ك:** بإسناده عن أبي رافع، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لمّا رفع الله عيسى بن مريم عليه السلام واستخلف في قومه شمعون بن حمون فلم يزل شمعون في قومه يقوم بأمر الله عزّ وجلّ حتّى استخلص ربّنا تبارك وتعالى وبعث في عباده نبيّاً من الصالحين وهو يحيى بن زكريّا عليه السلام فمضى شمعون وملك عند ذلك أردشير بن اشكاس أربعة عشر سنة وعشرة أشهر، وفي ثمان سنين من ملكه قتلت اليهود يحيى بن زكريّا عليه السلام فلمّا أراد الله أن يقبضه أوحى إليه أن يجعل الوصيّة في ولد شمعون؛ إلى آخر ما سيأتي في باب أحوال ملوك الأرض[2].

(١) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ٢٥٢.
(٢) كمال الدين، ص ٢٦١.

بيان: الجمع بين الأخبار الدالّة على تقدّم وفاة يحيى عليه السلام على رفع عيسى عليه السلام وبين ما دلّ على تأخرها عنه مشكلٌ إلاّ أن يحمل بعضها على التقيّة، أو يقال: إنّ الله أحيا يحيى بعد موته وبعثه إليهم. والله يعلم...

أبواب قصص عيسى وأمه وأبويها

١٦ - باب قصص مريم وولادتها وبعض أحوالها صلوات الله عليها وأحوال أبيها عمران

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

«وقال تعالى»: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

١ - **كا:** حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد الكنديّ، عن أحمد بن الحسن الميثميّ، عن أبان بن عثمان، عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: تؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة الّتي قد افتتنت في حسنها، فتقول: يا ربّ حسّنت خلقي حتّى لقيت ما لقيت، فيجاء بمريم عليها السلام فيقال: أنت أحسن أم هذه؟ قد حسّنّاها فلم تفتتن[1].

أقول: قد مرّ تمامه في باب قصص أيّوب عليه السلام.

---

(١) روضة الكافي، ح ٢٩١ ص ٧٨٠.

٢ - **شي**: عن الحكم بن عيينة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله في الكتاب ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ اصطفاها مرّتين، والاصطفاء إنّما هو مرّة واحدة، قال: فقال لي: يا حكم إنّ لهذا تأويلاً وتفسيراً، فقلت له: ففسّره لنا أبقاك الله، قال: يعني اصطفاها أوّلاً من ذرّيّة الأنبياء المصطفين المرسلين، وطهّرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمّهاتها سفاح، واصطفاها بهذا في القرآن ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ شكراً لله، ثمّ قال لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله يخبره بما غاب عنه من خبر مريم وعيسى: يا محمّد ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ في مريم وابنها وبما خصّهما الله به وفضّلهما وأكرمهما حيث قال: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ يا محمّد ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ حين أيتمت من أبيها - وفي رواية ابن خرزاد: أيّهم يكفل مريم حين أيتمت من أبويها - ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ يا محمّد ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في مريم عند ولادتها بعيسى أيّهم يكفلها ويكفل ولدها، قال: فقلت له: أبقاك الله فمن كفّلها؟ فقال: أما تسمع لقوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ الآية.

وزاد عليّ بن مهزيار في حديثه: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ قال: قلت: أكان يصيب مريم ما يصيب النساء من الطمث؟ قال: نعم ما كانت إلاّ امرأة من النساء. وفي رواية أخرى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ قال: قال استهموا عليها فخرج سهم زكريّا فكفل بها.

وقال زيد بن ركانة: اختصموا في بنت حمزة كما اختصموا في مريم، قال: قلت له: جعلت فداك حمزة استنّ السنن والأمثال، كما اختصموا في مريم اختصموا في بنت حمزة؟ قال: نعم ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ قال: نساء عالميها، قال: وكانت فاطمة عليها السلام سيّدة نساء العالمين[1].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أي اختارك وألطف لك حتّى تفرّغت لعبادته واتّباع مرضاته؛ وقيل: معناه: اصطفاك لولادة المسيح وطهّرك بالإيمان عن الكفر، وبالطاعة عن المعصية، أو طهّرك عن الأدناس والأقذار الّتي تعرض للنساء مثل الحيض والنفاس حتّى صرت صالحة لخدمة المسجد، أو طهّرك عن الأخلاق الذميمة والطبائع الرديئة ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ أي على نساء عالمي زمانك، لأنّ فاطمة عليها السلام سيّدة نساء العالمين. وقال أبو جعفر عليه السلام: معنى الآية: اصطفاك من ذرّيّة الأنبياء، وطهّرك من السفاح، واصطفاك لولادة عيسى من غير فحل، وخرج بهذا من أن يكون تكراراً[2].

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٩٦ ح ٤٧-٤٨ من سورة آل عمران.
(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٩٠.

أقول: يظهر ممّا رواه أنّ فيما عندنا من نسخة العيّاشيّ سقطاً.

ثمّ قال: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ أي اعبديه وأخلصي له العبادة، أو أديمي الطاعة له، أو أطيلي القيام في الصلاة ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي كما يعمل الراكعون والساجدون، أو يكون ذلك أمراً لها بأن تعمل السجود والركوع معهم في الجماعة؛ وقيل: معناه: واسجدي لله شكراً واركعي أي وصلّي مع المصلّين، ثمّ قال: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ الّتي يكتبون بها التوراة في الماء؛ وقيل: أقلامهم أقداحهم للاقتراع جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فيه دلالة على أنّهم قد بلغوا في التشاحّ عليها إلى حدّ الخصومة. وفي وقت التشاحّ قولان:

أحدهما: حين ولادتها وحمل أمّها إيّاها إلى الكنيسة، فتشاحّوا في الّذي يحضنها ويكفل تربيتها؛ وقال بعضهم: كان ذلك وقت كبرها وعجز زكريّا عن تربيتها(١).

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ اسمها حنّة جدّة عيسى، وكانتا أختين: إحداهما عند عمران بن أشهم من ولد سليمان بن داود عليه السلام وقيل: هو عمران بن ماثان، عن ابن عبّاس ومقاتل، وليس عمران أبا موسى وبينهما ألف وثمان مائة سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل، والأخرى كانت عند زكريّا ايشاع واسم أبيها فاقود بن فتيل، فيحيى ومريم ابنا خالة ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ أي أوجبت لك أن أجعل ما في بطني محرّراً، أي خادماً للبيعة يخدم في متعبّداتنا؛ وقيل: محرّراً للعبادة، أي مخلصاً لها؛ وقيل: عتيقاً خالصاً لطاعتك لا أستعمله في منافعي ولا أصرفه في الحوائج، قالوا: وكان المحرّر إذا حرّر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها، لا يبرح حتّى يبلغ الحلم، ثمّ يخيّر فإن أحبّ أن يقيم فيه أقام، وإن أحبّ أن يذهب ذهب حيث شاء، قالوا: وكانت حنّة قد أمسك عنها الولد حتّى أيست، فبينما هي تحت شجرة إذ رأت طائراً يزقّ فرخاً له، فتحرّك نفسها للولد فدعت الله أن يرزقها ولداً فحملت بمريم ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ﴾ أي نذري قبول رضى ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما أقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما أنوي ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ خجلت واستحيت وقالت منكّسة رأسها: ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ وقيل فيه قولان:

أحدهما: أنّ المراد به الاعتذار من العدول عن النذر لأنّها أنثى، والآخر أنّ المراد تقديم الذكر في السؤال لها بأنّها أنثى لأنّ سعيها أضعف وعملها أنقص، فقدّم ذكرها ليصحّ القصد لها في السؤال بقولها: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ لأنّها لا تصلح لما يصلح له الذكر، وإنّما كان يجوز لهم التحرير في الذكور دون الإناث، لأنّها لا تصلح لما يصلح الذكر له من التحرير لخدمة بيت المقدس لما يلحقها من الحيض والنفاس

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٩١.

والصيانة عن التبرّج للناس؛ وقال قتادة: لم يكن التحرير إلاّ في الغلمان فيما جرت به العادة؛ وقيل: أرادت أنّ الذكر أفضل من الأنثى على العموم وأصلح للأشياء ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ وهي بلغتهم العابدة والخادمة فيما قيل؛ وروى الثعلبيّ بإسناده عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ خافت عليها ما يغلب على النساء من الآفات فقالت ذلك، وقيل: إنّما استعاذتها من طعنة الشيطان في جنبها الّتي لها يستهلّ الصبيّ صارخاً، فوقاها الله وولدها عيسى عليه السلام منه بحجاب؛ وقيل: إنّما استعاذت من إغواء الشيطان الرجيم إيّاها ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ مع أنوثتها ورضي بها في النذر الّتي نذرته حنّة للعبادة في بيت المقدس، ولم يتقبّل قبلها أنثى في ذلك المعنى. وقيل: معناه: تكفّل بها في تربيتها والقيام بشأنها، عن الحسن. وقبوله إيّاها أنّه ما عرتها علّة ساعة في ليل أو نهار ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أصله: بتقبّل حسن؛ وقيل: معناه: سلك بها طريق السعداء، عن ابن عبّاس ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أي جعل نشوءها نشوءاً حسناً؛ وقيل: سوّى خلقها فكانت تنبت في يوم ما ينبت غيرها في عام، عن ابن عبّاس؛ وقيل: أنبتها في رزقها وغذائها حتّى تمّت امرأة بالغة تامّة، عن ابن جريج.

وقال ابن عبّاس: لمّا بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت اللّيل وتبتّلت حتّى غلبت الأحبار ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بالتشديد أي ضمّها الله عزّ اسمه إلى زكريّا وجعله كفيلها ليقوم بها، وبالتخفيف معناه: ضمّها زكريّا إلى نفسه، وضمن القيام بأمرها؛ وقالوا إنّ أمّ مريم أتت بها ملفوفة في خرقة إلى المسجد وقالت: دونكم النذيرة، فتنافس فيها الأحبار لأنّها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال لهم زكريّا عليه السلام: أنا أحقّ بها لأنّ خالتها عندي، فقالت له الأحبار: إنّها لو تركت لأحقّ الناس بها لتركت لأمّها الّتي ولدتها، ولكنّا نقرع عليها فتكون عند من خرج سهمه، فانطلقوا وهم تسعة وعشرون رجلاً إلى نهر جار فألقوا أقلامهم في الماء فارتفع قلم زكريّا فوق الماء ورسبت أقلامهم، عن ابن إسحاق وجماعة؛ وقيل: بل تلبّث قلم زكريّا وقام فوق الماء كأنّه في طين، وجرت أقلامهم مع جرية الماء فذهب بها الماء، عن السدّيّ، فسهّمهم زكريّا وقرعهم وكان رأس الأحبار ونبيّهم فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

قالوا: فلمّا ضمّ زكريّا مريم إلى نفسه بنى لها بيتاً واسترضع لها، وقال محمّد بن إسحاق: ضمّها إلى خالتها أمّ يحيى حتّى إذا شبّت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى إليها إلاّ بسلّم مثل باب الكعبة، ولا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كلّ يوم ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ يعني وجد زكريّا عندها فاكهة في غير أوانها، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف غضّاً طريّاً؛ وقيل: إنّها لم ترضع قطّ وإنّما كان يأتيها رزقها من الجنّة ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ

هَٰذَا﴾ يعني قال لها زكريّا: كيف لك ومن أين لك هذا؟ كالمتعجّب منه ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي من الجنّة، وهذه تكرمة من الله لها وإن كان ذلك خارقاً للعادة، فإنّ عندنا يجوز أن تظهر الآيات الخارقة للعادة على غير الأنبياء من الأولياء والأصفياء، ومن منع ذلك من المعتزلة قالوا فيه قولين:

أحدهما: أنّه كان ذلك تأسيساً لنبوّة عيسى عليه السلام، عن البلخيّ، والآخر أنّه كان بدعاء زكريّا عليه السلام لها بالرزق في الجملة، وكانت معجزة له، عن الجبّائيّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

٣ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عبد الرحمن بن سالم، عن مفضّل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام من غسّل فاطمة عليها السلام؟ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام، كأنّما استفظعت ذلك من قوله، فقال لي: كأنّك ضقت ممّا أخبرتك؟ فقلت: قد كان جعلت فداك، فقال: لا تضيقنّ فإنّها صدّيقة لم يكن يغسّلها إلاّ صدّيق، أما علمت أنّ مريم عليها السلام لم يغسّلها إلاّ عيسى عليه السلام[2].

٤ - شي: عن سيف، عن نجم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ فاطمة عليها السلام ضمنت لعليّ عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها عليّ عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب، وأن يجيء بالطعام، فقال لها يوماً: يا فاطمة هل عندك شيء؟ قالت: والّذي عظم حقّك ما كان عندنا منذ ثلاث إلاّ شيء آثرتك به، قال: أفلا أخبرتني؟ قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئاً، فقال: لا تسألي ابن عمّك شيئاً، إن جاءك بشيء عفواً وإلاّ فلا تسأليه، قال: فخرج عليه السلام فلقي رجلاً فاستقرض منه ديناراً، ثمّ أقبل به وقد أمسى، فلقي المقداد بن الأسود فقال للمقداد: ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: الجوع، والّذي عظّم حقّك يا أمير المؤمنين، قال: فهو أخرجني وقد استقرضت ديناراً وسأؤثرك به، فدفعه إليه، فأقبل فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً وفاطمة تصلّي وبينهما شيء مغطى، فلمّا فرغت أحضرت ذلك الشيء، فإذا جفنة من خبز ولحم قال: يا فاطمة أنّى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أحدّثك بمثلك ومثلها؟ قال: بلى، قال: مثل زكريّا إذا دخل على مريم المحراب فوجد عندها رزقاً قال: يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب، فأكلوا منها شهراً وهي الجفنة الّتي يأكل منها القائم عليه السلام وهو عنده[3].

٥ - ل: الفاميّ وابن مسرور معاً، عن ابن بطّة، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن حمّاد،

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٨٠.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٧٥ باب مولد الزهراء عليها السلام، ح ٤.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٩٤ ح ٤١ من سورة آل عمران.

عن حريز، عمّن أخبره، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: أوّل من سوهم عليه مريم بنت عمران، وهو قول الله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ والسهام ستّة. الخبر(١).

يه: أبي، عن سعد، عن ابن هاشم وابن يزيد، عن حمّاد بن عيسى، عمّن أخبره، عن حريز عنه عليه‌السلام مثله(٢).

بيان: قوله عليه‌السلام: (والسهام ستّة) ظاهره أنّ السهام في تلك الواقعة كانت ستّة لكون المتنازعين ستّة، فيدلّ على بطلان ما مرّ في كلام الطبرسيّ رحمه‌الله أنّهم كانوا تسعة وعشرين، ويحتمل أن يكون المراد كون سهام القرعة مطلقاً ستّة إذا لم يزد المطلوب عليها بضمّ السهام المبهمة كما دلّ عليه بعض الأخبار لكنّه بعيد.

٦ - فس: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قال: مريم لم ينظر إليها شيء ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ قال: روح مخلوقة لله(٣).

٧ - فس: أبي، عن داود بن محمّد النهديّ قال: دخل أبو سعيد المكاريّ على أبي الحسن الرضا عليه‌السلام فقال له: أبلغ من قدرك أن تدّعي ما ادّعى أباؤك؟ فقال له الرضا عليه‌السلام: ما لك أطفأ الله نورك وأدخل الفقر بيتك؟ أما علمت أنّ الله أوحى إلى عمران أنّي واهب لك ذكراً فوهب له مريم ووهب لمريم عيسى؟ فعيسى بن مريم من مريم، ومريم من عيسى، ومريم وعيسى واحد، وأنا من أبي، وأبي منّي، وأنا وأبي شيء واحد الخبر(٤).

مع: أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن إبراهيم بن هاشم، عن داود بن محمّد النهديّ مثله «ص ٢١٨».

٨ - فس: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فإنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى عمران إنّي واهب لك ذكراً يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، فبشّر عمران زوجته بذلك فحملت فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ للمحراب، وكانوا إذا نذروا نذراً محرّراً جعلوا ولدهم للمحراب﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ وأنت وعدتني ذكراً ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فوهب الله لمريم عيسى عليه‌السلام، قال: وحدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: إن قلنا لكم في الرجل منّا قولاً فلم يكن فيه وكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك، إنّ الله أوحى إلى عمران إنّي واهب لك ذكراً مباركاً يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذني، وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل، فحدّث امرأته حنّة بذلك وهي أمّ

---

(١) الخصال، ص ١٥٦ باب الثلاثة، ح ١٩٨. (٢) من لا يحضره الفقيه ص ٤٥٦ ح ٣٣٩٠.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٥٠. (٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٩.

مريم فلمّا حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً فلمّا وضعتها أنثى قالت ربّ إنّي وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى لأنّ البنت لا تكون رسولاً، يقول الله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ فلمّا وهب الله لمريم عيسى عليه السلام كان هو الّذي بشّر الله به عمران ووعده إيّاه، فإذا قلنا لكم في الرجل منّا شيئاً وكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك، فلمّا بلغت مريم صارت في المحراب وأرخت على نفسها ستراً وكان لا يراها أحد، وكان يدخل عليها زكريّا المحراب فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فكان يقول لها: ﴿أَنَّى لَكِ هَٰذَا﴾ فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ قال: اصطفاها مرّتين: أمّا الأولى فاصطفاها أي اختارها، وأمّا الثانية فإنّها حملت من غير فحل فاصطفاها بذلك على نساء العالمين، قوله: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ وإنّما هو: واركعي واسجدي، ثمّ قال الله لنبيّه: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ قال: لمّا ولدت اختصموا آل عمران فيها وكلّهم قالوا: نحن نكفلها، فخرجوا وضربوا بالسهام بينهم، فخرج سهم زكريّا عليه السلام فكفلها زكريّا عليه السلام، قوله: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي ذو وجه وجاه[1].

٩ - ل: محمّد بن عليّ بن إسماعيل، عن أبي القاسم بن منيع، عن شيبان بن فروخ، عن داود بن أبي الفرات، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: خطّ رسول الله صلى الله عليه وآله أربع خطط في الأرض. وقال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله: أفضل نساء الجنّة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون[2].

١٠ - ل: سليمان بن أحمد بن أيّوب اللّخميّ، عن عليّ بن عبد العزيز، عن حجّاج بن المنهال، عن داود بن أبي الفرات، عن علباء، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال خطّ رسول الله صلى الله عليه وآله أربع خطوط، ثمّ قال: خير نساء الجنّة مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون[3].

١١ - ل: ابن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن أحمد، عن أبي عبد الله الرازيّ، عن ابن أبي عثمان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ اختار من النساء أربعاً: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة. الخبر[4].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٠٩.

(٢) الخصال، ص ٢٠٥-٢٠٦ باب الأربعة ح ٢٢.

(٣) - (٤) الخصال، ص ٢٠٥-٢٠٦ باب الأربعة ح ٢٣ و٥٨.

١٢ - ع: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن أحمد، عن أبان ابن عثمان، عن إسماعيل الجعفيّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّ المغيرة يزعم أنّ الحائض تقضي الصلاة كما تقضي الصوم، فقال: ما له لا وفّقه الله؟ إنّ امرأة عمران قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ والمحرّر للمسجد لا يخرج منه أبداً، فلمّا وضعت مريم قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ فلمّا وضعتها أدخلتها المسجد، فلمّا بلغت مبلغ النساء أخرجت من المسجد، أنّى كانت تجد أيّاماً تقضيها وهي عليها أن تكون الدهر في المسجد؟[1].

شي: عن إسماعيل بن عبد الرحمن الجعفيّ مثله[2].

١٣ - كا: الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن الوشّاء، عن أبان بن عثمان، عن إسماعيل الجعفيّ مثله. وفيه: فلمّا وضعتها أدخلتها المسجد، فساهمت عليها الأنبياء، فأصابت القرعة زكريّا عليه السلام فكفلها زكريّا عليه السلام فلم تخرج من المسجد حتّى بلغت، فلمّا بلغت ما تبلغ النساء خرجت. فهل كانت تقدر على أن تقضي تلك الأيام الّتي خرجت وهي عليها أن تكون الدهر في المسجد؟[3].

أقول: سيأتي شرحه في كتاب الصلاة إن شاء الله.

١٤ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام، عن عمران أكان نبيّاً؟ فقال: نعم كان نبيّاً مرسلاً إلى قومه، وكانت حنّة امرأة عمران وحنانة امرأة زكريّا أختين، فولد لعمران من حنّة مريم، وولد لزكريّا من حنانة يحيى عليه السلام وولدت مريم عيسى عليه السلام وكان عيسى عليه السلام ابن بنت خالته، وكان يحيى عليه السلام ابن خالة مريم، وخالة الأمّ بمنزلة الخالة[4].

بيان: أي فلذا كان يقال: إنّ يحيى ابن خالة عيسى.

ثمّ اعلم أنّ هذا مخالف لما مرّ، وسيأتي أنّ مريم كانت أخت أمّ يحيى، ولعلّ أحدهما محمول على التقيّة، ويمكن حمل الأخت الوارد في تلك الأخبار على المجاز أيضاً، ويمكن إرجاع ضمير أختها في خبر إسماعيل الآتي إلى أمّ مريم.

١٥ - ص: بهذا الإسناد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تعالى جلّ جلاله أوحى إلى عمران إنّي واهب لك ذكراً مباركاً يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وإنّي جاعله رسولاً إلى بني إسرائيل، قال: فحدّث عمران امرأته حنّة بذلك وهي أمّ

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٠٢ باب ٢٨٥ ح ٦.
(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٩٥ ح ٤٢.
(٣) الكافي، ج ٣ ص ٥٦ باب ٦٤ ح ٤.
(٤) قصص الأنبياء، ص ٢١٤.

مريم، فلمّا حملت كان حملها عند نفسها غلاماً، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ فوضعت أنثى فقالت: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ إنّ البنت لا تكون رسولاً، فلمّا أن وهب الله لمريم عيسى بعد ذلك كان هو الّذي بشر الله به عمران[1].

كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد؛ وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي بصير مثله[2].

١٦ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن ابن أورمة، عن محمّد بن أبي صالح عن الحسن بن محمّد بن أبي طلحة قال: قلت للرضا عليه السلام أيأتي الرسل عن الله بشيء ثمّ تأتي بخلافه؟ قال: نعم إن شئت حدّثتك، وإن شئت أتيتك به من كتاب الله تعالى جلّت عظمته: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية، فما دخلوها ودخل أبناء أبنائهم، وقال عمران: إنّ الله وعدني أن يهب لي غلاماً نبيّاً في سنتي هذه وشهري هذا، ثمّ غاب وولدت امرأته مريم وكفلها زكريّا، فقالت طائفة: صدق نبيّ الله، وقالت الآخرون: كذب، فلمّا ولدت مريم عيسى عليه السلام قالت الطائفة الّتي أقامت على صدق عمران: هذا الّذي وعدنا الله[3].

١٧ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد رفعه قال: قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قال: أحصنت فرجها قبل أن تلد عيسى خمسمائة عام، قال: فأوّل من سوهم عليه مريم ابنة عمران، نذرت أمّها ما في بطنها محرّراً للكنيسة، فوضعتها أنثى فشبّت فكانت تخدم العبّاد تناولهم حتّى بلغت، وأمر زكريّا عليه السلام أن يتّخذ لها حجاباً دون العبّاد، فكان زكريّا عليه السلام يدخل عليها فيرى عندها ثمرة الشتاء في الصيف، وثمرة الصيف في الشتاء، قال: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ تعالى، وقال: عاشت مريم بعد عمران خمسمائة سنة[4].

بيان: لا يخفى ما في هذا الخبر من الشذوذ والغرابة والمخالفة لسائر الأخبار والآثار.

١٨ - **شي:** أبو خالد القمّاط عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ امرأة عمران لمّا نذرت ما في بطنها محرّراً قال: والمحرّر للمسجد إذا وضعته دخل المسجد فلم يخرج من المسجد أبداً، فلمّا ولدت مريم قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فساهم عليها النبيّون فأصاب القرعة زكريّا وهو زوج أختها، وكفّلها وأدخلها المسجد، فلمّا بلغت ما تبلغ النساء من الطمث وكانت أجمل النساء وكانت تصلّي فتضيء المحراب لنورها، فدخل عليها زكريّا فإذا عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، فقال: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢١٤.
(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٣٢٢ ح ١.
(٣) قصص الأنبياء، ص ٢١٥.
(٤) قصص الأنبياء، ص ٢٦٤.

قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فهنالك دعا زكريّا ربّه قال: إنّي خفت الموالي من ورائي؛ إلى ما ذكر الله من قصّة زكريّا ويحيى[1].

١٩ - شي: حفص بن البختريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ المحرّر يكون في الكنيسة ولا يخرج منها ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ إنّ الأنثى تحيض فتخرج من المسجد، والمحرّر لا يخرج من المسجد[2].

٢٠ - شي: في رواية حريز، عن أحدهما عليهما السلام قال: ﴿نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ للكنيسة أن تخدم العبّاد، وليس الذكر كالأنثى في الخدمة، قال: فشبّت وكانت تخدمهم وتناولهم حتّى بلغت، فأمر زكريّا عليه السلام أن يتّخذ لها حجاباً دون العبّاد، فكان يدخل عليها فيرى عندها ثمرة الشتاء في الصيف وثمرة الصيف في الشتاء، فهنالك دعا وسأل ربّه زكريّا فوهب له يحيى[3].

٢١ - شي: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: أوحى الله إلى عمران إنّي واهب لك ذكراً مباركاً، يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله ورسولاً إلى بني إسرائيل، فأخبر بذلك امرأته حنّة فحملت فوضعت مريم، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ والأنثى لا تكون رسولاً، وقال لها عمران: إنّه ذكر يكون نبيّاً، فلمّا رأت ذلك قالت ما قالت، فقال الله وقوله الحقّ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ فقال أبو جعفر عليه السلام: فكان ذلك عيسى بن مريم عليه السلام، فإن قلنا لكم: إنّ الأمر يكون في أحدنا فكان في ابنه وابن ابنه أو ابن ابن ابنه فقد كان فيه فلا تنكروا ذلك[4].

أقول: سيأتي بعض أخبارها في أبواب أحوال فاطمة عليها السلام.

٢٢ - لي: بإسناده عن ابن عبّاس في حديث طويل رواه عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال في فاطمة عليها السلام وما يصيبها من الظلم بعده: ثمّ ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيّام أبيها عزيزة، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى بالملائكة، فنادتها بما نادت به مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين، ثمّ يبتدئ بها الوجع فتمرض فيبعث الله إليها مريم بنت عمران تمرّضها وتؤنسها في علّتها. إلى آخر الخبر[5].

٢٣ - ع: بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما سمّيت فاطمة محدّثة لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة إنّ الله اصطفاك

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٩٣ ح ٣٦-٣٧ من سورة آل عمران.
(٣) - (٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٩٤ ح ٣٨-٣٩ من سورة آل عمران.
(٥) أمالي الصدوق، ص ٩٩ مجلس ٢٤ ح ٢.

وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإنّ الله عزّ وجلّ جعلك سيّدة نساء عالمك وعالمها وسيّدة نساء الأوّلين والآخرين[1].

١٧ - باب ولادة عيسى عليه السلام

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ «٥٩».

مريم «١٩»: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾.

الأنبياء «٢١»: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ «٩١».

التحريم «٦٦»: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ «١٢».

١ - **فس:** ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قال: لم ينظر إليها ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي روح الله مخلوقة ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي من الداعين[2].

٢ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن إسماعيل، عن محمّد بن عمرو الزيّات، عن رجل

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢١٦ باب ١٤٦ ح ١. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٦٢.

من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يولد لستّة أشهر إلاّ عيسى بن مريم، والحسين ابن عليّ عليه السلام (١).

٣ - ع: أحمد بن الحسن، عن أحمد بن يحيى، عن بكر بن عبد الله بن حبيب، عن تميم ابن بهلول، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمن بن المثنّى الهاشميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يعش مولود قطّ لستّة أشهر غير الحسين وعيسى بن مريم عليه السلام (٢).

٤ - فس: أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل في صفة المعراج وساق الحديث إلى أن قال: ثمّ قال لي جبرئيل: انزل فصلّ، فنزلت وصلّيت، فقال لي: تدري أين صلّيت؟ فقلت: لا، فقال: صلّيت بطور سيناء حيث كلّم الله موسى تكليماً، ثمّ ركبت فمضينا ما شاء الله، ثمّ قال لي: انزل فصلّ، فنزلت وصلّيت، فقال لي: أتدري أين صلّيت؟ فقلت: لا، فقال: صلّيت في بيت لحم وبيت لحم بناحية بيت المقدس حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام الخبر (٣).

٥ - كا: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه وعليّ بن محمّد جميعاً، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقريّ، عن حفص بن غياث قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يتخلّل بساتين الكوفة فانتهى إلى نخلة فتوضّأ عندها ثمّ ركع وسجد، فأحصيت في سجوده خمسمائة تسبيحة، ثمّ استند إلى النخلة فدعا بدعوات ثمّ قال: يا حفص إنّها والله النخلة الّتي قال الله جلّ ذكره لمريم: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾(٤).

٦ - فس: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ قال: خرجت إلى النخلة اليابسة ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ قال: في محرابها ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني جبرئيل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ فقال لها جبرئيل: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ فأنكرت ذلك لأنّه لم يكن في العادة أن تحمل المرأة من غير فحل، فقالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ولم يعلم جبرئيل أيضاً كيفيّة القدرة فقال لها: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ قال: فنفخ في جيبها فحملت بعيسى عليه السلام باللّيل فوضعته بالغداة، وكان حملها تسع ساعات جعل الله الشهور لها ساعات، ثمّ ناداها جبرئيل: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ أي هزّي النخلة اليابسة، فهزّت وكان ذلك اليوم سوقاً فاستقبلها الحاكة وكانت الحياكة أنبل صناعة في ذلك الزمان، فأقبلوا على بغال شهب، فقالت لهم مريم: أين النخلة اليابسة؟ فاستهزؤوا بها وزجروها، فقالت لهم: جعل الله كسبكم نزراً،

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٧٨ باب مولد الحسين عليه السلام، ح ٤.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٤٣ باب ١٥٦ ح ٣.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٩٥.
(٤) روضة الكافي، ص ٧٤٢ ح ١١١.

وجعلكم في الناس عاراً، ثمّ استقبلها قوم من التجّار فدلّوها على النخلة اليابسة فقالت لهم: جعل الله البركة في كسبكم، وأحوج الناس إليكم، فلمّا بلغت النخلة أخذها المخاض فوضعت بعيسى، فلمّا نظرت إليه قالت: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ ماذا أقول لخالي؟ وماذا أقول لبني إسرائيل؟ فناداها عيسى من تحتها: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ أي نهراً ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ أي حرّكي النخلة ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ أي طيّباً، وكانت النخلة قد يبست منذ دهر طويل فمدّت يدها إلى النخلة فأورقت وأثمرت وسقط عليها الرطب الطريّ وطابت نفسها، فقال لها عيسى: قمطيني وسوّيني ثمّ افعلي كذا وكذا، فقمطته وسوّته، وقال لها عيسى: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ وصمتاً كذا نزلت ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ ففقدوها في المحراب فخرجوا في طلبها، وخرج خالها زكريّا عليه السلام فأقبلت وهو في صدرها وأقبلن مؤمنات بني إسرائيل يبزقن في وجهها، فلم تكلّمهن حتّى دخلت في محرابها، فجاء إليها بنو إسرائيل وزكريّا فقالوا لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ ومعنى قولهم: يا أخت هارون أنّ هارون كان رجلاً فاسقاً زانياً فشبّهوها به، من أين هذا البلاء الّذي جئت به والعار الّذي ألزمته بني إسرائيل؟ فأشارت إلى عيسى في المهد فقالوا لها: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ فأنطق الله عيسى عليه السلام فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي يتخاصمون، فقال الصادق عليه السلام في قوله: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ قال: زكاة الرؤوس، لأنّ كلّ النّاس ليست لهم أموال، وإنّما الفطرة على الغنيّ والفقير والصغير والكبير.

حدّثني محمّد بن جعفر قال: حدّثني محمّد بن أحمد، عن يعقوب بن يزيد، عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ قال: نفاعاً[1].

أقول: في بعض النسخ بعد قوله: ﴿فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ زيادة وهي قوله: فنطق عيسى عليه السلام بإذن الله بلسان فصيح، وقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي قدر لي أن أكون صاحب شرع له ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ قيل: لا يكون على الإنسان شيء أشدّ من هذه المواطن الثلاثة: عند الولادة وقد فارق رفاهية اعتدال الحرارة الغريزيّة، وصدم أهوال الدنيا، ولمس الأيدي له، وهو موجب لصراخه؛ وعند الممات وما يجده من سكرات الموت، وفراق الأحبّة والمسكن، ومجاورة الأموات الّذين لا يتعارفون ولا يتزاورون؛

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣.

وعند الحشر وما يكون من أهوال يوم القيامة، فأخبر عيسى عليه السلام أنّ الله تعالى قد سلّمه وآمنه من الآلام والأهوال في هذه الأحوال الثلاث.

٧ - **ما:** المفيد، عن عليّ بن بلال، عن إسماعيل بن عليّ بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عيسى بن حميد الطائيّ، عن أبيه حميد بن قيس، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء، فقال للناس: إنّها الزوراء فسيروا وجنّبوا عنها، فإنّ الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة، فلمّا أتى يمنة السواد إذا هو براهب في صومعة له، فقال له الراهب: لا تنزل هذه الأرض بجيشك قال: ولمّ؟ قال: لأنّها لا ينزلها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ يقاتل في سبيل الله عزّ وجلّ هكذا نجد في كتبنا، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أنا وصيّ سيّد الأنبياء، وسيّد الأوصياء فقال له الراهب: فأنت إذن أصلع قريش، ووصيّ محمّد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أنا ذلك، فنزل الراهب إليه فقال: خذ عليّ شرائع الإسلام، إنّي وجدت في الإنجيل نعتك وأنّك تنزل أرض براثا بيت مريم وأرض عيسى عليه السلام ، فأتى أمير المؤمنين عليه السلام موضعاً فلكزه برجله فانبجست عين خرّارة، فقال: هذه عين مريم الّتي أنبعت لها، ثمّ قال: اكشفوا ههنا على سبعة عشر ذراعاً، فكشف فإذا بصخرة بيضاء، فقال عليه السلام : على هذه وضعت مريم عيسى عليه السلام من عاتقها وصلّت ههنا، ثمّ قال: أرض براثا هذه بيت مريم عليها السلام [(١)].

٨ - **يب:** محمّد بن أحمد بن داود، عن محمّد بن همّام، عن جعفر بن محمّد بن مالك، عن سعد بن عمرو الزهريّ، عن بكر بن سالم، عن أبيه، عن الثماليّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ قال: خرجت من دمشق حتّى أتت كربلاء فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام ثمّ رجعت من ليلتها[(٢)].

٩ - **ع:** بالإسناد إلى وهب قال: لمّا أجاء المخاض مريم عليها السلام إلى جذع النخلة اشتدّ عليها البرد، فعمد يوسف النجّار إلى حطب فجعله حولها كالحظيرة، ثمّ أشعل فيه النار فأصابتها سخونة الوقود من كلّ ناحية حتّى دفئت، وكسر لها سبع جوزات وجدهنّ في خرجه فأطعمها، فمن أجل ذلك توقد النصارى النار في ليلة الميلاد، وتلعب بالجوز[(٣)].

١٠ - **ك:** القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: لمّا ولد المسيح أخفى الله ولادته وغيّب شخصه، لأنّ مريم لمّا حملته انتبذت به مكاناً قصيّاً، ثمّ إنّ زكريّا وخالتها أقبلا يقصّان أثرها حتّى هجما عليها وقد وضعت

(١) أمالي الطوسي، ص ١٩٩ مجلس ٧ ح ٣٤٠.
(٢) تهذيب الأحكام، ج ٦ ص ١٠٥٩ باب ٢٢ ح ٨.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٩ باب ٦٩ ح ١.

ما في بطنها وهي تقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ فأطلق الله تعالى ذكره لسانه بعذرها وإظهار حجّتها، فلمّا ظهر اشتدّت البلوى والطلب على بني إسرائيل، وأكبّ الجبابرة والطواغيت عليهم، حتّى كان من أمر المسيح عليه السلام ما قد أخبر الله به، واستتر شمعون بن حمون والشيعة حتّى أفضى بهم الاستتار إلى جزيرة من جزائر البحر فأقاموا بها ففجّر لهم فيها العيون العذبة، وأخرج لهم من كلّ الثمرات، وجعل لهم فيها الماشية، وبعث إليهم سمكة تدعى القمد لا لحم لها ولا عظم، وإنّما هي جلد ودم، فخرجت من البحر فأوحى الله عزّ وجلّ إلى النحل أن يركبها فركبها فأتت النحل إلى تلك الجزيرة ونهض النحل وتعلّق بالشجر فغرس وبنى وكثر العسل، ولم يكونوا يفقدون شيئاً من أخبار المسيح[(١)].

أقول: تمامه في قصّة طالوت.

١١ - **كا:** أحمد بن مهران وعليّ بن إبراهيم جميعاً، عن محمّد بن عليّ، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في حديث طويل قال: أمّا أمّ مريم فاسمها مرتا وهي وهيبة بالعربيّة، وأمّا اليوم الّذي حملت فيه مريم فهو يوم الجمعة للزوال وهو اليوم الّذي هبط فيه الروح الأمين، وليس للمسلمين عيد كان أولى منه، وأمّا اليوم الّذي ولدت فيه مريم فهو يوم الثلاثاء لأربع ساعات ونصف من النهار؛ والنهر الّذي ولدت عليه مريم عيسى هو الفرات، فحجبت لسانها ونادى قيدوس ولده وأشياعه فأعانوه وأخرجوا آل عمران لينظروا إلى مريم، فقالوا لها ما قصّ الله في كتابه[(٢)].

١٢ - **يب:** بإسناده، عن عليّ بن الحسن، عن محمّد بن عبد الله بن زرارة، عن البزنطيّ عن أبان بن عثمان، عن كثير النواء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يوم عاشوراء هو اليوم الّذي ولد فيه عيسى بن مريم عليه السلام[(٣)].

١٣ - **يه:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى وابن هاشم، عن الوشّاء، عن الرضا عليه السلام قال: ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم عليه السلام وولد فيها عيسى بن مريم عليه السلام؛ الخبر[(٤)].

بيان: لعلّ الخبر الأوّل الدالّ على كون ولادته في يوم عاشوراء محمول على التقيّة كما يشهد به بعض الأخبار، وكذا الأخبار المختلفة الواردة في زمان الحمل وموضع الولادة لعلّ بعضها محمولة على التقيّة لاشتهارها بين المخالفين. والله يعلم.

١٤ - **ص:** قال الباقر عليه السلام: إنّ مريم بشّرت بعيسى، فبينا هي في المحراب إذ تمثّل لها

---

(١) كمال الدين، ص ١٥٨ وفيه: فغرش وبنى...

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٨٨ باب مولد الكاظم عليه السلام ح ٤.

(٣) تهذيب الأحكام، ج ٤ ص ٧٦٠ باب ٦٧ ح ١٤.

(٤) من لا يحضره الفقيه، ج ٢ ص ٢٣٩ ح ١٨١٥.

الروح الأمين بشراً سويّاً ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝١٩﴾ فتفل في جيبها فحملت بعيسى فلم يلبث أن ولدت. وقال: لم يكن على وجه الأرض شجرة إلاّ ينتفع بها ولها ثمرة ولا شوك لها حتّى قالت فجرة بني آدم كلمة السوء، فاقشعرّت الأرض، وشاكت الشجر، وأتى إبليس تلك اللّيلة فقيل له: قد ولد اللّيلة ولد لم يبق على وجه الأرض صنم إلاّ خرّ لوجهه وأتى المشرق والمغرب يطلبه فوجده في بيت دير قد حفّت به الملائكة، فذهب يدنو فصاحت الملائكة: تنحّ، فقال لهم. من أبوه؟ فقالت: فمثله كمثل آدم، فقال إبليس: لأضلّنّ به أربعة أخماس الناس[١].

١٥ - ص: الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن أبي أيّوب، عن زياد بن سوقه، عن الحكم بن عيينة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لمّا قالت العواتق الفرية وهنّ سبعون لمريم: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أنطق الله عيسى عليه السلام عند ذلك، فقال لهنّ: ويلكنّ تفترين على أمّي؟ أنا عبد الله، آتاني الكتاب وأقسم بالله لأضربنّ كلّ امرأة منكنّ حدّاً بافترائكنّ على أمّي، قال الحكم: فقلت للباقر عليه السلام: أفضربهن عيسى عليه السلام بعد ذلك؟ قال: نعم ولله الحمد والمنّة[٢].

١٦ - ع: بإسناده عن وهب اليمانيّ قال: إنّ يهودياً سأل النبيّ فقال: يا محمّد أكنت في أمّ الكتاب نبيّاً قبل أن تخلق؟ قال: نعم، قال: وهؤلاء أصحابك المؤمنون مثبتون معك قبل أن يخلقوا؟ قال: نعم، قال: فما شأنك لم تتكلّم بالحكمة حين خرجت من بطن أمك كما تكلّم عيسى بن مريم على زعمك وقد كنت قبل ذلك نبيّاً؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه ليس أمري كأمر عيسى بن مريم عليه السلام إنّ عيسى بن مريم خلقه الله عزّ وجلّ من أمّ ليس له أب كما خلق آدم من غير أب ولا أمّ، ولو أنّ عيسى عليه السلام حين خرج من بطن أمّه لم ينطق بالحكمة لم يكن لأمّه عذر عند النّاس، وقد أتت به من غير أب، وكانوا يأخذونها كما يأخذون به من المحصنات، فجعل الله عزّ وجلّ منطقه عذراً لأمّه[٣].

١٧ - ص: الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن أحمد بن محمّد، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن يحيى بن عبد الله قال: كنّا بالحيرة فركبت مع أبي عبد الله عليه السلام فلمّا صرنا حيال قرية فرق الماصر قال: هي هي، حين قرب من الشطّ وصار على شفير الفرات، ثمّ نزل فصلّى ركعتين، ثمّ قال: أتدري أين ولد عيسى عليه السلام؟ قلت: لا، قال: في هذا الموضع الّذي أنا فيه جالس، ثمّ قال: أتدري أين كانت النخلة؟ قلت: لا، فمدّ يده خلفه فقال: في هذا المكان، ثمّ قال: أتدري ما القرار وما الماء المعين؟ قلت: لا، قال: هذا هو الفرات، ثمّ قال: أتدري ما الربوة؟ قلت: لا، فأشار بيده عن يمينه فقال: هذا هو الجبل إلى النجف، وقال: إنّ مريم ظهر حملها وكانت في واد فيه خمسمائة بكر يتعبّدن،

(١) - (٢) قصص الأنبياء، ص ٢٦٤-٢٦٥.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٠ باب ٧٠ ح ١.

وقال: حملته تسع ساعات، فلمّا ضربها الطلق خرجت من المحراب إلى بيت دير لهم فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة فوضعته فحملته فذهبت به إلى قومها، فلمّا رأوها فزعوا فاختلف فيه بنو إسرائيل فقال بعضهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: هو عبد الله ونبيّه، وقالت اليهود: بل هو ابن الهنة؛ ويقال للنخلة الّتي أُنزلت على مريم: العجوة[1].

بيان: المآصر بالمدّ جمع الماصر كمجلس أي المحبس، ولعلّ المراد محابس الماء، والماصر بغير مدّ: الحاجز بين الشيئين. والحدّ بين الأرضين. وابن الهنة كناية عن ولد الزنا، بأن يكون المراد بالهنة الشرّ والقبيح كما تطلق عليه كثيراً، وقد يكنّى به عن كلّ جنس، فالمعنى ابن رجل.

١٨ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى ابن أُورمة، عن أحمد بن خالد الكرخيّ، عن الحسن بن إبراهيم، عن سليمان الجعفريّ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: أتدري بما حملت مريم؟ قلت: لا، قال: من تمر صرفان أتاها به جبرئيل عليه السلام[2].

سن: أبي وبكر بن صالح، عن سليمان الجعفريّ عنه عليه السلام مثله، وفي آخره: نزل بها جبرئيل فأطعمها فحملت[3].

١٩ - **ير:** عليّ بن الحسين، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ بن الحكم، عن سليمان بن نهيك، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: الربوة: نجف الكوفة، والمعين: الفرات[4].

٢٠ - **كا:** أحمد بن مهران وعليّ بن إبراهيم جميعاً، عن محمّد بن عليّ، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في مسائله الّتي سأل النصرانيّ عنها فقال له أبو إبراهيم عليه السلام: والنهر الّذي ولدت عليه مريم عيسى هل تعرفه؟ قال: لا، قال: هو الفرات. الخبر[5].

٢١ - **سن:** أبي، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستّة كرهها الله تعالى لي فكرهتها للأئمّة من ذرّيّتي، وعدّ منها الرفث في الصّوم، قال: وما الرفث في الصيام؟ قال: ما كره الله لمريم في قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ قال: قلت: صمتت من أيّ شيء؟ قال: من الكذب[6].

٢٢ - **نجم:** ذكر أبو جعفر بن بابويه في كتاب النبوّة في باب سياقه حديث عيسى بن مريم عليه السلام فقال ما هذا لفظه: وقدم عليها وفد من عظماء المجوس زائرين معظمين لأمر

---

(١) - (٢) قصص الأنبياء، ص ٢٦٥-٢٦٦. (٣) المحاسن، ص ٥٣٧.

(٤) لم أجده في بصائر الدرجات ولكنه في كامل الزيارات، ص ١٠٧ باب ١٣ ح ٥.

(٥) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٨٩ باب مولد الكاظم عليه السلام، ح ٤.

(٦) المحاسن، ص ١٠.

ابنها، وقالوا: إنّا قوم ننظر في النجوم، فلمّا ولد ابنك طلع بمولوده نجم من نجوم الملك، فنظرنا فيه فإذا ملكه ملك نبوّة لا يزول عنه ولا يفارقه حتّى يرفعه إلى السماء فيجاور ربّه عزّوجلّ ما كانت الدنيا مكانها، ثمّ يصير إلى ملك هو أطول وأبقى ممّا كان فيه، فخرجنا من قبل المشرق حتّى رفعنا إلى هذا المكان فوجدنا النجم متطلّعاً عليه من فوقه، فبذلك عرفنا موضعه، وقد أهدينا له هديّة جعلناها له قرباناً لم يقرب مثله لأحد قطّ، وذلك أنّا وجدنا هذا القربان يشبه أمره، وهو الذهب والمرّ واللّبان لأنّ الذهب سيّد المتاع كلّه، وكذلك ابنك هو سيّد النّاس ما كان حيّاً، ولأنّ المرّ جبّار الجراحات وكذلك ابنك يبرئ الله به الجراحات والأمراض والجنون والعاهات كلّها، ولأنّ اللّبان يبلغ دخانه السماء ولن يبلغها دخان شيء غيره وكذلك ابنك يرفعه الله عزّوجلّ إلى السماء وليس يرفع من أهل زمانه غيره(١).

٢٣ - ع: الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن عليّ بن سالم، عن أبيه، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لمَ خلق الله عيسى من غير أب وخلق سائر النّاس من الآباء والأمّهات؟ فقال: ليعلم الناس تمام قدرته وكمالها، ويعلموا أنّه قادر على أن يخلق خلقاً من أنثى من غير ذكر، كما هو قادر على أن يخلقه من غير ذكر ولا أنثى، وإنّه عزّوجلّ فعل ذلك ليعلم أنّه على كلّ شيء قدير(٢).

٢٤ - كا: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن الأحول قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الروح الّتي في آدم قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ قال: هذه روح مخلوقة، والروح الّتي في عيسى مخلوقة(٣).

٢٥ - كا: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحجّال، عن ثعلبة ابن ميمون، عن حمران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال: هي روح الله مخلوقة خلقها في آدم وعيسى عليهما السلام(٤).

أقول: قد مضت الأخبار في تفسير الروح في كتاب التوحيد، وستأتي في كتاب الإمامة إن شاء الله تعالى.

٢٦ - لي: أبي، عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن نوح بن شعيب، عن محمّد بن إسماعيل، عن صالح بن علقمة، عن الصادق عليه السلام أنّه قال في حديث طويل: ألم ينسبوا مريم بنت عمران إلى أنّها حملت بعيسى من رجل نجّار اسمه يوسف؟! الخبر(٥).

٢٧ - وبإسناده عن عليّ عليه السلام قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا عليّ إنّ فيك شبهاً

---

(١) فرج المهموم، ص ٢٨.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٦ باب ١٢ ح ١.
(٣) - (٤) أصول الكافي، ج ١ ص ٧٧ باب الروح، ح ١ وح ٢.
(٥) أمالي الصدوق، ص ٩٢ مجلس ٢٢ ح ٣.

من عيسى بن مريم عليه السلام : أحبّته النصارى حتّى أنزلوه بمنزلة ليس بها، وأبغضته اليهود حتّى بهتوا أمّه[(١)].

٢٨ - **كا:** حميد بن زياد، عن أبي العبّاس عبيد الله بن أحمد الدهقان، عن عليّ بن الحسن الطاطريّ، عن محمّد بن زياد بياع السابريّ، عن أبان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ مريم حملت بعيسى عليه السلام تسع ساعات، كلّ ساعة شهراً[(٢)].

٢٩ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن جرّاح المدائنيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، ثمّ قال: قالت مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي صمتاً[(٣)].

٣٠ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن الوشّاء، عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي بصير، عنه عليه السلام مثله.

٣١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن معمّر بن خلاّد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كانت نخلة مريم عليها السلام العجوة، ونزلت في كانون[(٤)].

٣٢ - **فض، ضه:** عن مجاهد، عن أبي عمرو وأبي سعيد الخدريّ في حديث طويل في ولادة عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: هذا عيسى بن مريم عليه السلام قال الله عزّ وجلّ فيه: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿إِنسِيًّا﴾ فكلّم أمّه وقت مولده وقال حين أشارت إليه فقالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ إلى آخر الآية، فتكلّم عليه السلام في وقت ولادته فأعطي الكتاب والنبوّة، وأوصى بالصلاة والزكاة في ثلاثة أيّام من مولده، وكلّمهم في اليوم الثاني من مولده[(٥)].

تذنيب: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾: قال ابن عبّاس: يريد جبرئيل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ ففيه قولان: أحدهما أنّه المسيح سمّاه كلمة، عن ابن عبّاس وقتادة وجماعة من المفسّرين، وإنّما سمّي بذلك لأنّه كان بكلمة من الله من غير والد وهو قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ وقيل: سمّي بذلك لأنّ الله تعالى بشّر به في الكتب السالفة، كما يقول الّذي يخبر بالأمر إذا خرج موافقاً لأمره: قد جاء كلامي، وممّا جاء من البشارة به في التوراة «أتانا الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران» وساعير هو الموضع الّذي بعث منه المسيح عليه السلام وقيل: لأنّ الله يهدي به كما يهدي بكلمته.

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٩٢ مجلس ٢٢ ح ٣. (٢) روضة الكافي، ص ٨٢٨ ح ٥١٦.

(٣) الكافي، ج ٤ ص ٣٤٢ باب ٥٥ ح ٩. (٤) الكافي، ج ٦ ص ١٠٨٣ باب ٢٦٨ ح ١٢.

(٥) روضة الواعظين، ص ٩٣. وروى الثعلبي عن مجاهد، قال: قالت مريم عليها السلام: كنت اذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته فإذا شغلني عنه انسان سبّح في بطني وأنا أسمع (منه رحمه الله).

والقول الثاني: أنّ الكلمة بمعنى البشارة، كأنّه قال: بشارة منه ولد اسمه المسيح، والأوّل أقوى، ويؤيّده قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ وإنّما ذكر الضمير في اسمه وهو عائد إلى الكلمة لأنّه واقع على مذكّر فذهب إلى المعنى.

واختلف في أنّه لمَ سمّي بالمسيح فقيل: لأنّه مسح باليمن والبركة، عن الحسن وقتادة وسعيد؛ وقيل: لأنّه مسح بالتطهير من الذنوب؛ وقيل: لأنّه مسح بدهن زيت بورك فيه، وكانت الأنبياء تتمسّح به، عن الجبّائيّ، وقيل: لأنّه مسحه جبرئيل بجناحه وقت ولادته ليكون عوذة من الشيطان؛ وقيل: لأنّه كان يمسح رأس اليتامى لله؛ وقيل: لأنّه يمسح عين الأعمى فيبصر، عن الكلبيّ؛ وقيل: لأنّه كان لايمسح ذا عاهة بيده إلاّ أبرأه، عن ابن عبّاس في رواية عطاء والضحّاك، وقال أبو عبيدة: وهو بالسريانيّة مشيحا، فعرّبته العرب ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ نسبه إلى أمّه ردّاً على النصارى قولهم: إنّه ابن الله ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه وقدر وشرف ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ إلى ثواب الله وكرامته ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ أي صغيراً، والمهد الموضع الّذي يمهّد لنوم الصبيّ، ويعني بكلامه في المهد: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الآية، ووجه كلامه في المهد أنّه تنزيه لأمّه ممّا قذفت به وجلالة له بالمعجزة الّتي ظهرت فيه ﴿وَكَهْلًا﴾ أي يكلّمهم كهلاً بالوحي الّذي يأتيه من الله، أعلمنا الله سبحانه أنّه يبقى إلى حال الكهولة، وفي ذلك إعجاز لكون المخبر في وفق الخبر؛ وقيل: المراد به الردّ على النصارى بما كان فيه من التقلّب في الأحوال لأنّ ذلك مناف لصفة الإله ﴿وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي ومن النبيّين مثل إبراهيم وموسى عليهما السلام، وقيل: إنّ المراد بالآية: ويكلّمهم في المهد دعاء إلى الله، وكهلاً بعد نزوله من السّماء ليقتل الدجّال وذلك لأنّه رفع إلى السّماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وذلك قبل الكهولة، عن زيد بن أسلم.

وفي ظهور المعجزة في المهد قولان:

أحدهما: أنّها كانت مقرونة بنبوّة المسيح عليه السلام لأنّه سبحانه أكمل عقله في تلك الحال وجعله نبيّاً، وأوحى إليه بما تكلّم به، عن الجبّائيّ؛ وقيل: كان ذلك على التأسيس والإرهاص لنبوّته، عن ابن الأخشيد، ويجوز عندنا الوجهان، ويجوز أن يكون معجزة لمريم تدلّ على طهارتها وبراءة ساحتها إذ لا مانع لذلك، وقد دلّت الأدلّة الواضحة على جوازه، وإنّما جحدت النصارى كلام المسيح في المهد مع كونه آية ومعجزة لأنّ في ذلك إبطال مذهبهم لأنّه قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ وهو ينافي قولهم: إنّه ابن الله، فاستمرّوا على تكذيب من أخبر بذلك قالت مريم ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي﴾ أي كيف يكون لي ﴿وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ لم تقل ذلك استبعاداً واستنكاراً، بل إنّما قالت استفهاماً واستعظاماً لقدرة الله تعالى، لأنّ في طبع البشر التعجب ممّا خرج عن المعتاد؛ وقيل: إنّما قالت ذلك لتعلم أنّ الله سبحانه يرزقها الولد وهي على حالتها لم يمسسها بشر، أو يقدّر لها زوجاً ثمّ يرزقها الولد على مجرى العادة ﴿قَالَ

﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي يخلق ما يشاء مثل ذلك، فهي حكاية ما قال لها الملك، أي يرزقك الولد وأنت على هذه الحالة لم يمسّك بشر ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي خلق أمراً؛ وقيل: إذا قدّر أمراً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وقيل في معناه قولان: أحدهما أنّه إخبار بسرعة حصول مراد الله تعالى في كلّ شيء أراد حصوله من غير مهلة ولا معاناة ولا تكلّف سبب ولا أداة، وإنّما كنّى بهذه اللّفظة لأنّه لا يدخل في وهم العباد شيء أسرع من كن فيكون، والآخر أنّ هذه الكلمة جعلها الله علامة للملائكة فيما يريد إحداثه وإيجاده لما فيه من المصلحة والاعتبار، وإنّما استعمل لفظة الأمر فيما ليس بأمر هنا ليدلّ ذلك على أنّ فعله بمنزلة فعل المأمور في أنّه لا كلفة فيه على الآمر[1].

وقال عليه السلام في قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي انفردت من أهلها إلى مكان في جهة المشرق وقعدت ناحية منهم، قال ابن عبّاس: «إنما اتخذت النصارى المشرق قبلة لأنها انتبذت مكاناً شرقياً»؛ وقيل: اتّخذت مكاناً تنفرد فيه للعبادة لئلاّ تشتغل بكلام النّاس، عن الجبّائيّ؛ وقيل: تباعدت عن قومها حتّى لا يروها، عن الأصمّ وأبي مسلم؛ وقيل: إنّها تمنّت أن تجد خلوة فتفلي رأسها، فخرجت في يوم شديد البرد فجلست في مشرقة للشمس، عن عطاء ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أي فضربت من دون أهلها لئلاّ يروها ستراً وحاجزاً بينها وبينهم ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني جبرئيل عليه السلام عن ابن عبّاس والحسن وقتادة وغيرهم، وسمّاه الله روحاً لأنّه روحانيّ، وأضافه إلى نفسه تشريفاً له ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ معناه: فأتاها جبرئيل فانتصب بين يديها في صورة آدمي صحيح لم ينقص منه شيء؛ وقال أبو مسلم: إنّ الروح الّذي خلق منه المسيح عليه السلام تصوّر لها إنساناً، والأوّل هو الوجه لإجماع المفسّرين عليه؛ وقال عكرمة: كانت مريم إذا حاضت خرجت من المسجد، وكانت عند خالتها امرأة زكريّا أيّام حيضها، فإذا طهرت عادت إلى بيتها في المسجد، فبينما هي في مشرقة لها في ناحية الدار وقد ضربت بينها وبين أهلها ستراً لتغتسل وتمتشط إذ دخل عليها جبرئيل في صورة رجل شابّ أمرد سويّ الخلق، فأنكرته فاستعاذت بالله منه ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ معناه إنّي أعتصم بالرحمن من شرّك فاخرج من عندي إن كنت تقيّاً.

سؤال: كيف شرطت في التعوّذ منه أن يكون تقيّاً والتقيّ لا يحتاج أن يتعوّذ منه، وإنّما يتعوّذ من غير التقيّ؟.

والجواب أنّ التقيّ إذا تعوّذ بالرحمن منه ارتدع عمّا يسخط الله، ففي ذلك تخويف وترهيب له، وهذا كما تقول: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني، فالمعنى: إن كنت تقيّاً فاتّعظ واخرج.

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٩٤.

وروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «علمت أنّ التقي ينهاه عن المعصية» وقيل: إنّ معنى قوله: ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ ما كنت تقياً حيث استحللت النظر إليّ وخلوت بي، فلمّا سمع جبرئيل منها هذا القول قال لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ أي ولداً طاهراً من الأدناس؛ وقيل: نامياً في أفعال الخير؛ وقيل: يريد نبياً، عن ابن عبّاس ﴿قَالَتْ﴾ مريم ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ أي كيف يكون لي ولد ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ على وجه الزوجيّة ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ أي ولم أكن زانية، وإنّما قالت ذلك لأنّ الولد في العادة يكون من إحدى هاتين الجهتين، والمعنى أنّي لست بذات زوج وغير ذات الزوج لا تلد إلاّ عن فجور ولست فاجرة، وإنّما يقال للفاجرة بغيّ بمعنى أنّها تبغي الزنا، أي تطلبه.

وفي هذه الآية دلالة على جواز إظهار الكرامات على غير الأنبياء عليهم السلام لأنّ من المعلوم أنّ مريم ليست بنبيّة، وأنّ رؤية الملك على صورة البشر وبشارة الملك إيّاها وولادتها من غير وطءٍ إلى غيرها من الآيات الّتي أبانها الله بها من أكبر المعجزات، ومن لم يجوّز إظهار المعجزات على غير النبيّ اختلفت أقوالهم في ذلك: فقال الجبّائيّ وابنه: إنّها معجزات لزكريّا، وقال البلخيّ: إنّها معجزات لعيسى على سبيل الإرهاص والتأسيس لنبوّته ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ﴾ أي قال لها جبرئيل حين سمع تعجّبها من هذه البشارة: الأمر كذلك، أي كما وصفت لك ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ معناه ولنجعله علامة ظاهرة وآية باهرة للناس على نبوّته ودلالة على براءة أُمّه ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي ولنجعله نعمة منّا على الخلق يهتدون بسنّته ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي وكان خلق عيسى عليه السلام من غير ذكر أمراً كائناً مفروغاً منه محتوماً، قضى الله سبحانه بأنّه يكون وحكم به ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أي فحملت مريم بعيسى وحبلت في الحال، قيل: إنّ جبرئيل أخذ ردن قميصها بإصبعه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها ووجدت حسّ الحمل، عن ابن عبّاس؛ وقيل: نفخ في كمّها فحملت، عن ابن جريح.

وروي عن الباقر عليه السلام أنّه تناول جيب مدرعتها فنفخ نفخة فكمل الولد في الرحم من ساعته، كما يكمل الولد في أرحام النساء تسعة أشهر، فخرجت من المستحم وهي حامل مثقل فنظرت إليها خالتها فأنكرتها، ومضت مريم على وجهها مستحيية من خالتها ومن زكريّا ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي تنحّت بالحمل إلى مكان بعيد؛ وقيل: معناه انفردت به مكاناً بعيداً من قومها حياءً من أهلها وخوفاً من أن يتّهموها بسوء.

واختلفوا في مدّة حملها فقيل: ساعة واحدة، قال ابن عبّاس: لم يكن بين الانتباذ والحمل إلاّ ساعة واحدة، لأنّه تعالى لم يذكر بينهما فصلاً لأنّه قال: فحملته، فانتبذت به، فأجاءها، والفاء للتعقيب؛ وقيل: حملت به في ساعة، وصوّر في ساعة ووضعته في ساعة حين زاغت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين، عن مقاتل؛ وقيل: كانت مدّة حملها تسع ساعات، وهذا مرويٌّ عن أبي عبد الله؛ وقيل: ستّة أشهر؛ وقيل: ثمانية أشهر، وكان

ذلك آية وذلك أنّه لم يعش مولود وضع لثمانية أشهر غيره ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ أي أجاءها الطلق أي وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ فالتجأت إليها لتستند إليها، عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والسدّيّ قال ابن عبّاس: نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة فإذا عليها جذع النخلة ليس عليها سعف، والجذع ساق النخلة، والألف واللاّم دخلت للعهد لا للجنس، أي النخلة المعروفة، فلمّا ولدت ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ أي شيئاً حقيراً متروكاً، عن ابن عبّاس، وقيل: شيئاً لا يذكر ولا يعرف، عن قتادة وقيل: حيضة ملقاة، عن عكرمة والضحّاك ومجاهد؛ قال ابن عبّاس: فسمع جبرئيل كلامها وعرف جزعها ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ وكان أسفل منها تحت الأكمة: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ وهو قول السدّيّ وقتادة والضحّاك أنّ المنادي جبرئيل ناداها من سفح الجبل؛ وقيل: ناداها عيسى، عن مجاهد والحسن ووهب وسعيد بن جبير وابن زيد وابن جرير والجبّائيّ. وإنّما تمنّت الموت كراهية لأن يعصى الله فيها؛ وقيل: استحياء من النّاس أن يظنّوا بها سوءاً، عن السدّيّ؛ وروي عن الصادق عليه السلام: لأنّها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزّهها عن السوء ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ أي ناداها جبرئيل أو عيسى ليزول ما عندها من الغمّ والجزع: لا تغتمّي قد جعل ربّك تحت قدميك نهراً تشربين منه وتطهرين من النفاس، عن ابن عبّاس ومجاهد وسعيد بن جبير، قالوا: وكان نهراً قد انقطع الماء عنه، فأرسل الله الماء فيه لمريم وأحيا ذلك الجذع حتّى أثمر وأورق؛ وقيل: ضرب جبرئيل برجله فظهر ماء عذب؛ وقيل: بل ضرب عيسى برجله فظهر عين ماء تجري وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام؛ وقيل: السريّ: عيسى عليه السلام، عن الحسن وابن زيد والجبّائيّ؛ والسريّ هو الرفيع الشريف، قال الحسن: كان والله عبداً سريّاً ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ معناه: اجذبي إليك، والباء مزيدة؛ وقال الفرّاء: تقول العرب: هزّه وهزّ به ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ الجنيّ بمعنى المجتنى، من جنيت الثّمرة واجتنيتها: إذا قطعتها، وقال الباقر عليه السلام: لم تستشف النفساء بمثل الرطب، إنّ الله تعالى أطعمه مريم في نفاسها، قال: إنّ الجذع كان يابساً لا ثمر عليه إذ لو كان عليه ثمر لهزّته من غير أن تؤمر به، وكان في الشتاء فصار معجزة لخروج الرطب في غير أوانه ولخروجه دفعة واحدة، فإنّ العادة أن يكون نوراً أوّلاً، ثمّ يصير بلحاً، ثمّ بسراً. وروي أنّه لم يكن للجذع رأس وضربته برجلها فأورق وأثمر وانتثر عليها الرطب جنيّاً، والشجرة الّتي لا رأس لها لا تثمر في العادة.

وقيل: إنّ تلك النخلة كانت برنيّة؛ وقيل: كانت عجوة وهو المرويُّ عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾ أي كلي يا مريم من هذا الرطب، واشربي من هذا الماء ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ جاء في التفسير: وطيبي نفساً؛ وقيل: معناه: لتبرد عينك سروراً بهذا الولد الّذي ترين، لأنّ دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارّة؛ وقيل: معناه: لتسكن عينك سكون سرور برؤيتك ما تحبّين ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فسألك عن ولدك ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي صمتاً، عن ابن عبّاس؛ والمعنى: أوجبت على نفسي لله أن لا أتكلم؛ وقيل

صوماً، أي إمساكاً عن الطعام والشراب والكلام، عن قتادة؛ وإنّما أمرت بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرئ ساحتها عن ابن مسعود وابن زيد ووهب؛ وقيل: كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلّم الصائم حتّى يمسي، يدلّ على هذا قوله: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ أي إنّي صائمة فلا أُكلّم اليوم أحداً، وكان قد أذن لها أن تتكلّم بهذا القدر ثمّ تسكت ولا تتكلّم بشيء آخر، عن السدّيّ؛ وقيل: كان الله تعالى أمرها أن تنذر لله الصمت، وإذا كلّمها أحد تومئ بأنّها نذرت صمتاً، لأنّه لا يجوز أن يأمرها بأن تخبر بأنّها نذرت ولم تنذر لأنّ ذلك كذب عن الجبّائيّ ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ أي فأتت مريم بعيسى حاملة له، وذلك أنّها لفّته في خرقة وحملته إلى قومها ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي أمراً عظيماً بديعاً، إذ لم تلد أُنثى قبلك من غير رجل، عن قتادة ومجاهد والسدّيّ؛ وقيل: أمراً قبيحاً منكراً من الافتراء وهو الكذب، عن الجبّائيّ.

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ قيل فيه أقوال: أحدها أنّ هارون كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل ينسب إليه كلّ من عرف بالصلاح، عن ابن عبّاس وقتادة وكعب وابن زيد، والمغيرة بن شعبة رفعه إلى النبيّ ﷺ وقيل: إنّه لمّا مات شيّع جنازته أربعون ألفاً كلّهم يسمّى هارون، فقولهم: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ معناه: يا شبيهة هارون في الصلاح ما كان هذا معروفاً منك.

وثانيها: أنّ هارون كان أخاها لأبيها ليس من أُمّها، وكان معروفاً بحسن الطريقة عن الكلبيّ. وثالثها: أنّه هارون أخو موسى عليه السلام فنسبت إليه لأنّها من ولده كما يقال: يا أخا تميم، عن السدّيّ. ورابعها: أنّه كان رجلاً فاسقاً مشهوراً بالعهر والفساد فنسبت إليه، وقيل لها: يا شبيهته في قبح فعله، عن سعيد بن جبير.

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أي كان أبواك صالحين، فمن أين جئت بهذا الولد؟ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي فأومأت إلى عيسى بأن كلّموه واستشهدوه على براءة ساحتي، فتعجبوا من ذلك ثمّ قالوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ معناه كيف نكلّم صبياً في المهد؟ وقيل: صبيّاً في الحجر رضيعاً؟ وكان المهد حجر أُمّه الّذي تربّيه فيه إذ لم تكن هيّأت له مهداً، عن قتادة؛ وقيل: إنّهم غضبوا عند إشارتها إليه، وقالوا: لسخريتها بنا أشدّ علينا من زناها، فلمّا تكلّم عيسى عليه السلام قالوا: إنّ هذا الأمر عظيم، عن السدّيّ.

﴿قَالَ﴾ عيسى بن مريم: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ قدّم إقراره بالعبوديّة ليبطل به قول من يدّعي له الربوبيّة، وكان الله سبحانه أنطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغالون فيه، ثمّ قال ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ أي حكم لي بإيتاء الكتاب والنبوّة؛ وقيل: إنّ الله سبحانه أكمل عقله في صغره وأرسله إلى عباده وكان نبيّاً مبعوثاً إلى النّاس في ذلك الوقت مكلّفاً عاقلاً، ولذلك كانت له تلك المعجزة، عن الحسن والجبّائيّ؛ وقيل: إنّه كلّمهم وهو ابن أربعين يوماً، عن وهب؛ وقيل: يوم ولد، عن ابن عبّاس وأكثر المفسّرين وهو الظاهر وقيل: إنّ معناه إنّي عبد الله

سيؤتيني الكتاب وسيجعلني نبيّاً، وكان ذلك معجزة لمريم عليها السلام على براءة ساحتها ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أي وجعلني معلّماً للخير عن مجاهد؛ وقيل: نفّاعاً حيثما توجّهت، والبركة: نماء الخير، والمبارك: الّذي يتمى الخير به؛ وقيل: ثابتاً دائماً على الإيمان والطاعة، وأصل البركة الثبوت، عن الجبّائيّ ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أي بإقامتهما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ أي ما بقيت حيّاً مكلّفاً ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ أي جعلني بارّاً بها أؤدّي شكرها ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ أي متجبّراً ﴿شَقِيًّا﴾ والمعنى أنّي بتوفيقه كنت محسناً إليها حتّى لم أكن من الجبابرة الأشقياء ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ أي والسلامة عليّ من الله ﴿يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي في هذه الأحوال الثلاث، قيل: ولمّا كلّمهم عيسى عليه السلام بذلك علموا براءة مريم، ثمّ سكت عيسى فلم يتكلّم بعد ذلك حتّى بلغ المدّة الّتي يتكلّم فيها الصبيان. انتهى ملخّص تفسيره رحمه الله [١].

وقال البيضاويّ: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أي الّذي تقدّم نعته هو عيسى بن مريم، لا ما تصفه النصارى ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ خبر محذوف، أي هو قول الحقّ الّذي لا ريب فيه، والإضافة للبيان، والضمير للكلام السابق أو لتمام القصّة؛ وقيل: صفة عيسى أو بدله أو خبر ثان، ومعناه كلمة الله، وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب (قول) بالنصب على أنّه مصدر مؤكّد ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي في أمره يشكّون، أو يتنازعون، فقالت اليهود: ساحر، وقالت النصارى: ابن الله ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ تبكيت لهم بأنّ من إذا أراد شيئاً أوجده بكن كان منزّهاً عن شبه الخلق في الحاجة في اتّخاذ الولد بإحبال الإناث [٢] ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من الحلال والحرام يعني مريم ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ في عيسى فيها، أي أحييناه في جوفها؛ وقيل: فعلنا النفخ فيها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ من الروح الّذي هو بأمرنا وحده، أو من جهة روحنا جبرئيل ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا﴾ أي قصّتهما أو حالهما ﴿آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فإنّ من تأمّل حالهما تحقّق كمال قدرة الصانع تعالى [٣].

١٨ - باب فضله ورفعة شأنه ومعجزاته وتبليغه ومدة عمره ونقش خاتمه وجمل أحواله

الآيات: البقرة «٢»: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ مرتين «٨٧ و ٢٥٣».

آل عمران «٣»: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ۝٤﴾.

المائدة «٥»: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤١٠.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٥٠.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٢٦.

فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ «٤٦» وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥)﴾ وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ «٧٨» وقال تعالى»: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١١٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)﴾.

المؤمنون «٢٣»: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ «٥٠».

يس «٣٦»: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩)﴾.

الزخرف «٤٣»: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ «٥٩».

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾.

الصف «٦١»: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ «٦».

تفسير: قال الطبرسيّ ﷺ: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي المعجزات وقيل: الإنجيل ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ أي قوّيناه بجبرئيل؛ وقيل: أي الإنجيل؛ وقيل: هو الاسم الّذي كان عيسى يحيي به الموتى؛ وقيل: هو الروح الّذي نفخ فيه فأضافه إلى نفسه تشريفاً، والقدس: الطهر؛ وقيل: البركة؛ وقيل: هو الله تعالى[1].

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ أي حجّة على قدرتنا على الاختراع ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ أي وجعلنا مأواهما مكاناً مرتفعاً مستوياً واسعاً، والربوة هي الرملة من فلسطين وقيل: دمشق؛ وقيل: مصر؛ وقيل بيت المقدس؛ وقيل: هي حيرة الكوفة وسوادها؛ والقرار: مسجد الكوفة؛ والمعين: الفرات، عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ؛ وقيل: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي ذات موضع استقرار، أي هي أرض مستوية يستقرّ عليها ساكنوها؛ وقيل: ذات ثمار إذ لأجلها يستقرّ فيها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي ماء جار ظاهر للعيون[2].

﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي بالخلق من غير أب وبالنبوّة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي آية لهم ودلالة يعرفون بها قدرة الله تعالى على ما يريد حيث خلقه من غير أب، فهو مثل لهم يشبّهون به ما يريدون من أعاجيب صنع الله ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ أي بالنبوّة؛ وقيل: بالعلم بالتوحيد والعدل والشرائع ﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ قيل: أي كلّه، كقول لبيد: أو يخترم بعض النفوس حمامها. أي كلّ النفوس، والصحيح أنّ البعض لا يكون في معنى الكلّ، والّذي جاء به عيسى في الإنجيل إنّما هو بعض الّذي اختلفوا فيه وبيّن لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه، وقيل: معناه: لأبيّن لكم ما تختلفون فيه من أمور الدين دون أمور الدنيا وهو المقصود ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ يعني اليهود والنصارى في أمر عيسى[3].

١ - **شي:** عن الهذليّ، عن رجل قال: مكث عيسى ﷺ حتّى بلغ سبع سنين، أو ثمان سنين، فجعل يخبرهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم، فأقام بين أظهرهم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، ويعلّمهم التوراة، وأنزل الله عليه الإنجيل لمّا أراد الله أن يتّخذ عليهم حجّة[4].

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٢٩٥. (٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٩٢.

(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٩٠.

(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٩٧ ح ٤٩ من سورة آل عمران.

٢ - **شي**: عن محمّد بن أبي عمير، عمّن ذكره رفعه قال: إنّ أصحاب عيسى عليه السلام سألوه أن يحيي لهم ميتاً، قال: فأتى بهم إلى قبر سام بن نوح، فقال له: قم بإذن الله يا سام بن نوح، قال: فانشقّ القبر، ثمّ أعاد الكلام فتحرّك، ثمّ أعاد الكلام فخرج سام بن نوح، فقال له عيسى: أيهما أحبّ إليك: تبقى أو تعود؟ قال: فقال: يا روح الله بل أعود، إنّي لأجد حرقة الموت - أو قال: لذعة الموت - في جوفي إلى يومي هذا(١).

ص: مرسلاً مثله «ص ٢٦٩».

٣ - **شي**: عن أبان بن تغلب قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام هل كان عيسى بن مريم أحيا أحداً بعد موته حتّى كان له أكل ورزق ومدّة وولد؟ قال: فقال: نعم، إنّه كان له صديق مؤاخ له في الله، وكان عيسى يمرّ به فينزل عليه، وإنّ عيسى عليه السلام غاب عنه حيناً، ثمّ مرّ به ليسلّم عليه فخرجت إليه أمّه فسألها عنه، فقالت أمّه: مات يا رسول الله، فقال لها: أتحبّين أن تريه؟ قالت: نعم، قال لها: إذا كان غداً أتيتك حتّى أحييه لك بإذن الله، فلمّا كان من الغد أتاها فقال لها: انطلقي معي إلى قبره، فانطلقا حتّى أتيا قبره فوقف عيسى عليه السلام ثمّ دعا الله فانفرج القبر وخرج ابنها حيّاً، فلمّا رأته أمّه ورآها بكيا؛ فرحمهما عيسى عليه السلام فقال له: أتحبّ أن تبقى مع أمّك في الدنيا؟ قال: يا رسول الله بأكل وبرزق ومدّة، أو بغير مدّة ولا رزق ولا أكل؟ فقال له عيسى عليه السلام: بل برزق وأكل ومدّة تعمر عشرين سنة، وتزوّج ويولد لك، قال: فنعم إذاً، قال: فدفعه عيسى إلى أمّه فعاش عشرين سنة وتزوّج وولد له(٢).

كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي جميلة، عن أبان بن تغلب وغيره عنه عليه السلام مثله «الروضة ح ٥٣٢».

٤ - **شي**: عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين داود وعيسى بن مريم عليهما السلام أربع مائة سنة، وكان شريعة عيسى أنّه بعث بالتوحيد والإخلاص، وبما أوصي به نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام، وأنزل عليه الإنجيل، وأخذ عليه الميثاق الّذي أخذ على النبيّين، وشرع له في الكتاب إقام الصلاة مع الدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتحريم الحرام، وتحليل الحلال، وأنزل عليه في الإنجيل مواعظ وأمثال وليس فيها قصاص ولا أحكام حدود، ولا فرض مواريث، وأنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى عليه السلام في التوراة، وهو قول الله في الّذي قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وأمر عيسى من معه ممّن اتّبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة والانجيل(٣).

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٩٧ ح ٤٩ و٥٠ من سورة آل عمران.

(٢) - (٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٩٨ ح ٥١ و٥٢ من سورة آل عمران.

٥ - **شي:** البرقيّ، عن أبيه رفعه في قول الله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ قال: كانا يتغوّطان[1].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: قيل فيه قولان: أحدهما أنّه احتجاج على النصارى بأنّ من ولدته النساء ويأكل الطعام لا يكون إلهاً للعباد، أي أنّهما كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الخلق فكيف يكون إلهاً من لا يقيمه إلاّ أكل الطعام؟ والثاني أنّ ذلك كناية عن قضاء الحاجة[2].

٦ - **شي:** عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ قال: الخنازير على لسان داود عليه السلام، والقردة على لسان عيسى بن مريم عليه السلام[3].

كا: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبيدة مثله «الروضة ح ٢٤٠».

بيان: قد مرّ شرحه في باب قصة أصحاب السبت.

٧ - **شي:** عن الفيض بن المختار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لمّا أُنزلت المائدة على عيسى عليه السلام قال للحواريّين: لا تأكلوا منها حتّى آذن لكم، فأكل منها رجل منهم فقال بعض الحواريّين: يا روح الله أكل منها فلان، فقال له عيسى عليه السلام: أكلت منها؟ قال له: لا، فقال الحواريّون: بلى والله يا روح الله لقد أكل منها، فقال له عيسى: صدّق أخاك، وكذّب بصرك[4].

٨ - **م:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عباد الله إنّ قوم عيسى لمّا سألوه أن ينزّل عليهم مائدة من السماء قال الله: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فأنزلها عليهم، فمن كفر منهم بعد مسخه الله إمّا خنزيراً، وإمّا قرداً، وإمّا دبّاً، وإمّا هرّاً، وإمّا على صورة بعض الطيور والدوابّ الّتي في البرّ والبحر حتّى مسخوا على أربعمائة نوع من المسخ[5].

٩ - **شي:** عن عيسى العلويّ، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: المائدة الّتي نزلت على بني إسرائيل مدلاّة بسلاسل من ذهب، عليها تسعة ألوان وتسعة أرغفة[6].

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٦٣ ح ١٦٠ من سورة المائدة.
(٢) مجمع البيان، ج ٣ ص ٣٩٤.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٦٤ ح ١٦١ من سورة المائدة.
(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٧٨ ح ٢٢٥.
(٥) تفسير الامام العسكري عليه السلام ص ٥٦٥.
(٦) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٧٨ ح ٢٢٤ من سورة المائدة.

١٠ - شي: عن الفضيل بن يسار، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ الخنازير من قوم عيسى عليه السلام سألوا نزول المائدة فلم يؤمنوا فمسخهم الله خنازير[١].

١١ - شي: عن عبد الصمد بن بذار قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: كانت الخنازير قوماً من القصّارين كذّبوا بالمائدة فمسخوا خنازير[٢].

١٢ - شي: عن ثعلبة، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: لم يقله وسيقوله، إنّ الله إذا علم أنّ شيئاً كائن أخبر عنه خبر ما قد كان[٣].

١٣ - شي: عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ فقال: إنّ الله إذا أراد أمراً أن يكون قصّه قبل أن يكون كأن قد كان[٤].

١٤ - شي: عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير هذه الآية: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ قال: إنّ اسم الله الأكبر ثلاثة وسبعون حرفاً، فاحتجب الربّ تبارك وتعالى منها بحرف، فمن ثمّ لا يعلم أحد ما في نفسه عزّ وجل[٥]، أعطى آدم اثنين وسبعين حرفاً فتوارثها الأنبياء حتّى صارت إلى عيسى فذلك قول عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ يعني اثنين وسبعين حرفاً من الاسم الأكبر، يقول أنت علّمتنيها فأنت تعلمها ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ يقول: لأنّك احتجبت عن خلقك بذلك الحرف فلا يعلم أحد ما في نفسك[٦].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ والمعنى: إذ يقول الله يوم القيامة لعيسى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ هذا وإن خرج مخرج الاستفهام فهو تقريع وتهديد لمن ادّعى ذلك عليه من النصارى؛ وقيل: أراد بهذا القول تعريف عيسى عليه السلام أنّ قوماً قد اعتقدوا فيه وفي أمّه أنّهما إلهان، واعترض على قوله: ﴿إِلَٰهَيْنِ﴾ فقيل: لم يعلم في النصارى من اتّخذ مريم إلهاً. والجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنّهم لمّا جعلوا المسيح إلهاً ألزمهم أن يجعلوا والدته أيضاً إلهاً، لأنّ الولد يكون من جنس الوالدة، فهذا على طريق الإلزام لهم.

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٧٩ ح ٢٢٧-٢٢٨ من سورة المائدة.

(٣) - (٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٧٩ ح ٢٢٩-٢٣٠ من سورة المائدة.

(٥) لعل المراد بقوله: (ما في نفسي) على هذا الوجه نفسي ونفس أمثالي من سائر الأنبياء، أو المراد ما يخصني من اثنين وسبعين حرفاً، فلا ينافي ما ورد من سائر الأخبار من اختصاصه عليه السلام ببعض تلك الأسماء، والله يعلم (منه رحمه الله).

(٦) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٧٩ ح ٢٣١ من سورة المائدة.

والثاني: أنّهم لمّا عظّموهما تعظيم الآلهة اطلق اسم الإله عليهما.

والثالث: أنّه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك. ويعضده ما حكاه الشيخ أبو جعفر قدّس الله روحه عن بعض النصارى أنّه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم المريميّة يعتقدون في مريم أنّها إله.

وقال ﷻ في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي تعلم غيبي وسرّي ولا أعلم غيبك وسرّك، وإنّما ذكر النفس لمزاوجة الكلام، والعادة جارية بأنّ الإنسان يسرّ في نفسه فصار قوله: ﴿مَا فِي نَفْسِي﴾ عبارة عن الإخفاء، ثمّ قال: ﴿مَا فِي نَفْسِكَ﴾ على جهة المقابلة، وإلاّ فالله منزّه عن أن يكون له نفس أو قلب تحلّ فيه المعاني[١].

١٥ - **يه:** قال الصادق عليه السلام: قيل لعيسى بن مريم ما لك لا تتزوّج؟ فقال: وما أصنع بالتزويج؟ قالوا: يولد لك، قال: وما أصنع بالأولاد؟ إن عاشوا فتنوا، وإن ماتوا حزنوا[٢].

بيان: حزنه بمعنى أحزنه.

١٦ - **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: وإن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام، فلقد كان يتوسّد الحجر، ويلبس الخشن، وكان إدامه الجوع، وسراجه باللّيل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذلّه، دابّته رجلاه، وخادمه يداه[٣].

بيان: (كان إدامه الجوع) لعلّ المعنى أنّ الإنسان إنّما يحتاج إلى الإدام لأنّه يعسر على النفس أكل الخبز خالياً عنه، فأمّا مع الجوع الشديد فيلتذّ بالخبز ولا يطلب غيره، فهو بمنزلة الإدام، أو أنّه كان يأكل الخبز دون الشبع فكان الجوع مخلوطاً به كالإدام. ولفته يلفته: لواه وصرفه عن رأيه.

١٧ - **إرشاد القلوب:** قال عيسى عليه السلام: خادمي يداي، ودابّتي رجلاي، وفراشي الأرض، ووسادي الحجر، ودفئي في الشتاء مشارق الأرض، وسراجي باللّيل القمر، وإدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وفاكهتي وريحانتي ما أنبتت الأرض للوحوش والأنعام، أبيت وليس لي شيء، وأصبح وليس لي شيء، وليس على وجه الأرض أحد أغنى منّي[٤].

١٨ - **مع:** المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن الحسين بن إشكيب، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن أحمد بن الحسن، عن صدقة بن حسان، عن مهران بن أبي نصر، عن

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٤٥٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ ص ٦٢٥ ح ٤٩١٨.

(٣) نهج البلاغة، ص ٣٢١ خطبة ١٥٨.

(٤) ارشاد القلوب، ص ١٣٩.

يعقوب بن شعيب، عن أبي سعيد الإسكاف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: الربوة الكوفة، والقرار: المسجد، والمعين: الفرات[1].

١٩ - **فس:** قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ إلى قوله: ﴿وَمَعِينٍ﴾ قال: ﴿رَبْوَةٍ﴾ الحيرة، وذات قرار ومعين: الكوفة[2].

بيان: لعلّ المعنى أنّ القرار هو الكوفة، والمعين ماؤها، أي الفرات، والحيرة أي كربلا لقربها منهما أضيفت إليهما.

أقول: سيأتي في كتاب الغيبة في حديث المفضّل بن عمر عن الصادق عليه السلام أنّ بقاع الأرض تفاخرت ففخرت الكعبة على البقعة بكربلا، فأوحى الله إليها: اسكتي ولا تفخري عليها، فإنّها البقعة المباركة الّتي نودي منها موسى من الشجرة، وإنّها الربوة الّتي آويت إليها مريم والمسيح، وإنّ الدالية الّتي غسل فيها رأس الحسين عليه السلام فيها غسلت مريم عيسى عليه السلام واغتسلت لولادتها.

٢٠ - **فس:** ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ أبي، عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن تفسير هذه الآية، فقال: بعث الله رجلين إلى أهل مدينة أنطاكية، فجاءاهم بما لا يعرفونه، فغلظوا عليهما فأخذوهما وحبسوهما في بيت الأصنام، فبعث الله الثالث فدخل المدينة فقال: ارشدوني إلى باب الملك، قال: فلمّا وقف على باب الملك قال: أنا رجل كنت أتعبّد في فلاة من الأرض، وقد أحببت أن أعبد إله الملك، فأبلغوا كلامه الملك فقال: أدخلوه إلى بيت الآلهة، فأدخلوه فمكث سنة مع صاحبيه، فقال لهما: بهذا ننقل قوماً من دين إلى دين لا بالخرق، أفلا رفقتما؟ ثمّ قال لهما: لا تقرّان بمعرفتي، ثمّ أدخل على الملك فقال له الملك: بلغني أنّك كنت تعبد إلهي، فلم أزل وأنت أخي فسلني حاجتك، قال: ما لي حاجة أيّها الملك، ولكن رجلين رأيتهما في بيت الآلهة فما حالهما؟ قال الملك: هذان رجلان أتياني يضلّان عن ديني ويدعوان إلى إله سماويّ، فقال: أيّها الملك فمناظرة جميلة، فإن يكن الحقّ لهما اتّبعناهما، وإن يكن الحقّ لنا دخلا معنا في ديننا، فكان لهما ما لنا وعليهما ما علينا، قال: فبعث الملك إليهما فلمّا دخلا إليه قال لهما صاحبهما: ما الّذي جئتماني به؟ قالا: جئنا ندعو إلى عبادة الله الّذي خلق السماوات والأرض ويخلق في الأرحام ما يشاء ويصوّر كيف يشاء، وأنبت الأشجار والثمار، وأنزل القطر من السماء، قال: فقال لهما: إلهكما هذا الّذي تدعوان إليه وإلى عبادته إن جئناكما

---

(١) معاني الأخبار، ص ٣٧٣.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٦٧.

بأعمى يقدر أن يردّه صحيحاً؟ قالا: إن سألناه أن يفعل فعل إن شاء، قال: أيّها الملك عليّ بأعمى لا يبصر قطّ قال: فأُتي به، فقال لهما: ادعوا إلهكما أن يردّ بصر هذا، فقاما وصلّيا ركعتين فإذا عيناه مفتوحتان وهو ينظر إلى السماء، فقال: أيّها الملك عليّ بأعمى آخر فأُتي به قال: فسجد سجدة ثمّ رفع رأسه فإذا الأعمى بصير، فقال: أيّها الملك حجّة بحجّة، عليّ بمقعد، فأُتي به، فقال لهما مثل ذلك، فصلّيا ودعوا الله فإذا المقعد قد أُطلقت رجلاه وقام يمشي، فقال: أيّها الملك عليّ بمقعد آخر، فأُتي به، فصنع به كما صنع أوّل مرّة فانطلق المقعد، فقال: أيّها الملك قد أتيا بحجّتين وأتينا بمثلهما، ولكن بقي شيء واحد فإن كان هما فعلاه دخلت معهما في دينهما، ثمّ قال: أيّها الملك بلغني أنّه كان للملك ابن واحد ومات، فإن أحياه إلههما دخلت معهما في دينهما، فقال له الملك: وأنا أيضاً معك، ثمّ قال لهما: قد بقيت هذه الخصلة الواحدة: قد مات ابن الملك فادعوا إلهكما أن يحييه، قال فخرّا ساجدين لله وأطالا السجود ثمّ رفعا رأسيهما وقالا للملك: ابعث إلى قبر ابنك تجده قد قام من قبره إن شاء الله، قال فخرج الناس ينظرون فوجدوه قد خرج من قبره ينفض رأسه من التراب، قال فأُتي به إلى الملك فعرف أنّه ابنه، فقال له: ما حالك يا بنيّ؟ قال: كنت ميّتاً فرأيت رجلين بين يدي ربّي الساعة ساجدين يسألانه أن يحييني فأحياني، قال: يا بنيّ فتعرفهما إذا رأيتهما؟ قال: نعم، قال: فأخرج الناس جملة إلى الصحراء، فكان يمرّ عليه رجل رجل فيقول له أبوه: انظر فيقول: لا لا، ثمّ مرّ عليه بأحدهما بعد جمع كثير فقال: هذا أحدهما، وأشار بيده إليه، ثمّ مرّ أيضاً بقوم كثيرين حتّى رأى صاحبه الآخر فقال: وهذا الآخر، قال: فقال النبيّ صاحب الرجلين: أمّا أنا فقد آمنت بإلهكما وعلمت أنّ ما جئتما به هو الحقّ، فقال الملك: وأنا أيضاً آمنت بإلهكما، وآمن أهل مملكته كلّهم[1].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: أي حين بعث الله إليهم المرسلين ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ أي رسولين من رسلنا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ قال ابن عبّاس: ضربوهما وسجنوهما ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي فقوّينا وشدّدنا ظهورهما برسول ثالث، قال شعبة: كان اسم الرسولين شمعون ويوحنّا، والثالث بولس، وقال ابن عبّاس وكعب: صادق وصدوق، والثالث سلوم؛ وقيل: إنّهم رسل عيسى وهم الحواريّون، عن وهب وكعب، قالا: وإنّما أضافهم إلى نفسه لأنّ عيسى عليه السلام أرسلهم بأمره ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ قَالُوا﴾ يعني أهل القرية: ﴿مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فلا تصلحون للرسالة ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ وإنّما قالوا ذلك بعدما قامت الحجّة بظهور المعجزة فلم يقبلوها ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ قَالُوا﴾ أي هؤلاء الكفّار: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي تشاءمنا بكم ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٧.

بالحجارة أو لنشتمنكم ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا﴾ يعني الرسل: ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي الشؤم كلّه معكم بإقامتكم على الكفر بالله تعالى ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أي أئن ذكّرتم قلتم هذا القول؛ وقيل: معناه: لئن ذكّرناكم هدّدتمونا وهو مثل الأوّل؛ وقيل: معناه: إنّ تدبّرتم عرفتم صحّة ما قلناه لكم ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ معناه: ليس فينا مايوجب التشاؤم بنا، ولكنكم متجاوزون عن الحدّ في التكذيب للرسل والمعصية ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ وكان اسمه حبيباً النجّار، عن ابن عبّاس وجماعة من المفسّرين، وكان قد آمن بالرسل عند ورودهم القرية، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، فلمّا بلغه أنّ قومه قد كذّبوا الرسل وهمّوا بقتلهم جاء يعدو ويشتدّ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ وإنّما علم نبوّتهم لأنّهم لمّا دعوه قال: أتأخذون على ذلك أجراً؟ قالوا: لا؛ وقيل: إنّه كان به زمانة أو جذام فأبرؤوه فآمن بهم، عن ابن عبّاس[1].

﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ قيل: فلمّا قال هذا أخذوه فرفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تتّبعهم؟ قال: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي تردّون عند البعث ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ أي إن أراد الله إهلاكي والإضرار بي ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ أي لا تدفع شفاعتهم عنّي شيئاً ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ ولا يخلّصوني من ذلك ﴿إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ۝٢٥﴾ أي فاسمعوا قولي واقبلوه.

ثمّ إنّ قومه لمّا سمعوا ذلك القول منه وطئوه بأرجلهم حتّى مات، فأدخله الله الجنّة وهو حيّ فيها يرزق وهو قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ وقيل: رجموه حتّى قتلوه عن قتادة؛ وقيل إنّ القوم لمّا أرادوا أن يقتلوه رفعه الله إليه فهو في الجنّة ولا يموت إلاّ بفناء الدنيا وهلاك الجنّة، عن الحسن ومجاهد، وقالا: إنّ الجنّة الّتي دخلها يجوز هلاكها؛ وقيل: إنّهم قتلوه إلاّ أنّ الله سبحانه أحياه وأدخله الجنّة، فلمّا دخلها قال: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ تمنّى أن يعلم قومه ما أعطاه الله من المغفرة وجزيل الثواب ليرغبوا في مثله ويؤمنوا لينالوا ذلك ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ أي من المدخلين الجنّة.

ثمّ حكى سبحانه ما أنزله بقومه من العذاب فقال: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ﴾ أي من بعد قتله أو رفعه ﴿مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ يعني الملائكة، أي لم ننتصر منهم بجند من السّماء ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ أي وما كنّا ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم؛ وقيل: معناه: وما أنزلنا على قومه من بعده رسالة من السماء قطع الله عنهم الرسالة حين قتلوا رسله ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي كان إهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر صيحة واحدة حتّى هلكوا بأجمعهم ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ أي ساكنون قد ماتوا.

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٦٢.

قيل: إنّهم لمّا قتلوا حبيب بن موسى النجّار غضب الله عليهم، فبعث جبرئيل حتّى أخذ بعضادتي باب المدينة ثمّ صاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم لا يسمع لهم حسّ كالنار إذا طفئت. انتهى[١].

وقال الثعلبيّ في تفسيره: هو حبيب بن مري، وقال ابن عبّاس ومقاتل: حبيب بن إسرائيل النجّار؛ وقال وهب: كان رجلاً أسرع فيه الجذام وكان مؤمناً ذا صدقة، يجمع كسبه إذا أمسى فيقسّمه نصفين: فيطعم نصفه عياله، ويتصدّق بنصفه، وقال قتادة: كان حبيب في غار يعبد ربّه، فلمّا بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وما هو عليه من التوحيد وعبادة الله فوثب القوم إليه فقتلوه.

٢١ - **محص**: عن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: هل يبتلي الله المؤمن؟ فقال: وهل يبتلي إلاّ المؤمن؟ حتّى إنّ صاحب يس قال: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ كان مكنّعاً، قلت: وما المكنّع؟ قال: كان به جذام[٢].

٢٢ - **لي**: عليّ بن عيسى، عن عليّ بن محمّد ماجيلويه، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد ابن سنان، عن أحمد بن النصر الطحّان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام إنّ عيسى روح الله مرّ بقوم مجلبين، فقال: ما لهؤلاء؟ قيل: يا روح الله إنّ فلانة بنت فلان تهدى إلى فلان ابن فلان في ليلتها هذه، قال: يجلبون اليوم ويبكون غداً، فقال قائل منهم: ولمَ يا رسول الله؟ قال: لأنّ صاحبتهم ميتة في ليلتها هذه، فقال القائلون بمقالته: صدق الله وصدق رسوله، وقال أهل النفاق: ما أقرب غداً، فلمّا أصبحوا جاؤوا فوجدوها على حالها لم يحدث بها شيء فقالوا: يا روح الله إنّ الّتي أخبرتنا أمس أنّها ميّتة لم تمت، فقال عيسى عليه السلام: يفعل الله ما يشاء، فاذهبوا بنا إليها، فذهبوا يتسابقون حتّى قرعوا الباب، فخرج زوجها، فقال له عيسى عليه السلام: استأذن لي على صاحبتك، قال: فدخل عليها فأخبرها أنّ روح الله وكلمته بالباب مع عدّة، قال: فتخدّرت فدخل عليها فقال لها: ما صنعت ليلتك هذه؟ قالت: لم أصنع شيئاً إلاّ وقد كنت أصنعه فيما مضى، إنّه كان يعترينا سائل في كلّ ليلة جمعة فننيله ما يقوته إلى مثلها، وإنّه جاءني في ليلتي هذه وأنا مشغولة بأمري وأهلي فيّ مشاغيل، فهتف فلم يجبه أحد، ثمّ هتف فلم يجب حتّى هتف مراراً، فلمّا سمعت مقالته قمت متنكّرة حتّى أنلته كما كنّا ننيله، فقال لها: تنحّي عن مجلسك، فإذا تحت ثيابها أفعى مثل جذعة عاضّ على ذنبه، فقال عليه السلام: بما صنعت صرف عنك هذا[٣].

بيان: الجلبة: اختلاط الصوت. والجذعة بالكسر: ساق النخلة.

٢٣ - **ير**: أحمد بن محمّد، عن البرقيّ، عن رجل من الكوفيّين، عن محمّد بن عمر، عن

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٦٨. (٢) التمحيص مع تحف العقول، ص ٤٠٩ ح ٤٣.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٤٠٤ مجلس ٧٥ ح ١٣.

عبد الله بن الوليد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما يقول أصحابك في أمير المؤمنين وعيسى وموسى عليهم السلام أيّهم أعلم؟ قال: قلت: ما يقدّمون على أولي العزم أحداً، قال: أما إنّك لو خاصمتهم بكتاب الله لحججتهم، قال: قلت: وأين هذا في كتاب الله؟ قال: إنّ الله قال في موسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ ولم يقل: كلّ شيء، وقال في عيسى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ ولم يقل: كلّ شيء، وقال في صاحبكم: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[1].

٢٤ - ج: عن ابن عبّاس قال: جاء نفر من اليهود إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا فيما قالوا: عيسى خير منك، قال: ولِمَ ذاك؟ قالوا: لأنّ عيسى بن مريم عليه السلام كان ذات يوم بعقبة بيت المقدس فجاءته الشياطين ليحملوه، فأمر الله عزّ وجلّ جبرئيل أن اضرب بجناحك الأيمن وجوه الشياطين، وألقهم في النار، فضرب بأجنحته وجوههم وألقاهم في النار، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك؛ الخبر[2].

٢٥ - فس: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ أي أقدّر وهو خلق تقدير، حدّثنا أحمد بن محمّد الهمدانيّ، عن جعفر بن عبد الله، عن كثير بن عيّاش، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ فإنّ عيسى عليه السلام كان يقول لبني إسرائيل: إنّي رسول الله إليكم، وإنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأبرئ الأكمه والأبرص، الأكمه هو الأعمى، قالوا: ما نرى الّذي تصنع إلّا سحراً، فأرنا آية نعلم أنّك صادق، قال: أرأيتم إن أخبرتكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم - يقول: ما أكلتم في بيوتكم قبل أن تخرجوا وما ادّخرتم إلى اللّيل - تعلمون أنّي صادق؟ قالوا: نعم، فكان يقول للرجل: أكلت كذا وكذا، وشربت كذا وكذا، ورفعت كذا وكذا، فمنهم من يقبل منه فيؤمن، ومنهم من يكفر، وكان لهم في ذلك آية إن كانوا مؤمنين.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾: هو السبت والشحوم والطير الّذي حرّمه الله على بني إسرائيل[3].

٢٦ - ن، ل: ابن الوليد، عن سعد، عن أحمد بن حمزة الأشعريّ، عن ياسر الخادم قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيخرج من بطن أمّه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا، وقد سلّم الله على يحيى عليه السلام في هذه الثلاثة المواطن وآمن

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٢٢٣ ج ٥ باب ٥ ح ٦.
(٢) الاحتجاج، ص ٤٩.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ١١٠.

روعته فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[١].

٢٧ - فس: الحسين بن عبد الله السكّينيّ، عن أبي سعيد البجليّ، عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال الحسن بن عليّ عليه السلام فيما ناظر به ملك الروم: كان عمر عيسى عليه السلام في الدنيا ثلاثة وثلاثين سنة، ثمّ رفعه الله إلى السّماء، ويهبط إلى الأرض بدمشق، وهو الّذي يقتل الدجّال[٢].

٢٨ - ع: أبي، عن الحميريّ، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بصفائح الروحاء وهو يقول: لبّيك، عبدك وابن أمتك، لبّيك. الخبر[٣].

كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير مثله[٤].

٢٩ - مع: معنى المسيح أنّه كان يسيح في الأرض ويصوم[٥].

٣٠ - مع: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ قال: نفّاعاً[٦].

فس: محمّد بن جعفر، عن محمّد بن أحمد، عن ابن يزيد مثله[٧].

٣١ - ن: بإسناده عن الرضا عليه السلام قال: كان نقش خاتم عيسى عليه السلام حرفين اشتقّهما من الإنجيل: طوبى لعبد ذكر الله من أجله، وويل لعبد نسي الله من أجله[٨].

٣٢ - ج: حمران بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ قال: هي مخلوقة خلقه الله بحكمته في آدم وعيسى عليه السلام[٩].

٣٣ - فس: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فقال عيسى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ قالوا كما حكى الله: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ فقال عيسى: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فقال الله احتجاجاً عليهم: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٣٢ باب ٢٦ ح ١١، والخصال، ص ١٠٧ باب الثلاثة ح ٧١.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤١.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٢٤ باب ١٥٧ ح ٧.

(٤) الكافي، ج ٤ باب ١٣٥ ح ٤.

(٥) معاني الأخبار، ص ٥٠.

(٦) معاني الأخبار، ص ٢١٢.

(٧) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤.

(٨) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٦١ باب ٣١ ح ٢٠٦.

(٩) الاحتجاج، ص ٣٢٣.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فكانت تنزل المائدة عليهم فيجتمعون عليها ويأكلون حتّى يشبعوا ثمّ ترفع، فقال كبراؤهم ومترفوهم: لا ندع سفلتنا يأكلون منها، فرفع الله المائدة، ومسخوا القردة والخنازير[(١)].

٣٤ - شي: عن يحيى الحلبيّ في قوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قال: قراءتها: «هل تستطيع ربك» يعني هل تستطيع أن تدعو ربّك[(٢)].

بيان: هذا قراءة الكسائيّ حيث قرأ (تستطيع) بصيغة الخطاب و(ربّك) بالنصب أي تستطيع سؤال ربّك.

٣٥ - ص: عن الصادق عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: رأيت إبراهيم وموسى وعيسى عليهم‌السلام فأمّا موسى عليه‌السلام فرجل طوال سبط يشبه رجال الزطّ ورجال أهل شنوة وأمّا عيسى عليه‌السلام فرجل أحمر جعد ربعة، قال: ثمّ سكت، فقيل له: يا رسول الله فإبراهيم؟ قال: انظروا إلى صاحبكم - يعني نفسه -[(٣)].

٣٦ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن ماجيلويه، عن عمّه، عن الكوفيّ، عن عيسى ابن عبد الله، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: المائدة الّتي نزلت على بني إسرائيل كانت مدلاّة بسلاسل من ذهب عليها تسعة أحوات[(٤)]، وتسعة أرغفة فحسب[(٥)].

شي: عن عيسى العلويّ، عن أبيه مثله[(٦)].

٣٧ - م: قال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله: إنّ الله أنزل مائدة على عيسى عليه‌السلام وبارك له في أرغفة وسميكات حتّى أكل وشبع منها أربعة آلاف وسبعمائة[(٧)].

٣٨ - ص: الصدوق بإسناده إلى ابن أورمة، عن الحسن بن عليّ، عن الحسن بن الجهم، عن الرضا عليه‌السلام قال: كان عيسى عليه‌السلام يبكي ويضحك، وكان يحيى عليه‌السلام يبكي ولا يضحك، وكان الّذي يفعل عيسى عليه‌السلام أفضل[(٨)].

٣٩ - ك: أبي وابن الوليد معاً، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن محمّد بن إسماعيل القرشيّ، عمّن حدّثه، عن إسماعيل ابن أبي رافع عن أبيه قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: إنّ جبرئيل نزل عليّ بكتاب فيه خبر الملوك ملوك الأرض قبلي، وخبر من بعث قبلي من الأنبياء والرسل - وهو حديث طويل أخذنا منه

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٩٧. (٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٧٨ ح ٢٢٣ من سورة الأنعام.
(٣) قصص الأنبياء، ص ١٥٤.
(٤) قد مر برواية العياشي بهذا السند: تسعة ألوان ولعل أحدهما تصحيف الآخر (منه رحمه الله).
(٥) قصص الأنبياء، ص ١٨٥. (٦) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٧٨ ح ٢٢٤.
(٧) تفسير الامام العسكري عليه‌السلام، ص ١٩٥. (٨) قصص الأنبياء، ص ٢٧٣.

موضع الحاجة إليه - قال: لمّا ملك اشبغ بن أشجان وكان يسمّى الكيس وملك مائتي سنة وستّاً وستّين سنة، ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام واستودعه النور والعلم والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله، وزاده الإنجيل، وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الإيمان بالله وبرسوله، فأبى أكثرهم إلاّ طغياناً وكفراً، فلمّا لم يؤمنوا به دعا ربّه وعزم عليهم فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا فلم يزدهم إلّا طغياناً وكفراً، فأتى بيت المقدس يدعوهم ويرغّبهم فيما عند الله ثلاثاً وثلاثين سنة حتّى طلبته اليهود وادّعت أنّها عذبته ودفنته في الأرض حيّاً، وادّعى بعضهم أنّهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم عليه سلطاناً، وإنّما شبّه لهم، وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبه، قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فلم يقتدروا على قتله وصلبه لأنّهم لو قدروا على ذلك كان تكذيباً لقوله ولكن رفعه الله إليه بعد أن توفّاه، فلمّا أراد الله أن يرفعه أوحى إليه أن يستودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا خليفته على المؤمنين، ففعل ذلك فلم يزل شمعون يقوم بأمر الله عزّ وجلّ، ويهتدي بجميع مقال عيسى عليه السلام في قومه من بني إسرائيل ويجاهد الكفّار، فمن أطاعه وآمن به وبما جاء به كان مؤمناً، ومن جحده وعصاه كان كافراً حتّى استخلصه ربّنا عزّ وجلّ، وبعث في عباده نبيّاً من الصالحين وهو يحيى بن زكريّا عليه السلام فمضى شمعون وملك عند ذلك أردشير[(١)].

أقول: تمامه في باب أحوال الملوك.

٤٠ - **ك:** الطالقانيّ، عن ابن عقدة، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن محمّد ابن الفضيل، عن الثماليّ، عن الباقر عليه السلام قال: إنّ الله أرسل عيسى إلى بني إسرائيل خاصّة، وكانت نبوّته ببيت المقدس، وكان من بعده من الحواريّين اثني عشر. الخبر[(٢)].

٤١ - **ل:** بإسناده عن أبي ذرّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أوّل نبيّ من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى وستّمائة نبيّ. الخبر[(٣)].

٤٢ - **يد:** بإسناده عن فتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك وغير الخالق الجليل خالق؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فقد أخبر أنّ في عباده خالقين وغير خالقين، منهم عيسى عليه السلام خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله، والسامريّ خلق لهم عجلاً جسداً له خوار[(٤)]. إلى آخر ما مرّ في كتاب التوحيد.

---

(١) كمال الدين، ص ٢١٥.
(٢) كمال الدين، ص ٢١١.
(٣) الخصال، ص ٥٢٤ باب العشرون ح ١٣.
(٤) التوحيد، ص ٦٣.

٤٣ - ص: الصّدوق بإسناده عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين داود وعيسى عليه السلام أربعمائة سنة وثمانون سنة، وأنزل على عيسى في الإنجيل مواعظ وأمثال وحدود ليس فيها قصاص ولا أحكام حدود ولا فرض مواريث، وأنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى عليه السلام في التوراة وهو قوله تعالى حكاية عن عيسى أنّه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وأمر عيسى من معه ممّن تبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة وشرائع جميع النبيّين والإنجيل قال: ومكث عيسى عليه السلام حتّى بلغ سبع سنين أو ثمانياً، فجعل يخبرهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم، فأقام بين أظهرهم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويعلّمهم التوراة، وأنزل الله عليه الإنجيل لمّا أراد أن يتّخذ عليهم حجّة، وكان يبعث إلى الروم رجلاً لا يداوي أحداً إلاّ برئ من مرضه، ويبرئ الأكمه والأبرص حتّى ذكر ذلك لملكهم فأُدخل عليه فقال: أتبرئ الأكمه والأبرص؟ قال: نعم، قال: أُتي بغلام منخسف الحدقة لم ير شيئاً قطّ، فأخذ بندقتين فبندقهما ثمّ جعلهما في عينيه ودعا فإذا هو بصير فأقعده الملك معه وقال: كن معي ولا تخرج من مصري، فأنزله معه بأفضل المنازل.

ثمّ إنّ المسيح عليه السلام بعث آخر وعلّمه ما به يحيي الموتى، فدخل الروم وقال: أنا أعلم من طبيب الملك. فقالوا للملك ذلك، قال: اقتلوه، فقال الطبيب: لا تفعله أدخله فإن عرفت خطأه قتلته ولك الحجّة؛ فأُدخل عليه فقال: أنا أحيي الموتى، فركب الملك والناس إلى قبر ابن الملك وكان قد مات في تلك الأيّام، فدعا رسول المسيح وأمّن طبيب الملك الّذي هو رسول المسيح أيضاً الأوّل، فانشقّ القبر فخرج ابن الملك، ثمّ جاء يمشي حتّى جلس في حجر أبيه، فقال: يا بنيّ من أحياك؟ قال: فنظر فقال: هذا وهذا، فقاما فقالا: إنّا رسول المسيح إليك، وإنّك كنت لا تسمع من رسله إنّما تأمر بقتلهم إذا أتوك، فتابع وأعظموا أمر المسيح عليه السلام حتّى قال فيه أعداء الله ما قالوا واليهود يكذّبونه ويريدون قتله[1].

٤٤ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن الصادق عليه السلام إنّ عيسى عليه السلام لمّا أراد وداع أصحابه جمعهم وأمرهم بضعفاء الخلق، ونهاهم عن الجبابرة، فوجّه اثنين إلى أنطاكية، فدخلا في يوم عيد لهم فوجداهم قد كشفوا عن الأصنام وهم يعبدونها، فعجّلا عليهم بالتعنيف، فشدّا بالحديد وطرحا في السجن، فلمّا علم شمعون بذلك أتى أنطاكية حتّى دخل عليهما في السجن، وقال: ألم أنهكما عن الجبابرة؟ ثمّ خرج من عندهما وجلس مع الناس مع الضعفاء، فأقبل يطرح كلامه الشيء بعد الشيء، فأقبل الضعيف يدفع كلامه إلى من هو أقوى منه، وأخفوا كلامه إخفاءً شديداً، فلم يزل يتراقى الكلام حتّى انتهى إلى الملك،

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٦٧.

فقال: منذ متى هذا الرجل في مملكتي؟ قالوا: منذ شهرين، فقال: عليّ به، فأتوه فلمّا نظر إليه وقعت عليه محبّته فقال: لا أجلس إلاّ وهو معي، فرأى في منامه شيئاً أفزعه، فسأل شمعون عنه فأجاب بجواب حسن فرح به، ثمّ ألقي عليه في المنام ما أهاله فأوّلها له بما ازداد به سروراً، فلم يزل يحادثه حتّى استولى عليه، ثمّ قال: إنّ في حبسك رجلين عابا عليك، قال: نعم، قال: فعليّ بهما، فلمّا أُتي بهما قال: ما إلهكما الّذي تعبدان؟ قالا: الله، قال: يسمعكما إذا سألتماه ويجيبكما إذا دعوتماه؟ قالا: نعم قال شمعون: فأنا أُريد أن أستبرئ ذلك منكما، قالا: قل، قال: هل يشفي لكما الأبرص؟ قالا: نعم، قال: فأُتي بأبرص، فقال: سلاه أن يشفي هذا، قال: فمسحاه فبرئ، قال: وأنا أفعل مثل ما فعلتما، قال: فأُتي بآخر فمسحه شمعون فبرئ، قال: بقيت خصلة إن أجبتماني إليها آمنت بإلهكما، قالا: وما هي؟ قال: ميّت تحييانه؟ قالا: نعم، فأقبل على الملك وقال: ميّت يعنيك أمره؟ قال: نعم ابني، قال: اذهب بنا إلى قبره فإنّهما قد أمكناك من أنفسهما، فتوجّهوا إلى قبره فبسطا أيديهما فبسط شمعون يديه فما كان بأسرع من أن صدع القبر وقام الفتى فأقبل على أبيه، فقال أبوه: ما حالك؟ قال: كنت ميّتاً ففزعت فزعة فإذا ثلاثة قيام بين يدي الله باسطو أيديهم يدعون الله أن يحييني، وهما هذان وهذا، فقال شمعون: أنا لإلهكما من المؤمنين، فقال الملك: أنا بالّذي آمنت به يا شمعون من المؤمنين، وقال وزراء الملك: ونحن بالّذي آمن به سيّدنا من المؤمنين، فلم يزل الضعيف يتّبع القويّ فلم يبق بالأنطاكية أحد إلّا آمن به[1].

٤٥ - **ص:** في رواية: أتت عيسى امرأة من كنعان بابن لها مزمن، فقالت: يا نبيّ الله ابني هذا زمن ادع الله له، قال: إنّما أُمرت أن أبرئ زمنى بني إسرائيل، قالت: يا روح الله إنّ الكلاب تنال من فضول موائد أربابها إذا رفعوا موائدهم، فأنلنا من حكمتك ما ننتفع به، فاستأذن الله تعالى في الدعاء فأذن له فأبرأه[2].

٤٦ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان قال: سأل أبي أبا عبد الله عليه السلام هل كان عيسى يصيبه ما يصيب ولد آدم؟ قال: نعم، ولقد كان يصيبه وجع الكبار في صغره، ويصيبه وجع الصغار في كبره، ويصيبه المرض، وكان إذا مسّه وجع الخاصرة في صغره وهو من علل الكبار قال لأمّه: ابغي لي عسلاً وشونيزاً وزيتاً فتعجني به ثمّ ائتيني به، فأتته به فكرهه فتقول: لمَ تكرهه وقد طلبته؟ فيقول هاتيه، نعتّه لك بعلم النبوّة وأكرهته لجزع الصبا، ويشمّ الدواء ثمّ يشربه بعد ذلك[3].

٤٧ - **ص:** في رواية إسماعيل بن جابر قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام كان يبكي بكاءً شديداً، فلمّا أعيت مريم كثرة بكائه قال لها: خذي من لحا هذه الشجرة

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٧٤. (٢) - (٣) قصص الأنبياء، ص ٢٧٠.

فاجعلي وجوراً ثمّ اسقينيه، فإذا سقى بكى بكاءً شديداً، فتقول مريم: ماذا أمرتني؟ فيقول: يا أمّاه علم النبوّة وضعف الصبا(١).

٤٨ - **ن**: بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالعدس فإنّه مبارك مقدّس يرقّق القلب، ويكثر الدمعة، وقد بارك فيه سبعون نبيّاً آخرهم عيسى بن مريم عليه السلام(٢).

٤٩ - **كا**: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن ابن محبوب، عن داود الرقّيّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتّقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً، إنّ عيسى ابن مريم عليه السلام كان من شرائعه السيح في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللّزوم لعيسى بن مريم عليه السلام، فلمّا انتهى عيسى إلى البحر قال «باسم الله» بصحة يقين منه، فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام جازه: «باسم الله» بصحّة يقين منه، فمشى على الماء فلحق بعيسى عليه السلام فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء، وأنا أمشي على الماء فما فضله عليّ؟ قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عليه السلام فتناوله من الماء فأخرجه، ثمّ قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء، وأنا أمشي، فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسى عليه السلام: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الّذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله عزّ وجلّ ممّا قلت، قال: فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته الّتي وضعه الله فيها، فاتّقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضاً(٣).

٥٠ - **كا**: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بصفائح الروحاء وهو يقول: لبّيك عبدك ابن أمتك(٤).

٥١ - **كا**: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام ابن سالم، عن يزيد الكناسيّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام كان عيسى بن مريم حين تكلّم في المهد حجّة الله على أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبيّاً حجّة الله غير مرسل، أما تسمع لقوله حين قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾(٥) قلت: فكان يومئذ حجّة الله على زكريّا عليه السلام في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للناس، ورحمة من الله لمريم حين تكلّم فعبّر عنها، وكان نبيّاً حجّة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثمّ صمت فلم يتكلّم حتّى

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٧٠.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٤٥ باب ٣١ ح ١٣٦
(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٩١ باب الحسد ح ٣.
(٤) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٦ باب ١٣٥ ح ٤.
(٥) سورة مريم، الآية: ٣١.

مضت له ستتان، وكان زكريّا عليه السلام الحجّة لله عزّ وجلّ على الناس بعد صمت عيسى عليه السلام بسنتين، ثمّ مات زكريّا عليه السلام فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبيّ صغير، أما تسمع لقوله عزّ وجلّ : ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ فلمّا بلغ عيسى سبع سنين تكلّم بالنبوّة والرسالة حين أوحى الله تعالى إليه، فكان عيسى الحجّة على يحيى وعلى الناس أجمعين، وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوماً واحداً بغير حجّة لله على النّاس منذ يوم خلق الله آدم عليه السلام وأسكنه الأرض[1].

ص: الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى مثله «ص ٢٦٦».

٥٢ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا عليه السلام : قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً فقد وهب الله لك فقرّ عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين، قال: وما يضرّه من ذلك شيء، قد قام عيسى عليه السلام بالحجّة وهو ابن ثلاث سنين[2].

بيان: هذا الخبر بظاهره ينافي خبر الكناسيّ، ويمكن أن يوجّه بأنّه نزل عليه الكتاب في السنة الثالثة ولم يؤمر بتبليغه إلى السابعة، أو يكون المعنى أنّه كان في ثلاث سنين نبيّاً وإن كان قبله أيضاً كذلك، ويحتمل أن يكون ضمير هو راجعاً إلى أبي جعفر عليه السلام ، أي كان عيسى عليه السلام حجّة في المهد فلا يستبعد أن يكون أبو جعفر عليه السلام إماماً وهو ابن ثلاث سنين.

٥٣ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن الخيرانيّ، عن أبيه قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان، فقال له قائل: يا سيّدي إن كان كون فإلى من؟ قال: إلى أبي جعفر ابني، فكأنّ القائل استصغر سنّ أبي جعفر عليه السلام ، فقال أبوالحسن عليه السلام : إنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم عليه السلام رسولاً نبيّاً صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السنّ الّذي فيه أبو جعفر[3].

٥٤ - **نص:** عليّ بن محمّد، عن محمّد بن الحسن، عن عبد الله بن جعفر الحميريّ، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ الله تعالى احتجّ بعيسى عليه السلام وهو ابن سنتين[4].

٥٥ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن سعدان بن مسلم، عن معلّى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام لمّا أن مرّ على شاطئ البحر رمى بقرص من قوته في الماء، فقال له بعض الحواريّين: يا روح الله وكلمته لمَ فعلت هذا وإنّما هو من قوتك؟ قال: فعلت هذا لدابّة تأكله من دوابّ الماء وثوابه عند الله عظيم[5].

---

(١) - (٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٣٢٦ باب حالات الأئمة ح ١ و٢ و٦.
(٤) كفاية الأثر، ص ٢٧٥.
(٥) الكافي، ج ٤ ص ٣٠٢ باب ٤ ح ٣.

٥٦ - **يه:** عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سأل عن الديراني الّذي كان في مسجد براثا وأسلم على يديه: من صلّى ههنا؟ قال: صلّى عيسى بن مريم عليه السلام وأمّه، فقال له عليّ عليه السلام: أفأخبرك من صلّى ههنا؟ قال: نعم، قال: الخليل عليه السلام (١).

أقول: قد مضى بعض أحوال عيسى في باب قصص زكريّا ويحيى عليه السلام وسيأتي خبر الظباء في أرض كربلا في باب إخبار الأنبياء بشهادة الحسين عليه السلام، وقد مرّ في باب جوامع أحوال الأنبياء عن الرضا عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خبر الشاميّ أنّه عليه السلام قال ستّة لم يركضوا في رحم، وعدّ منها الخفّاش الّذي عمله عيسى بن مريم عليه السلام وطار بإذن الله عزّ وجلّ. وعن الصادق عليه السلام أنّ الله عزّ وجلّ أعطى عيسى حرفين من الأسماء العظام، كان يحيي بهما الموتى، ويبرئ بهما الأكمه والأبرص.

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى في وصف عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أراد الكتابة، عن ابن جريج، قال: أعطى الله تعالى عيسى تسعة أجزاء من الخطّ وسائر الناس جزءاً؛ وقيل: أراد به بعض الكتب الّتي أنزلها الله تعالى على أنبيائه سوى التوراة والإنجيل مثل الزبور وغيره، عن أبي عليّ الجبّائيّ وهو أليق بالظاهر ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي الفقه وعلم الحلال والحرام، عن ابن عبّاس؛ وقيل: أراد بذلك جميع ما علّمه من أصول الدين ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ إنّما أفردهما تنبيهاً على جلالة موقعهما ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾ أي قال لهم ذلك لمّا بعث إليهم ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ أي بدلالة وحجّة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ دالّة على نبوّتي ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ معناه: وهذه الآية أنّي أقدّر لكم وأصوّر لكم من الطين مثل صورة الطير ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ أي في الطير المقدّر من الطين.

وقال في موضع آخر: ﴿فِيهَا﴾ أي في الهيئة المقدّرة ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وقدرته؛ وقيل: بأمر الله تعالى، وإنّما وصل قوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بقوله: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ دون ما قبله لأنّ تصوير الطين على هيئة الطير والنفخ فيه ممّا يدخل تحت مقدور العباد، فأمّا جعل الطين طيراً حتّى يكون لحماً ودماً وخلق الحياة فيه فممّا لا يقدر عليه غير الله تعالى، فقال: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ليعلم أنّه فعله تعالى وليس بفعل عيسى عليه السلام، وفي التفسير: أنّه صنع من الطين كهيئة الخفّاش، ونفخ فيه فصار طائراً ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ أي الّذي ولد أعمى، عن ابن عبّاس وقتادة؛ وقيل: هو الأعمى، عن الحسن والسدّيّ ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ الّذي به وضح.

قال وهب: وربّما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم خمسون ألفاً، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يطق أتاه عيسى عليه السلام يمشي إليه، وإنّما كان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان ﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إنّما أضاف الإحياء إلى نفسه على وجه المجاز

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ١ ص ٩٢ ح ٦٩٨.

والتوسّع، لأنّ الله كان يحيي الموتى عند دعائه؛ وقيل: إنّه أحيا أربعة أنفس: عازر وكان صديقاً له، وكان قد مات منذ ثلاثة أيّام فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، ثمّ قال: «اللّهم ربّ السماوات السبع وربّ الأرضين السبع إنّك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك، وأُخبرهم أنّي أحيي الموتى، فأحي عازر» فخرج من قبره وبقي وولد له؛ وابن العجوز مرّ به ميّتاً على سريره فدعا الله عيسى فجلس على سريره، ونزل عن أعناق الرجال، ولبس ثيابه ورجع إلى أهله، وبقي وولد له؛ وابنة العاشر، قيل له: أتحييها وقد ماتت أمس؟ فدعا الله فعاشت وبقيت وولدت؛ وسام بن نوح دعا باسم الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه، فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا ولكنّي دعوتك باسم الله الأعظم؛ قال: ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان لأنّ سام بن نوح قد عاش خمسمائة سنة وهو شابّ، ثمّ قال له: مت، قال: بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت، فدعا الله سبحانه ففعل.

وقال الكلبيّ: كان عيسى عليه السلام يحيي الأموات بيا حيّ يا قيّوم ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ كان يقول للرجل: تغدّيت بكذا وكذا، ورفعت إلى بيتك كذا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي حجّة ومعجزة ودلالة ﴿لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بالله لأنّ العلم بالمرسل لا بدّ وأن يكون قبل العلم بالرسول[1].

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قيل فيه أقوال:

أحدها: أن يكون معناه: هل يفعل ربّك ذلك بمسألتك إيّاه لتكون علماً على صدقك؟ ولا يجوز أن يكونوا شكّوا في قدرة الله سبحانه على ذلك، لأنّهم كانوا عارفين مؤمنين، وكأنّهم سألوه ذلك ليعرفوا صدقه وصحّة أمره من حيث لا يعترض عليهم فيه إشكال ولا شبهة، ومن ثمّ قالوا: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ عن أبي عليّ الفارسي.

وثانيها: أنّ المراد: هل يقدر ربّك؟ وكان هذا في ابتداء أمرهم قبل أن يستحكم معرفتهم بالله، ولذلك أنكر عليهم عيسى عليه السلام فقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لأنّهم لم يستكمل إيمانهم في ذلك الوقت.

وثالثها: أن يكون معناه: هل يستجيب لك ربّك؟ وإليه ذهب السدّيّ في قوله. يريد: هل يطيعك ربّك إن سألته؟ وهذا على أن يكون استطاع بمعنى أطاع كما يكون استجاب بمعنى أجاب.

قال الزجّاج: يحتمل مسألة الحواريّين عيسى المائدة ضربين: أحدهما أن يكونوا أرادوا

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٩٨.

أن يزدادوا تثبيتاً، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ وجائز أن تكون مسألتهم المائدة قبل علمهم أنّه أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى.

﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ معناه: اتّقوا الله أن تسألوه شيئاً لم تسأله الأمم قبلكم؛ وقيل: معناه الأمر بالتقوى مطلقاً، كما أمر الله سبحانه المؤمنين بها في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ عن أبي عليّ الفارسيّ؛ وقيل: أمرهم أن لا يقترحوا الآيات، وأن لا يقدّموا بين يدي الله ورسوله، لأنّ الله تعالى قد أراهم البراهين والمعجزات بإحياء الموتى وغيره ممّا هو أوكد ممّا سألوه وطلبوه، عن الزجّاج.

﴿قَالُوا﴾ أي قال الحواريّون: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما أن يكون الإرادة الّتي هي من أفعال القلوب، ويكون التقدير فيه: نريد السؤال من أجل هذا الّذي ذكرنا؛ والآخر أن تكون الإرادة هنا بمعنى المحبّة الّتي هي ميل الطباع، أي نحبّ ذلك ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ يجوز أن يكونوا قالوه وهم مستبصرون في دينهم، ومعناه: نريد أن نزداد يقيناً، وذلك أنّ الدلائل كلّما كثرت مكّنت المعرفة في النفس، عن عطاء ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ بأنّك رسول الله، وهذا يقوّي قول من قال: إنّ هذا كان في ابتداء أمرهم، والصحيح أنّهم طلبوا المعاينة والعلم الضروريّ والتأكيد في الإعجاز ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لله بالتوحيد، ولك بالنبوّة، وقيل: من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم. ثمّ أخبر سبحانه عن سؤال عيسى إيّاه فقال: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ عن قومه لمّا التمسوا عنه؛ وقيل: إنّه إنّما سأل ربّه ذلك حين أذن له في السؤال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي خواناً عليه طعام من السماء ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما: نتّخذ اليوم الّذي تنزل فيه عيداً نعظّمه نحن ومن يأتي بعدنا، عن السدّيّ وقتادة وابن جريح وهو قول أبي عليّ الجبّائيّ. الثاني: أنّ معناه: يكون عائدة فضل من الله ونعمة منه لنا، والأوّل هو الوجه ﴿لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ أي لأهل زماننا ومن يجيء بعدنا؛ وقيل: معناه: يأكل منها آخر الناس كما يأكل أوّلهم، عن ابن عبّاس ﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾ أي دلالة منك عظيمة الشأن في إزعاج قلوب العباد إلى الإقرار بمدلولها، والاعتراف بالحقّ الّذي يشهد به ظاهرها يدلّ على توحيدك وصحّة نبوّة نبيّك ﴿وَارْزُقْنَا﴾ أي واجعل ذلك رزقاً لنا؛ وقيل: معناه: وارزقنا الشكر عليها، عن الجبّائيّ ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وفي هذا دلالة على أنّ العباد قد يرزق بعضهم بعضاً، لأنّه لو لم يكن كذلك لم يصحّ أن يقال له سبحانه: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ كما لا يجوز أن يقال: أنت خير الآلهة، لما لم يكن غيره إلهاً ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ مجيباً له إلى ما التمسه: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ يعني المائدة ﴿عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ أي بعد إنزالها عليكم ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ قيل في معناه أقوال:

أحدها: أراد عالمي زمانهم فجحد القوم وكفروا بعد نزولها فمسخوا قردة وخنازير، عن قتادة، وروي عن أبي الحسن موسى عليه السلام أنّهم مسخوا خنازير.

وثانيها: أنّه أراد عذاب الاستئصال.

وثالثها: أنّه أراد جنساً من العذاب لا يعذّب به أحداً غيرهم، وإنّما استحقّوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة لأنّهم كفروا بعدما رأوا الآية الّتي هي من أزجر الآيات عن الكفر بعد سؤالهم لها، فاقتضت الحكمة اختصاصهم بفنّ من العذاب عظيم الموقع، كما اختصّت آيتهم بفنّ من الزجر عظيم الموقع.

القصة: اختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا؟ فقال الحسن ومجاهد: إنّها لم تنزل، وإنّ القوم لمّا سمعوا الشرط استعفوا من نزولها، وقالوا: لا نريدها ولا حاجة لنا فيها، فلم تنزل، والصحيح أنّها نزلت لقوله سبحانه: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ ولا يجوز أن يقع في خبره الخلف، ولأنّ الأخبار قد استفاضت عن النبيّ والصحابة والتابعين في أنّها نزلت، قال كعب: إنّها نزلت يوم الأحد، ولذلك اتّخذه النصارى عيداً، واختلفوا في كيفيّة نزولها وما عليها، فروي عن عمّار بن ياسر، عن النبيّ ﷺ قال: نزلت المائدة خبزاً ولحماً، وذلك أنّهم سألوا عيسى عليه السلام طعاماً لا ينفد يأكلون منها، قال: فقيل لهم: فإنّها مقيمة لكم ما لم تخونوا أو تخبؤوا وترفعوا، فإن فعلتم ذلك عذّبتم، قال: فما مضى يومهم حتّى خبؤوا ورفعوا وخانوا.

وقال ابن عبّاس: إنّ عيسى بن مريم قال لبني إسرائيل: صوموا ثلاثين يوماً، ثمّ سلوا الله ما شئتم يعطكموه، فصاموا ثلاثين يوماً، فلمّا فرغوا قالوا: ياعيسى إنّا لو عملنا لأحد من الناس فقضينا عمله لأطعمنا طعاماً، وإنّا صمنا وجعنا فادع الله أن ينزّل علينا مائدة من السماء، فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتّى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أوّلهم وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام وروى عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة قالا: كانت إذا وضعت المائدة لبني إسرائيل اختلفت عليهم الأيدي من السماء بكلّ طعام إلّا اللّحم، وروى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: أنزل على المائدة كلّ شيء إلّا الخبز واللّحم؛ وقال عطاء: نزل عليها كلّ شيء إلّا السمك واللّحم؛ وقال عطيّة العوفيّ: نزل من السماء سمكة فيها طعم كلّ شيء وقال عمّار وقتادة: كان عليها ثمر من ثمار الجنّة؛ وقال قتادة: كانت تنزل عليهم بكرةً وعشيّاً حيث كانوا، كالمنّ والسلوى لبني إسرائيل؛ وقال يمان بن رئاب: كانوا يأكلون منها ما شاؤوا؛ وروى عطاء بن أبي رياح عن سلمان الفارسيّ أنّه قال: والله ما تبع عيسى عليه السلام شيئاً من المساوئ قطّ ولا انتهر شيئاً، ولا قهقه ضحكاً ولا ذبّ ذباباً عن وجهه، ولا أخذ على أنفه من شيء نتن قطّ، ولا عبث قطّ، ولمّا سأله الحواريّون أن ينزّل عليهم مائدة لبس صوفاً وبكى وقال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ الآية، فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها وهي تهوي منقضة حتّى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى عليه السلام وقال: «اللهمّ اجعلني من الشاكرين،

اللّهمّ اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة» واليهود ينظرون إليها ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قطّ، ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه، فقام عيسى عليه السلام فتوضّأ وصلّى صلاة طويلة ثمّ كشف المنديل عنها وقال: «بسم الله خير الرازقين» فإذا هو سمكة مشويّة ليس عليها فلوسها، تسيل سيلاً من الدسم، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خلّ، وحولها من أنواع البقول ما عدا الكرّاث، وإذا خمسة أرغفة، على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبنٌ، وعلى الخامس قديد، فقال شمعون: يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة؟ فقال عيسى: ليس شيء ممّا ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، ولكنّه شيء افتعله الله تعالى بالقدرة الغالبة، كلوا ممّا سألتم يمددكم ويزدكم من فضله، وقال الحواريّون: يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية اليوم آية أخرى، فقال عيسى عليه السلام: يا سمكة احيي بإذن الله، فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها، فقال عيسى عليه السلام: ما لكم تسألون أشياء إذا أعطيتموها كرهتموها؟! ما أخوفني عليكم أن تعذّبوا، يا سمكة عودي كما كنت بإذن الله، فعادت السمكة مشويّة كما كانت، قالوا: يا روح الله كن أوّل من يأكل منها ثمّ نأكل نحن، فقال عيسى: معاذ الله أن آكل منها، ولكن يأكل منها من سألها، فخافوا أن يأكلوا منها، فدعا لها عيسى عليه السلام أهل الفاقة والزمنى والمرضى والمبتلين فقال: كلوا منها ولكم الهناء ولغيركم البلاء، فأكل منها ألف وثلاث مائة رجل وامرأة من فقير ومريض ومبتلى وكلّهم شبعان يتجشّى، ثمّ نظر عيسى عليه السلام إلى السمكة فإذا هي كهيئتها كما نزلت من السماء، ثمّ طارت المائدة صعداً وهم ينظرون إليها حتّى توارت عنهم فلم يأكل منها يومئذ زمن إلّا صحّ، ولا مريض إلّا برئ، ولا فقير إلّا استغنى ولم يزل غنيّاً حتّى مات، وندم الحواريّون ومن لم يأكل منها، وكانت إذا نزلت اجتمع الأغنياء والفقراء والصغار والكبار يتزاحمون عليها، فلمّا رأى ذلك عيسى عليه السلام جعلها نوبة بينهم، فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتّى إذا فاء الفيء طارت صعداً وهم ينظرون في ظلّها حتّى توارت عنهم، وكانت تنزل غبّاً: يوماً ويوماً لا، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتّى شكّوا وشكّكوا النّاس فيها، فأوحى الله تعالى إلى عيسى: إنّي شرطت على المكذّبين شرطاً: إنّ من كفر بعد نزولها أعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، فقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين رجلاً باتوا من ليلهم على فرشهم مع نسائهم في ديارهم فأصبحوا خنازير، يسعون في الطرقات والكناسات، ويأكلون العذرة في الحشوش، فلمّا رأى النّاس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا وبكى على الممسوخين أهلوهم فعاشوا ثلاثة أيّام ثمّ هلكوا.

وفي تفسير أهل البيت عليهم الصلاة والسلام: كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها ويأكلون منها ثمّ يرفع، فقال كبراؤهم ومترفوهم: لا ندع سفلتنا يأكلون منها معنا، فرفع الله

المائدة ببغيهم ومسخوا قردة وخنازير انتهى كلامه ﷺ[1].

وقال الثعلبيّ في تفسيره: قالت العلماء بأخبار الأنبياء: بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريّين إلى أنطاكية، فلمّا قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب صاحب ياسين، فسلّما عليه، فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم، نحن نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، فقال الشيخ: إنّ لي ابناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين، قالا: فانطلق بنا إلى منزلك نتطلّع حاله، فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على يديهما كثيراً من المرضى وكان لهم ملك يقال له شلاحن، وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام، قالوا: فأُنهي الخبر إليه فدعاهما فقال لهما: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى، قال: وما آيتكما؟ قالا: نبرئ الأكمه والأبرص، ونشفي المرضى بإذن الله، قال: وفيمَ جئتما؟ قالا: جئناك ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر، فقال الملك: ولنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم، من أوجدك وآلهتك، قال: قوما حتّى أنظر في أمركما، فتتبّعهما ناس فأخذوهما وضربوهما في السوق.

وقال وهب بن منبّه: بعث عيسى عليه السلام هذين الرسولين إلى أنطاكية فأتياها ولم يصلا إلى ملكها، فطالت مدّة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبّرا وذكرا الله، فغضب الملك وأمر بهما فأُخذا وحبسا وجلد كلّ واحد منهما مائة جلدة، قالوا: فلمّا كذّب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريّين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما، فدخل شمعون البلدة متنكّراً وجعل يعاشر حاشية الملك حتّى أنسوا به، فرفع خبره إلى الملك فدعاه فرضي عشرته وأنس به وأكرمه، ثمّ قال له ذات يوم: أيّها الملك بلغني أنّك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلّمتهما وسمعت قولهما؟ فقال الملك: حال الغضب بيني وبين ذلك، قال: فإن رأى الملك دعاهما حتّى يتطلّع ما عندهما، فدعاهما الملك فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى ههنا؟ قالا: الله الّذي خلق كلّ شيء وليس له شريك، قال لهما شمعون: فصفاه وأوجزا، فقالا: إنّه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، قال شمعون: وما آيتكما؟ قالا له: ما تتمنّاه، فأمر الملك حتّى جاؤوا بغلام مطموس العينين، موضع عينيه كالجبهة، فما زالا يدعوان ربّهما حتّى انشقّ موضع البصر، فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجّب الملك فقال شمعون للملك: إن أنت سألت إلهك حتّى يصنع صنيعاً مثل هذا فيكون لك ولإلهك شرفاً، فقال له الملك: ليس لي عنك سرّ، إنّ إلهنا الّذي نعبده لا يبصر ولا يسمع ولا يضرّ ولا ينفع! وكان شمعون إذا دخل الملك بيت الصنم يدخل بدخوله ويصلّي كثيراً ويتضرّع حتّى ظنّوا أنّه على

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٤٥٢.

ملّتهم، فقال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما الّذي تعبدانه على إحياء ميّت آمنّا به وبكما، قالا: إلهنا قادر على كلّ شيء، فقال الملك: إنّ ههنا ميّتاً مات منذ سبعة أيّام ابن لدهقان وأنا أخذته ولم أدفنه حتّى يرجع أبوه وكان غائباً، فجاؤوا بالميت وقد تغيّر وأروح، وجعلا يدعوان ربّهما علانية، وجعل شمعون يدعو ربّه سرّاً، فقام الميّت وقال: إنّي قد متُّ منذ سبعة أيّام وأدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذّركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله، ثمّ قال: فتحت أبواب السماء فنظرت فرأيت شابّاً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة. قال الملك: ومن الثلاثة. قال: شمعون وهذان، وأشار إلى صاحبيه، فتعجّب الملك، فلمّا علم شمعون أنّ قوله قد أثّر في الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن قوم، وكان الملك فيمن آمن، وكفر آخرون. انتهى[١].

وذكر الطبرسيّ رحمه الله هذه القصّة إلى هذا الموضع، ثمّ قال: وقد روى مثل ذلك العيّاشيّ بإسناده عن الثماليّ وغيره عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام إلاّ أنّ في بعض الروايات: بعث الله الرسولين إلى أهل أنطاكية ثمّ بعث الثالث؛ وفي بعضها أنّ عيسى أوحى الله إليه أن يبعثهما، ثمّ بعث وصيّه شمعون ليخلّصهما، وأنّ الميّت الّذي أحياه الله بدعائهما كان ابن الملك؛ وساق الخبر إلى آخر ما أورده عليّ بن إبراهيم، ثمّ قال: وقال ابن إسحاق: بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الأقصى فجاء يسعى إليهم يذكّرهم ويدعوهم إلى طاعة الرسل. انتهى[٢].

وقال صاحب الكامل والثعلبيّ في العرائس: لمّا كانت مريم بمصر نزلت على دهقان وكانت داره يأوي إليها الفقراء والمساكين، فسرق له مال فلم يتّهم إلاّ المساكين، فحزنت مريم، فلمّا رأى عيسى عليه السلام حزن أمّه قال: أتريدين أن أدلّه على ماله؟ قالت: نعم، قال: إنّه أخذه الأعمى والمقعد اشتركا فيه حمل الأعمى المقعد فأخذه، فقيل للأعمى: ليحمل المقعد، فأظهر المقعد العجز، فقال له المسيح: كيف قويت على حمله البارحة لمّا أخذتما المال! فاعترفا فأعاداه ونزل بالدهقان أضياف ولم يكن عنده شراب فاهتمّ لذلك، فلمّا رآه عيسى عليه السلام دخل بيتاً للدهقان فيه صفّان من جرار، فأمرّ عيسى عليه السلام يده على أفواهها وهو يمشي فامتلأت شراباً، وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة، وكان في الكتّاب يحدّث الصبيان بما يصنع أهلوهم وبما يأكلون، قال وهب: بينما عيسى عليه السلام يلعب مع الصبيان إذ وثب غلام على صبيّ فضربه على رجله فقتله، فألقاه بين رجلي المسيح متلطّخاً بالدم، فانطلقوا به إلى الحاكم في ذلك البلد وقالوا: قتل صبيّنا، فسأله الحاكم فقال: ما قتلته، فأرادوا أن يبطشوا به فقال: ائتوني بالصبيّ حتّى أسأله من قتله، فعجبوا من قوله وأحضروه عند القتيل، فدعا الله تعالى وأحياه، فقال: من قتلك؟ فقال: قتلني فلان، فقال بنو إسرائيل للقتيل: من هذا؟ قال: عيسى بن مريم، ثمّ مات من ساعته.

---

(١) عرائس المجالس، ص ٣٦٤. (٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٦٦.

وقال عطاء: سلّمت مريم عيسى عليه السلام إلى صبّاغ يتعلّم عنده، فاجتمع عند الصبّاغ ثياب وعرض له حاجة، فقال للمسيح عليه السلام: هذه ثياب مختلفة الألوان، وقد جعلت في كلّ ثوب خيطاً على اللّون الّذي تصبغ به فاصبغها حتّى أعود من حاجتي هذه، فأخذها المسيح وألقاها في حبّ واحد، فلمّا عاد الصبّاغ سأله عن الثياب فقال: صبغتها، فقال: أين هي؟ قال: في هذا الحبّ، قال: كلّها؟ قال: نعم، قال: قد أفسدتها على أصحابها وتغيّظ عليه، فقال له المسيح: لا تعجل وانظر إليها، فقام وأخرج كلّ ثوب منها على اللّون الّذي أراد صاحبه، فتعجّب الصبّاغ منه، وعلم أنّ ذلك من الله تعالى.

ولمّا عاد عيسى وأمّه إلى الشام نزلا بقرية يقال لها ناصرة وبها سمّيت النصارى فأقام إلى أن بلغ ثلاثين سنة، فأوحى الله إليه أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله تعالى، ويداوي الزمنى والمرضى والأكمه والأبرص وغيرهم من المرضى، ففعل ما أمر به، فأحبّه النّاس وكثر أتباعه، وحضر يوماً طعام بعض الملوك كان دعا الناس إليه، فقعد على قصعة يأكل منها ولا ينقص، قال الملك: من أنت؟ قال: أنا عيسى ابن مريم، فنزل الملك وأتبعه في نفر من أصحابه فكانوا الحواريّين، وقيل: إنّ الحواريّين هم الصبّاغ الّذي تقدّم ذكره وأصحاب له؛ وقيل: كانوا صيّادين؛ وقيل: كانوا قصّارين؛ وقيل: ملاّحين والله أعلم[1].

أقول: وقال السيّد ابن طاوس في سعد السعود: رأيت في الإنجيل أنّ عيسى عليه السلام صعد السفينة ومعه تلاميذه وإذا اضطراب عظيم في البحر حتّى كادت السفينة تتغطّى بالأمواج، وكان هو كالنائم، فتقدّم إليه تلاميذه وأيقظوه وقالوا: يا سيّدنا نجّنا لكيلا نهلك، فقال لهم: يا قليلي الإيمان ما أخوفكم! فعند ذلك قام وانتهر الرياح فصار هدوءً عظيماً، فتعجّب الناس وقالوا: كيف هذا؟ إنّ الرياح والبحر لتسمعان منه[2].

١٩ - باب ما جرى بينه عليه السلام وبين إبليس لعنه الله

١ - **لي:** ابن شاذويه، عن محمّد الحميريّ، عن أبيه، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: لمّا مضى لعيسى عليه السلام ثلاثون سنة بعثه الله عزّ وجلّ إلى بني إسرائيل، فلقيه إبليس على عقبة بيت المقدس وهي عقبة أفيق، فقال له: يا عيسى أنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أن تكوّنت من غير أب؟ قال عيسى: بل العظمة للّذي كوّنني، وكذلك كوّن آدم وحوّاء قال إبليس: يا عيسى فأنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّك تكلّمت في المهد صبيّاً؟ قال عيسى: يا إبليس بل العظمة للّذي أنطقني في صغري ولو شاء لأبكمني، قال إبليس: فأنت الّذي بلغ من عظم

(١) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ٢٦٢، وعرائس المجالس، ص ١٧٨.

(٢) سعد السعود، ص ٥٦.

ربوبيّتك أنّك تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيصير طيراً؟ قال عيسى: بل العظمة للّذي خلقني وخلق ما سخّر لي، قال إبليس: فأنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّك تشفي المرضى؟ قال عيسى: بل العظمة للّذي بإذنه أشفيهم وإذا شاء أمرضني، قال إبليس فأنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّك تحيي الموتى؟ قال عيسى: بل العظمة للّذي بإذنه أحييهم، ولا بدّ من أن يميت ما أحييت ويميتني، قال إبليس: يا عيسى فأنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّك تعبر البحر فلا تبتلّ قدماك ولا ترسخ فيه؟ قال عيسى: بل العظمة للّذي ذلّله لي ولو شاء أغرقني، قال إبليس: يا عيسى فأنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّه سيأتي عليك يوم تكون السماوات والأرض ومن فيهنّ دونك، وأنت فوق ذلك كلّه تدبّر الأمر، وتقسّم الأرزاق؟ فأعظم عيسى عليه السلام ذلك من قول إبليس الكافر اللّعين، فقال عيسى: سبحان الله ملء سماواته وأرضه، ومداد كلماته، وزنة عرشه، ورضى نفسه. قال: فلمّا سمع إبليس لعنه الله ذلك ذهب على وجهه لا يملك من نفسه شيئاً حتّى وقع في اللّجّة الخضراء.

قال ابن عبّاس: فخرجت امرأة من الجنّ تمشي على شاطئ البحر فإذا هي بإبليس ساجداً على صخرة صمّاء تسيل دموعه على خدّيه، فقامت تنظر إليه تعجّباً، ثمّ قالت له: ويحك يا إبليس ما ترجو بطول السجود؟ فقال لها: أيّتها المرأة الصالحة ابنة الرجل الصالح أرجو إذا أبرّ ربّي عزّ وجلّ قسمه وأدخلني نار جهنّم أن يخرجني من النار برحمته[1].

٢ - ص: الصدوق بإسناده عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن بريد القصرانيّ قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: صعد عيسى عليه السلام على جبل بالشام يقال له أريحا، فأتاه إبليس في صورة ملك فلسطين فقال له: يا روح الله أحييت الموتى وأبرأت الأكمه والأبرص، فاطرح نفسك عن الجبل، فقال عيسى عليه السلام: إنّ ذلك أذن لي فيه وهذا لم يؤذن لي فيه[2].

٣ - ص: الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن محمّد بن خالد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن الصادق عليه السلام قال: جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام فقال: أليس تزعم أنّك تحيي الموتى؟ قال عيسى: بلى، قال إبليس: فاطرح نفسك من فوق الحائط، فقال عيسى: ويلك إنّ العبد لا يجرّب ربّه.

وقال إبليس: يا عيسى هل يقدر ربّك على أن يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيئتها؟ فقال: إنّ الله تعالى لا يوصف بعجز، والّذي قلت لا يكون يعني هو مستحيل في نفسه كجمع الضدّين[3].

٤ - شي: عن سعد الإسكاف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لقي إبليس عيسى بن

---

(١) أمالي الصدوق، ص ١٧٠ مجلس ٣٧ ح ١. (٢) - (٣) قصص الأنبياء، ص ٢٦٩.

مريم عليها السلام فقال: هل نالني من حبائلك شيء؟ قال: جدّتك الّتي قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1].

بيان: يعني كيف ينالك من حبائلي وجدّتك دعت حين ولدت والدتك أن يعيذها الله وذرّيّتها من شرّ الشيطان الرجيم وأنت من ذرّيّتها؟.

٢٠ - باب حواريّوه وأصحابه وأنهم لم سموا حواريين وأنه لم سمي النصارى نصارى

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

الحديد «٥٧»: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ «٢٧».

الصف: «٦١» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ «١٤».

١ - **فس:** روى ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ أي لمّا سمع ورأى أنّهم يكفرون، والحواسّ الخمس الّتي قدّرها الله في الناس السمع للصوت، والبصر للألوان وتميّزها، والشمّ لمعرفة الروائح الطيّبة والمنتنة، والذوق للطعوم وتميّزها، واللّمس لمعرفة الحارّ والبارد واللّين والخشن[2].

٢ - **ع، ن:** الطالقانيّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه قال: قلت للرضا عليه السلام: لم سمّي الحواريّون الحواريّين؟ قال: أمّا عند الناس فإنّهم سمّوا حواريّين لأنّهم كانوا قصّارين يخلّصون الثياب من الوسخ بالغسل، وهو اسم مشتقّ من الخبز الحوّارى، وأمّا عندنا فسمّي الحواريّون حواريّين لأنّهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير، قال: فقلت له: فلم سمّي النصارى نصارى؟ قال: لأنّهم من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام نزلتها مريم وعيسى عليهما السلام بعد رجوعهما من مصر[3].

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٩٤ ح ٤٠ من سورة آل عمران.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١١١.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠١ باب ٧٢ ح ١، وعيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٥ باب ٣٢ ح ١٠.

مع: مرسلاً مثله(١).

٣ - **ل:** عبد الله بن محمّد بن عبد الوهّاب، عن أحمد بن الفضل بن المغيرة، عن منصور ابن عبد الله بن إبراهيم الإصبهانيّ، عن عليّ بن عبد الله، عن محمّد بن هارون بن حميد، عن محمّد بن المغيرة الشهرزوريّ، عن يحيى بن الحسين المدائنيّ، عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين: مؤمن آل يس، وعليّ بن أبي طالب، وآسية امرأة فرعون(٢).

أقول: روى الثعلبيّ في تفسيره عن أبي بكر عبد الرحمن بن عبد الله بن عليّ، عن عبد الله ابن فارس بن محمّد العمريّ، عن إبراهيم بن الفضل بن مالك، عن الحسين بن عبد الرحمن ابن محمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عمرو بن جميع، عن محمّد بن أبي ليلى، عن أخيه عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: سبّاق الأمم ثلاث لم يكفروا بالله طرفة عين: عليّ بن أبي طالب، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون، فهم الصدّيقون: حبيب النجّار مؤمن آل يس، وحزبيل مؤمن آل فرعون، وعليّ بن أبي طالب وهو أفضلهم.

٤ - **شي:** عن مروان، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر النصارى وعداوتهم فقال: قول الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ قال: أولئك كانوا قوماً بين عيسى ومحمّد ينتظرون مجيء محمّد ﷺ(٣).

٥ - **شي:** عن محمّد بن يوسف الصنعانيّ، عن أبيه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ قال: ألهموا(٤).

٦ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن صفوان، عن معاوية بن عمّار، عن ناجية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّ المغيرة يقول: إنّ المؤمن لا يبتلى بالجذام ولا بالبرص ولا بكذا ولا بكذا، فقال: إن كان لغافلاً عن صاحب يس، إنّه كان مكنّعاً، ثمّ ردّ أصابعه فقال: كأنّي أنظر إلى تكنيعه أتاهم فأنذرهم ثمّ عاد إليهم من الغد فقتلوه(٥).

بيان: كنّعت أصابعه أي تشنّجت ويبست، وكنّع يده تكنيعاً: جعلها شلاء.

٧ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد؛ وعدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً؛ عن ابن محبوب، عن أبي يحيى كوكب الدم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ

---

(١) معاني الأخبار، ص ٥٠.
(٢) الخصال، ص ١٧٤ باب الثلاثة ح ٢٣٠.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٦٤ ح ١٦٣ من سورة المائدة.
(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٧٨ ح ٢٢٢ من سورة المائدة.
(٥) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٦٧ باب شدة ابتلاء المؤمن ح ١٢.

حواريّي عيسى عليه السلام كانوا شيعته، وإنّ شيعتنا حواريّونا، وما كان حواريّو عيسى عليه السلام بأطوع له من حواريّينا لنا، وإنّما قال عيسى عليه السلام للحواريّين: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ فلا والله ما نصروه من اليهود ولا قاتلوهم دونه، وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله عزّ ذكره رسوله صلى الله عليه وآله ينصرونا ويقاتلون دوننا، ويحرقون ويعذّبون ويشرّدون في البلدان، جزاهم الله عنّا خيراً[1].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾ أي وجد؛ وقيل: أبصر ورأى؛ وقيل: علم ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ وأنّهم لا يزدادون إلاّ إصراراً على الكفر بعد ظهور الآيات والمعجزات امتحن المؤمنين من قومه بالسؤال والتعرّف عمّا في اعتقادهم من نصرته ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وقيل: إنّه لمّا عرف منهم العزم على قتله قال: من أنصاري إلى الله، وفيه أقوال:

أحدها: أنّ معناه: من أعواني على هؤلاء الكفّار مع معونة الله تعالى؟ عن السدّيّ وابن جريح. والثاني: أنّ معناه: من أنصاري في السبيل إلى الله؟ عن الحسن لأنّه دعاهم إلى سبيل الله.

والثالث: أنّ معناه: من أعواني على إقامة الدين المؤدّي إلى الله؟ أي إلى نيل ثوابه كقوله: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ وممّا يسأل على هذا أنّ عيسى إنّما بعث للوعظ دون الحرب فلمَ استنصر عليهم؟ فيقال لهم: للحماية من الكافرين الّذين أرادوا قتله عند إظهار الدعوة، عن الحسن ومجاهد؛ وقيل أيضاً: يجوز أن يكون طلب النصرة للتمكين من إقامة الحجّة ولتميّز الموافق والمخالف.

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ واختلف في سبب تسميتهم بذلك على أقوال:

أحدها: أنّهم سمّوا بذلك لنقاء ثيابهم، عن سعيد بن جبير.

وثانيها: أنّهم كانوا قصّارين يبيّضون الثياب، عن أبي نجيح، عن أبي أرطاة.

وثالثها: أنّهم كانوا صيّادين يصيدون السمك، عن ابن عبّاس والسدّيّ.

ورابعها: أنّهم كانوا خاصّة الأنبياء، عن قتادة والضحّاك؛ وهذا أوجه لأنّهم مدحوا بهذا الاسم كأنّه ذهب إلى نقاء قلوبهم كنقاء الثوب الأبيض بالتحوير؛ وقال الحسن: الحواريّ: الناصر، والحواريّون: الأنصار؛ وقال الكلبيّ: الحواريّون: أصفياء عيسى عليه السلام وكانوا اثني عشر رجلاً؛ وقال عبد الله بن المبارك: سمّوا حواريّين لأنّهم كانوا نورانيّين، عليهم أثر العبادة ونورها وحسنها، كما قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾.

﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ معناه: نحن أعوان الله على الكافرين من قومك، أي أعوان رسول الله أو أعوان دين الله ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ أي صدّقنا أنّه واحد لا شريك له ﴿وَٱشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّا

(١) روضة الكافي، ص ٧٩٩ ح ٣٩٦.

﴿مُسْلِمُونَ﴾ أي كن شهيداً لنا عند الله، أشهدوه على إسلامهم لأنّ الأنبياء شهداء الله على خلقه يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾.

﴿رَبَّنَا﴾ أي يا ربّنا ﴿ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ على عيسى ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي في جملة الشاهدين بجميع ما أنزلت لنفوز بما فازوا به، وننال ما نالوا من كرامتك؛ وقيل: معناه: واجعلنا مع محمّد ﷺ وأمّته، عن ابن عبّاس، وقد سمّاهم الله شهداء بقوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي من الشاهدين بالحقّ من عندك، هذا كلّه حكاية قول الحواريّين.

وروي أنّهم اتّبعوا عيسى وكانوا إذا جاعوا قالوا: ياروح الله جعنا، فيضرب بيده على الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج لكلّ إنسان منهم رغيفين يأكلهما، فإذا عطشوا قالوا: يا روح الله عطشنا، فيضرب بيده على الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج ماء فيشربون قالوا: يا روح الله من أفضل منّا؟ إذا شئنا أطعمتنا وإذا شئنا سقيتنا، وقد آمنّا بك واتّبعناك، قال: أفضل منكم من يعمل بيده، ويأكل من كسبه، فصاروا يغسلون الثياب بالكراء[1].

﴿فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في دينه، يعني الحواريّين وأتباعهم اتّبعوا عيسى عليه السلام ﴿رَأْفَةً﴾ وهي أشدّ الرقّة ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ هي الخصلة من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة إمّا في لبسة، أو انفراد عن الجماعة، أو غير ذلك من الأمور الّتي يظهر فيها نسك صاحبه، والمعنى: ابتدعوا رهبانيّة لم نكتبها عليهم؛ وقيل: هي رفض النساء، واتّخاذ الصوامع؛ وقيل: هي لحاقهم بالبراري والجبال في خبر مرفوع عن النبيّ ﷺ فما رعاها الّذين من بعدهم حقّ رعايتها، وذلك لتكذيبهم بمحمّد ﷺ وقيل: إنّ الرهبانيّة هي الانقطاع عن الناس للانفراد بالعبادة ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا﴾ أي ما فرضناها عليهم.

وروي عن ابن مسعود قال: كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال: يا ابن أمّ عبد هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانيّة؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، فقال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي الله فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهزم أهل الإيمان ثلاث مرّات فلم يبق منهم إلاّ القليل، فقالوا: إن ظهرنا هؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحدٌ يدعو إليه فتعالوا نتفرّق في الأرض إلى أن يبعث الله النبيّ الّذي وعدنا به عيسى عليه السلام - يعنون محمّداً ﷺ - فتفرّقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانيّة، فمنهم من تمسّك بدينه، ومنهم من كفر، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ الآية، ثمّ قال: يا ابن أمّ عبد أتدري ما رهبانيّة أمّتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحجّ والعمرة[2].

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٠٢.

(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٠٣.

﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي مع الله، أو فيما يقرب إلى الله ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي أنصار دينه ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ﴾ أي صدّقت بعيسى عليه السلام ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ أخرى به، قال ابن عبّاس: يعني في زمن عيسى عليه السلام، وذلك أنّه لمّا رفع تفرّق قومه ثلاث فرق: فرقة قالت: كان الله فارتفع؛ وفرقة قالت: كان ابن الله فرفعه إليه؛ وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه وهم المؤمنون، واتّبع كلّ فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتّى بعث محمّد صلى الله عليه وآله، فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرين وذلك قوله. ﴿فَأَيَّدْنَا﴾ إلى قوله: ﴿ظَٰهِرِينَ﴾ أي عالين غالبين؛ وقيل: معناه: أصبحت حجّة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمّد صلى الله عليه وآله بأنّ عيسى كلمة الله وروحه؛ وقيل: بل أيّدوا في زمانهم على من كفر بعيسى عليه السلام؛ وقيل: فآمنت طائفة بمحمّد صلى الله عليه وآله وكفرت طائفة به، فأصبحوا قاهرين لعدوّهم بالحجّة والقهر والغلبة[1].

٨ - **كا:** أحمد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد البرقيّ، عن بعض أصحابه رفعه قال قال عيسى بن مريم عليه السلام: يا معشر الحواريّين لي إليكم حاجة اقضوها لي، قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم، فقالوا: كنّا نحن أحقّ بهذا يا روح الله، فقال: إنّ أحقّ النّاس بالخدمة العالم، إنّما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في النّاس كتواضعي لكم، ثمّ قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبّر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل[2].

٩ - **كا:** عليّ بن محمّد بن بندار، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن إبراهيم بن محمّد الثقفيّ عن عليّ بن المعلّى، عن القاسم بن محمّد رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل له: ما بال أصحاب عيسى عليه السلام كانوا يمشون على الماء وليس ذلك في أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله؟ قال: إنّ أصحاب عيسى عليه السلام كفوا المعاش، وإنّ هؤلاء ابتلوا بالمعاش[3].

١٠ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن ابن أسباط، عن العلاء، عن محمّد، عن أحدهما عليه السلام قال: قلت: إنّا لنرى الرجل له عبادة واجتهاد وخشوع ولا يقول بالحقّ فهل ينفعه ذلك شيئاً؟ فقال: يا محمّد إنّما مثل أهل البيت مثل أهل بيت كانوا في بني إسرائيل، كان لا يجتهد أحد منهم أربعين ليلة إلا دعا فأجيب، وإنّ رجلاً منهم اجتهد أربعين ليلة ثمّ دعا فلم يستجب له، فأتى عيسى بن مريم عليه السلام يشكو إليه ماهو فيه ويسأله الدعاء له، قال: فتطهّر عيسى عليه السلام وصلّى ركعتين ثمّ دعا الله عزّ وجلّ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا عيسى إنّ عبدي أتاني من غير الباب الّذي أوتى منه، إنّه دعاني وفي قلبه شكّ منك، فلو دعاني حتّى ينقطع

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٦٦. (٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٤ باب صفة العلماء ح ٦.
(٣) الكافي، ج ٥ ص ٦٢٧ باب ٣٤ ح ٣.

عنقه وتنتشر أنامله ما استجبت له، قال: فالتفت إليه عيسى عليه السلام فقال: تدعو ربّك وأنت في شكّ من نبيّه؟! فقال: يا روح الله وكلمته قد كان والله ما قلت، فادع الله أن يذهب به عنّي، قال: فدعا له عيسى عليه السلام فتاب الله عليه وقبل منه، وصار في حدّ أهل بيته(١).

١١ - ين: أبو الحسن بن عبد الله، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ موسى عليه السلام حدّث قومه بحديث لم يحتملوه عنه فخرجوا عليه بمصر فقاتلوه فقاتلهم فقتلهم، وإنّ عيسى عليه السلام حدّث قومه بحديث فلم يحتملوه عنه فخرجوا عليه بتكريت فقاتلوه فقاتلهم فقتلهم، وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾(٢).

١٢ - يد، ن، ج: عن الحسن بن محمّد النوفليّ في خبر طويل يذكر فيه احتجاج الرضا عليه السلام على أرباب الملل قال: قال الجاثليق للرضا عليه السلام: أخبرني عن حواريّي عيسى بن مريم كم كان عدّتهم؟ وعن علماء الإنجيل كم كانوا؟ قال الرضا عليه السلام: على الخبير سقطت، أمّا الحواريّون فكانوا اثني عشر رجلاً، وكان أفضلهم وأعلمهم الوقا وأمّا علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال: يوحنّا الأكبر بأج؛ ويوحنّا بقرقيسياء ويوحنّا الديلميّ بزجار وعنده كان ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله وذكر أهل بيته وأمّته، وهو الّذي بشّر أمّة عيسى وبني إسرائيل به(٣).

أقول: وجدت في بعض الكتب أنّ عيسى عليه السلام كان مع بعض الحواريّين في بعض سياحته، فمرّوا على بلد، فلمّا قربوا منه وجدوا كنزاً على الطريق، فقال من معه: ائذن لنا يا روح الله أن نقيم ههنا ونحوز هذا الكنز لئلاّ يضيع، فقال عليه السلام لهم: أقيموا ههنا وأنا أدخل البلد ولي فيه كنز أطلبه، فلمّا دخل البلد وجال فيه رأى داراً خربة فدخلها فوجد فيها عجوزة، فقال لها: أنا ضيفك في هذه اللّيلة، وهل في هذه الدار أحد غيرك؟ قالت: نعم لي ابن مات أبوه وبقي يتيماً في حجري، وهو يذهب إلى الصحارى ويجمع الشوك ويأتي البلد فيبيعها ويأتيني بثمنها نتعيّش به، فهيّأت لعيسى عليه السلام بيتاً، فلمّا جاء ولدها قالت له: بعث الله لنا في هذه اللّيلة ضيفاً صالحاً، يسطع من جبينه أنوار الزهد والصلاح، فاغتنم خدمته وصحبته، فدخل الابن على عيسى عليه السلام وخدمه وأكرمه فلمّا كان في بعض اللّيل سأل عيسى عليه السلام الغلام عن حاله ومعيشته وغيرها، فتفرّس عليه السلام فيه آثار العقل والفطانة والاستعداد للترقّي على مدارج الكمال، لكن وجد فيه أنّ قلبه مشغول بهمّ عظيم، فقال له: يا غلام أرى قلبك مشغولاً بهمّ لا يبرح فأخبرني به لعلّه يكون عندي دواء دائك، فلمّا بالغ عيسى عليه السلام قال:

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٣٤ باب الشك ح ٩.

(٢) الزهد، ص ١٨٦ باب ١٩ ح ١٩ وللحديث تتمة.

(٣) التوحيد، ص ٤٢١ وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٤٢ باب ١٢ ح ١، والاحتجاج، ص ٤١٨.

نعم في قلبي همّ وداء لا يقدر على دوائه أحد إلاّ الله تعالى، فقال: أخبرني به لعلّ الله يلهمني ما يزيله عنك، فقال الغلام: إنّي كنت يوماً أحمل الشوك إلى البلد فمررت بقصر ابنة الملك فنظرت إلى القصر فوقع نظري عليها فدخل حبّها شغاف قلبي وهو يزداد كلّ يوم ولا أرى لذلك دواء إلاّ الموت، فقال عيسى عليه السلام: إن كنت تريدها أنا أحتال لك حتّى تتزوّجها، فجاء الغلام إلى أمّه وأخبرها بقوله، فقالت أمّه: يا ولدي إنّي لا أظنّ هذا الرجل يعد بشيء لا يمكنه الوفاء به، فاسمع له وأطعه في كلّ ما يقول، فلمّا أصبحوا قال عيسى عليه السلام للغلام: اذهب إلى باب الملك، فإذا أتى خواصّ الملك ووزراؤه ليدخلوا عليه قل لهم: أبلغوا الملك عنّي أنّي جئته خاطباً كريمته، ثمّ ائتني وأخبرني بما جرى بينك وبين الملك، فأتى الغلام باب الملك، فلمّا قال ذلك لخاصّة الملك ضحكوا وتعجبوا من قوله ودخلوا على الملك وأخبروه بما قال الغلام مستهزئين به، فاستحضره الملك، فلمّا دخل على الملك وخطب ابنته قال الملك مستهزئاً به: أنا لا أعطيك ابنتي إلاّ أن تأتيني من اللآلي واليواقيت والجواهر الكبار كذا وكذا، ووصف له ما لا يوجد في خزانة ملك من ملوك الدنيا، فقال الغلام: أنا أذهب وآتيك بجواب هذا الكلام، فرجع إلى عيسى عليه السلام فأخبره بما جرى، فذهب به عيسى عليه السلام إلى خربة كانت فيها أحجار ومدر كبار، فدعا الله تعالى فصيّرها كلّها من جنس ماطلب الملك وأحسن منها، فقال: يا غلام خذ منها ما تريد واذهب به إلى الملك، فلمّا أتى الملك بها تحيّر الملك وأهل مجلسه في أمره، وقالوا لا يكفينا هذا، فرجع إلى عيسى عليه السلام فأخبره، فقال: اذهب إلى الخربة وخذ منها ما تريد واذهب بها إليهم، فلمّا رجع بأضعاف ما أتى به أوّلاً زادت حيرتهم، وقال الملك: إنّ لهذا شأناً غريباً، فخلا بالغلام واستخبره عن الحال، فأخبره بكلّ ما جرى بينه وبين عيسى عليه السلام وما كان من عشقه لابنته، فعلم الملك أنّ الضيف هو عيسى عليه السلام، فقال: قل لضيفك: يأتيني ويزوّجك ابنتي، فحضر عيسى عليه السلام وزوّجها منه، وبعث الملك ثياباً فاخرة إلى الغلام فألبسها إيّاه وجمع بينه وبين ابنته تلك اللّيلة، فلمّا أصبح طلب الغلام وكلّمه فوجده عاقلاً فهماً ذكيّاً ولم يكن للملك ولد غير هذه الابنة فجعل الغلام وليّ عهده ووارث ملكه، وأمر خواصّه وأعيان مملكته ببيعته وطاعته.

فلمّا كانت اللّيلة الثانية مات الملك فجأة وأجلسوا الغلام على سرير الملك وأطاعوه وسلّموا إليه خزائنه، فأتاه عيسى عليه السلام في اليوم الثالث ليودّعه، فقال الغلام: أيّها الحكيم إنّ لك عليّ حقوقاً لا أقوم بشكر واحد منها لو بقيت أبد الدهر، ولكن عرض في قلبي البارحة أمر لو لم تجبني عنه لا أنتفع بشيء ممّا حصّلتها لي، فقال: وما هو؟ قال الغلام: إنّك إذا قدرت على أن تنقلني من تلك الحالة الخسيسة إلى تلك الدرجة الرفيعة في يومين فلمَ لا تفعل هذا بنفسك، وأراك في تلك الثياب وفي هذه الحالة؟ فلمّا أحفى في السؤال قال له عيسى عليه السلام: إنّ العالم بالله وبدار كرامته وثوابه والبصير بفناء الدنيا وخسّتها ودناءتها لا يرغب إلى هذا الملك الزائل وهذه الأمور الفانية، وإنّ لنا في قربه تعالى ومعرفته ومحبّته

لذات روحانيّة لا نعدّ تلك اللّذّات الفانية عندها شيئاً، فلمّا أخبره بعيوب الدنيا وآفاتها ونعيم الآخرة ودرجاتها قال له الغلام: فلي عليك حجّة أخرى لمَ اخترت لنفسك ما هو أولى وأحرى وأوقعتني في هذه البليّة الكبرى؟ فقال له عيسى: إنّما اخترت لك ذلك لأمتحنك في عقلك وذكائك، وليكون لك الثواب في ترك هذه الأمور الميسّرة لك أكثر وأوفى، وتكون حجّة على غيرك، فترك الغلام الملك، ولبس أثوابه البالية، وتبع عيسى عليه السلام فلمّا رجع عيسى إلى الحواريّين قال: هذا كنزي الّذي كنت أظنّه في هذا البلد فوجدته. والحمد لله.

وذكر الثعلبيّ في العرائس نحواً من ذلك مع اختصار إلى أن قال: فكان معه ابن العجوز إلى أن مات، فمرّ به ميتاً على سرير فدعا الله عزّ وجلّ عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له[١].

٢١ - باب مواعظه وحكمه وما أُوحي إليه صلوات الله على نبينا وآله وعليه

الآيات: المائدة «٥»: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

١ - **فس:** ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ﴾ فلفظ الآية ماض ومعناه مستقبل، ولم يقله بعد وسيقوله، وذلك أنّ النصارى زعموا أنّ عيسى عليه السلام قال لهم: إنّي وأمّي إلهين من دون الله، فإذا كان يوم القيامة يجمع الله بين النصارى وبين عيسى فيقول له: ءأنت قلت لهم ما يدّعون عليك؟ فيقول عيسى: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ﴾ الآية، والدليل على أنّ عيسى لم يقل لهم ذلك قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[٢].

٢ - **كا:** عليّ، عن أبيه ومحمّد بن القاسم. عن محمّد بن سليمان، عن داود، عن حفص ابن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان[٣].

٣ - وعن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن الجوهريّ، عن البطائنيّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل الإنجيل في اثني عشر ليلة مضت من شهر رمضان[٤].

---

(١) عرائس المجالس، ص ٣٥٣. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٩٧.
(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٤٧ باب النوادر ح ٦.
(٤) الكافي، ج ٤ ص ٣٧٧ باب ١١٣ ح ٥.

بيان: لعلّ الخبر الأوّل محمول على نزوله إلى بيت المعمور كما يشعر به صدره الّذي تركناه[١]، والثاني على نزوله إلى الأرض.

٤ - **ع:** بإسناده عن يزيد بن سلام أنّه سأل رسول الله ﷺ لمَ سمّي الفرقان فرقاناً قال: لأنّه متفرّق الآيات والسور، أنزلت في غير الألواح وغير الصحف، والتوراة والإنجيل والزبور أُنزلت كلّها جملة في الألواح والورق[٢].

٥ - **لي:** ابن البرقيّ، عن أبيه، عن جدّه، عن محمّد بن عليّ القرشيّ، عن محمّد بن سنان، عن عبد الله بن طلحة، وإسماعيل بن جابر وعمّار بن مروان، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام أنّ عيسى بن مريم عليه السلام توجّه في بعض حوائجه ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فمرّ بلبنات ثلاث من ذهب على ظهر الطريق، فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: إنّ هذا يقتل الناس، ثمّ مضى، فقال أحدهم: إنّ لي حاجة، قال: فانصرف، ثمّ قال الآخر: إنّ لي حاجة فانصرف، ثمّ قال الآخر: لي حاجة فانصرف، فوافوا عند الذهب ثلاثتهم، فقال اثنان لواحد: اشتر لنا طعاماً، فذهب يشتري لهما طعاماً فجعل فيه سمّاً ليقتلهما كيلا يشاركاه في الذهب، وقال الاثنان: إذا جاء قتلناه كي لا يشاركنا، فلمّا جاء قاما إليه فقتلاه ثمّ تغذّيا فماتا، فرجع إليهم عيسى عليه السلام وهم موتى حوله، فأحياهم بإذن الله تعالى ذكره، ثمّ قال: ألم أقل لكم: إنّ هذا يقتل الناس؟[٣]!

٦ - **لي:** الطالقانيّ، عن الجلوديّ، عن هشام بن جعفر، عن حمّاد، عن عبد الله بن سليمان وكان قارئاً للكتب قال: قرأت في الإنجيل: يا عيسى جدّ في أمري ولا تهزل. واسمع وأطع، يا ابن الطاهرة الطهر البكر البتول أنت من غير فحل، أنا خلقتك آية للعالمين فإيّاي فاعبد، وعليّ فتوكّل، خذ الكتاب بقوّة فسّر لأهل سوريا بالسريانيّة، بلّغ من بين يديك أنّي أنا الله الدائم الّذي لا أزول، صدّقوا النبيّ الأمّي صاحب الجمل والمدرعة والتاج وهي العمامة، والنعلين، والهراوة وهي القضيب، الأنجل العينين، الصلت الجبين، الواضح الخدّين، الأقنى الأنف، مفلّج الثنايا، كأنّ عنقه إبريق فضّة، كأنّ الذهب يجري في تراقيه، له شعرات من صدره إلى سرّته، ليس على بطنه ولا على صدره شعر، أسمر اللّون، دقيق المسربة، شثن الكفّ والقدم، إذا التفت التفت جميعاً، وإذا مشى كأنّما يتقلّع من الصخرة، وينحدر من صبب، وإذا جاء مع القوم بذّهم، عرقه في وجهه كاللّؤلؤ وريح المسك ينفح منه، لم ير قبله مثله ولا بعده، طيّب الريح، نكّاح النساء، ذو النسل القليل، إنّما نسله من مباركة لها بيت في الجنّة لا صخب فيه ولا نصب، يكفّلها في آخر الزمان كما كفّل زكريّا أمّك، لها

---

(١) إذ ذكر في صدره أنّ نزول القرآن إلى بيت المعمور كان في ليلة القدر، فعلى هذا يكون نزول الإنجيل إلى بيت المعمور في ستة، وإلى الأرض في أخرى (منه رحمه الله).

(٢) علل الشرائع ج٢ ص ١٨١ باب ٢٢٢ ح ٣٣. (٣) أمالي الصدوق ص ١٥٢ مجلس ٣٤ ح ٥

فرخان مستشهدان، كلامه القرآن، ودينه الإسلام، وأنا السلام، طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيّامه، وسمع كلامه. قال عيسى: يا ربّ وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنّة أنا غرستها، تظلّ الجنان، أصلها من رضوان، ماؤها من تسنيم، برده برد الكافور، وطعمه طعم الزنجبيل، من يشرب من تلك العين شربة لا يظمأ بعدها أبداً، فقال عيسى: اللّهمّ اسقني منها، قال: حرام يا عيسى على البشر أن يشربوا منها حتّى يشرب ذلك النبيّ، وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتّى يشرب أمّة ذلك النبيّ، أرفعك إليّ ثمّ أهبطك في آخر الزمان لترى من أمّة ذلك النبيّ العجائب، ولتعينهم على اللّعين الدجّال، أهبطك في وقت الصلاة لتصلّي معهم، إنّهم أمّة مرحومة[1].

أقول: سيأتي شرحه في باب شمائل النبيّ صلى الله عليه وآله.

٧ - **لي:** الورّاق، عن سعد، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه، عن الحسين بن سعيد، عن الأحول، عن جميل بن صالح، عن الصادق عليه السلام قال: قام عيسى بن مريم عليه السلام في بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل لا تحدّثوا بالحكمة الجهّال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تعينوا الظالم على ظلمه فيبطل فضلكم. الخبر[2].

٨ - **يد، مع، لي:** الطالقانيّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن جعفر بن عبد الله بن جعفر العلويّ، عن كثير بن عيّاش القطّان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا ولد عيسى بن مريم عليه السلام كان ابن يوم كأنّه ابن شهرين، فلمّا كان ابن سبعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به إلى الكتّاب وأقعدته بين يدي المؤدّب، فقال له المؤدّب: قل: بسم الله الرّحمن الرّحيم، فقال عيسى عليه السلام: بسم الله الرّحمن الرحيم، فقال له المؤدّب: قل: أبجد، فرفع عيسى رأسه فقال: وهل تدري ما أبجد؟ فعلاه بالدرّة ليضربه، فقال يا مؤدّب لا تضربني إن كنت تدري وإلاّ فاسألني حتّى أفسّر لك، فقال: فسّر لي، فقال عيسى: أمّا الألف آلاء الله، والباء بهجة الله، والجيم جمال الله، والدال دين الله «هوز» الهاء هول جهنّم، والواو ويل لأهل النار، والزاء زفير جهنّم «حطي» حطّت الخطايا عن المستغفرين «كلمن» كلام الله لا مبدّل لكلماته «سعفص» صاع بصاع والجزاء بالجزاءِ «قرشت» قرشهم، فحشرهم، فقال المؤدّب: أيّتها المرأة خذي بيد ابنك فقد علم، ولا حاجة له في المؤدّب[3].

٩ - **ل:** بإسناده، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الحواريّون لعيسى بن مريم عليه السلام: يا معلّم الخير علّمنا أيّ الأشياء أشدّ، فقال: أشدّ الأشياء غضب

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٢٤ مجلس ٤٦ ح ٨.
(٢) أمالي الصدوق، ص ٢٥١ مجلس ٥٠ ح ١١.
(٣) التوحيد، ص ٢٣٦، معاني الأخبار، ص ٤٦، أمالي الصدوق، ص ٢٦٠ مجلس ٥٢ ح ١.

الله عزّ وجلّ، قالوا: فبِمَ يتّقى غضب الله؟ قال: بأن لا تغضبوا، قالوا: وما بدء الغضب؟ قال: الكبر والتجبّر ومحقرة الناس(١).

١٠ - **لي**: ابن مسرور، عن محمّد الحميريّ، عن أبيه، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أسباط عن عمّه، عن الصادق عليه السلام قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام لبعض أصحابه: ما لا تحبّ أن يفعل بك فلا تفعله بأحد، وإن لطم أحد خدّك الأيمن فأعط الأيسر(٢).

١١ - **لي**: أبي، عن البرقيّ، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن شريف بن سابق التفليسيّ، عن إبراهيم بن محمّد، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذّب صاحبه، ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذّب، فقال: يا ربّ مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يعذّب، ثمّ مررت به العام فإذا هو ليس يعذّب؛ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا روح الله إنّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه. قال: وقال عيسى بن مريم عليه السلام ليحيى بن زكريّا عليه السلام: إذا قيل فيك مافيك فاعلم أنّه ذنب ذكرته فاستغفر الله منه، وإن قيل فيك ما ليس فيك فاعلم أنّها حسنة كتبت لك لم تتعب فيها(٣).

١٢ - **لي**: ابن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة؛ عن سيف بن عميرة، عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول لأصحابه: يا بني آدم اهربوا من الدنيا إلى الله، وأخرجوا قلوبكم عنها، فإنّكم لا تصلحون لها ولا تصلح لكم، ولا تبقون فيها ولا تبقى لكم، هي الخدّاعة الفجّاعة، المغرور من اغترّ بها، المغبون من اطمأنّ إليها، الهالك من أحبّها وأرادها، فتوبوا إلى بارئكم، واتّقوا ربّكم، واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً، أين آباؤكم؟ أين أمّهاتكم؟ أين إخوتكم؟ أين أخواتكم؟ أين أولادكم؟ دعوا فأجابوا، واستودعوا الثرى، وجاوروا الموتى، وصاروا في الهلكى، وخرجوا عن الدنيا، وفارقوا الأحبّة، واحتاجوا إلى ما قدّموا واستغنوا عمّا خلّفوا فكم توعظون وكم تزجرون وأنتم لاهون ساهون، مثلكم في الدنيا مثل البهائم همّتكم بطونكم وفروجكم، أما تستحيون ممّن خلقكم وقد أوعد من عصاه النار، ولستم ممّن يقوى على النار؟ ووعد من أطاعه الجنّة ومجاورته في الفردوس الأعلى، فتنافسوا فيه، وكونوا من أهله، وأنصفوا من أنفسكم، وتعطّفوا على ضعفائكم وأهل الحاجة منكم، وتوبوا إلى الله توبة نصوحاً، وكونوا عبيداً أبراراً، ولا تكونوا ملوكاً جبابرة، ولا من العتاة الفراعنة المتمرّدين على من قهرهم بالموت، جبّار الجبابرة ربّ السماوات وربّ الأرضين، وإله الأوّلين والآخرين مالك يوم الدين،

---

(١) الخصال، ص ٦ باب الواحد ح ١٧. (٢) أمالي الصدوق، ص ٣٠٠ مجلس ٥٨ ح ١٢.

(٣) أمالي الصدوق، ص ٤١٤ مجلس ٧٧ ح ٨.

شديد العقاب، أليم العذاب، لا ينجو منه ظالم، ولا يفوته شيء، ولا يعزب عنه شيء، ولا يتوارى منه شيء، أحصى كلّ شيء علمه وأنزله منزلته في جنّة أو نار.

ابن آدم الضعيف! أين تهرب ممّن يطلبك في سواد ليلك وبياض نهارك وفي كلّ حال من حالاتك؟ قد أبلغ من وعظ، وأفلح من اتّعظ(١).

١٣ - **كا**: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ بن أسباط عنهم عليهم السلام، لي: ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أسباط، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: كان فيما وعظ الله تبارك وتعالى به عيسى بن مريم عليه السلام أن قال له: يا عيسى أنا ربّك وربّ آبائك، اسمي واحد، وأنا الأحد المتفرّد بخلق كلّ شيء، وكلّ شيء من صنعي، وكلّ خلقي إليّ راجعون.

يا عيسى أنت المسيح بأمري، وأنت تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني، وأنت تحيي الموتى بكلامي، فكن إليّ راغباً، ومنّي راهباً، فإنّك لن تجد منّي ملجأً إلّا إليّ. يا عيسى أوصيك وصيّة المتحنّن عليك بالرحمة حين حقّت لك منّي الولاية بتحرّيك منّي المسرة، فبوركت كبيراً وبوركت صغيراً حيثما كنت، أشهد أنّك عبدي ابن أمتي. يا عيسى أنزلني من نفسك كهمّك، واجعل ذكري لمعادك، وتقرّب إليّ بالنوافل، وتوكّل عليّ أكفك، ولا تولّ غيري فأخذلك.

يا عيسى اصبر على البلاء وارض بالقضاء، وكن كمسرّتي فيك، فإنّ مسرّتي أن أطاع فلا أعصى. يا عيسى أحي ذكري بلسانك، وليكن ودّي في قلبك. يا عيسى تيقّظ في ساعات الغفلة، واحكم لي بلطيف الحكمة. يا عيسى كن راغباً راهباً، وأمت قلبك بالخشية. يا عيسى راع اللّيل لتحرّي مسرّتي، واظمأ نهارك ليوم حاجتك عندي. يا عيسى نافس في الخير جهدك لتعرف بالخير حيثما توجّهت. يا عيسى احكم في عبادي بنصحي، وقم فيهم بعدلي، فقد أنزلت عليك شفاء لما في الصدور من مرض الشيطان [كا: يا عيسى لا تكن جليساً لكلّ مفتون] كا، لي: يا عيسى حقّاً أقول ما آمنت بي خليقة إلّا خشعت لي، وما خشعت لي إلّا رجت ثوابي، فأشهدك أنّها آمنة من عقابي ما لم تغير أو تبدّل سنّتي. يا عيسى ابن البكر البتول ابك على نفسك بكاء من قد ودّع الأهل وقلى الدنيا، وتركها لأهلها، وصارت رغبته فيما عند الله.

يا عيسى كن مع ذلك تلين الكلام، وتفشي السلام، يقظان إذا نامت عيون الأبرار حذاراً للمعاد والزلازل الشداد، وأهوال يوم القيامة حيث لا ينفع أهل ولا ولد ولا مال.

يا عيسى اكحل عينيك بميل الحزن إذا ضحك البطّالون. يا عيسى كن خاشعاً صابراً فطوبى لك إن نالك ما وعد الصابرون. يا عيسى رح من الدنيا يوماً فيوماً، وذق ما قد ذهب

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٤٤٦ مجلس ٨٢ ح ١٢.

طعمه، فحقّاً أقول ما أنت إلاّ بساعتك ويومك، فرح من الدنيا بالبلغة، وليكفك الخشن الجشب، فقد رأيت إلى ما تصير، ومكتوب ما أخذت وكيف أتلفت. يا عيسى إنّك مسؤول فارحم الضعيف كرحمتي إيّاك، ولا تقهر اليتيم.

يا عيسى ابك على نفسك في الصلاة، وانقل قدميك إلى مواضع الصلوات، وأسمعني لذاذة نطقك بذكري، فإنّ صنيعي إليك حسن. يا عيسى كم من أمّة قد أهلكتها بسالف ذنب قد عصمتك منه. يا عيسى ارفق بالضعيف، وارفع طرفك الكليل إلى السماء، وادعني فإنّي منك قريب، ولا تدعني إلّا متضرّعاً إليّ وهمّك همّ واحد، فإنّك متى تدعني كذلك أُجبك. يا عيسى إنّي لم أرض بالدنيا ثواباً لمن كان قبلك، ولا عقاباً لمن انتقمت منه. يا عيسى إنّك تفنى وأنا أبقى، ومنّي رزقك، وعندي ميقات أجلك، وإليّ إيابك، وعليّ حسابك، فاسألني ولا تسأل غيري، فيحسن منك الدعاء، ومنّي الإجابة.

يا عيسى ما أكثر البشر وأقلّ عدد من صبر! الأشجار كثيرة وطيّبها قليل، فلا يغرّنّك حسن شجرة حتّى تذوق ثمرتها. يا عيسى لا يغرّنّك المتمرّد عليّ بالعصيان، يأكل رزقي ويعبد غيري، ثمّ يدعوني عند الكرب فأجيبه، ثمّ يرجع إلى ما كان، أفعليّ يتمرّد، أم لسخطي يتعرّض؟ فبي حلفت لآخذنّه أخذة ليس له منها منجى، ولا دوني ملتجأ، أين يهرب؟ من سمائي وأرضي؟ يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل لا تدعوني والسحت تحت أحضانكم، والأصنام في بيوتكم، فإنّي وأيت أن أُجيب من دعاني، وأن أجعل إجابتي إيّاهم لعناً عليهم حتّى يتفرّقوا، يا عيسى كم أُجمل النظر وأُحسن الطلب والقوم في غفلة لا يرجعون، تخرج الكلمة من أفواههم لا تعيها قلوبهم، يتعرّضون لمقتي، ويتحبّبون بي إلى المؤمنين.

يا عيسى ليكن لسانك في السرّ والعلانية واحداً، وكذلك فليكن قلبك وبصرك، واطو قلبك ولسانك عن المحارم، وغضّ طرفك عمّا لا خير فيه، فكم ناظر نظرة زرعت في قلبه شهوة، ووردت به موارد الهلكة!.

يا عيسى كن رحيماً مترحّماً، وكن للعباد كما تشاء أن يكون العباد لك، وأكثر ذكر الموت ومفارقة الأهلين، ولا تله فإنّ اللّهو يفسد صاحبه، ولا تغفل فإنّ الغافل منّي بعيد، واذكرني بالصالحات حتّى أذكرك.

يا عيسى تب إليّ بعد الذنب، وذكّر بي الأوّابين، وآمن بي، وتقرّب إليّ المؤمنين[1]، ومرهم يدعوني معك، وإيّاك ودعوة المظلوم فإنّي وأيت على نفسي أن أفتح لها باباً من السماء، وأن أُجيبه ولو بعد حين. يا عيسى اعلم أنّ صاحب السوء يغوي، وأنّ قرين السوء يردي، فاعلم من تقارن، واختر لنفسك إخواناً من المؤمنين. يا عيسى تب إليّ فإنّه لا

(١) في المصدر: وتقرّب بي إلى المؤمنين.

يتعاظمني ذنب أن أغفره وأنا أرحم الراحمين. يا عيسى اعمل لنفسك في مهلة من أجلك قبل أن لا يعمل لها غيرك، واعبدني ليوم كألف سنة ممّا تعدّون فإنّي أجزي بالحسنة أضعافها، وإنّ السيّئة توبق صاحبها، وتنافس في العمل الصالح، فكم من مجلس قد نهض أهله وهم مجارون من النار.

يا عيسى ازهد في الفاني المنقطع، وطئ رسوم منازل من كان قبلك فادعهم وناجهم هل تحسّ منهم من أحد، فخذ موعظتك منهم، واعلم أنّك ستلحقهم في اللّاحقين.

يا عيسى قل لمن تمرّد بالعصيان وعمل بالإدهان يستوقع عقوبتي، وينتظر إهلاكي إيّاه سيصطلم مع الهالكين، طوبى لك يا ابن مريم ثمّ طوبى لك إن أخذت بأدب إلهك الّذي يتحنّن عليك ترحّماً، وبدأك بالنعم منه تكرّماً، وكان لك في الشدائد، لا تعصه يا عيسى فإنّه لا يحلّ لك عصيانه، قد عهدت إليك كما عهدت إلى من كان قبلك وأنا على ذلك من الشاهدين.

يا عيسى ما أكرمت خليقة بمثل ديني، ولا أنعمت عليها بمثل رحمتي. يا عيسى اغسل بالماء منك ما ظهر، وداو بالحسنات منك ما بطن، فإنّك إليّ راجع [كا: يا عيسى أعطيتك ما أنعمت به عليك فيضاً من غير تكدير، وطلبت منك قرضاً لنفسك فبخلت به عليها لتكون من الهالكين. يا عيسى تزيّن بالدين، وحبّ المساكين، وامش على الأرض هوناً، وصلّ على البقاع فكلّها طاهر].

كا، لي: يا عيسى شمّر فكلّ ما هو آت قريب، واقرأ كتابي وأنت طاهر، وأسمعني منك صوتاً حزيناً. [كا: يا عيسى لا خير في لذاذة لا تدوم، وعيش من صاحبه يزول، يا ابن مريم لو رأت عينك ما أعددت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك شوقاً إليه، فليس كدار الآخرة دار، تجاور فيها الطيّبون، ويدخل عليهم فيها الملائكة المقرّبون، وهم ممّا يأتي يوم القيامة من أهوالها آمنون، دار لا يتغيّر فيها النعيم، ولا يزول عن أهلها، يا ابن مريم نافس فيها مع المتنافسين، فإنّها أمنية المتمنّين حسنة المنظر، طوبى لك يا ابن مريم إن كنت لها من العاملين، مع آبائك آدم وإبراهيم في جنّات ونعيم لا تبغي لها بدلاً ولا تحويلاً، كذلك أفعل بالمتّقين. يا عيسى اهرب إليّ مع من يهرب من نار ذات لهب، ونار ذات أغلال وأنكال، لا يدخلها روح، ولا يخرج منها غمّ أبداً، قطع كقطع اللّيل المظلم، من ينج منها يفز، ولن ينجو منها من كان من الهالكين، هي دار الجبّارين والعتاة الظالمين، وكلّ فظّ غليظ، وكلّ مختال فخور. يا عيسى بئست الدار لمن ركن إليها وبئس القرار دار الظالمين، إنّي أحذّرك نفسك فكن بي خبيراً.

يا عيسى كن حيثما كنت مراقباً لي، واشهد عليّ أنّي خلقتك وأنت عبدي، وأنّي صوّرتك وإلى الأرض أهبطتك. يا عيسى لا يصلح لسانان في فم واحد، ولا قلبان في صدر واحد، وكذلك الأذهان. يا عيسى لا تستيقظنّ عاصياً ولا تستنبهنّ لاهياً، وافطم نفسك عن

الشهوات الموبقات، وكلّ شهوة تباعدك منّي فاهجرها، واعلم أنّك منّي بمكان الرسول الأمين، فكن منّي على حذر، واعلم أنّ دنياك مؤدّيتك إليّ وأنّي آخذك بعلمي، وكن ذليل النفس عند ذكري، خاشع القلب حين تذكرني، يقظاناً عند نوم الغافلين. يا عيسى هذه نصيحتي إيّاك وموعظتي لك، فخذها منّي فإنّي ربّ العالمين. يا عيسى إذا صبر عبدي في جنبي كان ثواب عمله عليّ، وكنت عنده حين يدعوني، وكفى بي منتقماً ممّن عصاني، أين يهرب منّي الظالمون؟ يا عيسى أطب الكلام، وكن حيثما كنت عالماً متعلّماً. يا عيسى أفض بالحسنات إليّ حتّى يكون لك ذكرها عندي، وتمسّك بوصيّتي فإنّ فيها شفاء للقلوب].

[لي: قال: وكان فيما وعظ الله عزّوجلّ به عيسى بن مريم عليه السلام أيضاً أن قال له].

كا، لي: يا عيسى لا تأمن إذا مكرت مكري، ولا تنس عند خلوتك بالذنب ذكري [كا: يا عيسى حاسب نفسك بالرجوع إليّ حتّى تتنجّز ثواب ماعمله العاملون، أُولئك يؤتون أجرهم وأنا خير المؤتين. يا عيسى كنت خلقاً بكلامي، ولدتك مريم بأمري المرسل إليها روحي جبرئيل الأمين من ملائكتي، حتّى قمت على الأرض حيّاً تمشي كلّ ذلك في سابق علمي. يا عيسى زكريّا بمنزلة أبيك وكفيل أُمّك، إذ يدخل عليها المحراب فيجد عندها رزقاً، ونظيرك يحيى من خلقي وهبته لأُمّه بعد الكبر من غير قوّة بها، أردت بذلك أن يظهر لها سلطاني، وتظهر فيك قدرتي، أحبّكم إليّ أطوعكم لي وأشدّكم خوفاً مني].

كا، لي: يا عيسى تيقّظ ولا تيأس من روحي وسبّحني مع من يسبّحني، وبطيب الكلام فقدّسني [كا: يا عيسى كيف يكفر العباد بي ونواصيهم في قبضتي وتقلّبهم في أرضي؟ يجهلون نعمتي ويتولّون عدوّي وكذلك يهلك الكافرون].

كا، لي: يا عيسى إنّ الدنيا سجن منتن الريح وحش وفيها ما قد ترى ممّا قد ألحّ عليه الجبّارون، وإيّاك والدنيا فكلّ نعيمها يزول وما نعيمها إلاّ قليل. [كا: يا عيسى ابغني عند وسادك تجدني، وادعني وأنت لي محبّ فإنّي أسمع السامعين، أستجيب للداعين إذا دعوني. يا عيسى خفني وخوّف بي عبادي لعلّ المذنبين أن يمسكوا عمّا هم عاملون به، فلا يهلكوا إلاّ وهم يعلمون. يا عيسى ارهبني رهبتك من السبع، والموت الّذي أنت لاقيه، فكلّ هذا أنا خلقته فإيّاي فارهبون].

كا، لي: يا عيسى إنّ الملك لي وبيدي، وأنا الملك فإن تطعني أدخلتك جنّتي في جوار الصالحين [كا: يا عيسى إنّي إن غضبت عليك لم ينفعك رضى من رضي عنك، وإن رضيت عنك لم يضرّك غضب المغضبين. يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، واذكرني في ملئك أذكرك في ملأ خير من ملأ الآدميّين].

كا، لي: يا عيسى ادعني دعاء الغريق الّذي ليس له مغيث، يا عيسى لا تحلف باسمي كاذباً فيهتزّ عرشي غضباً. يا عيسى الدنيا قصيرة العمر، طويلة الأمل، وعندي دار خير ممّا

يجمعون. يا عيسى: قل لظلمة بني إسرائيل: كيف أنتم صانعون إذا أخرجت لكم كتاباً ينطق بالحقّ فتنكشف سرائر قد كتمتموها. [كا: وأعمال كنتم بها عاملين].

كا، لي: يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل: غسلتم وجوهكم ودنستم قلوبكم، أبي تغترّون أم عليّ تجترئون؟ تتطيّبون بالطيب لأهل الدنيا وأجوافكم عندي بمنزلة الجيف المنتنة، كأنكم أقوام ميّتون. يا عيسى قل لهم: قلّموا أظفاركم من كسب الحرام، وأصمّوا أسماعكم عن ذكر الخناء، وأقبلوا عليّ بقلوبكم، فإنّي لست أريد صوركم. يا عيسى افرح بالحسنة فإنّها لي رضى، وابك على السيّئة فإنّها لي سخط، وما لا تحبّ أن يصنع بك فلا تصنعه بغيرك، وإن لطم خدّك الأيمن فأعط الأيسر، وتقرّب إليّ بالمودّة جهدك وأعرض عن الجاهلين [كا: يا عيسى ذلّ لأهل الحسنة وشاركهم فيها، وكن عليهم شهيداً، وقل لظلمة بني إسرائيل: يا أخدان السوء والجلساء عليه إن لم تنتهوا أمسخكم قردة وخنازير].

كا، لي: يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل: الحكمة تبكي فرقاً منّي وأنتم بالضحك تهجرون! أتتكم براءتي أم لديكم أمان من عذابي أم تتعرّضون لعقوبتي؟ فبي حلفت لأتركنكم مثلاً للغابرين.

ثمّ إنّي أوصيك يا ابن مريم البكر البتول بسيّد المرسلين وحبيبي منهم أحمد صاحب الجمل الأحمر، والوجه الأقمر، المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس، الحييّ المتكرّم، فإنّه رحمة للعالمين، وسيّد ولد آدم عندي، يوم يلقاني أكرم السابقين عليّ، وأقرب المرسلين منّي، العربيّ الأمّيّ الديّان بديني، الصابر في ذاتي المجاهد للمشركين ببدنه عن ديني. يا عيسى آمرك أن تخبر به بني إسرائيل وتأمرهم أن يصدّقوا به ويؤمنوا به ويتّبعوه وينصروه. قال عيسى: إلهي من هو؟ قال: يا عيسى ارضه فلك الرضى؛ قال: اللّهمّ رضيت فمن هو؟ قال: محمّد رسول الله إلى الناس كافّة أقربهم منّي منزلة، وأوجبهم عندي شفاعة، طوباه من نبيّ، وطوباه لأمّته إن هم لقوني على سبيله، يحمده أهل الأرض ويستغفر له أهل السماء، أمين ميمون مطيّب، خير الماضين والباقين عندي، يكون في آخر الزمان، إذا خرج أرخت السماء عزاليها، وأخرجت الأرض زهرتها. [كا: حتّى يروا البركة] كا، لي: وأبارك فيما وضع يده عليه، كثير الأزواج، قليل الأولاد، يسكن بكّة موضع أساس إبراهيم

يا عيسى دينه الحنفيّة وقبلته مكّيّة، وهو من حزبي وأنا معه، فطوباه طوباه له الكوثر، والمقام الأكبر، من جنّات عدن يعيش أكرم معاش، ويقبض شهيداً، له حوض أبعد من مكّة إلى مطلع الشمس من رحيق مختوم، فيه آنية مثل نجوم السماء [كا: وأكواب مثل مدر الأرض][لي: ماؤه] كا لي: عذب، فيه من كلّ شراب، وطعم كلّ ثمار في الجنّة، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أبعثه على فترة بينك وبينه، يوافق سرّه علانيته، وقوله فعله، لا يأمر الناس إلاّ بما يبدأهم به، دينه الجهاد في عسر ويسر، تنقاد له البلاد، ويخضع له صاحب

الروم على دينه ودين أبيه إبراهيم، ويسمّي عند الطعام، ويفشي السلام، ويصلّي والناس نيام، له كلّ يوم خمس صلوات متواليات [كا: ينادي إلى الصلاة كنداء الجيش بالشعار و] كا، لي: يفتتح بالتكبير ويختتم بالتسليم، ويصفّ قدميه في الصلاة كما تصفّ الملائكة أقدامها، ويخشع لي قلبه [كا: ورأسه] كا، لي: النور في صدره، والحقّ في لسانه، وهو مع الحقّ حيثما كان [كا: أصله يتيم ضالّ برهة من زمانه عمّا يراد به].

كا، لي: تنام عيناه ولا ينام قلبه، له الشفاعة، وعلى أُمّته تقوم الساعة، ويدي فوق أيديهم إذا بايعوه، فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه، ومن أوفى [كا: بما عاهد عليه] كا، لي: وفيت له بالجنّة، فمر ظلمة بني إسرائيل لا يدرسوا كتبه، ولا يحرّفوا سنّته، وأن يقرؤوه السلام، فإنّ له في المقام شأناً من الشأن. يا عيسى كلّ ما يقرّبك منّي فقد دللتك عليه، وكلّ ما يباعدك منّي قد نهيتك عنه، فارتد لنفسك.

يا عيسى إنّ الدنيا حلوة، وإنّما استعملتك فيها لتطيعني، فجانب منها ما حذّرتك، وخذ منها ما أعطيتك عفواً [كا: يا عيسى] كا، لي: انظر في عملك نظر العبد المذنب الخاطئ، ولا تنظر في عمل غيرك نظر الربّ وكن فيها زاهداً، ولا ترغب فيها فتعطب. يا عيسى اعقل وتفكّر وانظر في نواحي الأرض كيف كان عاقبة الظالمين. يا عيسى كلّ وصيّتي نصيحة لك، وكلّ قولي [كا: لك] كا، لي: حقّ وأنا الحقّ المبين، وحقّاً أقول: لئن أنت عصيتني بعد أن أنبأتك ما لك من دوني وليٌّ ولا نصير. يا عيسى ذلّل قلبك بالخشية، وانظر إلى من هو أسفل منك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، واعلم أنّ رأس كلّ خطيئة وذنب حبّ الدنيا فلا تحبّها فإنّي لا أحبّها.

يا عيسى أطب بي قلبك، وأكثر ذكري في الخلوات، واعلم أنّ سروري أن تبصبص إليّ وكن في ذلك حيّاً ولا تكن ميّتاً.

يا عيسى لا تشرك بي شيئاً، وكن منّي على حذر، ولا تغترّ بالصحّة ولا تغبط نفسك فإنّ الدنيا كفيء زائل، وما أقبل منها كما أدبر، فنافس في الصالحات جهدك، وكن مع الحقّ حيثما كان، وإن قطعت وأحرقت بالنار فلا تكفر بي بعد المعرفة، ولا تكن مع الجاهلين [كا: فإنّ الشيء يكون مع الشيء] كا، لي: يا عيسى صبّ [كا، إليّ] كا، لي: الدموع من عينيك، واخشع لي بقلبك. يا عيسى استغفرني في حالات الشدّة فإنّي أغيث المكروبين، وأجيب المضطرّين، وأنا أرحم الراحمين[1].

بيان: قال الجزريّ: قد تكرّر فيه ذكر المسيح عليه السلام فسمّي به لأنّه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلاّ برئ؛ وقيل: لأنّه كان أمسح الرجل لا أخمص له؛ وقيل: لأنّه خرج من بطن أمّه

---

(١) روضة الكافي، ص ٧٣٦ ح ١٠٣ حديث عيسى ابن مريم عليه السلام، وأمالي الصدوق، مجلس ٧٨ ح ١.

ممسوحاً بالدهن؛ وقيل: لأنّه كان يمسح الأرض أي يقطعها؛ وقيل: المسيح الصدّيق؛ وقيل: هو بالعبرانيّة مشيحا فعرّبت.

قوله تعالى: (وصيّة المتحنّن) أي أوصيك وقد أحسنت إليك برحمتي وربّيتك في درجات الكمال بلطفي حين حقّت؛ وفي الكافي: حتّى حقّت، أي ثبتت ووجبت لك ولايتي ومحبّتي بسبب أنّك تطلب مسرّتي ولا تفعل إلاّ ما يوجب رضاي.

قوله: (فبوركت) البركة: النموّ والزيادة، أي زيد في علمك وقربك وكمالك في صغرك وكبرك، أو جعلتك ذا بركة في اليد واللّسان بإحياءِ الموتى وإبراء ذوي العاهات وتكثير القليل من الطعام والشراب. قوله: (كهمّك) أي اجعلني واتّخذني قريباً منك كقرب همّك وما يخطر ببالك منك، أو اهتمّ بأوامري كما تهتمّ بأمور نفسك. قوله: (ولا تولّ غيري) أي لا تتّخذ غيري وليّ أمرك، أو لا تجعل حبّك لغيري. قوله: (واحكم) أي اقض بين الناس بما علّمتك من لطائف الحكمة. قوله: (نافس) المنافسة: الرغبة في الشيء والانفراد به. قوله: (بنصحي) أي بما علّمتك للحكم بينهم لنصحي لهم، أو كما أنّي لك ناصح فكن أنت ناصحاً لهم.

وقال الفيروزآباديّ: البتول: المنقطعة عن الرجال، ومريم العذراء، وفاطمة بنت سيّد المرسلين عليهما الصلاة والسلام لانقطاعها عن نساء زمانها ونساء الأمّة فضلاً وديناً وحسباً، والمنقطعة عن الدنيا إلى الله.

قوله: (وقلى الدنيا) أي أبغضها. قوله: (رح من الدنيا) أي اقطع عنك كلّ يوم شيئاً من علائق الدنيا لكيلا يصعب عليك مفارقتها عند حلول أجلك. قوله: (ما أنت إلاّ بساعتك) أي لا تعلم بقاءك بعد تلك الساعة وهذا اليوم فاغتنمها.

قوله: (فرح من الدنيا) أي اترك الدنيا واكتف منها بالبلاغ والكفاف، أو كن بحيث إذا فارقت الدنيا لم تكن أخذت منها سوى البلغة، ويحتمل أن يكون المراد بالبلغة ما يبلغ الإنسان من زاد الآخرة إلى درجاتها الرفيعة.

قوله: (وليكفك الخشن) أي من الثياب (الجشب) أي من الطعام، والظاهر كونهما إمّا صفة للثياب أو لهما، والجشب: الغليظ. قوله: (إلى ما يصير) أي الثوب والطعام، فإنّ مصير الأوّل إلى البلى، والثاني إلى ما ترى.

قوله: (كرحمتي) الكاف إمّا للتشبيه في أصل الرحمة لا في كيفيّتها وقدرها، أو للتعليل، أي لرحمتي إيّاك. قوله: (لذاذة نطقك) أي نطقك اللّذيذ، أو التذاذك بذكري.

قوله: (طرفك الكليل) قال الجزريّ: طرف كليل: إذا لم يحقّق المنظور به، أي لا تحدق النظر إلى السماء حياءً بل انظر بتخشّع، ويحتمل أن يكون وصف الطرف بالكلال لبيان عجز قوى المخلوقين.

قوله: (تحت أحضانكم) جمع الحضن وهو ما دون الإبط إلى الكشح وهو كناية عن ضبط

الحرام بحفظه وعدم ردّه إلى أهله، ولعلّ المراد بالأصنام الدراهم والدنانير والذخائر الّتي كانوا يحرزونها في بيوتهم ولا يؤدّون حقّ الله منها، كما ورد في الخبر: «ملعون من عبد الدينار والدرهم» قوله: (لعناً عليهم) أي إجابتي للظالمين فيما يطلبون من دنياهم موجب لبعدهم عن رحمتي واستدراج منّي لهم، والتفرّق إمّا عن الدعاء أو بالموت.

قوله: (مترحمّاً) الرحم: رقّة القلب، والترحّم: إعمالها وإظهارها. قوله: (واذكرني بالصالحات) أي بفعل الأعمال الصالحة فإنّها مسبّبة عن ذكره تعالى، وذكره تعالى له إثابته، أو ذكره في الملأ الأعلى بخير. قوله: (يغوي) وفي الكافي (يعدي) أي يؤثّر أخلاقه الذميمة فيمن يصاحبه، يقال: أعداه الداء وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء.

قوله: (يردي) أي يهلك من يقارنه. قوله تعالى (هل تحسّ منهم من أحد) أي هل تشعر بأحد منهم وتراه، أو تسمع صوته، والاصطلام: الاستئصال. قوله: (بأدب إلهك) أي بالآداب الّتي أمرك بها إلهك، أو المراد التخلّق بأخلاق الله. قوله: (بمثل رحمتي) أي الجنّة أو المغفرة قوله (فيضاً) أي كثيراً واسعاً، والظاهر أنّ المقصود بهذا الخطاب أمّته عليه السلام كقوله تعالى لنبيّنا صلى الله عليه وآله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[(١)].

والهون: السكينة والوقار. قوله: (وصلّ على البقاع) هذا خلاف ما هو المشهور من أنّ جواز الصلاة في كلّ البقاع من خصائص نبيّنا صلى الله عليه وآله، بل كان يلزمهم الصلاة في معابدهم، فيمكن أن يكون هذا الحكم فيهم مختصّاً بالفرائض، أو بغيره من أمّته.

قوله: (شمّر) أي جدّ في العبادة فإنّ الموت آتٍ، وكلّ ما هو آت قريب.

قوله: (وزهقت) أي هلكت واضمحلّت. قوله: (مع آبائك) أي تكون معهم، أو طوبى لك معهم. والأنكال جمع النكل بالكسر وهو القيد الشديد. قوله: (فكن بي) أي بمعونتي خبيراً بعيوب نفسك، أو كن عالماً بي وبرحمتي ونعمتي وعقوبتي حتّى لا تغلبك نفسك. قوله: (مراقباً لي) أي تنتظر فضلي وإحساني وتخاف عذابي وتعلم أنّي مطّلع على سرائر أمرك. قوله تعالى: (لا يصلح لسانان في فم واحد) أي بأن تقول في حضور القوم شيئاً وفي غيبتهم غيره، أو تمزج الحقّ بالباطل. (ولا قلبان في صدر واحد) أي لا يجتمع حبّه تعالى وحبُّ غيره في قلب واحد، فلا يجتمعان إلّا بأن يكون لك قلبان وهو محال، كما قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[(٢)].

قوله تعالى: (وكذلك الأذهان) أي لا يجتمع شيئان متضادّان في ذهن واحد كالتوجّه إلى الله وإلى الدنيا، والتوكّل على الله وعلى غيره، ويحتمل أن يكون ذكر اللّسان والقلب تمهيداً لبيان الأخير، أي كما لا يمكن أن يكون في فم لسانان وفي صدر قلبان فكذلك لا يجوز أن

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

يكون في ذهن واحد أمران متضادّان يصيران منشأين لأمور مختلفة متباينة. قوله تعالى: (لا تستيقظنّ عاصياً) أي لا تنبّه غيرك والحال أنّك عاص، بل ابدأ بإصلاح نفسك قبل إصلاح غيرك، وكذا الفقرة الثانية، ويشكل بأنّ الاستيقاظ لم يرد متعدّياً، فيحتمل أن يكون المراد: لا يكن تيقّظك تيقّظاً ناقصاً مخلوطاً بالعصيان أو لا يكن تيقّظك عند الموت بعد العصيان، فتكون الفقرة الثانية تأسيساً وهو أولى من التأكيد. قوله: (مؤدّيتك إليّ) أي تردك إليّ بالموت، وأعاقبك بما عملت من معاصيك. قوله: (في جنبي) أي في قربي أو طاعتي. قوله تعالى: (وأفض) من الإفضاء بمعنى الإيصال، أو من الإفاضة بمعنى الاندفاع والإسراع في السير، أي أقبل إليّ بسبب حسناتك أو معها.

قوله تعالى: (بالرجوع إليّ) أي بسبب أنّ مرجعك إليّ. قوله: (بكلامي) أي بلفظ «كن» من غير والد. قوله: (ونظيرك يحيى) أي في الزهد والعبادة وسائر الكمالات، أو في الولادة فإنّه من حيث تولّده من شيخ كبير يئس من الولد فكأنّه أيضاً خلق من غير والد. قوله: (من غير قوّة بها) أي كانت يائسة لا تستعدّ بحسب القوى البشريّة عادة لتولّده منها.

قوله: (قد ألحّ) في الكافي (قد تذابح) قال الفيروزآباديّ: تذابحوا: ذبح بعضهم بعضاً. قوله: (ابغني عند وسادك) أي اطلبني، وتقرّب إليّ عندما تتكئ على وسادك للنوم بذكري تجدني لك حافظاً في نومك، أو قريباً منك مجيباً في تلك الحال أيضاً، أو اطلبني بالعبادة عند إرادة التوسّد أو في الوقت الّذي يتوسّد فيه الناس تجدني مفيضاً عليك مترحّماً. قوله: (أذكرك في نفسي) أي أفيض عليك من رحماتي الخاصّة من غير أن يطّلع عليها غيري. قوله: (عن ذكر الخناء) أي الفحش في القول. والأخدان جمع الخدن بالكسر وهو الصديق. قوله تعالى: (الحكمة تبكي) إسناد البكاء إلى الحكمة مجازيّ لأنّها سببه، ويمكن أن يقدّر مضاف أي أهل الحكمة؛ ويحتمل على بعد أن يقرأ على باب الإفعال. قوله: (تهجرون) من الهجر وهو الهزء وقبيح الكلام.

قوله: (للغابرين) أي للباقين. قوله: (يوم يلقاني) أي تظهر سيادته في ذلك اليوم، ويحتمل تعلّقه بما بعده. قوله: (الديان بديني) الديّان: القهّار، والحاكم والقاضي أي يقهرهم على الدخول في دين الله، أو يحكم بينهم بحكم الله، أو يتعبّد الله بدين الحقّ من دان بمعنى عبد. والعزلاء: فم المزادة الأسفل، والجمع العزالي بكسر اللاّم وفتحها وإرخاؤها كناية عن كثرة الأمطار والخصب والسعة. قوله: (من رحيق مختوم) أي من جنسه، قال الجزريّ: الرحيق من أسماء الخمر يريد به خمر الجنّة، والمختوم: المصون الّذي لم يبتذل لأجل ختامه.

وقال الفيروزآباديّ: الكوب بالضمّ: كوز لا عروة له أو لا خرطوم، والجمع أكواب. وقال الجزريّ: في الحديث: إنّ شعار أصحاب النبيّ ﷺ في الغزو: يا منصور أمت أمت أي علامتهم الّتي كانوا يتعارفون بها في الحرب. قوله: (يتيم) أي بلا أب أو بلا نظير، أو

منفرد عن الخلق (ضالّ برهة) أي طائفة من زمانه (عمّا يراد به) أي الوحي والبعثة، أو ضالّ من بين قومه لا يعرفونه بالنبوّة فكأنّه ضلَّ عنهم ثمّ وجدوه، وسيأتي شرحه في كتاب أحوال النبيّ ﷺ قوله: (فارتد لنفسك) الارتياد: الطلب أي اطلب لنفسك ما هو خير لك. قوله. (عفواً) أي فضلاً وإحساناً، أو حلالاً طيّباً.

قال الفيروزآباديّ: العفو: أحلّ المال وأطيبه، وخيار الشيء وأجوده، والفضل والمعروف. قوله: (نظر الربّ) أي النظر في أعمال الغير ومحاسبتها شأن الربّ لا شأن العبد. قوله: (وكن فيها) أي في تلك النظرة، أو في الدنيا. قوله: (أطب بي قلبك) أي كن محبّاً لي راضياً عنّي، يقال: طابت نفسه بكذا أي رضيها وأحبّها. قوله: (أن تبصبص إليّ) قال الجزريّ يقال: بصبص الكلب بذنبه: إذا حرّكه، وإنّما يفعل ذلك من خوف أو طمع. قوله: (ولا تغبّط نفسك) الظاهر أنّه على بناء التفعيل يقال: غبّطهم أي حملهم على الغبطة، أي لا تجعل نفسك في أمور الدنيا بحيث يغبطها الناس، أو لا تجعل نفسك بحيث تغبط الناس على ما في أيديهم، والأوّل أظهر. قوله: (فإنّ الشيء يكون مع الشيء) أي لكلّ عمل جزاء، أو كلّ شيء يكون مع مجانسه فلا تكن مع الجاهلين تكن مثلهم.

١٤ - **لي**: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن المغيرة، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على قوم يبكون فقال: على ما يبكي هؤلاء؟ فقيل: يبكون على ذنوبهم، قال: فليدعوها يغفر لهم(١).

١٥ - **لي**: ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن الحسن بن عليّ الخزّاز قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريّين: يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من دنياكم إذا سلم دينكم، كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا سلمت دنياهم(٢).

ين: الحسن بن عليّ مثله(٣).

١٦ - **ف**: مواعظ المسيح عليه السلام في الإنجيل وغيره. ومن حكمه: طوبى للمتراحمين، أولئك هم المرحومون يوم القيامة. طوبى للمصلحين بين الناس أولئك هم المقرّبون يوم القيامة. طوبى للمطهّرة قلوبهم أولئك يزورون الله يوم القيامة. طوبى للمتواضعين في الدنيا أولئك يرثون منابر الملك يوم القيامة. طوبى للمساكين لهم ملكوت السماء. طوبى للمحزونين هم الّذين يسرّون. طوبى للّذين يجوعون ويظمؤون خشوعاً، هم الّذين يسقون. طوبى للمسبوبين من أجل الطهارة فإنّ لهم ملكوت السماء. طوباكم إذا حسدتم وشتمتم وقيل فيكم كلّ كلمة قبيحة كاذبة حينئذ فافرحوا وابتهجوا فإنّ أجركم قد كثر في السماء.

---

(١) - (٢) أمالي الصدوق، ص ٤٠١ مجلس ٧٥ ح ١ و٢.

(٣) الزهد، ص ١١٩ باب ٨ ح ١٤٠.

وقال: يا عبيد السوء تلومون الناس على الظنّ ولا تلومون أنفسكم على اليقين؟ يا عبيد الدنيا تحلقون رؤوسكم وتقصّرون قمصكم وتنكسون رؤوسكم ولا تنزعون الغلّ من قلوبكم؟! يا عبيد الدنيا مثلكم كمثل القبور المشيّدة يعجب الناظر ظهرها، وداخلها عظام الموتى، مملوءة خطايا. يا عبيد الدنيا إنّما مثلكم كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه! يا بني إسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثوّاً على الركب، فإنّ الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر. يا بني إسرائيل قلّة المنطق حكم عظيم، فعليكم بالصمت فإنّه دعة حسنة وقلّة وزر، وخفّة من الذنوب فحصّنوا باب العلم فإنّ بابه الصبر، وإنّ الله يبغض الضحّاك من غير عجب، والمشّاء إلى غير أرب، ويحبُّ الوالي الّذي يكون كالراعي لا يغفل عن رعيّته، فاستحيوا الله في سرائركم كما تستحيون النّاس في علانيتكم، واعلموا أنّ كلمة الحكمة ضالّة المؤمن، فعليكم [التمسّك بها] قبل أن ترفع، ورفعه أن يذهب رواته، يا صاحب العلم عظّم العلماء لعلمهم ودع منازعتهم، وصغّر الجهّال لجهلهم ولا تطردهم، ولكن قرّبهم وعلّمهم.

يا صاحب العلم اعلم أنّ كلّ نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيّئة تؤاخذ عليها، يا صاحب العلم اعلم أنّ كلّ معصية عجزت عن توبتها بمنزلة عقوبة تعاقب بها، يا صاحب العلم كرب لا تدري متى تغشاك فاستعدّ لها قبل أن تفجأك.

وقال لأصحابه: أرأيتم لو أنّ أحداً مرّ بأخيه فرأى ثوبه قد انكشف عن عورته أكان كاشفاً عنها أم يردّ على ما انكشف منها؟ قالوا: بل يردّ على ما انكشف منها، قال: كلاّ بل تكشفون عنها! فعرفوا أنّه مثل ضربه لهم، فقالوا: يا روح الله وكيف ذاك؟ قال ذاك الرجل منكم يطّلع على العورة من أخيه فلا يسترها. بحقّ أقول لكم أعلّمكم لتعلموا ولا أعلّمكم لتعجبوا بأنفسكم، إنّكم لن تنالوا ما تريدون إلاّ بترك ما تشتهون، ولن تظفروا بما تأملون إلاّ بالصبر على ما تكرهون، إيّاكم والنظرة فإنّها تزرع في القلوب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة، طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في نظر عينه لا تنظروا في عيوب الناس كالأرباب، وانظروا في عيوبهم كهيئة عبيد الناس، إنّما النّاس رجلان: مبتلى ومعافى، فارحموا المبتلى، واحمدوا الله على العافية.

يا بني إسرائيل أما تستحيون من الله؟ إنّ أحدكم لا يسوغ له شرابه حتّى يصفّيه من القذى، ولا يبالي أن يبلغ أمثال الفيلة، ألم تسمعوا أنّه قيل لكم في التوراة صلوا أرحامكم، وكافوا أرحامكم؟ وأنا أقول لكم: صلوا من قطعكم، وأعطوا من منعكم وأحسنوا إلى من أساء إليكم، وسلّموا على من سبّكم، وأنصفوا من خاصمكم، واعفوا عمّن ظلمكم، كما أنّكم تحبّون أن يعفى عن إساءتكم فاعتبروا بعفو الله عنكم، ألا ترون أنّ شمسه أشرقت على الأبرار والفجّار منكم، وأنّ مطره ينزل على الصالحين والخاطئين منكم؟ فإن كنتم لا تحبّون

إلّا من أحبّكم ولا تحسنون إلاّ إلى من أحسن إليكم ولا تكافئون إلاّ من أعطاكم فما فضلكم إذاً على غيركم؟ قد يصنع هذا السفهاء الّذين ليست عندهم فضول ولا لهم أحلام، ولكن إن أردتم أن تكونوا أحبّاء الله وأصفياء الله فأحسنوا إلى من أساء إليكم، واعفوا عمّن ظلمكم، وسلّموا على من أعرض عنكم، اسمعوا قولي، واحفظوا وصيّتي، وارعوا عهدي كيما تكونوا علماء فقهاء.

بحقّ أقول لكم: إنّ قلوبكم بحيث تكون كنوزكم، وكذلك النّاس يحبّون أموالهم وتتوق إليها أنفسهم، فضعوا كنوزكم في السماء حيث لا يأكلها السوس، ولا ينالها اللّصوص.

بحقّ أقول لكم: إنّ العبد لا يقدر على أن يخدم ربّين، ولا محالة إنّه يؤثر أحدهما على الآخر وإن جهد، كذلك لا يجتمع لكم حبّ الله وحبُّ الدنيا.

بحقّ أقول لكم: إنّ شرّ النّاس لرجل عالم آثر دنياه على علمه فأحبّها وطلبها وجهد عليها حتّى لو استطاع أن يجعل النّاس في حيرة لفعل، وماذا يغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها؟ كذلك لا يغني عن العالم علمه إذا هو لم يعمل به، ما أكثر ثمار الشّجر وليس كلّها ينفع ولا يؤكل وما أكثر العلماء وليس كلّهم ينتفع بما علم! وما أوسع الأرض وليس كلّها تسكن! وما أكثر المتكلّمين وليس كلّ كلامهم يصدق! فاحتفظوا من العلماء الكذبة الّذين عليهم ثياب الصوف، منكّسو رؤوسهم إلى الأرض، يزوّرون به الخطايا، يطرفون من تحت حواجبهم كما ترمق الذئاب، وقولهم يخالف فعلهم، وهل يجتنى من العوسج العنب؟ ومن الحنظل التين؟ وكذلك لا يؤثّر قول العالم الكاذب إلاّ زوراً، وليس كلّ من يقول يصدق.
بحقّ أقول لكم: إنّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار، ألم تعلموا أنّه من شمخ برأسه إلى السقف شجّه، ومن خفض برأسه عنه استظلّ تحته وأكنّه، وكذلك من لم يتواضع لله خفضه، ومن تواضع لله رفعه، إنّه ليس على كلّ حال يصلح العسل في الزقاق، وكذلك القلوب ليس على كلّ حال تعمر الحكمة فيها، إنّ الزقّ ما لم ينخرق أو يقحل أو يتفل فسوف يكون للعسل وعاءً، وكذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات ويدنّسها الطمع ويقسيها النّعيم فسوف تكون أوعية للحكمة.

بحقّ أقول لكم: إنّ الحريق ليقع في البيت الواحد فلا يزال ينتقل من بيت إلى بيت حتّى تحترق بيوت كثيرة إلاّ أن يستدرك البيت الأوّل فيهدم من قواعده فلا تجد فيه النار محلاً، وكذلك الظالم الأوّل لو أُخذ على يديه لم يوجد من بعده إمام ظالم فيأتمّون به كما لو لم تجد النار في البيت الأوّل خشباً وألواحاً لم تحرق شيئاً.

بحقّ أقول لكم: من نظر إلى الحيّة تؤمّ أخاه لتلدغه ولم يحذّره حتّى قتلته فلا يأمن أن يكون قد شرك في دمه، وكذلك من نظر إلى أخيه يعمل الخطيئة ولم يحذّره عاقبتها حتّى

أحاطت به فلا يأمن أن يكون قد شرك في إثمه، ومن قدر على أن يغيّر الظلم ثمّ لم يغيّره فهو كفاعله، وكيف يهاب الظالم وقد أمن بين أظهركم لا ينهى ولا يغيّر عليه ولا يؤخذ على يديه، فمن أين يقصر الظالمون أم كيف لا يغترُّون؟ فحسب أحدكم أن يقول: لا أظلم ومن شاء فليظلم، ويرى الظلم فلا يغيّره، فلو كان الأمر على ما تقولون لم تعاقبوا مع الظالمين الّذين لم تعملوا بأعمالهم حين تنزل بهم العثرة في الدنيا، ويلكم يا عبيد السوء كيف ترجون أن يؤمنكم الله من فزع يوم القيامة وأنتم تخافون النّاس في طاعة الله، وتطيعونهم في معصيته، وتفون لهم بالعهود الناقضة لعهده؟ بحق أقول لكم: لا يؤمن الله من فزع ذلك اليوم من اتّخذ العباد أرباباً من دونه.

ويلكم يا عبيد السوء من أجل دنيا دنيّة وشهوة رديئة تفرّطون في ملك الجنّة وتنسون هول يوم القيامة! ويلكم ياعبيد الدنيا من أجل نعمة زائلة وحياة منقطعة تفرّون من الله وتكرهون لقاءه! فكيف يحبّ الله لقاءكم وأنتم تكرهون لقاءه؟ وإنّما يحبّ الله لقاء من يحبّ لقاءه، ويكره لقاء من يكره لقاءه، وكيف تزعمون أنكم أولياء الله من دون الناس وأنتم تفرّون من الموت وتعتصمون بالدنيا؟ فماذا يغني عن الميّت طيب ريح حنوطه وبياض أكفانه وكلّ ذلك يكون في التراب، كذلك لا يغني عنكم بهجة دنياكم الّتي زيّنت لكم، وكلّ ذلك إلى سلب وزوال، ماذا يغني عنكم نقاء أجسادكم وصفاء ألوانكم وإلى الموت تصيرون، وفي التراب تنسون، وفي ظلمة القبر تغمرون؟! ويلكم يا عبيد الدنيا تحملون السراج في ضوء الشمس وضوؤها كان يكفيكم، وتدعون أن تستضيؤوا بها في الظلم ومن أجل ذلك سخّرت لكم! كذلك استضأتم بنور العلم لأمر الدنيا وقد كفيتموه وتركتم أن تستضيؤوا به لأمر الآخرة ومن أجل ذلك أعطيتموه، تقولون: إنّ الآخرة حقّ وأنتم تمهّدون الدنيا، وتقولون: إنّ الموت حقّ وأنتم تفرّون منه، وتقولون: إنّ الله يسمع ويرى ولا تخافون إحصاءه عليكم، فكيف يصدّقكم من سمعكم فإنّ من كذب من غير علم أعذر ممّن كذب على علم وإن كان لا عذر في شيء من الكذب.

بحقّ أقول لكم: إنّ الدابّة إذا لم تركب ولم تمتهن وتستعمل لتصعب ويتغيّر خلقها، وكذلك القلوب إذا لم ترقق بذكر الموت ويتبعها دؤوب العبادة تقسو وتغلظ. ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم؟ كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطّلة! فأسرعوا إلى بيوتكم المظلمة فأنيروا فيها، كذلك فأسرعوا إلى قلوبكم القاسية بالحكمة قبل أن ترين عليها الخطايا فتكون أقسى من الحجارة، كيف يطيق حمل الأثقال من لا يستعين على حملها؟ أم كيف تحطّ أوزار من لا يستغفر الله منها؟ أم كيف تنقى ثياب من لا يغسلها؟ وكيف يبرأ من الخطايا من لا يكفّرها؟ أم كيف ينجو من غرق البحر من يعبر بغير سفينة؟ وكيف ينجو من فتن الدنيا من لم يداوها بالجدّ والاجتهاد؟ وكيف يبلغ من يسافر بغير دليل؟ وكيف يصير إلى الجنّة من لا يبصر معالم الدين؟ وكيف ينال مرضاة الله

من لا يطيعه؟ وكيف يبصر عيب وجهه من لا ينظر في المرآة؟ وكيف يستكمل حبّ خليله من لا يبذل له بعض ما عنده؟ وكيف يستكمل حبّ ربّه من لا يقرضه بعض ما رزقه؟.

بحقّ أقول لكم: إنّه كما لا ينقص البحر أن تغرق فيه السفينة ولا يضرّه ذلك شيئاً كذلك لا تنقصون الله بمعاصيكم شيئاً ولا تضرُّونه بل أنفسكم تضرّون، وإيّاها تنقصون، وكما لا ينقص نور الشمس كثرة من يتقلّب فيها بل به يعيش ويحيى كذلك لا ينقص الله كثرة ما يعطيكم ويرزقكم، بل برزقه تعيشون وبه تحيون، يزيد من شكره إنّه شاكر عليم.

ويلكم يا أجراء السوء الأجر تستوفون، والرزق تأكلون، والكسوة تلبسون، والمنازل تبنون، وعمل من استأجركم تفسدون؟! يوشك ربّ هذا العمل أن يطالعكم فينظر في عمله الّذي أفسدتم فينزل بكم ما يخزيكم، ويأمر برقابكم فتجذّ من أصولها ويأمر بأيديكم فتقطع من مفاصلها، ثمّ يأمر بجثّتكم فتجرّ على بطونها، حتّى توضع على قوارع الطريق، حتّى تكونوا عظة للمتّقين، ونكالاً للظالمين.

ويلكم يا علماء السوء لا تحدّثوا أنفسكم أنّ آجالكم تستأخر من أجل أنّ الموت لم ينزل بكم، فكأنّه قد حلّ بكم فأظعنكم، فمن الآن فاجعلوا الدعوة في آذانكم، ومن الآن فنوحوا على أنفسكم، ومن الآن فابكوا على خطاياكم، ومن الآن فتجهّزوا وخذوا أهبتكم، وبادروا التوبة إلى ربّكم.

بحقّ أقول لكم: إنّه كما ينظر المريض إلى طيب الطعام فلا يلتذّه مع ما يجده من شدّة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذّ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حبّ المال، وكما يلتذّ المريض نعت الطبيب العالم بما يرجو فيه من الشفاء فإذا ذكر مرارة الدواء وطعمه كدر عليه الشفاء كذلك أهل الدنيا يلتذّون ببهجتها وأنواع ما فيها، فإذا ذكروا فجأة الموت كدّرها عليهم وأفسدها.

بحقّ أقول لكم: إنّ كلّ الناس يبصر النجوم ولكن لا يهتدي بها إلّا من يعرف مجاريها ومنازلها، وكذلك تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي لها منكم إلّا من عمل بها. ويلكم يا عبيد الدنيا نقّوا القمح وطيّبوه، وأدقّوا طحنه تجدوا طعمه، ويهنئكم أكله، كذلك فأخلصوا الإيمان وأكملوه تجدوا حلاوته وينفعكم غبّه.

بحقّ أقول لكم: لو وجدتم سراجاً يتوقّد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضأتم به فلم يمنعكم منه ريح قطرانه، كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممّن وجدتموها معه ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها، ويلكم يا عبيد الدنيا لا كحكماء تعقلون، ولا كحلماء تفقهون، ولا كعلماء تعلمون، ولا كعبيد أتقياء، ولا كأحرار كرام، توشك الدنيا أن تقتلعكم من أصولكم فتقلبكم على وجوهكم، ثمّ تكبّكم على مناخركم، ثمّ تأخذ خطاياكم بنواصيكم ويدفعكم العلم من خلفكم حتّى يسلّماكم إلى الملك الديّان عراة فرادى فيجزيكم بسوء أعمالكم.

ويلكم يا عبيد الدنيا أليس بالعلم أعطيتم السلطان على جميع الخلائق فنبذتموه فلم تعملوا به، وأقبلتم على الدنيا فبها تحكمون، ولها تمهّدون، وإيّاها تؤثرون وتعمرون فحتّى متى أنتم للدنيا ليس لله فيكم نصيب؟.

بحقّ أقول لكم: لا تدركون شرف الآخرة إلاّ بترك ما تحبّون، فلا تنتظروا بالتوبة غداً، فإنّ دون غد يوماً وليلة، قضاء الله فيهما يغدو ويروح.

بحقّ أقول لكم: إنّ صغار الخطايا ومحقّراتها لمن مكائد إبليس يحقّرها لكم ويصغّرها في أعينكم، وتجتمع فتكثر وتحيط بكم.

بحقّ أقول لكم: إنّ المدحة بالكذب والتزكية في الدين لمن رأس الشرور المعلومة وإنّ حبّ الدنيا لرأس كلّ خطيئة.

بحقّ أقول لكم: ليس شيء أبلغ في شرف الآخرة وأعون على حوادث الدنيا من الصلاة الدائمة، وليس شيء أقرب إلى الرحمن منها، فدوموا عليها، واستكثروا منها، وكلّ عمل صالح يقرّب إلى الله فالصلاة أقرب إليه وآثر عنده.

بحقّ أقول لكم: إنّ كلّ عمل المظلوم الّذي لم ينتصر بقول ولا فعل ولا حقد هو في ملكوت السماء عظيم، أيّكم رأى نوراً اسمه ظلمة أو ظلمة اسمها نور؟ كذلك لا يجتمع للعبد أن يكون مؤمناً كافراً، ولا مؤثراً للدنيا راغباً في الآخرة، وهل زرّاع شعير يحصد قمحاً؟ أو زرّاع قمح يحصد شعيراً؟ كذلك يحصد كلّ عبد في الآخرة ما زرع، ويجزى بما عمل.

بحقّ أقول لكم: إنّ النّاس في الحكمة رجلان: فرجل أتقنها بقوله وضيّعها بسوء فعله، ورجل أتقنها بقوله وصدّقها بفعله، وشتّان بينهما! فطوبى للعلماء بالفعل، وويل للعلماء بالقول.

بحقّ أقول لكم: من لا ينقّي من زرعه الحشيش يكثر فيه حتّى يغمره فيفسده، وكذلك من لا يخرج من قلبه حبّ الدنيا يغمره حتّى لا يجد لحبّ الآخرة طعماً. ويلكم يا عبيد الدنيا اتّخذوا مساجد ربكم سجوناً لأجسادكم، واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى ولا تجعلوا قلوبكم مأوى للشهوات.

بحقّ أقول لكم: أجزعكم على البلاء لأشدّكم حبّاً للدنيا، وإنّ أصبركم على البلاء لأزهدكم في الدنيا. ويلكم يا علماء السوء ألم تكونوا أمواتاً فأحياكم فلمّا أحياكم متّم؟ ويلكم ألم تكونوا أمّيّين فعلّمكم فلمّا علّمكم نسيتم؟ ويلكم ألم تكونوا جفاة ففقّهكم الله فلمّا فقّهكم جهلتم؟ ويلكم ألم تكونوا ضلاّلاً فهداكم فلمّا هداكم ضللتم؟ ويلكم ألم تكونوا عمياً فبصّركم فلمّا بصّركم عميتم؟ ويلكم ألم تكونوا صمّاً فأسمعكم فلمّا أسمعكم صممتم؟ ويلكم ألم تكونوا بكماً فأنطقكم فلمّا أنطقكم بكمتم؟ ويلكم ألم تستفتحوا فلمّا فتح لكم نكصتم على أعقابكم؟ ويلكم ألم تكونوا أذلّة فأعزّكم فلمّا عززتم قهرتم واعتديتم وعصيتم؟

ويلكم ألم تكونوا مستضعفين في الأرض تخافون أن يتخطّفكم النّاس فنصركم وأيّدكم فلمّا نصركم استكبرتم وتجبّرتم؟ فيا ويلكم من ذلّ يوم القيامة كيف يهينكم ويصغّركم؟ ويا ويلكم يا علماء السوء إنّكم لتعملون عمل الملحدين وتأملون أمل الوارثين وتطمئنّون بطمأنينة الآمنين، وليس أمر الله على ما تتمنّون وتتخيّرون، بل للموت تتوالدون، وللخراب تبنون وتعمرون، وللوارثين تمهّدون.

بحقّ أقول لكم: إنّ موسى كان يأمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين، وأنا أقول: لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين، ولكن قولوا: لا ونعم. يا بني إسرائيل عليكم بالبقل البرّيّ، وخبز الشعير، وإيّاكم وخبز البرّ فإنّي أخاف عليكم أن لا تقوموا بشكره.

بحقّ أقول لكم: إنّ الناس معافى ومبتلى، فاحمدوا الله على العافية، وارحموا أهل البلاء.

بحقّ أقول لكم: إنّ كلّ كلمة سيّئة تقولون بها تعطون جوابها يوم القيامة. يا عبيد السوء إذا قرّب أحدكم قربانه ليذبحه فذكر أنّ أخاه واجد عليه فليترك قربانه وليذهب إلى أخيه فليرضه ثمّ ليرجع إلى قربانه فليذبحه. يا عبيد السوء إذا أُخذ قميص أحدكم فليعط رداءه معه، ومن لطم خدّه منكم فليمكّن من خدّه الآخر ومن سخّر منكم ميلاً فليذهب ميلاً آخر معه.

بحقّ أقول لكم: ماذا يغني عن الجسد إذا كان ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً؟ وما يغني عنكم أجسادكم إذا أعجبتكم وقد فسدت قلوبكم؟ وما يغني عنكم أن تنقّوا جلودكم وقلوبكم دنسة.

بحقّ أقول لكم: لا تكونوا كالمنخل يخرج الدقيق الطيّب ويمسك النخالة، كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغلّ في صدوركم.

بحقّ أقول لكم: ابدؤوا بالشرّ فاتركوه، ثمّ اطلبوا الخير ينفعكم، فإنّكم إذا جمعتم الخير مع الشرّ لم ينفعكم الخير.

بحقّ أقول لكم: إنّ الّذي يخوض النهر لا بدّ أن يصيب ثوبه الماء وإن جهد أن لا يصيبه، كذلك من يحبّ الدنيا لا ينجو من الخطايا.

بحقّ أقول لكم: طوبى للّذين يتهجّدون من اللّيل، أولئك الّذين يرثون النور الدائم من أجل أنّهم قاموا في ظلمة اللّيل على أرجلهم في مساجدهم يتضرّعون إلى ربّهم رجاء أن ينجّيهم في الشدّة غداً.

بحقّ أقول لكم: إنّ الدنيا خلقت مزرعة، يزرع فيها العباد الحلو والمرّ والشرّ والخير، الخير له مغبّة نافعة يوم الحساب، والشرّ له عناء وشقاء يوم الحصاد.

بحقّ أقول لكم: إنّ الحكيم يعتبر بالجاهل، والجاهل يعتبر بهواه، أُوصيكم أن تختموا على أفواهكم بالصمت حتّى لا يخرج منها ما لا يحلّ لكم.

بحقّ أقول لكم: إنّكم لا تدركون ما تأملون إلاّ بالصبر على ما تكرهون، ولا تبلغون ما تريدون إلاّ بترك ما تشتهون.

بحقّ أقول لكم: يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقص شهوته من الدنيا ولا تنقطع منها رغبته.

بحقّ أقول لكم: يا عبيد الدنيا ما الدنيا تحبّون، ولا الآخرة ترجون، لو كنتم تحبّون الدنيا أكرمتم العمل الّذي به أدركتموها، ولو كنتم تريدون الآخرة عملتم عمل من يرجوها.

بحقّ أقول لكم: يا عبيد الدنيا إنّ أحدكم يبغض صاحبه على الظنّ، ولا يبغض نفسه على اليقين، وأقول لكم: إنّ أحدكم ليغضب إذا ذكر له بعض عيوبه وهي حقّ، ويفرح إذا مدح بما ليس فيه.

بحقّ أقول لكم: إنّ أرواح الشياطين ما عمرت في شيء ما عمرت في قلوبكم، وإنّما أعطاكم الله الدنيا لتعملوا فيها للآخرة، ولم يعطكموها لتشغلكم عن الآخرة، وإنّما بسطها لكم لتعلموا أنّه أعانكم بها على العبادة، ولم يعنكم بها على الخطايا، وإنّما أمركم فيها بطاعته، ولم يأمركم فيها بمعصيته، وإنّما أعانكم بها على الحلال ولم يحلّ لكم بها الحرام، وإنّما وسّعها لكم لتواصلوا فيها ولم يوسّعها لكم لتقاطعوا فيها.

بحقّ أقول لكم: إنّ الأجر محروص عليه، ولا يدركه إلاّ من عمل له.

بحقّ أقول لكم: إنّ الشجرة لا تكمل إلاّ بثمرة طيّبة، كذلك لا يكمل الدين إلاّ بالتحرّج عن المحارم.

بحقّ أقول لكم: إنّ الزرع لا يصلح إلاّ بالماء والتراب، كذلك الإيمان لا يصلح إلاّ بالعلم والعمل.

بحقّ أقول لكم: إنّ الماء يطفئ النار، كذلك الحلم يطفئ الغضب.

بحقّ أقول لكم: إنّه لا يجتمع الماء والنار في إناء واحد، كذا لا يجتمع الفقه والغيّ في قلب واحد.

بحقّ أقول لكم: إنّه لا يكون مطر بغير سحاب، كذلك لا يكون عمل في مرضاة الربّ إلاّ بقلب تقيّ.

بحقّ أقول لكم: إنّ النفس نور كلّ شيء، وإنّ الحكمة نور كلّ قلب، والتقوى رأس كلّ حكمة، والحقّ باب كلّ خير، ورحمة الله باب كلّ حقّ، ومفاتيح ذلك الدعاء والتضرّع والعمل، وكيف يفتح باب بغير مفتاح؟!.

بحقّ أقول لكم: إنّ الرجل الحكيم لا يغرس شجرة إلاّ شجرة يرضاها، ولا يحمل على خيله إلاّ فرساً يرضاه، كذلك المؤمن العالم لا يعمل إلاّ عملاً يرضاه ربّه.

بحقّ أقول لكم: إنّ الصقالة تصلح السيف وتجلوه، كذلك الحكمة للقلب تصقله

وتجلوه، وهي في قلب الحكيم مثل الماء في الأرض الميتة تحيي قلبه كما يحيي الماء الأرض الميتة، وهي في قلب الحكيم مثل النور في الظلمة يمشي بها في الناس.

بحقّ أقول لكم: إنّ نقل الحجارة من رؤوس الجبال أفضل من أن تحدّث من لا يعقل عنك حديثك، كمثل الّذي ينقع الحجارة لتلين، وكمثل الّذي يصنع الطعام لأهل القبور. طوبى لمن حبس الفضل من قوله الّذي يخاف عليه المقت من ربّه، ولا يحدّث حديثاً لا يفهمه، ولا يغبط امرءاً في قوله حتّى يستبين له فعله، طوبى لمن تعلّم من العلماء ما جهل، وعلّم الجاهل ممّا علم، طوبى لمن عظّم العلماء لعلمهم وترك منازعتهم وصغّر الجهّال لجهلهم، ولا يطردهم ولكن يقرّبهم ويعلّمهم.

بحقّ أقول لكم: يا معشر الحواريّين إنّكم اليوم في النّاس كالأحياء من الموتى فلا تموتوا بموت الأحياء.

وقال المسيح: يقول الله تبارك وتعالى: يحزن عبدي المؤمن أن أصرف عنه الدنيا وذلك أحبّ ما يكون إليّ وأقرب ما يكون منّي، ويفرح أن أوسّع عليه في الدنيا وذلك أبغض ما يكون إليّ وأبعد ما يكون منّي. والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم تسليماً[1].

بيان: قوله: (فضول) أي فضل علم وكمال. وقوله: (إنّ قلوبكم بحيث تكون كنوزكم) أي قلب كلّ أحد يكون دائماً متعلّقاً بكنزه الّذي يدّخره، فإن كان كنزكم الأعمال الصالحة الّتي تكنزونها في السماء تكون قلوبكم سماويّة، والغرض أنّ تعلّق القلب بكنوز الدنيا وزخارفها لا يجتمع مع حبّه تعالى. قوله: (يطرفون) أي ينظرون ورمقته أرمقه أي نظرت إليه. قوله: (أو يقحل) بالقاف والحاء المهملة، أي ييبس. وتفل كفرح: تغيّرت رائحته. قوله: (أمل الوارثين) أي الّذين يرثون الفردوس. قوله: (ومن سخّر) على بناء المجهول من باب التفعيل، والتسخير هو التكليف والحمل على العمل بغير أجرة. قوله: (والجاهل يعتبر) لعلّه على بناء المجهول، ويحتمل المعلوم أيضاً، أي بعدما يتّبع هواه ويجد سوء عاقبته يعتبر به. وقال الجزريّ: فيه: تحرّجوا أن يأكلوا معهم، أي ضيّقوا على أنفسهم، وتحرّج فلان: إذا فعل فعلاً يخرج به من الحرج أي الإثم والضيق.

أقول: قال السيّد ابن طاوس رحمه الله في سعد السعود: قرأت في الإنجيل: قال عيسى عليه السلام: سمعتم ما قيل للأوّلين لا تزنوا، وأنا أقول لكم: إنّ من نظر إلى امرأة فاشتهاها فقد زنى بها في قلبه. إن خانتك عينك اليمنى فاقلعها وألقها عنك، لأنّه خير لك أن تهلك أحد أعضائك ولا تلقي جسدك كلّه في نار جهنّم، وإن شكّكتك يدك اليمنى فاقطعها وألقها عنك فإنّه خير لك أن تهلك أحد أعضائك من أن يذهب كلُّ جسدك في جهنّم.

(١) تحف العقول، ص ٣٧٢.

وفي موضع آخر: قال عليه السلام: أقول لكم: لا تهتمّوا ماذا تأكلون، ولا ماذا تشربون، ولا لأجسادكم ما تلبس، أليس النفس أفضل من المأكل؟ والجسد أفضل من اللّباس؟ انظروا إلى طيور السماء الّتي لا تزرع ولا تحصد ولا تحزن، وربّكم السماويّ يقوتها، أليس أنتم أفضل منهم؟ من منكم يهتمّ فيقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة؟ فلماذا تهتمّون باللّباس؟[١].

وقال عليه السلام في موضع آخر: أيّ إنسان منكم يسأله ابنه خبزاً فيعطيه حجراً؟ أو يسأله شملة فيعطيه حيّة؟ فإذا كنتم أنتم الأشرار تعرفون تعطون العطايا الصالحة لأبنائكم فكان بالأحرى ربّكم أن يعطيكم الخيرات لمن يسأله.

وفي موضع آخر: قال واحد من تلاميذه: ائذن لي أوّلاً يا سيّدي أن أمضي فأواري أبي، فقال له عيسى عليه السلام: دع الموتى يدفنون موتاهم واتّبعني[٢].

١٧ - **لي:** أبي، عن سعد، عن ابن هاشم، عن الدهقان، عن درست، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: من كثر همّه سقم بدنه، ومن ساء خلقه عذّب نفسه، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر كذبه ذهب بهاؤه، ومن لاحى الرجال ذهبت مروءته[٣].

١٨ - **لي:** أبي، عن سعد، عن ابن هاشم، عن ابن مرّار، عن يونس، عن ابن أسباط، عن البطائنيّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى عيسى بن مريم عليه السلام: يا عيسى ما أكرمت خليقة بمثل ديني، ولا أنعمت عليها بمثل رحمتي، اغسل بالماء منك ما ظهر، وداو بالحسنات ما بطن، فإنّك إليّ راجع، فشمّر فكلّ ما هو آت قريب، وأسمعني منك صوتاً حزيناً[٤].

١٩ - **فس:** أبي، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود رفعه إلى عليّ بن الحسين عليه السلام قال: مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولمّا عملتم بما علمتم فإنّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد من الله إلاّ بعداً. الخبر[٥].

٢٠ - **ل:** أبي، عن سعد، عن الإصبهانيّ، عن المنقريّ، عن سفيان بن عيينة، عن الزهريّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال المسيح عليه السلام للحواريّين: إنّما الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها[٦].

٢١ - **ل:** ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان عن زياد بن المنذر، عن ابن طريف، عن ابن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال عيسى ابن

---

(١) - (٢) سعد السعود، ص ٥٥-٥٦.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٤٣٦ مجلس ٨١ ح ٣.
(٤) أمالي الصدوق، ص ٤٨٤ مجلس ٨٨ ح ٧.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣١.
(٦) الخصال، ص ٦٥ باب الأثنين ح ٩٥.

مريم عليه السلام : الدينار داء الدين، والعالم طبيب الدين، فإذا رأيتم الطبيب يجرُّ الداء إلى نفسه فاتّهموه، واعلموا أنّه غير ناصح لغيره[١].

٢٢ - ل: ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن هاشم، عن ابن ميمون، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام : طوبى لمن كان صمته فكراً، ونظره عبراً، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته، وسلم الناس من يده ولسانه[٢].

٢٣ - ما: المفيد، عن الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب عن ابن أسباط، عن البطائنيّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله إلى عيسى ابن مريم عليه السلام : يا عيسى هب لي من عينيك الدموع، ومن قلبك الخشوع، واكحل عينيك بميل الحزن إذا ضحك البطّالون، وقم على قبور الأموات فنادهم بالصوت الرفيع لعلّك تأخذ موعظتك منهم، وقل: إنّي لاحق في اللاّحقين[٣].

٢٤ - ما: المفيد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفّار، عن القاسانيّ، عن الإصبهانيّ، عن المنقريّ، عن حفص قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال عيسى بن مريم عليه السلام لأصحابه: تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للآخرة ولا ترزقون فيها إلاّ بالعمل، ويلكم علماء السوء! الأجرة تأخذون والعمل لا تصنعون يوشك ربّ العمل أن يطلب عمله، وتوشكوا أن تخرجوا من الدنيا إلى ظلمة القبر، كيف يكون من أهل العلم من مصيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه؟ وما يضرّه أشهى إليه ممّا ينفعه[٤].

٢٥ - ع: بإسناد العمريّ، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: مرّ أخي عيسى عليه السلام بمدينة وفيها رجل وامرأة يتصايحان فقال: ما شأنكما؟ قال: يا نبيّ الله هذه امرأتي وليس بها بأس، صالحة، ولكنّي أحبّ فراقها، قال: فأخبرني على كلّ حال ما شأنها؟ قال: هي خلقة الوجه من غير كبر، قال لها: يا امرأة أتحبّين أن يعود ماء وجهك طريّاً؟ قالت: نعم، قال لها: إذا أكلت فإيّاك أن تشبعي لأنّ الطعام إذا تكاثر على الصدر فزاد في القدر ذهب ماء الوجه، ففعلت ذلك فعاد وجهها طريّاً[٥].

٢٦ - وقال صلى الله عليه وآله : مرّ أخي عيسى عليه السلام بمدينة وإذا في ثمارها الدود، فشكوا إليه ما بهم، فقال: دواء هذا معكم وليس تعلمون، أنتم قوم إذا غرستم الأشجار صببتم التراب ثمّ صببتم الماء، وليس هكذا يجب، بل ينبغي أن تصبّوا الماء في أصول الشجر ثمّ تصبّوا التراب لكيلا يقع فيه الدود؛ فاستأنفوا كما وصف فذهب ذلك عنهم[٦].

---

(١) الخصال، ص ١١٣ باب الثلاثة، ح ٩١.
(٢) الخصال، ص ٢٩٥ باب الخمسة، ح ٦١.
(٣) أمالي الطوسي، ص ١٢ مجلس ١ ح ١٥.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٢٠٨ مجلس ٨ ح ٣٥٦.
(٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢١١ باب ٢٥٢ ح ١.
(٦) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٩٧ باب ٣٧٦ ح ١.

٢٧ - وقال ﷺ: مرّ أخي عيسى عليه السلام بمدينة وإذا وجوههم صفر، وعيونهم زرق، فصاحوا إليه وشكوا ما بهم من العلل، فقال: دواؤه معكم، أنتم إذا أكلتم اللّحم طبختموه غير مغسول، وليس يخرج شيء من الدنيا إلاّ بجنابة، فغسلوا بعد ذلك لحومهم فذهبت أمراضهم[١].

٢٨ - وقال: مرّ أخي عيسى عليه السلام بمدينة وإذا أهلها أسنانهم منتثرة، ووجوههم منتفخة، فشكوا إليه، فقال: أنتم إذا نمتم تطبقون أفواهكم فتغلي الريح في الصدور حتّى تبلغ إلى الفم، فلا يكون لها مخرج، فتردّ إلى أصول الأسنان فيفسد الوجه، فإذا نمتم فافتحوا شفاهكم وصيّروه لكم خلقاً، ففعلوا فذهب ذلك عنهم[٢].

٢٩ - **مع**: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن عليّ بن حديد، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام في خطبة قام فيها في بني إسرائيل: أصبحت فيكم وإدامي الجوع، وطعامي ما تنبت الأرض للوحوش والأنعام، وسراجي القمر، وفراشي التراب، ووسادتي الحجر، ليس لي بيت يخرب، ولا مال يتلف، ولا ولد يموت، ولا امرأة تحزن، أصبحت وليس لي شيء، وأمسيت وليس لي شيء وأنا أغنى ولد آدم[٣].

٣٠ - **مع**: أبي، عن محمّد العطّار، عن محمّد بن الحسين، عن أحمد بن سهل الأزديّ العابد قال: سمعت أبا فروة الأنصاريّ - وكان من السائحين - يقول: قال عيسى بن مريم عليه السلام يا معشر الحواريّين بحقّ أقول لكم: إنّ الناس يقولون: إنّ البناء بأساسه، وأنا لا أقول لكم كذلك، قالوا: فماذا تقول يا روح الله؟ قال: بحقّ أقول لكم: إنّ آخر حجر يضعه العامل هو الأساس، قال أبو فروة: إنّما أراد خاتمة الأمر[٤].

٣١ - **ما**: جماعة، عن أبي المفضّل بإسناده عن شقيق البلخيّ، عمّن أخبره من أهل العلم قال: قيل لعيسى بن مريم عليه السلام: كيف أصبحت يا روح الله؟ قال: أصبحت وربّي تبارك وتعالى من فوقي، والنار أمامي، والموت في طلبي، لا أملك ما أرجو، ولا أُطيق دفع ما أكره، فأيّ فقير أفقر منّي؟! الخبر[٥].

٣٢ - **مع**: أبي، عن محمّد العطّار، عن يعقوب بن يزيد، عن محمّد بن عمرو، عن صالح ابن سعيد، عن أخيه سهل الحلوانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا عيسى بن مريم في سياحته إذ مرّ بقرية فوجد أهلها موتى في الطريق والدور، قال: فقال: إنّ هؤلاء ماتوا بسخطة، ولو ماتوا بغيرها تدافنوا، قال: فقال أصحابه: وددنا أنّا عرفنا قصّتهم، فقيل له: نادهم يا روح الله، قال: فقال: يا أهل القرية، قال: فأجابه مجيب منهم: لبّيك يا روح الله،

---

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٩٨ باب ٣٧٧ ح ١.

(٣) معاني الأخبار، ص ٢٥٢. (٤) معاني الأخبار، ص ٣٤٨.

(٥) أمالي الطوسي، ص ٦٤٠ مجلس ٣٢ ح ١٣٢٢.

قال: ما حالكم؟ وما قصّتكم؟ قال: أصبحنا في عافية وبتنا في الهاوية، قال: فقال: وما الهاوية؟ فقال: بحار من نار، فيها جبال من النار، قال: وما بلغ بكم ما أرى؟ قال: حبّ الدنيا وعبادة الطاغوت، قال: وما بلغ من حبّكم الدنيا؟ قال: كحبّ الصبيّ لأمّه، إذا أقبلت فرح وإذا أدبرت حزن، قال: وما بلغ من عبادتكم الطواغيت؟ قال: كانوا إذا أمرونا أطعناهم، قال: فكيف أنت أجبتني من بينهم؟ قال: لأنّهم ملجمون بلجم من نار عليهم ملائكة غلاظ شداد، وإنّي كنت فيهم ولم أكن منهم، فلمّا أصابهم العذاب أصابني معهم، فأنا متعلّق بشعرة على شفير جهنّم، أخاف أن أكبكب في النار، قال: فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: إنّ النوم على المزابل وأكل خبز الشعير خير كثير مع سلامة الدين(١).

٣٣ - **ص،** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى ابن أورمة، عن عيسى بن العبّاس، عن محمّد بن عبد الكريم التفليسيّ، عن عبد المؤمن بن محمّد رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوحى الله تعالى جلّت عظمته إلى عيسى عليه السلام جدّ في أمري ولا تترك، إنّي خلقتك من غير فحل آية للعالمين، أخبرهم آمنوا بي وبرسولي النبيّ الأمّيّ، نسله من مباركة، وهي مع أمّك في الجنّة، طوبى لمن سمع كلامه، وأدرك زمانه، وشهد أيّامه، قال عيسى: يا ربّ وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنّة تحتها عين، من شرب منها شربة لم يظمأ بعدها أبداً، قال عيسى: يا ربّ اسقني منها شربة، قال: كلاّ يا عيسى إنّ تلك العين محرّمة على الأنبياء حتّى يشربها ذلك النبيّ، وتلك الجنّة محرّمة على الأمم حتّى يدخلها أمّة ذلك النبيّ(٢).

٣٤ - **ص،** الصدوق بإسناده عن ابن سنان قال: قال الصادق عليه السلام: قال عيسى ابن مريم عليه السلام لجبرئيل متى قيام الساعة؟ فانتفض جبرئيل انتفاضة أغمي عليه منها فلمّا أفاق قال: يا روح الله ما المسؤول أعلم بها من السائل، وله من [في] السماوات والأرض لا تأتيكم إلّا بغتة، وقال الحواريّون لعيسى: يا معلّم الخير علّمنا أيّ الأشياء أشدّ؟ قال: أشدّ الأشياء غضب الله، قالوا: فبما يتّقى غضب الله؟ قال: بأن لا تغضبوا، قالوا: وما بدء الغضب؟ قال: الكبر والتجبّر ومحقرة الناس(٣).

٣٥ - **ختص،** الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن عليّ، عن أبيه، عن البزنطيّ، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي الربيع الشاميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام قال: داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه، فقيل: يا روح الله وما الأحمق؟ قال: المعجب برأيه ونفسه، الّذي يرى الفضل كلّه له لا عليه، ويوجب الحقّ كلّه لنفسه ولا يوجب عليها حقّاً، فذلك الأحمق الّذي لا حيلة في مداواته(٤).

---

(١) معاني الأخبار، ص ٣٤١. (٢) - (٣) قصص الأنبياء، ص ٢٧١.
(٤) الاختصاص، ص ٢٢١.

٣٦ - ص: بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن ابن سنان، عن البزنطيّ، عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام قال إنّ عيسى عليه السلام مرّ بقوم مجلبين فسأل عنهم، فقيل: بنت فلان تهدى إلى بيت فلان، فقال: صاحبتهم ميّتة من ليلتهم، فلمّا كان من الغد قيل: إنّها حيّة، فذهب مع الناس إلى دارها، فخرج زوجها، فقال له: سل زوجتك ما فعلت البارحة من الخير؟ فقالت: ما فعلت شيئاً إلاّ أنّ سائلاً كان يأتيني كلّ ليلة جمعة فيما مضى، وإنّه جاءنا ليلتنا فهتف فلم يجب، فقال: عزّ عليّ أنّها لا تسمع صوتي وعيالي يبقون اللّيلة جياعاً، فقمت متنكّرة فأنلته مقدار ما كنت أُنيله فيما مضى، قال عيسى عليه السلام: تنحّي عن مجلسك، فتنحّت فإذا تحت ثيابها أفعى عاضّ على ذنبه، فقال: بما تصدّقت صرف عنك هذا(١).

٣٧ - جا: أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار عن رجل، عن واصل بن سليمان، عن ابن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان المسيح عليه السلام يقول لأصحابه: إن كنتم أحبّائي وإخواني فوطّنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الناس، فإن لم تفعلوا فلستم بإخواني، إنّما أُعلّمكم لتعملوا، ولا أُعلّمكم لتعجبوا، إنّكم لن تنالوا ما تريدون إلاّ بترك ما تشتهون، وبصبركم على ما تكرهون، وإيّاكم والنظرة فإنّها تزرع في قلب صاحبها الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة.

يا طوبى لمن يرى بعينيه الشهوات ولم يعمل بقلبه المعاصي، ما أبعد ما قد فات وأدنى ما هو آت! ويل للمغترّين لو قد آزفهم ما يكرهون، وفارقهم ما يحبّون، وجاءهم ما يوعدون، في خلق هذا اللّيل والنهار معتبر، ويل لمن كانت الدنيا همّه، والخطايا عمله، كيف يفتضح غداً عند ربّه؟ ولا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فإنّ الّذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون، لا تنظروا إلى عيوب الناس كأنّكم رتايا عليهم، ولكن انظروا في خلاص أنفسكم فإنّما أنتم عبيد مملوكون، إلى كم يسيل الماء على الجبل لا يلين؟! إلى كم تدرسون الحكمة لا يلين عليها قلوبكم؟! عبيد السوء فلا عبيد أتقياء، ولا أحرار كرام، إنّما مثلكم كمثل الدفلى يعجب بزهرها من يراها، ويقتل من طعمها. والسلام(٢).

بيان: قال الفيروزآباديّ: الدفلى بالكسر وكذكرى: نبت مرّ فارسيّته: «خر زهره» قتّال، زهره كالورد الأحمر، وحمله كالخرنوب.

٣٨ - عدة: قال عيسى عليه السلام: بحقّ أقول لكم: كما نظر المريض إلى الطعام فلا يلتذّ به من شدّة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذّ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجده من حلاوة الدنيا.

بحقّ أقول لكم: كما أنّ الدابّة إذا لم تركب وتمتهن تصعّبت وتغيّر خلقها كذلك القلوب إذا لم ترقّق بذكر الموت وبنصب العبادة تقسو وتغلظ.

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٧١.
(٢) أمالي المفيد، ص ٢٠٨.

وبحقّ أقول لكم: إنّ الزقّ إذا لم ينخرق يوشك أن يكون وعاء العسل، كذلك القلوب إذا لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسها النعيم فسوف تكون أوعية الحكمة(١).

٣٩ - وعن الصادق عليه‌السلام قال: في الإنجيل إنّ عيسى عليه‌السلام قال: اللّهم ارزقني غدوة رغيفاً من شعير، وعشيّة رغيفاً من شعير، ولا ترزقني فوق ذلك فأطغى(٢).

٤٠ - نبه: أوحى الله إلى عيسى عليه‌السلام: أن كن للناس في الحلم كالأرض تحتهم، وفي السخاء كالماء الجاري، وفي الرحمة كالشمس والقمر فإنّهما يطلعان على البرّ والفاجر(٣).

٤١ - وقال عليه‌السلام: من ذا الّذي يبني على موج البحر داراً؟ تلكم الدنيا فلا تتّخذوها قراراً(٤).

٤٢ - وصنع عيسى عليه‌السلام للحواريّين طعاماً، فلمّا أكلوا وضّأهم بنفسه، قالوا: يا روح الله نحن أولى أن نفعله منك، قال: إنّما فعلت هذا لتفعلوه بمن تعلّمون(٥).

٤٣ - وقال عليه‌السلام: هول لا تدري متى يغشاك لمَ لا تستعدّ له قبل أن يفجاك(٦).

٤٤ - وقيل له عليه‌السلام: من أدّبك؟ قال: ما أدّبني أحد، رأيت قبح الجهل فجانبته(٧).

٤٥ - وقال عليه‌السلام: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود لم يره(٨).

٤٦ - وروي أنه عليه‌السلام مرّ مع الحواريّين على جيفة، فقال الحواريّون: ما أنتن ريح هذا الكلب! فقال عيسى عليه‌السلام: ما أشدّ بياض أسنانه!(٩).

٤٧ - وقال عليه‌السلام: لا تتّخذوا الدنيا ربّاً فتتّخذكم عبيداً، اكنزوا كنزكم عند من لا يضيّعه، فإنّ صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة(١٠).

٤٨ - وقال عليه‌السلام: يا معشر الحواريّين إنّي قد أكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي، فإنّ من خبث الدنيا أن عصي الله فيها، وإنّ من خبث الدنيا أنّ الآخرة لا تدرك إلاّ بتركها، فاعبروا الدنيا ولا تعمروها، واعلموا أنّ أصل كلّ خطيئة حبّ الدنيا، وربّ شهوة أورثت أهلها حزناً طويلاً(١١).

٤٩ - وقال عليه‌السلام: إنّي بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها، فلا ينازعنكم فيها إلاّ الملوك والنساء، فأمّا الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنّهم لم يتعرّضوا لكم ما تركتم دنياهم، وأمّا النساء فاتّقوهنّ بالصوم والصلاة(١٢).

٥٠ - وقال عليه‌السلام: لا يستقيم حبّ الدنيا والآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد(١٣).

---

(١) عدة الداعي، ص ١٠٦.
(٢) عدة الداعي، ص ١١٥.
(٣) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ٨٠.
(٤) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ١٣٣.
(٥) - (٨) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ٨٣ و٨٦ و٩٦.
(٩) - (١٣) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ١١٧ ـ ١٤٦.

٥١ - وقيل له عليه السلام: لو اتّخذت بيتاً، قال: يكفينا خلقان من كان قبلنا[١].

٥٢ - وروي أنّ عيسى عليه السلام اشتدّ به المطر والرعد يوماً، فجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه، فرفعت له خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها، فإذ هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال: إلهي لكلّ شيء مأوى، ولم تجعل لي مأوى، فأوحى الله تعالى إليه: مأواك في مستقرّ رحمتي، وعزّتي لأزوّجنّك يوم القيامة مائة حوريّة خلقتها بيدي، ولأطعمنّ في عرسك أربعة آلاف عام، يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرنّ منادياً ينادي: أين الزهّاد في الدنيا؟ احضروا عرس الزاهد عيسى بن مريم[٢].

٥٣ - وقال عيسى: ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها، ويأمنها وتغرّه، ويثق بها وتخذله، ويل للمغترّين كيف رهقهم ما يكرهون؟ وفارقهم ما يحبّون؟ وجاءهم ما يوعدون؟ وويل لمن الدنيا همّه، والخطايا أمله، كيف يفتضح غداً عند الله؟[٣].

٥٤ - وقيل لعيسى عليه السلام: علّمنا عملاً واحداً يحبّنا الله عليه، قال: أبغضوا الدنيا يحببكم الله[٤].

٥٥ - وروي أنّ عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء، عليها من كلّ زينة، فقال لها: كم تزوّجت؟ فقالت: لا أُحصيهم، قال: وكلّهم مات عنك أو كلّهم طلّقك؟ قالت: بل كلّهم قتلت، فقال عيسى عليه السلام: بؤساً لأزواجك الباقين كيف تهلكيهم واحداً واحداً ولم يكونوا منك على حذر[٥].

بيان: قال الفيروزآباديّ: هتم كفرح: انكسرت ثناياه من أُصولها فهو أهتم.

٥٦ - **نبه:** أوحى الله تعالى إلى عيسى: إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك[٦].

٥٧ - وقيل: بينما عيسى بن مريم عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة ويثير الأرض، فقال عيسى عليه السلام: اللّهمّ انزع منه الأمل، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة، فقال عيسى: اللّهمّ اردد إليه الأمل، فقام فجعل يعمل، فسأله عيسى عن ذلك فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير؟ فألقيت المسحاة واضطجعت، ثمّ قالت لي نفسي: والله لا بدّ لك من عيش ما بقيت، فقمت إلى مسحاتي[٧].

٥٨ - وقال عليه السلام: بماذا نفع امرؤ نفسه؟ باعها بجميع ما في الدنيا ثمّ ترك ما باعها به ميراثاً لغيره وأهلك نفسه، ولكن طوبى لامرئ خلص نفسه واختارها على جميع الدنيا[٨].

٥٩ - وروي أنّه عليه السلام ذمّ المال وقال: فيه ثلاث خصال، فقيل: وما هنّ يا روح الله؟

---

(١) - (٥) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ١١٧-١٤٦. (٦) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ٢٠٢.
(٧) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ٢٧٢. (٨) تنبيه الخواطر، ج ٢ ص ١٥٥-٢٤٩.

قال: يكسبه المرء من غير حلّه، وإن هو كسبه من حلّه منعه من حقّه، وإن هو وضعه في حقّه شغله إصلاحه عن عبادة ربّه[١].

٦٠ - وكان عليه السلام إذا مرّ بدار قد مات أهلها وخلّف فيها غيرهم يقول: ويحاً لأربابك الّذين ورثوك كيف لم يعتبروا بإخوانهم الماضين[٢].

٦١ - وكان يقول: يا دار تخربين وتفنى سكّانك، ويا نفس اعملي ترزقي، ويا جسد انصب تسترح[٣].

٦٢ - وكان عليه السلام يقول: يا ابن آدم الضعيف اتّق ربّك، وألق طمعك، وكن في الدنيا ضعيفاً، وعن شهوتك عفيفاً، عوّد جسمك الصبر، وقلبك الفكر، ولا تحبس لغد رزقاً فإنّها خطيئة عليك، وأكثر حمد الله على الفقر فإنّ من العصمة أن لا تقدر على ما تريد[٤].

٦٣ - وقال عليه السلام: النوم على المزابل وأكل كسر خبز الشعير في طلب الفردوس يسير[٥].

٦٤ - وكان عليه السلام يقول: يا معشر الحواريّين تحبّبوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقرّبوا إلى الله بالتباعد منهم، والتمسوا رضاه بسخطهم[٦].

٦٥ - وقال عليه السلام لأصحابه: استكثروا من الشيء الّذي لا تأكله النار، قالوا: وما هو؟ قال: المعروف[٧].

٦٦ - **ين**: ابن المغيرة، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تمثّلت الدنيا لعيسى عليه السلام في صورة امرأة زرقاء، فقال لها: كم تزوّجت؟ قالت: كثيراً، قال: فكلّ طلّقك؟ قالت: بل كلّاً قتلت، قال: فويح أزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين[٨]؟

٦٧ - **ين**: فضالة، عن السكونيّ، عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام قال: كان عيسى عليه السلام يقول: هول لا تدري متى يلقاك ما يمنعك أن تستعدّ له قبل أن يفجأك[٩]؟

٦٨ - **كا**: عليّ، عن أبيه، وعليّ بن محمّد جميعاً، عن الإصفهانيّ، عن المنقريّ، عن حفص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عيسى عليه السلام: اشتدّت مؤونة الدنيا ومؤونة الآخرة، أمّا مؤونة الدنيا فإنّك لا تمدّ يدك إلى شيء منها إلّا وجدت فاجراً قد سبقك إليها، وأمّا مؤونة الآخرة فإنّك لا تجد أعواناً يعينونك عليها[١٠].

٦٩ - **كا**: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن الحسن بن طريف، عن أبيه، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام: من كثر كذبه ذهب بهاؤه[١١].

---

(١) - (٧) تنبيه الخواطر، ج ٢ ص ١٥٥-٢٤٩. (٨) الزهد، ص ١١٦ باب ٨ ح ٩.

(٩) الزهد، ص ١٥٢ باب ١٤ ح ١١. (١٠) روضة الكافي، ص ٧٤٢ ح ١١٢.

(١١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٠٧ باب الكذب، ح ١٢.

٧٠ - **كا**: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، وعدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن أبي العبّاس الكوفيّ جميعاً عن عمرو بن عثمان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اجتمع الحواريّون إلى عيسى عليه السلام فقالوا له: يا معلّم الخير أرشدنا، فقال لهم: إنّ موسى كليم الله عليه السلام أمركم أن لا تحلفوا بالله تبارك وتعالى كاذبين، وأنا آمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين، قالوا: يا روح الله زدنا، فقال: إنّ موسى نبيّ الله عليه السلام أمركم أن لا تزنوا، وأنا آمركم أن لا تحدّثوا أنفسكم بالزنا فضلاً عن أن تزنوا، فإنّ من حدّث نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوّق فأفسد التزاويق الدخان وإن لم يحترق البيت[1].

٧١ - **كا**: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد البرقيّ، عن شريف بن سابق، عن الفضل بن أبي قرّة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قالت الحواريّون لعيسى: يا روح الله من نجالس؟ قال: من يذكّركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله[2].

٧٢ - **كا**: حميد بن زياد، عن الخشّاب، عن ابن بقاح، عن معاذ بن ثابت، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فإنّ الّذين يكثرون الكلام قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون[3].

٧٣ - **ج، يد، ن**: عن الحسن بن محمّد النوفليّ في خبر طويل يذكر فيه احتجاج الرضا عليه السلام على أرباب الملل، قال: قال الرضا عليه السلام للجاثليق: يا نصرانيّ هل تعرف في الإنجيل قول عيسى عليه السلام: إنّي ذاهب إلى ربّكم وربّي، والبارقليطا جائي، هو الّذي يشهد لي بالحقّ كما شهدت له، وهو الّذي يفسّر لكم كلّ شيء، وهو الّذي يبدي فضائح الأمم، وهو الّذي يكسر عمود الكفر؟ فقال الجاثليق: ما ذكرت شيئاً في الإنجيل إلاّ ونحن مقرّون به، فقال: أتجد هذا في الإنجيل ثابتاً؟ قال: نعم. قال الرضا عليه السلام: يا جاثليق ألا تخبرني عن الإنجيل الأوّل حين افتقدتموه عند من وجدتموه ومن وضع لكم هذا الإنجيل؟ قال له: ما افتقدنا الإنجيل إلّا يوماً واحداً حتّى وجدناه غضّاً طريّاً فأخرجه إلينا يوحنّا ومتّى، فقال له الرضا عليه السلام: ما أقلّ معرفتك بسرّ الإنجيل وعلمائه! فإن كان هذا كما تزعم فلمَ اختلفتم في الإنجيل؟ وإنّما وقع الاختلاف في هذا الإنجيل الّذي في أيديكم اليوم، فلو كان على العهد الأوّل لم تختلفوا فيه، ولكنّي مفيدك علم ذلك:

اعلم أنّه لمّا افتقد الإنجيل الأوّل اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم: قتل عيسى

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٨٧٨ باب ٣٧٥ ح ٧.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦ باب مجالسة العلماء، ح ٣.

(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٩٤ باب الصمت وحفظ اللسان ح ١١.

ابن مريم وافتقدنا الإنجيل وأنتم العلماء فما عندكم؟ فقال لهم الوقا ومرقابوس: إنّ الإنجيل في صدورنا ونحن نخرجه إليكم سفراً سفراً في كلّ أحد، فلا تحزنوا عليه ولا تخلّوا الكنائس، فإنّا سنتلوه عليكم في كلّ أحد سفراً سفراً حتّى نجمعه كلّه، فقعد الوقا ومرقابوس ويوحنّا ومتّى فوضعوا لكم هذا الإنجيل بعدما افتقدتم الإنجيل الأوّل، وإنّما كان هؤلاء الأربعة تلاميذاً لتلاميذ الأوّلين، أعلمت ذلك؟ قال الجاثليق: أمّا هذا فلم أعلمه وقد علمته الآن، وقد بان لي من فضل علمك بالإنجيل وسمعت أشياء ممّا علمته شهد قلبي أنّها حقّ، فاستزدت كثيراً من الفهم فقال له الرضا عليه السلام: فكيف شهادة هؤلاء عندك؟ قال: جائزة، هؤلاء علماء الإنجيل، وكلّ ما شهدوا به فهو حقّ، فقال الرضا عليه السلام للمأمون ومن حضره من أهل بيته: اشهدوا عليه، قالوا: قد شهدنا؛ ثمّ قال للجاثليق: بحقّ الابن وأمّه هل تعلم أنّ متّى قال: إن المسيح هو داود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب بن يهوذا بن خضرون؟ وقال مرقابوس في نسبة عيسى بن مريم: إنه كلمة الله أحلها في الجسد الآدمي فصارت إنسانا؟ وقال لوقا: «إنّ عيسى بن مريم وأمّه كانا إنسانين من لحم ودم، فدخل فيهما روح القدس؟» ثمّ إنّك تقول من شهادة عيسى عليه السلام على نفسه: «حقاً أقول لكم: إنّه لا يصعد إلى السماء إلاّ من نزل منها إلاّ راكب البعير خاتم الأنبياء، فإنّه يصعد إلى السماء وينزل» فما تقول في هذا القول؟ قال الجاثليق: هذا قول عيسى لا ننكره، قال الرضا عليه السلام: فما تقول في شهادة الوقا ومرقابوس ومتّى على عيسى وما نسبوه إليه؟ قال الجاثليق: كذبوا على عيسى، قال الرضا عليه السلام: يا قوم أليس قد زكّاهم وشهد أنّهم علماء الإنجيل وقولهم حقّ؟ فقال الجاثليق: يا عالم المسلمين أحبّ أن تعفيني من أمر هؤلاء - وساق الحديث إلى أن قال عليه السلام لرأس الجالوت -: في الإنجيل مكتوب: إنّ ابن البرّة ذاهب، والبارقليطا جائي من بعده، وهو يخفّف الآصار، ويفسّر لكم كلّ شيء، ويشهد لي كما شهدت لكم، أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل، أتؤمن بهذا في الإنجيل؟ قال: نعم[1].

٢٢ - باب تفسير الناقوس

١ - **لي، مع:** صالح بن عيسى العجليّ، عن محمّد بن عليّ الفقيه، عن أبي نصر الشعرانيّ، عن سلمة بن الوضّاح، عن أبيه، عن أبي إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عاصم ابن ضمرة، عن الحارث الأعور قال: بينا أنا أسير مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الحيرة إذا نحن بديرانيّ يضرب بالناقوس، قال: فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: يا حارث أتدري ما يقول هذا الناقوس؟ قلت: الله ورسوله وابن عمّ رسوله أعلم، قال: إنّه يضرب مثل الدنيا وخرابها ويقول: لا إله إلاّ الله حقّاً حقّاً، صدقاً صدقاً، إنّ الدنيا قد غرّتنا،

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٢٠، التوحيد، ص ٤٢٤، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٤٥ باب ١٢ ح ١.

وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا، يا ابن الدنيا مهلاً مهلاً ، يا ابن الدنيا دقاً دقاً، يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً، تفنى الدنيا قرناً قرناً، ما من يوم يمضي عنّا إلّا أوهى منّا ركناً، قد ضيّعنا داراً تبقى واستوطنّا داراً تفنى، لسنا ندري ما فرّطنا فيها إلاّ لو قد متنا.

قال الحارث: يا أمير المؤمنين النصارى يعلمون ذلك؟ قال: لو علموا ذلك لما اتّخذوا المسيح إلهاً من دون الله عزّوجلّ ، قال: فذهبت إلى الديرانيّ فقلت له: بحقّ المسيح عليك لمّا ضربت بالناقوس على الجهة الّتي تضربها، قال: فأخذ يضرب وأنا أقول حرفاً حرفاً حتّى بلغ إلى قوله: إلاّ لو قد متنا، فقال: بحقّ نبيكم من أخبرك بهذا؟ قلت: هذا الرجل الّذي كان معي أمس، قال: وهل بينه وبين النبيّ من قرابة؟ قلت: هو ابن عمّه، قال: بحقّ نبيكم أسمع هذا من نبيّكم؟ قال: قلت: نعم، فأسلم، ثمّ قال لي: والله إنّي وجدت في التوراة أنّه يكون في آخر الأنبياء نبيّ وهو يفسّر ما يقول الناقوس[1].

٢٣ - باب رفعه إلى السماء

الآيات؛ آل عمران «٣»: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

النساء «٤»: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾.

١ - **لي:** بإسناده عن حبيب بن عمرو قال: لمّا توفّي أمير المؤمنين عليه السلام قام الحسن عليه السلام خطيباً فقال: أيّها الناس في هذه اللّيلة رفع عيسى بن مريم. الخبر[2].

٢ - **د:** في ليلة إحدى وعشرين من رمضان رفع عيسى بن مريم عليه السلام [3].

٣ - **ك:** بإسناده عن أبي رافع، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لمّا ملك اسبخ بن أشكان وملك مائتين وستّاً وستّين سنة ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عزّوجلّ عيسى ابن مريم عليه السلام واستودعه النور والعلم والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله، وزاده الإنجيل وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الإيمان بالله ورسوله فأبى أكثرهم إلاّ طغياناً وكفراً، وأتى بيت المقدس فمكث يدعوهم ويرغّبهم فيما عند الله ثلاثة

---

(١) أمالي الصدوق، ص ١٨٧ مجلس ٤٠ ح ٣، معاني الأخبار، ص ٢٣١.

(٢) أمالي الصدوق، ص ٢٦٢ مجلس ٥٢ ح ٢. (٣) العدد القوية، ص ٢٣٥

وثلاثين سنة حتّى طلبته اليهود وادّعت أنّها عذّبته ودفنته في الأرض حيّاً وادّعى بعضهم أنّهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه، وإنّما شبّه لهم وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبه لقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فلم يقدروا على قتله وصلبه لأنّهم لو قدروا على ذلك كان تكذيباً لقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ بعد أن توفّاه، فلمّا أراد أن يرفعه أوحى إليه أن استودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا[1]. إلى آخر ما سيأتي في باب أحوال ملوك الأرض.

٤ - **ص**: بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لمّا كانت اللّيلة الّتي قتل فيها عليٌّ عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلّا وجد تحته دم عبيط حتّى طلع الفجر، وكذلك كانت اللّيلة الّتي قتل فيها يوشع بن نون عليه السلام، وكذلك كانت اللّيلة الّتي رفع فيها عيسى بن مريم عليه السلام وكذلك اللّيلة الّتي قتل فيها الحسين عليه السلام[2].

٥ - **فس**: قوله ﴿بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ أي قولهم: إنّها فجرت. قوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ لمّا رفعه الله إليه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[3].

٦ - **فس**: أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثنا عشر رجلاً فأدخلهم بيتاً، ثمّ خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء، فقال: إنّ الله أوحى إليّ أنّه رافعي إليه الساعة ومطهّري من اليهود فأيّكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي؟ فقال شابّ منهم: أنا يا روح الله، قال: فأنت هوذا، فقال لهم عيسى: أما إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، فقال له رجل منهم: أنا هو يا نبي الله؟ فقال له عيسى: أتحسّ بذلك في نفسك فلتكن هو، ثمّ قال لهم عيسى عليه السلام: أما إنّكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق: فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتّبع شمعون صادقة على الله في الجنّة ثمّ رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم فأخذوا الرجل الّذي قال له عيسى عليه السلام: إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، وأخذوا الشابّ الّذي ألقي عليه شبح عيسى فقتل وصلب، وكفر الّذي قال له عيسى: تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة[4].

٧ - **فس**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ قال: الّتي كفرت هي الّتي قتلت

---

(١) كمال الدين، ص ٢١٦.
(٢) قصص الأنبياء، ص ١٤٣.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ١٦٥.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ١١١.

شبيه عيسى وصلبته، والّتي آمنت هي الّتي قبلت شبيه عيسى حتّى يقتل ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هي الّتي لم تقتل شبيه عيسى على الأخرى فقتلوهم ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾(١).

٨ - ص: بالإسناد إلى الصدوق عن حمزة العلويّ، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن عليّ بن يوشع، عن عليّ بن محمّد الجريريّ، عن حمزة بن يزيد، عن عمر، عن جعفر عن آبائه، عن النبيّ عليه السلام قال: لمّا اجتمعت اليهود على عيسى عليه السلام ليقتلوه بزعمهم أتاه جبرئيل عليه السلام فغشّاه بجناحه، وطمح عيسى ببصره فإذا هو بكتاب في جناح جبرئيل «اللّهمّ إنّي أدعوك باسمك الواحد الأعزّ، وأدعوك اللّهمّ باسمك الصمد، وأدعوك اللّهمّ باسمك العظيم الوتر، وأدعوك اللّهمّ باسمك الكبير المتعال الّذي ثبّت أركانك كلّها أن تكشف عنّي ما أصبحت وأمسيت فيه» فلمّا دعا به عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى إلى جبرئيل: ارفعه إلى عندي. ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطّلب سلوا ربّكم بهؤلاء الكلمات، فوالّذي نفسي بيده ما دعا بهنّ عبد بإخلاص دينه إلاّ اهتزّ له العرش، وإلاّ قال الله لملائكته: اشهدوا أنّي قد استجبت له بهنّ، وأعطيته سؤله في عاجل دنياه وآجل آخرته، ثمّ قال لأصحابه: سلوا بها، ولا تستبطئوا الإجابة(٢).

٩ - شي: عن ابن عمر، عن بعض أصحابنا، عن رجل حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رفع عيسى بن مريم عليه السلام بمدرعة صوف من غزل مريم، ومن نسج مريم، ومن خياطة مريم، فلمّا انتهى إلى السماء نودي: يا عيسى ألق عنك زينة الدنيا(٣).

١٠ - م: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ هو جبرئيل، وذلك حين رفعه من روزنة بيته إلى السماء، وألقي شبهه على من رام قتله فقتل بدلاً منه(٤).

١١ - ن: الطالقانيّ، عن الكوفيّ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن الرضا عليه السلام أنّه قال في حديث طويل في وصف الأئمّة عليهم السلام: وإنّهم يقتلون بالسيف أو بالسمّ - وساق الحديث إلى أن قال عليه السلام: - ما شبّه أمر أحد من أنبياء الله وحججه عليهم السلام للناس إلاّ أمر عيسى بن مريم وحده، لأنّه رفع من الأرض حيّاً، وقبض روحه بين السماء والأرض، ثمّ رفع إلى السماء وردّ عليه روحه، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقال عزّ وجلّ حكاية لقول عيسى عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الخبر(٥).

١٢ - ك: بإسناده عن سدير الصيرفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وأمّا غيبة عيسى فإنّ اليهود والنصارى اتّفقت على أنّه قتل، فكذّبهم الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٤٧. (٢) قصص الأنبياء، ص ٢٧٦.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٩٩ ح ٥٣ من سورة آل عمران.
(٤) تفسير الامام العسكري عليه السلام، ص ٣٧١. (٥) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٩٣ باب ١٩ ح ٢.

شُبِّهَ لَهُمْ﴾[(١)].

١٣ - وبإسناده عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ في القائم من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله شبهاً من خمسة من الرسل - وساق الحديث إلى أن قال -: وأمّا شبهه من عيسى عليه السلام فاختلاف من اختلف فيه: قالت طائفة منهم: ما ولد، وقالت طائفة: مات، وطائفة قالت: قتل وصلب[(٢)].

١٤ - وبإسناده عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء - وساق الحديث إلى أن قال: وأمّا من عيسى فيقال: إنّه مات ولم يمت[(٣)].

أقول: سيأتي الأخبار الكثيرة في ذلك في كتاب الغيبة، وقد مرّ في باب جوامع أحوالهم عليهم السلام عن الرضا عليه السلام أنّ عيسى لمّا أراد اليهود قتله دعا الله بحقّنا فنجاه من القتل ورفعه إليه.

١٥ - وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: ينزل على القائم عليه السلام تسعة آلاف ملك وثلاثمائة وثلاث عشر ملكاً وهم الّذين كانوا مع عيسى لمّا رفعه الله إليه[(٤)].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾: أي بجحود هؤلاء بعيسى ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ أي أعظم كذب وأشنعه، وهو رميهم إيّاها بالفاحشة، عن ابن عبّاس والسدّيّ؛ قال الكلبيّ: مرّ عيسى عليه السلام برهط فقال بعضهم لبعض: قد جاءكم الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة! فقذفوه بأمّه، فسمع ذلك عيسى عليه السلام فقال: «اللّهمّ أنت ربّي خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي، اللّهمّ العن من سبّني وسبّ والدتي» فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ يعني وقول اليهود إنّا قتلنا عيسى بن مريم رسول الله حكاه الله سبحانه عنهم، أي رسول الله في زعمه؛ وقيل: إنّه من قول الله سبحانه لا على وجه الحكاية لهم، وتقديره: الّذي هو رسولي ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ اختلفوا في كيفيّة التشبيه، فروي عن ابن عبّاس أنّه قال: لمّا مسخ الله الّذين سبّوا عيسى وأمّه بدعائه بلغ ذلك يهودا وهو رأس اليهود فخاف أن يدعو عليه، فجمع اليهود واتّفقوا على قتله، فبعث الله جبرئل يمنعه منهم ويعينه عليهم، وذلك معنى قوله: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ فاجتمع اليهود حول عيسى عليه السلام فجعلوا يسألونه فيقول لهم: يا معشر اليهود إنّ الله تعالى يبغضكم، فثاروا إليه ليقتلوه، فأدخله جبرئيل عليه السلام خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها فرفعه جبرئيل إلى السماء، فبعث يهودا رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه ططيانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره فأبطأ عليهم فظنّوا أنّه يقاتله في الخوخة،

---

(١) كمال الدين، ص ٣٣٢.

(٢) - (٣) كمال الدين، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٤) كمال الدين، ص ٥٩٥.

فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام، فلمّا خرج على أصحابه قتلوه وصلبوه؛ وقيل: أُلقي عليه شبه وجه عيسى ولم يلق عليه شبه جسده، فقال بعض القوم: إنّ الوجه وجه عيسى والجسد جسد ططيانوس؛ وقال بعضهم: إن كان هذا ططيانوس فأين عيسى؟ وإن كان هذا عيسى فأين ططيانوس؟ فاشتبه الأمر عليهم؛ وقال وهب بن منبه: أتى عيسى عليه السلام ومعه سبعة عشر من الحواريّين في بيت، فأحاطوا بهم فلمّا دخلوا عليهم صيّرهم الله كلّهم على صورة عيسى، فقالوا لهم: سحرتمونا؟ لتبرزنّ لنا عيسى أو لنقتلنّكم جميعاً، فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: من يشري نفسه منكم اليوم بالجنّة؟ فقال رجل منهم اسمه سرجس: أنا، فخرج إليهم، فقال: أنا عيسى، فأخذوه وقتلوه وصلبوه، ورفع الله عيسى من يومه ذلك، وبه قال قتادة ومجاهد وابن إسحاق، وإن اختلفوا في عدد الحواريّين ولم يذكر أحد غير وهب أنّ شبهه أُلقي على جميعهم، بل قالوا: أُلقي شبهه على واحد ورفع الله عيسى من بينهم. قال الطبريّ: وقول وهب أقوى، لأنّه لو أُلقي شبهه على واحد منهم مع قول عيسى: «أيكم يلقى عليه شبهي فله الجنة» ثمّ رأوا عيسى رفع من بينهم لما اشتبه عليهم ولما اختلفوا، وإن جاز أن يشتبه على أعدائهم من اليهود الّذين ما عرفوه، لكن أُلقي شبهه على جميعهم وكانوا يرون كلّ واحد منهم بصورة عيسى، فلمّا قتل أحدهم اشتبه الحال عليهم.

وقال أبو عليّ الجبّائيّ: إنّ رؤساء اليهود أخذوا إنساناً فقتلوه وصلبوه على موضع عال، ولم يمكّنوا أحداً من الدنوّ إليه فتغيّرت حليته، وقالوا: قد قتلنا عيسى، ليوهموا بذلك على عوامّهم لأنّهم كانوا أحاطوا بالبيت الّذي فيه عيسى فلمّا دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم، فخافوا أن يكون ذلك سبباً لإيمان اليهود به ففعلوا ذلك؛ والّذين اختلفوا فيه هم غير الّذين صلبوا من صلبوه، وإنّما هم باقي اليهود؛ وقيل: إنّ الّذي دلّهم عليه وقال: هذا عيسى أحد الحواريّين، أخذ على ذلك ثلاثين درهماً وكان منافقاً، ثمّ إنّه ندم على ذلك واختنق حتّى قتل نفسه، وكان اسمه بورس زكريّا نوطا، وهو ملعون في النصارى، وبعض النصارى يقول: إنّ بورس زكريّا نوطا هو الّذي شبّه لهم فصلبوه وهو يقول: لست بصاحبكم، أنا الّذي دللتكم عليه، وقيل: إنّهم حبسوا المسيح مع عشرة من أصحابه في بيت فدخل عليهم رجل من اليهود فألقى الله عليه شبه عيسى ورفع عيسى فقتلوا الرجل، عن السدّيّ.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ قيل: إنّه يعني بذلك عامّتهم، لأنّ علماءهم علموا أنّه غير مقتول، عن الجبّائيّ؛ وقيل: أراد بذلك جماعتهم اختلفوا فقال بعضهم: قتلناه، وقال بعضهم: لم نقتله ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ أي لم يكن لهم بمن قتلوه علم، لكنّهم اتّبعوا ظنّهم، فقتلوه ظنّاً منهم أنّه عيسى ولم يكن به وإنّما شكّوا في ذلك لأنّهم عرفوا عدّة من في البيت، فلمّا دخلوا عليهم وفقدوا واحداً منهم التبس عليهم أمر عيسى وقتلوا من قتلوه على شكّ منهم في أمر عيسى، هذا على قول من قال: لم يتفرّق أصحابه حتّى دخل عليهم

اليهود، وأمّا من قال: تفرّق أصحابه عنه فإنّه يقول: كان اختلافهم في أنّ عيسى عليه السلام هل كان فيمن بقي أو فيمن خرج اشتبه الأمر عليهم.

وقال الحسن: معناه: اختلفوا في عيسى عليه السلام فقالوا مرّة: هو عبد الله، ومرّة هو ابن الله، ومرّة هو الله. وقال الزّجّاج: معنى اختلاف النصارى فيه أنّ منهم من ادّعى أنّه إله لم يقتل، ومنهم من قال: قتل.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ اختلف في الهاء في ﴿قَتَلُوهُ﴾ فقيل: إنّه يعود إلى الظنّ، أي ما قتلوا ظنّهم يقيناً، كما يقال: قتلته علماً، عن ابن عبّاس وجويبر، ومعناه: ما قتلوا ظنّهم الّذي اتّبعوه في المقتول الّذي قتلوه، وهم يحسبونه عيسى يقيناً أنّه عيسى ولا أنّه غيره، لكنّهم كانوا منه على شبهة؛ وقيل: إنّ الهاء عائد إلى عيسى عليه السلام يعني ما قتلوه يقيناً، أي حقّاً، فهو من تأكيد الخبر، عن الحسن، أراد أنّ الله سبحانه نفى عن عيسى القتل على وجه التحقيق واليقين ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يعني بل رفع الله عيسى إليه، ولم يصلبوه ولم يقتلوه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ معناه: لم يزل الله منتقماً من أعدائه، حكيماً في أفعاله وتقديراته، فاحذروا أيّها السائلون محمّداً أن ينزّل عليكم كتاباً من السماء حلول عقوبة بكم، كما حلّ بأوائلكم في تكذيبهم رسله، عن ابن عبّاس وما مرّ في تفسير هذه الآية من أنّ الله ألقى شبه عيسى عليه السلام على غيره فإنّ ذلك من مقدور الله سبحانه بلا خلاف بين المسلمين فيه، ويجوز أن يفعله الله سبحانه على وجه التغليظ للمحنة والتشديد في التكليف وإن كان ذلك خارقاً للعادة، فإنّه يكون معجزاً للمسيح عليه السلام، كما روي أنّ جبرئيل عليه السلام كان يأتي نبيّنا صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبيّ.

وممّا يسأل على هذه الآية أن يقال: قد تواترت اليهود والنصارى مع كثرتهم واجتمعت على أنّ المسيح قتل وصلب، فكيف يجوز عليهم أن يخبروا عن الشيء بخلاف ما هو به؟ ولو جاز ذلك فكيف يوثق بشيء من الأخبار؟

والجواب: أنّ هؤلاء دخلت عليهم الشبهة، كما أخبر الله سبحانه عنهم بذلك، فلم يكن اليهود يعرفون عيسى عليه السلام بعينه، وإنّما أخبروا أنّهم قتلوا رجلاً قيل لهم إنّه عيسى، فهم في خبرهم صادقون وإن لم يكن المقتول عيسى، وإنّما اشتبه الأمر على النصارى لأنّ شبه عيسى ألقي على غيره فرأوا من هو على صورته مقتولاً مصلوباً، فلم يخبر أحد من الفريقين إلاّ عمّا رآه وظنّ أنّ الأمر على ما أخبر به فلا يؤدّي ذلك إلى بطلان الأخبار بحال[1].

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قيل في معناه أقوال: أحدها: أنّ المراد به أنّي قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة بموت عن الحسن وكعب وابن جريح وابن زيد والكلبيّ وغيرهم، وعلى هذا القول يكون للمتوفّي

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٢٣٢.

تأويلان: أحدهما: إنّي رافعك إليّ وافياً لم ينالوا منك شيئاً، من قولهم: توفّيت كذا واستوفيته، أي أخذته تامّاً. والآخر: إنّي متسلّمك، من قولهم: توفّيت منك كذا أي تسلّمته.

وثانيها: إنّي متوفّيك وفاة نوم، ورافعك إليّ في النوم، عن الربيع، قال: رفعه نائماً، ويدلّ عليه قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي ينيمكم، إنّ النوم أخو الموت، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾.

وثالثها: إنّي متوفّيك وفاة موت، عن ابن عبّاس ووهب، قالا: أماته الله ثلاث ساعات.

وأمّا النحويّون فيقولون: هو على التقديم والتأخير، أي إنّي رافعك ومتوفّيك، لأنّ الواو لا توجب الترتيب بدلالة قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ والنذر قبل العذاب وهذا مرويّ عن الضحّاك.

ويدلّ عليه ما روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: عيسى عليه السلام لم يمت وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة. وقد صحّ عنه ﷺ أنّه قال: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟ رواه البخاريّ ومسلم في الصحيحين، فعلى هذا يكون تقديره: إنّي قابضك بالموت بعد نزولك من السماء.

وقوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنّي رافعك إلى سمائي والآخر أنّ معناه: رافعك إلى كرامتي ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بإخراجك من بينهم فإنّهم أرجاس؛ وقيل: تطهيره منعه من كفر يفعلونه بالقتل الّذي كانوا همّوا به لأنّ ذلك رجس طهّره الله منه ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالظفر والنصرة، أو بالحجّة والبرهان قال ابن زيد: ولهذا لا ترى اليهود حيث كانوا إلاّ أذلّ من النصارى، ولهذا أزال الله الملك عنهم وإن كان ثابتاً في النصارى؛ وقيل: المعنيّ به أُمّة محمّد ﷺ، وإنّما سمّاهم تبعاً وإن كانت لهم شريعة على حدة لأنّه وجد فيهم التبعيّة صورة ومعنىً، أمّا الصورة فلأنّه يقال: فلان يتبع فلاناً إذا جاء بعده، وأمّا المعنى فلأن نبيّنا ﷺ كان مصدّقاً لعيسى وكتابه، وعلى أنّ شريعة نبيّنا وسائر الأنبياء متّحدة في أبواب التوحيد(١).

٢٤ - باب ما حدث بعد رفعه وزمان الفترة بعده ونزوله من السماء وقصص وصيه شمعون بن حمون الصفا

الآيات: الزخرف «٤٣»: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ «٦١».

تفسير: المشهور بين المفسّرين أنّ الضمير راجع إلى عيسى عليه السلام، أي نزول عيسى من أشراط الساعة يعلم به قربها ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي بالساعة؛ وقيل: الضمير راجع إلى القرآن.

١ - **ك:** بإسناده عن أبي رافع، عن النبيّ ﷺ قال: لمّا أراد الله أن يرفع عيسى عليه السلام

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٠٦.

أوحى إليه: أن استودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا خليفته على المؤمنين، ففعل ذلك فلم يزل شمعون في قومه يقوم بأمر الله عزّوجلّ ويهتدي بجميع مقال عيسى عليه السلام في قومه من بني إسرائيل ويجاهد الكفّار، فمن أطاعه وآمن بما جاء به كان مؤمناً، ومن جحده وعصاه كان كافراً حتّى استخلص ربّنا تبارك وتعالى وبعث في عباده نبيّاً من الصالحين وهو يحيى بن زكريّا عليه السلام فمضى شمعون وملك عند ذلك أردشير بن أشكاس أربعة عشر سنة وعشرة أشهر، وفي ثمان سنين من ملكه قتلت اليهود يحيى بن زكريّا عليه السلام، فلمّا أراد الله أن يقبضه أوحى إليه أن يجعل الوصيّة في ولد شمعون ويأمر الحواريّين وأصحاب عيسى بالقيام معه، ففعل ذلك. إلى آخر ما سيأتي في باب أحوال ملوك الأرض[١].

٢ - ج: سأل نافع مولى ابن عمر أبا جعفر عليه السلام: كم بين عيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله من سنة؟ قال عليه السلام: أجيبك بقولك أم بقولي؟ قال: أجبني بالقولين، قال: أمّا بقولي فخمسمائة سنة، وأمّا قولك فستّمائة سنة[٢].

فس: أبي عن ابن محبوب، عن الثماليّ، عن أبي الربيع مثله[٣].

٣ - ل: أحمد بن محمّد بن الهيثم، عن ابن زكريّا، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ أمّة عيسى افترقت بعده على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية، وإحدى وسبعون في النار الخبر[٤].

٤ - ل: بإسناده عن أنس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ بني إسرائيل تفرّقت على عيسى إحدى وسبعين فرقة، فهلك سبعون فرقة، ويتخلّص فرقة. الخبر[٥].

٥ - ك: كانت للمسيح عليه السلام غيبات يسيح فيها في الأرض، ولا يعرف قومه وشيعته خبره، ثمّ ظهر فأوصى إلى شمعون بن حمون عليه السلام فلمّا مضى شمعون غابت الحجج بعده فاشتدّ الطلب، وعظمت البلوى، ودرس الدين، وأضيعت الحقوق، وأميتت الفروض والسنن، وذهب النّاس يميناً وشمالاً لا يعرفون أيّاً من أيّ، فكانت الغيبة مائتين وخمسين سنة[٦].

٦ - ك: ابن الوليد عن الصفّار وسعد معاً، عن أيّوب بن نوح، عن ابن المغيرة، عن سعد ابن أبي خلف، عن معاوية بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: بقي النّاس بعد عيسى ابن مريم عليه السلام خمسين سنة ومائتي سنة بلا حجّة ظاهرة[٧].

٧ - ك: أبي، عن محمّد العطّار، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن سعد بن أبي خلف، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين عيسى عليه السلام وبين محمّد صلى الله عليه وآله خمسمائة عام، منها مائتان وخمسون عاماً ليس فيها نبيّ ولا عالم ظاهر، قلت:

---

(١) كمال الدين، ص ٢١٦. (٢) الاحتجاج، ص ٣٢٥.

(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٣٦.

(٤) - (٥) الخصال، ص ٥٨٤-٥٨٥ باب السبعين ح ١١ و٩. (٦) - (٧) كمال الدين، ص ١٦٠.

فما كانوا؟ قال: كانوا مستمسكين بدين عيسى، قلت: فما كانوا؟ قال: مؤمنين. ثمّ قال عليه السلام: ولا تكون الأرض إلاّ وفيها عالم[١].

٨ - **ك:** عن إسماعيل بن أبي رافع، عن أبيه، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: كانت الفترة بين عيسى عليه السلام وبين محمّد صلى الله عليه وآله أربعمائة سنة وثمانين سنة[٢].

أقول: تمامه بإسناده في باب أحوال الملوك، والمعوّل على الأخبار الأولة، ويمكن تأويل هذا الخبر بأن يقال: لم يحسب بعض زمان الفترة من أوّلها لقرب العهد بالدين.

٩ - **شي:** عن أبي الصهباء البكريّ قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام ودعا رأس الجالوت وأسقفّ النصارى فقال: إنّي سائلكما عن أمر وأنا أعلم به منكما فلا تكتما، ثمّ دعا أسقفّ النصارى فقال: أنشدك بالله الّذي أنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام، وجعل على رجله البركة، وكان يبرئ الأكمه والأبرص، وأزال ألم العين، وأحيا الميّت، وصنع لكم من الطين طيوراً، وأنبأكم بما تأكلون وما تدّخرون، فقال: دون هذا أصدق؟ فقال عليّ عليه السلام: بكم افترقت بنو إسرائيل بعد عيسى؟ فقال: لا والله ولا فرقة واحدة، فقال عليّ عليه السلام: كذبت والّذي لا إله إلاّ هو، لقد افترقت على اثنتين وسبعين فرقة كلّها في النار إلاّ فرقة واحدة، إنّ الله يقول: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ فهذه الّتي تنجو[٣].

١٠ - **فر:** جعفر بن محمّد الفزاريّ رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال: يا خيثمة سيأتي على النّاس زمان لا يعرفون الله ما هو والتوحيد حتّى يكون خروج الدجّال، وحتّى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ويقتل الله الدجّال على يديه، ويصلّي بهم رجل منّا أهل البيت، ألا ترى أنّ عيسى عليه السلام يصلّي خلفنا وهو نبيّ إلاّ ونحن أفضل منه[٤].

١١ - **لي:** ماجيلويه، عن عمّه، عن أحمد بن هلال، عن الفضل بن دكين، عن معمّر ابن راشد، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من ذرّيّتي المهديّ إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته فقدّمه وصلّى خلفه[٥].

١٢ - **عم:** حنان بن سدير، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي سعيد عقيصا، عن الحسن بن عليّ صلوات الله عليه أنّه قال: ما منّا أحد إلاّ ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلاّ القائم الّذي يصلّي روح الله عيسى بن مريم خلفه[٦].

أقول: الأخبار الدالّة على أنّ عيسى عليه السلام ينزل ويصلّي خلف القائم عجل الله فرجه كثيرة، وقد أوردتها الخاصّة والعامّة بطرق مختلفة، وسيأتي بعضها في كتاب الغيبة.

---

(١) كمال الدين، ص ١٦٠. (٢) كمال الدين، ص ٢١٨.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٥٩ ح ١٥٠ من سورة المائدة.
(٤) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ١٣٩ ح ١٦٦.
(٥) أمالي الصدوق، ص ١٨١ مجلس ٣٩ ح ٤. (٦) اعلام الورى، ص ٤١٥.

١٣ - **فس:** أبي، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقريّ، عن أبي حمزة، عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجّاج: يا شهر آية في كتاب الله قد أعيتني فقلت: أيّها الأمير أيّة آية هي؟ فقال: قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ والله إنّي لآمر باليهوديّ والنصرانيّ فتضرب عنقه ثمّ أرمقه بعيني فما أراه يحرّك شفتيه حتّى يخمد، فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأوّلت، قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملّة يهوديّ ولا نصرانيّ إلاّ آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهديّ، قال: ويحك أنّى لك هذا ومن أين جئت به؟ فقلت: حدّثني به محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، فقال: جئت والله بها من عين صافية[1].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف فيه على أقوال: أحدها أنّ كلا الضميرين يعودان إلى المسيح، أي ليس يبقى أحد من أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلاّ ويؤمننّ بالمسيح قبل موت المسيح إذا أنزله الله إلى الأرض وقت خروج المهديّ في آخر الزمان لقتل الدجّال، فتصير الملل كلّها ملّة واحدة، وهي ملّة الإسلام الحنيفيّة دين إبراهيم عليه السلام عن ابن عبّاس وأبي مالك والحسن وقتادة وابن زيد، وذلك حين لا ينفعهم الإيمان، واختاره الطبريّ، قال: والآية خاصّة لمن يكون منهم في ذلك الزمان، ثمّ ذكر رواية عليّ بن إبراهيم وقال: وذكر أبو القاسم البلخيّ مثل ذلك، وضعّف الزجّاج هذا الوجه، قال: إنّ الّذين يبقون إلى زمن عيسى عليه السلام من أهل الكتاب قليل، والآية تقتضي عموم إيمان أهل الكتاب إلاّ أن تحمل على أنّ جميعهم يقولون: إنّ عيسى الّذي ينزل في آخر الزمان نحن نؤمن به.

وثانيها: أنّ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود إلى المسيح، والضمير في ﴿مَوْتِهِۦ﴾ إلى الكتابيّ، ومعناه: لا يكون أحد من أهل الكتاب يخرج من الدنيا إلاّ ويؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته إذا زال تكليفه وتحقّق الموت ولكن لا ينفعه الإيمان.

وثالثها: أن يكون المعنى: ليؤمننّ بمحمّد صلى الله عليه وآله قبل موت الكتابيّ، عن عكرمة ورواه أيضاً أصحابنا. انتهى[2].

أقول: يمكن أن يكون الوجه الأوّل مبنيّاً على الرجعة فلا يكون مختصّاً بأهل الكتاب الموجودين في ذلك الزمان.

٢٥ - باب قصص أرميا ودانيال وعزير وبخت نصر

الآيات: البقرة «٢»: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٦٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٣ ص ٢٣٦.

عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «٢٥٩».

الإسراء: «١٧» ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾.

تفسير: قال البيضاوي: ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أي أوحينا إليهم قضاء مقضياً في التوراة ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ إفسادتين: أولاهما مخالفة أحكام التوراة وقتل شعياء وقتل ارميا؛ وثانيتهما قتل زكريّا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام: ﴿وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ أي وعد عقاب أولاهما ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ بخت نصّر عامل لهراسف إلى بابل وجنوده؛ وقيل: جالوت؛ وقيل: سخاريب من أهل نينوى ﴿فَجَاسُوا﴾ تردّدوا لطلبكم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وسطها للقتل والغارة ﴿الْكَرَّةَ﴾ أي الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على الّذين بعثوا عليكم وذلك بأن ألقى الله في قلب بهمن بن إسفنديار لمّا ورث الملك من جدّه كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فردّ أسراءهم إلى الشام، وملّك دانيال عليهم، فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت نصّر، أو بأن سلّط داود على جالوت فقتله. والنفير من ينفر مع الرجل من قومه ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ وعد عقوبة المرّة الآخرة ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها ﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾ ليهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ ما غلبوه واستولوا عليه أو مدّة علوّهم، وذلك بأن سلّط الله عليهم الفرس مرّة أخرى، فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جوذر؛ وقيل: خردوس؛ قيل: دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دماً يغلي فسألهم عنه فقالوا: دم قربان لم يقبل منّا، فقال: ما صدقوني، فقتل عليه ألوفاً منهم فلم يهدأ الدم، ثمّ قال: إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً، فقالوا: إنّه دم يحيى، فقال: لمثل هذا ينتقم منكم ربّكم، ثمّ قال: يا يحيى قد علم ربّي وربّك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقي منكم أحداً، فسكن[1].

وقال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف المفسّرون في الكرّتين، قالوا: لمّا عتا بنو إسرائيل في المرّة الأولى سلّط الله عليهم ملك فارس؛ وقيل: بخت نصّر؛ وقيل: ملكاً من ملوك بابل، فخرج إليهم وحاصرهم وفتح بيت المقدس؛ وقيل: إنّ بخت نصّر ملك بابل بعد سخاريب وكان من جيش نمرود، وكان لزنية لا أب له، فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد، وأحرقت

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٤٣٥.

التوراة، وألقى الجيف في المسجد، وقتل على دم يحيى عليه السلام سبعين ألفاً وسبى ذراريّهم، وأغار عليهم، وأخرج أموالهم، وسبى سبعين ألفاً وذهب بهم إلى بابل، وبقوا في مدّة مائة سنة تستعبدهم المجوس وأولادهم؛ ثمّ تفضّل الله عليهم بالرحمة وأمر ملكاً من ملوك فارس عارفاً بالله سبحانه فردّهم إلى بيت المقدس، فأقامهم به مائة سنة على الطريقة المستقيمة والطاعة، ثمّ عادوا إلى الفساد والمعاصي، فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه انطياخيوس فخرب بيت المقدس وسبى أهله؛ وقيل: غزاهم ملك الروميّة وسباهم، عن حذيفة؛ وقال محمّد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل يعصون الله تعالى وفيهم الأحداث، والله يتجاوز عنهم، وكان أوّل ما نزل بهم بسبب ذنوبهم أنّ الله بعث إليهم شعيا قبل مبعث زكريّا، وكان لبني إسرائيل ملك كان شعيا يرشده ويسدّده، فمرض الملك وجاء سخاريب إلى باب بيت المقدس بستّمائة ألف راية، فدعا الله شعيا فبرئ الملك ومات جمع سخاريب ولم ينج منهم إلاّ خمسة نفر، منهم سخاريب، فهرب وأرسلوا خلفه من أخذه ثمّ أمر الله بإطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فأطلقوه وملك سخاريب بعد ذلك سبع سنين، واستخلف بخت نصّر ابن ابنه فلبث سبع عشرة سنة، وهلك ملك بني إسرائيل ومرج أمرهم وتنافسوا في الملك، وقتل بعضهم بعضاً، فقام شعيا فيهم خطيباً فوعظهم فهمّوا بقتله فهرب ودخل شجرة فقطعوا الشجرة بالمنشار، فبعث الله إليهم أرميا من سبط هارون ثمّ خرج من بينهم لما رأى من أمرهم، ودخل بخت نصّر وجنوده بيت المقدس وفعل ما فعل ثمّ رجع إلى بابل بسبايا بني إسرائيل، فكانت هذه الدفعة الأولى؛ وقيل أيضاً: إنّ سبب ذلك كان قتل يحيى بن زكريّا عليه السلام وإنّه دم يحيى لم يزل يغلي حتّى قتل بخت نصّر منهم سبعين ألفاً أو اثنين وسبعين ألفاً، ثمّ سكن الدم، وذكر الجميع أنّ يحيى بن زكريّا عليه السلام هو المقتول في الفساد الثاني؛ قال مقاتل: وكان بين الفساد الثاني والأوّل مائتا سنة وعشر سنين؛ وقيل: إنّما غزا بني إسرائيل في المرة الأولى بخت نصّر، والمرّة الثانية ملوك فارس والروم، وذلك حين قتلوا يحيى عليه السلام فقتلوا منهم مائة ألف وثمانين ألفاً، وخرب بيت المقدس، فلم يزل بعد ذلك خراباً حتّى بناه عمر بن الخطّاب، فلم يدخله بعد ذلك روميّ إلاّ خائفاً، وقيل: إنّما غزاهم في المرّة الأولى جالوت، وفي الثانية بخت نصّر. انتهى[1].

وقال صاحب الكامل: ما روي من أنّ بخت نصّر هو الّذي خرب بيت المقدس وقتل بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريّا عليه السلام باطل عند أهل السير والتواريخ وأهل العلم بأمور الماضين، وذلك بأنّهم مجمعون على أن بخت نصّر غزا بني إسرائيل عند قتل نبيّهم شعيا في عهد أرميا، وبين عهد أرميا وقتل يحيى أربعمائة سنة وإحدى وستّون سنة عند اليهود والنصارى، ويذكرون أنّ ذلك في كتبهم وأسفارهم، ويوافقهم المجوس في مدّة غزو بخت

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٢٣.

نصر بني إسرائيل إلى موت الإسكندر، ويخالفهم في مدّة ما بين موت الإسكندر ومولد يحيى فيزعمون أنّ مدّة ذلك إحدى وخمسون سنة. انتهى(١).

أقول: ستعرف أنّ أخبارنا أيضاً مختلفة في ذلك، لأنّه يظهر من خبر ابن عمّارة وخبر ملاقاة داود دانيال وغيرهما كون بخت نصّر متّصلاً بزمان سليمان عليه السلام، ويظهر من خبر هارون بن خارجة وأبي بصير وغيرهما كون خروج بخت نصّر بعد قتل يحيى عليه السلام ولا يبعد كون بخت نصّر معمّراً وكذا دانيال فيكونا قد أدركا الوقتين معاً، ويمكن أن يكون إحداهما محمولة على التقيّة، والأخبار الدالّة على كون خروجه بعد قتل يحيى عليه السلام أقوى سنداً وقد سبق بعضها في قصّة يحيى والله يعلم.

١ - **فس:** أبي، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا عملت بنو إسرائيل بالمعاصي وعتوا عن أمر ربّهم أراد الله أن يسلّط عليهم من يذلّهم ويقتلهم، فأوحى الله إلى أرميا يا أرميا ما بلد انتخبته من بين البلدان وغرست فيه من كرائم الشجر فأخلف فأنبت خرنوباً؟ فأخبر أرميا أحبار بني إسرائيل فقالوا له: راجع ربّك ليخبرنا مامعنى هذا المثل، فصام أرميا سبعاً فأوحى الله إليه: يا أرميا أمّا البلد فبيت المقدس، وأمّا ما أنبتُ فيه فبنو إسرائيل الّذين أسكنتهم فيها، فعملوا بالمعاصي، وغيّروا ديني، وبدّلوا نعمتي كفراً، فبي حلفت لأمتحننّهم بفتنة يظلُّ الحكيم فيها حيران، ولأسلّطنّ عليهم شرّ عبادي ولادة وشرّهم طعاماً، فليتسلّطنّ عليهم بالجبريّة فيقتل مقاتليهم، ويسبي حريمهم، ويخرب بيتهم الّذي يعتزّون به، ويلقي حجرهم الّذي يفتخرون به على الناس في المزابل مائة سنة، فأخبر أرميا أحبار بني إسرائيل فقالوا له: راجع ربّك فقل له: ما ذنب الفقراء والمساكين والضعفاء؟ فصام أرميا سبعاً ثمّ أكل أكلة فلم يوح إليه شيء، ثمّ صام سبعاً وأكل أكلة ولم يوح إليه شيء، ثمّ صام سبعاً فأوحى الله إليه: يا أرميا لتكفّنّ عن هذا أو لأردّنّ وجهك إلى قفاك، قال: ثمّ أوحى الله إليه: قل لهم: لأنّكم رأيتم المنكر فلم تنكروه، فقال أرميا: ربّ أعلمني من هو حتّى آتيه وآخذ لنفسي وأهل بيتي منه أماناً، قال: ائت موضع كذا وكذا، فانظر إلى غلام أشدّهم زمانة، وأخبثهم ولادة، وأضعفهم جسماً، وأشرّهم غذاء فهو ذاك، فأتى أرميا ذلك البلد فإذا هو بغلام في خان زمن ملقى على مزبلة وسط الخان، وإذا له أمّ تزبّي بالكسر، وتفتّ الكسر في القصعة، وتحلب عليه خنزيرة لها، ثمّ تدنيه من ذلك الغلام فيأكله، فقال أرميا: إن كان في الدنيا الّذي وصفه الله فهو هذا، فدنا منه فقال له: ما اسمك؟ فقال: بخت نصّر، فعرف أنّه هو، فعالجه حتّى برئ، ثمّ قال له: أتعرفني قال: لا، أنت رجل صالح، قال: أنا أرميا نبيّ بني إسرائيل، أخبرني الله أنّه سيسلّطك على بني إسرائيل فتقتل رجالهم، وتفعل بهم كذا وكذا قال: فتاه في نفسه في ذلك الوقت.

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ٢١٩.

ثمّ قال أرميا: اكتب لي كتاباً بأمان منك، فكتب له كتاباً، وكان يخرج في الجبل ويحتطب ويدخله المدينة ويبيعه، فدعا إلى حرب بني إسرائيل وكان مسكنهم في بيت المقدس، وأقبل بخت نصر فيمن أجابه نحو بيت المقدس، وقد اجتمع إليه بشر كثير، فلمّا بلغ أرميا إقباله نحو بيت المقدس استقبله على حمار له ومعه الأمان الّذي كتبه له بخت نصّر، فلم يصل إليه أرميا من كثرة جنوده وأصحابه، فصيّر الأمان على قصبة أو خشبة ورفعها، فقال: من أنت؟ فقال: أنا أرميا النبيّ الّذي بشّرتك بأنّك سيسلّطك الله على بني إسرائيل وهذا أمانك لي، قال: أمّا أنت فقد آمنتك، وأمّا أهل بيتك فإنّي أرمي من ههنا إلى بيت المقدس فإن وصلت رميتي إلى بيت المقدس فلا أمان لهم عندي، وإن لم تصل فهم آمنون، وانتزع قوسه ورمى نحو بيت المقدس فحملت الريح النشّابة حتّى علقتها في بيت المقدس، فقال: لا أمان لهم عندي، فلمّا وافى نظر إلى جبل من تراب وسط المدينة وإذا دم يغلي وسطه، كلّما أُلقي عليه التراب خرج وهو يغلي، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا نبيّ كان لله فقتله ملوك بني إسرائيل ودمه يغلي، وكلّما ألقينا عليه التراب خرج يغلي، فقال بخت نصّر: لأقتلنّ بني إسرائيل أبداً حتّى يسكن هذا الدم، وكان ذلك الدم دم يحيى بن زكريّا عليه السلام، وكان في زمانه ملك جبّار يزني بنساء بني إسرائيل، وكان يمرّ بيحيى بن زكريّا عليه السلام فقال له يحيى: اتّق الله أيّها الملك لا يحلُّ لك هذا، فقالت له امرأة من اللّواتي كان يزني بهنّ حين سكر: أيّها الملك اقتل يحيى، فأمر أن يؤتى برأسه فأتوا برأس يحيى عليه السلام في الطست، وكان الرأس يكلّمه ويقول له: يا هذا اتّق الله لا يحلّ لك هذا، ثمّ غلى الدم في الطست حتّى فاض إلى الأرض فخرج يغلي ولا يسكن، وكان بين قتل يحيى وخروج بخت نصّر مائة سنة، ولم يزل بخت نصّر يقتلهم، وكان يدخل قرية قرية فيقتل الرجال والنساء والصبيان وكلّ حيوان والدم يغلي حتّى أفنى من ثمّ، فقال: بقي أحد في هذه البلاد؟ قالوا: عجوز في موضع كذا وكذا، فبعث إليها فضرب عنقها على الدم فسكن، وكانت آخر من بقي.

ثمّ أتى بابل فبنى بها مدينة وأقام وحفر بئراً فألقى فيها دانيال وألقى معه اللّبوة، فجعلت اللّبوة تأكل طين البئر ويشرب دانيال لبنها، فلبث بذلك زماناً، فأوحى الله إلى النبيّ الّذي كان ببيت المقدس أن اذهب بهذا الطعام والشراب إلى دانيال واقرأه منّي السلام، قال: وأين دانيال يا ربّ؟ فقال: في بئر بابل في موضع كذا وكذا. قال:

فأتاه فأطلع في البئر فقال: يا دانيال، قال: لبّيك صوت غريب، قال: إنّ ربّك يقرؤك السلام وقد بعث إليك بالطعام والشراب، فدلاّه إليه، قال: فقال دانيال: الحمد لله الّذي لا ينسى من ذكره، الحمد لله الّذي لا يخيب من دعاه، الحمد لله الّذي من توكّل عليه كفاه، الحمد لله الّذي من وثق به لم يكله إلى غيره، الحمد لله الّذي يجزي بالإحسان إحساناً، الحمد لله الّذي يجزي بالصبر نجاة، الحمد لله الّذي يكشف ضرّنا عند كربتنا والحمد لله الّذي هو ثقتنا حين ينقطع الحيل منّا، والحمد لله الّذي هو رجاؤنا حين ساء ظنّنا بأعمالنا.

قال: فأري بخت نصّر في نومه كأنّ رأسه من حديد، ورجليه من نحاس، وصدره من ذهب، قال: فدعا المنجّمين فقال لهم: ما رأيت؟ فقالوا: ما ندري ولكن قصّ علينا ما رأيت في المنام، فقال: وأنا أجري عليكم الأرزاق منذ كذا وكذا ولا تدرون ما رأيت في المنام؟ فأمر بهم فقتلوا، قال: فقال له بعض من كان عنده: إن كان عند أحد شيء فعند صاحب الجبّ، فإن اللّبوة لم تتعرّض له، وهي تأكل الطين وترضعه، فبعث إلى دانيال فقال: ما رأيت في المنام؟ فقال: رأيت كأنّ رأسك من حديد، ورجليك من نحاس، وصدرك من ذهب قال: هكذا رأيت فما ذاك؟ قال: قد ذهب ملكك وأنت مقتول إلى ثلاثة أيّام يقتلك رجل من ولد فارس، قال: فقال له: إنّ عليّ لسبع مدائن، على باب كلّ مدينة حرس، وما رضيت بذلك حتّى وضعت بطّة من نحاس على باب كلّ مدينة لا يدخل غريب إلاّ صاحت عليه حتّى يؤخذ، قال: فقال له: إنّ الأمر كما قلت لك، قال: فبثّ الخيل وقال: لا تلقون أحداً من الخلق إلاّ قتلتموه كائناً من كان، وكان دانيال جالساً عنده، وقال: لا تفارقني هذه الثلاثة الأيّام، فإن مضت قتلتك، فلمّا كان في اليوم الثالث ممسياً أخذه الغمّ فخرج فتلقّاه غلام كان اتّخذه ابناً له من أهل فارس وهو لا يعلم أنّه من أهل فارس فدفع إليه سيفه وقال له: يا غلام لا تلقى أحداً من الخلق إلّا وقتلته وإن لقيتني أنا فاقتلني، فأخذ الغلام سيفه فضرب به بخت نصّر ضربة فقتله.

فخرج أرميا على حماره ومعه تين قد تزوّده وشيء من عصير، فنظر إلى سباع البرّ وسباع البحر وسباع الجوّ تأكل تلك الجيف ففكر في نفسه ساعة ثمّ قال: «أنى يحيي هذه الله بعد موتها وقد أكلتهم السباع»؟ فأماته الله مكانه وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أي أحياه، فلمّا رحم الله بني إسرائيل وأهلك بخت نصّر ردّ بني إسرائيل إلى الدنيا وكان عزير لمّا سلّط الله بخت نصّر على بني إسرائيل هرب ودخل في عين وغاب فيها وبقي أرميا ميّتاً مائة سنة، ثمّ أحياه الله فأوّل ما أحيا منه عينيه في مثل غرقئ البيض، فنظر فأوحى الله تعالى إليه: ﴿كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ ثمّ نظر إلى الشمس وقد ارتفعت فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ﴾ فقال الله تبارك وتعالى: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ﴾ أي لم يتغيّر ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ﴾ فجعل ينظر إلى العظام البالية المنفطرة تجتمع إليه، وإلى اللّحم الّذي قد أكلته السباع يتألّف إلى العظام من ههنا وههنا ويلتزق بها حتّى قام وقام حماره فقال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

بيان: قوله: (فأخلف) أي فسد، من قولهم: أخلف الطعام: إذا تغيّر طعمه ورائحته،

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٩٤.

وأخلف فلان أي فسد، أو لم يأت بما هو عادته، من قولهم: أخلف الوعد، أو من قولهم: أخلفت النجوم: أمحلت فلم يكن فيها مطر، ويحتمل أن يكون المراد تغيّر أهل القرية وفسادهم. والكسر: كعنب جمع الكسرة أي الخبز المتكسّر اليابس. قوله: (فتاه) أي تكبّر أو تحيّر. والنشّاب: النبل. واللّبوة: الأنثى من الأسد.

قوله: (وكان عزير) هذا إنكار لما ذكره الأكثر من أنّ القائل كان عزيراً. والغرقئ كزبرج: القشرة الملتزقة ببياض البيض، أو البياض الّذي يؤكل.

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: وهو عزير، عن قتادة وعكرمة والسدّيّ وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام، وقيل: هو أرميا، عن وهب، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام؛ وقيل: هو الخضر عن ابن إسحاق، والقرية الّتي مرّ عليها هي بيت المقدس لمّا خربه بخت نصّر، عن وهب وقتادة والربيع وعكرمة؛ وقيل هي الأرض المقدّسة، عن الضحّاك؛ وقيل: هي القرية الّتي خرج منها الألوف حذر الموت عن أبي زيد ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي خالية؛ وقيل: خراب؛ وقيل: ساقطة على أبنيتها وسقوفها، كأنّ السقوف سقطت ووقع البنيان عليها ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها؟ وقيل: كيف يحيي الله أهلها بعدما ماتوا؟ ولم يقل ذلك إنكاراً ولا تعجّباً ولا ارتياباً، ولكنّه أحبّ أن يريه الله إحياءها مشاهدة ليحصل له العلم به ضرورة ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أحياه ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ في التفسير أنّه سمع نداءً من السماء: كم لبثت؟ يعني في منامك، وقيل: إنّ القائل له نبيّ؛ وقيل: ملك؛ وقيل: بعض المعمّرين ممّن شاهده عند موته وإحيائه ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنّ الله تعالى أماته في أوّل النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار، فقال: ﴿يَوْمًا﴾ ثمّ التفت فرأى بقيّة من الشمس فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ثمّ قال: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ معناه بل لبثت في مكانك مائة سنة ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم تغيّره السنون وإنّما قال: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ على الواحد لأنّه أراد جنس الطعام والشراب؛ وقيل: أراد به الشراب، لأنّه أقرب المذكورين إليه؛ وقيل: أراد عصيراً وتيناً وعنباً، وهذه الثلاثة أسرع الأشياء تغيّراً وفساداً، فوجد العصير حلواً، والتين والعنب كما جنيا لم يتغيّرا ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف تفرّقت أجزاؤه، وتبدّدت عظامه، ثمّ انظر كيف يحييه الله، وإنّما قال ذلك ليستدلّ بذلك على طول مماته ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك؛ وقيل معناه: فعلنا ذلك إجابة لك إلى ما أردت ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي حجّة للناس في البعث «وانظر إلى العظام كيف ننشرها» كيف نحييها، وبالزاي كيف نرفعها من الأرض فنردّها إلى أماكنها من الجسد، ونركّب بعضها على بعض ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا﴾ أي نلبسها ﴿لَحْمًا﴾ واختلف فيه فقيل: أراد عظام حماره؛ وقيل: أراد عظامه، قالوا: أوّل ما أحيا الله منه عينه، وهو في مثل غرقئ البيض، فجعل ينظر إلى العظام البالية المتفرّقة تجتمع إليه، وإلى اللّحم الذي قد أكلته السباع تأتلف إلى العظام من ههنا ومن ههنا،

وتلتزق بها حتّى قام وقام حماره ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ يعني ظهر وعلم؛ وقيل: إنّه رجع وقد أحرق بخت نصّر التوراة فأملاها من ظهر قلبه، فقال رجل منهم: حدّثني أبي عن جدّي أنّه دفن التوراة في كرم فإن أريتموني كرم جدّي أخرجتها لكم، فأروه فأخرجها فعارضوا ذلك بما أملى فما اختلفا في حرف، فقالوا: فما جعل الله التوراة في قلبه إلاّ وهو ابنه، فقالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ فقال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي لم أقل ما قلت عن شكّ وارتياب، أو أنّه ازداد لما عاين وشاهد يقيناً وعلماً، إذ كان قبل ذلك علم استدلال فصار علم ضرورة ومعاينة[1].

٢ - **ل**: ابن البرقيّ، عن أبيه، عن جدّه رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ملك الأرض كلّها أربعة: مؤمنان وكافران، فأمّا المؤمنان: فسليمان بن داود وذو القرنين عليه السلام والكافران: نمرود وبخت نصّر[2].

٣ - **ج**: هشام بن الحكم في خبر الزنديق قال الصادق عليه السلام : أمات الله أرميا النبيّ الّذي نظر إلى خراب بيت المقدس وما حوله حين غزاهم بخت نصّر وقال: أنّى يحيي هذه الله بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام ثمّ أحياه، ونظر إلى أعضائه كيف تلتئم، وكيف تلبس اللّحم، وإلى مفاصله وعروقه كيف توصل، فلمّا استوى قاعداً قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

٤ - **ما**: الفحّام، عن محمّد بن عيسى بن هارون، عن إبراهيم بن عبد الصمّد، عن أبيه، عن جدّه قال: قال سيّدنا الصادق عليه السلام : من اهتمّ لرزقه كتب عليه خطيئة، إنّ دانيال كان في زمن ملك جبّار عات أخذه فطرحه في جبّ، وطرح معه السباع فلم تدن منه ولم تجرحه فأوحى الله إلى نبيّ من أنبيائه أن ائت دانيال بطعام، قال: يا ربّ وأين دانيال؟ قال: تخرج من القرية فيستقبلك ضبع فاتّبعه فإنّه يدلّك إليه، فأتت به الضبع إلى ذلك الجبّ، فإذا فيه دانيال، فأدلى إليه الطعام، فقال دانيال: الحمد لله الّذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الّذي لا يخيب من دعاه، الحمد لله الّذي من توكّل عليه كفاه، الحمد لله الّذي من وثق به لم يكله إلى غيره، الحمد لله الّذي يجزي بالإحسان إحساناً، وبالصبر نجاةً.

ثمّ قال الصادق عليه السلام : إنّ الله أبى إلّا أن يجعل أرزاق المتّقين من حيث لا يحتسبون وأن لا يقبل لأوليائه شهادة في دولة الظالمين[4].

ص: الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن القاسانيّ، عن الإصبهانيّ عن المنقريّ، عن حفص، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[5].

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٧٢.
(٢) الخصال، ص ٢٥٥ باب الأربعة، ح ١٣٠.
(٣) الاحتجاج، ص ٣٤٤.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٣٠٠ مجلس ١١ ح ٥٩٣.
(٥) قصص الأنبياء ص ٢٣٠.

٥ - ك: القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: إنّ سليمان عليه السلام لمّا حضرته الوفاة أوصى إلى آصف بن برخيا بإذن الله تعالى ذكره، فلم يزل بينهم تختلف إليه الشيعة ويأخذون عنه معالم دينهم، ثمّ غيّب الله عزّ وجلّ آصف غيبة طال أمدها، ثمّ ظهر لهم فبقي بين قومه ما شاء الله، ثمّ إنّه ودّعهم فقالوا له: أين الملتقى؟ قال: على الصراط، وغاب عنهم ما شاء الله، واشتدّت البلوى على بني إسرائيل بغيبته، وتسلّط عليهم بخت نصّر فجعل يقتل من يظفر به منهم، ويطلب من يهرب ويسبي ذراريهم، فاصطفى من السبي من أهل بيت يهودا أربعة نفر فيهم دانيال، واصطفى من ولد هارون عزيراً، وهم حينئذ صبية صغار، فمكثوا في يده وبنو إسرائيل في العذاب المهين، والحجّة دانيال أسير في يد بخت نصّر تسعين سنة، فلمّا عرف فضله وسمع أنّ بني إسرائيل ينتظرون خروجه ويرجون الفرج في ظهوره وعلى يده أمر أن يجعل في جب عظيم واسع، ويجعل معه الأسد ليأكله، فلم يقربه، وأمر أن لا يطعم، فكان الله تعالى يأتيه بطعامه وشرابه على يد نبيّ من أنبياء بني إسرائيل، فكان يصوم دانيال النهار، ويفطر اللّيل على ما يدلي إليه من الطعام، واشتدّت البلوى على شيعته وقومه المنتظرين لظهوره، وشكّ أكثرهم في الدين لطول الأمد، فلمّا تناهى البلاء بدانيال وبقومه رأى بخت نصّر في المنام كأنّ ملائكة من السماء قد هبطت إلى الأرض أفواجاً إلى الجبّ الّذي فيه دانيال مسلّمين عليه يبشّرونه بالفرج، فلمّا أصبح ندم على ما أتى إلى دانيال، فأمر أن يخرج من الجبّ، فلمّا أُخرج اعتذر إليه ممّا ارتكب منه من التعذيب، ثمّ فوّض إليه النظر في أمور ممالكه والقضاء بين الناس. فظهر من كان مستتراً من بني إسرائيل ورفعوا رؤوسهم، واجتمعوا إلى دانيال عليه السلام موقنين بالفرج، فلم يلبث إلاّ القليل عن تلك الحال حتّى مضى لسبيله، وأفضى الأمر بعده إلى عزير وكانوا يجتمعون إليه ويأنسون به ويأخذون عنه معالم دينهم، فغيّب الله عنهم شخصه مائة عام ثمّ بعثه، وغابت الحجج بعده، واشتدّت البلوى على بني إسرائيل حتّى ظهر يحيى عليه السلام [(١)].

أقول: تمام الخبر في باب قصّة طالوت.

٦ - **ص:** بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى وهب بن منبّه قال: كان بخت نصّر منذ ملك يتوقّع فساد بني إسرائيل ويعلم أنّه لا يطيقهم إلاّ بمعصيتهم، فلم يزل يأتيه العيون بأخبارهم حتّى تغيّرت حالهم، وفشت فيهم المعاصي، وقتلوا أنبياءهم، وذلك قوله تعالى جلّ ذكره. ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ يعني بخت نصّر وجنوده أقبلوا فنزلوا بساحتهم، فلمّا رأوا ذلك فزعوا إلى ربّهم وتابوا وثابروا على الخير، وأخذوا على أيدي سفهائهم، وأنكروا المنكر وأظهروا المعروف، فردّ الله لهم الكرّة على بخت نصّر، وانصرفوا بعدما فتحوا المدينة، وكان سبب انصرافهم أنّ سهماً وقع

(١) كمال الدين، ص ١٥٨.

في جبين فرس بخت نصّر فجمح به حتّى أخرجه من باب المدينة، ثمّ إنّ بني إسرائيل تغيّروا فما برحوا حتّى كرّ عليهم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ فأخبرهم أرميا عليه السلام أنّ بخت نصّر يتهيّأ للمسير إليكم، وقد غضب الله عليكم، وأنّ الله تعالى جلّت عظمته يستتيبكم لصلاح آبائكم ويقول: هل وجدتم أحداً عصاني فسعد بمعصيتي؟ أم هل علمتم أحداً أطاعني فشقي بطاعتي؟ وأمّا أحباركم ورهبانكم فاتّخذوا عبادي خولاً يحكمون فيهم بغير كتابي حتّى أنسوهم ذكري، وأمّا ملوككم وأمراؤكم فبطروا نعمتي، وغرّتهم الحياة الدنيا وأمّا قرّاؤكم وفقهاؤكم فهم منقادون للملوك يبايعونهم على البدع ويطيعونهم في معصيتي وأمّا الأولاد فيخوضون مع الخائضين، وفي كلّ ذلك ألبسهم العافية فلأبدّلنّهم بالعزّ ذلّاً، وبالأمن خوفاً، إنّ دعوني لم أجبهم، وإن بكوا لم أرحمهم.

فلمّا بلّغهم ذلك نبيّهم كذّبوه وقالوا: لقد أعظمت الفرية على الله، تزعم أنّ الله معطّل مساجده من عبادته! فقيّدوه وسجنوه، فأقبل بخت نصّر وحاصرهم سبعة أشهر حتّى أكلوا خلاهم، وشربوا أبوالهم، ثمّ بطش بهم بطش الجبّارين بالقتل والصلب والإحراق وجدع الأنوف ونزع الألسن والأنياب ووقف النساء، فقيل له: إنّ لهم صاحباً كان يحذّرهم بما أصابهم فاتّهموه وسجنوه، فأمر بخت نصّر فأخرج من السجن، فقال له: أكنت تحذّر هؤلاء؟ قال: نعم، قال: وأنّى علمت ذلك؟ قال: أرسلني الله به إليهم، قال فكذّبوك وضربوك؟ قال: نعم، قال: لبئس القوم قوم ضربوا نبيّهم وكذّبوا رسالة ربّهم، فهل لك أن تلحق بي فأكرمك، وإن أحببت أن تقيم في بلادك آمنتك؟ قال أرميا عليه السلام: إنّي لم أزل في أمان الله منذ كنت لم أخرج منه، ولو أنّ بني إسرائيل لم يخرجوا من أمانه لم يخافوك، فأقام أرميا عليه السلام مكانه بأرض إيليا وهي حينئذ خراب قد هدم بعضها، فلمّا سمع به من بقي من بني إسرائيل اجتمعوا إليه فقالوا: عرفنا أنّك نبيّنا فانصح لنا، فأمرهم أن يقيموا معه، فقالوا: ننطلق إلى ملك مصر نستجير، فقال أرميا عليه السلام: إنّ ذمّة الله أوفى الذمم، فانطلقوا إلى مصر وتركوا أرميا، فقال لهم الملك: أنتم في ذمّتي، فسمع ذلك بخت نصّر فأرسل إلى ملك مصر: ابعث بهم إليّ مصفّدين وإلّا آذنتك بالحرب.

فلمّا سمع أرميا عليه السلام بذلك أدركته الرحمة لهم، فبادر إليهم لينقذهم، فورد عليهم وقال: إنّ الله تعالى جلّ ذكره أوحى إليّ أنّي مظهر بخت نصّر على هذا الملك، وآية ذلك أنّه تعالى أراني موضع سرير بخت نصّر الّذي يجلس عليه بعدما يظفر بمصر، ثمّ عمد فدفن أربعة أحجار في ناحية من الأرض، فصار إليهم بخت نصّر فظفر بهم وأسرهم، فلمّا أراد أن يقسم الفيء ويقتل الأسارى ويعتق منهم كان منهم أرميا، فقال له بخت نصّر: أراك مع أعدائي بعد ما عرضتك له من الكرامة؟ فقال له أرميا عليه السلام: إنّي جئتهم مخوّفاً أخبرهم خبرك، وقد وضعت لهم علامة تحت سريرك هذا وأنت بأرض بابل، ارفع سريرك فإنّ تحت كلّ قائمة من قوائمه حجراً دفنته بيدي وهم ينظرون، فلمّا رفع بخت نصّر سريره وجد مصداق ما قال، فقال

لأرميا عليه السلام : إنّي لأقتلنّهم إذ كذّبوك ولم يصدّقوك فقتلهم ولحق بأرض بابل، فأقام أرميا بمصر مدّة، فأوحى الله تعالى إليه : الحق بإيليا، فانطلق حتّى إذا رفع له شخص بيت المقدس ورأى خراباً عظيماً، قال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ فنزل في ناحية واتّخذ مضجعاً ثمّ نزع الله روحه وأخفى مكانه على جميع الخلائق مائة عام، وكان قد وعده الله أنّه سيعيد فيها الملك والعمران، فلمّا مضى سبعون عاماً أذن الله في عمارة إيليا فأرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس يقال له كوشك، فقال: إنّ الله يأمرك أن تنفر بقوّتك ورجالك حتّى تنزل إيليا فتعمرها، فندب الفارسيّ لذلك ثلاثين ألف قهرمان، ودفع إلى كلّ قهرمان ألف عامل بما يصلح لذلك من الآلة والنفقة، فسار بهم فلمّا تمّت عمارتها بعد ثلاثين سنة أمر عظام أرميا أن يحيى، فقام حيّاً كما ذكره الله في كتابه[1].

بيان: ثابر: واظب.

٧ - ص: بالإسناد المذكور عن وهب بن منبّه أنّه لمّا انطلق بخت نصّر بالسبي والأسارى من بني إسرائيل وفيهم دانيال وعزير عليه السلام وورد أرض بابل اتّخذ بني إسرائيل خولاً، ولبث سبع سنين، ثمّ إنّه رأى رؤياً عظيماً امتلأ منها رعباً ونسيها، فجمع قومه وقال: تخبرون بتأويل رؤياي المنسيّة إلى ثلاثة أيّام وإلّا صلبتكم، وبلغ دانيال ذلك من شأن الرؤيا وكان في السجن، فقال لصاحب السجن: إنّك أحسنت صحبتي، فهل لك أن تخبر الملك أنّ عندي علم رؤياه وتأويله؟ فخرج صاحب السجن وذكر لبخت نصّر فدعا به، وكان لا يقف بين يديه أحد إلّا سجد له، فلمّا طال قيام دانيال وهو لا يسجد له قال للحرس: اخرجوا واتركوه، فخرجوا فقال: يا دانيال ما منعك أن تسجد لي؟ فقال: إنّ لي ربّاً آتاني هذا العلم على أنّي لا أسجد لغيره، فلو سجدت لك انسلخ عنّي العلم، فلم تنتفع بي، فتركت السجود نظراً إلى ذلك، قال بخت نصّر: وفيت لإلهك فصرت آمناً منّي، فهل لك علم بهذه الرؤيا؟ قال: نعم، رأيت صنماً عظيماً رجلاه في الأرض، ورأسه في السماء، أعلاه من ذهب، ووسطه من فضّة، وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخار، فبينا أنت تنظر إليه وقد أعجبك حسنه وعظمه وإحكام صنعته والأصناف الّتي ركّبت فيه إذ قذفه ملك بحجر من السماء، فوقع على رأسه فدقّه حتّى طحنه، فاختلط ذهبه وفضّته ونحاسه وحديده وفخاره حتّى خيّل لك أنّه لو اجتمع الجنّ والإنس على أن يميّزوا بعضه من بعض لم يقدروا، وحتّى خيّل لك أنّه لو هبّت أدنى ريح لذرته لشدّة ما انطحن، ثمّ نظرت إلى الحجر الّذي قذف به يعظم فينتشر حتّى ملأ الأرض كلّها، فصرت لا ترى إلّا السماء والحجر، قال بخت نصّر: صدقت، هذه الرؤيا الّتي رأيتها فما تأويلها؟ قال دانيال عليه السلام : أمّا الصنم الّذي رأيت فإنّها أمم تكون في أوّل الزمان وأوسطه وآخره، وأمّا الذهب فهو هذا الزمان وهذه الأمّة الّتي أنت

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٢٣.

فيها وأنت ملكها، وأمّا الفضّة فإنّه يكون ابنك يليها من بعدك، وأمّا النحاس فأُمّة الروم، وأمّا الحديد فأمّة فارس، وأمّا الفخار فأمّتان تملكهما امرأتان: إحداهما في شرقيّ اليمن، وأخرى في غربيّ الشام، أمّا الحجر الّذي قذف به الصنم فدين يفقده الله به في هذه الأمّة آخر الزمان ليظهره عليها، يبعث الله نبيّاً أمّيّاً من العرب فيذلّ الله له الأمم والأديان كما رأيت الحجر ظهر على الأرض فانتشر فيها.

فقال بخت نصّر: ما لأحد عندي يد أعظم من يدك، وأنا أريد أن أجزيك، إن أحببت أن أردّك إلى بلادك وأعمرها لك، وإن أحببت أن تقيم معي فأُكرمك؟ فقال دانيال عليه السلام: أمّا بلادي أرض كتب الله عليها الخراب إلى وقت، والإقامة معك أوثق لي، فجمع بخت نصّر ولده وأهل بيته وخدمه وقال لهم: هذا رجل حكيم قد فرّج الله به عنّي كربة قد عجزتم عنها، وقد ولّيته أمركم وأمري، يا بنيّ خذوا من علمه، وإن جاءكم رسولان أحدهما لي والآخر له فأجيبوا دانيال قبلي، فكان لا يقطع أمراً دونه، ولمّا رأوا قوم بخت نصّر ذلك حسدوا دانيال، ثمّ اجتمعوا إليه وقالوا: كانت لك الأرض ويزعم عدوّنا أنّك أنكرت عقلك، قال: إنّي أستعين برأي هذا الإسرائيليّ لإصلاح أمركم فإنّ ربّه يطلعه عليه، قالوا: نتّخذ إلهاً يكفيك ما أهمّك وتستغني عن دانيال فقال: أنتم وذاك، فعملوا صنماً عظيماً وصنعوا عيداً وذبحوا له، وأوقدوا ناراً عظيمة كنار نمرود ودعوا الناس بالسجود لذلك الصنم فمن لم يسجد له ألقي فيها.

وكان مع دانيال عليه السلام أربعة فتية من بني إسرائيل: يوشال ويوحين وعيصوا ومريوس، وكانوا مخلصين موحّدين، فأُتي بهم ليسجدوا للصنم، فقالت الفتية: هذا ليس بإله، ولكن خشبة صمّاء عملها الرجال، فإن شئتم أن نسجد للّذي خلقها فعلنا، فكتفوهم ثمّ رموا بهم في النار، فلمّا أصبحوا طلع عليهم بخت نصّر فوق قصر فإذا معهم خامس وإذا بالنار قد عادت جليداً فامتلأ رعباً، فدعا دانيال عليه السلام فسأله عنهم فقال: أمّا الفتية فعلى ديني يعبدون إلهي ولذلك أجارهم والخامس بحر البرد، أرسله الله تعالى جلّت عظمته إلى هؤلاء نصرة لهم، فأمر بخت نصّر فأخرجوا فقال لهم: كيف بتّم؟ قالوا: بتنا بأفضل ليلة منذ خلقنا، فألحقهم بدانيال وأكرمهم بكرامته حتّى مرّت بهم ثلاثون سنة(١).

٨ - ص: بالإسناد المتقدّم عن وهب قال: ثمّ إنّ بخت نصّر رأى رؤياً أهول من الرؤيا الأولى ونسيها أيضاً، فدعا علماء قومه قال: رأيت رؤياً أخشى أن يكون فيها هلاككم وهلاكي فما تأويلها؟ فعجزوا وجعلوا علّة عجزهم دانيال، فأخرجهم ودعا دانيال عليه السلام فسأله فقال: رأيت شجرة عظيمة شديدة الخضرة، فرعها في السّماء، عليها طير السماء، وفي ظلّها وحوش الأرض وسباعها، فبينما أنت تنظر إليها قد أعجبتك بهجتها إذ أقبل ملك يحمل حديدة كالفأس على عنقه وصرخ بملك آخر في باب من أبواب السماء يقول له: كيف

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٢٧.

أمرك الله أن تفعل بالشجرة؟ أمرك أن تجتثها من أصلها أم أمرك أن تأخذ بعضها؟ فناداه الملك الأعلى: إنّ الله تعالى يقول: خذ منها وأبق، فنظرت إلى الملك حتّى ضرب رأسها بفأسه فانقطع وتفرّق ما كان عليها من الطير، وما كان تحتها من السباع والوحوش، وبقي الجذع لا هيئة له ولا حسن، فقال بخت نصّر: فهذه الرؤيا رأيتها فما تأويلها؟

قال: أنت الشجرة وما رأيت في رأسها من الطيور فولدك وأهلك، وأمّا ما رأيت في ظلّها من السباع والوحوش فخولك ورعيّتك، وكنت قد أغضبت الله فيما تابعت قومك من عمل الصنم، فقال بخت نصّر: كيف يفعل ربّك بي؟ قال: يبتليك ببدنك فيمسخك سبع سنين فإذا مضت رجعت إنساناً كما كنت أوّل مرّة، فقعد بخت نصّر يبكي سبعة أيّام، فلمّا فرغ من البكاء ظهر فوق بيته فمسخه الله عقاباً فطار، وكان دانيال عليه السلام يأمر ولده وأهل مملكته أن لا يغيّروا من أمره شيئاً حتّى يرجع إليهم، ثمّ مسخه الله في آخر عمره بعوضة فأقبل يطير حتّى دخل بيته فحوّله الله إنساناً فاغتسل بالماء ولبس المسوح ثمّ أمر بالناس فجمعوا فقال: إنّي وإيّاكم كنّا نعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرّنا، وإنّه قد تبيّن لي من قدرة الله تعالى جلّ وعلا في نفسي أنّه لا إله إلاّ الله إله بني إسرائيل، فمن تبعني فإنّه منّي وأنا وهو في الحقّ سواء، ومن خالفني ضربته بسيفي حتّى يحكم الله بيني وبينكم، وإنّي قد أجّلتكم إلى اللّيلة فإذا أصبحتم فأجيبوني، ثمّ انصرف ودخل بيته وقعد على فراشه فقبض الله تعالى روحه وقصّ وهب قصّته هذه عن ابن عبّاس، ثمّ قال ما أشبه إيمانه بإيمان السحرة[1]!

٩ - **ص:** لمّا توفّي بخت نصّر تابع الناس ابنه، وكانت الأواني الّتي عملت الشياطين لسليمان بن داود عليه السلام من اللّؤلؤ والياقوت غاص عليها الشياطين حتّى استخرجوها من قعور الأبحر الصمّ الّتي لا تعبر فيها السفن، وكان بخت نصّر غنم كلّ ذلك من بيت المقدس وأوردها أرض بابل، واستعمر فيه دانيال عليه السلام فقال: إنّ هذه الآنية طاهرة مقدّسة صنعها النبيّ ابن النبيّ ليسجد لربّه عزّ وعلا فلا تدنّسها بلحم الخنازير وغيرها فإنّ لها ربّاً سيعيدها حيث كانت، فلم يطعه واعتزل دانيال وأقصاه وجفاه، وكانت له امرأة حكيمة نشأت في تأديب دانيال تعظه وتقول: إنّ أباك كان يستغيث بدانيال، فأبى ذلك، فعمل في كلّ عمل سوء حتّى عجت الأرض منه إلى الله تعالى جلّت عظمته، فبينا هو في عيد إذا بكفّ ملك يكتب على الجدار ثلاثة أحرف، ثمّ غابت الكفّ والقلم وبهتوا فسألوا دانيال بحقّ تأويل ذلك المكتوب وكان كتب: «وزن فخفّ، ووعد فأنجز، وجمع فتفرّق» فقال: أمّا الأوّل فإنّه عقلك وزن فخفّ فكان خفيفاً في الميزان، والثاني وعد أن يملّك فأنجزه اليوم، والثالث فإنّ الله كان قد جمع لك ولوالدك من قبلك ملكاً عظيماً ثمّ تفرّق اليوم، فلا يجتمع إلى يوم القيامة؛ فقال له: ثمّ ماذا؟ قال: يعذّبك الله، فأقبلت بعوضة تطير حتّى دخلت في إحدى منخريه فوصلت إلى

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٢٨.

دماغه وتؤذيه، فأحبُّ الناس عنده من حمل مرزبة يضرب بها رأسه، ويزداد كلّ يوم ألماً إلى أربعين ليلة حتّى مات وصار إلى النار[١].

بيان: هذه القصص المنقولة عن وهب ليست ممّا يعتمد عليه، وإيمان بخت نصّر مخالف لظواهر الأخبار المعتبرة، وأمّا مسخه فقد ورد في توحيد المفضّل بن عمر المرويّ عن الصادق عليه‌السلام ما يومئ إليه حيث قال عليه‌السلام: وترى كثيراً من الفسّاق يعاجلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم، وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم، كما عوجل فرعون بالغرق، وبخت نصّر بالتيه، وبلبيس بالقتل.

١٠ - **ص:** الصدوق، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمّارة، عن جابر الجعفيّ، عن الباقر صلوات الله عليه قال: سألته عن تعبير الرؤيا عن دانيال عليه‌السلام أهو صحيح؟ قال: نعم، كان يوحى إليه وكان نبيّاً، وكان ممّن علّمه الله تأويل الأحاديث، وكان صدّيقاً حكيماً، وكان والله يدين بمحبّتنا أهل البيت! قال جابر: بمحبّتكم أهل البيت؟ قال: إي والله، وما من نبيّ ولا ملك إلاّ وكان يدين بمحبّتنا[٢].

١١ - **ص:** الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن السيّاريّ، عن إسحاق بن إبراهيم، عن الرضا عليه‌السلام قال: إنّ الملك قال لدانيال: أشتهي أن يكون لي ابن مثلك، فقال: ما محلّي من قلبك؟ قال: أجلّ محلّ وأعظمه، قال دانيال: فإذا جامعت فاجعل همّتك فيّ، قال: ففعل الملك ذلك فولد له ابن أشبه خلق الله بدانيال[٣].

١٢ - **ص:** الصدوق، عن جعفر بن محمّد بن شاذان، عن أبيه، عن الفضل، عن محمّد بن زياد، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: قال عزير يا ربّ إنّي نظرت في جميع أمورك وإحكامها فعرفت عدلك بعقلي، وبقي باب لم أعرفه، إنّك تسخط على أهل البليّة فتعمّهم بعذابك وفيهم الأطفال، فأمره الله تعالى أن يخرج إلى البرّيّة وكان الحرّ شديداً، فرأى شجرة فاستظلّ بها ونام، فجاءت نملة فقرصته فدلك الأرض برجله فقتل من النمل كثيراً، فعرف أنّه مثل ضرب، فقيل له: يا عزير إنّ القوم إذا استحقّوا عذابي قدّرت نزوله عند انقضاء آجال الأطفال فماتوا أولئك بآجالهم وهلك هؤلاء بعذابي[٤].

بيان: قال الفيروزآباديّ: القرص: أخذك لحم إنسان بإصبعك حتّى تؤلمه. ولسع البراغيث. والقبض. والقطع.

١٣ - **ك:** أبي وابن الوليد معاً عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن محمّد بن إسماعيل القرشيّ، عمّن حدّثه، عن إسماعيل ابن أبي رافع، عن أبيه، عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: ملك بخت نصّر مائة سنة وسبعاً وثمانين سنة،

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٢٨.
(٢) - (٣) قصص الأنبياء، ص ٢٣٠.
(٤) قصص الأنبياء، ص ٢٤٠.

وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريا عليه السلام وخرب بيت المقدس، وتفرّقت اليهود في البلدان، وفي سبع وأربعين سنة من ملكه بعث الله العزير نبيّاً إلى أهل القرى الّتي أمات الله أهلها ثمّ بعثهم له، وكانوا من قرى شتّى فهربوا فرقاً من الموت، فنزلوا في جوار عزير وكانوا مؤمنين، وكان عزير يختلف إليهم ويسمع كلامهم وإيمانهم وأحبّهم على ذلك وآخاهم عليه فغاب عنهم يوماً واحداً، ثمّ أتاهم فوجدهم موتى صرعى فحزن عليهم وقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ تعجّباً منه حيث أصابهم وقد ماتوا أجمعين في يوم واحد، فأماته الله عند ذلك مائة عام وهي مائة سنة، ثمّ بعثه الله وإيّاهم وكانوا مائة ألف مقاتل، ثمّ قتلهم الله أجمعين لم يفلت منهم واحد على يدي بخت نصّر، ثمّ ملك مهرويه بن بخت نصّر ستّ عشرة سنة وعشرين يوماً، فأخذ عند ذلك دانيال عليه السلام وخدّ له خدّاً في الأرض وطرح فيه دانيال وأصحابه وشيعته من المؤمنين، وألقى عليهم النيران، فلمّا رأى أنّ النار لا تقربهم ولا تحرقهم استودعهم الجبّ وفيه الأسد والسباع وعذّبهم بكلّ نوع من العذاب حتّى خلّصهم الله منه، وهم الّذين ذكرهم الله في كتابه فقال: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥﴾ فلمّا أراد الله أن يقبض دانيال عليه السلام أمره أن يستودع نور الله وحكمته مكيخا بن دانيال ففعل[1].

١٤ - شي: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فقال: إنّ الله بعث على بني إسرائيل نبيّاً يقال له أرميا فقال: قل لهم: ما بلد تنقّيته من كرائم البلدان وغرست فيه من كرائم الغرس ونقّيته من كلّ غريبة فأخلف فأنبت خرنوباً؟ قال: فضحكوا واستهزؤوا به، فشكاهم إلى الله، قال: فأوحى الله إليه أن قل لهم: إنّ البلد بيت المقدس والغرس بنو إسرائيل تنقّيته من كلّ غريبة، ونحّيت عنهم كلّ جبّار، فأخلفوا فعملوا بمعاصي الله فلأسلّطن عليهم في بلدهم من يسفك دماءهم، ويأخذ أموالهم، فإن بكوا إليّ فلم أرحم بكاءهم، وإن دعوا لم أستجب دعاءهم، ثمّ لأخربنّها مائة عام، ثمّ لأعمرنّها، فلمّا حدّثهم جزعت العلماء فقالوا: يا رسول الله ماذنبنا نحن ولم نكن نعمل بعملهم؟ فعاود لنا ربّك، فصام سبعاً فلم يوح إليه شيء، فأكل أكلة ثمّ صام سبعاً فلم يوح إليه شيء، فأكل أكلة ثمّ صام سبعاً فلمّا أن كان يوم الواحد والعشرين أوحى الله إليه لترجعنّ عمّا تصنع، أتراجعني في أمر قضيته أو لأردّنّ وجهك على دبرك؟ ثمّ أوحى إليه قل لهم: لأنّكم رأيتم المنكر فلم تنكروه، فسلّط الله عليهم بخت نصّر فصنع بهم ما قد بلغك، ثمّ بعث بخت نصّر إلى النبيّ فقال: إنّك قد نبّئت عن ربّك وحدّثتهم بما أصنع بهم، فإن شئت فأقم عندي فيمن شئت وإن شئت فاخرج، فقال: لا بل أخرج، فتزوّد عصيراً وتيناً وخرج، فلمّا أن كان مدّ البصر التفت إليها فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ

(١) كمال الدين، ص ٢١٦.

مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ أماته غدوة، وبعثه عشيّة قبل أن تغيب الشمس، وكان أوّل شيء خلق منه عيناه في مثل غرقئ البيض، ثمّ قيل له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ فلمّا نظر إلى الشمس لم تغب قال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ قال: فجعل ينظر إلى عظامه كيف يصل بعضها إلى بعض ويرى العروق كيف يجري، فلمّا استوى قائماً قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي رواية هارون: فتزوّد عصيراً ولبناً(١).

١٥ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن اليقطينيّ، عن النضر عن يحيى الحلبيّ، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله، وفيه: فسلّط الله عليهم بخت نصّر، وسمّي به لأنّه رضع بلبن كلبة، وكان اسم الكلب بخت واسم صاحبه نصّر، وكان مجوسيّاً أغلف، أغار على بيت المقدس ودخله في ستّمائة ألف علم، ثمّ بعث بخت نصّر إلى النبيّ فقال: إنّك نبّئت عن ربّك وخبّرتهم بما أصنع بهم، فإن شئت فأقم عندي، وإن شئت فاخرج، قال: بل أخرج، فتزوّد عصيراً ولبناً وخرج(٢).

ين: النضر مثله إلى قوله: فصنع بهم ما قد بلغك(٣).

١٦ - **شي:** أبو طاهر العلويّ، عن عليّ بن محمّد العلويّ، عن عليّ بن مرزوق، عن إبراهيم بن محمّد قال: ذكر جماعة من أهل العلم أنّ ابن الكوّاء قال لعليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين ما ولد أكبر من أبيه من أهل الدنيا؟ قال: نعم أولئك ولد عزير حيث مرّ على قرية خربة وقد جاء من ضيعة له، تحته حمار، ومعه شنّة فيها قتر وكوز فيه عصير فمرّ على قرية خربة فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ فتوالد ولده وتناسلوا ثمّ بعث الله إليه فأحياه في المولد الّذي أماته فيه فأولئك ولده أكبر من أبيهم(٤).

١٧ - **خص:** ابن عيسى، عن الحسن، عن الحسين بن علوان، عن محمّد بن داود العبديّ، عن الأصبغ بن نباتة أنّ عبد الله بن الكوّاء اليشكريّ قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّ أبا المعتمر تكلّم آنفاً بكلام لا يحتمله قلبي، فقال: وما ذاك؟ قال: يزعم أنّك حدّثته أنّك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّا قد رأينا أو سمعنا برجل أكبر سنّاً من أبيه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فهذا الّذي كبر عليك؟ قال: نعم، فهل تؤمن أنت بهذا وتعرفه؟ فقال: نعم ويلك يا بن الكوّاء افقه عنّي أخبرك عن ذلك، إنّ عزيراً خرج من أهله وامرأته في شهرها وله يومئذ خمسون سنة، فلمّا ابتلاه الله عزّ وجلّ بذنبه وأماته مائة عام ثمّ بعثه

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٦٠ ح ٤٦٧. (٢) قصص الأنبياء، ص ٢٢٢.

(٣) الزهد، ص ١٨٨ باب ٢٠ ح ١.

(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٦١ ح ٤٦٩ من سورة البقرة.

فرجع إلى أهله وهو ابن خمسين سنة، فاستقبله ابنه وهو ابن مائة سنة، وردّ الله عزيراً في السنّ الّذي كان به، فقال ما يريد.

١٨ - **كا**: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام: إنّ دانيال عليه السلام كان يتيماً لا أمّ له ولا أب، وإنّ امرأة من بني إسرائيل عجوزاً كبيرة ضمّته فربّته، وإنّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان له قاضيان، وكان لهما صديق، وكان رجلاً صالحاً، وكان له امرأة بهيّة جميلة، وكان يأتي الملك فيحدّثه، واحتاج الملك إلى رجل يبعثه في بعض أموره فقال للقاضيين: اختارا رجلاً أرسله في بعض أموري، فقالا: فلان، فوجّهه الملك، فقال الرجل للقاضيين: أوصيكما بامرأتي خيراً، فقالا: نعم، فخرج الرجل، فكان القاضيان يأتيان باب الصديق فعشقا امرأته فراوداها عن نفسها فأبت، فقالا لها: والله لئن لم تفعلي لنشهدنّ عليك عند الملك بالزنا ثمّ لنرجمنّك، فقالت: افعلا ما أحببتما، فأتيا الملك فأخبراه وشهدا عنده أنّها بغت، فدخل الملك من ذلك أمر عظيم واشتدّ بها غمّه وكان بها معجباً فقال لهما: إنّ قولكما مقبول ولكن ارجموها بعد ثلاثة أيّام، ونادى في البلد الّذي هو فيه: احضروا قتل فلانة العابدة فإنّها قد بغت، فإنّ القاضيين قد شهدا عليها بذلك، فأكثر النّاس في ذلك، وقال الملك لوزيره: ما عندك في هذا من حيلة؟ فقال: ما عندي في ذلك من شيء.

فخرج الوزير يوم الثالث وهو آخر أيّامها فإذا هو بغلمان عراة يلعبون وفيهم دانيال لا يعرفه، فقال دانيال: يا معشر الصبيان تعالوا حتّى أكون أنا الملك وتكون أنت يا فلان العابدة، ويكون فلان وفلان القاضيين شاهدين عليها، ثمّ جمع تراباً وجعل سيفاً من قصب، وقال للصبيان: خذوا بيد هذا فنحّوه إلى مكان كذا وكذا، وخذوا بيد هذا فنحّوه إلى مكان كذا وكذا، ثمّ دعا بأحدهما وقال له: قل حقّاً فإنّك إن لم تقل حقّاً قتلتك، والوزير قائم ينظر ويسمع، فقال: إنّها بغت، فقال: متى؟ فقال: يوم كذا وكذا قال: مع من؟ قال: مع فلان ابن فلان، قال: وأين؟ قال: موضع كذا وكذا، قال: ردوه إلى مكانه وهاتوا الآخر، فردّوه إلى مكانه وجاؤوا بالآخر، فقال له: بما تشهد؟ فقال: أشهد أنّها بغت، قال: متى؟ قال: يوم كذا وكذا، قال: مع من؟ قال: مع فلان ابن فلان، قال: وأين؟ قال: موضع كذا وكذا، فخالف أحدهما صاحبه، فقال دانيال: الله أكبر شهدا بزور، يا فلان ناد في الناس أنّهما شهدا على فلانة بزور فاحضروا قتلهما.

فذهب الوزير إلى الملك مبادراً فأخبره الخبر، فبعث الملك إلى القاضيين فاختلف كما اختلف الغلامان، فنادى الملك في الناس وأمر بقتلهما[1].

١٩ - **كا**: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، وعدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً، عن

(١) الكافي، ج ٧ ص ١٤٣٩ باب ٢٦٨ ح ٩.

ابن محبوب، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى داود عليه السلام أن ائت عبدي دانيال فقل له: إنّك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك، فأتاه داود عليه السلام فقال: يا دانيال إنّي رسول الله إليك وهو يقول لك: إنّك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك، فقال له دانيال: قد أبلغت يا نبيّ الله؛ فلمّا كان في السحر قام دانيال فناجى ربّه فقال: يا ربّ إنّ داود نبيّك أخبرني عنك أنّني قد عصيتك فغفرت لي، وعصيتك فغفرت لي، وعصيتك فغفرت لي، وأخبرني عنك أنّي إن عصيتك الرابعة لم تغفر لي، فوعزّتك وجلالك لئن لم تعصمني لأعصينّك ثمّ لأعصينّك ثمّ لأعصينّك[1].

ين: ابن محبوب مثله[2].

٢٠ - كا: عليّ بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أكرموا الخبز فإنّه قد عمل فيه ما بين العرش إلى الأرض وما فيها من كثير من خلقه. ثمّ قال لمن حوله: ألا أحدّثكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله فداك الآباء والأمّهات، فقال: إنّه كان نبيّ فيما كان قبلكم يقال له دانيال، وإنّه أعطى صاحب معبر رغيفاً لكي يعبر به، فرمى صاحب المعبر بالرغيف وقال: ما أصنع بالخبز؟ هذا الخبز عندنا قد يداس بالأرجل، فلمّا رأى دانيال ذلك منه رفع يده إلى السماء وقال: اللّهمّ أكرم الخبز فقد رأيت يا ربّ ما صنع هذا العبد وما قال، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى السماء أن تحبس الغيث وأوحى إلى الأرض أن كوني طبقاً كالفخّار قال: فلم يمطر شيء حتّى أنّه بلغ من أمرهم أنّ بعضهم أكل بعضاً، فلمّا بلغ منهم ما أراد الله عزّ وجلّ من ذلك قالت امرأة لأخرى ولهما ولدان: فلانة! تعالي حتّى نأكل أنا وأنت اليوم ولدي فإذا جعنا غداً أكلنا ولدك، قالت لها: نعم، فأكلتاه، فلمّا أن جاعتا من بعد راودت الأخرى على أكل ولدها فامتنعت عليها، فقالت لها: بيني وبينك نبيّ الله، فاختصما إلى دانيال، فقال لهما: وقد بلغ الأمر إلى ما أرى؟ قالتا له: نعم يا نبيّ الله وأشرّ، فرفع يده إلى السماء فقال: اللّهمّ عد علينا بفضلك وفضل رحمتك ولا تعاقب الأطفال ومن فيه خير بذنب صاحب المعبر وأضرابه لنعمتك، قال: فأمر الله تبارك وتعالى السماء أن أمطري على الأرض، وأمر الأرض أن أنبتي لخلقي ما قد فاتهم من خيرك، فإنّي قد رحمتهم بالطفل الصغير[3].

٢١ - كا: عليّ بن محمّد، عن ابن جمهور، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إذا لقيت السبع

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٩ باب التوبة ح ١١.
(٢) الزهد، ص ١٤٣ باب ١٢ ح ١٦.
(٣) الكافي، ج ٦ ص ١٠٥٧ باب ٢٢١ ح ٢.

فقل: أعوذ بربّ دانيال والجبّ من شرّ كلّ أسد مستأسد(١).

٢٢ - **فس**: أبي، عن إسماعيل بن أبان، عن عمر بن عبد الله الثقفيّ قال: لمّا أخرج هشام ابن عبد الملك أبا جعفر عليه السلام إلى الشام سأله عالم النصارى عن مسائل، فكان فيما سأله: أخبرني عن رجل دنا من امرأته فحملت بابنين جميعاً حملتهما في ساعة واحدة، وولدتهما في ساعة واحدة، وماتا في ساعة واحدة، ودفنا في ساعة واحدة في قبر واحد، فعاش أحدهما خمسين ومائة سنة، وعاش الآخر خمسين سنة، من هما؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هما عزير وعزرة، كان حمل أمّهما على ما وصفت، ووضعتهما على ما وصفت، وعاش عزرة مع عزير ثلاثين سنة، ثمّ أمات الله عزيراً مائة سنة وبقي عزرة يحيى، ثمّ بعث الله عزيراً فعاش مع عزرة عشرين سنة؛ الخبر(٢).

بيان: قد عرفت اختلاف القوم في أنّ الّذي أماته الله مائة عام هل هو أرميا أو عزير، وقد دلّت الروايات على كلّ منهما أيضاً، ولعلّ الأخبار الدالّة على كونه عزيراً محمولة على التقيّة أو على ما يوافق روايات أهل الكتاب بأن يكونوا أجابوهم على معتقدهم ويمكن القول بوقوعه على كلّ منهما وإن كانت الآية وردت في أحدهما.

٢٣ - **كا**: الحسين بن محمّد، عن عليّ بن محمّد بن سعد رفعه، عن أبي حمزة، عن عليّ ابن الحسين عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال عليه السلام إنّ أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخفّ بحقّ أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وإنّ أحبّ عبيدي إليّ التقيّ الطالب للثواب الجزيل، اللاّزم للعلماء، التابع للحلماء، القابل عن الحكماء(٣).

٢٤ - **ل، ع، ن**: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن الأربعاء وما يتطيّر منه، فقال عليه السلام: آخر أربعاء من الشهر إلى أن قال: ويوم الأربعاء خرب بيت المقدس، ويوم الأربعاء أحرق مسجد سليمان بن داود بإصطخر من كورة فارس(٤).

٢٥ - **دعوات الراونديّ**: قال: أوحى الله إلى عزير عليه السلام يا عزير إذا وقعت في معصية فلا تنظر إلى صغرها ولكن انظر من عصيت، وإذا أوتيت رزقاً منّي فلا تنظر إلى قلّته ولكن انظر من أهداه، وإذا نزلت بك بليّة فلا تشك إلى خلقي كما لا أشكوك إلى ملائكتي عند صعود مساويك وفضائحك(٥).

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦١٨ باب الحرز والعوذة، ح ٩.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٠٦.

(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٤ باب ثواب العالم ح ٥.

(٤) الخصال، ص ٣٨٨ باب السبعة ح ٧٨، علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ ح ٤٤، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٣ باب ٢٤ ح ١.

(٥) دعوات الراوندي، ص ١٦٩.

٢٦ - باب قصص يونس وأبيه متى

الآيات: يونس «١٠»: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ «٩٨».

الأنبياء «٢١»: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

الصافات «٣٧»: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾.

ن [القلم] «٦٨»: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

تفسير: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ قال الطبرسيّ: يعني يونس عليه السلام أي لا تكن مثله في استعجال عقاب قومه ولا تخرج من بين قومك قبل أن يأذن الله لك كما خرج ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي دعا ربّه في جوف الحوت وهو محبوس عن التصرّف في الأمور؛ وقيل: مكظوم أي مختنق بالغمّ إذ لم يجد لغيظه شفاء ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي لولا أن أدركته رحمة من ربّه بإجابة دعائه وتخليصه من بطن الحوت ﴿لَنُبِذَ﴾ أي طرح ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ أي بالفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ قد أتى بما يلام عليه، لكنّ الله تعالى تداركه بنعمة من عنده فنبذ بالعراء وهو غير مذموم(١).

١ - **فس:** ﴿كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ يعني يونس عليه السلام لمّا دعا على قومه ثمّ ذهب مغاضباً لله، وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي مغموم، وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قال: النعمة: الرحمة ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ قال: العراء: الموضع الّذي لا سقف له(٢).

٢ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما ردّ الله العذاب إلّا عن قوم يونس، وكان يونس يدعوهم إلى الإسلام فيأبون ذلك، فهمّ أن يدعو عليهم وكان فيهم رجلان: عابد وعالم، وكان اسم أحدهما مليخا، والآخر اسمه روبيل، فكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم، وكان العالم ينهاه ويقول: لا تدع عليهم فإنّ الله يستجيب لك، ولا يحبّ هلاك عباده، فقبل قول العابد ولم يقبل من العالم فدعا عليهم، فأوحى الله إليه: يأتيهم العذاب في سنة كذا وكذا، في شهر كذا وكذا، في يوم كذا وكذا.

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٩٩.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٦٩.

فلمّا قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد، وبقي العالم فيها، فلمّا كان في ذلك اليوم نزل العذاب، فقال العالم لهم: يا قوم افزعوا إلى الله فلعلّه يرحمكم ويردّ العذاب عنكم، فقالوا: كيف نصنع؟ قال: اجتمعوا واخرجوا إلى المفازة وفرّقوا بين النساء والأولاد، وبين الإبل وأولادها، وبين البقر وأولادها، وبين الغنم وأولادها، ثمّ ابكوا وادعوا، فذهبوا وفعلوا ذلك وضجّوا وبكوا فرحمهم الله وصرف عنهم العذاب وفرّق العذاب على الجبال وقد كان نزل وقرب منهم، فأقبل يونس ينظر كيف أهلكهم الله فرأى الزارعين يزرعون في أرضهم، قال لهم: ما فعل قوم يونس؟ فقالوا له - ولم يعرفوه -: إنّ يونس دعا عليهم فاستجاب الله له ونزل العذاب عليهم فاجتمعوا وبكوا فدعوا فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم وفرّق العذاب على الجبال، فهم إذاً يطلبون يونس ليؤمنوا به، فغضب يونس ومرّ على وجهه مغاضباً به كما حكى الله، حتّى انتهى إلى ساحل البحر فإذا سفينة قد شحنت وأرادوا أن يدفعوها فسألهم يونس أن يحملوه فحملوه، فلمّا توسّطوا البحر بعث الله حوتاً عظيماً فحبس عليهم السفينة من قدّامها، فنظر إليه يونس ففزع منه وصار إلى مؤخّر السفينة فدار إليه الحوت وفتح فاه فخرج أهل السفينة فقالوا: فينا عاص فتساهموا فخرج سهم يونس، وهو قول الله ﷻ: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت ومرّ به في الماء.

وقد سأل بعض اليهود أمير المؤمنين عليه السلام عن سجن طاف أقطار الأرض بصاحبه؛ فقال: يا يهوديّ أمّا السجن الّذي طاف أقطار الأرض بصاحبه فإنّه الحوت الّذي حبس يونس في بطنه، فدخل في بحر القلزم، ثمّ خرج إلى بحر مصر، ثمّ دخل إلى بحر طبرستان، ثمّ خرج في دجلة الغوراء، قال: ثمّ مرّت به تحت الأرض حتّى لحقت بقارون، وكان قارون هلك في أيّام موسى عليه السلام ووكّل الله به ملكاً يدخل في الأرض كلّ يوم قامة رجل، وكان يونس في بطن الحوت يسبّح الله ويستغفره، فسمع قارون صوته فقال للملك الموكّل به: أنظرني فإنّي أسمع كلام آدميّ، فأوحى الله إلى الملك الموكّل به: أنظره، فأنظره، ثمّ قال قارون: من أنت؟ قال يونس: أنا المذنب الخاطئ يونس بن متى قال: فما فعل الشديد الغضب لله موسى ابن عمران؟ قال: هيهات هلك، قال: فما فعل الرؤوف الرحيم على قومه هارون بن عمران؟ قال: هلك، قال: فما فعلت كلثم بنت عمران الّتي كانت سمّيت لي؟ قال: هيهات ما بقي من آل عمران أحد، فقال قارون: وا أسفاه على آل عمران، فشكر الله له ذلك، فأمر الله الملك الموكّل به أن يرفع عنه العذاب أيّام الدنيا فرفع عنه، فلمّا رأى يونس ذلك نادى في الظلمات: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فاستجاب الله له وأمر الحوت فلفظه على ساحل البحر وقد ذهب جلده ولحمه، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهي الدبّاء، فأظلّته من الشمس فسكن، ثمّ أمر الله الشجرة فتنحّت عنه ووقعت الشمس عليه، فجزع فأوحى الله إليه: يا يونس لم ترحم مائة ألف أو يزيدون وأنت تجزع من ألم ساعة؟ فقال: يا ربّ عفوك عفوك، فردّ الله بدنه ورجع إلى قومه وآمنوا به، وهو قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ

إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ فقالوا: فمكث يونس في بطن الحوت تسع ساعات، ثمّ قال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ يعني لو شاء الله أن يجبر الناس كلّهم على الإيمان لفعل.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لبث يونس في بطن الحوت ثلاثة أيّام، ونادى في الظلمات: ظلمة بطن الحوت، وظلمة اللّيل، وظلمة البحر: أن لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين، فاستجاب له ربّه فأخرجه الحوت إلى الساحل، ثمّ قذفه فألقاه بالساحل، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهو القرع، فكان يمصّه ويستظلّ به بورقه، وكان تساقط شعره ورقّ جلده، وكان يونس عليه السلام يسبّح ويذكر الله اللّيل والنهار، فلمّا أن قوي واشتدّ بعث الله دودة فأكلت أسفل القرع فذبلت القرعة ثمّ يبست، فشقّ ذلك على يونس فظلّ حزيناً فأوحى الله إليه: ما لك حزيناً يا يونس؟ قال: يا ربّ هذه الشجرة الّتي تنفعني سلّطت عليها دودة فيبست، قال: يا يونس أحزنت لشجرة لم تزرعها ولم تسقها ولم تعن بها أن يبست حين استغنيت عنها، ولم تحزن لأهل نينوى أكثر من مائة ألف؟ أردت أن ينزل عليهم العذاب؟ إنّ أهل نينوى قد آمنوا واتّقوا فارجع إليهم، فانطلق يونس عليه السلام إلى قومه فلمّا دنا من نينوى استحيى أن يدخل فقال لراع لقيه: ائت أهل نينوى فقل لهم: إنّ هذا يونس قد جاء، قال الراعي: أتكذب؟ أما تستحيي ويونس قد غرق في البحر وذهب؟ قال له يونس: اللّهمّ إنّ هذه الشاة تشهد لك أنّي يونس، فلمّا أتى الراعي قومه وأخبرهم أخذوه وهمّوا بضربه، فقال: إنّ لي بيّنة بما أقول، قالوا: من يشهد؟ قال: هذه الشاة تشهد، فشهدت بأنّه صادق، وأنّ يونس قد ردّه الله إليهم فخرجوا يطلبونه فوجدوه فجاؤوا به وآمنوا وحسن إيمانهم فمتّعهم الله إلى حين وهو الموت، وأجارهم من ذلك العذاب[1].

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ قال: هو يونس، ومعنى ذا النون أي ذا الحوت، قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ قال: أنزله على أشدّ الأمرين فظنّ به أشدّ الظنّ، وقال: إنّ جبرئيل استثنى في هلاك قوم يونس ولم يسمعه يونس، قلت: ما كان حال يونس لمّا ظنّ أنّ الله لن يقدر عليه؟ قال: كان من أمر شديد، قلت: وما كان سببه حتّى ظنّ أنّ الله لن يقدر عليه؟ قال: وكله إلى نفسه طرفة عين. قال: وحدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أمّ سلمة النبيّ صلى الله عليه وآله يقول في دعائه: «اللّهمّ ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً» فسألته في ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: يا أمّ سلمة وما يؤمنني، وإنّما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين فكان منه ما كان.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣١٨.

يقول: من أعمال قومه ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ يقول: ظنّ أن لن يعاقب بما صنع[١].

بيان: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: قيل: إنّ معناه فهلاّ كان أهل قرية آمنوا في وقت ينفعهم إيمانهم، أعلم الله سبحانه أنّ الإيمان لا ينفع عند وقوع العذاب، ولا عند حضور الموت الّذي لا يشكّ فيه، لكنّ قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم العذاب، عن الزجّاج؛ قال: وقوم يونس لم يقع بهم العذاب إنّما رأوا الآية الّتي تدلّ على العذاب، فمثلهم مثل العليل الّذي يرجو العافية ويخاف الموت؛ وقيل: إنّ معناه: فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها، يريد بذلك: لم يكن هذا معروفاً لأمّة من الأمم كفرت ثمّ آمنت عند نزول العذاب وكشف عنهم، أي لم أفعل هذا بأمّة قطّ إلاّ قوم يونس لمّا آمنوا عند نزول العذاب كشفت عنهم العذاب بعدما تدلّى عليهم، عن قتادة وابن عبّاس؛ وقيل: إنّه أراد بقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ قوم ثمود فإنّه قد جاءهم العذاب يوماً فيوماً كما جاء قوم يونس إلاّ أنّ قوم يونس استدركوا ذلك بالتوبة وأولئك لم يستدركوا، فوصف أهل القرية بأنّهم سوى قوم يونس ليعرفهم به بعض التعريف، إذ كان أخبر عنهم على سبيل الإخبار عن النكرة، عن الجبّائيّ؛ وهذا إنّما يصحّ إذا كان ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ مرفوعاً. انتهى[٢].

قوله: (أنزله على أشدّ الأمرين) ظاهره أنّ المراد أنّ الله تعالى لمّا كلّفه أمراً شديداً وهو الصبر على وقوع خلاف ما أخبر به ظنّ به تعالى ظنّاً شديداً لا يليق به، أو المعنى أنّه لمّا وكله الله إلى نفسه وهو أشدّ الأمور ظنّ بالله أشدّ الظنّ بفرط الرجاء حيث غفل عن عقابه تعالى، وسيأتي بسط القول في تأويل الآية.

٣ - ع: الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن عليّ بن سالم، عن أبيه، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ علّة صرف الله عزّ وجلّ العذاب عن قوم يونس وقد أظلّهم ولم يفعل ذلك بغيرهم من الأمم؟ فقال: لأنّه كان في علم الله عزّ وجلّ أنّه سيصرفه عنهم لتوبتهم، وإنّما ترك إخبار يونس بذلك لأنّه عزّ وجلّ أراد أن يفرغه لعبادته في بطن الحوت فيستوجب بذلك ثوابه وكرامته[٣].

شي: عن أبي بصير مثله[٤].

بيان: يمكن توجيه الخبر بوجهين: **الأوّل** أن يكون السؤال عن علّة عدم نزول العذاب عليهم دفعة بل بأن أظلّهم ولم ينزل بهم حتّى تابوا، فالجواب أنّه لمّا علم الله أنّهم يتوبون بعد رؤيته جعله مظلاً بهم حتّى تابوا فصرف عنهم.

الثاني: أن يكون السؤال على ظاهره ويكون الجواب أنّهم لمّا تابوا صرف عنهم،

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٩.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٢٩.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٧ باب ٦٦ ح ١.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٤٣ ح ٤٥

والتعرّض لحديث العلم لبيان أنّه كان عالماً بتوبتهم، وإنّما لم يخبر يونس للحكمة المذكورة، والأوّل أظهر لا سيّما في الخبر الآتي.

٤ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن أبي المغرا، عن سماعة أنّه سمعه عليه السلام وهو يقول: ما ردّ الله العذاب عن قوم قد أظلّهم إلّا قوم يونس، فقلت: أكان قد أظلّهم؟ فقال: نعم حتّى نالوه بأكفّهم، قلت: فكيف كان ذلك؟ قال: كان في العلم المثبت عند الله عزّ وجلّ الّذي لم يطّلع عليه أحد أنّه سيصرفه عنهم(١).

٥ - ع: أبي، عن الحميريّ، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّ يونس بن متى عليه السلام بصفائح الروحاء وهو يقول: لبّيك كشّاف الكرب العظام لبّيك. الخبر(٢).

كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير مثله(٣).

٦ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن سجيم، عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول - وهو رافع يده إلى السماء -: «ربّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً لا أقلّ من ذلك ولا أكثر»، قال: فما كان بأسرع من أن تحدّر الدموع من جوانب لحيته، ثمّ أقبل عليّ فقال: يا ابن أبي يعفور إنّ يونس بن متى وكله الله عزّ وجلّ إلى نفسه أقلّ من طرفة عين فأحدث ذلك الظنّ، قلت: فبلغ به كفراً أصلحك الله؟ قال: لا، ولكنّ الموت على تلك الحال هلاك(٤).

٧ - ن: في خبر ابن الجهم أنّه سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ فقال الرضا عليه السلام: ذلك يونس بن متى عليه السلام ذهب مغاضباً لقومه ﴿فَظَنَّ﴾ بمعنى استيقن ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي لن نضيّق عليه رزقه، ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ أي ضيّق عليه فقتر ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة اللّيل، وظلمة البحر، وبطن الحوت «أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين» بتركي مثل هذه العبادة الّتي قد فرغتني لها في بطن الحوت فاستجاب الله له، وقال عزّ وجلّ: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾(٥).

بيان: (بتركي مثل هذه العبادة) أي لمّا عبد الله تعالى في بطن الحوت أحسن العبادة وذكره أحسن الذكر لفراغ باله عن الشواغل خضع لله وأقرّ بالظلم حيث ترك قبل دخوله في بطن الحوت مثل تلك العبادة، ولعلّ ذكر الآية الأخيرة لبيان أنّه كان مشتغلاً بالتسبيح في بطن

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٧ باب ٦٦ ح ٢. (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٢٤ باب ١٥٧ ح ٧.
(٣) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٦ باب ١٣٥ ح ٤.
(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٢٢ باب دعوات موجزات ح ١٥.
(٥) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٧٩ باب ١٥ ح ١.

الحوت، ويحتمل أن يكون عليه السلام تأوّل الآية بأنّه لو لم يكن خارجاً من بطن الحوت من المسبّحين للبث في بطنه، لأنّه كان أصلح له وأفرغ لعبادته، ولكنّه لمّا كان في الخارج أيضاً من المسبّحين وكان يترتّب على خروجه هداية الخلق أيضاً فلذا أخرجناه.

ولنذكر بعض ماقيل من التأويلات في تلك الآيات:

قال السيّد قدّس الله روحه: أمّا من ظن أنّ يونس عليه السلام خرج مغاضباً لربّه من حيث لم ينزل بقومه العذاب فقد خرج في الافتراء على الأنبياء بسوء الظنّ بهم عن الحدّ، وليس يجوز أن يغاضب ربّه إلاّ من كان معادياً وجاهلاً بأنّ الحكمة في سائر أفعاله، وهذا لا يليق بأتباع الأنبياء من المؤمنين فضلاً عمّن عصمه الله ورفع درجته، وأقبح من ذلك ظنّ الجهّال أنّه ظنّ أنّ ربّه لا يقدر عليه من جهة القدرة الّتي يصحّ بها الفعل، ويكاد يخرج عندنا من ظنّ بالأنبياء مثل ذلك عن باب التمييز والتكليف، ولكن كان غضبه عليه السلام على قومه لمقامهم على تكذيبه وإصرارهم على الكفر ويأسه من إقلاعهم وتوبتهم فخرج من بينهم خوفاً من أن ينزل العذاب بهم وهو مقيم بينهم، فأمّا قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فمعناه أنّا لا نضيّق عليه المسلك، ونشدّد عليه المحنة والتكليف، لأنّ ذلك ممّا يجوز أن يظنّه النبيّ، ولا شكّ في أنّ قول القائل: قدّرت وقدرت بالتشديد والتخفيف معناه التضييق، قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ والتضييق الّذي قدّره الله عليه هو ما لحقه من الحصول في بطن الحوت، وما لحقه في ذلك من المشقّة الشديدة إلى أن نجّاه الله تعالى منها. وأمّا قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فهو على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والخضوع بين يديه، وليس لأحد أن يقول: كيف يعترف بأنّه كان من الظالمين ولم يقع منه ظلم؟ وذلك أنّه يمكن أن يريد أنّي من الّذين يقع منهم الظلم، فيكون صدقاً وإن ورد على سبيل الخشوع والخضوع، لأنّ جنس البشر لا يمتنع منه وقوع الظلم، والفائدة في ذلك التطامن لله تعالى والتخاضع ونفي التكبّر والتجبّر كما يقول الإنسان إذا أراد أن يكسر نفسه: إنّما أنا من البشر ولست من الملائكة، وأنا ممّن يخطئ ويصيب، وهو لا يريد إضافة الخطأ إلى نفسه. انتهى[1].

أقول: على ما ذكره رحمه الله يحتمل أن يكون الغرض عدّ نعمه تعالى عليه بأنّي مع كوني ممّن يقع منه الظلم عصمتني عنه، فلو وكلتني إلى نفسي لكنت مثلهم ظالماً، ولكن بعصمتك نجّيتني، ومن آداب الدعاء والمسألة عدّ النعم السالفة للمنعم على السائل.

ثمّ قال رحمه الله: ووجه آخر وهو أنّا قد بيّنّا في قصّة آدم عليه السلام أنّ المراد بذلك أنّا نقصنا الثواب وبخسنا حظّنا منه، لأنّ الظلم في أصل اللّغة: النقص والثلم، ومن ترك المندوب فقد

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٩٩.

ظلم نفسه من حيث نقصها ثواب ذلك. وأمّا قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ فليس على ما ظنّه الجهّال من أنّه ثقل عليه أعباء النبوّة لضيق خلقه فقذفها، وإنّما الصحيح أنّ يونس لم يقو على الصبر على تلك المحنة الّتي ابتلاه الله بها لغاية الثواب، فشكا إلى الله تعالى منها وسأله الفرج والخلاص، ولو صبر لكان أفضل، فأراد الله لنبيّه ﷺ أفضل المنازل وأعلاها. انتهى[١].

أقول: لمّا كان الظاهر من أكثر الأخبار أنّه كان هجرته عن القوم بعد العلم بتوبتهم وصرف العذاب عنهم فيحتمل أن يكون غضبه كناية عن حزنه وأسفه على طلب العذاب لهم، وخوفه من أن يكذّبوه بعد رجوعه إليهم حيث لم يقع ما أخبر به، وأمّا قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فالأكثر على أنّه بمعنى التضييق كما مرّ. وقد قيل فيه وجوه أخر:

الأوّل: أن يكون هذا من باب التمثيل، يعني كانت حاله ومثله كحالة من ظنّ أن لن نقدر عليه في خروجه من قومه من غير انتظار لأمر الله.

والثاني: أن يفسّر القدر بالقضاء، فالمعنى: فظنّ أن لن نقضي عليه بشدّة وهو قول مجاهد وقتادة والضحّاك والكلبيّ، ورواية العوفيّ عن ابن عبّاس، واختيار الفرّاء والزجّاج، ويؤيّده أنّه قرئ في الشواذّ بضمّ النون وتشديد الدال المكسورة.

والثالث: أنّ المعنى: فظنّ أن لن نعمل فيه قدرتنا، لأنّ بين القدرة والفعل مناسبة فلا يبعد جعل أحدهما مجازاً عن الآخر.

الرابع: أنّه استفهام بمعنى التوبيخ.

ثمّ اختلفوا في الظلمات فقيل: أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت، وقيل: ظلمة اللّيل والبحر والحوت؛ وقيل: كان حوت في بطن حوت.

٨ - **ل:** القاميّ وابن مسرور، عن ابن بطّة، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن حمّاد، عن حريز، عمّن أخبره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوّل من سوهم عليه مريم بنت عمران وهو قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[٢] والسهام ستّة، ثمّ استهموا في يونس لمّا ركب مع القوم فوقفت السفينة في اللّجّة فاستهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرّات، قال: فمضى يونس إلى صدر السفينة فإذا الحوت فاتح فاه فرمى بنفسه. الخبر[٣].

٩ - **مع:** معنى يونس أنّه كان مستأنساً لربّه، مغاضباً لقومه، وصار مؤنساً لقومه بعد رجوعه إليهم[٤].

١٠ - **ير:** ابن معروف، عن سعدان، عن صبّاح المزنيّ، عن الحارث بن حصيرة، عن

---

(١) تنزيه الأنبياء، ص ١٠١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.
(٣) الخصال، ص ١٥٦ باب الثلاثة ح ١٩٨.
(٤) معاني الأخبار، ص ٥٠.

حبّة[1] العرنيّ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ الله عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الأرض أقرّ بها من أقرّ، وأنكرها من أنكر، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتّى أقرّ بها[2].

بيان: المراد بالإنكار عدم القبول التامّ وما يلزمه من الاستشفاع والتوسّل بهم.

١١ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى ابن أُورمة، عن الحسن بن عليّ بن محمّد، عن رجل، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: خرج يونس عليه السلام مغاضباً من قومه لمّا رأى من معاصيهم حتّى ركب مع قوم في سفينة في اليمّ فعرض لهم حوت ليغرقهم، فساهموا ثلاث مرّات، فقال يونس: إيّاي أراد فاقذفوني، ولمّا أخذت السمكة يونس أوحى الله تعالى جلّ وعلا إليها إنّي لم أجعله لك رزقاً فلا تكسر له عظماً، ولا تأكل له لحماً، قال فطافت به البحار، فنادى في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقال: لمّا صارت السمكة في البحر الّذي فيه قارون سمع قارون صوتاً لم يسمعه، فقال للملك الموكّل به: ما هذا الصوت؟ قال: هو يونس النبيّ عليه السلام في بطن الحوت، قال: فتأذن لي أن أكلّمه؟ قال: نعم، قال: يا يونس ما فعل هارون؟ قال: مات، فبكى قارون، قال: ما فعل موسى؟ قال: مات، فبكى قارون، فأوحى الله تعالى جلّت عظمته إلى الملك الموكّل به: أن خفّف العذاب على قارون لرقّته على قرابته[3].

وفي خبر آخر: ارفع عنه العذاب بقيّة أيّام الدنيا لرقّته على قرابته، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: ما ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى عليه السلام [4].

بيان: لعلّ المعنى على تقدير صحّة الخبر أنّه لا ينبغي أن يقول أحد: أنا خير من يونس من حيث المعراج، بأن يظنّ أنّي صرت من حيث العروج إلى السماء أقرب إلى الله تعالى منه، فإنّ نسبته تعالى إلى السماء والأرض والبحار نسبة واحدة، وإنّما أراني الله تعالى عجائب خلقه في السماوات وأرى يونس عجائب خلقه في البحار، وإنّي عبدت الله في السماء وهو عبد الله في ظلمات البحار، ولكنّ التفضيل من جهات أُخر.

١٢ - **شي:** عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: وجدنا في بعض كتب أمير المؤمنين عليه السلام قال: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جبرئيل عليه السلام حدّثه أنّ يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى قومه وهو ابن ثلاثين سنة، وكان رجلاً يعتريه الحدّة، وكان

---

(١) حبة: بفتح أوله ثم موحدة ثقيلة (ابن جوين) بجيم مصغرة (العرني) بضم المهملة وفتح الراء بعدها نون، أبو قدامة الكوفي صدوق، له أغلاط وكان غالياً في التشيع، من التابعة وأخطأ من زعم أن له صحبة، مات سنة ست وقيل تسع وسبعين (منه رحمه الله).

(٢) بصائر الدرجات، ص ٨٧ ج ٢ باب ١٠ ح ١. (٣) - (٤) قصص الأنبياء، ص ٢٥٣.

قليل الصبر على قومه والمداراة لهم، عاجزاً عمّا حمّل من ثقل حمل أوقار النبوّة وأعلامها، وأنه يفسخ تحتها كما يفسخ الجذع تحت حمله، وأنّه أقام فيهم يدعوهم إلى الإيمان بالله والتصديق به واتّباعه ثلاثاً وثلاثين سنة، فلم يؤمن به ولم يتّبعه من قومه إلاّ رجلان: اسم أحدهما روبيل واسم الآخر تنوخا، وكان روبيل من أهل بيت العلم والنبوّة والحكمة، وكان قديم الصحبة ليونس بن متى من قبل أن يبعثه الله بالنبوّة، وكان تنوخا رجلاً مستضعفاً عابداً زاهداً منهمكاً في العبادة وليس له علم ولا حكم، وكان روبيل صاحب غنم يرعاها ويتقوّت منها، وكان تنوخا رجلاً حطّاباً يحتطب على رأسه ويأكل من كسبه، وكان لروبيل منزلة من يونس غير منزلة تنوخا لعلم روبيل وحكمته وقديم صحبته، فلمّا رأى يونس عليه السلام أنّ قومه لا يجيبونه ولا يؤمنون به ضجر وعرف من نفسه قلّة الصبر فشكا ذلك إلى ربّه، وكان فيما شكا أن قال: يا ربّ إنّك بعثتني إلى قومي ولي ثلاثون سنة، فلبثت فيهم أدعوهم إلى الإيمان بك، والتصديق برسالاتي، وأخوّفهم عذابك ونقمتك ثلاثاً وثلاثين سنة فكذّبوني ولم يؤمنوا بي، وجحدوا نبوّتي واستخفّوا برسالاتي، وقد تواعدوني وخفت أن يقتلوني، فأنزل عليهم عذابك فإنّهم قوم لا يؤمنون.

قال: فأوحى الله إلى يونس أنّ فيهم الحمل والجنين والطفل والشيخ الكبير والمرأة الضعيفة والمستضعف المهين، وأنا الحكم العدل، سبقت رحمتي غضبي، لا أعذّب الصغار بذنوب الكبار من قومك، وهم يا يونس عبادي وخلقي وبريّتي في بلادي وفي عيلتي أحبّ أن أتأنّاهم وأرفق بهم وأنتظر توبتهم، وإنّما بعثتك إلى قومك لتكون حيطاً عليهم، تعطف عليهم بالرحم الماسّة منهم، وتتأنّاهم برأفة النبوّة، وتصبر معهم بأحلام الرسالة، وتكون لهم كهيئة الطبيب المداوي، العالم بمداواة الداء، فخرقت بهم، ولم تستعمل قلوبهم بالرفق، ولم تسسهم بسياسة المرسلين، ثمّ سألتني عن سوء نظرك العذاب لهم عند قلّة الصبر منك، وعبدي نوح كان أصبر منك على قومه، وأحسن صحبة وأشدّ تأنّياً في الصبر عندي، وأبلغ في العذر، فغضبت له حين غضب لي وأجبته حين دعاني.

فقال يونس: يا ربّ إنّما غضبت عليهم فيك، وإنّما دعوت عليهم حين عصوك، فوعزّتك لا أتعطّف عليهم برأفة أبداً، ولا أنظر إليهم بنصيحة شفيق بعد كفرهم وتكذيبهم إيّاي وجحدهم بنبوّتي، فأنزل عليهم عذابك فإنّهم لا يؤمنون أبداً، فقال الله: يا يونس إنّهم مائة ألف أو يزيدون من خلقي، يعمرون بلادي، ويلدون عبادي، ومحبّتي أن أتأنّاهم للّذي سبق من علمي فيهم وفيك، وتقديري وتدبيري غير علمك وتقديرك، وأنت المرسل وأنا الربّ الحكيم، وعلمي فيهم يا يونس باطن في الغيب عندي لا تعلم ما منتهاه، وعلمك فيهم ظاهر لا باطن له، يا يونس قد أجبتك إلى ما سألت من إنزال العذاب عليهم وما ذلك يا يونس بأوفر لحظّك عندي، ولا أجمل لشأنك، وسيأتيهم عذاب في شوّال يوم الأربعاء وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فأعلمهم ذلك.

قال: فسرَّ بذلك يونس ولم يسؤه ولم يدر ما عاقبته، فانطلق يونس إلى تنوخا العابد فأخبره بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في ذلك اليوم، وقال له: انطلق حتّى أُعلمهم بما أوحى الله إليّ من نزول العذاب، فقال تنوخا: فدعهم في غمرتهم ومعصيتهم حتّى يعذبهم الله، فقال له يونس: بل نلقى روبيل فنشاوره فإنّه رجل عالم حكيم من أهل بيت النبوّة، فانطلقا إلى روبيل فأخبره يونس عليه‌السلام بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في شوّال يوم الأربعاء في وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فقال له: ما ترى انطلق بنا حتّى أُعلمهم ذلك، فقال له روبيل: ارجع إلى ربّك رجعة نبيّ حكيم ورسول كريم، وسله أن يصرف عنهم العذاب فإنّه غنيّ عن عذابهم، وهو يحبّ الرفق بعباده وما ذلك بأضرّ لك عنده، ولا أسوأ لمنزلتك لديه، ولعلّ قومك بعدما سمعت ورأيت من كفرهم وجحودهم يؤمنون يوماً فصابرهم وتأنّهم، فقال له تنوخا: ويحك يا روبيل ما أشرت على يونس وأمرته بعد كفرهم بالله، وجحدهم لنبيّه، وتكذيبهم إيّاه وإخراجهم إيّاه من مساكنه، وما همّوا به من رجمه؟ فقال روبيل لتنوخا: اسكت فإنّك رجل عابد لا علم لك.

ثمّ أقبل على يونس فقال: أرأيت يا يونس إذا أنزل الله العذاب على قومك أنزله فيهلكهم جميعاً أو يهلك بعضاً ويبقي بعض؟ فقال له يونس: بل يهلكهم جميعاً، وكذلك سألته، ما دخلتني لهم رحمة تعطف فأراجع الله فيهم وأسأله أن يصرف عنهم، فقال له روبيل: أتدري يا يونس لعلّ الله إذا أنزل عليهم العذاب فأحسّوا به أن يتوبوا إليه ويستغفروا فيرحمهم فإنّه أرحم الراحمين، ويكشف عنهم العذاب من بعد ما أخبرتهم عن الله أنّه ينزل عليهم العذاب يوم الأربعاء فتكون بذلك عندهم كذّاباً، فقال له تنوخا: ويحك يا روبيل لقد قلت عظيماً، يخبرك النبيّ المرسل أنّ الله أوحى إليه أنّ العذاب ينزل عليهم فتردّ قول الله وتشكّ فيه وفي قول رسول الله اذهب فقد حبط عملك، فقال روبيل لتنوخا: لقد فشل رأيك.

ثمّ أقبل على يونس فقال: إذا نزل الوحي والأمر من الله فيهم على ما أُنزل عليك فيهم من إنزال العذاب عليهم وقوله الحقّ أرأيت إذا كان ذلك فهلك قومك كلّهم وخربت قريتهم أليس يمحو الله اسمك من النبوّة، وتبطل رسالتك، وتكون كبعض ضعفاءِ النّاس ويهلك على يديك مائة ألف من الناس؟ فأبى يونس أن يقبل وصيّته فانطلق ومعه تنوخا من القرية وتنحّيا عنهم غير بعيد، ورجع يونس إلى قومه فأخبرهم أنّ الله أوحى إليه أنّه ينزّل العذاب عليكم يوم الأربعاء في شوّال في وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فردّوا عليه قوله فكذّبوه وأخرجوه من قريتهم إخراجاً عنيفاً، فخرج يونس عليه‌السلام ومعه تنوخا من القرية وتنحّيا عنهم غير بعيد، وأقاما ينتظران العذاب، وأقام روبيل مع قومه في قريتهم حتّى إذا دخل عليهم شوّال صرخ روبيل بأعلى صوته في رأس الجبل إلى القوم: أنا روبيل، شفيق عليكم، رحيم بكم، هذا شوّال قد دخل عليكم، وقد أخبركم يونس نبيّكم ورسول ربّكم أنّ الله أوحى إليه أنّ العذاب ينزل عليكم في شوّال في وسط الشهر يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس، ولن يخلف الله وعده

رسله، فانظروا ما أنتم صانعون، فأفزعهم كلامه ووقع في قلوبهم تحقيق نزول العذاب فأجفلوا نحو روبيل وقالوا له: ماذا أنت تشير به علينا يا روبيل؟ فإنّك رجل عالم حكيم، لم نزل نعرفك بالرقّة علينا والرحمة لنا، وقد بلغنا ما أشرت به على يونس فينا فمرنا بأمرك، وأشر علينا برأيك، فقال لهم روبيل: فإنّي أرى لكم وأشير عليكم أن تنظروا وتعمدوا إذا طلع الفجر يوم الأربعاء في وسط الشهر أن تعدلوا الأطفال عن الأمهات في أسفل الجبل في طريق الأودية، وتقفوا النساء في سفح الجبل، ويكون هذا كلّه قبل طلوع الشمس، فإذا رأيتم ريحاً صفراء أقبلت من المشرق فعجّوا الكبير منكم والصغير بالصراخ والبكاء، والتضرّع إلى الله، والتوبة إليه والاستغفار له وارفعوا رؤوسكم إلى السماء وقولوا: ربّنا ظلمنا وكذّبنا نبيّك، وتبنا إليك من ذنوبنا، وإن لا تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين المعذّبين، فاقبل توبتنا وارحمنا يا أرحم الراحمين؛ ثمّ لا تملّوا من البكاء والصراخ والتضرّع إلى الله والتوبة إليه حتّى تتوارى الشمس بالحجاب، أو يكشف الله عنكم العذاب قبل ذلك، فأجمع رأي القوم جميعاً على أن يفعلوا ما أشار به عليهم روبيل.

فلمّا كان يوم الأربعاء الّذي توقّعوا العذاب تنحّى روبيل من القرية حيث يسمع صراخهم ويرى العذاب إذا نزل، فلمّا طلع الفجر يوم الأربعاء فعل قوم يونس ما أمرهم روبيل به، فلمّا بزغت الشمس أقبلت ريح صفراء مظلمة مسرعة، لها صرير وحفيف وهدير فلمّا رأوها عجّوا جميعاً بالصراخ والبكاء والتضرّع إلى الله، وتابوا إليه واستغفروه، وصرخت الأطفال بأصواتها تطلب أمّهاتها، وعجّت سخال البهائم تطلب اللّبن، وعجّت الأنعام تطلب الرعي، فلم يزالوا بذلك ويونس وتنوخا يسمعان صيحتهم وصراخهم ويدعوان الله عليهم بتغليظ العذاب عليهم، وروبيل في موضعه يسمع صراخهم وعجيجهم ويرى ما نزل وهو يدعو الله بكشف العذاب عنهم، فلمّا أن زالت الشمس وفتحت أبواب السماء وسكن غضب الربّ تعالى رحمهم الرحمن فاستجاب دعاءهم وقبل توبتهم وأقالهم عثرتهم، وأوحى إلى إسرافيل أن اهبط إلى قوم يونس فإنّهم قد عجّوا إليّ بالبكاء والتضرّع، وتابوا إليّ واستغفروا لي فرحمتهم وتبت عليهم، وأنا الله التوّاب الرحيم، أسرع إلى قبول توبة عبدي التائب من الذنوب، وقد كان عبدي يونس ورسولي سألني نزول العذاب على قومه وقد أنزلته عليهم، وأنا الله أحقّ من وفى بعهده، وقد أنزلته عليهم، ولم يكن اشترط يونس حين سألني أن أنزل عليهم العذاب أن أهلكهم، فاهبط إليهم فاصرف عنهم ما قد نزل بهم من عذابي.

فقال إسرافيل: يا ربّ إنّ عذابك قد بلغ أكتافهم وكاد أن يهلكهم وما أراه إلاّ وقد نزل بساحتهم، فكيف أنزل أصرفه؟ فقال الله: كلاّ إنّي قد أمرت ملائكتي أن يصرفوه ولا ينزلوه عليهم حتّى يأتيهم أمري فيهم وعزيمتي، فاهبط يا إسرافيل عليهم واصرفه عنهم، واصرف به إلى الجبال بناحية مفاوض العيون، ومجاري السيول في الجبال العادية المستطيلة على

الجبال فأذلّها به وليّنها حتّى تصير مليّنة حديداً جامداً فهبط إسرافيل عليهم فنشر أجنحته فاستاق بها ذلك العذاب حتّى ضرب بها تلك الجبال الّتي أوحى الله إليه أن يصرفه إليها. قال أبو جعفر عليه السلام: وهي الجبال الّتي بناحية الموصل اليوم فصارت حديداً إلى يوم القيامة.

فلمّا رأى قوم يونس أنّ العذاب قد صرف عنهم هبطوا إلى منازلهم عن رؤوس الجبال وضمّوا إليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم، وحمدوا الله على ما صرف عنهم، وأصبح يونس وتنوخا يوم الخميس في موضعهما الّذي كانا فيه لا يشكّان أنّ العذاب قد نزل بهم وأهلكهم جميعاً لمّا خفيت أصواتهم عندهما، فأقبلا ناحية القرية يوم الخميس مع طلوع الشمس ينظران إلى ما صار إليه القوم، فلمّا دنوا من القوم واستقبلتهم الحطّابون والحماة والرعاة بأغنامهم ونظروا إلى أهل القرية مطمئنّين قال يونس لتنوخا: يا تنوخا كذبني الوحي، وكذبت وعدي لقومي، ولا عزّة لي ولا يرون لي وجهاً أبداً بعدما كذبني الوحي، فانطلق يونس هارباً على وجهه مغاضباً لربّه ناحية البحر مستنكراً فراراً من أن يراه أحد من قومه فيقول له: يا كذّاب، فلذلك قال الله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ الآية، ورجع تنوخا إلى القرية فلقي روبيل فقال له: يا تنوخا أيّ الرأيين كان أصوب وأحقّ أن يتّبع؟ رأيي أو رأيك؟ فقال له تنوخا: بل رأيك كان أصوب، ولقد كنت أشرت برأي الحكماء العلماء، فقال له تنوخا: أما إنّي لم أزل أرى أنّي أفضل منك لزهدي وفضل عبادتي حتّى استبان فضلك لفضل علمك وما أعطاك الله ربّك من الحكمة مع التقوى أفضل من الزهد والعبادة بلا علم، فاصطحبا فلم يزالا مقيمين مع قومهما، ومضى يونس على وجهه مغاضباً لربه فكان من قصّته ما أخبر الله به في كتابه إلى قوله: ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾.

قال أبو عبيدة: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كم كان غاب يونس عن قومه حتّى رجع إليهم بالنبوّة والرسالة فآمنوا به وصدّقوه؟ قال: أربعة أسابيع: سبعاً منها في ذهابه إلى البحر، وسبعاً منها في رجوعه إلى قومه، فقلت له: وما هذه الأسابيع شهورٌ أو أيّامٌ أو ساعاتٌ؟ فقال: يا عبيدة إنّ العذاب أتاهم يوم الأربعاء في النصف من شوّال، وصرف عنهم من يومهم ذلك، فانطلق يونس مغاضباً فمضى يوم الخميس سبعة أيّام في مسيره إلى البحر، وسبعة أيّام في بطن الحوت، وسبعة أيّام تحت الشجرة بالعراء، وسبعة أيّام في رجوعه إلى قومه، فكان ذهابه ورجوعه مسيرة ثمان وعشرين يوماً، ثمّ أتاهم فآمنوا به وصدّقوه واتّبعوه، فلذلك قال الله: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾[1].

ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبي عبيدة، عنه عليه السلام مثله مع اختصار «ص ٢٥٢».

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٧ ح ٤٤ من سورة يونس.

بيان: قوله: (يفسخ) الفسخ بالسين المهملة والخاء المعجمة: الطرح والنقض والتفريق؛ وبالشين المعجمة والحاء المهملة: تفريج ما بين الرجلين، ويقال: فسح عنه أي عدل؛ وبالشين المعجمة والجيم أيضاً معناه قريب ممّا ذكر، ويقال: أفسج عنّي - بالسين المهملة والجيم - أي تركني وخلا عنّي، والكلّ لا يخلو من مناسبة. والجذع: الناقة الشابّة أو ما دخلت في الخامسة. والفشل: الضعف والجبن. وأجفلوا إليه أي انقلعوا وأسرعوا إليه.

وقوله عليه السلام: (بعدما كذبني الوحي) أي باعتقاد القوم. وقوله: (مغاضباً لربّه) أي على قومه لربّه تعالى. أي كان غضبه لله تعالى لا للهوى؛ أو خائفاً عن تكذيب قومه لما تخلّف عنه من وعد ربّه.

١٣ - **شي:** عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ يونس لمّا آذاه قومه دعا الله عليهم فأصبحوا أوّل يوم ووجوههم مصفرّة، وأصبحوا اليوم الثاني ووجوههم مسودّة قال: وكان الله واعدهم أن يأتيهم العذاب حتّى نالوه برماحهم، ففرّقوا بين النساء وأولادهنّ، والبقر وأولادها، ولبسوا المسوح والصوف، ووضعوا الحبال في أعناقهم، والرماد على رؤوسهم، وضجّوا ضجّة واحدة إلى ربّهم وقالوا: آمنّا بإله يونس، قال: فصرف الله عنهم العذاب إلى جبال آمد، قال: وأصبح يونس وهو يظنّ أنّهم هلكوا فوجدهم في عافية فغضب وخرج - كما قال الله مغاضباً حتّى ركب سفينة فيها رجلان، فاضطربت السفينة فقال الملاّح: يا قوم في سفينتي لمطلوب، فقال يونس: أنا هو، وقام ليلقي نفسه، فأبصر السمكة وقد فتحت فاها فهابها وتعلّق به الرجلان وقالا له: أنت ويحك ونحن رجلان؟ فساهمهم فوقعت السهام عليه فجرت السنّة بأنّ السهام إذا كانت ثلاث مرّات أنّها لا تخطئ، فألقى نفسه فالتقمه الحوت فطاف به البحار سبعة حتّى صار إلى البحر المسجور وبه يعذّب قارون، فسمع قارون دويّاً فسأل الملك عن ذلك، فأخبره أنّه يونس، وأنّ الله حبسه في بطن الحوت، فقال له قارون: أتأذن لي أن أكلّمه؟ فأذن له، فسأله عن موسى عليه السلام فأخبره أنّه مات فبكى، ثمّ سأله عن هارون عليه السلام فأخبره أنّه مات فبكى وجزع جزعاً شديداً، وسأله عن أُخته كلثم وكانت مسمّاة له فأخبره أنّها ماتت فبكى وجزع جزعاً شديداً، قال: فأوحى الله إلى الملك الموكّل به أن ارفع عنه العذاب بقيّة الدنيا لرقّته على قرابته[1].

١٤ - **شي:** عن معمّر قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: إنّ يونس عليه السلام لمّا أمره الله بما أمره فأعلم قومه فأظلّهم العذاب ففرّقوا بينهم وبين أولادهم وبين البهائم وأولادها، ثمّ عجّوا إلى الله وضجّوا، فكفّ الله العذاب عنهم، فذهب يونس عليه السلام مغاضباً فالتقمه الحوت فطاف به سبعة أبحر، فقلت له: كم بقي في بطن الحوت؟ قال: ثلاثة أيّام ثمّ لفظه الحوت وقد ذهب جلده وشعره، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين فأظلّته، فلمّا قوي أخذت في اليبس،

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٤٤ ح ٤٦ من سورة يونس.

فقال: يا ربّ شجرة أظلّتني يبست، فأوحى الله إليه: يا يونس تجزع لشجرة أظلّتك ولا تجزع لمائة ألف أو يزيدون من العذاب؟![1].

بيان: الاختلاف الّذي وقع في تلك الأخبار في مدّة مكثه في بطن الحوت يشكل رفعه، ولعلّ بعضها محمولة على التقيّة.

١٥ - **قب:** الثماليّ قال: دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال: يا ابن الحسين أنت الّذي تقول: إنّ يونس بن متى إنّما لقي من الحوت ما لقي لأنّه عرضت عليه ولاية جدّي فتوقّف عندها؟ قال: بلى ثكلتك أمّك، قال: فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين، فأمر بشدّ عينيه بعصابة وعينيّ بعصابة، ثمّ أمر بعد ساعة بفتح أعيننا، فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه، فقال ابن عمر: يا سيّدي دمي في رقبتك، الله الله في نفسي، فقال: هيه وأريه ان كنت من الصادقين.

ثمّ قال: يا أيّها الحوت، قال: فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبّيك لبّيك يا وليّ الله، فقال: من أنت؟ قال: أنا حوت يونس يا سيّدي، قال: أنبئنا بالخبر، قال: يا سيّدي إنّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً من آدم إلى أن صار جدّك محمّد إلاّ وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلّص، ومن توقّف عنها وتمنّع من حملها لقي ما لقي آدم عليه السلام من المعصية، وما لقي نوح عليه السلام من الغرق، وما لقي إبراهيم عليه السلام من النار، وما لقي يوسف عليه السلام من الجبّ، وما لقي أيّوب عليه السلام من البلاء، وما لقي داود عليه السلام من الخطيئة إلى أن بعث الله يونس عليه السلام، فأوحى الله إليه: أن يا يونس تولّ أمير المؤمنين عليّاً والأئمّة الراشدين من صلبه في كلام له، قال: فكيف أتولّى من لم أره ولم أعرفه، وذهب مغتاظاً، فأوحى الله تعالى إليّ أن التقمي يونس ولا توهني له عظماً، فمكث في بطني أربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث، ينادي: إنّه لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين، قد قبلت ولاية عليّ بن أبي طالب والأئمّة الراشدين من ولده، فلمّا أن آمن بولايتكم أمرني ربّي فقذفته على ساحل البحر، فقال زين العابدين عليه السلام: ارجع أيّها الحوت إلى وكرك؛ واستوى الماء[2].

بيان: قوله عليه السلام: (هيه وأريه) الظاهر أنّ الهائين للسكت، أي هي السمكة أريكها إن كنت من الصادقين كما قلت، ويحتمل أن تكون (إن) مخفّفة بحذف اللاّم.

١٦ - **نبه:** عليّ بن الحكم، عمّن رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ داود النبيّ عليه السلام قال: يا ربّ أخبرني بقريني في الجنّة ونظيري في منازلي، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: إنّ

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٤٤ ح ٤٧ من سورة يونس.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ١٥١.

ذلك متى أبا يونس، قال: فاستأذن الله في زيارته فأذن له، فخرج هو وسليمان ابنه عليهما السلام حتّى أتيا موضعه، فإذا هما ببيت من سعف، فقيل لهما: هو في السوق، فسألا عنه فقيل لهما: اطلباه في الحطّابين، فسألا عنه فقال لهما جماعة من الناس: نحن ننتظره، الآن يجيء، فجلسا ينتظرانه إذ أقبل وعلى رأسه وقر من حطب، فقام إليه الناس فألقى عنه الحطب وحمد الله وقال: من يشتري طيّباً بطيّب؟ فساومه واحد وزاده آخر حتّى باعه من بعضهم، قال: فسلّما عليه، فقال: انطلقا بنا إلى المنزل، واشترى طعاماً بما كان معه ثمّ طحنه وعجنه في نقير له، ثمّ أجّج ناراً وأوقدها، ثمّ جعل العجين في تلك النار وجلس معهما يتحدّث، ثمّ قام وقد نضجت خبيزته، فوضعها في النقير وفلقها وذرّ عليها ملحاً، ووضع إلى جنبه مطهرة ملأى ماء، وجلس على ركبتيه وأخذ لقمة فلمّا رفعها إلى فيه قال: بسم الله، فلمّا ازدردها قال: الحمد لله، ثمّ فعل ذلك بأخرى وأخرى، ثمّ أخذ الماء فشرب منه فذكر اسم الله، فلمّا وضعه قال: الحمد لله، يا ربّ من ذا الّذي أنعمت عليه وأوليته مثل ما أوليتني؟ قد صحّحت بصري وسمعي وبدني وقوّيتني حتّى ذهبت إلى الشجر لم أغرسه ولم أهتمّ لحفظه جعلته لي رزقاً، وسقت إليّ من اشتراه منّي فاشتريت بثمنه طعاماً لم أزرعه، وسخّرت لي النار فأنضجته، وجعلتني آكله بشهوة أقوى به على طاعتك فلك الحمد، قال: ثمّ بكى؛ قال داود: يا بنيّ قم فانصرف بنا فإنّي لم أر عبداً قطّ أشكر لله من هذا[1].

بيان: قال الجزريّ: النقير: أصل النخلة ينقر وسطه ثمّ ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء ليصير نبيذاً.

١٧ - **فس:** ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ﴾ يعني هرب ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ﴾ أي ألقى السهام ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ أي من المغوصين ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ قال: الدبّاء[2].

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي فرّ من قومه إلى السفينة المملوءة من الناس والأحمال خوفاً من أن ينزل العذاب وهو مقيم فيهم ﴿فَسَاهَمَ﴾ يونس القوم بأن ألقوا السهام على سبيل القرعة، أي قارعهم ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ أي من المقروعين، عن الحسن وابن عبّاس، وقيل: من المسهومين، عن مجاهد، والمراد: من الملقين في البحر، واختلف في سبب ذلك فقيل: إنّهم أشرفوا على الغرق فرأوا أنّهم إن طرحوا واحداً منهم في البحر لم يغرق الباقون؛ وقيل: إنّ السفينة احتبست فقال الملاّحون: إنّ ههنا عبداً آبقاً، فإنّ من عادة السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري، فلذلك اقترعوا فوقعت القرعة على يونس ثلاث مرّات فعلموا أنّه المطلوب فألقى نفسه في البحر؛ وقيل: إنّه لمّا وقعت القرعة عليه ألقوه في

---

(١) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ١٨.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٠٠.

البحر ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ﴾ اي ابتلعه؛ وقيل: إنّ الله سبحانه أوحى إلى الحوت: إنّي لم أجعل عبدي رزقاً لك، ولكنّي جعلت بطنك له مسجداً، فلا تكسرنّ له عظماً، ولا تخدشنّ له جلداً ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ أي مستحقّ اللّوم - لوم العتاب، لا لوم العقاب - على خروجه من بين قومه من غير أمر ربّه، وعندنا أنّ ذلك إنّما وقع منه تركاً للمندوب، وقد يلام الرجل على ترك المندوب، ومن يجوّز الصغيرة على الأنبياء قال: قد وقع ذلك صغيرة مكفّرة.

واختلف في مدّة لبثه في بطن الحوت فقيل: كان ثلاثة أيّام، عن مقاتل بن حيّان؛ وقيل: سبعة أيّام، عن عطاء؛ وقيل: عشرين يوماً، عن الضحّاك؛ وقيل: أربعين يوماً، عن السدّيّ ومقاتل بن سليمان والكلبيّ ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ﴾ أي كان من المصلّين في حال الرخاء فنجّاه الله عند البلاء، عن قتادة؛ وقيل: كان تسبيحه أنّه كان يقول: «لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» عن سعيد بن جبير.

وقيل: ﴿مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ﴾ أي من المنزّهين الله عمّا لا يليق به ﴿لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ أي لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ﴾ أي طرحناه بالمكان الخالي الّذي لا نبت فيه ولا شجر؛ وقيل: بالساحل، ألهم الله الحوت حتّى قذفه ورماه من جوفه على وجه الأرض ﴿وَهُوَ سَقِيمٞ﴾ أي مريض حين ألقاه الحوت ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ وهو القرع، عن ابن مسعود؛ وقيل: هو كلّ نبت يبسط على وجه الأرض ولا ساق له، عن ابن عبّاس والحسن.

وروى ابن مسعود قال: خرج يونس من بطن الحوت كهيئة فرخ ليس عليه ريش، فاستظلّ بالشجرة من الشمس ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ قيل: إنّ الله سبحانه أرسله إلى أهل نينوى من أرض الموصل، عن قتادة؛ وكانت رسالته هذه بعدما نبذه الحوت، عن ابن عبّاس، فعلى هذا يجوز أن يكون أُرسل على قوم بعد قوم، ويجوز أن يكون أُرسل إلى الأوّلين بشريعة فآمنوا بها.

وقيل في معنى ﴿أَوۡ﴾ في قوله: ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ وجوه:

أحدها: أنّه على طريق الإبهام على المخاطبين، كأنّه قال: أرسلناه إلى إحدى العدّتين.

وثانيها: أنّ ﴿أَوۡ﴾ تخيير كأنّ الرائي خيّر بين أن يقول: هم مائة ألف أو يزيدون عن سيبويه، والمعنى أنّهم كانوا عدداً لو نظر إليهم الناظر لقال: هم مائة ألف أو يزيدون.

وثالثها: أنّ ﴿أَوۡ﴾ بمعنى الواو، كأنّه قال: ويزيدون، عن بعض الكوفيّين؛ وقال بعضهم: معناه: بل يزيدون، وهذان القولان الأخيران غير مرضيّين عند المحقّقين، وأجود الأقوال الأوّل والثاني.

واختلف في الزيادة على مائة ألف كم هي؟ فقيل: عشرون ألفاً؛ عن ابن عبّاس ومقاتل؛ وقيل: بضع وثلاثون ألفاً، عن الحسن والربيع؛ وقيل: سبعون ألفاً، عن مقاتل بن حيّان.

﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ حكى سبحانه عنهم أنّهم آمنوا بالله وراجعوا التوبة فكشف عنهم العذاب، ومتّعهم بالمنافع واللّذّات إلى انقضاء آجالهم(١).

وقال عليه السلام: إنّ قوم يونس كانوا بأرض نينوى من أرض الموصل، وكان يدعوهم إلى الإسلام فأبوا، فأخبرهم أنّ العذاب مصبحهم إلى ثلاث إن لم يتوبوا، فقالوا. إنّا لم نجرّب عليه كذباً، فإن بات فيكم تلك اللّيلة فليس بشيء، وإن لم يبت فاعلموا أنّ العذاب مصبحكم، فلمّا كان في جوف اللّيل خرج يونس من بين أظهرهم، فلمّا أصبحوا تغشّاهم العذاب، قال وهب: أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً، فهبط حتّى غشي مدينتهم واسودّت سطوحهم.

وقال ابن عبّاس: كان العذاب فوق رؤوسهم قدر ثلثي ميل، فلمّا رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيّهم فلم يجدوه فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابّهم ولبسوا المسوح وأظهروا التوبة، وفرّقوا بين كلّ والدة وولدها.

قال ابن مسعود: بلغ من توبة أهل نينوى أن ترادّوا المظالم بينهم حتّى أن كان الرجل يأتي إلى الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيقلعه ويردّه، وروي أنّه قال شيخ من بقيّة علمائهم: قولوا: «يا حيّ حين لا حيّ، ويا حيّ محيي الموتى، ويا حيّ لا إله إلاّ أنت» فقالوها فكشف عنهم العذاب، وقال ابن مسعود: لمّا ابتلعه الحوت ابتلع الحوت حوت آخر فأهوى به إلى قرار الأرض، وكان في بطنه أربعين ليلة، فنادى في الظلمات أن لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين، فاستجاب الله له فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ المتمعّط، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، فجعل يستظلّ تحتها، ووكّل الله به وعلاً يشرب من لبنها إلى أن ردّه الله إلى قومه. وقيل: إنّه عليه السلام أرسل إلى قوم غير قومه الأوّلين انتهى(٢).

وقال صاحب الكامل: كان يقطر عليه من شجرة اليقطين اللّبن(٣).

وقال الشيخ في المصباح: في اليوم التاسع من المحرّم أخرج الله يونس من بطن الحوت(٤).

٢٧ - باب قصة أصحاب الكهف والرقيم

الآيات: الكهف «١٨»: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٣٢.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٢٩.
(٣) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ٣٠٩.
(٤) مصباح المتهجد، ص ٥٣٥.

رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)﴾.

تفسير: قال المفسّرون: اختلف في معنى الرقيم فقيل: إنّه كان اسم الوادي الّذي كان فيه الكهف؛ وقيل: هو اسم الجبل؛ وقيل: هو القرية الّتي خرجوا منها؛ وقيل: هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصّتهم ثمّ وضعوه على باب الكهف؛ وقيل: جعل ذلك اللّوح في خزائن الملوك لأنّه من عجائب الأمور؛ وقيل: الرقيم اسم كلبهم؛ وقيل: الرقيم: كتاب، ولذلك الكتاب خبر، ولم يخبر الله عمّا فيه؛ وقيل: إنّ أصحاب الرقيم هم الثلاثة الّذين دخلوا في غار فانسدّ عليهم كما سيأتي شرحه ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ أي من الأمر الّذي نحن عليه من مفارقة الكفّار ﴿رَشَدًا﴾ نصير بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا كلّه رشداً كقولك: رأيت منك أسداً ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ أي ضربنا عليها حجاباً يمنع السماع، أي أنمناهم إنامة لا ينبّههم فيها الأصوات، فحذف المفعول ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ ليتعلّق علمنا تعلّقاً حالياً مطابقاً لتعلّقه أوّلاً تعلّقاً استقبالياً ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف حين وقع بينهم التنازع في مدّة لبثهم؛ وقيل: يعني بالحزبين أصحاب الكهف لمّا استيقظوا، اختلفوا في مقدار لبثهم ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ قالوا أي شبّان، وسيأتي في الخبر تفسيره ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي قوّيناها وشددنا عليها بالألطاف والخواطر المقوّية للإيمان حتّى

وطّنوا أنفسهم على إظهار الحقّ، والثبات على الدين، والصبر على المشاقّ ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدي ملكهم ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ والله لقد قلنا قولاً ذا شطط، أي ذا بعد عن الحقّ، مفرط في الظلم ﴿عَلَيْهِم﴾ أي على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ أي ببرهان ساطع ظاهر ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ هذا خطاب بعضهم لبعض، وقال ابن عبّاس: هذا قول تمليخا ﴿مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ أي ما ترفقون وتنتفعون به ﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم، لأنّ الكهف كان جنوبيّاً، أو لأنّ الله زوّرها عنهم، والزور: الميل ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي جهة اليمين ﴿تَقْرِضُهُمْ﴾ أي تعدل عنهم وتتركهم ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي في متّسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حرّ الشمس، وذلك أنّ باب الكهف كان في مقابلة بنات نعش، وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه، وأنّ الشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن، وهو الّذي يلي المغرب، وتغرب محاذية لجانبه الأيسر، فيقع شعاعها على جنبيه، ويحلّل عفونته، ويعدّل هواه، ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابهم؛ وقيل: بل الله صرف عنهم الشمس بقدرته ﴿وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ من يليه ويرشده ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ لانفتاح عيونهم، أو لكثرة تقلّبهم ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أي نيام، ونقلّبهم كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم ﴿وَكَلْبُهُمْ﴾ أي كلب الراعي الّذي تبعهم؛ وقيل: إنّهم مرّوا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مراراً، فقال لهم: ما تريدون منّي؟ لا تخشوا خيانتي فأنا أحبّ أولياء الله فناموا حتّى أحرسكم؛ وقيل: كان كلب صيدهم ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ بفناء الكهف؛ وقيل: الوصيد: الباب؛ وقيل: العتبة ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ خوفاً يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة، أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم؛ وقيل: لوحشة مكانهم.

وقال الطبرسيّ: روى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: غزوت مع معاوية نحو الروم فمرّوا بالكهف الّذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقلت له: ليس هذا لك فقد منع ذلك من هو خير منك، قال الله: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ﴾ الآية، فقال معاوية: لا أنتهي حتّى أعلم علمهم، فبعث رجالاً فلمّا دخلوا الكهف أرسل الله عليهم ريحاً أخرجتهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ ليسأل بعضهم بعضاً فيتعرّفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقيناً.

قال المفسّرون: إنّهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار، فلذلك قالوا ﴿يَوْمًا﴾ فلمّا رأوا الشمس قالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

﴿قَالُوا رَبُّكُمْ﴾ قال ابن عبّاس: القائل هو تمليخا رئيسهم ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ الورق: الدراهم ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا﴾ أي أيّ أهلها ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أحلّ وأطيب، أو أكثر وأرخص ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وليتكلّف اللّطف في المعاملة حتّى لا يغبن، أو في التخفّي حتّى لا يعرف ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾

يقتلوكم بالرجم، أو يؤذوكم أو يشتموكم ﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي أطلعنا عليهم ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ لأنّ نومهم وانتباههم كحال من يموت ثمّ يبعث ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ أي فعلنا ذلك حين تنازعوا في البعث، فمنهم من أنكره، ومنهم من قال ببعث الأرواح دون الأجساد، ومنهم من أثبت البعث فيهما؛ وقيل: إنّ معناه: إذ يتنازعون في قدر مكثهم وفي عددهم وفيما يفعل بهم بعد أن اطلعوا عليهم فسقطوا ميّتين، فقال بعضهم: ماتوا، وقال بعضهم: ناموا نومهم أوّل مرّة، وقالت طائفة: تبني عليهم بنياناً يسكنه النّاس ويتّخذونه قرية، وقال آخرون: لنتّخذنّ عليهم مسجداً يصلّى فيه.

وقوله: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ اعتراض إمّا من الله ردّاً على الخائضين في أمرهم من أولئك المتنازعين، أو من المتنازعين فيهم على عهد الرسول، أو من المتنازعين للرد إلى الله بعدما تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم فلم يتحقّق لهم ذلك ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي الخائضون في قصّتهم في عهد الرسول من أهل الكتاب والمؤمنين ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قيل: هو قول اليهود؛ وقيل: قول السيّد من نصارى نجران ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ﴾ قالته النصارى، أو العاقب ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ يرمون رمياً بالخبر الخفيّ الّذي لا مطلع لهم عليه أو ظنّاً بالغيب ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ قاله المسلمون، واستدلّ على هذا بإتباعه بقوله: ﴿قُل رَّبِّيٓ﴾ وإتباع الأوّلين بقوله: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾.

﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ﴾ قال ابن عبّاس: أنا من ذلك القليل، هم سبعة وثامنهم كلبهم ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ فلا تجادل في شأن الفتية إلاّ جدالاً ظاهراً غير متعمّق، وهو أن تقصّ عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم، أو إلاّ مراءاً يشهده النّاس ويحضرونه ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾ ولا تسأل أحداً منهم عن قصّتهم سؤال مسترشد.

واختلف في قوله: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾ فقيل: إنّه إخبار عن الواقع؛ وقيل: إنّه حكاية لكلام أهل الكتاب بقرينة قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾.

﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ أي ما أبصره وما أسمعه فلا يخفى عليه شيء! ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ أي من يتولّى أمورهم(١).

١ - **ص**: ابن بابويه، عن محمّد بن يوسف بن عليّ، عن الحسن بن عليّ بن نضر الطرسوسيّ، عن أبي الحسن بن قرعة القاضي بالبصرة، عن زياد عن عبد الله البكّائيّ، عن محمّد بن إسحاق، عن إسحاق بن يسار، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: لمّا كان في عهد خلافة عمر أتاه قوم من أحبار اليهود فسألوه عن أقفال السماوات ما هي؟ وعن مفاتيح السماوات ما هي؟ وعن قبر سار بصاحبه ما هو؟ وعمّن أنذر قومه ليس من الجنّ ولا من

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٢٣.

الإنس، وعن خمسة أشياء مشت على وجه الأرض لم يخلقوا في الأرحام، وما يقول الدرّاج في صياحه، وما يقول الديك والفرس والحمار والضفدع والقنبر، فنكس عمر رأسه، وقال: يا أبا الحسن ما أرى جوابهم إلاّ عندك! فقال لهم عليّ عليه السلام: إنّ لي عليكم شريطة: إذا أنا أخبرتكم بما في التوراة دخلتم في ديننا؟ قالوا: نعم.

فقال عليه السلام: أمّا أقفال السماوات هو الشرك بالله، فإنّ العبد والأمة إذا كانا مشركين ما يرفع لهما إلى الله سبحانه عمل، فقالوا: ما مفاتيحها؟ فقال عليّ عليه السلام: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله. فقالوا: أخبرنا عن قبر سار بصاحبه، قال: ذاك الحوت حين ابتلع يونس عليه السلام فدار به في البحار السبعة. فقالوا: أخبرنا عمّن أنذر قومه لا من الجنّ ولا من الإنس، قال: تلك نملة سليمان إذ قالت: ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾.

قالوا: فأخبرنا عن خمسة أشياء مشت على الأرض ما خلقوا في الأرحام، قال: ذاك آدم وحوّاء وناقة صالح وكبش إبراهيم وعصا موسى. قالوا: فأخبرنا ما تقول هذه الحيوانات؟ قال: الدرّاج يقول: الرحمن على العرش استوى، والديك يقول: اذكروا الله يا غافلين، والفرس يقول إذا مشى المؤمنون إلى الكافرين: اللّهمّ انصر عبادك المؤمنين على عبادك الكافرين، والحمار يلعن العشّار وينهق في عين الشيطان، والضفدع يقول: سبحان ربّي المعبود المسبّح في لجج البحار، والقنبر يقول: اللّهمّ العن مبغضي محمّد وآل محمّد.

قال: وكانت الأحبار ثلاثة فوثب اثنان وقالا: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله. قال: فوقف الحبر الآخر وقال: يا عليّ لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوب أصحابي ولكن بقيت خصلة أسألك عنها، فقال عليّ عليه السلام: سل، قال: أخبرني عن قوم كانوا في أوّل الزمان فماتوا ثلاث مائة وتسع سنين ثمّ أحياهم الله ما كان قصّتهم؟ فابتدأ عليّ عليه السلام وأراد أن يقرأ سورة الكهف. فقال الحبر: ما أكثر ما سمعنا قرآنكم، فإن كنت عالماً بهم أخبرنا بقصّة هؤلاء وبأسمائهم وعددهم واسم كلبهم واسم كهفهم واسم ملكهم واسم مدينتهم.

فقال عليّ عليه السلام: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، يا أخا اليهود حدّثني محمّد صلى الله عليه وآله أنّه كان بأرض الروم مدينة يقال لها أقسوس[1] وكان لها ملك صالح فمات ملكهم فاختلفت كلمتهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس فأقبل في مائة ألف حتّى دخل مدينة أقسوس فاتّخذها دار مملكته، واتّخذ فيها قصراً طوله فرسخ في عرض فرسخ واتّخذ في ذلك القصر مجلساً طوله ألف ذراع في عرض مثل ذلك من الرخام الممرّد،

---

(١) قال الثعلبي: ويقال هي طرطوس كان اسمها في الجاهلية أفسوس، فلما جاء الإسلام سمّوها طرطوس (منه رحمه الله).

واتّخذ في ذلك المجلس أربعة آلاف أسطوانة من ذهب، واتخذ ألف قنديل من ذهب لها سلاسل من اللّجين تسرج بأطيب الأدهان، واتّخذ في شرقيّ المجلس ثمانين كوّة، ولغربيّه كذلك، وكانت الشمس إذا طلعت طلعت في المجلس كيفما دارت، واتّخذ فيه سريراً من ذهب طوله ثمانون ذراعاً في عرض أربعين ذراعاً، له قوائم من فضّة مرصّعة بالجواهر، وعلاه بالنمارق، واتّخذ من يمين السرير ثمانين كرسيّاً من الذهب مرصّعة بالزبرجد الأخضر فأجلس عليها بطارقته، واتّخذ من يسار السرير ثمانين كرسيّاً من الفضّة مرصّعة بالياقوت الأحمر فأجلس عليها هراقلته ثمَّ علا السرير فوضع التاج على رأسه.

فوثب اليهوديّ فقال: ممّ كان تاجه؟ قال: من الذهب المشبّك، له سبعة أركان على كلّ ركن لؤلؤة بيضاء تضيء كضوء المصباح في اللّيلة الظلماء، واتّخذ خمسين غلاماً من أولاد الهراقلة فقرطقهم بقراطق الديباج الأحمر، وسرولهم بسراويلات الحرير الأخضر، وتوّجهم ودملجهم وخلخلهم، وأعطاهم أعمدة من الذهب، ووقّفهم على رأسه، واتّخذ ستّة غلمة وزراءه، فأقام ثلاثة عن يمينه، وثلاثة عن يساره، فقال اليهوديّ: ما كان أسماء الثلاثة والثلاثة؟ فقال عليٌّ عليه السلام: الّذين عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا وميشيلينا وأمّا الّذين عن يساره فأسماؤهم مرنوس وديرنوس وشاذريوس، وكان يستشيرهم في جميع أموره، وكان يجلس في كلّ يوم في صحن داره والبطارقة عن يمينه والهراقلة عن يساره، ويدخل ثلاثة غلمة في يد أحدهم جام من ذهب مملوءة من المسك المسحوق، وفي يد الآخر جام من فضّة مملوءة من ماء الورد، وفي يد الآخر طائر أبيض له منقار أحمر، فإذا نظر الملك إلى ذلك الطائر صفر به فيطير الطائر حتّى يقع في جام ماء الورد فيتمرّغ فيه، ثمَّ يقع على جام المسك فيحمل مافي الجام بريشه وجناحه، ثمَّ يصفر به الثانية فيطير الطائر على تاج الملك فينفذ ما في ريشه وجناحه على رأس الملك[1].

فلمّا نظر الملك إلى ذلك عتا وتجبّر فادّعى الربوبيّة من دون الله، ودعا إلى ذلك وجوه قومه، فكلّ من أطاعه على ذلك أعطاه وحباه وكساه، وكلّ من لم يبايعه قتله فاستجابوا له رأساً، واتّخذ لهم عيداً في كلّ سنة مرّة، فبينا هم ذات يوم في عيد والبطارقة عن يمينه والهراقلة عن يساره إذ أتاه بطريق فأخبره أنّ عساكر الفرس قد غشيه فاغتمّ لذلك حتّى سقط التاج عن رأسه فنظر إليه أحد الثلاثة الّذين كانوا عن يمينه يقال له تمليخا - وكان غلاماً - فقال في نفسه: لو كان دقيانوس إلهاً كما يزعم إذاً ما كان يغتمُّ ولا يفزع، وما كان يبول ولا يتغوّط، وما كان ينام، وليس هذه من فعل الإله، قال: وكان الفتية الستّة كلّ يوم عند أحدهم وكانوا ذلك اليوم عند تمليخا، فاتّخذ لهم من طيّب الطعام، ثمّ قال لهم: يا إخوتاه قد وقع في

(١) قال الثعلبي في العرائس: فسكت الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط، فلما رأى ذلك من نفسه وماله عتا (منه رحمه الله).

قلبي شيء منعني الطعام والشراب والمنام، قالوا: وما ذاك يا تمليخا؟ قال: أطلت فكري في هذه السماء فقلت: من رفع سقفها محفوظة بلا عمد ولا علاقة من فوقها؟ ومن أجرى فيها شمساً وقمراً آيتان مبصرتان؟ ومن زيّنها بالنجوم؟ ثمّ أطلت الفكر في الأرض فقلت: من سطحها على ظهر اليمّ الزاخر؟ ومن حبسها بالجبال أن تميد على كلّ شيء؟ وأطلت فكري في نفسي من أخرجني جنيناً من بطن أمي؟ ومن غذاني؟ ومن ربّاني؟ إنّ لها صانعاً ومدبّراً غير دقيوس الملك، وما هو إلاّ ملك الملوك، وجبّار السماوات، فانكبّت الفتية على رجليه يقبّلونها، وقالوا بك هدانا الله من الضلالة إلى الهدى، فأشر علينا، قال: فوثب تمليخا فباع تمراً من حائط له بثلاثة آلاف درهم وصرّها في ردنه وركبوا خيولهم وخرجوا من المدينة، فلمّا ساروا ثلاثة أميال قال لهم تمليخا: يا إخوتاه جاءت مسكنة الآخرة وذهب ملك الدنيا، انزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم، لعلّ الله أن يجعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً، فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة فراسخ في ذلك اليوم فجعلت أرجلهم تقطر دماً.

قال: فاستقبلهم راع فقالوا: يا أيّها الراعي هل من شربة لبن أو ماء؟ فقال الراعي: عندي ما تحبّون ولكن أرى وجوهكم وجوه الملوك، وما أظنكم إلاّ هراباً من دقيوس الملك، قالوا: يا أيّها الراعي لا يحلّ لنا الكذب، أفينجّينا منك الصدق؟ فأخبروه بقصّتهم فانكبّ الراعي على أرجلهم يقبّلها، ويقول: يا قوم لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم، ولكن أمهلوني حتّى أردّ الأغنام على أربابها وألحق بكم، فتوقّفوا له فردّ الأغنام وأقبل يسعى يتبعه كلب له.

قال: فوثب اليهوديّ فقال: يا عليّ ما كان اسم الكلب؟ وما لونه؟ فقال عليٌّ عليه السلام: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، أمّا لون الكلب فكان أبلق بسواد، وأمّا اسم الكلب فقطمير، فلمّا نظر الفتية إلى الكلب قال بعضهم: إنّا نخاف أن يفضحنا بنباحه، فألحّوا عليه بالحجارة، فأنطق الله تعالى جلّ ذكره الكلب: ذروني حتّى أحرسكم من عدوّكم فلم يزل الراعي يسير بهم حتّى علاهم جبلاً فانحطّ بهم على كهف يقال له الوصيد، فإذا بفناء الكهف عيون وأشجار مثمرة، فأكلوا من الثمر وشربوا من الماء وجنّهم اللّيل فآووا إلى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومدّ يديه عليه، فأوحى الله تعالى عزّ وعلا إلى ملك الموت بقبض أرواحهم، ووكّل الله بكلّ رجل ملكين يقلّبانه من ذات اليمين إلى ذات الشمال، ومن ذات الشمال إلى اليمين، فأوحى الله تعالى عزّ وعلا إلى خزّان الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين، وتقرضهم ذات الشمال، فلمّا رجع دقيوس من عيده سأل عن الفتية فأخبر أنّهم خرجوا هراباً فركب في ثمانين ألف حصان، فلم يزل يقفو أثرهم حتّى علا فانحطّ إلى كهفهم فلمّا نظر إليهم إذا هم نيام، فقال الملك: لو أردت أن أعاقبهم بشيء لما عاقبتهم بأكثر ممّا عاقبوا به أنفسهم، ولكن ائتوني بالبنّائين فسدّ باب الكهف بالكلس والحجارة، وقال لأصحابه: قولوا لهم: يقولوا لإلههم الّذي في السماء لينجيهم وأن يخرجهم من هذا الموضع.

قال عليّ عَلَيْتُلَا: يا أخا اليهود فمكثوا ثلاث مائة سنة وتسع سنين، فلمّا أراد الله أن يحييهم أمر إسرافيل الملك أن ينفخ فيهم الروح، فنفخ فقاموا من رقدتهم، فلمّا أن بزغت الشمس قال بعضهم: قد غفلنا في هذه اللّيلة عن عبادة إله السماء، فقاموا فإذا العين قد غارت، وإذا الأشجار قد يبست، فقال بعضهم: إنّ أمورنا لعجب، مثل تلك العين الغزيرة قد غارت والأشجار قد يبست في ليلة واحدة! ومسّهم الجوع فقالوا: ابعثوا بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيّها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرنّ بكم أحداً؛ قال تمليخا: لا يذهب في حوائجكم غيري، ولكن ادفع أيّها الراعي ثيابك إليّ، قال: فدفع الراعي ثيابه ومضى يؤمّ المدينة، فجعل يرى مواضع لا يعرفها، وطريقاً هو ينكرها حتّى أتى باب المدينة وإذا عليه علم أخضر مكتوب عليه: لا إله إلاّ الله عيسى رسول الله، قال: فجعل ينظر إلى العلم وجعل يمسح عينيه ويقول: أراني نائماً، ثمّ دخل المدينة حتّى أتى السوق فأتى رجلاً خبّازاً فقال: أيّها الخبّاز ما اسم مدينتكم هذه؟ قال: أقسوس قال: وما اسم ملككم؟ قال: عبد الرحمن، قال: ادفع إليّ بهذه الورق طعاماً، فجعل الخبّاز يتعجّب من ثقل الدراهم ومن كبرها. قال فوثب اليهوديّ وقال: يا عليّ وما كان وزن كلّ درهم منها؟ قال: وزن كلّ درهم عشرة دراهم وثلثي درهم، فقال الخباز: يا هذا أنت أصبت كنزاً؟ فقال تمليخا: ما هذا إلاّ ثمن تمر بعتها منذ ثلاث، وخرجت من هذه المدينة، وتركت النّاس يعبدون دقيوس الملك، قال: فأخذ الخبّاز بيد تمليخا وأدخله على الملك فقال: ما شأن هذا الفتى؟ قال الخبّاز: هذا رجل أصاب كنزاً، فقال الملك: يا فتى لا تخف فإنّ نبينا عيسى عَلَيْتُلَا أمرنا أن لا نأخذ من الكنز إلاّ خمسها، فأعطني خمسها وامض سالماً.

فقال تمليخا: انظر أيّها الملك في أمري ما أصبت كنزاً، أنا رجل من أهل هذه المدينة، فقال الملك: أنت من أهلها؟ قال: نعم، قال: فهل تعرف بها أحداً؟ قال: نعم، قال: ما اسمك؟ قال: اسمي تمليخا، قال: وما هذه الأسماء أسماء أهل زماننا، فقال الملك: فهل لك في هذه المدينة دار؟ قال: نعم اركب أيّها الملك معي، قال: فركب الملك والناس معه فأتى بهم أرفع دار في المدينة، قال تمليخا: هذه الدار لي، فقرع الباب فخرج إليهم شيخ وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر، فقال: ما شأنكم؟ فقال الملك: أتانا هذا الغلام بالعجائب، يزعم أنّ هذه الدار داره، فقال له الشيخ: من أنت؟ قال: أنا تمليخا بن قسطيكين، قال: فانكبّ الشيخ على رجليه يقبّلهما ويقول: هو جدّي وربّ الكعبة؛ فقال: أيّها الملك هؤلاء السـتّة الّذين خرجوا هراباً من دقيوس الملك.

قال: فنزل الملك عن فرسه وحمله على عاتقه وجعل النّاس يقبّلون يديه ورجليه، فقال: يا تمليخا ما فعل أصحابك؟ فأخبر أنّهم في الكهف، وكان يومئذ بالمدينة ملك مسلم وملك يهوديّ فركبوا في أصحابهم فلمّا صاروا قريباً من الكهف قال لهم تمليخا: إنّي أخاف أن

تسمع أصحابي أصوات حوافر الخيول فيظنّون أنّ دقيوس الملك قد جاء في طلبهم، ولكن أمهلوني حتّى أتقدّم فأُخبرهم، فوقف النّاس فأقبل تمليخا حتّى دخل الكهف فلمّا نظروا إليه اعتنقوه وقالوا: الحمد لله الّذي نجّاك من دقيوس، قال تمليخا: دعوني عنكم وعن دقيوسكم، قال: كم لبثتم؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم! قال تمليخا: بل لبثتم ثلاث مائة وتسع سنين، وقد مات دقيوس وانقرض قرن بعد قرن، وبعث الله نبيّاً يقال له المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ورفعه الله إليه، وقد أقبل إلينا الملك والناس معه قالوا: يا تمليخا أتريد أن تجعلنا فتنة للعالمين؟ قال تمليخا: فما تريدون؟ قالوا: ادع الله جلّ ذكره وندعوه معك حتّى يقبض أرواحنا، فرفعوا أيديهم، فأمر الله تعالى بقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف على الناس، فأقبل الملكان يطوفان على باب الكهف سبعة أيّام لا يجدان للكهف باباً، فقال الملك المسلم: ماتوا على ديننا، أبني على باب الكهف مسجداً، وقال اليهودي: لا بل ماتوا على ديني أبني على باب الكهف كنيسة، فاقتتلا فغلب المسلم وبنى مسجداً عليه. يا يهوديّ أيوافق هذا ما في توراتكم؟ قال: ما زدت حرفاً ولا نقصت، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله[١].

بيان: هذا مختصر ممّا رواه الثعلبيُّ في عرائسه[٢].

واللّجين مصغّراً: الفضّة. والنمرقة بضم النون والراء وبكسرهما: الوسادة. قوله: (كيفما دارت) أقول: وجدت في بعض الكتب هكذا (واتّخذ لشرقيّ المجلس مائتي كوّة، ولغربيّه كذلك، فكانت الشمس من حين تطلع إلى حين تغيب تدور في المجلس كيفما دارت) ولعلّه أصوب. والبطريق: القائد من قوّاد الروم وهو معرّب، والجمع البطارقة والهرقل بكسر الهاء والقاف: ملك الروم.

وقال الجزريّ: القرطق: قباء معرّب كرته وقد تضمُّ طاؤه؛ وقال الفيروزآباديّ: القرطق كجندب معرّب كرته، وقرطقته فتقرطق: ألبسته إيّاه فلبسه. انتهى. والدملج والدملوج: المعضد.

قوله عليه السلام: (واتّخذ ستّة غلمة) أقول: في بعض الكتب: واصطفى ستّة أغلمة من أولاد العلماء فجعلهم وزراءه. وفيه: فأسماء الّذين عن يمينه: يمليخا ومكسلمينا ومخسمينا، والّذين عن يساره: مرطوش وكشطونش وساذنوش.

٢ - **ص:** الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: صلّى النبيّ صلى الله عليه وآله ذات ليلة ثمّ توجّه إلى البقيع فدعا أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً فقال: امضوا حتّى تأتوا أصحاب الكهف

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٢٥٥. (٢) عرائس المجالس، ص ٣٧٧.

وتقرؤوهم منّي السلام، وتقدّم أنت يا أبا بكر فإنّك أسنّ القوم، ثمّ أنت يا عمر، ثمّ أنت يا عثمان، فإن أجابوا واحداً منكم وإلاّ تقدّم أنت يا عليّ كن آخرهم ثمّ أمر الريح فحملتهم حتّى وضعتهم على باب الكهف، فتقدّم أبو بكر فسلّم فلم يردّوا فتنحّى، فتقدّم عمر فسلّم فلم يردّوا عليه، وتقدّم عثمان وسلّم فلم يردّوا عليه، وتقدّم عليّ وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهل الكهف الّذين آمنوا بربّهم وزادهم هدى، وربط على قلوبهم، أنا رسول رسول الله إليكم، فقالوا: مرحباً برسول الله وبرسوله، وعليك السلام يا وصيّ رسول الله ورحمة الله وبركاته، قال: فكيف علمتم أنّي وصيّ النبيّ؟ فقالوا: إنّه ضرب على آذاننا ألاّ نكلّم إلّا نبيّاً أو وصيّ نبيّ، فكيف تركت رسول الله ﷺ؟ وكيف حشمه؟ وكيف حاله؟ وبالغوا في السؤال، وقالوا: خبّر أصحابك هؤلاء أنّا لا نكلّم إلّا نبيّاً أو وصيّ نبيّ، فقال لهم: أسمعتم ما يقولون؟ قالوا: نعم، قال: فاشهدوا، ثمّ حوّلوا وجوههم قبل المدينة فحملتهم الريح حتّى وضعتهم بين يدي رسول الله فأخبروه بالّذي كان، فقال لهم النبيّ ﷺ: قد رأيتم وسمعتم فاشهدوا قالوا: نعم، فانصرف النبيّ إلى منزله وقال لهم: احفظوا شهادتكم[1].

أقول: رواه الثعلبيّ في تفسيره بتغيير ما، وسيأتي بأسانيد في معجزات النبيّ وأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما.

٣ - **ما:** ابن بشران، عن الحسن بن صفوان، عن عبد الله بن محمّد، عن أبي خيثمة، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن نافع أنّ عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: بينما ثلاثة رهط يتماشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل، فبينما هم فيه انحطّت صخرة فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أفضل أعمال عملتموها فسلوه بها لعلّه يفرّج عنكم.

قال أحدهم: اللّهمّ إنّه كان لي والدان كبيران وكانت لي امرأة وأولاد صغار فكنت أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم غنمي بدأت بوالديّ فسقيتهما، فلم آت حتّى نام أبواي فطيّبت الإناء ثمّ حلبت، ثمّ قمت بحلابي عند رأس أبويّ والصبية يتضاغون عند رجلي، أكره أن أبدأ بهم قبل أبويّ، وأكره أن أوقظهما من نومهما، فلم أزل كذلك حتّى أضاء الفجر اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنّا فرجة نرى منها السّماء، ففرج لهم فرجة فرأوا منها السماء.

وقال الآخر: اللّهمّ إنّه كانت لي بنت عمّ فأحببتها حبّاً كانت أعزّ الناس إليّ، فسألتها نفسها، فقالت: لا حتّى تأتيني بمائة دينار، فسعيت حتّى جمعت مائة دينار فأتيتها بها، فلمّا كنت بين رجليها قالت: اتّق الله ولا تفتح الخاتم إلاّ بحقّه، فقمت عنها، اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنّا فيها فرجة، ففرّج الله لهم فيها فرجة.

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٥٤.

وقال الثالث: اللّهم إنّي كنت استأجرت أجيراً بفرق ذرة، فلمّا قضى عمله عرضت عليه فأبى أن يأخذها ورغب عنه، فلم أزل أعتمل به حتّى جمعت منه بقراً ورعاتها، فجاءني وقال: اتّق الله وأعطني حقّي ولا تظلمني، فقلت له: اذهب إلى تلك البقر ورعاتها فخذها فذهب واستاقها، اللّهم إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنّا ما بقي منها ففرّج الله عنهم فخرجوا يتماشون[1].

بيان: قال الجوهريّ: أراح إبله أي ردّها إلى المراح، وأرحت على الرجل حقّه: إذا رددته عليه انتهى. وانضاع الفرخ: صاح وتلوّى عند الجوع. وفي النهاية: الفرق بالتحريك: مكيال يسع ستّة عشر رطلاً انتهى. وفي بعض النسخ «يفرق» بصيغة الفعل ولعلّه تصحيف.

٤ - **فس:** ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ يقول: قد آتيناك من الآيات ما هو أعجب منه، وهم فتية كانوا في الفترة بين عيسى بن مريم عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله؛ وأمّا الرقيم فهما لوحان من نحاس مرقوم، أي مكتوب فيهما أمر الفتية وأمر إسلامهم وما أراد منهم دقيانوس الملك وكيف كان أمرهم وحالهم.

قال عليّ بن إبراهيم: فحدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان سبب نزول سورة الكهف أنّ قريشاً بعثوا ثلاثة نفر إلى نجران: النضر بن حارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل السهميّ ليتعلّموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرجوا إلى نجران إلى علماء اليهود فسألوهم فقالوا: اسألوه عن ثلاث مسائل فإن أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق، ثمّ سلوه عن مسألة واحدة فإن ادّعى علمها فهو كاذب، قالوا: وما هذه المسائل؟ قالوا: اسألوه عن فتية كانوا في الزمن الأوّل فخرجوا وغابوا وناموا كم بقوا في نومهم حتّى انتبهوا وكم كان عددهم؟ وأيّ شيء كان معهم من غيرهم؟ وما كان قصّتهم؟ واسألوه عن موسى حين أمره الله أن يتّبع العالم ويتعلّم منه من هو؟ وكيف تبعه؟ وما كان قصّته معه؟ واسألوه عن طائف طاف من مغرب الشمس ومطلعها حتّى بلغ سدّ يأجوج ومأجوج من هو؟ وكيف كان قصّته؟ ثمّ أملوا عليهم أخبار هذه الثلاث المسائل، وقالوا لهم: إن أجابكم بما قد أملينا عليكم فهو صادق، وإن أخبركم بخلاف ذلك فلا تصدّقوه، قالوا: فما المسألة الرابعة؟ قالوا: اسألوه متى تقوم الساعة؟ فإن ادّعى علمها فهو كاذب، فإنّ قيام الساعة لا يعلمه إلاّ الله تبارك وتعالى.

فرجعوا إلى مكّة واجتمعوا إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إنّ ابن أخيك يزعم أنّ خبر السماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل، فإن أجابنا عنها علمنا أنّه صادق، وإن لم يخبرنا علمنا أنّه كاذب، فقال أبو طالب: سلوه عمّا بدا لكم، فسألوه عن الثلاث المسائل فقال رسول

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٣٩٥ مجلس ١٤ ح ٨٧٨.

الله ﷺ: غداً أخبركم ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً حتّى اغتمّ النبيّ وشكّ أصحابه الّذين كانوا آمنوا به، وفرحت قريش واستهزؤوا وآذوا، وحزن أبو طالب، فلمّا أن كان بعد أربعين يوماً نزل عليه جبرئيل بسورة الكهف، فقال رسول الله: يا جبرئيل لقد أبطأت، فقال: إنّا لا نقدر أن ننزل إلاّ بإذن الله، فأنزل: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يا محمّد ﴿أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا﴾ ثمّ قصّ قصّتهم، فقال: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

فقال الصادق عليه السلام: إنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا في زمن ملك جبّار عات، وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام، فمن لم يجبه قتله، وكان هؤلاء قوماً مؤمنين يعبدون الله عزّ وجلّ، ووكّل الملك بباب المدينة حرساً ولم يدع أحداً يخرج حتّى يسجد الأصنام، وخرج هؤلاء بعلّة الصيد، وذلك أنّهم مرّوا براع في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم، وكان مع الراعي كلب فأجابهم الكلب وخرج معهم، فقال الصادق عليه السلام: فلا يدخل الجنّة من البهائم إلاّ ثلاثة: حمار بلعم بن باعوراء، وذئب يوسف، وكلب أصحاب الكهف.

فخرج أصحاب الكهف من المدينة بعلّة الصيد هرباً من دين ذلك الملك، فلمّا أمسوا دخلوا ذلك الكهف والكلب معهم، فألقى الله عليهم النعاس كما قال تبارك وتعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ فناموا حتّى أهلك الله ذلك الملك وأهل مملكته وذهب ذلك الزمان وجاء زمان آخر وقوم آخرون ثمّ انتبهوا، فقال بعضهم لبعض: كم نمنا ههنا؟ فنظروا إلى الشمس قد ارتفعت فقالوا: نمنا يوماً أو بعض يوم، ثمّ قالوا لواحد منهم: خذ هذا الورق وادخل المدينة متنكّراً لا يعرفوك فاشتر لنا طعاماً، فإنّهم إن علموا بنا وعرفونا قتلونا أو ردّونا في دينهم، فجاء ذلك الرجل فرأى المدينة بخلاف الّذي عهدها، ورأى قوماً بخلاف أولئك لم يعرفهم ولم يعرفوا لغته ولم يعرف لغتهم، فقالوا له: من أنت؟ ومن أين جئت؟ فأخبرهم، فخرج ملك تلك المدينة مع أصحابه والرجل معهم حتّى وقفوا على باب الكهف، وأقبلوا يتطلّعون فيه، فقال بعضهم: هؤلاء ثلاثة ورابعهم كلبهم، وقال بعضهم: هم خمسة وسادسهم كلبهم، وقال بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، وحجبهم الله بحجاب من الرعب فلم يكن أحد يقدم بالدخول عليهم غير صاحبهم، وإنّه لمّا دخل عليهم وجدهم خائفين أن يكونوا أصحاب دقيانوس شعروا بهم، فأخبرهم صاحبهم أنّهم كانوا نائمين هذا الزمن الطويل، وأنّهم آية للناس، فبكوا وسألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا، ثمّ قال الملك: ينبغي أن نبني ههنا مسجداً ونزوره فإنّ هؤلاء قوم مؤمنون، فلهم في كلّ سنة نقلتين ينامون ستّة أشهر على جنوبهم اليمنى، وستّة أشهر على جنوبهم اليسرى والكلب معهم قد بسط ذراعيه بفناء الكهف وذلك قوله: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي خبرهم إلى قوله: ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي بالفناء ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ﴾ أي أنبهناهم إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وهم الّذين ذهبوا إلى باب الكهف إلى قوله: ﴿سَبْعَةٌ

وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فقال الله لنبيّه ﷺ قل لهم: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ثمّ انقطع خبرهم، فقال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أخبره أنّه إنّما حبس الوحي أربعين صباحاً لأنه قال لقريش: غداً أخبركم بجواب مسائلكم ولم يستثن، فقال الله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ إلى قوله ﴿رَشَدًا﴾ ثمّ عطف على الخبر الأوّل الّذي حكى عنهم أنّهم يقولون: ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فقال: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ وهو حكاية عنهم، ولفظه خبر، والدليل على أنّه حكاية عنهم قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ يعني جوراً على الله إن قلنا: إنّ له شريكاً، وقوله: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ يعني بحجّة بيّنة أنّ معه شريكاً، وقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ يقول: ترى أعينهم مفتوحة ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ يعني نيام ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ في كلّ عام مرّتين لئلاّ تأكلهم الأرض، وقوله: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ يقول: أيّها أطيب طعاماً؛ وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني أطلعنا على الفتية ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ في البعث ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ يعني لا شكّ فيها بأنّها كائنة، وقوله ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ يعني ظنّاً بالغيب ما يستفتونهم، وقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ يقول: حسبك ما قصصنا عليك من أمرهم ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ يقول: لا تسأل عن أصحاب الكهف أحداً من أهل الكتاب[1].

٥ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى ابن أورمة، عن الحسن بن محمّد الحضرميّ، عن عبد الله بن يحيى الكاهليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر أصحاب الكهف فقال: لو كلّفكم قومكم ما كلّفهم قومهم فافعلوا فعلهم، فقيل له: وما كلّفهم قومهم؟ قال: كلّفوهم الشرك بالله فأظهروه لهم، وأسرّوا الإيمان حتّى جاءهم الفرج. وقال: إنّ أصحاب الكهف كذبوا فآجرهم وصدقوا فآجرهم الله. وقال: كانوا صيارفة كلام، ولم يكونوا صيارفة الدراهم. وقال: خرج أصحاب الكهف على غير ميعاد، فلمّا صاروا في الصحراء أخذ هذا على هذا وهذا على هذا العهد والميثاق، ثمّ قال: أظهروا أمركم فأظهروه فإذا هم على أمر واحد. وقال: إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر، فكانوا على إظهارهم الكفر أعظم أجراً منهم على إسرارهم الإيمان. وقال: ما بلغت تقيّة أحد ما بلغت تقيّة أصحاب الكهف وإن كانوا ليشدّون الزنانير، ويشهدون الأعياد، فأعطاهم الله أجرهم مرّتين[2].

شي: عن الكاهليّ مثله[3].

بيان: قوله: (صيارفة كلام) أي كانوا يميّزون كلام الحقّ من الباطل.

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٦.

(٢) قصص الأنبياء، ص ٢٥٣.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٤٨ ح ٦.

٦ - **ص:** بالإسناد إلى ابن أورمة، عن الحسن بن عليّ، عن إبراهيم بن محمّد، عن محمّد بن مروان، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ أصحاب الكهف كذبوا الملك فأجروا، وصدقوا فأجروا[١].

٧ - **ص:** بالإسناد عن ابن أورمة، عن البزنطيّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ قال: هم قوم فقدوا، فكتب ملك ذلك الزمان أسماءهم وأسماء آبائهم وعشائرهم في صحف من رصاص[٢].

شي: عن محمّد، عن أحمد بن عليّ، عنه عليه السلام مثله[٣].

٨ - **ص:** الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه، عن أبان بن عثمان، عن أبي جميلة، عن جابر بن يزيد، عن عبد الرحمن بن الحارث البراديّ عن ابن أبي أوفى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خرج ثلاثة نفر يسيحون في الأرض، فبينماهم يعبدون الله في كهف في قلّة جبل حتّى بدت صخرة من أعلى الجبل حتّى التقت باب الكهف، فقال بعضهم: يا عباد الله والله لا ينجيكم منها وبقيتم فيه إلاّ أن تصدقوا عن الله، فهلمّوا ما عملتم خالصاً لله، فقال أحدهم: اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي طلبت جيّدة لحسنها وجمالها وأعطيت فيها مالاً ضخماً حتّى إذا قدرت عليها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة ذكرت النار فقمت عنها فرقاً منك فارفع عنّا هذه الصخرة، قال: فانصدعت حتّى نظروا إلى الضوء.

ثمّ قال آخر: اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي استأجرت قوماً كلّ رجل منهم بنصف درهم فلمّا فرغوا أعطيتهم أجورهم فقال رجل: لقد عملت عمل رجلين والله لاآخذ إلّا درهماً ثمّ ذهب وترك ماله عندي فبذرت بذلك النصف الدرهم في الأرض فأخرج الله به رزقاً وجاء صاحب النصف الدرهم فأراده فدفعت إليه عشرة آلاف درهم حقّه، فإن كنت تعلم أنّما فعلت ذلك مخافة منك فارفع عنّا هذه الصخرة، قال: فانفرجت حتّى نظر بعضهم إلى بعض.

ثمّ قال الآخر: اللّهمّ إن كنت تعلم أنّ أبي وأمّي كانا نائمين فأتيتهما بقصعة من لبن فخفت أن أضعه فيقع فيه هامّة وكرهت أن أنبّههما من نومهما فيشقّ ذلك عليهما فلم أزل بذلك حتّى استيقظا فشربا اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاءً لوجهك فارفع عنّا هذه الصخرة، فانفرجت حتّى سهّل الله لهم المخرج. ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صدق الله نجا[٤].

٩ - **شي:** عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر، فآجرهم الله مرّتين[٥].

---

(١) - (٢) قصص الأنبياء، ص ٢٥٣-٢٥٤. (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٤٨ ح ٥.

(٤) قصص الأنبياء، ص ٢٦٢.

(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٤٧ ٣٥٠ ح ٣ من سورة الكهف.

١٠ - شي: عن سليمان بن جعفر الهذليّ قال: قال لي جعفر بن محمد عليه السلام: يا سليمان من الفتى؟ قال: قلت: جعلت فداك الفتى عندنا الشابّ، قال لي: أما علمت أنّ أصحاب الكهف كانوا كلّهم كهولاً فسمّاهم الله فتية بإيمانهم؟ يا سليمان من آمن بالله واتّقى فهو الفتى[1].

١١ - شي: عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج أصحاب الكهف على غير معرفة ولا ميعاد، فلمّا صاروا في الصحراء أخذ بعضهم على بعض العهود والمواثيق، فأخذ هذا على هذا وهذا على هذا، ثمّ قالوا: أظهروا أمركم فأظهروه فإذا هم على أمر واحد[2].

١٢ - شي: عن درست، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه ذكر أصحاب الكهف فقال: كانوا صيارفة كلام، ولم يكونوا صيارفة دراهم[3].

١٣ - شي: عن محمّد بن سنان، عن البطّيخيّ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ قال: إنّ ذلك لم يعن به النبيّ صلى الله عليه وآله، إنّما عنى به المؤمنين بعضهم لبعض، لكنّه حالهم الّتي هم عليها[4].

١٤ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن عليّ، عن درست الواسطيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما بلغت تقيّة أحد تقيّة أصحاب الكهف إن كانوا ليشهدون الأعياد ويشدّون الزنانير فأعطاهم الله أجرهم مرّتين[5].

شي: عن درست مثله «ج ٢ ص ٣٤٩ ح ٩».

١٥ - كا: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح بن السنديّ، عن جعفر بن بشير عن خالد ابن عمارة، عن سدير الصيرفيّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: حديث بلغني عن الحسن البصريّ فإن كان حقّاً فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، قال: وما هو؟ قلت: بلغني أنّ الحسن البصريّ كان يقول: لو غلا دماغه من حرّ الشمس ما استظلّ بحائط صيرفيّ، ولو تفرّث كبده عطشاً لم يستسق من دار صيرفيّ ماءً، وهو عملي وتجارتي وعليه نبت لحمي ودمي ومنه حجّي وعمرتي، فجلس ثمّ قال: كذب الحسن، خذ سواءً، وأعط سواءً، فإذا حضرت الصلاة دع ما بيدك وانهض إلى الصلاة، أما علمت أنّ أصحاب الكهف كانوا صيارفة؟[6].

بيان: لعله عليه السلام إنّما ذكر ذلك إلزاماً عليهم حيث ظنّوا أنّهم كانوا صيارفة الدراهم لئلاً ينافي ما سبق، والصدوق رحمه الله قال في الفقيه بعد إيراد الخبر: يعني صيارفة الكلام، ولم يعن صيارفة الدراهم. ولعله رحمه الله ذهب عليه أنّ هذا المعنى لا يناسب هذا المقام، وقد يوجّه الخبر على ما حمله عليه بوجوه:

---

(١) - (٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٤٧-٣٥٠ ح ١١ و٦ و٧ و١٣ من سورة الكهف.

(٥) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٥٠ باب التقية ح ٨.

(٦) الكافي، ج ٥ ص ٦٥٠ باب الصناعات ح ٢.

الأوّل: أنّ أصحاب الكهف كانوا صيارفة الكلام يميّزون بين الحقّ والباطل، فينبغي أن تكون أيضاً كذلك، فلم تنقل هذا الكلام عن الحسن مع أنّ قوله ليس بحجّة، ومع ذلك ظاهر الفساد لأنّ الاستظلال بظلّ الكافر والاستسقاء من داره جائز والصيرفيّ لا يكون شرّاً منه! وأيضاً بيع الصرف من الأمور الضروريّة الّتي يجب كفاية.

الثاني: أن يقرأ يعني ولم يعن على بناء المجهول، فالمراد أنّ الحسن وهم في تأويل ما روي في ذمّ الصيارفة، فإنّ المعنيّ بها صيارفة الكلام، قال ابن الأثير: في حديث الخولانيّ: «من طلب صرف الحديث يبتغي به إقبال وجوه الناس إليه» أراد بصرف الحديث ما يتكلّفه الإنسان من الزيادة فيه على قدر الحاجة، وإنّما كره ذلك لما يدخله من الرياء والتصنّع لما تخالطه من الكذب انتهى.

أقول: وعلى هذا يمكن أن يقرأ على بناء المعلوم أيضاً بأن يكون الضميران راجعين إلى الرسول ﷺ.

الثالث: أن يكون المعنى أنّ أصحاب الكهف كانوا صيارفة الكلام كما يقال: فلان يحسن صرف الكلام، أي تفضيل بعضه على بعض، فأصل الصرف والتميز ليس بحرام بل هو من الكلام، وإنّما الحرام ما يصدر عن بعض الصيارفة من الغشّ والرياء وغيرهما.

الرابع: أن يكون ذكره عليه السلام ذلك بعد ردّ قول الحسن أمراً بالتقيّة بأن أصحاب الكهف كانوا صيارفة كلام يصرفونه عن ظاهره في مقام التقيّة، وعليه يمكن أن يحمل خبر الكاهليّ.

تتمة: قال الثعلبيّ في تفسيره: قال محمّد بن إسحاق: مرج أهل الإنجيل وكثرت فيهم الخطايا حتّى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح عليه السلام متمسّكين بعبادة الله عزّ وجلّ وتوحيده حتّى ظهر فيهم ملك يقال له دقيانوس، كان ينزل قرى الروم ولا يترك في قرية ينزلها أحداً إلاّ فتنه أن يعبد الأصنام، ويذبح للطواغيت، حتّى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس، فلمّا نزلها كبر ذلك على أهل الإيمان وهربوا في كلّ وجه، فبعث الشُرط يتبعونهم فيقدمهم إلى الجامع الّذي يذبح فيه للطواغيت فيخيّرهم بين القتل وبين عبادة الأصنام والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله تعالى فيقتل، فلمّا رأى ذلك أهل الشدّة في الإيمان بالله عزّ وجلّ جعلوا يسلّمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطّعون، ثمّ يربط ما قطّع من أجسادهم على سور المدينة من نواحيها كلّها، وعلى كلّ باب من أبوابها حتّى عظمت الفتنة، فلمّا رأى ذلك الفتية حزنوا حزناً شديداً فقاموا وصاموا واشتغلوا بالدعاء والتسبيح عزّ وجلّ، وكانوا من أشراف الروم، وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرّعوا وجعلوا يقولون: ربّنا ربّ السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً، اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة! فبينا هم على ذلك إذ أدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا في مصلّى لهم فوجدوهم سجوداً على وجوههم يبكون ويتضرّعون إلى الله عزّ وجلّ ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنه، فلمّا رأوهم رفعوا أمرهم

إلى دقيانوس وقالوا: هؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون منك، ويعصون أمرك، فلمّا سمع ذلك أتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفّرة وجوههم في التّراب فقال لهم: اختاروا إمّا أن تذبحوا لآلهتنا وإمّا أن أقتلكم، فقال مكسلمينا وكان أكبرهم: إنّ لنا إلهاً ملء السماوات والأرض عظمته، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً، اصنع بنا ما بدا لك، وكذا قال أصحابه، فأمر بهم فنزع منهم لبوسهم وكان عليهم من لبوس عظمائهم، وقال: إنّي سأؤخركم لأنّي أراكم شبّاناً فلا أحبّ أن أهلككم حتّى أجعل لكم أجلاً تذكرون فيه وتراجعون عقولكم، ثمّ أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضّة فنزعت منهم، ثمّ أُخرجوا وانطلق دقيانوس إلى مدينة أُخرى قريباً منهم فلمّا رأى الفتية ذلك ائتمروا بينهم أن يأخذ كلّ رجل نفقة من بيت أبيه فيتصدّقوا بها ويتزوّدوا ممّا بقي ثمّ ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ينجلوس فيعبدون الله حتّى إذا جاء دقيانوس أتوه فيصنع بهم ما شاء، ففعلوا ذلك، واتّبعهم كلب كان لهم فاشتغلوا فيه بالصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد، وكانوا كلّما نفدت نفقتهم يذهب يمليخا وكان أجملهم وأجلدهم ويضع ثياباً كان عليه ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الّذين يستطعمون فينطلق إلى المدينة فيشتري طعاماً ويتسمّع ويتجسّس لهم الأخبار، فلبثوا بذلك ما لبثوا، ثمّ قدم الجبّار إلى المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت، وكان يمليخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم وشرابهم فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، فلمّا أخبرهم فزعوا ووقعوا سجوداً يتضرّعون إلى الله تعالى، فقال يمليخا: يا إخوتاه ارفعوا رؤوسكم فاطعموا منه، وتوكّلوا على ربكم؛ فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزناً وخوفاً على أنفسهم فطعموا منه، وذلك مع غروب الشمس، ثمّ جلسوا يتحدّثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضاً فبينا هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم ونفقتهم عند رؤوسهم، فلمّا كان من الغد تفقّدهم دقيانوس فأرسل إلى آبائهم فسألهم عنهم، فقالوا له: أمّا نحن فلم نعصك، فلمَ تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا فأهلكوها في أسواق المدينة؟ ثمّ انطلقوا فارتقوا إلى جبل يدعى ينجلوس فأمر بالكهف أن يسدّ عليهم، وقال: دعوهم كما هم في الكهف يموتوا جوعاً وعطشاً.

ثمّ إنّ رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك يكتمان إيمانهما اسمهما يندروس ورياس ائتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص، ثمّ يجعلانه في تابوت من نحاس، ثمّ يجعلان التابوت في البنيان، وقالا: لعلّ الله يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب، ففعلا ثمّ بنيا عليه، فبقي دقيانوس ما بقي ثمّ مات وقومه، وقرون بعده كثيرة، وخلفت الملوك بعد الملوك.

وقال عبيد بن عمير: كانوا فتياناً مطوّقين مسوّرين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيدهم، فخرجوا في عيد لهم عظيم في زيّ وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم وقد قذف الله في

قلوبهم الإيمان، وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كلّ منهم إيمانه من أصحابه فتفرّقوا وعزم كلّ منهم على أن يخرج من بين القوم، فاجتمعوا تحت شجرة فأظهروا أمرهم فإذا هم على أمر واحد، فانطلقوا إلى الكهف، ففقدهم قومهم فطلبوهم فأعمى الله عليهم أخبارهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان وفلان أبناء ملوكنا، فقدناهم في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان بن فلان، ووضعوا اللّوح في خزانة الملك.

وقال وهب: جاء حواريّ عيسى عليه السلام إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له: إنّ على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلاّ سجد له، فكره أن يدخلها، فأتى حمّاماً قريباً من تلك المدينة فكان يؤاجر نفسه من الحمّاميّ ويعمل فيه، ورأى صاحب الحمّام في حمّامه البركة، وجعل يقول عليه، وعلقه فتية من أهل المدينة، فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتّى آمنوا به وصدّقوه، وكانوا على مثل حاله، وكان يشترط على صاحب الحمّام أنّ اللّيل لا يحول بيني وبينه أحد ولا بين الصلاة، وكان على ذلك حتّى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمّام فعيّره الحواريّ وقال له: أنت ابن الملك تدخل مع هذه؟ فاستحيى فذهب فرجع مرّة أخرى فقال له مثل ذلك فسبّه وانتهره ولم يلتفت حتّى دخلا معاً وماتا جميعاً في الحمّام، فأتي الملك فقيل له: قتل صاحب الحمّام ابنك، فالتمس فلم يقدر عليه، فقال: من كان يصحبه؟ فسمّي الفتية، فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمرّوا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل إيمانهم فذكروا له أنّهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلب حتّى آواهم اللّيل إلى الكهف فدخلوا وقالوا: نبيت ههنا ونصبح إن شاء الله فترون رأيكم، فضرب الله على آذانهم، فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم حتّى وجدوهم قد دخلوا الكهف، وكلّما أراد الرجل منهم دخوله أرعب فلم يطق أحد دخوله، وقال قائل: أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشاً وجوعاً، ففعل.

قال وهب: وصبروا بعدما سدّ عليهم باب الكهف زماناً بعد زمان، ثمّ إنّ راعياً أدركه المطر عند الكهف فقال: لو فتحت هذا الكهف فأدخلته غنمي من المطر. فلم يزل يعالجه حتّى فتح وردّ الله إليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا.

وقال محمّد بن إسحاق: ثمّ ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس، فلمّا ملك بقي في ملكه ثمانياً وثلاثين سنة، فتحزّب النّاس في ملكه أحزاباً: منهم من يؤمن بالله ويعلم أنّ الساعة حقّ، ومنهم من يكذّب بها، وكبر ذلك على الملك وبكى إلى الله عزّ وجلّ وتضرّع إليه وحزن حزناً شديداً، فلمّا فشا ذلك في ملكه دخل بيته وأغلقه عليه، ولبس مسحاً، وجعل تحته رماداً، وجعل يتضرّع إلى الله ليله ونهاره، ويبكي ممّا يرى فيه الناس فأحيا الله الفتية فجلسوا فرحين مسفرّة وجوههم، طيّبة أنفسهم، فسلّم بعضهم على بعض، كأنّما استيقظوا من ساعتهم الّتي كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليلتهم، ثمّ قاموا إلى الصلاة فصلّوا، فلمّا قضوا

صلاتهم قال بعضهم لبعض: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ وكلٌّ ذلك في أنفسهم يسير، فقال لهم يمليخا: افتقدتم والتمستم بالمدينة، وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم، فما شاء الله بعد ذلك فعل، فقال لهم مكسملينا: يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقو الله، ولا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم غداً، ثمّ قالوا ليمليخا: انطلق إلى المدينة فتسمّع ما يقال لنا بها اليوم، وما الّذي نذكر به عند دقيانوس وتلطّف ولا يشعرنّ بنا أحد، وابتع لنا طعاماً فأتنا به، وزدنا على الطعام الّذي جئتنا به أمس فإنّه كان قليلاً فقد أصبحنا جياعاً.

فانطلق يمليخا في الثياب الّتي كان يتنكّر فيها، فلمّا أتى باب المدينة رأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان، فعجب من ذلك فتحوّل إلى باب آخر فرأى مثل ذلك، ورأى ناساً كثيراً محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك، فجعل يمشي ويعجب، ثمّ دخل المدينة فسمع الناس يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقاً، فقال في نفسه: لعلّ هذه المدينة ليست بالمدينة الّتي أعرف، ثمّ لقي فتى من أهلها فقال له: ما اسم هذه المدينة يا فتى؟ فقال: أفسوس، فقال في نفسه: لعلّ بي مسّاً أو أمراً أذهب عقلي، والله يحقّ لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى أو يصيبني شرّ، فدنا من الّذين يبيعون الطعام فأخرج الورقة الّتي كانت معه فأعطاها رجلاً منهم فقال: يا عبدالله بعني بهذا الورق طعاماً، فأخذها الرجل فنظر إلى ضرب الورق ونقشها فتعجّب منها ثمّ طرحها إلى رجل من أصحابه فنظر إليها، ثمّ جعلوا يتطارحونها من رجل إلى رجل ويتعجّبون منها، ثمّ جعلوا يتسارّون بينهم ويقول بعضهم لبعض: إنّ هذا الرجل قد أصاب كنزاً خبيئاً في الأرض منذ زمان ودهر طويل، فلمّا رآهم يتسارّون فرق فرقاً شديداً وجعل يرتعد ويظنّ أنّهم عرفوه، وإنّما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس، وجعل ناس آخر يأتونه فيتعرّفونه فقالوا له: من أنت يا فتى؟ وما شأنك؟ والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الأوّلين وأنت تريد أن تخفيه منّا، فشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت، فإنّك إن لم تفعل نأت بك السلطان فنسلّمك إليه فيقتلك، فقال في نفسه: قد وقعت في كلّ شيء أحذر منه.

ثمّ قالوا: يا فتى إنّك لا تستطيع أن تكتم ما وجدت، فجعل يمليخا ما يدري ما يقول لهم، وما يرجع إليهم، وفرق حتّى لا يحير جواباً، فأخذوا كساءه فطوّوا في عنقه، ثمّ جعلوا يقودونه في سكك المدينة ملبّباً حتّى سمع به من فيها، فقيل: أخذ رجل عنده كنز، واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما نعرفه، وكان يمليخا ينتظر أن يأتي أبوه وإخوته فيخلّصوه منهم، ويخاف أن يذهبوا به إلى دقيانوس حتّى ذهبوا به إلى رأسي المدينة: أريوس واسطيوس وكانا رجلين صالحين، فقال أحدهما: أين الكنز الّذي وجدت؟ هذا الورق يشهد عليك أنّك وجدت كنزاً، فقال: ما وجدت كنزاً، ولكن هذا الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن

والله ما أدري ما شأني وما أقول لكما، فقال أحدهما: ممّن أنت؟ فقال: أمّا ما أرى فكنت أرى أنّي من أهل المدينة، قالوا: فمن أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم باسم أبيه، فلم يجدوا له أحداً يعرفه ولا أباه، فقال له أحدهما: أتظنّ أنّا نرسلك ونصدّقك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلاثمائة سنة وأنت غلام شابّ تظنّ أنّك تأفكنا وتسخر بنا؟ فقال يمليخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، قالوا: سل، قال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالا له: ليس نعرف اليوم ملكاً يسمّى دقيانوس على وجه الأرض، ولم يكن إلاّ ملك قد هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال يمليخا: والله ما هو بمصدّقي أحد من الناس بما أقول، لقد كنّا فتية وإنّ الملك أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشيّة أمس فنمنا، فلمّا انتبهنا خرجت لأشتري لأصحابي طعاماً وأتجسّس الأخبار فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف الّذي في جبل ينجلوس أريكم أصحابي.

فلمّا سمع أريوس ذلك قال: يا قوم هذه آية من آيات الله عزّ وجلّ جعلها لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا جميعاً معه نحو أصحاب الكهف، فلمّا رأى الفتية أنّ يمليخا قد احتبس عليهم بطعامهم ظنّوا أنّه قد أخذه دقيانوس، فبينا هم يظنّون ويتخوّفون إذ سمعوا الأصوات وظنّوا أنّهم رسل دقيانوس فقاموا إلى الصلاة وسلّم بعضهم إلى بعض، وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخانا يمليخا فإنّه الآن بين يدي الجبّار، فلم يروا إلاّ أريوس وأصحابه وقوفاً على باب الكهف وسبقهم يمليخا فدخل عليهم يبكي وقصّ عليهم النبأ كلّه، فعرفوا عند ذلك أنّهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمان كلّه، وإنّما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث.

ثمّ دخل أريوس فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضّة، ففتح التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما: أنّ مكسلمينا ومجسلمينا ويمليخا ومرطونس وكسوطونس ويبورس ويكرنوس ويطينوس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبّار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف، فلمّا أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسدّ عليهم بالحجارة، وإنّا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم، فلمّا رأوه عجبوا وحمدوا الله الّذي أراهم آية البعث، ثمّ دخلوا عليهم فوجدوهم جلوساً مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم، فخرّ أريوس وأصحابه سجّداً.

فبعث أريوس بريداً إلى ملكهم الصالح تندوسيس أن اعجل لعلّك تنظر إلى آية من آيات الله أظهرها الله في ملكك وجعلها آيةً للعالمين ليكون نوراً وضياءً وتصديقاً للبعث، فاعجل على فتية بعثهم الله وقد كان توفّاهم أكثر من ثلاث مائة سنة، فلمّا أتى الملك الخبر قام ورجع إليه عقله وذهب عنه همّه، وقال: أحمدك الله ربّ السماوات والأرض، وأعبدك وأسبّح لك، تطوّلت عليّ ورحمتني برحمتك، فلم تطفىء النور الّذي كنت جعلت لآبائي، فأتاهم مع أهل مدينته.

فلمّا رأى الفتية تندوسيس فرحوا به وخرّوا سجّداً على وجوههم، وقام الملك قدّامهم ثمّ

اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبّحون الله عزّوجلّ ويحمدونه، ثمّ قالوا للملك: نستودعك الله، ونقرأ عليك السلام، حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الجنّ والإنس، فبينا الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفّى الله أنفسهم، وقام الملك إليهم فجعل ثيابه عليهم، وأمر أن يجعلوا لكلّ رجل منهم تابوتاً من ذهب، فلمّا أمسوا ونام أتوه في المنام فقالوا: إنّا لم نخلق من ذهب ولا فضّة، ولكنّا خلقنا من تراب، وإلى التراب نصير، فاتركنا كما كنّا في الكهف على التراب حتّى يبعثنا الله عزّوجلّ منه، فأمر الملك حينئذ بتوابيت من ساج فجعلوا فيها، وحجبهم الله تعالى حين خرجوا من عندهم بالرعب، فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلّى فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً، وأمر أن يؤتى كلّ سنة[1].

٢٨ - باب قصة أصحاب الأخدود

الآيات: البروج «٨٥»: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾.

تفسير: قال البيضاويّ: الأخدود: الشقّ في الأرض ﴿النَّارِ﴾ بدل من الأخدود بدل اشتمال ﴿ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ صفة لها بالعظمة، وكثرة ما يرتفع به لهبها ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ على حافة النار قاعدون ﴿شُهُودٌ﴾ يشهد بعضهم لبعضهم عند الملك بأنّه لم يقصّر فيما أمره به، أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ وما أنكروا منهم[2].

١ - **فس:** ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾ أي يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ قال: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم القيامة ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ قال: كان سببهم أنّ الّذي هيّج الحبشة على غزوة اليمن ذو نواس وهو آخر من ملك من حمير تهوّد واجتمعت معه حمير على اليهوديّة، وسمّى نفسه يوسف وأقام على ذلك حيناً من الدهر، ثمّ أخبر أنّ بنجران بقايا قوم على دين النصرانيّة، وكانوا على دين عيسى عليه السلام وعلى حكم الإنجيل، ورأس ذلك الدين عبد الله بن بريامن، حمله أهل دينه على أن يسير إليهم ويحملهم على اليهوديّة ويدخلهم فيها، فسار حتّى قدم نجران، فجمع من كان بها على دين النصرانيّة ثمّ عرض عليهم دين اليهوديّة والدخول فيها فأبوا عليه فجادلهم وعرض عليهم وحرّص الحرص كلّه فأبوا عليه وامتنعوا من اليهوديّة والدخول فيها، واختاروا القتل، فخدّ لهم أخدوداً وجمع فيه الحطب وأشعل فيه

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٤٠٠.

(٢) قصة أصحاب الرقيم بالتفصيل في كتاب التاج الجامع للأصول ح ١.

النار، فمنهم من أُحرق بالنار، ومنهم من قتل بالسيف ومثّل بهم كلّ مثلة، فبلغ عدد من قتل وأُحرق بالنار عشرين ألفاً، وأفلت رجل منهم يدعى دوس على فرس له وركضه واتّبعوه حتّى أعجزهم في الرمل، ورجع ذو نواس إلى ضيعة في جنوده، فقال الله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي أحرقوهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾[1].

٢ - **ص**: بالإسناد إلى الصدوق، عن ماجيلويه، عن عمّه، عن الكوفيّ، عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ أسقفّ نجران دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فجرى ذكر أصحاب الأخدود، فقال عليه السلام: بعث الله تعالى نبيّاً حبشيّاً إلى قومه وهم حبشيّة فدعاهم إلى الله تعالى، فكذّبوه وحاربوه وظفروا به وخدّوا الخدود وجعلوا فيها الحطب والنار، فلمّا كان حرّاً قالوا لمن كان على دين ذلك النبيّ: اعتزلوا وإلاّ طرحناكم فيها، فاعتزل قوم كثير، وقذف فيها خلق كثير حتّى وقعت امرأة ومعها ابن لها من شهرين، فقيل لها: إمّا أن ترجعي وإمّا أن تقذفي في النار، فهمّت تطرح نفسها فلمّا رأت ابنها رحمته، فأنطق الله تعالى الصبيّ وقال: يا أُمّاه ألقي نفسك وإيّاي في النار، فإنّ هذا في الله قليل.

وتلا عند الصادق عليه السلام رجل: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ فقال: قتل أصحاب الأخدود. وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن المجوس أيّ أحكام تجري فيهم؟ قال: هم أهل الكتاب، كان لهم كتاب وكان لهم ملك سكر يوماً فوقع على أُخته وأُمّه، فلمّا أفاق ندم وشقّ ذلك عليه، فقال للناس: هذا حلال، فامتنعوا عليه فجعل يقتلهم وحفر لهم الأُخدود ويلقيهم فيها[2].

بيان: لعلّ الصادق عليه السلام قرأ «قَتَلَ» على بناء المعلوم، فالمراد بأصحاب الأُخدود الكفّار كما هو أحد احتمالي القراءة المشهورة ولم ينقل في الشواذّ.

٣ - **ص**: الصدوق، عن ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أُورمة، عن عليّ بن هلال الصيقل، عن شريك بن عبد الله، عن جابر بن يزيد الجعفيّ، عن الباقر عليه السلام قال: ولّى عمر رجلاً كورة من الشام فافتتحها، وإذا أهلها أسلموا، فبنى لهم مسجداً فسقط، ثمّ بني فسقط، ثمّ بناه فسقط، فكتب إلى عمر بذلك، فلمّا قرأ الكتاب سأل أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله هل عندكم في هذا علم؟ قالوا: لا، فبعث إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأقرأه الكتاب، فقال: هذا نبيّ كذّبه قومه فقتلوه ودفنوه في هذا المسجد وهو متشحّط في دمه، فاكتب إلى صاحبك فلينبشه فإنّه سيجده طريّاً ليصلّ عليه وليدفنه في موضع كذا، ثمّ ليبن مسجداً فإنّه سيقوم، ففعل ذلك ثمّ بني المسجد فثبت[3].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٠٩. (٢) قصص الأنبياء، ص ٢٤٦.
(٣) قصص الأنبياء، ص ٢٤٧.

٤ - وفي رواية: اكتب إلى صاحبك أن يحفر ميمنة أساس المسجد، فإنّه سيصيب فيها رجلاً قاعداً يده على أنفه ووجهه، فقال عمر: من هو؟ قال عليّ: فاكتب إلى صاحبك فليعمل ما أمرته، فإن وجده كما وصفت لك أعلمتك إن شاء الله، فلم يلبث إذ كتب العامل: أصبت الرجل على ما وصفت، فصنعت الّذي أمرت فثبت البناء، فقال عمر لعليّ عليه السلام: ما حال هذا الرجل؟ فقال: هذا نبيّ أصحاب الأخدود[١]. وقصّتهم معروفة في تفسير القرآن.

٥ - سن: أبي، عن هارون بن الجهم، عن المفضّل بن صالح، عن جابر الجعفيّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: بعث الله نبيّاً حبشيّاً إلى قومه فقاتلهم، فقتل أصحابه وأسروا وخدّوا لهم أخدوداً من نار ثمّ نادوا: من كان من أهل ملّتنا فليعتزل، ومن كان على دين هذا النبيّ فليقتحم النار، فجعلوا يقتحمون، وأقبلت امرأة معها صبيّ لها فهابت النار، فقال لها: اقتحمي، قال: فاقتحمت النار، وهم أصحاب الأخدود[٢].

أقول: قال الطبرسيّ رحمه الله: روى مسلم في الصحيح، عن هدبة بن خالد، عن حمّاد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر، فلمّا مرض الساحر قال: إنّي قد حضر أجلي فادفع إليّ غلاماً أعلّمه السحر، فدفع إليه غلاماً، وكان يختلف إليه، وبين الساحر والملك راهب، فمرّ الغلام بالراهب فأعجبه كلامه وأمره، فكان يطيل عنده القعود فإذا أبطأ عن الساحر ضربه، وإذا أبطأ عن أهله ضربوه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: يا بنيّ إذا استبطأك الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا استبطأك أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو ذات يوم إذا بالناس قد غشيتهم دابّة عظيمة فظيعة، فقال: اليوم أعلم أمر الساحر أفضل أم أمر الراهب، فأخذ حجراً فقال: اللّهمّ إنّ كان أمر الراهب أحبّ إليك فاقتل هذه الدابّة، فرمى فقتلها ومضى الناس فأخبر بذلك الراهب فقال: أي بنيّ إنّك ستبتلى فإذا ابتليت فلا تدلّ عليّ.

قال: وجعل يداوي الناس فيبرئ الأكمه والأبرص، فبينما هو كذلك إذ عمي جليس للملك، فأتاه وحمل إليه مالاً كثيراً فقال: اشفني ولك ما ههنا، فقال: إنّي لا أشفي أحداً، ولكن يشفي الله، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك. قال: فآمن فدعا الله له فشفاه، فذهب فجلس إلى الملك فقال: يا فلان من شفاك؟ قال: ربّي، قال: أنا؟ قال: لا ربّي وربّك الله، قال: أو إنّ لك ربّاً غيري؟ قال: نعم ربّي وربّك الله، فأخذه فلم يزل به حتى دلّه على الغلام، فبعث إلى الغلام فقال: لقد بلغ من أمرك أن تشفي الأكمه والأبرص؟ قال: ما أشفي أحداً، ولكن ربّي يشفي، قال: أو إنّ لك ربّاً غيري؟ قال نعم ربّي وربّك الله، فأخذه فلم يزل به حتّى دلّه على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتّى وقع شقّين، وقال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى فأرسل معه نفراً فقال: اصعدوا به جبل كذا وكذا، فإن رجع عن دينه وإلاّ فدهدهوه منه،

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٤٧.
(٢) المحاسن، ص ٢٤٩.

قال: فعلوا به الجبل فقال: اللّهمّ اكفنيهم بمَا شئت، قال: فرجف بهم الجبل فتدهدهوا أجمعون وجاء إلى الملك فقال: ما صنع أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فأرسل به مرّة أخرى، قال: انطلقوا به فلجّجوه في البحر، فإن رجع وإلاّ فغرّقوه، فانطلقوا به في قرقور فلمّا توسّطوا به البحر قال: اللهمّ اكفنيهم بما شئت، قال فانكفأت بهم السفينة، وجاء حتّى قام بين يدي الملك، فقال: ما صنع أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، ثمّ قال: إنّك لست بقاتلي حتّى تفعل ما آمرك به: اجمع الناس ثمّ اصلبني على جذع ثمّ خذ سهماً من كنانتي ثمّ ضعه على كبد القوس ثمّ قل: باسم ربّ الغلام، فإنّك ستقتلني، قال: فجمع الناس وصلبه، ثمّ أخذ سهماً من كنانته فوضعه على كبد القوس وقال: باسم ربّ الغلام، ورمى فوقع السهم في صدغه ومات، فقال الناس: آمنّا بربّ الغلام، فقيل له: أرأيت ما كنت تخاف قد نزل والله بك، آمن الناس، فأمر بالأخدود فخدّدت على أفواه السكك، ثمّ أضرمها ناراً فقال: من رجع عن دينه فدعوه ومن أبى فأقحموه فيها، فجعلوا يقتحمونها، وجاءت امرأة بابن لها فقال لها: يا أمّة اصبري فإنّك على الحقّ.

وقال ابن المسيّب: كنّا عند عمر بن الخطّاب إذ ورد عليه أنّهم احتفروا فوجدوا ذلك الغلام وهو واضع يده على صدغه، فكلّما مدّت يده عادت إلى صدغه، فكتب عمر: واروه حيث وجدتموه.

وروى سعيد بن جبير قال: لمّا انهزم أهل اسفندهان قال عمر بن الخطّاب: ما هم بيهود ولا نصارى، ولا لهم كتاب وكانوا مجوساً، فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: بلى قد كان لهم كتاب ولكنّه رفع، وذلك أنّ ملكاً لهم سكر فوقع على ابنته - أو قال: على أخته - فلمّا أفاق قال لها: كيف المخرج ممّا وقعت فيه؟ قالت: تجمع أهل مملكتك وتخبرهم أنّك ترى نكاح البنات وتأمرهم أن يحلّوه، فجمعهم فأخبرهم، فأبوا أن يتابعوه فخدّ لهم أخدوداً في الأرض وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها، فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار، ومن أجاب خلّى سبيله.

وقال الحسن: كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا ذكر عنده أصحاب الأخدود تعوّذ بالله من جهد البلاء.

وروى العيّاشيّ بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أرسل عليٌّ عليه السلام إلى أسقفّ نجران يسأله عن أصحاب الأخدود فأخبره بشيء، فقال عليّ عليه السلام: ليس كما ذكرت، ولكن سأخبرك عنهم، إنّ الله بعث رجلاً حبشيّاً نبيّاً وهم حبشيّة فكذّبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه وأسروه وأسروا أصحابه، ثمّ بنوا له حيراً، ثمّ ملؤوه ناراً، ثمّ جمعوا الناس فقالوا: من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل، ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار معه، فجعل أصحابه يتهافتون في النار، فجاءت امرأة معها صبيٌّ لها ابن شهر، فلمّا هجمت على النار هابت ورقّت على ابنها، فناداها الصبيّ: لا تهابي وارمي بي وبنفسك في النار فإنّ هذا والله في الله قليل، فرمت بنفسها في النار وصبيّها وكان ممّن تكلّم في المهد.

وبإسناده عن ميثم التمّار قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام وذكر أصحاب الأُخدود فقال: كانوا عشرة، وعلى مثالهم عشرة يقتلون في هذا السوق.

وقال مقاتل: كان أصحاب الأُخدود ثلاثة: واحد منهم بنجران، والآخر بالشام، والآخر بفارس، حرقوا بالنار، أمّا الّذي بالشام فهو أنطياخوس الروميّ، وأمّا الّذي بفارس فهو بخت نصّر، وأمّا الّذي بأرض العرب فهو يوسف بن ذي نواس، فأمّا ما كان بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآناً، وأنزل في الّذي كان بنجران، وذلك أنّ رجلين مسلمين ممّن يقرؤون الإنجيل أحدهما بأرض تهامة والآخر بنجران اليمن آجر أحدهما نفسه في عمل يعمله، وجعل يقرأ الإنجيل، فرأت ابنة المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل، فذكرت ذلك لأبيها فرمق حتّى رآه، فسأله فلم يخبره، فلم يزل به حتّى أخبره بالدين والإسلام فتابعه مع سبعة وثمانين إنساناً من رجل وامرأة، وهذا بعدما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء فسمع يوسف بن ذي نواس بن سراحيل بن تبّع الحميريّ فخدّ لهم في الأرض، وأوقد فيها، فعرضهم على الكفر فمن أبى قذفه في النار، ومن رجع عن دين عيسى عليه السلام لم يقذف فيها، وإذا امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلّم، فلمّا قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت، فقال لها: يا أمّاه إنّي أرى أمامك ناراً لا تطفأ، فلمّا سمعت من ابنها ذلك قذفا في النار، فجعلها الله وابنها في الجنّة، وقذف في النار سبعة وسبعون.

قال ابن عبّاس: من أبى أن يقع في النار ضرب بالسياط، فأُدخل أرواحهم إلى الجنّة قبل أن تصل أجسامهم إلى النار[1].

٢٩ - باب قصة جرجيس عليه السلام[2]

١ - ص: الصدوق، عن جعفر بن محمّد بن شاذان، عن أبيه، عن الفضل، عن محمّد بن زياد، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: بعث الله جرجيس عليه السلام إلى ملك بالشام يقال له: داذانة يعبد صنماً، فقال له: أيّها الملك اقبل نصيحتي، لا ينبغي للخلق أن يعبدوا غير الله تعالى، ولا يرغبوا إلاّ إليه، فقال له الملك: من أيّ أرض أنت؟ قال: من الروم قاطنين بفلسطين، فأمر بحبسه، ثمّ مشط جسده بأمشاط من حديد حتّى تساقط لحمه ونضح جسده بالخلّ، ودلكه بالمسوح الخشنة، ثمّ أمر بمكاوي من حديد تحمى فيكوى بها جسده، ولمّا لم يقتل أمر بأوتاد من حديد فضربوها في فخذيه وركبتيه وتحت قدميه، فلمّا رأى أنّ ذلك لم يقتله أمر بأوتاد طوال من حديد فوقذت في رأسه فسال

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣١٢.

(٢) كان ظهوره في سنة ٥٩١٤ بعد الهبوط، وكانت ولادة النبي صلى الله عليه وآله في سنة ٦١٦٣ وبينهما ٢٤٩ سنة كما في ناسخ التواريخ ج ٢. [النمازي].

منها دماغه، وأمر بالرصاص فأذيب وصبّ على أثر ذلك، ثمّ أمر بسارية من حجارة كانت في السجن لم ينقلها إلاّ ثمانية عشر رجلاً فوضعت على بطنه، فلمّا أظلم اللّيل وتفرّق عنه الناس رآه أهل السجن وقد جاءه ملك فقال له: يا جرجيس إنّ الله تعالى جلّت عظمته يقول: اصبر وأبشر ولا تخف، إنّ الله معك يخلّصك، وإنّهم يقتلونك أربع مرّات في كلّ ذلك أرفع عنك الألم والأذى.

فلمّا أصبح الملك دعاه فجلده بالسياط على الظهر والبطن، ثمّ ردّه إلى السجن، ثمّ كتب إلى أهل مملكته أن يبعثوا إليه بكلّ ساحر، فبعثوا بساحر استعمل كلّ ما قدر عليه من السحر فلم يعمل فيه، ثمّ عمل إلى سمّ فسقاه فقال جرجيس: «بسم الله الذي يضل عند صدقه كذب الفجرة وسحر السحرة» فلم يضرّه، فقال الساحر: لو أنّي سقيت بهذا أهل الأرض لنزعت قواهم، وشوّهت خلقهم، وعميت أبصارهم، فأنت يا جرجيس النور المضيء، والسراج المنير، والحقّ اليقين، أشهد أنّ إلهك حقّ، وما دونه باطل، آمنت به وصدّقت رسله، وإليه أتوب بما فعلت، فقتله الملك. ثمّ أعاد جرجيس عليه السلام إلى السجن وعذّبه بألوان العذاب، ثمّ قطعه أقطاعاً، وألقاها في جبّ، ثمّ خلا الملك الملعون وأصحابه على طعام له وشراب فأمر الله تعالى جلّ وعلا إعصاراً أنشأت سحابة سوداء وجاءت بالصواعق ورجفت الأرض وتزلزلت الجبال حتّى أشفقوا أن يكون هلاكهم، وأمر الله ميكائيل فقام على رأس الجبّ وقال: قم يا جرجيس بقوة الله الّذي خلقك فسوّاك، فقام جرجيس حيّاً سويّاً وأخرجه من الجبّ، وقال: اصبر وأبشر، فانطلق جرجيس حتّى قام بين يدي الملك وقال: بعثني الله ليحتجّ بي عليكم، فقام صاحب الشرطة وقال: آمنت بإلهك الّذي بعثك بعد موتك، وشهدت أنه الحقّ، وجميع الآلهة دونه باطل، واتّبعه أربعة آلاف آمنوا وصدّقوا جرجيس عليه السلام فقتلهم الملك جميعاً بالسيف، ثمّ أمر بلوح من نحاس أوقد عليه النار حتّى احمرّ فبسط عليه جرجيس، وأمر بالرصاص فأذيب وصبّ في فيه، ثمّ ضرب الأوتاد في عينيه ورأسه، ثمّ ينزع ويفرغ بالرصاص مكانه، فلمّا رأى أنّ ذلك لم يقتله فأوقد عليه النار حتّى مات وأمر برماده فذرّ في الرياح، فأمر الله تعالى رياح الأرضين في اللّيلة فجمعت رماده في مكان، فأمر ميكائيل فنادى جرجيس فقام حيّاً سويّاً بإذن الله، فانطلق جرجيس إلى الملك وهو في أصحابه، فقام رجل وقال: إنّ تحتنا أربعة عشر منبراً ومائدة بين أيدينا وهي من عيدان شتّى، منها ما يثمر ومنها ما لا يثمر، فسل ربّك أن يلبس كلّ شجرة منها لحاها، وينبت فيها ورقها وثمرها، فإن فعل ذلك فإنّي أصدّقك، فوضع جرجيس ركبتيه على الأرض ودعا ربّه تعالى عظم شأنه فما برح مكانه حتّى أثمر كلّ عود فيها ثمرة، فأمر به الملك فمدّ بين الخشبتين ووضع المنشار على رأسه فنشر حتّى سقط المنشار من تحت رجليه ثمّ أمر بقدر عظيمة فألقي فيها زفت وكبريت ورصاص وألقي فيها جسد جرجيس فطبخ حتّى اختلط ذلك كلّه جميعاً، فأظلمت الأرض لذلك، وبعث الله إسرافيل فصاح صيحة خرّ منها الناس لوجوههم، ثمّ قلب

إسرافيل القدر فقال: قم يا جرجيس بإذن الله، فقام حيّاً سويّاً بقدرة الله، وانطلق جرجيس إلى الملك، ولمّا رأى الناس عجبوا منه فجاءته امرأة وقالت: أيّها العبد الصالح كان لنا ثور نعيش به فمات، فقال لها جرجيس: خذي عصاي هذه فضعيها على ثورك وقولي: إنّ جرجيس يقول: قم بإذن الله، ففعلت فقام حيّاً فآمنت بالله. فقال الملك: إن تركت هذا الساحر أهلك قومي فاجتمعوا كلّهم أن يقتلوه، فأمر به أن يخرج ويقتل بالسيف، فقال جرجيس عليه السلام لمّا أخرج: لا تعجلوا عليّ، فقال: اللّهمّ إن أهلكت أنت عبدة الأوثان أسألك أن تجعل اسمي وذكري صبراً لمن يتقرّب إليك عند كلّ هول وبلاء، ثمّ ضربوا عنقه فمات، ثمّ أسرعوا إلى القرية فهلكوا كلّهم[1].

أقول: هذه القصّة مذكورة في التواريخ أطول من ذلك تركنا إيرادها لعدم الاعتماد على سندها.

٣٠ - باب قصة خالد بن سنان العبسي عليه السلام

١ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه وأحمد بن محمّد الكوفيّ، عن عليّ بن عمرو بن أعين جميعاً، عن محسن بن أحمد بن معاذ، عن أبان بن عثمان، عن بشير النبّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ جاءته امرأة فرحّب بها وأخذ بيدها وأقعدها، ثمّ قال: ابنة نبيّ ضيّعه قومه خالد بن سنان، دعاهم فأبوا أن يؤمنوا وكانت نار يقال لها نار الحدثان، تأتيهم كلّ سنة فتأكل بعضهم، وكانت تخرج في وقت معلوم، فقال لهم: إن رددتها عنكم تؤمنون؟ قالوا: نعم، قال: فجاءت فاستقبلها بثوبه فردّها ثمّ تبعها حتّى دخلت كهفها ودخل معها، وجلسوا على باب الكهف وهم يرون أن لا يخرج أبداً، فخرج وهو يقول: هذا هذا، وكلّ هذا من ذا، زعمت بنو عبس أنّي لا أخرج وجبيني يندى، ثمّ قال: تؤمنون بي؟ قالوا: لا، قال: فإنّي ميّت يوم كذا وكذا، فإذا أنا متّ فادفنوني فإنّه سيجيء عانة من حمر يقدمها عيرٌ أبتر حتّى يقف على قبري فانبشوني وسلوني عمّا شئتم، فلمّا مات دفنوه، وكان ذلك اليوم إذ جاءت العانة اجتمعوا وجاؤوا يريدون نبشه، فقالوا: ما آمنتم به في حياته، فكيف تؤمنون به بعد وفاته؟! ولئن نبشتموه ليكوننّ سبّة عليكم، فاتركوه فتركوه[2].

بيان: قال السيوطيّ في شرح شواهد المغني ناقلاً عن العسكريّ في ذكر أقسام النار: نار الحرّتين كانت في بلاد عبس تخرج من الأرض فتؤذي من مرّ بها، وهي الّتي دفنها خالد بن سنان النبيّ عليه السلام.

قال خليل: «كنار الحرتين لها زفير تصم مسامع الرجل السميع» انتهى.

وقال القزوينيّ في كتاب عجائب المخلوقات: نار الحرّتين كانت ببلاد عبس، وإذا كان

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٣٨.

(٢) روضة الكافي، ص ٨٣٣ ح ٥٤٠.

اللّيل تسطع من الماء، وكانت بنو طيء تنفّس منها إبلها من مسيرة ثلاث، وربّما بدرت منها عنق فتأتي كلّ شيء يقربها فتحرقها، وإذا كان النهار كانت دخاناً، فبعث الله تعالى خالد بن سنان العبسيّ وهو أوّل نبيّ من بني إسماعيل فاحتفر لها بئراً وأدخلها فيها، وإنّ الناس ينظرون حتّى غيّبها. وقال الصفديّ في شرح لاميّة العجم: قال بعضهم: النار عند العرب أربعة عشر ناراً - إلى أن قال -: ونار الحرّتين الّتي أطفأها الله بخالد بن سنان العبسيّ، احتفر لها بئراً، ثمّ أدخلها فيها والناس يرونه ثمّ اقتحم فيها حتّى غيّبها وخرج منها انتهى.

فظهر أنّه كان «نار الحرتين» فصحّف بما ترى. قوله: (هذا هذا) أي شأني وأمري هذا (وكلّ هذا من ذا) أي من الله تعالى. قوله: (يندى) كيرضى أي يبتلّ من العرق.

وروى صاحب الكامل هكذا: لأدخلنّها وهي تلظّى، ولأخرجنّ منها وبناني تندى.

والعانة: القطيع من حمر الوحش، والعير الحمار الوحشيّ. والأبتر: المقطوع الذنب. والسبّة بالضمّ: العار، أي نبش قبر نبيّكم عار لكم، أو عدم إيمانكم به مع ظهور تلك المعجزات عار لكم، ويؤيّد الأوّل ما رواه صاحب الكامل حيث قال: وكره ذلك بعض لهم وقالوا: نخاف إن نبشناه تسبنا العرب بأنّا نبشنا ميّتاً لنا، فتركوه.

٢ - **ص:** الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ، عن أبيه، عن عليّ بن شجرة، عن عمّه، عن بشير النبّال، عن الصادق عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذا امرأة أقبلت تمشي حتّى انتهت إليه فقال لها: مرحباً بابنة نبيّ ضيّعه قومه أخي خالد بن سنان العبسيّ؛ ثمّ قال: إنّ خالداً دعا قومه فأبوا أن يجيبوه، وكانت نار تخرج في كلّ يوم فتأكل ما تليها من مواشيهم وما أدركت لهم، فقال لقومه: أرأيتم إن رددتها عنكم أتؤمنون بي وتصدّقونني؟ قالوا: نعم، فاستقبلها فردّها بقوّة حتّى أدخلها غاراً وهم ينظرون، فدخل معها فمكث حتّى طال ذلك عليهم، فقالوا: إنّا لنراها قد أكلته فخرج منها، فقال: أتجيبونني وتؤمنون بي؟ قالوا: نار خرجت ودخلت لوقت، فأبوا أن يجيبوه فقال لهم: إنّي ميّت بعد كذا فإذا أنا متّ فادفنوني، ثمّ دعوني أيّاماً فانبشوني، ثمّ سلوني أخبركم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فلمّا كان الوقت جاء ما قال فقال بعضهم: لم نصدّقه حيّاً نصدّقه ميّتاً؟ فتركوه، وإنّه كان بين النبيّ صلى الله عليه وآله وعيسى عليه السلام ولم يكن بينهما فترة[1].

بيان: أي لم تكن فترة كاملة بحيث لا يبعث نبيّ أصلاً.

٣ - **ك:** ابن الوليد، عن محمّد بن الوليد الخزّاز والسنديّ بن محمّد معاً، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن بشير النبّال، عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: جاءت ابنة خالد بن سنان العبسيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: مرحباً

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٧٧.

يا بنت أخي، وصافحها وأدناها وبسط لها رداءه[(١)]، ثمّ أجلسها عليه إلى جنبه، ثمّ قال: هذه ابنة نبيّ ضيّعه قومه خالد بن سنان العبسيّ، وكانت اسمها محياة ابنة خالد بن سنان[(٢)].

٤ - ج: قال الصادق عليه السلام في أسئلة الزنديق الّذي سأله عن مسائل، فكان فيما سأله: أخبرني عن المجوس هل بعث إليهم خالد بن سنان؟ قال عليه السلام: إنّ خالداً كان عربيّاً بدويّاً وما كان نبيّاً، وإنّما ذلك شيء يقوله الناس[(٣)].

بيان: الأخبار الدالّة على نبوّته أقوى وأكثر.

٣١ - باب ما ورد بلفظ نبيّ من الأنبياء وبعض نوادر أحوالهم وأحوال أممهم وفيه ذكر نبيّ المجوس

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾.

الأنعام «٦»: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ «١٠».

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ «٣٤» وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ «١١٢».

الأعراف «٧»: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

يونس «١٠»: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ

---

(١) مضافاً إلى ضعف السند روى هذه القصة الكليني وغيره عن الصادق عليه السلام ولم يذكروا المصافحة ولا يقاس به غيره صلى الله عليه وآله مع أنّه كانت من قواعد النساء وله أزيد من سبعين سنة فراجع التاريخ، ولعلّ المصافحة ليس بمعناها المتبادر بل تكون كناية عن بدو إحسانه ولطفه. [مستدرك السفينة ج ٦. لغة «صفح»].

(٢) كمال الدين، ص ٥٩٨. (٣) الاحتجاج، ص ٣٤٦.

لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ «٤٧».

هود «١١»: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

الرعد «١٣»: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ «٣٢».

الإسراء «١٧»: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ «١٧».

مريم «١٩»: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ «٧٤» وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا﴾ «٩٨».

طه «٢٠»: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ «١٢٨».

الأنبياء «٢١»: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ «٤١».

الحج «٢٢»: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ «٤٨». وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾.

الشعراء «٢٦»: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾.

النمل «٢٧»: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ «٦٩».

القصص «٢٨»: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

التنزيل [السجدة] «٣٢»: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ «٢٦».

سبأ «٣٤»: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

ص «٣٨»: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ «٣».

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

الزخرف «٤٣»: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

ق «٥٠»: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ «٣٦».

الذاريات: «٥١» ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ «٥٢».

التغابن: «٦٤» ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾.

١ - فس: ﴿رِبِّيُّونَ﴾ الجموع الكثيرة، والربّة الواحدة: عشرة آلاف ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من قتل نبيّهم. ﴿وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ يعنون خطاياهم[(١)].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ﴾ يعني ما بعث الله نبيّاً إلّا وفي أُمّته ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي يقول بعضهم لبعض: لا تؤمنوا بزخرف القول غروراً فهذا وحي كذب[(٢)].

قوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾ أي عذاباً بالليل ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ يعني وقت القيلولة نصف النهار[(٣)].

وقال البيضاويّ: ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ﴾ أي باق كالزرع القائم ﴿وَحَصِيدٌ﴾ أي ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود[(٤)].

٢ - فس: ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ أي غير تخسير ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أي طوّلت لهم الأمل ثمّ أهلكتهم[(٥)].

أقول: لعلّه بيان لحاصل المعنى، والإملاء: الإمهال.

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٢٧.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٢٠.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٣٠.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢٨٣.
(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٦٧.

٣ - **فس:** قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ قال: عنى به الثياب والأكل والشرب، وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: الأثاث: المتاع، ورءياً: الجمال والمنظر الحسن[(١)].

٤ - **فس:** ﴿تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ أي حسّاً، حدّثنا جعفر بن أحمد، عن عبيد الله بن موسى، عن ابن البطائنيّ، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ الآية، قال: أهلك الله من الأمم ما لا يحصون، فقال: يا محمّد ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ أي ذكراً[(٢)].

بيان: قال البيضاويّ الركز: الصوت الخفيّ.

٥ - **فس:** ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يقول: يبيّن لهم[(٧)]. وقال البيضاويّ: ﴿يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابّهم أو مشبّهين بهم من فرط إسراعهم ﴿حَصِيدًا﴾ مثل الحصيد وهو النبت المحصود ﴿خَٰمِدِينَ﴾ ميّتين من خمدت النار. قوله تعالى: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي بسبب معيشتها. قال البيضاويّ: ﴿فِىٓ أُمِّهَا﴾ أي في أصلها الّتي هي أعمالها، لأنّ أصلها يكون أفطن وأنبل[(٣)].

٦ - **فس:** ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي ليس هو وقت مفرّ[(٤)]. وقال البيضاويّ: (لا) هي المشبّهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد. وقال: ﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي فخرقوا في البلاد وتصرّفوا فيها، أو جالوا في الأرض كلّ مجال حذر الموت ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ لهم من الله أو من الموت[(٥)].

٧ - **فس:** قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ يعني ما بعث الله نبيّاً إلاّ وفي أمّته ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي يقول بعضهم لبعض: لا تؤمنوا بزخرف القول غروراً، فهذا وحي كذب. قوله: ﴿بَيَٰتًا﴾ أي عذاباً باللّيل ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ يعني نصف النهار. قوله: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي كفرت. قوله: ﴿مِن وَاقٍ﴾ أي من دافع. قوله: ﴿أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي من قريش قوله: ﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي مرّوا[(٦)].

٨ - **ع:** بإسناد العلويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ نبيّاً من أنبياء الله بعثه الله عزّ وجلّ إلى قومه فبقي فيهم أربعين سنة فلم يؤمنوا به، فكان لهم عيد في كنيسة فأتبعهم ذلك النبيّ فقال لهم: آمنوا بالله، قالوا له: إن كنت نبيّاً فادع لنا الله أن يجيئنا بطعام على لون ثيابنا، وكانت ثيابهم صفراء، فجاء بخشبة يابسة فدعا الله عزّ وجلّ عليها فاخضرّت

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٦.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٠٨ و٣١٠.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٠٢.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٨٢.
(٦) تفسير القمي، ص ٢٢٠.

وأينعت وجاءت بالمشمش حملاً، فأكلوا، فكلّ من أكل ونوى أن يسلم على يد ذلك النبيّ خرج ما في جوف النوى من فيه حلواً، ومن نوى أنّه لا يسلم خرج ما في جوف النوى من فيه مرّاً[1].

٩ - ن: تميم القرشيّ، عن أبيه، عن الأنصاريّ، عن الهرويّ قال: سمعت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: أوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّ من أنبيائه: إذا أصبحت فأوّل شيء يستقبلك فكله، والثاني فاكتمه، والثالث فاقبله، والرابع فلا تؤيسه، والخامس فاهرب منه. قال: فلمّا أصبح مضى فاستقبله جبل أسود عظيم فوقف وقال: أمرني ربّي أن آكل هذا، وبقي متحيّراً، ثمّ رجع إلى نفسه فقال: إنّ ربّي جلّ جلاله لا يأمرني إلاّ بما أُطيق، فمشى إليه ليأكله، فكلّما دنا منه صغر حتّى انتهى إليه فوجده لقمة فأكلها فوجدها أطيب شيء أكله، ثمّ مضى فوجد طستاً من ذهب فقال: أمرني ربّي أن أكتم هذا، فحفر له وجعله فيه، وألقى عليه التراب، ثمّ مضى فالتفت فإذا الطست قد ظهر فقال: قد فعلت ما أمرني ربّي عزّ وجلّ فمضى، فإذا هو بطير وخلفه بازي فطاف الطير حوله فقال: أمرني ربّي أن أقبل هذا، ففتح كمّه فدخل الطير فيه، فقال له البازي أخذت صيدي وأنا خلفه منذ أيّام، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن لا أُويس هذا، فقطع من فخذه قطعة فألقاها إليه ثمّ مضى، فلمّا مضى إذا هو بلحم ميتة منتن مدوّد فقال: أمرني ربّي عزّ وجلّ أن أهرب من هذا، فهرب منه ورجع.

ورأى في المنام كأنّه قد قيل له: إنّك قد فعلت ما أُمرت به، فهل تدري ماذا كان؟ قال: لا، قال له: أمّا الجبل فهو الغضب، إنّ العبد إذا غضب لم ير نفسه وجهل قدره من عظم الغضب، فإذا حفظ نفسه وعرف قدره وسكّن غضبه كانت عاقبته كاللّقمة الطيّبة الّتي أكلتها، وأمّا الطست فهو العمل الصالح إذا كتمه العبد وأخفاه أبى الله عزّ وجلّ إلاّ أن يظهره ليزيّنه به مع ما يدّخر له من ثواب الآخرة، وأمّا الطير فهو الرجل الّذي يأتيك بنصيحة فاقبله واقبل نصيحته، وأمّا البازي فهو الرجل الّذي يأتيك في حاجة فلا تؤيسه، وأمّا اللّحم المنتن فهي الغيبة فاهرب منها[2].

١٠ - ص: الصدوق، عن ابن موسى، عن محمّد بن هارون، عن عبيد الله بن موسى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن محصن، عن يونس بن ظبيان قال: قال الصادق عليه السلام: إنّ الله تعالى أوحى إلى نبيّ من أنبياء بني إسرائيل: إن أحببت أن تلقاني غداً في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيداً غريباً مهموماً محزوناً مستوحشاً من النّاس بمنزلة الطير الواحد فإذا كان اللّيل أوى وحده واستوحش من الطيور واستأنس بربّه[3].

١١ - شي: عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٩٧ باب ٣٧٥ ح ١.
(٢) عيون اخبار الرضا، ج ١ ص ٢٤٩ باب ٢٨ ح ١٢.
(٣) قصص الأنبياء، ص ٢٨٠.

﴿مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ قال: كان بيت غدر يجتمعون فيه[١].

١٢ - **شي**: عن أبي السفاتج، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قرأ: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ يعني بيت مكرهم[٢].

١٣ - **كا**: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد؛ وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن محبوب، عن الهيثم بن واقد الجزريّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ بعث نبيّاً من أنبيائه إلى قومه، وأوحى إليه أن قل لقومك: إنّه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سرّاء فتحوّلوا عمّا أحبّ إلى ما أكره إلاّ تحوّلت لهم عمّا يحبّون إلى ما يكرهون، وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضرّاء فتحوّلوا عمّا أكره إلى ما أُحبّ إلاّ تحوّلت لهم عمّا يكرهون إلى ما يحبّون، وقل لهم: إنّ رحمتي سبقت غضبي، فلا تقنطوا من رحمتي فإنّه لا يتعاظم عندي ذنب أغفره، وقل لهم: لا يتعرّضوا معاندين لسخطي ولا يستخفّوا بأوليائي فإنّ لي سطوات عند غضبي لا يقوم لها شيء من خلقي[٣].

١٤ - كتاب المحتضر للحسن بن سليمان: من كتاب الشفاء والجلاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مرّ نبيّ من أنبياء بني إسرائيل برجل بعضه تحت حائط وبعضه خارج قد نقبته الطير ومزّقته الكلاب، ثمّ مضى فرفعت له مدينة فدخلها فإذا هو عظيم من عظمائها ميّت على سرير مسجّى بالديباج حوله المجامر، فقال: يا ربّ أشهد أنّك حكم عدل لا تجور، عبدك لم يشرك بك طرفة عين أمتّه بتلك الميتة، وهذا عبدك لم يؤمن بك طرفة عين أمتّه بهذه الميتة، قال الله عزّ وجلّ: عبدي! أنا كما قلت حكم عدل لا أجور، ذاك عبدي كانت له عندي سيّئة وذنب أمتّه بتلك الميتة لكي يلقاني ولم يبق عليه شيء، وهذا عبدي كانت له عندي حسنة فأمتّه بهذه الميتة لكي يلقاني وليس له عندي شيء.

١٥ - **كا**: عليّ بن إبراهيم الهاشميّ، عن جدّه محمّد بن الحسن بن محمّد بن عبد الله، عن سليمان الجعفريّ، عن الرضا عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّ من الأنبياء: إذا أُطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الوراء[٤].

بيان: الوراء: ولد الولد.

١٦ - **كا**: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن محمّد بن عيسى، عن الدهقان عن درست، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: شكا نبيّ من الأنبياء

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٧٩ ح ١٩ و٢٠.

(٣) - (٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٧٦ باب الذنوب ح ٢٥ و٢٦.

إلى الله عزّوجلّ الضعف، فقيل له: اطبخ اللّحم باللّبن فإنّهما يشدّان الجسم[١].

١٧ - **كا:** بالإسناد المقدّم عن ابن سنان، عنه عليه السلام قال: إنّ نبيّاً من الأنبياء شكا إلى الله الضعف وقلّة الجماع فأمره بأكل الهريسة[٢].

١٨ - **كا:** بهذا الإسناد عنه عليه السلام قال: شكا نبيّ من الأنبياء إلى الله عزّوجلّ قلّة النسل، فقال: كل اللّحم بالبيض[٣].

١٩ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن فرات بن أحنف أنّ بعض أنبياء بني إسرائيل شكا إلى الله عزّوجلّ قسوة القلب وقلّة الدمعة، فأوحى الله إليه أن كل العدس فأكل العدس فرقّ قلبه وكثرت دمعته[٤].

٢٠ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن بكر بن صالح رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: شكا نبيّ من الأنبياء إلى الله عزّوجلّ الغمّ، فأمره عزّوجلّ بأكل العنب[٥].

٢١ - **كا:** محمّد بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن عليّ بن سليمان بن رشيد، عن مروك ابن عبيد، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله عزّوجلّ نبيّاً إلاّ ومعه رائحة السفرجل[٦].

٢٢ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن يونس بن يعقوب، عن أبي أسامة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العطر من سنن المرسلين[٧].

٢٣ - **ل:** الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: الطيب في الشارب من أخلاق النبيّين[٨].

٢٤ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن محمّد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث أعطيهنّ الأنبياء عليهم السلام: العطر، والأزواج، والسواك[٩].

٢٥ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن مهديّ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً ولا وصيّاً إلاّ سخيّاً[١٠].

٢٦ - **لي:** القطّان والدقّاق والسنانيّ جميعاً عن ابن زكريّا القطّان، عن محمّد بن العبّاس، عن محمّد بن أبي السري، عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن ابن طريف، عن ابن نباتة قال: قال عليّ عليه السلام على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، فقام إليه الأشعث بن قيس

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ١٠٦٥ باب ٢٣٧ ح ٤.
(٢) الكافي، ج ٦ ص ١٠٦٧ باب ٢٤٠ ح ٢.
(٣) الكافي، ج ٦ ص ١٠٧٠ باب ٢٤٦ ح ٣.
(٤) الكافي، ج ٦ ص ١٠٨١ باب ٢٦٤ ح ٢.
(٥) الكافي، ج ٦ ص ١٠٨٥ باب ٢٦٩ ح ٤.
(٦) الكافي، ج ٦ ص ١٠٨٩ باب ٢٧٣ ح ٦.
(٧) الكافي، ج ٦ ص ١١٧٥ باب ٣٨٩ ح ٢.
(٨) الخصال، ص ٦١١ حديث الأربعمائة، ح ١٠.
(٩) الكافي، ج ٦ ص ١١٧٥ باب ٣٨٩ ح ٩.
(١٠) الكافي، ج ٤ ص ٣١٨ باب ٣٤ ح ٤.

فقال: يا أمير المؤمنين كيف تؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث إليهم نبيّ؟ فقال: بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً وبعث إليهم نبيّاً، وكان لهم ملك سكر ذات ليلة فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبها، فلمّا أصبح تسامع به قومه فاجتمعوا إلى بابه، فقالوا. أيّها الملك دنّست علينا ديننا فأهلكته، فاخرج بظهرك نقم عليك الحدّ، فقال لهم: اجتمعوا واسمعوا كلامي فإن يكن لي مخرج ممّا ارتكبت وإلاّ فشأنكم، فاجتمعوا فقال لهم: هل علمتم أنّ الله عزّوجلّ لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأُمّنا حوّاء؟ قالوا: صدقت أيّها الملك، قال: أفليس قد زوّج بنيه [من] بناته، وبناته من بنيه؟ قالوا: صدقت، هذا هو الدين، فتعاقدوا على ذلك، فمحا الله ما في صدورهم من العلم، ورفع عنهم الكتاب فهم الكفرة يدخلون النار بغير حساب، والمنافقون أشدّ حالاً منهم، فقال الأشعث: والله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها أبداً. الخبر[1].

٢٧ - ج؛ في خبر الزنديق الّذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل، فكان فيما سأله: أخبرني عن المجوس أبعث الله إليهم نبيّاً؟ فإنّي أجد لهم كتباً محكمة، ومواعظ بليغة، وأمثالاً شافية يقرّون بالثواب والعقاب، ولهم شرائع يعملون بها، فقال عليه السلام: ما من أمّة إلاّ خلا فيها نذير، وقد بعث إليهم نبيّ بكتاب من عند الله فأنكروه وجحدوا كتابه، قال: ومن هو؟ فإنّ النّاس يزعمون أنّه خالد بن سنان، قال عليه السلام: إنّ خالداً كان عربيّاً بدويّاً ما كان نبيّاً، وإنّما ذلك شيء يقوله النّاس، قال: أفزردشت؟ قال: إنّ زردشت أتاهم بزمزمة وادّعى النبوّة، فآمن منهم قوم، وجحده قوم فأخرجوه، فأكلته السباع في بريّة من الأرض، قال: فأخبرني عن المجوس كانوا أقرب إلى الصواب في دهرهم أم العرب؟ قال: العرب في الجاهليّة كانت أقرب إلى الدين الحنيفيّ من المجوس، وذلك أنّ المجوس كفرت بكلّ الأنبياء، وجحدت كتبها، وأنكرت براهينها، ولم تأخذ بشيء من سننها وآثارها وأنّ كيخسرو ملك المجوس في الدهر الأوّل قتل ثلاث مائة نبيّ، وكانت المجوس لا تغتسل من الجنابة، والعرب كانت تغتسل، والاغتسال من خالص شرائع الحنيفيّة، وكانت المجوس لا تختتن وهو من سنن الأنبياء، وإنّ أوّل من فعل ذلك إبراهيم خليل الله، وكانت المجوس لا تغسّل موتاها ولا تكفّنها، وكانت العرب تفعل ذلك، وكانت المجوس ترمي الموتى في الصحارى والنواويس، والعرب تواريها في قبورها وتلحد لها، وكذلك السنّة على الرسل، إنّ أوّل من حفر له قبر آدم أبو البشر وأُلحد له لحد، وكانت المجوس تأتي الأُمّهات وتنكح البنات والأخوات، وحرّمت ذلك العرب، وأنكرت المجوس بيت الله الحرام وسمّته بيت الشيطان، والعرب كانت تحجّه وتعظّمه، وتقول: بيت ربّنا، وتقرّ بالتوراة والإنجيل، وتسأل أهل الكتاب وتأخذ، وكانت العرب في كلّ الأسباب أقرب إلى الدين الحنيف من المجوس،

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٨٠ مجلس ٥٥ ح ١.

قال: فإنّهم احتجّوا بإتيان الأخوات أنّها سنّة من آدم، قال: فما حجّتهم في إتيان البنات والأُمّهات وقد حرّم ذلك آدم وكذلك نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام[١].

٢٨ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن أبي يحيى الواسطيّ، عن بعض أصحابنا قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المجوس أكان لهم نبيّ؟ فقال: نعم، أما بلغك كتاب رسول الله إلى أهل مكّة: أن أسلموا وإلّا نابذتكم بحرب، فكتبوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أن خذ منّا الجزية ودعنا على عبادة الأوثان، فكتب إليهم النبيّ صلى الله عليه وآله إنّي لست آخذ الجزية إلّا من أهل الكتاب، فكتبوا إليه يريدون بذلك تكذيبه: زعمت أنّك لا تأخذ الجزية إلّا من أهل الكتاب، ثمّ أخذت الجزية من مجوس هجر، فكتب إليهم النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ المجوس كان لهم نبيّ فقتلوه، وكتاب أحرقوه، أتاهم نبيّهم بكتابهم في اثني عشر ألف جلد ثور[٢].

٢٩ - **يه:** المجوس تؤخذ منهم الجزية لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب، وكان لهم نبيّ فقتلوه، وكتاب يقال له جاماست، كان يقع في اثني عشر ألف جلد ثور فحرقوه[٣].

٣٠ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ قوماً فيما مضى قالوا لنبيّ لهم ادع لنا ربّك يرفع عنّا الموت، فدعا لهم فرفع الله عنهم الموت فكثروا حتّى ضاقت عليهم المنازل وكثر النسل ويصبح الرجل يطعم أباه وجدّه وأُمّه وجدّ جدّه، ويوضّئهم ويتعاهدهم، فشغلوا عن طلب المعاش، فقالوا: سل لنا ربّك أن يردّنا إلى حالنا الّتي كنّا عليها، فسأل نبيّهم ربّه فردّهم إلى حالهم[٤].

٣١ - **كا:** الحسين بن محمّد رفعه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي لأكره الصلاة في مساجدهم، فقال: لا تكره، فما من مسجد بني إلّا على قبر نبيّ أو وصيّ نبيّ قتل فأصاب تلك البقعة رشّة من دمه فأحبّ الله أن يذكر فيها. فأدّ فيها الفريضة والنوافل، واقض فيها ما فاتك[٥].

٣٢ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن اليقطينيّ، عن يونس، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله لم يعذّب أمّة فيما مضى إلّا يوم الأربعاء وسط الشهر[٦].

٣٣ - **كا:** العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن ابن أبي نجران، عن المفضّل، عن جابر، عن

---

(١) الاحتجاج، ص ٢٤٦.
(٢) الكافي، ج ٣ ص ٢٩٧ باب ٣٢٠ ح ٤.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ج ٢ ص ٢٢٥ ح ١٦٧٩.
(٤) الكافي، ج ٣ ص ١٣٣ باب ١٦٦ ح ٣٦.
(٥) الكافي، ج ٣ ص ١٩٢ باب ٢١٩ ح ١٤.
(٦) الكافي، ج ٤ ص ٣٤٥ باب ٥٧ ح ١٢.

أبي جعفر عليه السلام قال: صلّى في مسجد الخيف سبعمائة نبيّ[١]، وإنّ ما بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء، وإنّ آدم لفي حرم الله عزّ وجلّ[٢].

٣٤ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن محمّد بن الوليد، عن شباب الصيرفيّ، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دفن ما بين الركن اليمانيّ والحجر الأسود سبعون نبيّاً، أماتهم الله جوعاً وضرّاً[٣].

٣٥ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن محمّد بن عبد الحميد، عن يحيى بن عمرو، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله إلى بعض أنبيائه: الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد[٤].

٣٦ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن ابن محبوب، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى نبيّ من أنبيائه في مملكة جبّار من الجبّارين أن ائت هذا الجبّار فقل له: إنّي لم أستعملك على سفك الدماء واتّخاذ الأموال، وإنّما استعملتك لتكفّ عنّي أصوات المظلومين، فإنّي لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفّاراً[٥].

٣٧ - **نهج:** الحمد لله الّذي لبس العزّ والكبرياء، واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمى وحرماً على غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللّعنة على من نازعه فيهما من عباده، ثمّ اختبر بذلك ملائكته المقرّبين ليميّز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه - وهو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب -: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ اعترضته الحميّة، فافتخر على آدم بخلقه، وتعصّب عليه لأصله، فعدوّ الله إمام المتعصّبين، وسلف المستكبرين، الّذي وضع أساس العصبيّة، ونازع الله رداء الجبريّة، وادّرع لباس التعزّز، وخلع قناع التذلّل، ألا ترون كيف صغّره الله بتكبّره ووضعه بترفّعه؟ فجعله في الدنيا مدحوراً، وأعدّ له في الآخرة سعيراً؟.

ولو أراد الله سبحانه أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه ويبهر العقول رواؤه وطيب يأخذ الأنفاس عرفه لفعل، ولو فعل لظلّت له الأعناق خاضعة، ولخفّت البلوى فيه على الملائكة، ولكنّ الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله، تمييزاً بالاختبار لهم، ونفياً للاستكبار عنهم، وإبعاداً للخيلاء منهم.

فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد، وكان قد

---

(١) في المجمع: روي أنّه صلّى فيه ألف نبيّ، فيستحبّ فيه صلاة ستّ ركعات في أصل الصومعة [النمازي]

(٢) - (٣) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٦ باب ١٣٥ ح ٧ و١٠.

(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٨٦ باب حسن الخلق، ح ٩.

(٥) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٠٤ باب الظلم ح ١٤.

عبد الله ستّة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدّنيا أو من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد إبليس يسلم. على الله سبحانه بمثل معصية؟ كلاّ ما كان الله سبحانه ليدخل الجنّة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً، إنّ حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرّمه على العالمين.

فاحذروا عباد الله أن يعديكم بدائه، وأن يستفزّكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوّق لكم سهم الوعيد، وأغرق لكم بالنزع الشديد، ورماكم من مكان قريب، وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قذفاً بغيب بعيد، ورجماً بظنّ مصيب، فصدّقه به أبناء الحميّة، وإخوان العصبيّة، وفرسان الكبر والجاهليّة حتّى إذا انقادت له الجامحة منكم، واستحكمت الطماعية منه فيكم، فنجمت الحال من السرّ الخفيّ إلى الأمر الجليّ، استفحل سلطانه عليكم، ودلف بجنوده نحوكم، فأقحموكم ولجات الذلّ، وأحلّوكم ورطات القتل، وأوطؤوكم إثخان الجراحة طعناً في عيونكم، وحزّاً في حلوقكم، ودقّاً لمناخركم، وقصداً لمقاتلكم، وسوقاً بخزائم القهر إلى النار المعدّة لكم فأصبح أعظم في دينكم جرحاً، وأورى في دنياكم قدحاً، من الّذين أصبحتم لهم مناصبين، وعليهم متألّبين، فاجعلوا عليه حدّكم وله جدّكم، فلعمر الله لقد فخر على أصلكم، ووقع في حسبكم، ودفع في نسبكم، وأجلب بخيله عليكم، وقصد برجله سبيلكم، يقتنصونكم بكلّ مكان، ويضربون منكم كلّ بنان، لا تمتنعون بحيلة، ولا تدفعون بعزيمة في حومة ذلّ، وحلقة ضيق، وعرصة موت، وجولة بلاء، فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبيّة وأحقاد الجاهليّة، فإنّما تلك الحميّة تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته، واعتمدوا وضع التذلّل على رؤوسكم، وإلقاء التعزّز تحت أقدامكم، وخلع التكبّر من أعناقكم، واتّخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوّكم إبليس وجنوده فإنّ له من كلّ أمّة جنوداً وأعواناً ورجلاً وفرساناً، ولا تكونوا كالمتكبّر على ابن أمّه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد، وقدحت الحميّة في قلبه من نار الغضب، ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر الّذي أعقبه الله به الندامة، وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة.

ألا وقد أمعنتم في البغي، وأفسدتم في الأرض مصارحة لله بالمناصبة، ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة، فالله الله في كبر الحميّة، وفخر الجاهليّة، فإنّه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان اللاّتي خدع بها الأمم الماضية، والقرون الخالية، حتّى أعنقوا في حنادس جهالته، ومهاوي ضلالته ذللاً على سياقه، سلساً في قياده أمراً تشابهت القلوب فيه وتتابعت القرون عليه وكبراً تضايقت الصدور به.

ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الّذين تكبّروا عن حسبهم وترفّعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربّهم، وجاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبة

لآلائه، فإنّهم قواعد أساس العصبيّة، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء الجاهليّة، فاتّقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم أضداداً، ولا لفضله عندكم حسّاداً، ولا تطيعوا الأدعياء الّذين شربتم بصفوكم كدرهم، وخلطتم بصحّتكم مرضهم، وأدخلتم في حقّكم باطلهم، وهم أساس الفسوق، وأحلاس العقوق، اتّخذهم إبليس مطايا ضلال، وجنداً بهم يصول على النّاس، وتراجمة ينطق على ألسنتهم استراقاً لعقولكم، ودخولاً في عيونكم، ونفثاً في أسماعكم فجعلكم مرمى نبله، وموطئ قدمه، ومأخذ يده، فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته، ووقائعه ومثلاته، واتّعظوا بمثاوي خدودهم، ومصارع جنوبهم، واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر، فلو رخّص الله في الكبر لأحد من عباده لرخّص فيه لخاصّة أنبيائه ورسله، ولكنّه سبحانه كرّه إليهم التكابر ورضي لهم التواضع، فألصقوا بالأرض خدودهم، وعفروا في التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا أقواماً مستضعفين، قد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدة، وامتحنهم بالمخاوف، ومخضهم بالمكاره، فلا تعتبروا الرضى والسخط بالمال والولد جهلاً بمواقع الفتنة والاختبار في مواضع الغنى والإقتار، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ فإنّ الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم، ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون، وعليهما مدارع الصوف، وبأيديهما العصيّ فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزّه، فقال: ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العزّ وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذلّ؟! فهلاّ أُلقي عليهما أساورة من ذهب؟ إعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه، ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وأن يحشر معهم طير السماء ووحوش الأرض لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلّ الإنباء، ولما وجب للقابلين أجور المبتلين، ولا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمت الأسماء معانيها، ولكنّ الله سبحانه جعل رسله أُولي قوّة في عزائمهم، وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذى ولو كانت الأنبياء عليهم السلام أهل قوّة لا ترام وعزّة لا تضام وملك تمتدّ نحوه أعناق الرجال وتشدّ إليه عقد الرحال لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار وأبعد لهم في الاستكبار ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم أو رغبة مائلة بهم فكانت النيّات مشتركة، والحسنات مقتسمة، ولكنّ الله سبحانه أراد أن يكون الاتّباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه والاستكانة لأمره والاستسلام لطاعته أموراً له خاصّة، لا يشوبها من غيرها شائبة، وكلّما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل، ألا ترون أنّ الله سبحانه اختبر

الأوّلين من لدن آدم عليه السلام إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار[١] لا تضرّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الّذي جعله الله للناس قياماً، ثمّ وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقلّ نتائق الدنيا مدراً، وأضيق بطون الأودية قطراً، بين جبال خشنة، ورمال دمثة، وعيون وشلة، وقرىً منقطعة، لا يزكو بها خفّ ولا حافر ولا ظلف.

ثمّ أمر سبحانه آدم عليه السلام وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابة لمنتجع أسفارهم، وغاية لملقى رحالهم، تهوي إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفار سحيقة، ومهاوي فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة، حتّى يهزّوا مناكبهم ذللاً يهلّلون لله حوله، ويرملون على أقدامهم شعثاً غبراً له، قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم، وشوّهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم، ابتلاءً عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختباراً مبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله الله تعالى سبباً لرحمته، ووصلة إلى جنّته، ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنّات وأنهار وسهل وقرار جمّ الأشجار داني الثمار ملتفّ البنى، متّصل القرى، بين برّة سمراء وروضة خضراء وأرياف محدقة، وعراص مغدقة، وزروع ناضرة، وطرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء، ولو كان الأساس المحمول عليها والأحجار المرفوع بها بين زمرّدة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء لخفّف ذلك مضارعة الشكّ في الصدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفى معتلج الريب من الناس، ولكنّ الله سبحانه يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبّدهم بألوان المجاهد[٢]، ويبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبّر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلّل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله، وأسباباً ذللاً لعفوه.

فالله الله في عاجل البغي، وآجل وخامة الظلم، وسوء عاقبة الكبر، فإنّها مصيدة إبليس العظمى، ومكيدته الكبرى الّتي تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة، فما تكدي أبداً، ولا تشوي أحداً، لا عالماً لعلمه، ولا مقلاً في طمره، وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات، ومجاهدة الصيام في الأيّام المفروضات، تسكيناً لأطرافهم، وتخشيعاً لأبصارهم، وتذليلاً لنفوسهم، وتخفيضاً لقلوبهم، وإذهاباً للخيلاء عنهم، لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعاً، والتصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغراً، ولحوق البطون بالمتون من الصيام تذلّلاً، مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الأرض، وغير ذلك إلى أهل المسكنة والفقر.

انظروا إلى ما في هذه الأفعال من قمع نواجم الفخر، وقدع طوالع الكبر، ولقد نظرت فما

---

(١) المراد أحجار بناء البيت لا الحجر الأسود [النمازي].

(٢) المجاهد: جمع مجهدة، وهي المشقة (منه رحمه الله).

وجدت أحداً من العالمين يتعصّب لشيء من الأشياء إلاّ عن علّة تحتمل تمويه الجهلاء، أو حجّة تليط بعقول السفهاء غيركم، فإنّكم تتعصّبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علّة.

أمّا إبليس فتعصّب على آدم عليه السلام لأصله، وطعن عليه في خلقته فقال: أنا ناريٌّ وأنت طينيّ، وأمّا الأغنياء من مترفة الأمم فتعصّبوا لآثار مواقع النعم فقالوا: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ فإن كان لا بدّ من العصبيّة فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور الّتي تفاضلت فيها المجداء والنّجداء من بيوتات العرب، ويعاسيب القبائل، بالأخلاق الرغيبة، والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة، والآثار المحمودة، فتعصّبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار، والوفاء بالذمام، والطاعة للبرّ، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكفّ عن البغي، والإعظام للقتل، والإنصاف للخلق، والكظم للغيظ، واجتناب الفساد في الأرض.

واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوءِ الأفعال، وذميم الأعمال، فتذكّروا في الخير والشرّ أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم، فإذا تفكّرتم في تفاوت حاليهم فالزموا كلّ أمر لزمت العزّة به شأنهم، وزاحت الأعداء له عنهم، ومدّت العافية فيه عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلهم، من الاجتناب للفرقة، واللّزوم للألفة، والتحاضّ عليها، والتواصي بها، واجتنبوا كلّ أمر كسر فقرتهم، وأوهن منّتهم، من تضاغن القلوب، وتشاحن الصدور، وتدابر النفوس، وتخاذل الأيدي، وتدبّروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء، ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباءً؟ وأجهد العباد بلاءً؟ وأضيق أهل الدنيا حالاً؟ اتّخذتهم الفراعنة عبيداً فساموهم سوء العذاب، وجرّعوهم المرار، فلم تبرح الحال بهم في ذلّ الهلكة، وقهر الغلبة، لا يجدون حيلة في امتناع، ولا سبيلاً إلى دفاع، حتّى إذا رأى الله جدّ الصبر منهم على الأذى في محبّته، والاحتمال للمكروه من خوفه، جعل لهم من مضائق البلاءِ فرجاً، فأبدلهم العزّ مكان الذلّ، والأمن مكان الخوف فصاروا ملوكاً حكّاماً، وأئمّة أعلاماً، وبلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الآمال إليه بهم، فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء مجتمعة، والأهواء متّفقة، والقلوب معتدلة، والأيدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة، ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين؟ وملوكاً على رقاب العالمين؟ فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم حين وقعت الفرقة، وتشتّتت الألفة، واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعّبوا مختلفين، وتفرّقوا متحازبين، قد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته، وبقي قصص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين منكم.

فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل عليهم السلام، فما أشدّ اعتدال الأحوال، وأقرب اشتباه الأمثال، تأمّلوا أمرهم في حال تشتّتهم وتفرّقهم ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أرباباً لهم يحتازونهم عن ريف الآفاق، وبحر العراق، وخضرة الدنيا

إلى منابت الشيح، ومهافي الريح، ونكد المعاش، فتركوهم عالةً مساكين إخوان دبر ووبر، أذلّ الأمم داراً، وأجدبهم قراراً، لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها، ولا إلى ظلّ أُلفة يعتمدون على عزّها، فالأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرّقة، في بلاء أزل، وإطباق جهل، من بنات موؤودة، وأصنام معبودة، وأرحام مقطوعة، وغارات مشنونة.

فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إليهم رسولاً فعقد بملّته طاعتهم وجمع على دعوته ألفتهم، كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها؟ وأسالت لهم جداول نعيمها؟ والتفّت الملّة بهم في عوائد بركتها؟ فأصبحوا في نعمتها غرقين، وعن خضرة عيشها فكهين، قد تربّعت الأمور بهم في ظلّ سلطان قاهر، وآوتهم الحال إلى كنف عزّ غالب، وتعطّفت الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت، فهم حكّام على العالمين، وملوك في أطراف الأرضين، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم، لا تغمز لهم قناة، ولا تقرع لهم صفاة.

ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة، وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهليّة، وإنّ الله سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمّة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة الّتي ينتقلون في ظلّها، ويأوون إلى كنفها بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة، لأنّها أرجح من كلّ ثمن، وأجلّ من كلّ خطر.

واعلموا أنّكم صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحزاباً، ما تتعلّقون من الإسلام إلاّ باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلاّ رسمه، تقولون: النار ولا العار، كأنّكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه، انتهاكاً لحريمه، ونقضاً لميثاقه الّذي وضعه الله لكم حرماً في أرضه، وأمناً بين خلقه، وإنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر، ثمّ لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم إلاّ المقارعة بالسيف، حتّى يحكم الله بينكم، وإنّ عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه وأيّامه[١] ووقائعه فلا تستبطئوا وعيده جهلاً بأخذه، وتهاوناً ببطشه، ويأساً من بأسه، فإنّ الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلاّ لتركهم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فلعن السفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك التناهي، ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطّلتم حدوده وأمتّم أحكامه.

ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأمّا الناكثون فقد قاتلت، وأمّا القاسطون فقد جاهدت، وأمّا المارقة فقد دوّخت، وأمّا شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه، ورجّة صدره، وبقيت بقيّة من أهل البغي، ولئن أذن الله تعالى في الكرّة عليهم لأديلنّ منهم إلاّ ما يتشذّر في أطراف البلاد تشذّراً.

---

(١) وأيامه أي الأيام التي أنزل فيه العقوبات من أصل المعاصي (منه رحمه الله).

أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر، وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله سبحانه به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم علماً من أخلاقه، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء[1] فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة رضي الله عنها وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبيّ ولكنّك وزير، وإنّك لعلى خير.

ولقد كنت معه ﷺ لمّا أتاه الملأ من قريش فقالوا له: يا محمّد إنّك قد ادّعيت عظيماً لم يدّعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنّك نبيّ ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنّك ساحر كذّاب، فقال ﷺ لهم: وما تسألون؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع بعروقها، وتقف بين يديك، فقال ﷺ: إنّ الله على كلّ شيء قدير، فإن فعل الله ذلك لكم أتؤمنون وتشهدون بالحقّ؟ قالوا: نعم، قال: فإنّي سأريكم ما تطلبون، وإنّي لأعلم أنّكم لا تفيئون إلى خير، وإنّ فيكم من يطرح في القليب، ومن يحزّب الأحزاب[2].

ثمّ قال: يا أيّتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أنّي رسول الله فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يديّ بإذن الله؛ فوالّذي بعثه بالحقّ لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دويّ شديد، وقصف كقصف أجنحة الطير حتّى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله ﷺ، وببعض أغصانها على منكبي وكنت عن يمينه ﷺ، فلمّا نظر القوم إلى ذلك قالوا علوّاً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها، فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال، وأشدّه دويّاً، فكادت تلتفّ برسول الله ﷺ، فقالوا كفراً وعتوّاً: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره ﷺ فرجع، فقلت أنا: لا إله إلاّ الله، إنّي أوّل مؤمن بك يا رسول الله، وأوّل من أقرّ بأنّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تبارك وتعالى، تصديقاً لنبوّتك، وإجلالاً لكلمتك، فقال القوم كلّهم: بل ساحر كذّاب، عجيب السحر، خفيف فيه، وهل يصدّقك في أمرك إلاّ مثل هذا؟

---

(١) قال ابن ميثم: الحراء (بالكسر والمد) جبل يذكر ويؤنث، يصرف ولا يصرف (منه رحمه الله).

(٢) قال الجزري: الأحزاب جمع حزب (بالكسر) وهي الطوائف من الناس، ومنه حديث ابن الزبير: أن يحزبهم أي يقويهم ويشد منهم، أو يجعلهم من حزبه ويجعلهم أحزاباً (منه رحمه الله).

يعنونني، وإنّي لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيماء الصدّيقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمّار اللّيل ومنار النهار، متمسّكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله ﷺ لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلّون ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل[١].

بيان: بهره: غلبه. والرواء بضمّ الراء والهمز والمدّ: المنظر الحسن. والعرف بالفتح: الريح الطيّبة. قوله عليه السلام: (لا يدري) أي لا يدريه أكثر الناس.

قوله عليه السلام: (بأمر) الباء للاستصحاب. قوله عليه السلام. (ملكاً) أي في الظاهر، لكونه في السماء ومخلوطاً بهم.

وقال الجزريّ: الهوادة: الرخصة والسكون. والمحاباة. وقال: هذا شيء حمى أي محظور لا يقرب. وأعداه الداء: أي أصابه مثل ما بصاحب الداء. والاستفزاز: الإزعاج والاستنهاض على خفّة وإسراع. والرجل: اسم جمع لراجل.

قوله عليه السلام: (لقد فوّق) أي وضع فوق سهمه فوق سهمه على الوتر (وأغرق) أي استوفى مدّ القوس، وبالغ في نزعها، ليكون مرماه أبعد، ووقع سهامه أشدّ.

قوله: (من مكان قريب) لقربه بهم وجريانه منهم مجرى الدم. قوله عليه السلام: (بظنّ مصيب) في بعض النسخ (غير مصيب) ووجّه بوجوه:

الأوّل: أنّه قال ما قال لا على وجه العلم، بل على سبيل التوهّم، والمصيب الحقّ هو العلم دون التوهّم أو الظنّ وإنّ اتّفق وقوعهما.

الثاني: أنّ قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ بمعنى الشرك أو الكفر، والّذين استثناهم المعصومون من المعاصي، ولا ريب في كون هذا الظنّ غير مصيب.

الثالث: أنّه عليه السلام إنّما قال ذلك لأنّ غوايتهم كان منهم اختياراً، وتصديق أبناء الحميّة له يعود إلى وقوع الغواية منهم على وفق ظنّه، فكان ظنّه في نسبتها إليه خطأً وبعبارة أُخرى لمّا ظنّ أنّه قادر على إجبارهم على المعاصي وسلب اختياركم حكم عليه السلام بخطائه، ولعلّ هذا أصوب.

قوله عليه السلام: (الجامحة) أي النفوس الجامحة، من جمح الفرس: إذا اعتزّ راكبه وغلبه. وكلّ ما طلع وظهر فقد نجم، واستفحل أي قوي واشتدّ. ودلف أي تقدّم. وقحم في الأمر: رمى بنفسه فيه من غير رويّة.

والولجة بالتحريك: موضع أو كهف يستتر فيه المارّة من مطر وغيره. والورطات: المهالك.

(١) نهج البلاغة، ص ٣٩٤ خطبة ١٩٠.

قوله عليه السلام: (إثخان الجراحة) أي جعلكم واطئين لإثخانها وهو كثرتها كما قيل فهو مفعول ثان للإيطاء، ويحتمل أن يكون مفعولاً أوّلاً وهو أظهر.

والحزّ: القطع والخزائم جمع خزامة وهي حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير فيشدّ فيها الزمام، وورى الزند أي خرجت ناره. والقدح: إخراجها من الزند. وتألّبوا: تجمعوا.

قوله عليه السلام: (يقتنصونكم) أي يتصيّدونكم. والحومة: معظم الماء والحرب وغيرهما، وموضع الجارّ والمجرور نصب على الحال، أي يقتنصونكم في حومة ذلّ. والجولة: الموضع الّذي تجول فيه. والنزغ: الإفساد. وفي النهاية: المسلحة: القوم الّذين يحفظون الثغر من العدوّ، لأنّهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنّهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر والمرقب يرقبون العدوّ لئلاّ يطرقهم على غفلة انتهى.

وكلمة (ما) في قوله عليه السلام: (من غير ما فضل) زائدة للتأكيد. وأمعن في الطلب أي جدّ وأبعد. والمصارحة: المكاشفة. والمناصبة: المعاداة. وأعنق: أسرع. وليلة ظلماء حندس أي شديدة الظلمة. والمهواة: الوهدة يتردّى الصيد فيها. وذللاً بضمّتين جمع ذلول. وسلساً كذلك جمع سلس، وهما بمعنى سهل الانقياد.

قوله عليه السلام: (أمراً) أي اعتمدوا أمراً. قوله عليه السلام: (تضايقت الصدور به) كناية عن كثرته. قوله عليه السلام: (تكبّروا عن حسبهم) قيل: أي جهلوا أصلهم أنّه الطين المنتن فتكبّروا.

قوله عليه السلام: (وألقوا الهجينة) أي نسبوا ما في الإنسان من القبائح إلى ربّهم، أو نسبوا الخطاء إليه تعالى فيما اختار لهم من خليفة الحقّ.

قوله عليه السلام: (مكابرة لقضائه) أي لحكمه عليهم بمتابعة أئمّة الحقّ، أو لما أوجب عليهم من شكر النعمة. والآلاء: الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

واعتزاء الجاهليّة: نداؤهم: يا لفلان! فيسمّون قبيلتهم فيدعونهم إلى المقاتلة وإثارة الفتنة. قوله: (لنعمه عليكم أضداداً) لعلّ المعنى أنّ تلك الخصال توجب زوال النعم عنكم، فكأنّكم أضداد وحسّاد لنعم الله عليكم.

قوله عليه السلام: (شربتم بصفوكم) أي شربتم كدرهم مستبدلين ذلك بصفوكم، أو متلبّسين بصفوكم. والأحلاس جمع حلس بالكسر: وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازماً له، فقيل لكلّ ملازم أمر هو حلس ذلك الأمر؛ ذكره الجزريّ.

والنفث: النفخ، استعير هنا لوساوس الشيطان، وفي بعض النسخ (نثّاً) من نثّ الحديث: إذا أفشاه. ومصارع جنوبهم: مساقطها. ولواقح الكبر: ما يوجب حصوله. وخفض الجناح كناية عن لين الجانب وحسن الخلق والشفقة. والمخمصة: الجوع. والمجهدة: المشقّة. ومحصهم بالمهملتين أي خلّصهم وطهّرهم، وبالمعجمتين أي حرّكهم وزلزلهم. والذهبان

بالضمّ والكسر: جمع الذهب. والعقيان بالكسر: الذهب الخالص. والبلاء: الامتحان. والإنباء: الإخبار بالوعد والوعيد.

قوله عليه السلام: (ولا لزمت الأسماء معانيها) أي كانت تنفكّ الأسماء عن المعاني فتصدق الأسماء بدون مسمّياتها، كالمؤمن والمسلم والزاهد وغيرها. والخصاصة: الفقر. وضامه حقّه: انتقصه. والضيم: الظلم.

قوله عليه السلام: (تمتدّ نحوه) أي يؤمّله المؤمّلون، ويرجوه الراجون، فإنّ كلّ من أمل شيئاً يطمح إليه بصره، ويسافر برغبته إليه، فكنّي عن ذلك بمدّ العنق، وشدّ عقد الرحال.

قوله عليه السلام: (فكانت النيّات مشتركة) أي بين الله وبين ما يأملون من الشهوات، غير خالصة له تعالى، وحسناتهم مقتسمة بينه تعالى وبين تلك الشهوات؛ أو المعنى أنّهم لو كانوا كذلك لآمن بهم جلّ الخلق للرغبة والرهبة، فلم يتميّز المؤمن والمنافق، والمخلص والمرائي. وجبل وعر أي غليظ حزن.

قوله عليه السلام: (وأقلّ نتائق الدنيا) قال ابن أبي الحديد: أصل هذه اللّفظة من قولهم امرأة نتاق أي كثيرة الحبل والولادة، يقال: ضيعة متناق أي كثيرة الريع فجعل عليه السلام الضياع ذوات المدر الّتي يثار للحرث نتائق، وقال: إنّ مكّة أقلّها صلاحاً للزرع، لأنّ أرضها حجريّة[1]. والقطر: الجانب.

قوله عليه السلام: (دمثة) أي سهلة، وكلّما كان الرمل أسهل كان أبعد من أن ينبت ومن أن يزكو به الدوابّ لأنّها تتعب في المشي به. قوله: (وشلة) أي قليلة الماء. قوله: (أعطافهم) عطفا الرجل: جانباه، أي يميلون جوانبهم معرضين عن كلّ شيء متوجّهين نحوه. والمثابة: المرجع والنجعة في الأصل طلب الكلاء، ثمّ سمّي كلّ من قصد أمراً يروم النفع فيه منتجعاً. وثمرة الفؤاد هي سويداء القلب. والسحيق: البعيد. والفجّ: الطريق بين الجبلين وهزّ المناكب: كناية عن السفر إليه مشتاقين. وقوله: (يهلّون) أي يرفعون أصواتهم بالتلبية. والرمل: سعي فوق المشي. والسرابيل جمع السربال وهو القميص، أي خلعوا المخيط.

قوله: (ملتفّ البنى) أي مشتبك العمارة. والبرّة: الواحدة من البرّ وهو الحنطة. والأرياف جمع ريف، وهو كلّ أرض فيها زرع ونخل؛ وقيل: هو ما قارب الماء من الأرض. والمحدقة: المطيفة. والغدق: الماء الكثير. والنضارة: الحسن. ومضارعة الشكّ: مقاربته، وفي بعض النسخ بالصاد المهملة. والاعتلاج: الاضطراب.

---

(١) قال في النهاية في حديث علي عليه السلام: أقل نتائق الدنيا مدراً: النتائق جمع نتيقة فعيلة بمعنى مفعولة من النتق: وهو أن يقلع الشيء فترفعه من مكانه لترمي به، هذا هو الأصل وأراد بها هاهنا البلاد، لرفع بنائها وشهرتها في موضعها انتهى وما ذكرناه في الأصل ذكره ابن أبي الحديد ولعله أوفق (منه رحمه الله).

قوله عليه السلام: (فتحاً) بضمّتين أي مفتوحة. وقوله: (ذللاً) أي سهلة. ووخامة العاقبة: رداءتها.

قوله عليه السلام: (فإنّها) قيل: الضمير يعود إلى مجموع البغي والظلم والكبر؛ وقيل إلى الأخير باعتبار جعله مصيدة، وهي بسكون الصاد وفتح الياء آلة يصطاد بها. والمساورة: المواثبة. قوله عليه السلام: (ما تكدي) أي لا تردّ عن تأثيرها. ويقال: رمى فأشوى: إذا لم يصب المقتل.

قوله عليه السلام: (ما حرس الله) ما زائدة. قوله عليه السلام: (عتاق الوجوه) إمّا من العتق بمعنى الحرّيّة، أو بمعنى الكرم، والعتيق: الكريم من كلّ شيء، والخيار من كلّ شيء. والنواجم جمع ناجمة وهو ما يطلع ويظهر من الكبر. والقدع: الكفّ والمنع. ويقال: لاط حبّه بقلبي يليط: إذا لصق. ومواقع النعم: الأموال والأولاد، وآثارها هي الترفّه والغناء والتلذّذ بها، ويحتمل أن يكون الموقع مصدراً. والمجداء جمع ماجد، والمجد: الشرف في الآباء، والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكونا في آبائه. والنجداء: الشجعان، واحدهم نجيد. وبيوتات العرب: قبائلها. واليعسوب: السيّد والرئيس والمقدّم. والرغيبة: المرغوبة. قوله عليه السلام: (لخلال الحمد) أي الخصال المحمودة.

قوله عليه السلام: (ومدّت العافية) على البناء للمفعول وهو ظاهر، أو على البناء للفاعل من قولهم: مدّ الماء: إذا جرى وسال. قوله عليه السلام: (ووصلت) استعار الوصل لاجتماعهم عن كرامة الله لهم حال كونهم على ذلك الأمر، ورشح بذكر الحبل. والتحاضّ تفاعل من الحضّ وهو الحثّ والتحريض. وتواصي القوم أي أوصى بعضهم بعضاً. والفقرة واحدة فقر: الظهر، ويقال لمن أصابته مصيبة شديدة: قد كسرت فقرته. والمنّة بالضمّ: القوّة. والأعباء: الأثقال.

قوله عليه السلام: (فساموهم) أي الزموهم. والمرار بالضمّ: شجر مرّ، واستعير شرب الماء المرّ لكلّ من يلقى شدّة.

قوله عليه السلام: (وبلغت الكرامة) قوله: (بهم) متعلّق بقوله: (بلغت) وقوله: (لهم) بالكرامة، وقوله: (إليه) بقوله: (لم تذهب) والأملاء جمع الملأ أي الجماعات والأشراف. والترافد: التعاون.

قوله عليه السلام: (متحازبين) أي مختلفين أحزاباً. وغضارة النعمة: طيبها ولذتها. قوله عليه السلام: (فما أشدّ اعتدال الأحوال) أي ما أشبه الأشياء بعضها ببعض! وإنّ حالكم لشبيهة بحال أولئك.

قوله عليه السلام: (يحتازونهم) أي يعبدونهم. وبحر العراق: دجلة والفرات، امّا الأكاسرة فطردوهم عن بحر العراق، والقياصرة عن الشام وما فيه من المراعي والمنتجع. والشيح: نبت معروف. ومنابت الشيح: أرض العرب. ومهافي الريح: المواضع الّتي تهفو فيها

الريح، أي تهب وهي الفيافي والصحاري. ونكد المعاش: ضيقه وقلّته. والعالة جمع عائل وهو الفقير. والدبر بالتحريك: الجرح الّذي يكون في ظهر البعير. والجدب: قلّة الزرع والشجر. والأزل: الضيق والشدّة.

قوله: (وإطباق جهل) بكسر الهمزة، أي جهل عامّ مطبق عليهم، أو بفتحها أي جهل متراكم بعضه فوق بعض. ووأد البنات: قتلهنّ. وشنّ الغارة عليهم: تفريقها عليهم من جميع جهاتهم. قوله عليه السلام: (والتفّت الملّة) أي كانوا متفرّقين، فالتفّت ملّة محمّد صلى الله عليه وآله بهم فجمعتهم، يقال: التفّ الحبل بالحطب أي جمعه، والتفّ الحطب بالحبل أي اجتمع به. وقوله: (في عوائد حال) أي جمعتهم الملّة كائنة في عوائد بركتها.

قوله عليه السلام: (فكهين) أي أشرين مرحين، فكاهة صادرة عن خضرة عيش النعمة قوله عليه السلام: (قد تربّعت) أي أقامت. ويقال: تعطّف الدهر على فلان أي أقبل حظّه وسعادته بعد أن لم يكن كذلك. والذرى: الأعالي.

قوله عليه السلام: (لا يغمز) يقال: غمزه بيده أي نخسه. والقناة: الرمح، ويكنّى عن العزيز الّذي لا يضام، فيقال: لا يغمز له قناة، أي هو صلب، والقناة إذا لم تلن في يد الغامز كانت أبعد عن الحطم والكسر.

وقوله: (لا تقرع لهم صفاة) مثل يضرب لمن لا يطمع في جانبه لعزّته وقوّته. والصفاة: الصخرة والحجر الأملس.

وقوله: (بأحكام) متعلّق بثلمتم. وقوله: (بنعمة) متعلّق بقوله: (امتنّ) قوله: (النار ولا العار) أي ادخلوا النار ولاتلتزموا العار.

وقال الجوهريّ: كفأت الإناء: قلبته، وزعم ابن الأعرابيّ أنّ أكفأته لغة، وكفأت القوم كفاة: إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره. قوله: (إلى غيره) الضمير عائد إلى الإسلام أو إلى الله.

قوله: (فلا تستبطئوا) أي فلا تستبعدوا. قوله: (لترك التناهي) يقال: تناهوا عن المنكر أي نهى بعضهم بعضاً. ودوّخه أي ذلّله. وشيطان الردهة: هو ذو الثدية، فقد روي أنّه رماه الله يوم النهر بصاعقة. والردهة: نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء. وإنّما سمّي بذلك لأنّه وجد بعد موته في حفرة؛ وقيل: هو أحد الأبالسة. والوجبة: اضطراب القلب. والرجّة: الحركة والزلزلة. وأدلت من فلان أي قهرته وغلبته. والتشذّر: التبدّد والتفرّق. والكلاكل: الصدور، الواحدة: كلكل، أي أنا أذللتهم وصرعتهم إلى الأرض. والنواجم جمع ناجمة وهي ما علا قدره وطار صيته. والخطل: خفّة وسرعة، ويقال للأحمق العجل: خطل. قوله: (لا تفيئون) أي لا ترجعون.

قوله عليه السلام: (في القليب) أي قليب بدر، والدويّ: صوت ليس بالعالي. وقصف الطير:

اشتدّ صوته. ورفرف الطائر بجناحيه: إذا بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه والعتوّ: التكبّر والتجبّر.

قوله: (خفيف فيه) أي سريع. قوله عليه السلام: (ولا يغلّون) كلّ من خان خفية في شيء فقد غلّ.

أقول: إنّما أوردت هذه الخطبة الشريفة بطولها لاشتمالها على جمل قصص الأنبياء عليهم السلام وعلل أحوالهم وأطوارهم وبعثتهم، والتنبيه على فائدة الرجوع إلى قصصهم والنظر في أحوالهم وأحوال أممهم وغير ذلك من الفوائد الّتي لا تحصى ولا تخفى على من تأمّل فيها صلوات الله على الخطيب بها.

٣٨ - **كا:** بعض أصحابنا، عن عليّ بن العبّاس، عن الحسن بن عبد الرحمن، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ الأحلام لم تكن فيما مضى في أوّل الخلق وإنّما حدثت، فقلت: وما العلّة في ذلك؟ فقال: إنّ الله عزّ ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته، فقالوا: إن فعلنا ذلك فما لنا؟ فوالله ما أنت بأكثرنا مالاً، ولا بأعزّنا عشيرة، فقال: إن أطعتموني أدخلكم الله الجنّة، وإن عصيتموني أدخلكم الله النار فقالوا: وما الجنّة والنار؟ فوصف لهم ذلك، فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متّم فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً! فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله عزّ وجلّ فيهم الأحلام فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك، فقال: إنّ الله عزّ ذكره أراد أن يحتجّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم، وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان[1].

٣٩ - **دعوات الراونديّ:** روي أنّ الله أوحى إلى نبيّ من الأنبياء في الزمن الأوّل: إنّ لرجل في أمّته دعوات مستجابة، فأخبر به ذلك الرجل، فانصرف من عنده إلى بيته فأخبر زوجته بذلك، فألحّت عليه أن يجعل دعوة لها فرضي، فقالت: سل الله أن يجعلني أجمل نساء الزمان، فدعا الرجل فصارت كذلك، ثمّ إنّها لمّا رأت رغبة الملوك والشبّان المتنعّمين فيها متوفّرة زهدت في زوجها الشيخ الفقير وجعلت تغالظه وتخاشنه وهو يداريها ولا يكاد يطيقها، فدعا الله أن يجعلها كلبة فصارت كذلك! ثمّ أجمع أولادها يقولون: يا أبه إنّ الناس يعيّرونا أنّ أمّنا كلبة نابحة وجعلوا يبكون ويسألونه أن يدعو الله أن يجعلها كما كانت، فدعا الله تعالى فصيّرها مثل الّتي كانت في الحالة الأولى، فذهبت الدعوات الثلاث ضياعاً[2].

٣٢ - باب نوادر أخبار بني إسرائيل

الآيات: البقرة «٢»: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ «١٢٢».

(١) روضة الكافي، ص ٧١٤ ح ٥٧. (٢) دعوات الراوندي، ص ٣٨.

المائدة «٥»: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ «٣٢» وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾.

الجاثية «٤٥»: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾.

الحشر «٥٩»: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: عن ابن عبّاس قال: كان في بني إسرائيل عابد اسمه برصيصا، عبد الله زماناً من الدهر حتّى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوّذهم فيبرؤون على يده، وإنّه أتي بامرأة في شرف قد جنّت وكان لها إخوة فأتوه بها وكانت عنده، فلم يزل به الشيطان يزيّن له حتّى وقع عليها فحملت، فلمّا استبان حملها قتلها ودفنها، فلمّا فعل ذلك ذهب الشيطان حتّى لقي أحد إخوتها فأخبره بالّذي فعل الراهب وأنّه دفنها في مكان كذا، ثمّ أتى بقيّة إخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له، فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول: والله لقد أتاني آت ذكر لي شيئاً يكبر عليّ ذكره، فذكره بعضهم لبعض حتّى بلغ ذلك ملكهم، فسار الملك والنّاس فاستنزلوه فأقرّ لهم بالّذي فعل، فأمر به فصلب، فلمّا رفع على خشبته تمثّل له الشيطان فقال: أنا الّذي ألقيتك في هذا، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلّصك ممّا أنت فيه؟ قال: نعم، قال: اسجد لي سجدةً واحدة، فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟ فقال: أكتفي منك بالإيماء، فأومأ له بالسجود، فكفر بالله، وقتل الرجل، فأشار الله تعالى إلى قصّته في هذه الآية[1].

١ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الوشّاء عن أبي جميلة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل عابد يقال له جريح، وكان يتعبّد في صومعة فجاءته أمّه وهو يصلّي فدعته فلم يجبها، فانصرفت، ثمّ أتته ودعته فلم يلتفت إليها فانصرفت، ثمّ أتته ودعته فلم يجبها ولم يكلّمها فانصرفت وهي تقول: أسأل إله بني إسرائيل أن يخذلك، فلمّا كان من الغد جاءت فاجرة وقعدت عند صومعته قد أخذها الطلق فادّعت أنّ الولد من جريح، ففشا في بني إسرائيل أنّ من كان يلوم الناس على الزنا قد زنى، وأمر الملك بصلبه، فأقبلت أمّه إليه تلطم وجهها، فقال لها: اسكتي إنّما هذا لدعوتك، فقال النّاس لمّا

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٣٨.

سمعوا ذلك منه: وكيف لنا بذلك؟ قال: هاتوا الصبيّ، فجاؤوا به فأخذه فقال: من أبوك؟ فقال: فلان الراعي لبني فلان، فأكذب الله الّذين قالوا ما قالوا في جريح، فحلف جريح ألاّ يفارق أمّه يخدمها[1].

٢ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب عن الحكم بن مسكين، عن النعمان بن يحيى الأزرق، عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ ملكاً من بني إسرائيل قال: لأبنينّ مدينة لا يعيبها أحد، فلمّا فرغ من بنائها اجتمع رأيهم على أنّهم لم يروا مثلها قطّ، فقال له رجل: لو آمنتني على نفسي أخبرتك بعيبها، فقال: لك الأمان، فقال: لها عيبان: أحدهما أنّك تهلك عنها، والثاني أنّها تخرب من بعدك، فقال الملك: وأيّ عيب أعيب من هذا؟ ثمّ قال: فما نصنع؟ قال: تبني ما يبقى ولا يفنى وتكون شاباً لا تهرم أبداً فقال الملك لابنته ذلك، فقالت: ما صدقك أحد غيره من أهل مملكتك[2].

٣ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن بكير، عن عبد الملك بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل وكان له بنتان فزوّجهما من رجلين: واحد زرّاع، وآخر يعمل الفخّار، ثمّ إنّه زارهما فبدأ بامرأة الزرّاع فقال لها: كيف حالك؟ قالت: قد زرع زوجي زرعاً كثيراً، فإن جاء الله بالسماء فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً، ثمّ ذهب إلى الأخرى فسألها عن حالها، فقالت: قد عمل زوجي فخّاراً كثيراً، فإن أمسك الله السماء عنّا فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً، فانصرف وهو يقول: اللّهمّ أنت لهما[3].

٤ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الوشّاء عن الحسن بن الجهم، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل يكثر أن يقول: «الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين» فغاظ إبليس ذلك فبعث إليه شيطاناً فقال: قل: العاقبة للأغنياء، فجاءه فقال ذلك، فتحاكما إلى أوّل من يطلع عليهما على قطع يد الّذي يحكم عليه، فلقيا شخصاً فأخبراه بحالهما، فقال: العاقبة للأغنياء، فرجع وهو يحمد الله ويقول: «العاقبة للمتقين» فقال له: تعود أيضاً؟ فقال: نعم على يدي الأخرى، فخرجا فطلع الآخر فحكم عليه أيضاً، فقطعت يده الأخرى، وعاد أيضاً يحمد الله ويقول: «العاقبة للمتقين» فقال له: تحاكمني على ضرب العنق؟ فقال: نعم، فخرجا فرأيا مثالاً فوقفا عليه، فقال: إنّي كنت حاكمت هذا وقصّا عليه قصّتهما قال: فمسح يديه فعادتا، ثمّ ضرب عنق ذلك الخبيث، وقال: هكذا العاقبة للمتّقين[4].

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٧٧.
(٢) - (٤) قصص الأنبياء، ص ١٧٧-١٧٨.

٥ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن أحمد بن محمّد، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان قاض في بني إسرائيل وكان يقضي بالحقّ فيهم، فلمّا حضرته الوفاة قال لامرأته: إذا متّ فاغسليني وكفّنيني وغطّي وجهي، وضعيني على سريري، فإنّك لا ترين سوءاً إن شاء الله تعالى، فلمّا مات فعلت ما كان أمرها به ثمّ مكثت بعد ذلك حيناً ثمّ إنّها كشفت عن وجهه فإذا دودة تقرض من منخره، ففزعت من ذلك، فلمّا كان باللّيل أتاها في منامها - يعني رأته في النوم - فقال لها: فزعت ممّا رأيت؟ قالت: أجل، قال: والله ما هو إلاّ في أخيك، وذلك أنّه أتاني ومعه خصم له، فلمّا جلسا قلت: اللّهمّ اجعل الحقّ له، فلمّا اختصما كان الحقّ له ففرحت فأصابني ما رأيت لموضع هواي مع موافقة الحقّ له[١].

٦ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ قوماً من بني إسرائيل قالوا لنبيّ لهم: ادع لنا ربّك يمطر علينا السماء إذا أردنا، فسأل ربّه ذلك فوعده أن يفعل، فأمطر السماء عليهم كلّما أرادوا فزرعوا فنمت زروعهم وحسنت، فلمّا حصدوا لم يجدوا شيئاً، فقالوا: إنّما سألنا المطر للمنفعة، فأوحى الله تعالى: إنّهم لم يرضوا بتدبيري لهم. أو نحو هذا[٢].

٧ - وقال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كان ورشان يفرخ في شجرة، وكان رجل يأتيه إذا أدرك الفرخان فيأخذ الفرخين، فشكا ذلك الورشان إلى الله تعالى فقال: إنّي سأكفيكه قال: فأفرخ الورشان وجاء الرجل ومعه رغيفان، فصعد الشجرة وعرض له سائل فأعطاه أحد الرغيفين، ثمّ صعد فأخذ الفرخين ونزل بهما فسلّمه الله لما تصدّق به[٣].

٨ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رجلاً كان في بني إسرائيل قد دعا الله أن يرزقه غلاماً، يدعو ثلاثاً وثلاثين سنة، فلمّا رأى أنّ الله تعالى لا يجيبه قال: يا ربّ أبعيد أنا منك فلا تسمع منّي، أم قريب أنت فلا تجيبني؟ فأتاه آت في منامه فقال له: إنّك تدعو الله بلسان بذيّ، وقلب علق غير نقيّ، وبنيّة غير صادقة، فاقلع من بذائك، وليتّق الله قلبك، ولتحسن نيّتك، قال: ففعل الرجل ذلك فدعا الله عزّ وجلّ فولد له غلام[٤].

كا: محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى مثله[٥].

٩ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل عاقل كثير المال، وكان له ابن يشبهه في الشمائل من زوجة عفيفة، وكان له ابنان من زوجة غير عفيفة، فلمّا حضرته الوفاة قال لهم: هذا مالي لواحد منكم، فلمّا توفّي قال الكبير: أنا ذلك

---

(١) - (٤) قصص الأنبياء، ص ١٧٩-١٨١. (٥) أصول الكافي، ج ٢ باب ١٣١ ح ٧.

الواحد، وقال الأوسط: أنا ذلك، وقال الأصغر: أنا ذلك، فاختصموا إلى قاضيهم، قال: ليس عندي في أمركم شيء، انطلقوا إلى بني غنام الإخوة الثلاثة، فانتهوا إلى واحد منهم فرأوا شيخاً كبيراً، فقال لهم: ادخلوا إلى أخي فلان فهو أكبر منّي فاسألوه، فدخلوا عليه فخرج شيخ كهل فقال: سلوا أخي الأكبر منّي، فدخلوا على الثالث فإذا هو في المنظر أصغر، فسألوه أوّلاً عن حالهم ثمّ مبيّناً لهم فقال: أمّا أخي الّذي رأيتموه أوّلاً هو الأصغر، وإنّ له امرأة سوء تسوؤه وقد صبر عليها مخافة أن يبتلى ببلاء لاصبر له عليه فهرمته، وأمّا الثاني أخي فإنّ عنده زوجة تسوؤه وتسرّه فهو متماسك الشباب، وأمّا أنا فزوجتي تسرّني ولا تسوؤني ولم يلزمني منها مكروه قطّ منذ صحبتني فشبابي معها متماسك.

وأمّا حديثكم الّذي هو حديث أبيكم فانطلقوا أوّلاً وبعثروا قبره واستخرجوا عظامه واحرقوها ثمّ عودوا لأقضي بينكم، فانصرفوا فأخذ الصبيّ سيف أبيه، وأخذ الأخوان المعاول، فلمّا أن همّا بذلك قال لهم الصغير: لا تبعثروا قبر أبي وأنا أدع لكما حصّتي، فانصرفوا إلى القاضي، فقال: يقنعكما هذا، ائتوني بالمال، فقال للصغير: خذ المال، فلو كانا ابنيه لدخلهما من الرقّة كما دخل على الصغير(١).

١٠ - ص: بهذا الإسناد عن ابن محبوب، عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل صالح، وكانت له امرأة صالحة، فرأى في النوم أنّ الله تعالى قد وقّت لك من العمر كذا وكذا سنة، وجعل نصف عمرك في سعة، وجعل النصف الآخر في ضيق، فاختر لنفسك إمّا النصف الأوّل وإمّا النصف الأخير.

فقال الرجل: إنّ لي زوجة صالحة وهي شريكي في المعاش فأشاورها في ذلك وتعود إليّ فأخبرك، فلمّا أصبح الرجل قال لزوجته: رأيت في النوم كذا وكذا، فقالت يا فلان اختر النصف الأوّل وتعجّل العافية لعلّ الله سيرحمنا ويتمّ لنا النعمة، فلمّا كان في اللّيلة الثانية أتى الآتي فقال: ما اخترت؟ فقال: اخترت النصف الأوّل، فقال: ذلك لك، فأقبلت الدنيا عليه من كلّ وجه، ولمّا ظهرت نعمته قالت له زوجته: قرابتك والمحتاجون فصلهم وبرّهم وجارك وأخوك فلان فهبهم، فلمّا مضى نصف العمر وجاز حدّ الوقت رأى الرجل الّذي رآه أوّلاً في النوم، فقال: إنّ الله تعالى قد شكر لك ذلك ولك تمام عمرك سعة مثل ما مضى(٢).

١١ - ص: بهذا الإسناد عن ابن محبوب، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرجت امرأة بغيّ على شباب من بني إسرائيل فأفتنتهم، فقال بعضهم: لو كان العابد فلاناً رآها أفتنته، وسمعت مقالتهم فقالت: والله لا أنصرف إلى منزلي حتّى أفتنه فمضت نحوه في اللّيل فدقّت عليه، فقالت: آوي عندك، فأبى عليها، فقالت: إنّ بعض شباب بني إسرائيل

---

(١) - (٢) قصص الأنبياء، ص ١٨٢.

راودوني عن نفسي، فإن أدخلتني وإلاّ لحقوني وفضحوني، فلمّا سمع مقالتها فتح لها، فلمّا دخلت عليه رمت بثيابها، فلمّا رأى جمالها وهيئتها وقعت في نفسه، فضرب يده عليها، ثمّ رجعت إليه نفسه، وقد كان يوقد تحت قدر له، فأقبل حتّى وضع يده على النار، فقالت: أيّ شيء تصنع؟ فقال: أحرقها لأنّها عملت العمل، فخرجت حتّى أتت جماعة بني إسرائيل، فقالت: الحقوا فلاناً فقد وضع يده على النار، فأقبلوا فلحقوه وقد احترقت يده[1].

١٢ - ص: عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ عابداً كان في بني إسرائيل فأضاف امرأة من بني إسرائيل فهمّ بها فأقبل كلّما همّ بها قرّب إصبعاً من أصابعه إلى النار، فلم يزل ذلك دأبه حتّى أصبح، قال لها: اخرجي لبئس الضيف كنت لي[2].

١٣ - ص: عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل وكان محتاجاً فألحّت عليه امرأته في طلب الرزق، فابتهل إلى الله في الرزق، فرأى في النوم: أيّما أحبّ إليك: درهمان من حلّ أو ألفان من حرام؟ فقال: درهمان من حلّ، فقال: تحت رأسك، فانتبه فرأى الدرهمين تحت رأسه فأخذهما واشترى بدرهم سمكة فأقبل إلى منزله فلمّا رأته المرأة أقبلت عليه كاللائمة، وأقسمت أن لا تمسّها، فقام الرجل إليها فلمّا شقّ بطنها إذا بدرّتين فباعهما بأربعين ألف درهم[3].

١٤ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن ماجيلويه، عن عمّه، عن الكوفيّ، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل جبّار وإنّه أُقعد في قبره وردّ إليه روحه، فقيل له: إنّا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله، قال: لا أُطيقها، فلم يزالوا ينقصونه من الجلد وهو يقول: لا أُطيق حتّى صاروا إلى واحدة، قال: لا أُطيقها، قالوا: لن نصرفها عنك، قال: فلماذا تجلدونني؟ قالوا: مررت يوماً بعبد لله ضعيف مسكين مقهور فاستغاث بك فلم تغثه ولم تدفع عنه قال: فجلدوه جلدة واحدة فامتلأ قبره ناراً[4].

١٥ - ص: الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أسباط، عن أبي إسحاق الخراسانيّ، عن وهب بن منبّه قال: رووا أنّ رجلاً من بني إسرائيل بنى قصراً فجوده وشيّده، ثمّ صنع طعاماً فدعا الأغنياء وترك الفقراء، فكان إذا جاء الفقير قيل لكلّ واحد منهم: إنّ هذا طعام لم يصنع لك ولا لأشباهك، قال: فبعث الله ملكين في زيّ الفقراء، فقيل لهما مثل ذلك، ثمّ أمرهما الله تعالى بأن يأتيا في زيّ الأغنياء فأُدخلا وأكرما وأجلسا في الصدر، فأمرهما الله تعالى أن يخسفا المدينة ومن فيها[5].

١٦ - وبإسناده أنّ بني إسرائيل الصغير منهم والكبير كانوا يمشون بالعصيّ مخافة أن

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٨٣.
(٢) - (٥) قصص الأنبياء، ص ١٨٣-١٨٥.

يختال أحد في مشيته[(١)].

١٧ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن ماجيلويه، عن عمّه، عن الكوفيّ، عن محمّد بن عبد الله بن زرارة، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل عابد وكان محارفاً تنفق عليه امرأته، فجاءها يوماً فدفعت إليه غزلاً فذهب فلا يشترى بشيء، فجاء إلى البحر فإذا هو بصيّاد قد اصطاد سمكاً كثيراً، فأعطاه الغزل وقال: انتفع في شبكتك، فدفع إليه سمكة فأخذها وخرج بها إلى زوجته، فلمّا شقّها بدت من جوفها لؤلؤة فباعها بعشرين ألف درهم[(٢)].

١٨ - ص: بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده عن ابن محبوب، عن داود الرقّيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: نعم الأرض الشام، وبئس القوم أهلها اليوم، وبئس البلاد مصر، أما إنّها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل، ولم يكن دخل بنو إسرائيل مصر إلاّ من سخطة ومعصية منهم لله، لأنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني الشّام، فأبوا أن يدخلوها وعصوا فتاهوا في الأرض أربعين سنة، قال: وما كان خروجهم من مصر ودخولهم الشام إلاّ من بعد توبتهم ورضى الله عنهم.

ثمّ قال أبو جعفر: إنّي أكره أن آكل شيئاً طبخ في فخّار مصر، وما أحبّ أن أغسل رأسي من طينها مخافة أن تورثني تربتها الذلّ وتذهب بغيرتي[(٣)].

١٩ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسين ابن سيف، عن أخيه عليّ، عن أبيه، عن محمّد بن مارد، عن عبد الأعلى بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حديث يرويه الناس: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: حدّث عن بني إسرائيل ولا حرج، قال: نعم، قلت: فنحدّث بما سمعنا عن بني إسرائيل ولا حرج علينا؟ قال: أما سمعت ما قال: كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكلّ ما سمع، قلت كيف هذا؟ قال: ما كان في الكتاب أنّه كان في بني إسرائيل فحدّث أنّه كان في هذه الأمّة ولا حرج[(٤)].

بيان: قال الجزريّ: فيه: حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، أي لا بأس ولا إثم عليكم أن تحدّثوا عنهم ما سمعتم، وإن استحال أن يكون في هذه الأمّة، مثل ما روي أنّ ثيابهم كانت تطول، وأنّ النار كانت تنزل من السّماء فتأكل القربان وغير ذلك، لا أن يحدّث عنهم بالكذب، ويشهد لهذا التأويل ما جاء في بعض رواياته فإنّ فيهم العجائب.

وقيل: معناه: إنّ الحديث عنهم إذا أدّيته كما سمعته حقّاً كان أو باطلاً لم يكن عليك إثم لطول العهد، ووقوع الفترة، بخلاف الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله، لأنّه إنّما يكون بعد العلم بصحّة روايته وعدالة راويه.

---

(١) - (٤) قصص الأنبياء، ص ١٨٦-١٨٧.

وقيل: معناه: إنّ الحديث عنهم ليس على الوجوب، لأنّ قوله ﷺ في أوّل الحديث «بلغوا عني» على الوجوب، ثمّ أتبعه بقوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» أي لا حرج عليكم إن لم تحدّثوا عنهم.

٢٠ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن محمّد ابن سنان، عمّن أخبره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان عابد في بني إسرائيل لم يقارف من أمر الدنيا شيئاً، فنخر إبليس نخرة فاجتمع إليه جنوده، فقال: من لي بفلان؟ فقال بعضهم: أنا، فقال: من أين تأتيه؟ فقال: من ناحية النساء، قال: لست له لم يجرّب النساء فقال له آخر: فأنا له، قال: من أين تأتيه؟ قال: من ناحية الشراب واللّذّات، قال: لست له، ليس هذا بهذا، قال آخر: فأنا له، قال: من أين تأتيه؟ قال: من ناحية البرّ قال: انطلق فأنت صاحبه، فانطلق إلى موضع الرجل فأقام حذاءه يصلّي، قال: وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام، ويستريح والشيطان لا يستريح، فتحوّل إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله.

فقال: يا عبدالله بأيّ شيء قويت على هذه الصلاة؟ فلم يجبه، ثمّ أعاد عليه فلم يجبه ثمّ أعاد عليه فقال: يا عبد الله إنّي أذنبت ذنباً وأنا تائب منه، فإذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة، قال: فأخبرني بذنبك حتّى أعمله وأتوب فإذا فعلته قويت على الصلاة، قال: ادخل المدينة فسل عن فلانة البغيّة فأعطها درهمين ونل منها، قال: ومن أين لي درهمين؟ ما أدري ما الدرهمين، فتناول الشيطان من تحت قدمه درهمين فناوله إيّاهما.

فقام فدخل المدينة بجلابيبه يسأل عن منزل فلانة البغيّة، فأرشده النّاس، وظنّوا أنّه جاء يعظها، فأرشدوه فجاء إليها فرمى إليها بالدرهمين وقال: قومي، فقامت فدخلت منزلها وقالت: ادخل، وقالت: إنّك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها، فأخبرني بخبرك، فأخبرها، فقالت له: يا عبد الله إنّ ترك الذنب أهون من طلب التوبة، وليس كلّ من طلب التوبة وجدها، وإنّما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثّل لك، فانصرف فإنّك لا ترى شيئاً، فانصرف، وماتت من ليلتها، فأصبحت فإذا على بابها مكتوب: احضروا فلانة فإنّها من أهل الجنّة، فارتاب النّاس فمكثوا ثلاثاً لا يدفنونها ارتياباً في أمرها، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّ من الأنبياء لا أعلمه إلاّ موسى بن عمران عليه السلام: أن ائت فلانة فصلّ عليها، ومر النّاس أن يصلّوا عليها، فإنّي قد غفرت لها، وأوجبت لها الجنّة بتثبيطها عبدي فلاناً عن معصيتي[1].

إيضاح: (فنخر إبليس) أي مدّ الصوت في خياشيمه. وقوله: (تقاصرت إليه نفسه) أي ظهر له التقصير من نفسه يقال: تقاصر أي أظهر القصر. والجلباب القميص. وثوب واسع للمرأة دون الملحفة، أو ما تغطي به ثيابها من فوق كالملحفة. وقوله: (لا أعلمه) الشكّ فيه من الراوي.

---

(١) روضة الكافي، ص ٨٥٢ ح ٥٨٤.

٢١ - **كا:** أحمد بن محمّد بن أحمد، عن عليّ بن الحسن، عن محمّد بن عبد الله بن زرارة، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل عابد وكان مّحارفاً لا يتوجّه في شيء فيصيب فيه شيئاً، فأنفقت عليه امرأته حتّى لم يبق عندها شيء، فجاؤوا يوماً من الأيّام فدفعت إليه نصلاً من غزل وقالت له: ما عندي غيره انطلق فبعه واشتر لنا شيئاً نأكله، فانطلق بالنصل الغزل ليبيعه فوجد السوق قد غلقت، ووجد المشترين قد قاموا وانصرفوا، فقال لو أتيت هذا الماء فتوضّأت منه وصببت عليّ منه وانصرفت، فجاء إلى البحر وإذا هو بصيّاد قد ألقى شبكته فأخرجها وليس فيها إلاّ سمكة رديئة قد مكثت عنده حتّى صارت رخوة منتنة، فقال له: بعني هذه السمكة وأعطيك هذا الغزل تنتفع به في شبكتك، قال: نعم، فأخذ السمكة ودفع إليه الغزل، وانصرف بالسمكة إلى منزله، فأخبر زوجته الخبر، فأخذت السمكة لتصلحها فلمّا شقّتها بدت من جوفها لؤلؤة، فدعت زوجها فأرته إيّاها فأخذها فانطلق بها إلى السوق فباعها بعشرين ألف درهم، وانصرف إلى منزله بالمال، فوضعه فإذا سائل يدقّ الباب ويقول: يا أهل الدار تصدّقوا رحمكم الله على المسكين، فقال له الرجل: ادخل فدخل، فقال له: خذ أحد الكيسين، فأخذ أحد الكيسين وانطلق، فقالت له امرأته: سبحان الله بينما نحن مياسير إذ ذهبت بنصف يسارنا، فلم يكن ذلك بأسرع من أن دقّ السائل الباب فقال له الرجل: ادخل فدخل، فوضع الكيس في مكانه، ثمّ قال: كل هنيئاً مريئاً، إنّما أنا ملك من ملائكة ربّك، إنّما أراد ربّك أن يبلوك فوجدك شاكراً، ثمّ ذهب(١).

توضيح: رجل محارف أي محدود محروم، وهو خلاف قولك: مبارك. والنصل: الغزل قد خرج من المغزل.

٢٢ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، وأبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار جميعاً، عن عليّ بن حديد، عن جميل، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله حمران فقال: جعلني الله فداك لو حدّثتنا متى يكون هذا الأمر فسررنا به، قال: يا حمران إنّ لك أصدقاء وإخواناً ومعارف، إنّ رجلاً كان فيما مضى من العلماء وكان له ابن لم يكن يرغب في علم أبيه ولا يسأله عن شيء، وكان له جار يأتيه ويسأله ويأخذ عنه، فحضر الرجل الموت فدعا ابنه فقال: يا بنيّ إنّك قد كنت تزهد فيما عندي وتقلّ رغبتك فيه، ولم تكن تسألني عن شيء ولي جار قد كان يأتيني ويسألني ويأخذ منّي ويحفظ عنّي، فإن احتجت إلى شيء فأته، وعرّفه جاره، فهلك الرجل وبقي ابنه فرأى ملك ذلك الزمان رؤياً فسأل عن الرجل فقيل له: قد هلك، فقال الملك: هل ترك ولداً؟ فقيل له: نعم ترك ابناً، فقال: ائتوني به، فبعث إليه ليأتي الملك، فقال الغلام: والله ما أدري لما يدعوني الملك،

(١) روضة الكافي، ص ٨٥٢ ح ٥٨٥.

وما عندي علم، ولئن سألني عن شيء لأفتضحنّ، فذكر ماكان أوصاه أبوه به، فأتى الرجل الّذي كان يأخذ العلم من أبيه فقال له: إنّ الملك قد بعث إليّ يسألني، ولست أدري فيمَ بعث إليّ، وقد كان أبي أمرني أن آتيك إن احتجت إلى شيء، فقال الرجل: ولكنّي أدري فيما بعث إليك، فإن أخبرتك فما أخرج الله لك من شيء فهو بيني وبينك، فقال: نعم، فاستحلفه واستوثق منه أن يفي فأوثق له الغلام، فقال: إنّه يريد أن يسألك عن رؤياً رآها أيّ زمان هذا؟ فقل له: هذا زمان الذئب، فأتاه الغلام فقال له الملك: أتدري لما أرسلت إليك؟ فقال: أرسلت إليّ تريد أن تسألني عن رؤياً رأيتها أيّ زمان هذا؟ فقال له الملك: صدقت، فأخبرني أيّ زمان هذا؟ فقال له: زمان الذئب، فأمر له بجائزة فقبضها الغلام وانصرف إلى منزله، وأبى أن يفي لصاحبه، وقال: لعلّي لا أنفد هذا المال ولا آكله حتّى أهلك، ولعلّي لا أحتاج ولا أُسأل عن مثل هذا الّذي سألت عنه، فمكث ما شاء الله.

ثمّ إنّ الملك رأى رؤياً فبعث إليه يدعوه فندم على ما صنع، وقال: والله ما عندي علم آتيه به، وما أدري كيف أصنع بصاحبي وقد غدرت به ولم أف له؛ ثمّ قال: لآتينّه على كلّ حال، ولأعتذرنّ إليه ولأحلفنّ له، فلعلّه يخبرني، فأتاه فقال: إنّي قد صنعت الّذي صنعت، ولم أف لك بما كان بيني وبينك، وتفرّق ما كان في يدي وقد احتجت إليك فأُنشدك الله أن لا تخذلني، أنا أوثق لك أن لا يخرج لي شيء إلاّ كان بيني وبينك وقد بعث إليّ الملك ولست أدري عمّا يسألني، فقال: إنّه يريد أن يسألك عن رؤياً رآها أيّ زمان هذا؟ فقل له: إنّ هذا زمان الكبش، فأتى الملك فدخل عليه فقال: لما بعثت إليك؟ فقال: إنّك رأيت رؤياً، وإنّك تريد أن تسألني أيّ زمان هذا، فقال له: صدقت فأخبرني أيّ زمان هذا؟ فقال: هذا زمان الكبش، فأمر له بصلة فقبضها، وانصرف إلى منزله، وتدبّر رأيه في أن يفي لصاحبه أو لا يفي فهمّ مرّة أن يفعل ومرّة أن لا يفعل ثمّ قال: لعلّي لا أحتاج إليه بعد هذه المرّة أبداً، وأجمع رأيه على الغدر وترك الوفاء فمكث ما شاء الله.

ثمّ إنّ الملك رأى رؤياً فبعث إليه فندم على ماصنع فيما بينه وبين صاحبه، وقال بعد غدر مرّتين: كيف أصنع وليس عندي علم، ثمّ أجمع رأيه على إتيان الرجل فأتاه فناشده الله تبارك وتعالى وسأله ان يعلمه وأخبره أنّ هذه المرّة يفي له، وأوثق له وقال: لا تدعني على هذه الحال فإنّي لا أعود إلى الغدر وسأفي لك، فاستوثق منه، فقال: إنّه يدعوك يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا؟ فإذا سألك فأخبره أنّه زمان الميزان، قال: فأتى الملك فدخل عليه فقال له: لمَ بعثت إليك؟ فقال: إنّك رأيت رؤياً وتريد أن تسألني أيّ زمان هذا، فقال: صدقت، فأخبرني أيّ زمان هذا؟ قال: هذا زمان الميزان، فأمر له بصلة فقبضها وانطلق بها إلى الرجل فوضعها بين يديه وقال: قد جئتك بما خرج لي فقاسمنيه.

فقال له العالم: إنّ الزمان الأوّل كان زمان الذئب وإنّك كنت من الذئاب، وإنّ الزمان

الثاني كان زمان الكبش يهمّ ولا يفعل، وكذلك كنت أنت تهمّ ولا تفي، وكان هذا زمان الميزان وكنت فيه على الوفاء، فاقبض مالك لا حاجة لي فيه، وردّه عليه[١].

بيان: قوله عليه السلام : (إنّ لك أصدقاء وإخواناً) لعلّ المقصود من إيراد الحكاية بيان أنّ هذا الزمان ليس زمان الوفاء بالعهود، فإن عرّفتك زمان ظهور الأمر فلك أصدقاء ومعارف فتحدثهم به فيشيع الخبر بين النّاس وينتهي إلى الفساد، والعهد بالكتمان لا ينفع، لأنّك لا تفي به إذ لم يأت بعد زمان الميزان.

أو المعنى أنّ لك معارف فانظر إليهم هل يوافقونك في أمر؟ أو يفون بعهدك في شيء؟ فكيف يظهر الإمام عليه السلام في مثل هذا الزمان.

أو المراد أنّه يمكنك استعلام ذلك، فانظر في حال معارفك وإخوانك فمهما رأيت منهم العزم على الانقياد والطاعة والتسليم التامّ لإمامهم فاعلم أنّه زمان ظهور القائم عجّل الله تعالى فرجه، فإنّ قيامه مشروط بذلك، وأهل كلّ زمان يكون عامّتهم على حالة واحدة كما يظهر من القصّة.

قوله: (ولكنّي أدري) لعلّ علمه كان بإخبار ذلك العالم، وكان العالم أخذه من الأنبياء حيث أخبروا بوحي السماء أنّ الملك سيرى تلك الأحلام وهذه تعبيرها، أو بأن أخذ من العالم نوعاً من العلم يمكنه استنباط أمثال تلك الأمور به، على أنّه يحتمل أن يكون نبيّاً علم ذلك بالوحي.

٢٣ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن ابن فضّال، عن الحسن ابن الجهم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إنّ رجلاً في بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة، ثمّ قرّب قرباناً فلم يقبل منه، فقال لنفسه: وما أوتيت إلاّ منك، وما الذنب إلّا لك، قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ذمّك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة[٢].

٢٤ - **نبه:** بنى ملك في بني إسرائيل مدينة فتنوّق في بنائها، ثمّ صنع للناس طعاماً ونصب على باب المدينة من يسأل عنها، فلم يعبها إلاّ ثلاثة عليهم الأكسية فإنّهم قالوا: رأينا عيبين، فسألهم، فقالوا: تخرب، ويموت صاحبها، فقال: هل تعلمون داراً تسلم من هذين العيبين؟ قالوا: نعم الآخرة، فخلّى ملكه وتعبّد معهم زماناً، ثمّ ودّعهم، فقالوا: هل رأيت منّا ما تكرهه؟ قال: لا، ولكن عرفتموني فإنّكم تكرموني فأصحب من لا يعرفني[٣].

٢٥ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن أبي أيّوب، عن يزيد

---

(١) روضة الكافي، ص ٨٤١ ح ٥٥٢.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٧٠ باب الاعتراف بالتقصير، ح ٣.

(٣) تنبيه الخواطر، ج ١ ص ٧٤.

الكناسيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ فتية من أولاد ملوك بني إسرائيل كانوا متعبّدين وكانت العبادة في أولاد ملوك بني إسرائيل، وإنّهم خرجوا يسيرون في البلاد ليعتبروا، فمرّوا بقبر على ظهر طريق قد سفى عليه السافي، ليس يتبيّن منه إلاّ رسمه، فقالوا: لو دعونا الله الساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر فساءلناه كيف وجد طعم الموت، فدعوا الله وكان دعاؤهم الّذي دعوا الله به: «أنت إلهنا يا ربّنا، ليس لنا إله غيرك، والبديع الدائم غير الغافل، الحيّ الّذي لا يموت، لك في كلّ يوم شأن، تعلم كلّ شيء بغير تعليم، انشر لنا هذا الميّت بقدرتك» قال: فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس واللّحية ينفض رأسه من التراب فزعاً شاخصاً بصره إلى السّماء، فقال لهم: ما يوقفكم على قبري؟ فقالوا: دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت؟ فقال لهم: لقد سكنت في قبري تسعة وتسعين سنة ما ذهب عنّي ألم الموت وكربه، ولا خرج مرارة طعم الموت من حلقي، فقالوا له: متّ يوم متّ وأنت على ما نرى أبيض الرأس واللّحية؟ قال: لا، ولكن لمّا سمعت الصيحة: اخرج اجتمعت تربة عظامي إلى روحي فبقيت فيه، فخرجت فزعاً شاخصاً بصري مهطعاً إلى صوت الداعي، فابيضّ لذلك رأسي ولحيتي[1].

٢٦ - **كا:** عليّ بن محمّد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن غير واحد، عن عليّ بن أسباط، عن الحسن بن الجهم قال: قال أبوالحسن عليه السلام: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ رجلاً من بني إسرائيل كان له ابن وكان له محبّاً فأتي في منامه فقيل له: إنّ ابنك ليلة يدخل بأهله يموت، قال: فلمّا كان تلك اللّيلة وبنى عليه أبوه توقّع أبوه ذلك فأصبح ابنه سليماً، فأتاه أبوه فقال: يا بنيّ هل عملت البارحة شيئاً من الخير؟ قال: لا إلاّ أنّ سائلاً أتى الباب وقد كانوا ادّخروا لي طعاماً فأعطيته السائل، فقال: بهذا دفع عنك[2].

٢٧ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن الوشّاء، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: كان رجل من بني إسرائيل ولم يكن له ولد فولد له غلام، وقيل له: إنّه يموت ليلة عرسه، فمكث الغلام، فلمّا كان ليلة عرسه نظر إلى شيخ كبير ضعيف فرحمه الغلام فدعاه فأطعمه، فقال له السائل: أحييتني أحياك الله، قال: فأتاه آت في النوم، فقال له: سل ابنك ما صنع، فسأله فخبّره بصنعه، قال: فأتاه الآتي مرّة أخرى في النوم فقال له: إنّ الله أحيا لك ابنك بما صنع بالشيخ[3].

٢٨ - **ما:** الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن عليّ بن حبيش عن عبّاس بن محمّد بن الحسين، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن الحسين بن أبي غندر عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رجل شيخ ناسك يعبد الله في بني إسرائيل، فبينا هو

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ١٣٣ باب ١٦٦ ح ٣٨.

(٢) - (٣) الكافي، ج ٤ ص ٣٠١ باب ٢ ح ٨ و١٠.

يصلّي وهو في عبادته إذ بصر بغلامين صبيّين قد أخذا ديكاً وهما ينتفان ريشه، فأقبل على ما هو فيه من العبادة ولم ينههما عن ذلك، فأوحى الله إلى الأرض: أن سيخي بعبدي، فساخت به الأرض، فهو يهوي أبد الآبدين، ودهر الداهرين[١].

٢٩ - وبهذا الإسناد عن الحسين، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ الله أهبط ملكين إلى قرية ليهلكهم، فإذا هما برجل تحت اللّيل قائم يتضرّع إلى الله ويتعبّد، قال: فقال أحد الملكين للآخر: إنّي أعاود ربّي في هذا الرجل، وقال الآخر: بل تمضي لما أمرت ولا تعاود ربّي فيما قد أمر به، قال: فعاود الآخر ربّه في ذلك، فأوحى الله إلى الّذي لم يعاود ربّه فيما أمره: أن أهلكه معهم فقد حلّ به معهم سخطي، إنّ هذا لم يتمعّر وجهه قطّ غضباً لي، والملك الّذي عاود ربّه فيما أمر سخط الله عليه فأهبط في جزيرة فهو حتّى الساعة فيها ساخط عليه ربّه[٢].

بيان: تمعّر وجهه: تغيّر.

٣٠ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن الحكم بن مسكين، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان ملك في بني إسرائيل وكان له قاض، وللقاضي أخ، وكان رجل صدق وله امرأة قد ولدتها الأنبياء، فأراد الملك أن يبعث رجلاً في حاجة فقال للقاضي: ابغني رجلاً ثقة، فقال: ما أعلم أحداً أوثق من أخي فدعاه ليبعثه، فكره ذلك الرجل، وقال لأخيه: إنّي أكره أن أضيّع امرأتي، فعزم عليه فلم يجد بدّاً من الخروج، فقال لأخيه: يا أخي إنّي لست أخلّف شيئاً أهمّ عليّ من امرأتي فاخلفني فيها وتولّ قضاء حاجتها، قال: نعم، فخرج الرجل وقد كانت المرأة كارهة لخروجه، فكان القاضي يأتيها ويسألها عن حوائجها ويقوم لها فأعجبته فدعاها إلى نفسه فأبت عليه، فحلف عليها لئن لم تفعل ليخبرنّ الملك أنّها قد فجرت، فقالت: اصنع ما بدا لك، لست أجيبك إلى شيء ممّا طلبت، فأتى الملك فقال: إنّ امرأة أخي قد فجرت وقد حقّ ذلك عندي، فقال له الملك: طهّرها، فجاء إليها فقال: إنّ الملك قد أمرني برجمك فما تقولين؟ تجيبيني وإلاّ رجمتك، فقالت: لست أجيبك فاصنع ما بدا لك، فأخرجها فحفر لها فرجمها ومعه الناس، فلمّا ظنّ أنّها قد ماتت تركها وانصرف وجنّ بها اللّيل وكان بها رمق فتحرّكت فخرجت من الحفيرة، ثمّ مشت على وجهها حتّى خرجت من المدينة، فانتهت إلى دير فيه ديرانيّ فنامت على باب الدير، فلمّا أصبح الديرانيّ فتح الباب فرآها فسألها عن قصّتها فخبّرته فرحمها فأدخلها الدير، وكان له ابن صغير لم يكن له غيره، وكان حسن الحال، فداواها حتّى برئت من علّتها واندملت، ثمّ دفع إليها ابنه فكانت تربّيه.

---

(١) - (٢) أمالي الطوسي، ص ٦٦٩ مجلس ٣٦ ح ١٤٠٧-١٤٠٨.

وكان للديرانيّ قهرمان يقوم بأمره فأعجبته فدعاها إلى نفسه، فأبت فجهد بها فأبت، فقال: لئن لم تفعلي لأجهدن في قتلك، فقالت: اصنع ما بدا لك، فعمد إلى الصبيّ فدقّ عنقه، وأتى الديرانيّ فلمّا رآه قال لها: ماهذا فقد تعلمين صنيعي بك؟ فأخبرته بالقصّة، فقال لها: ليس تطيب نفسي أن تكوني عندي فاخرجي، فأخرجها ليلاً ودفع إليها عشرين درهماً وقال لها: تزوّدي هذه، الله حسبك.

فخرجت ليلاً فأصبحت في قرية فإذا فيها مصلوب على خشبة وهو حيّ، فسألت عن قصّته، فقالوا: عليه دين عشرون درهماً، ومن كان عليه دين عندنا لصاحبه صلب حتّى يؤدّي إلى صاحبه، فأخرجت العشرين درهماً ودفعتها إلى غريمه وقالت: لا تقتلوه، فأنزلوه عن الخشبة، فقال لها: ما أحد أعظم عليّ منّة منك، نجّيتني من الصلب ومن الموت، فأنا معك حيثما ذهبت، فمضى معها ومضت حتّى انتهيا إلى ساحل البحر، فرأى جماعة وسفناً، فقال لها: اجلسي حتّى أذهب أنا أعمل لهم وأستطعم وآتيك به، فأتاهم فقال لهم: ما في سفينتكم هذه؟ قالوا: في هذه تجارات وجوهر وعنبر وأشياء من التجارة، وأمّا هذه فنحن فيها، قال: وكم يبلغ ما في سفينتكم؟ قالوا: كثيراً لا نحصيه، قال: فإنّ معي شيئاً هو خير ممّا في سفينتكم، قالوا: وما معك؟ قال: جارية لم تروا مثلها قطّ، قالوا: فبعناها، قال: نعم على شرط أن يذهب بعضكم فينظر إليها ثمّ يجيئني فيشتريها ولا يعلمها، ويدفع إليّ الثمن ولا يعلمها حتّى أمضي أنا، فقالوا: ذلك لك، فبعثوا من نظر إليها، فقال: ما رأيت مثلها قطّ، فاشتروها منه بعشرة آلاف درهم، ودفعوا إليه الدراهم فمضى بها.

فلمّا أمعن أتوها فقالوا لها: قومي وادخلي السفينة، قالت: ولمَ؟ قالوا: قد اشتريناك من مولاك، قالت: ما هو بمولاي، قالوا: لتقومين أو لنحملنك، فقامت ومضت معهم، فلمّا انتهوا إلى الساحل لم يأمن بعضهم بعضاً عليها، فجعلوها في السفينة الّتي فيها الجوهر والتجارة، وركبوا هم في السفينة الأخرى، فدفعوها فبعث الله عزّوجلّ عليهم رياحاً فغرقتهم وسفينتهم ونجت السفينة الّتي كانت فيها حتّى انتهت إلى جزيرة من جزائر البحر وربطت السفينة، ثمّ دارت في الجزيرة فإذا فيها ماء وشجر فيه ثمر، فقالت: هذا ماء أشرب منه، وثمر آكل منه، أعبد الله في هذا الموضع.

فأوحى الله عزّوجلّ إلى نبيّ من أنبياء بني إسرائيل أن يأتي ذلك الملك فيقول إنّ في جزيرة من جزائر البحر خلقاً من خلقي، فاخرج أنت ومن في مملكتك حتّى تأتوا خلقي هذا فتقرّوا له بذنوبكم، ثمّ تسألوا ذلك الخلق أن يغفر لكم، فإن غفر لكم غفرت لكم، فخرج الملك بأهل مملكته إلى تلك الجزيرة فرأوا امرأة، فتقدّم إليها الملك فقال لها: إنّ قاضيّ هذا أتاني فخبّرني أنّ امرأة أخيه فجرت فأمرته برجمها ولم يقم عندي البيّنة، فأخاف أن أكون قد تقدّمت على ما لا يحلّ لي فأحبّ أن تستغفري لي، فقالت: غفر الله لك، اجلس.

ثمّ أتى زوجها ولا يعرفها فقال: إنّه كان لي امرأة وكان من فضلها وصلاحها، وإنّي خرجت عنها وهي كارهة لذلك، فاستخلفت أخي عليها، فلمّا رجعت سألت عنها فأخبرني أخي أنّها فجرت فرجمها، وأنا أخاف أن أكون قد ضيّعتها فاستغفري لي، فقالت: غفر الله لك اجلس، فأجلسته إلى جنب الملك.

ثمّ أتى القاضي فقال: إنّه كان لأخي امرأة وإنّها أعجبتني فدعوتها إلى الفجور فأبت، فأعلمت الملك أنّها قد فجرت وأمرني برجمها فرجمتها وأنا كاذب عليها فاستغفري لي، قالت: غفر الله لك، ثمّ أقبلت على زوجها فقالت: اسمع.

ثمّ تقدّم الديرانيّ فقصّ قصّته، وقال: أخرجتها باللّيل، وأنا أخاف أن تكون قد لقيها سبع فقتلها، فقالت: غفر الله لك اجلس.

ثمّ تقدّم القهرمان فقصّ قصّته، فقالت للديرانيّ: اسمع غفر الله لك. ثمّ تقدّم المصلوب فقصّ قصّته فقالت: لا غفر الله لك.

قال: ثمّ أقبلت على زوجها فقالت: أنا امرأتك، وكلّ ما سمعت فإنّما هو قصّتي وليست لي حاجة في الرجال، فأنا أحبّ أن تأخذ هذه السفينة وما فيها وتخلّي سبيلي فأعبد الله عزّ وجلّ في هذه الجزيرة فقد ترى ما لقيت من الرجال ففعل وأخذ السفينة وما فيها وخلّى سبيلها وانصرف الملك وأهل مملكته[١].

٣١ - كا: عليّ بن محمّد بن عبد الله، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن محمّد بن سليمان الديلميّ، عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: فلان من عبادته ودينه وفضله كذا، فقال: كيف عقله؟ قلت: لا أدري، فقال: إنّ الثواب على قدر العقل، إنّ رجلاً من بني إسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر، خضراء نضرة، كثيرة الشجر طاهرة الماء، وإنّ ملكاً من الملائكة مرّ به فقال: يا ربّ أرني ثواب عبدك هذا، فأراه الله ذلك فاستقلّه الملك، فأوحى الله إليه: أن اصحبه، فأتاه الملك في صورة إنسيّ، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا رجل عابد، بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان فأتيتك لأعبد الله معك فكان معه يومه ذلك، فلمّا أصبح قال له الملك: إنّ مكانك لنزه وما يصلح إلاّ للعبادة، فقال له العابد: إنّ لمكاننا هذا عيباً، فقال له: وما هو؟ قال: ليس لربّنا بهيمة، فلو كان له حمار رعيناه في هذا الموضع، فإنّ هذا الحشيش يضيع، فقال له الملك: وما لربّك حمار؟ فقال: لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش! فأوحى الله إلى الملك: إنّما أثيبه على قدر عقله[٢].

٣٢ - كا: عليّ بن إبراهيم، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن الحسن بن الحسين، عن

(١) الكافي، ج ٥ ص ٨٨٦ باب ٣٨٠ ح ١٠.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ١١ كتاب العقل والجهل ح ٨.

محمّد بن سنان، عن أبي سعيد المكاريّ، عن أبي حمزة الثماليّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ رجلاً ركب البحر بأهله فكسر بهم فلم ينج ممّن كان في السفينة إلّا امرأة الرجل فإنّها نجت على لوح من ألواح السفينة حتّى ألجأت إلى جزيرة من جزائر البحر، وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلّا انتهكها، فلم يعلم إلاّ والمرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه إليها فقال: إنسيّة أم جنّيّة؟ فقالت: إنسيّة، فلم يكلّمها كلمة حتّى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلمّا أن همّ بها اضطربت، فقال لها: ما لك تضطربين؟ فقالت: أفرق من هذا، - وأومأت بيدها إلى السماء - قال: فصنعت من هذا شيئاً؟ قالت: لا وعزّته، قال: فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تصنعي من هذا شيئاً وإنّما استكرهتك استكراهاً فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف وأحقّ منك، قال: فقام ولم يحدث شيئاً، ورجع إلى أهله وليس له همّة إلاّ التوبة والمراجعة، فبينما هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق، فحميت عليهما الشمس، فقال الراهب للشابّ: ادع الله يظلّنا بغمامة فقد حميت علينا الشمس، فقال الشابّ: ما أعلم أنّ لي عند ربّي حسنة فأتجاسر على أن أسأله شيئاً، قال: فأدعو أنا وتؤمّن أنت، قال: نعم، فأقبل الراهب يدعو والشابّ يؤمّن، فما كان بأسرع من أن أظلّتهما غمامة فمشيا تحتها مليّاً من النهار، ثمّ انفرجت الجادّة جادّتين فأخذ الشابّ في واحدة، وأخذ الراهب في واحدة فإذا السحاب مع الشابّ، فقال الراهب: أنت خير منّي لك أستجيب ولم يستجب لي، فخبّرني ما قصّتك، فأخبره بخبر المرأة، فقال: غفر لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون فيما تستقبل[1].

٣٣ - كا: محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ الرجل كان إذا تعبّد في بني إسرائيل لم يعدّ عابداً حتّى يصمت قبل ذلك عشر سنين[2].

٣٤ - كا: العدّة، عن البرقيّ، عن أبيه، عن أبي عمّارة قال: روينا أنّ عابد بني إسرائيل كان إذا بلغ الغاية في العبادة صار مشّاءً في حوائج الناس عانياً بما يصلحهم[3].

٣٥ - كا: عليّ، عن أبيه ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختريّ قال: أبطأت عن الحجّ فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما بطأ بك عن الحجّ؟ فقلت: جعلت فداك تكفّلت برجل فخفرني، فقال: ما لك والكفالات؟ أما علمت أنّها أهلكت القرون الأولى؟

ثمّ قال: إنّ قوماً أذنبوا ذنوباً كثيرة فأشفقوا منها وخافوا خوفاً شديداً فجاء آخرون فقالوا:

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٦٨ باب الخوف والرجاء ح ٨.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٩٢ باب الحلم ح ١.

(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٤٠ باب السعي في حاجة المؤمن ح ١١.

ذنوبكم علينا، فأنزل الله عزّوجلّ عليهم العذاب. ثمّ قال تبارك وتعالى: خافوني واجترأتم عليّ[١].

٣٦ - **دعوات الراونديّ**: روي أنّ عابداً في بني إسرائيل سأل الله تبارك وتعالى فقال: يا ربّ ما حالي عندك؟ أخير فأزداد في خيري، أو شرّ فأستعتب قبل الموت؟ قال: فأتاه آت فقال له: ليس لك عند الله خير، قال: يا ربّ وأين عملي؟ قال: كنت إذا عملت خيراً أخبرت الناس به، فليس لك منه إلاّ الّذي رضيت به لنفسك، قال: فشقّ ذلك عليه وأحزنه، قال: فكرّر الله إليه الرسول فقال: يقول الله تبارك وتعالى: فمن الآن فاشتر منّي نفسك فيما تستقبل بصدقة تخرجها عن كلّ عرق كلّ يوم صدقة، قال: يا ربّ أويطيق هذا أحد؟ فقال تعالى: لست أكلّفك إلاّ ما تطيق، قال: فماذا يا ربّ؟ فقال: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله» تقول هذا كلّ يوم ثلاث مائة وستّين مرّة، يكون كلّ كلمة صدقة عن كلّ عرق من عروقك، قال: فلمّا رأى بشارة ذلك قال: يا ربّ زدني، قال: إن زدت زدتك[٢].

٣٧ - **ين**: النضر، عن درست، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها، فلمّا انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله ويتضرّع إليه، فقال أحدهما للآخر: أما ترى هذا الداعي، فقال: قد رأيته ولكن أمضي لما أمرني به ربّي، فقال: ولكنّي لا أحدث شيئاً حتّى أرجع إلى ربّي، فعاد إلى الله تبارك وتعالى فقال: يا ربّ إنّي انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك ويتضرّع إليك، فقال: امض لما أمرتك به فإنّ ذلك رجل لم يتمعّر وجهه غضباً لي قطّ[٣].

كا: محمّد بن يحيى، عن الحسين بن إسحاق، عن عليّ بن مهزيار، عن النضر مثله[٤].

٣٨ - **ختص**: الصدوق، عن أبيه، عن محمّد بن أبي القاسم، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ عن محمّد بن سنان، عن عليّ بن جميل الغنويّ، عن أبي حمزة الثماليّ قال: كان رجل من أبناء النبيّين له ثروة من مال، وكان ينفق على أهل الضعف وأهل المسكنة وأهل الحاجة فلم يلبث أن مات، فقامت امرأته في ماله كقيامه، فلم يلبث المال أن نفد، ونشأ له ابن فلم يمرّ على أحد إلاّ ترحّم على أبيه، وسأل الله أن يخيره فجاء إلى أمّه فقال: ما كان حال أبي فإنّي لا أمرّ على أحد إلاّ ترحّم عليه وسأل الله أن يخيرني؟ فقالت: إنّ أباك كان رجلاً صالحاً، وكان له مالٌ كثيرٌ، فكان ينفق على أهل الضعف وأهل المسكنة وأهل الحاجة، فلمّا أن مات قمت في ماله كقيامه، فلم يلبث المال أن نفد، قال لها: يا أمّة إنّ أبي كان مأجوراً فيما ينفق وكنت

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٦٤٤ باب ٦١ ح ١.
(٢) دعوات الراوندي، ص ١٣٥.
(٣) الزهد، ص ١٣٣ باب ١١ ح ٦.
(٤) الكافي، ج ٥ باب ٢٨ ح ٨.

آثمة! قالت: ولمَ يا بنيّ؟ فقال: كان أبي ينفق ماله، وكنت تنفقين مال غيرك، قالت: صدقت يا بنيّ وما أراك تضيق عليّ، قال: أنت في حلّ وسعة، فهل عندك شيء نلتمس به من فضل الله؟ قالت: عندي مائة درهم، فقال: إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يبارك في شيء بارك، فأعطته المائة درهم فأخذها، ثمّ خرج يلتمس من فضل الله عزّ وجلّ، فمرّ برجل ميّت على ظهر الطريق من أحسن ما يكون هيئة، فقال: أريد تجارة بعد هذا أن آخذه وأغسّله وأكفّنه وأصلّي عليه وأقبره ففعل، فأنفق عليه ثمانين درهماً، وبقيت معه عشرون درهماً، فخرج على وجهه يلتمس به من فضل الله فاستقبله رجل فقال: أين تريد يا عبد الله؟ فقال: أريد ألتمس من فضل الله، قال: وما معك شيءٌ تلتمس من فضل الله؟ قال: نعم معي عشرون درهماً، قال: وأين يقع منك عشرون درهماً؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يبارك في شيء بارك فيه، قال: صدقت، ثمّ قال: فأرشدك وتشركني؟ قال: نعم، قال: فإنّ أهل هذه الدار يضيّفونك فاستضفهم، فإنّه كلّما جاءك الخادم معه هرّ أسود[1] فقل له: تبيع هذا الهرّ؟ وألحّ عليه فإنّك ستضجره فيقول: أبيعكه بعشرين درهماً، فإذا باعكه فأعطه العشرين درهماً، وخذه فاذبحه، وخذ رأسه فاحرقه، ثمّ خذ دماغه، ثمّ توجّه إلى مدينة كذا وكذا، فإنّ ملكهم أعمى فأخبرهم أنّك تعالجه ولا يرهبنّك ما ترى من القتلى والمصلّبين، فإنّ أولئك كان يختبرهم على علاجه، فإذا لم ير شيئاً قتلهم، فلا يهولنّك، وأخبر بأنّك تعالجه واشترط عليه فعالجه، ولا تزده أوّل يوم من كحلة، فإنّه سيقول لك: زدني فلا تفعل، ثمّ اكحله من الغد أخرى، فإنّك سترى ما تحبّ، فيقول لك: زدني فلا تفعل، فإذا كان اليوم الثالث فاكحله فإنّك سترى ما تحبّه فيقول لك: زدني، فلا تفعل.

فلمّا أن فعل ذلك برئ، فقال: أفدتني ملكي ورددته عليّ وقد زوّجتك ابنتي قال: إنّ لي أمّاً، قال: فأقم معي ما بدا لك، فإذا أردت الخروج فاخرج، قال: فأقام في ملكه سنة يدبّره بأحسن تدبير وأحسن سيرة، فلمّا أن حال عليه الحول قال له: إنّي أريد الانصراف، فلم يدع شيئاً إلاّ زوّده من كراع وغنم وآنية ومتاع، ثمّ خرج حتّى انتهى إلى الموضع الّذي رأى فيه الرجل، فإذا الرجل قاعد على حاله، فقال: ما وفيت، فقال الرجل: فاجعلني في حلّ ممّا مضى.

قال: ثمّ جمع الأشياء ففرقها فرقتين، ثمّ قال: تخيّر، فتخيّر أحدهما، ثمّ قال: وفيت؟ قال: لا، قال: ولمَ؟ قال: المرأة ممّا أصبت، قال: صدقت، فخذ ما في يدي لك مكان المرأة، قال: ولا آخذ ما ليس لي ولا أتكثّر به، قال: فوضع على رأسها المنشار ثمّ قال: اختر، فقال: قد وفيت، وكلّ ما معك وكلّ ما جئت به فهو لك، وإنّما بعثني الله تبارك وتعالى

---

(١) أقول: في المجمع الهر بالكسر والتشديد: السنور، والجمع هررة وزان قرد وقردة، ويقع على الذكر والانثى وقد يدخلون الهاء في المؤنث [النمازي].

لأكافيك عن الميّت الّذي كان على الطريق فهذا مكافأتك عليه[١].

٣٩ - **كنز الفوائد للكراجكيّ:** عن عبد الله بن موهب قال: أصاب بعض عمّال معاوية محفراً بمصر احتفره بعض أهلها لحاجتهم، فأفضى بهم ذلك إلى مخضب عظيم مطبق فظنّوه مالاً، فبعث العامل إليه أمناءه ليحفروا مافيه، فلمّا فتحوه أصابوا شابّاً عليه جبّة صوف وكساء صوف وخفّ إلى نصف ساقه، وأصابوا عند رأسه كتاباً بالعبرانية فيه: أنا حبيب بن ناجز صاحب رسول الله موسى بن عمران عليه‌السلام من أراد أن يأخذ بالناموس الأكبر فليخالف بني إسرائيل فإنّهم قد تواكلوا الحكم، وعملوا بالهوى، وباعوا الرضى، وتركوا المنهاج الّذي أخذ عليه ميثاقهم[٢].

٣٢ - باب بعض أحوال ملوك الأرض

الآيات: الدخان: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ «٣٧».

ق «٥٠»: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ «١٤».

تفسير: قال الطبرسيّ عليه‌السلام: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ أي أمشركو قريش أظهر نعمة وأكثر أموالاً وأعزّ في القوّة والقدرة أم قوم تبّع الحميريّ؟ الّذي سار بالجيوش حتّى حيّز الحيرة، ثمّ أتى سمرقند فهدمها ثمّ بناها، وكان إذا كتب كتب: باسم الّذي ملك برّاً وبحراً وضحّاً وريحاً، عن قتادة؛ وسمّي تبّعاً لكثرة أتباعه من الناس؛ وقيل: سمّي تبّعاً لأنّه تبع من قبله من ملوك اليمن، والتبابعة: اسم ملوك اليمن، فتبّع لقب له، كما يقال خاقان لملك الترك، وقيصر لملك الروم؛ واسمه أسعد أبو كرب.

وروى سهل بن سعد، عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه قال: لا تسبّوا تبّعاً فإنّه كان قد أسلم. وقال كعب: نعم الرجل الصالح ذمّ الله قومه ولم يذمّه.

وروى الوليد بن صبيح عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: إنّ تبّعاً قال للأوس والخزرج كونوا ههنا حتّى يخرج هذا النبيّ، أما أنا لو أدركته لخدمته وخرجت معه[٣].

١ - **ع، ن:** سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه‌السلام لمَ سمّي تبّع تبّعاً؟ فقال: لأنّه كان غلاماً كاتباً، وكان يكتب لملك كان قبله، فكان إذا كتب كتب: بسم الله الّذي خلق ضحّاً وريحاً[٤]، فقال الملك: اكتب وابدأ باسم ملك الرعد، فقال: لا أبدأ إلاّ باسم إلهي، ثمّ

---

(١) الاختصاص، ص ٢١٤. (٢) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٨٢.

(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ١١١.

(٤) ضحاً وريحاً، وفي أكثر النسخ صبحاً، وهو تصحيف. قال الجوهري: قولهم جاء فلان بالضح والريح أي بما طلعت عليه الشمس، وما جرت عليه الريح يعني من الكرم والعامة تقول بالضبح والريح وليس بشي (منه رحمه الله).

أعطف على حاجتك، فشكر الله عزّوجلّ له ذلك فأعطاه ملك ذلك الملك فتابعه الناس على ذلك فسمّي تبّعاً[(١)].

٢ - **ما:** ويروى أنّ عبيد بن الأبرص الأسديّ قال للمنذر بن ماء السحاب حين حيّره وأراد قتله: إن شئت من الأكحل وإن شئت من الأبجل وإن شئت من الوريد، فقال: أبيت اللّعن، ثلاث خصال كسحائب عاد، ولا خير فيها لمرتاد[(٢)].

بيان: الأكحل: هو عرق الحياة أو عرق في اليد. والأبجل: عرق غليظ في الرجل، أو في اليد بإزاء الأكحل. والوريدان: عرقان في العنق. وقال الجزريّ في قوله: أبيت اللّعن: كان هذا في تحايا الملوك في الجاهليّة والدعاء لهم، ومعناه: أبيت أن تفعل فعلاً تلعن بسببه وتذمّ.

٣ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن معروف بن خرّبوذ، عن أبي جعفر، عن أبيه عليهما السلام، عن جابر، عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه يحدّث أنّه كان في ملوك فارس ملك يقال له روذين، جبّار عنيد عات، فلمّا اشتدّ في ملكه فساده في الأرض ابتلاه الله بالصداع في شقّ رأسه الأيمن حتّى منعه من المطعم والمشرب، فاستغاث وذلّ ودعا وزراءه فشكا إليهم ذلك، فأسقوه الأدوية، وأيس من سكونه، فعند ذلك بعث الله نبيّاً فقال له: اذهب إلى روذين عبدي الجبّار في هيئة الأطبّاء، وابتدئه بالتعظيم له، والرفق به ومنّه سرعة الشفاء بلا دواء تسقيه ولاكيّ تكويه، فإذا رأيته قد أقبل بوجهه إليك فقل: إنّ شفاء دائك في دم صبيّ رضيع بين أبويه يذبحانه لك طائعين غير مكرهين، فتأخذ من دمه ثلاث قطرات، فتسعط به في منخرك الأيمن تبرأ من ساعتك. ففعل النبيّ ذلك، فقال الملك: ما أعرف في النّاس هذا، قال: إن بذلت العطيّة وجدت البغية، قال: فبعث الملك بالرسل في ذلك فوجدوا جنيناً بين أبويه محتاجين فأرغبهما في العطيّة، فانطلقا بالصبيّ إلى الملك فدعا بطاس من فضّة وشفرة وقال لأمّه: امسكي ابنك في حجرك، فأنطق الله الصبيّ وقال: أيّها الملك كفّهما عن ذبحي، فبئس الوالدان هما، أيّها الملك إنّ الصبيّ الضعيف إذا ضيم كان أبواه يدفعان عنه، وإنّ أبويّ ظلماني، فإيّاك أن تعينهما على ظلمي، ففزع الملك فزعاً شديداً أذهب عنه الداء، ونام روذين في تلك الحالة فرأى في النوم من يقول له: إنّ الإله الأعظم أنطق الصبيّ ومنعك ومنع أبويه من ذبحه، وهو ابتلاك بالشقيقة لتنزعك من سوء السيرة في البلاد، وهو الّذي ردّك إلى الصحّة وقد وعظك بما أسمعك، فانتبه ولم يجد وجعاً، وعلم أن كلّه من الله تعالى فسار في البلاد بالعدل.

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٣٦ باب ٢٩٦ ح ١، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٣ باب ٢٤ ح ١.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٣٠.

٤ - **ك**: أبي وابن الوليد معاً، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن محمّد بن إسماعيل القرشيّ، عمّن حدّثه، عن إسماعيل ابن أبي رافع، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ إنّ جبرئيل نزل عليّ بكتاب فيه خبر الملوك ملوك الأرض قبلي، وخبر من بعث قبلي من الأنبياء والرسل - وهو حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة إليه قال: لمّا ملك أشبخ بن أشجان وكان يسمّى الكيس وملك مائتين وستّاً وستّين سنة، ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام، واستودعه النور والعلم والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله، وزاده الإنجيل، وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته، وإلى الإيمان بالله وبرسوله، فأبى أكثرهم إلاّ طغياناً وكفراً، فلمّا لم يؤمنوا به دعا ربّه وعزم عليه فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا، فلم يزدهم ذلك إلاّ طغياناً وكفراً، فأتى بيت المقدس يدعوهم ويرغّبهم فيما عند الله ثلاثاً وثلاثين سنة حتّى طلبته اليهود وادّعت أنّها عذّبته ودفنته في الأرض حيّاً، وادّعى بعضهم أنّهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم عليه سلطاناً، وإنّما شبّه لهم، وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبه قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فلم يقتدروا على قتله وصلبه لأنّهم لو قدروا على ذلك كان تكذيباً لقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ بعد أن توفّاه عليه السلام، فلمّا أراد الله أن يرفعه أوحى إليه أن يستودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا خليفته على المؤمنين، ففعل ذلك فلم يزل شمعون يقوم بأمر الله عزّ وجلّ ويهتدي بجميع مقال عيسى عليه السلام في قومه من بني إسرائيل ويجاهد الكفّار، فمن أطاعه وآمن به وبما جاء به كان مؤمناً، ومن جحده وعصاه كان كافراً حتّى استخلص ربّنا عزّ وجلّ وبعث في عباده نبيّاً من الصالحين وهو يحيى بن زكريّا عليه السلام فمضى شمعون، وملك عند ذلك أردشير بن أشكان أربع عشرة سنة وعشرة أشهر، وفي ثمانية سنين من ملكه قتلت اليهود يحيى بن زكريّا عليه السلام، فلمّا أراد الله أن يقبضه أوحى إليه أن يجعل الوصيّة في ولد شمعون ويأمر الحواريّين وأصحاب عيسى عليه السلام بالقيام معه، ففعل ذلك وعندها ملك سابور بن أردشير ثلاثين سنة حتّى قتله الله، وعلم الله ونوره وتفصيل حكمته في ذرّيّة يعقوب ابن شمعون ومعه الحواريّون من أصحاب عيسى عليه السلام وعند ذلك ملك بخت نصّر مائة سنة وسبعاً وثمانين سنة، وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريّا عليه السلام وخرّب بيت المقدس، وتفرّقت اليهود في البلدان، وفي سبع وأربعين سنة من ملكه بعث الله العزير نبيّاً إلى أهل القرى الّتي أمات الله أهلها ثمّ بعثهم له، وكانوا من قرى شتّى فهربوا فرقاً من الموت، فنزلوا في جوار عزير وكانوا مؤمنين، وكان عزير يختلف إليهم ويسمع كلامهم وإيمانهم وأحبّهم على ذلك وآخاهم عليه، فغاب عنهم يوماً واحداً، ثمّ أتاهم فوجدهم موتى صرعى فحزن عليهم وقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ تعجّباً منه حيث أصابهم وقد ماتوا

أجمعين في يوم واحد، فأماته الله عند ذلك مائة عام وهي مائة سنة، ثمّ بعثه الله وإيّاهم، وكانوا مائة ألف مقاتل، ثمّ قتلهم الله أجمعين لم يفلت منهم واحد على يدي بخت نصّر.

ثمّ ملك مهرويه بن بخت نصّر ستة عشرة سنة وعشرين يوماً، فأخذ عند ذلك دانيال وحفر له جبّاً في الأرض، وطرح فيه دانيال وأصحابه وشيعته من المؤمنين، وألقى عليهم النيران، فلمّا رأى أنّ النار لا تقربهم ولا تحرقهم استودعهم الجبّ وفيه الأسد والسباع، وعذّبهم بكلّ نوع من العذاب حتّى خلّصهم الله منه، وهم الّذين ذكرهم الله في كتابه فقال: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ فلمّا أراد الله أن يقبض دانيال عليه السلام أمره أن يستودع نور الله وحكمته مكيخا بن دانيال، ففعل وعند ذلك ملك هرمز ثلاثة وستّين سنة وثلاثة أشهر وأربعة أيّام، وملك بعده بهرام ستّاً وعشرين، وولّي أمر الله مكيخا بن دانيال وأصحابه المؤمنون وشيعته الصدّيقون غير أنّهم لا يستطيعون أن يظهروا الإيمان في ذلك الزمان ولا أن ينطقوا به.

وعند ذلك ملك بهرام بن بهرام سبع سنين، وفي زمانه انقطعت الرسل وكانت الفترة وولي أمر الله يومئذ مكيخا بن دانيال وأصحابه المؤمنون، فلمّا أراد الله أن يقبضه أوحى إليه في منامه أن يستودع نور الله وحكمته انشوا بن مكيخا، وكانت الفترة بين عيسى عليه السلام وبين محمّد صلى الله عليه وآله أربعمائة سنة وثمانين سنة، وأولياء الله يومئذ في الأرض ذرّيّة انشوا بن مكيخا يرث ذلك منهم واحد بعد واحد ممّن يختاره الجبّار عزّ وجلّ.

فعند ذلك ملك سابور بن هرمز اثنتين وتسعين سنة، وهو أوّل من عقد التاج ولبسه، وولي أمر الله يومئذ انشوا بن مكيخا، وملك بعده أردشير أخو سابور سنتين، وفي زمانه بعث الله عزّ وجلّ الفتية أهل الكهف والرقيم، وولي أمر الله يومئذ دسيحاء بن انشوا بن مكيخا، وعند ذلك ملك سابور بن أردشير خمسين سنة، وولي أمر الله يومئذ في الأرض دسيحا بن انشوا. وملك بعده يزدجرد بن سابور إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً، وولي أمر الله يومئذ في الأرض دسيحا بن انشوا، فلمّا أراد الله تبارك وتعالى أن يقبض دسيحا أوحى إليه في منامه أن يستودع علم الله ونوره وتفصيل حكمته نسطورس بن دسيحا ففعل.

وعند ذلك ملك بهرام جور ستّاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً، وولي أمر الله في الأرض نسطورس بن دسيحا.

وعند ذلك ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام سبعاً وعشرين سنة، وولي أمر الله في الأرض نسطورس بن دسيحا وأصحابه المؤمنون، فلمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يقبضه إليه أوحى إليه في منامه أن يستودع علم الله ونوره وحكمته وكتبه مرعيدا، وعند ذلك ملك فلاس بن فيروز أربع سنين، وولي أمر الله مرعيدا، وملك بعده قباد بن فيروز ثلاثاً وأربعين سنة، وملك بعده جاماسف أخو قباد ستّاً وأربعين سنة، وولي أمر الله في الأرض يومئذ مرعيدا.

وعند ذلك ملك كسرى بن قباد ستّاً وأربعين سنة وثمانية أشهر، وولي أمر الله يومئذ مرعيدا

وأصحابه وشيعته المؤمنون، فلمّا أراد الله عزّوجلّ أن يقبض مرعيدا أوحى إليه في منامه أن يستودع نور الله وحكمته بحيرا الراهب ففعل، وعند ذلك ملك هرمز بن كسرى ثمان وثلاثين سنة، وولي أمر الله يومئذ بحيرا وأصحابه المؤمنون وشيعته الصدّيقون، وعند ذلك ملك كسرى بن هرمز أبرويز، وولي أمر الله يومئذ في الأرض بحيرا، حتّى إذا طالت المدّة، وانقطع الوحي، واستخفّ بالنعم، واستوجب الغير، ودرس الدين، وتركت الصّلاة، واقتربت الساعة، وكثرت الفرق، وصار الناس في حيرة وظلمة، وأديان مختلفة، وأمور متشتّة، وسبل ملتبسة، ومضت تلك القرون كلّها، فمضى صدر منها على منهاج نبيّها، وبدّل آخرها نعمة الله كفراً وطاعته عدواناً.

فعند ذلك استخلص الله عزّوجلّ لنبوّته ورسالته من الشجرة المشرّفة الطيّبة، والجرثومة المتخيّرة الّتي اصطفاها الله عزّوجلّ في سابق علمه ونافذ قوله، قبل ابتداء خلقها، وجعلها منتهى خيرته، وغاية صفوته، ومعدن خاصّته محمّداً صلّى الله عليه وآله، واختصّه بالنبوّة، واصطفاه بالرسالة، وأظهر بدينه الحقّ ليفصل بين عباد الله القضاء، ويعطي في الحقّ جزيل العطاء، ويحارب أعداء ربّ السماء، وجمع عند ذلك ربّنا تبارك وتعالى لمحمّد صلّى الله عليه وآله علم الماضين، وزاده من عنده القرآن الحكيم بلسان عربيّ مبين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيه خبر الماضين وعلم الباقين[1].

بيان: جرثومة الشيء بالضمّ: أصله.

٥ - **ك:** عليّ بن عبد الله الأسواريّ، عن مكّيّ بن أحمد قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم الطوسيّ يقول - وكان قد أتى عليه سبعة وتسعون سنة - على باب يحيى بن منصور قال: رأيت سربايك ملك الهند في بلد تسمّى صوح، فسألته كم أتى عليك من السنين؟ قال: تسعمائة سنة وخمس وعشرون سنة وهو مسلم، فزعم أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أنفذ إليه عشرة من أصحابه، منهم حذيفة بن اليمان، وعمرو بن العاص، وأسامة بن زيد، وأبو موسى الأشعريّ، وصهيب الروميّ، وسفينة وغيرهم يدعونه (فدعوه خ) إلى الإسلام فأجاب وأسلم، وقبّل كتاب النبيّ صلّى الله عليه وآله، فقلت له: كيف تصلّي مع هذا (بهذا خ) الضعف؟ فقال لي: قال الله عزّوجلّ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ الآية، فقلت له: ما طعامك؟ فقال لي: آكل ماء اللّحم والكرّاث، وسألته هل يخرج منك شيء؟ فقال: في كلّ أسبوع مرّة شيء يسير.

وسألته عن أسنانه فقال: أبدلتها عشرين مرّة، ورأيت له في إسطبله شيئاً من الدوابّ أكبر من الفيل يقال له زندفيل، فقلت له: ما تصنع بهذا؟ قال: يحمل ثياب الخدم إلى القصّار، ومملكته مسيرة أربع سنين في مثلها، ومدينته طولها خمسون فرسخاً في مثلها، وعلى كلّ باب

(١) كمال الدين، ص ٢١٦.

منها عسكر مائة ألف وعشرين ألفاً، إذا وقع في إحدى الأبواب حدث خرجت تلك الفرقة إلى الحرب لا تستعين بغيرها وهو في وسط المدينة.

وسمعته يقول: دخلت المغرب فبلغت إلى الرمل رمل عالج، وصرت إلى قوم موسى عليه السلام فرأيت سطوح بيوتهم مستوية، ويبدر الطعام خارج القرية يأخذون منه القوت والباقي يتركونه هناك، وقبورهم في دورهم، وبساتينهم من المدينة على فرسخين، ليس فيهم شيخ ولا شيخة، ولم أر فيهم علّة، ولا يعتلّون إلى أن يموتوا، ولهم أسواق إذا أراد الإنسان منهم شراء شيء صار إلى السوق فوزن لنفسه، وأخذ ما يصيبه وصاحبه غير حاضر، وإذا أرادوا الصلاة حضروا فصلّوا وانصرفوا، لا يكون بينهم خصومة ولا كلام يكره إلاّ ذكر الله عزّ وجلّ والصلاة وذكر الموت[١].

٦ - **كا**: عليٌّ عن أبيه عن حمّاد بن عيسى، عن الحسين بن المختار قال: حدّثني إسماعيل بن جابر قال: كنت فيما بين مكّة والمدينة أنا وصاحب لي، فتذاكرنا الأنصار، فقال أحدنا: هم نزّاع من قبائل، وقال أحدنا: هم من أهل اليمن، قال: فانتهينا إلى أبي عبد الله عليه السلام وهو جالس في ظلّ شجرة فابتدأ الحديث ولم نسأله فقال: إن تبّعاً لمّا أن جاء من قبل العراق جاء معه العلماء وأبناء الأنبياء، فلمّا انتهى إلى هذا الوادي لهذيل أتاه ناس من بعض القبائل فقالوا: إنّك تأتي أهل بلدة قد لعبوا بالناس زماناً طويلاً حتّى اتّخذوا بلادهم حرماً، وبنيتهم ربّاً أو ربّة، فقال: إن كان كما تقولون قتلت مقاتليهم، وسبيت ذرّيّتهم، وهدمت بنيتهم، قال: فسالت عيناه حتّى وقعتا على خدّيه، قال: فدعا العلماء وأبناء الأنبياء فقال: انظروني فأخبروني لما أصابني هذا؟ قال: فأبوا أن يخبروه حتّى عزم عليهم، قالوا: حدّثنا بأيّ شيء حدّثت نفسك؟ قال: حدّثت نفسي أن أقتل مقاتليهم، وأسبي ذرّيّتهم، وأهدم بنيتهم، فقالوا: إنّا لا نرى الّذي أصابك إلاّ لذلك، قال: ولمَ هذا؟ قالوا: لأنّ البلد حرم الله، والبيت بيت الله، وسكّانه ذرّيّة إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام فقال: صدقتم، فما مخرجي ممّا وقعت فيه؟ قالوا: تحدّث نفسك بغير ذلك فعسى الله أن يردّ عليك، قال: فحدّث نفسه بخير فرجعت حدقتاه حتّى ثبتتا مكانهما، قال: فدعا بالقوم الّذين أشاروا عليه بهدمها فقتلهم، ثمّ أتى البيت وكساه، وأطعم الطعام ثلاثين يوماً كلّ يوم مائة جزور حتّى حملت الجفان إلى السباع في رؤوس الجبال، ونثرت الأعلاف في الأودية للوحش، ثمّ انصرف من مكّة إلى المدينة، فأنزل بها قوماً من أهل اليمن من غسّان وهم الأنصار. وفي رواية أخرى: كساه النطاع وطيبه[٢].



---

(١) كمال الدين، ص ٥٨٣.

(٢) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٦ باب ١٣٦ ح ١.

فهرس الجزء الثالث عشر

فهرس الجزء الرابع عشر